ألفاظ الحياة الاجتماعية في نهج البلاغة

ISBN 978-9922-9465-5-9

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد 3677 لسنة 2019

مصدر الفهرسة :	IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنيف LC :	BP193.1.A2 K57 2020
المؤلف الشخصي :	الياسري، حسام عدنان رحيم - مؤلف.
العنوان :	الفاظ الحياة الاجتماعية في نهج البلاغة /
بيان المسؤولية :	تأليف حسام عدنان رحيم الياسري، تقديم السيد نبيل الحسني الكربلائي
بيانات الطبع :	الطبعة الاولى.
بيانات النشر :	كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة 2020 / 1442 للهجرة.
الوصف المادي :	3 مجلد ؛ 24 سم.
سلسلة النشر :	(العتبة الحسينية المقدسة ؛ 792).
سلسلة النشر :	(مؤسسة علوم نهج البلاغة ؛ 191).
سلسلة النشر :	(سلسلة الرسائل والاطاريح الجامعية؛ 44).
تبصرة ببليوجرافية :	يتضمن مراجع ببليوجرافية.
تبصرة محتويات:	المجلد 3 : معاجم
موضوع شخصي :	الشريف الرضي، محمد بن الحسين، 359-406 للهجرة - نهج البلاغة.
موضوع شخصي :	علي بن أبي طالب (عليه السلام) الامام الاول، 23 قبل الهجرة-40 للهجرة – حديث.
مصطلح موضوعي :	اللغة العربية - الفاظ.
اسم شخص اضافي :	شرح لـ(عمل) : الشريف الرضي، محمد بن الحسين، 359-406 للهجرة - نهج البلاغة.
اسم شخص اضافي :	الحسني، نبيل قدوري 1965– مقدم.
اسم هيئة اضافي :	العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق)، مؤسسة علوم نهج البلاغة. جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية

سلسلة الرسائل والأطاريح الجامعية/ الكوفة (٤٤)
وحدة الدراسات اللغوية

ألفاظ الحياة الاجتماعية في نهج البلاغة

المجلد الأول

تأليف
حسام عدنان رحيم الياسري

إصدار
مؤسسة علوم نهج البلاغة
في العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة
العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

العراق - كربلاء المقدسة -مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام
مؤسسة علوم نهج البلاغة
هاتف: ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠ - ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣
الموقع الألكتروني: www.inahj.org
الإيميل: Info@Inahj.org

تنويه:

إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

تخلي العتبة الحسينية المقدسة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾

صدق الله العلي العظيم

مريم: ٥٥

وقال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام):

«أَلاَ إِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الإِنْسَانِ، فَلاَ يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ، وَلاَ يُمْهِلُهُ النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ، وَإِنَّا لأُمَرَاءُ الْكَلاَمِ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ»

نهج البلاغة: خ/ ٢٣٣.

الإهداء

إليك... وقد سألتك يوماً أن تَضَعَني على خُطَاك؛ أتبصّر مواضع قدميك اللّتَين وصلتَ بهما إلى عِلّيين، فوضعتني عند (نَهجٍ) أوّله (التَّوحيد)،وأوسطه (الزُّهد)، وآخره (العَدل)[1] فطوبى لك وحسن مآب.

(١) إشـارة إلى أقوالـه (عليه السلام): ((أوّل الديـن معرفتـه...)) خ/ ١. و ((طوبـى للزاهديـن في الدنيـا...)) قصـا / ١٠٤. و ((العَـدْل يضـع الأمـور في مواضعهـا...)) قصـا / ٤٣٧.

الرموز الواردة في البحث

لما كان (نهج البلاغة) مقسماً على (الخطب والأوامر، والكتب والرسائل، وقصار الحِكم، وغريب ألفاظه (عليه السلام))، فقد استعملت مجموعة من الرموز الدالة على هذهِ الأبواب طلباً للاختصار، وبحسب ما يأتي:

الرمز	معناه
خ	خطبة
ك	كتاب
قصا	قصار الحِكم
غ	غريب كلامه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤسسة

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاها، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فلم يزل كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) منهلًا للعلوم من حيث التأسيس والتبيين ولم يتقصر الأمر على علوم اللغة العربية أو العلوم الإنسانية، بل وغيرها من العلوم التي تسير بها منظومة الحياة وإن تعددت المعطيات الفكرية، إلا أن التأصيل مثلما يجري في القرآن الكريم الذي ما فرط الله فيه من شيء كما جاء في قوله تعالى: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾، كذا نجد يجري مجراه في قوله تعالى: ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**﴾، غاية ما في الأمر أن أهل الاختصاصات في العلوم كافة حينما يوفقون للنظر في نصوص الثقلين يجدون ما تخصصوا فيه حاضرًا وشاهدًا فيهما، أي في القرآن الكريم وحديث العترة النبوية (عليهم السلام) فيسارعون وقد أخذهم الشوق لإرشاد العقول إلى تلك السنن والقوانين والقواعد والمفاهيم والدلالات في القرآن الكريم والعترة النبوية.

من هنا ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تتناول تلك الدراسات الجامعية المختصة بعلوم نهج البلاغة وبسيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفكره ضمن سلسلة علمية وفكرية موسومة بـ (سلسلة الرسائل والأطاريح

الجامعيـة) التـي يتـم عبرهـا طباعـة هـذه الرسـائل وإصدارهـا ونشرهـا في داخـل العـراق وخارجـه، بغيـة إيصـال هـذه العلـوم الأكاديميـة إلى الباحثيـن والدارسـين وإعانتهـم عـلى تبين هـذا العطـاء الفكـري والانتهـال مـن علـوم أمـير المؤمنـين عـلي (عليه السلام) والسـير عـلى هديـه وتقديـم رؤى علميـة جديـدة تسـهم في إثـراء المعرفـة وحقولهـا المتعـددة.

ومـا هـذه الدراسـة الجامعيـة التـي بـين أيدينـا لنيـل شـهادة الدكتـوراه في فلسـفة الآداب والدراسـات اللغويـة إلا واحـدة مـن تلـك الدراسـات التـي وفـق صاحبهـا للغـوص في بحـر علـم أمـير المؤمنـين عـلي بـن أبي طالـب (عليه السلام) فقـد أذن لـه بالدخـول إلى مدينـة علـم النبـوة والتـزود منهـا بغيـة بيـان أثـر تلـك النصـوص العلويـة في الإثـراء المعـرفي والتأصيـل العلمـي، إذ عمـل الباحـث عـلى إحصـاء الألفـاظ التـي تنتمـي إلى الجوانـب الخاصـة (بالحيـاة الاجتماعيـة) الـواردة في نهـج البلاغـة إذ بلـغ مجمـوع تلـك الألفـاظ (أربعمائـة وثـمان وخمسـين) مفـردة عـدا الاشـتقاقات الصرفيـة التـي استعملت فيهـا الألفـاظ جميعـاً، ولهـذا نلحـظ التركيـز واضحـاً في هـذا المجـال في ضـوء كثـرة الألفـاظ الدالـة عـلى طبيعـة الرؤيـة الاجتماعيـة والإصـلاح الاجتماعـي للإنسـان، إذ يمثـل (نهـج البلاغـة) نظريـة اجتماعيـة متكاملـة للإنسـان، الـذي عُنـي بـه الإمـام (عليـه السـلام) أيّـما عنايـة؛ لتكـون منهجـاً يسـير عليـه الإنسـان المسـلم وغـير المسـلم مـن جهـة الحقـوق والواجبـات التـي ينبغـي القيـام بهـا.

فجزى الله الباحث خير الجزاء فقد بذل جهده وعلى الله أجره.

والحمد لله ربّ العالمين

السيد نبيل الحسني الكربلائي

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

((الحمدُ لله الذي عَلاَ بَحوْلِهِ، ودَنا بِطَوْلِهِ، مَانحِ كلَّ غنيمةٍ وفَضْلٍ، وكَاشفِ كلَّ عظيمَةٍ وَأزْلٍ. أحْمَدُهُ على عَواطِفِ كرَمِه، وسَوابغِ نَعمهِ. وأؤمِنُ به أوّلاً بادياً، واسْتَهْديهِ قرِيْباً هَادياً، واسْتَعِيْنهُ قاهراً قادِراً، وأتَوَكَّلُ عليه كافِياً ناصِراً. وأَشْهَدُ أنَّ محمّداً (ﷺ) عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، أَرْسَلهُ لإنْفاذِ أَمْرِهِ، وإنْهاءِ عُذْرِهِ، وتَقْدِيْمِ نُذُرِه))(١).

وبعد: فما زال (نهج البلاغة) نهجاً شاخصاً في التراث الأدبي العربي والإسلامي، مجيباً عمّا يبدر من سؤالات تخطر في الأذهان عن سبب إغفال الدارسين القدامى لهذا السِّفر الذي يمثل أنموذجاً فريداً للكلام العالي في بلاغته وفصاحة كلماته؛ فهو نتاج صنعه أمير الكلام علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي استوقف الكثير من النقّاد واللغويين القدامى، ومنهم الجاحظ (ت٢٥٥هـ) الذي ذكر جملة من خطب الإمام وكلماته في (البيان والتبيين) وغيره من المصنّفات، وأُثر عنه جمعه (مئة كلمة) للإمام علي. وورد عنه قوله في بيان أثر الإمام في اللغة وشرف مفرداتها:

(١) نهج البلاغة: خ/ ٨٣.

((فعلى عليٍّ رضي الله تعالى عنه يُعوَّل في تَنْزيه اللفظ وتشريف المعنى)).

وقد احتفلت كتب (غريب الحديث) بذكر نصوص كثيرة موثّقة نسبتها إلى الإمام، وتكفّل مصنفّوها بشرح معاني مفرداتها وبيان دلالاتها، فضلاً عمّا اشتملت عليه المدونات الأدبية من كلمات من قبيل كتاب (العقد الفريد)،لابن عبد ربّه الأندلسي(ت ٣٢٨هـ)،وكتاب(محاضرات الأدباء)،لأبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ). وعلى الرغم من ذلك، فقد انصرف الكثير عن العناية بـ(نهج البلاغة) بحجج وذرائع شتّى، لعل في صدارتها عدم التثبّث من النصوص الواردة في الكتاب أو صحّة صدورها عن الإمام (عليه السلام)، حتى زُعِم أنّ (نهج البلاغة) من وضع (الشريف الرضي). وغاب عنهم أنّ الشريف الرضي إنّما جمع ما ورد في النهج وبَوّب كلماته مما توافر له من خطب ورسائل وحكم مأثورة عن الإمام مدوّنة في كتب التراث الأدبي و التأريخي، حتى أنّ الكثير من أقواله قد وردت في مؤلفات صُنّفت قبل ولادة الشريف الرضي نفسه. ولو كان كلام أملك بالفصاحة والبلاغة، وحسن السّبك وجودة التعبير غير كلامه (عليه السلام)؛ لاختاره الشريف الرضي ليكون نهجاً للبلاغة وسبيلاً للفصاحة. ولهذا وجدناه مأخوذاً بأقوال الإمام وجودتها؛ وربّما علّق عليها متعجباً من عُلوِّ كلام الإمام وفصاحته قائلاً: **((وقوله (عليه السلام): ((امْلُكُوا عنّي هَذا الغُلاَمَ لا يَهُدّني)) من أعلى الكلام وأفصحه))**[1]. فإنّه مُشرِّع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولدها، ومنه ظهر مكنونها، وعنه أُخذت قوانينها، وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ، ومع ذلك فقد سبق وقصروا، وقد تقدم وتأخّروا؛ لأنّ

(١) نفسه: خ / ٢٠٧

على كلامه مُسحة من العلم الإلهي، وعَبْقَة من الكلام النبوي، فهو البحر الذي لا يُساجَل، والجَمّ الذي لا يُحافل (١).

وقد وقف الكثيرون عند كلام الإمام معجبين من أساليبه في نظم الكلام وصناعته. وخير مثال على ذلك ما وقف عنده الشارح (ابن أبي الحديد) الذي أَنِس بكلامه (عليه السلام)، ودافع عن حسن سبكه وجودة أسلوبه، بعدما وجده كلّه ماءً واحداً، ونَفَساً واحداً، وأسلوباً واحداً، كالقرآن العزيز، أوّله كأوسطه، وأوسطه كآخره (٢). وقال في موضع آخر متحدثاً عن كلام الإمام في وصف الخالق جل جلاله: ((**لو سمع هذا الكلام أرسطوطاليس القائل بأنّه تعالى لا يعلم الجزئيات... لخشع قلبه، واضطرب فكره؛ لما عليه من الرّواء والمهابة، والعظمة والفخامة، والمتانة والجزالة، مع ما أُشْرِب من الحَلاوة والطّلاوة واللّطف والسّلاسة، فلا أرى كلاماً يشبه هذا إلاّ أن يكون كلام الخالق سبحانه. فمن أراد أن يتعلم الفصاحة والبلاغة، ويعرف فضل الكلام بعضه على بعض، فليتأمل هذه الخطب؛ فإنّ نسبتها إلى كل فصيح من الكلام، عدا كلام الله ورسوله، نسبة الكواكب المنيرة إلى الحجارة المظلمة الأرضية**))(٣).

وبناء على هذه المقولات التي لا ترفع من شأن كلام الإمام (عليه السلام)؛ فما فيه من الرّفعة وعلو البيان ما يغني القارئ عن الاستعانة بهذه النصوص لتوكيد فصاحته وبلاغته، وإنما ذكرتها، لإظهار مواقف العلماء من أساليبه في التعبير وحسن نظمه

---

(١) مقدمة الشريف الرضي لنهج البلاغة.

(٢) نفسه.

(٣) شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد):٧/ ٢٠.

للكلام. ومع ذلك فقد ضربت الأقلام عنه صفحاً، بحجج لا يمكن أن تصمد بوجه هذا الضّرب من البلاغة التي يصح عندها المَثل الذي تقوله العرب: ((**إذا جاءَ نَهْرُ اللهِ بَطُلَ نَهْر مَعْقِل**))[١].

ولهذا عمدتُ إلى تتبّع نصوص النهج وقراءتها للخروج بموضوع يصلح أن يكون أُطروحة للدكتوراه تختصّ بدراسة كلام أمير المؤمنين، لبيان خصائصه اللغوية والأسلوبية. وكانت الرغبة تميل بي إلى دراسة مستوى الألفاظ والمفردات في النهج؛ لما فيها من إيحاءات وتنّوع في الدلالة، فضلاً عمّا اشتملت عليه من فرادة الاختيار وغرابة الدلالة التي أشار إليها اللغويون والمصنّفون في غريب الحديث.وهو ما شجعني على ولوج التصنيف المعجمي لمفردات نهج البلاغة، فوقع الاختيار على موضوع كنت أعتقد أنه يحقق الهدف من الدراسة، وهو (الفاظ السّلوك والعلاقات الاجتماعية في نهج البلاغة دراسة ومعجم). ولمّا عرضت الموضوع على الأستاذ الدكتور حاكم حبيب الكريطي أشار عليَّ بتعديله وجعله في (الفاظ الحياة الاجتماعية في نهج البلاغة - دراسة ومعجم-)، فكان هذا الموضوع الذي بين أيديكم الذي صححت لجنة المناقشة الموقرة عنوانه، وأسقطت منه عبارة (دراسة ومعجم).

وبعد إجازته في قسم اللغة العربية، شرعت بإحصاء الألفاظ التي تنتمي إلى الموضوع المتقدم بعدما اطّلعت على الجوانب الخاصة (بالحياة الاجتماعية) وما تشتمل عليه من مكونات معتمداً في ذلك على توظيف الإمام للمفردات في المجال الاجتماعي بكل متعلقاته، فضلاً عمّا تضمنته المدونات الخاصة بعلم الاجتماع

(١) مجمع الأمثال: ١/ ٨٨.

والأدب التي فصّلت القول بما يتضمنه مصطلح (الحياة الاجتماعية) من مكونات تتعلق بحياة الإنسان ومتعلقاتها من وسائل نقل ولوازم معيشة. ولم أعرض لهذا الأمر بالتفصيل، لكونه من الأمور التي تكفلت به دراسات سابقة في مجال الحياة الاجتماعية. وقد وجدت أن كلامه (عليه السلام) يحتفل بالكثير منها، حتى يمكنني القول: إنّ معظم ما في النهج من مفردات هي الفاظ مخصوصة بالحياة الاجتماعية. وهو ما ضاعف من مسؤولية الباحث في ضرورة الإحاطة بها ومجانبة المفردات التي تكون بعيدة عن هذا المجال الدلالي. وبعد الفراغ من الإحصاء، عمدت إلى تصنيف الألفاظ وتوزيعها معتمداً في ذلك (نظرية المجال الدلالي) التي اتخذتها منهجاً في هذه الدراسة؛ لما تقدّمه من تصنيف للمفردات وتوزيع لها بحسب الحقول التي تنتمي اليها كل واحدة منها، فضلاً عن كونها تمكّن الدَّارس من اكتشاف العلاقات الدلالية بين الألفاظ في كل حقل من حقول الدراسة، وما فيها من (ترادف وتضاد ومشترك لفظي أو تضمين)، وغير ذلك من الظواهر اللغوية التي تمثّل مظهراً من مظاهر نماء اللغة وتطورها. علاوة عمّا تظهره من ملاحظات في تطوّر المفردات واتساع دلالتها أو تضييق حدودها الدلالية. وبهذا اجتمع لديّ جمهور كبير من الألفاظ، الأمر الذي شكّل صعوبة كبيرة لي في تصنيف هذه المفردات ووضعها في مجالاتها المناسبة، ولهذا اتّسعت فصول الدراسة؛ بسبب من كثرة الألفاظ واشتقاقاتها. فانقسم البحث على فصول تسع مشفوعة بمقدمة، ومنتهية بخاتمة. وقد رَتَّبتُ هذه الفصول بحسب شيوع الألفاظ في كل فصلٍ من الفصول؛ فكان الفصل الأول خاصاً بـ(الفاظ وسائط النّقل)، الذي درست فيه الألفاظ الدالة على وسائط النقل، فكان جُلّها متعلقاً بـ(الدّواب) التي تتخذ وسيلة للتنقل في السَّلم والحرب. وكان لألفاظ (الإبل ومتعلقاتها) النصيب الأوفر في هذا

الفصل، تلتها (الفاظ الخيل ولوازمها)، و(الأتان والحُمُر ومتعلقاتها)، ومن ثَمّ (الفاظ السُّفن). وكل واحد من هذه الحقول يمثِّل مبحثاً قائماً بذاته. أما الفصل الثاني، فقد جعلته خاصاً بـ(طبقات المجتمع) التي عرض لها الإمام (عليه السلام) في (نهج البلاغة) وصنّفها بحسب أهميتها في المجتمع. واشتمل الفصل على مباحث عدة رتّبتها على النحو الآتي: (الفاظ الطبقة السّفلى في المجتمع، وطبقة المهن والحرف وذوي الصناعات، والأرامل والنساء، وعامّة الناس، والجند والشرطة، والسّادة والأشراف، والعبيد والموالي، والعمال والإداريين والكتّاب، وذوي الرقة في السَّن والأيتام، والفقهاء والعلماء، والحمقى والمغفلين، والسّحرة والكهّان، وأهل الذّمة، والأغنياء والمترفين). وقد رتّبت هذه الطبقات بحسب شيوع الفاظها وكثرتها مراعاة لمنهج الدراسة، مع الأخذ بنظر الاعتبار تقسيم الإمام لهذه الطبقات وتصنيفها مرتَّبة، حسبما عهد به إلى عامله (مالك الأشتر).

وتناولت في الفصل الثالث (الفاظ الأكل والشّرب ومتعلقاتها)، إذ انقسم هذا الفصل على مبحثين؛ الأول خاص بألفاظ الأكل وأدواته، والثاني بألفاظ الشرب وأدواته وما يتعلق بهما. واشتمل كذلك على الفاظ (الآبار ولوازمها)، بوصفها من الموارد التي ينهل منها، فضلاً عن الفاظ (شُرب الخَمر) التي وظّفها الإمام توظيفاً أبعدها عن دلالتها المذمومة، ونقلها إلى دلالة أخرى جديدة تتعلق بنهل العلوم والإقبال عليها.

وأما الفصل الرابع، فقد اختصَّ بألفاظ (الزينة ومتعلقاتها)؛ متضمناً الفاظ (الجواهر والحلي) و(الزينة وما تشتمل عليه من كُحل و خِضاب)، فضلاً عن ألفاظ (الطِّيب والعطر والرّياحين). في حين تضمن الفصل الخامس البحث

في (الفاظ الألبسة ومتعلقاتها)، وهي ألبسة الجسم بعامّة، ومنها لباس البدن ولباس الرأس ولباس الموتى، فضلاً عن ألبسة القدم وما يتعلّق بها. وتناول الفصل السادس (الفاظ الأمراض والعلل ومتعلقاتها)، وتبدأ بحسب شيوعها في النهج بـ(الفاظ الأمراض الخاصة بالنَّفس)، والفاظ (الهُزال والضّعف)، و(الفاظ علل النطق ومتعلقاتها)، و(الفاظ أدوات العلاج)، (والفاظ أمراض البصر) و (السمّع)، ومن ثَمّ (الأمراض الخاصة بالجِلد). واستقلت (الفاظ العلاقات الاجتماعية) بالفصل السابع، وكان في طليعتها (الفاظ الأسرة، والقرابة القريبة ومتعلقاتها، والفاظ العقب والأولاد، والنسب والبطانة، والفاظ نحو الأب والأم، فضلاً عن الألفاظ الدالة على الزوج). في حين جاء الفصل الثامن مخصوصاً بـ(الفاظ الأدوات والآلات)، وهي بحسب ترتيبها (ألفاظ أدوات الضرب والقص، وألفاظ الآت الطرب واللهو، والفاظ أدوات الكتابة). تلاه الفصل التاسع، وهو خاتمة الفصول،الذي عني بـ(الفاظ الفُرُش والأغطية والنّمارق).

أمّا المنهج الداخلي الذي اتبعته في تناول المفردات في الحقول الدلالية التي تنتمي اليها الألفاظ موضوع الدراسة، فأني أصدّر المادة اللغوية بذكر المفردة التي يتم بحثها، مكتفياً في العادة بذكر لفظ واحد من الألفاظ التي تتعدد اشتقاقاتها في كلام الإمام، فاقتصر - حينئذ- على ذكر لفظ واحد من هذهِ الاشتقاقات طلباً للاختصار، ذاكراً صور ورود المفردة في (نهج البلاغة) عند بيان استعمال الإمام لها، بعد ذكر الدلالة المعجمية لهذه الألفاظ، معرّجاً على أراء اللغويين فيها، ومن ثَمّ أتبع ذلك بالدراسة الإحصائية التي تتعلق بعدد مرات ورود اللفظ في النهج واصفاً - كما قلت- الصور التي استعملها الإمام له من جهة اشتقاقاته وما يتصل به من علامات مثل(ال) التعريف، وضمائر الخطاب والغيبة، فضلاً عن

حـالات الإفـراد والجمـع. وبعـد ذلـك يتـم تنـاول القضايـا الدلاليـة، والمعـاني التـي أفادهـا اللفـظ في كلام الإمـام. وقـد جعلـت ذلـك مرتبـاً عـلى شـكل نقـاط بسـبب مـن سـعة المـادة العلميـة، وتعـدد الـدلالات التـي يفيدهـا اللفـظ الواحـد وتنـوع اشـتقاقاته ودلالـة كل واحـد منهـا عـلى معنـى معيّن. وقـد دأبـت عـلى ذكـر النـص الـذي وردت فيـه المفـردة مـع بيـان السـياق الـذي وردت فيـه، ومـن ثَـمّ أعمـد إلى تحليـل النـص وبيـان معنـاه، ووظيفـة المفـردة في السـياقات العَلَويـة..

أمـا في حالـة وجـود دلالات أخـرى مشـابهة للمفـردة، فيتـم ذكرهـا بحسـب ورودهـا في خطـب النهـج ورسـائله وحكمـه في خاتمـة المبحـث. ولم يـضرب الباحـث صفحـاً عـمّا ذكرتـه المدونـات اللغويـة مـن كلام للإمـام؛ فقـد التفّـت إلى ذلـك مـن خـلال ذكـر مـا ورد مـن الفـاظ لـه في المصنفـات اللغويـة؛ مدونـاً ذلـك في هوامـش الدراسـة التـي ضمنّتهـا الكثـير مـن ذلـك، إشـارة إلى منزلـة لغـة الإمـام عنـد اللغويـين الذيـن عنُـوا بكلامـه وشرح مفرداتـه ودلالاتهـا التـي انفـرد بهـا. وقـد تَبـيّن مـن خـلال ذلـك أنهـم كثـيراً مـا أخـذوا الـدلالات المعجميـة لهـذهِ الألفـاظ مـن كلامـه (عليه السلام).

وفي نهايـة فصـول الدراسـة، خرجـت بخاتمـة أوجـزت فيهـا أهـم النتائـج التـي توصـل إليهـا البحـث لطرائـق الإمـام في توظيـف المفـردات واسـتعمالها الـدلالي وإيحاءاتهـا للمتلقـي. ومـن ثَـمَّ أتيـت عـلى ذكـر مصـادر البحـث ومراجعـه التـي تنقسـم عـلى أقسـام متعـددة في صدارتهـا كتـب اللغـة والمعاجـم التـي تمثـل عـماد البحـث، بـدءاً مـن معجـم (العين)، للخليـل بـن أحمـد الفراهيـدي (ت ١٧٠ هـ)، ومعجـم (تهذيـب اللغـة) للأزهـري (ت ٣٧٠هـ)، و (مقاييـس اللغـة)، لأحمـد بـن فـارس (ت٣٩٥هـ)، و(المحكـم والمحيـط الأعظـم)، لابـن سِـيدَه (ت ٤٥٨ هـ)، و(لسـان العـرب)، لابـن

منظور (ت ٧١١هـ)، و (القاموس المحيط)، للفيروز أبادي (ت ٨١٧هـ) و (تاج العروس)، للزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، فضلاً عن كتب اللغة الأخرى، من قبيل معجمات المعاني كـ(فقه اللغة)، للثعالبي (ت ٤٣٠هـ) وكتاب (المخصص)، لابن سِيدَه، وكتب المعرّب والدخيل، وفي طليعتها كتاب (معجم ما استعجم) للبكري (ت٤٨٧هـ) و (المعرّب)، للجواليقي (ت٥٤٠ هـ)

أما القسم الثاني من المصادر، فهو كتب غريب الحديث، ومنها (غريب الحديث)، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، و(غريب الحديث)، لابن الجوزي، (ت ٥٩٧هـ)، والفائق في غريب الحديث، للزمخشري (ت ٥٣٨هـ) والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير الجزري (ت٦٠٦ هـ).أما القسم الثالث من المصادر؛ فهو الكتب الخاصة بنهج البلاغة وشروحه. ويتصدرها كتاب (معارج نهج البلاغة)؛ للبيهقي الأنصاري (ت٥٦٥ هـ)، و (شرح نهج البلاغة)؛ لابن أبي الحديد (ت٦٥٦ هـ)، و(شرح نهج البلاغة) للبحراني (ت٦٧٩هـ)، و(الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي)، لأبي الحسين يحيى بن حمزة الحسيني (ت ٧٤٩هـ)، ومنهاج البراعة للميرزا الخوئي (ت١٣٢٤ هـ)، وكتاب (بلاغة الإمام علي)؛ للدكتور أحمد محمد الحوفي، و(شرح نهج البلاغة) للشيخ محمد عبده، و(مصادر نهج البلاغة وأسانيده)، للسيد عبد الزهراء الخطيب، و(نهج البلاغة)، شرح الدكتور صبحي الصالح الذي اعتمدته مصدراً أخذت عنه أقوال الإمام،فكان المعوّل عليه في إحالات البحث، و(نهج البلاغة) بشرح وتحقيق محمد أبو الفصل إبراهيم، فضلاً عن المدونات و المراجع التي عنيت بدراسة النهج. ومنها كتاب (مع نهج البلاغة دراسة ومعجم)، للدكتور إبراهيم السامرائي الذي لم يعرض لكل المفردات الواردة في نهج البلاغة، وإنما انتخب جملة منها مقتصراً

على ذكر الدلالة المعجمية لها دون دلالتها السياقية. ومنها أيضاً دراسة الدكتور عبد الكريم حسن السّعداوي الموسومة (غريب نهج البلاغة) الذي تناول فيها المفردات الغريبة في النهج، وكذلك (الأثر القرآني في نهج البلاغة)، للدكتور عباس علي الفحّام، و(رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة دراسة لغوية)، للباحثة رملة خضير مظلوم و(المرأة في نهج البلاغة)؛ للدكتورة نجوى صالح الجواد، وهي دراسة تعنى بالجانب الفكري الإسلامي أكثر من عنايتها بالجانب اللغوي الدلالي.

وثمة طائفة من المراجع التي عنيت بالجانب الفكري والعلمي في كلام الإمام في نهج البلاغة، ومنها كتاب (الراعي والرعية)، لتوفيق الفكيكي، (والإمام علي سلطة الحق)؛ لعزيز السيد جاسم، و(تفسيرات فسيولوجية في نهج البلاغة)، للدكتور عمار جاسم مسلم، و(أسس بناء الدولة في فكر الإمام علي (عليه السلام))، للباحث علي سعد تومان، و(المنهج الأمني في نهج البلاغة)؛ للباحث محمد صادق الهاشمي. وتضمن القسم الرابع من المصادر المدونات الخاصة بالسيرة والتاريخ، ومنها (السيرة النبوية)،لابن هشام(ت ٣١٨هـ) وكتاب(وقعة صِفِّين)، لنصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢هـ)، و(تاريخ الطبري) (ت٣١٠هـ)، والكامل في التاريخ، لابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، و(المفّصل في تاريخ العرب قبل الإسلام)، للدكتور جواد علي. فضلاً عن كتب التفسير، وفي صدارتها (تفسير الطبري)، و(التبيان في تفسير القرآن)، للشيخ الطوسي(ت٤٦٠هـ)، و(مجمع البيان لعلوم القرآن)، للطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، و(تفسير الكشاف)، للزمخشري (ت٥٣٨هـ)، و(مفاتيح الغيب)، للرازي (ت ٦٠٦هـ)، فضلاً عن على الرسائل والأطاريح الجامعية العلمية.

وقد واجه الباحث في إعداد هذه الأطروحة جملة من الصعوبات والمتاعب التي كان أكثرها عسراً عليه، كثرة المفردات الخاصة بموضوع البحث واتساع اشتقاقاتها؛ وهو ما تطلّب تتبّع هذهِ الألفاظ موضعاً موضعا؛ كشفاً عن دلالتها التي انمازت بتعددها وعدم انتظامها في دلالة واحدة تجمعها؛ ومما زاد الأمر صعوبة التداخل والاشتراك الحاصل بين الحقول الدلالية؛ فإن بعض المفردات تصلح أن تكون في أكثر من حقل دلالي، فكان لزاماً عليَّ التدقيق في السياقات المتعددة للألفاظ للفصل في هذا التنازع، وذلك يتطلب مزيداً من الدقة والتبصّر في معاني الألفاظ وبيان الفارق الدلالي بين دلالتها المعجمية والسياقية، فالمفردة خارج السياق لها دلالة تختلف تماماً في حال انتظامها في سياق. فكيف إذا كان هذا السياق من نتاج الإمام علي (عليه السلام) ؟. وهذا ما دفع الباحث إلى تتبّع المفردات جميعاً في شروح نهج البلاغة المتوافرة لديّ؛ من أجل الوصول إلى دلالة محددة لكل مفردة، ومن ثَمّ تصنيفها في المجال الذي وضعت فيه.

وختاماً أودّ أن أسجل شكري وتقديري إلى كل من كانت له يد على البحث والباحث، وفي طليعة هؤلاء، شيخي الفاضل الأستاذ الدكتور (حاكم حبيب الكريطي) المشرف على البحث؛ الذي ما أدّخر وسعاً في تقويم هذه الدراسة منذ أن كانت فكرة في الذهن حتى خرجت أطروحة مدونة. فقد شاطرني فيها النّصب والعناء باذلاً في ذلك وسعه في تسديد ما فيها من زلل أو خلل، فكان صاحب القِدح المُعَلّى والسّهم الأوفر في إحكام هذا الجهد المتواضع حتى بدا بالشكل الذي هو عليه الآن، فله مني كل الإجلال والإكبار والوفاء، ورعاه الله لخدمة العلم وطلاّبه.

ويوجب عليّ الوفاء أن اشكر أساتذتي الأفاضل بقسم اللغة العربية في كلية الآداب – بجامعة الكوفة الذين لا أستثني منهم أحداً؛ لما لقيت منهم من رعاية وعِلم وعمل، فكانوا – بحقٍ – نِعم العلماء، فلهم ولعمادة الكلية وافر التقدير والدعاء بحسن التوفيق والتقدّم. ولزملائي الذين شاركوني مرحلة الدكتوراه نصيب من الوفاء الذي أجدني عاجزاً عن أدائه، فلا أملك لهم إلاّ الدعاء بالتسديد والرّقي العلمي.

وختاماً، فإني لم أدخر وسعاً ولم أبخل بجهد في إعداد هذه الدراسة التي لا أدّعي لها الكمال والتمام، فالكمال لله وحده. وحسبي أنيّ اجتهدت ساعياً في خدمة لغة القرآن الكريم، راجياً الله تبارك وتعالى أن أكون – من خلالها – عند حسن الظن، داعياً أن يغفر لي زللي وهناتي.((**اللَّهُمَّ إنّا نَعُوذُ بك أَنْ نَذْهبَ عن قَولِكَ، أو نُفْتَن عن دِينِكَ، أو تَتَابع بِنَا أَهْوَاؤنا دُونَ الهُدَى الذي جَاءَ من عِنْدك**))(١). وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربَّ العالمين.

الباحث

حسام عدنان رحيم

(١) نهج البلاغة: خ / ٢١٥.

الفصل الأول
الفاظ وسائط النقل ومتعلقاته

جدول دلالي يبيّن شيوع ألفاظ وسائط النقل

مرتبة بحسب كثرة كل مفردة على الأخرى

أولاً: ألفاظ الإبل ومتعلقاتها وتشتمل على ما يأتي:	
1- أمراض الإبل ومتعلقاتها	دبر، الظّالع، الأجرب، حدابير، ذات عوار، العمدة، العشواء، مكسورة، اللاعب، النّقب، مهلوسة
2- أجزاء جسم الإبل	السنام، كلل، جرانه، غارب، وبر، شقشقة، آباط الإبل، أعجاز الإبل
3- عامة الإبل	الإبل، البهائم، الجمل، دابّة، ناقة، البعير، العجماء
4- قيود الإبل وأزمتها	زمام، خطامها، خزامته، كعمته، أوهاق، مثانيها، المخشوش
5- علف الإبل واجترارها وعطشها	علفها، الهيم، يخضمون، حسك السَّعدان، العِطاش، أعذبوا، المعاطش
6- سير الإبل ودعقها وتمعكها	الوجيف، تخبط، استوسقت، حدائها، تدعق، قمصت، تمعّكت
7- الرّحل والظّعن وأدواتها	الرّحل، الظّعن، أحلاس، الوضين، قتب، العكم
8- قياد الإبل وسوقها وصعابها وذللها	أسلس، الصّعب، النّفور، الذّلول، أشنق
9- الهوامل والسّروح من الإبل	السَّائمة، الهاملة، مسارب، سروح، أرسالاً
10- لقاح الإبل ونتاجها	اللّقاح، شَوْلة، المطافيل، العِشار، العُوذ
11- ضرع الناقة وحلبها	أخلافها، ضَرْع، يُفوّقُنني، يَمْصُر
12- فحول الإبل وكرامها	الفحول، بُدناً، صُروم، فنيق، منقيات
13- الهرم من الإبل	عوداً، النّاب، هرمة، النضّو

14 – اسماء ولد الإبل وفصلانها	الفصيل، ابن اللّبون، البِكار، سقباً
15 – أصوات الإبل ورغائها	جرجرة، رغا، هياجها
16 – حنين الإبل ووهلها	الحانّة، الوُلّه، العجال
17 – مناخ الإبل وبروكها	أناخت، تبرك، العُرجة
18 – أخفاف الإبل ومناسمها	خُفّ، المناسم
19 – ما يعتمل عليه من الإبل	مطايا، زوامل
ثانياً: الخيل ومتعلقاتها وتشتمل على ما يأتي:	
1 – اللجام وأدواته	لُجُم، عِنان، شكيمته، حكمه، مسحلها، قعقعة
2 – شماس الخيل	جموح، شماس، الحرون، العنون
3 – جماعة الخيل	مِنسر، كتيبة، رعيلاً، مِقنب
4 – جياد الخيل وعتاقها	جياد، عِتاق
5 – أجزاء جسم الخيل	حافر، سنابك
6 – عامة الخيل	خيل، فرساً
7 – مضمار الخيل	مضمار، حلبة
8 – اصوات الخيل	حمحمة
9 – صغار الإبل	الفلو
ثالثا: ألفاظ الأتان والحُمُر	الحمار، أتان، العانة
رابعاً ألفاظ السفن ومتعلقاتها	سفينة، جؤجؤ

المبحث الأول
الإبل ومتعلقاتها

١ـ الإبل وعللها

دَبَر

دَبَر ما يكون في ظهر الدَّابّة من جروح وتقرح(١). وذلك بسبب من الأحمال والأقتاب التي تحمل عليه(٢). واستعمل الإمام مفردات (دَبَر) و (دَبِرة) و (الَأدْبَر) مرة واحدة لكل منها في كلامه الوارد في نهج البلاغة(٣)، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: التقرح والجروح التي تصيب ظهر الإبل والدواب.

ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق ذم أصحابه الذين دعاهم إلى قتال أهل الشام. إذ يقول: ((...**وتَثَاقَلْتُم تَثَاقُلَ النِّضْو الأَدْبر**...))(٤). ويشبه الإمام المتقاعسين المتخاذلين من أصحابه في الخروج إلى قتال اتباع معاوية بـ (تثاقل) النضو من الإبل، وهو البعير المنهك الذي أهزلته الأسفار وأدبرته، فيكون ضعيفاً عن القعود والقيام، فضلاً عن الادراج في السفر؛ لأنه يكون هزيلاً متعباً مما به من

---

(١) ينظر: العين (دبر): ٨/ ٣٣، والمخصص: م/ ٢: س/ ٧: ١٦٨، ولسان العرب (دبر):٤/ ٢٧٣.

(٢) ينظر: لسان العرب (دبر):٤/ ٢٧٣.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٥١، ١٥٢.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ٣٩: ٨٢.

جروح وقروح في ظهره. ولا يكون ذلك إلا من عض القتب لغاربه، فتكثر في سنامه القروح والدبّر، وهو ما يضعفه عن الحركة. وقد أحس الإمام من أصحابه بهذا التثاقل والميل إلى القعود؛ فشبههم بهذا الضرب من الإبل بجامع الضعف والهزال وعدم المقدرة. وقد استعمل مفردة (دَبِرة)، للدلالة على القروح التي تصيب الأناث من الدواب، وذلك في (ك/ ٤٥).

ثانياً: الدلالة على الحال التي يعيش بها البَدْو.

واستعمل الإمام لهذه الدلالة مفردة (دَبَر)، وذلك في سياق الاعتبار بالأمم السابقة، وما فعله الملوك والقياصرة بالرعية: ((... **فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبَر وَوَبَر، أَذَلَّ الأمَمِ داراً، وَأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً**...))[١]. أضاف (عليه السلام) كلمة (إِخْوان) الى(دَبَر). في إشارة إلى هذه الفئة من المجتمع التي تعيش في البوادي؛ معتمدين على رعي الإبل وسوقها. فكنى عن مواطنهم هذه بذكر لفظتي (دَبَر) و (وَبَر) المخصوصتين بالإبل من الدواب. تذكيراً لهم بما كانوا عليه من ذل وتبع لهؤلاء. وما من الله عليهم من نعمٍ. فكأنّه (عليه السلام) يومئ إلى قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾[٢].

الظَّالِع

أصل الظَّلْع المَيْل في المشي[٣]، والظَّلْع الغَمْز في الرِّجْل. من العرج وغيره[٤].

(١) نفسه: خ/ ١٩٢: ٣٧٥.

(٢) البقرة/ ٤٩.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (ظلع): ٣/ ٤٦٧.

(٤) ينظر: العين (ظلع): ٢/ ٨٦.

والظّلاع داء يأخذُ في قوائم الدّواب والإبل من غيرِ سيرٍ ولاتَعَب؛ فَتَظْلَعُ منه[١]. وقد وردت لفظة (**الظَّالِعِ**) مرة واحدة في نهج البلاغة بصيغة اسم الفاعل، في حين جاءت مفردة (ظَلْعِك) بصيغة المصدر مرة واحدة أيضاً[٢]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على البَعِيْر الذي يَغْمِز في مِشْيَتِه.

وجاءت هذهِ الدلالة في سياق نصح الإمام لبعض عماله على الصَّدقات، يأمرهُ بعدة أوامر على سبيل التوجيه الارشاد في طرق جباية الحقوق الشرعّية. ومنها قوله ((... **ثُمَّ احْدُرْ**[٣] **إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ، نُصَيِّرْهُ حَيْثُ أَمَرَ اللهُ بِهِ. فَإِذَا أَخذَهَا أَمِينُكَ فَأوعِزْ إِلَيْهِ: أَلاَّ يَحُولَ بَيْنَ نَاقَة وَبَيْنَ فَصِيلِهَا... وَلْيَسْتَأْنِ بِالنَّقِبِ**[٤] **وَالظَّالِعِ**...))[٥]. فأمره أن يُنْزِل أو يُرسِل اليه ما اجتمع عنده من الصدقات، التي ينبغي أنْ تكون بيد الأَمِيْن الحافظ لأمانته، الذي يُرْسل بالصدقات، فطلب أمير المؤمنين (عليه السلام) إليه أن يَتَأنَّ. حينما يسوق الدَّواب؛ لأنّ فيها ما نَقب خُفُّه حتى لا يكاد يطأ الأرض بقدمه، ومنها ما يغمز في مِشيَتِه[٦]، حتى صار يَعْرُج[٧]. والذي يَغْمُز من الإبل يُبْطِيء في سَيْرِه ولا يُسْرِع. وربما دَلَّت المفردة المتقدمة التي استعملها الإمام على (الظُلاَعِ) من الإبل، وهي الجِمَال التي أُصِيْبَت بداءِ الظُّلاَعِ الذي يصِيب قوائم الإبل لا من سَيْرٍ، أو تَعَبٍ، فَتَظْلُع[٨].

(١) ينظر: المحكم (ظلع): ٢/ ٦٥.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٨٢

(٣) الحَدْرُ مِن كل شيءٍ النزول من عُلُوٍّ إلى سُفْلٍ. ينظر: تهذيب اللغة (صدد): ٤/ ٢٣٦.

(٤) النَّقِب، نَقْب خُفِّ البَعِيْر. ينظر: لسان العرب (نقب): ١/ ٧٦٥.

(٥) نهج البلاغة: ك/ ٢٥: ٤٨٣.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (بن أبي الحديد): ١٥/ ١١٩.

(٧) النهاية في غريب الحديث: ٣/ ١٥٨.

(٨) ينظر: المحكم (ظلع): ٢/ ٦٥، والقاموس المحيط (ظلع): ١/ ٩٦٣.

ثانياً: الدلالة على الغَمْزِ والمَيْلِ في النَّسَبِ والمكانة الاجتماعية.

وقد وردت هذه الدلالة في سياق كتابِ الإمام إلى معاوية جواباً على كتاب وصله منه. يقول الإمام في كتابه في مقام ذَمِّ معاوية وتَحْقِيره: ((**أَلاَ تَرْبَعُ**[١] **أَيُّهَا الأنْسَانُ عَلَى ظَلْعِكَ، وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ**[٢]**، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ الْقَدَرُ**...))[٣]. وهذا المقطع من كلامه رَد على قول لمعاوية في تفضيل بعض النّاسِ على الإمام (عليه السلام)، وتقديم الفاضِل منهم على المفضول، وحكمه على المهاجرين والأنصار. فخاطبه الإمام، ذاماً له لأنّ مَنْزِلَتَهُ لا تسمح له بأن يكون حكماً في تفضيل المسلمين، وبيان مكانة كل واحدٍ منهم على الآخر. فكتب له (عليه السلام) أن يَربع عند حدِّه، أي يقف ويَتَمَهّل. منزلاً إيّاه مَنْزِلَةَ الإبل التي تَظْلُع في مشيتِها وتَغْمِز من العَرَج[٤] وهو أصلًا عِلّةٌ في مَشِيْ الإبل، فاستعاره لوصف معاوية؛ للدلالة على غَمْزه وسُوء مَنْزلته. وكونه ليس بالمكانة التي تُؤَهِّلُه إلى تصنيف المسلمين وبيان منازلهم. فضلاً عن عدم لَحَاقِهِ بأهل الفَضْلِ والمكانة، وهو بهذا الوصف كالبَعِير الظالِعِ الذي يَقْصر عن مساواة جماعة الإبل ومجاراتهم في المشي[٥]. وتعبير (تَرْبَع على ظَلعِكَ) تعبير دارج في أَلْسِنَةِ العرب بكثرة، حتى جرى عندهم مجرى الأمثال. فقالوا: ((**أَرْبِع على ظَلْعِكَ**))[٦]. ومعناه: إِبقَ على غَمْزِك فإنّك ضعِيف، فَأَنْتَه عمّا

---

(١) تَرْبَع. أي تقف. ينظر: لسان العرب (ربع): ٨/ ١١٠.

(٢) الذَّرع بالفتح الامتداد والوسع والطاقة. ينظر: مقاييس اللغة (ذرع) ٢/ ٥٠ والنهاية في غريب الحديث: ٢/ ١٥٨.

(٣) نهج البلاغة: ك/ ٢٨: ٤٨٨.

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٣/ ١٥٨.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ٢٤٣.

(٦) المستقصى في أمثال العرب: ١/ ١٣٨، والقاموس المحيط (ظلع): ١/ ٩٦٢.

لا تُطِيْقَه ولا تَتكَلَّفَه(١). وتوحي مفردة (ظَلْعِكَ) بدلالات أخرى في السياق المتقدم (فالظَّلْع) المَيْل، و (الظّالِعُ) المُتَّهَم. وهذهِ الدلالات تفيد في أنّه يريد الاشارة إلى مَيْلِ معاوية، واتهامه بالقصور وعدم بلوغ المنزلة التي تضعه حيث وضع الأئمة (عليهم السلام)؛ لأنه كما يقول الإمام مُتَّهَم بكونه من (الطُّلَقَاءِ، وأبناءِ الطُّلَقَاءِ). وهو ما ينبغي أنْ يوقفه عند حدِّه. ولهذا خاطبه بقوله: ((... **وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ الْقَدَر**))(٢). وأراد بـ(قصور ذَرْعِك) عدم استطالة يدك، وقوّتك وعجزك عن تناول هذهِ الرتبة(٣).

الأَجْرَب

الجَرَب معروف، وهو بَثَر يَنْبُت على جِلْد الإنسانِ والإبل(٤). وقد ذُكِر أنّ الجرب يحصل من خِلْط غليظ يحدث تحت الجلد من مخالَطَة البَلْغَمِ المِلْحِ للدَّم، ويكون معه بُثُور(٥). وجاءت لفظة (الأَجْرَب) مرة واحدة في نهج البلاغة(٦)، بإزاء لفظة (الصَّحِيْح) للدلالة على مَنْ أصابه مَرَض الجَرَب، فَيُنفَر منه، وذلك في سياق الوعظ والإرشاد إذ يقول (عليه السلام): ((**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنِ اسْتَنْصَحَ اللهَ وُفِّقَ... فَلاَ**

(١) أنفسهما.

(٢) نهج البلاغة: ك/ ٢٨: ٤٨٨، ٤٨٩.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ٢٤٣.

(٤) ينظر: جمهرة اللغة (جرب): ١/ ٢٦٦، ومقاييس اللغة (جرب): ١/ ٤٤٩، والمحكم (جرب): ٧/ ٤٠٠، ولسان العرب (جرب): ١/ ٢٥٩.

(٥) ينظر: المصباح المنير: ١/ ٩٥، وتاج العروس (جرب): ٢/ ١٤٥.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٨١.

تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ(١) **الصَّحِيحِ**(٢) **مِنَ الْاجْرَبِ، وَالْبَارِي**(٣) **مِنْ ذِي السَّقَمِ**(٤)**))**(٥). ولما كان أكثر النّاس يَنْفِرون من الحقّ فإنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿...**أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**﴾(٦)؛ لهذا فإنهم لا يرتضون الأخذ بالحق والعمل به، لِمَا له من أَثَرٍ على مصالحهم عادة، فَأرشد الإمام (عليه السلام) النَّاسَ ألاّ يُجانبوه، أو يَحِيدوا عنه. كما يَنْفُر الصَّحِيْح البَرِيء من المَرَضِ من الأَجْرَب الذي أَصابه وَبَاء الجَرَب، لما في الحقِّ من مَرْضاة لله وعَدْل للناس. وقد شبّه (عليه السلام) النِّفَار من الحَقِّ بالنِّفَار من المعلول بالجَرَبِ؛ لِمَا لهذا المرض من أثرٍ على الصَّحِيْح مِنَ النَّاس أو الدَّواب. فهذا الدَّاء من الأَمراضِ المُعدِية(٧)، فإذا أصابَ الإبل وفُصلاَنها، فلا تكاد تَنْجو منه، وبخاصَّة إذا صَاحبته القُرُوح(٨)، وقد يُرافِقُه هُزَال كثير في الدّواب(٩)، فَيُنْهِك الدَّابَّة ويُهْلِسُها. ولهذا قِيل في الأمثال: **((أَعْدَى من الجَرَبِ))**(١٠). وعدوى الجرب انتقال الداء من المريض إلى السَّليم الصحيح البَدَنِ. ولهذا يُبْتَعَد كثيراً عَمَّنْ به جَرَب، مَخافَةَ العَدْوى. وهذهِ العِلّة تصيب

(١) نَفَر من الشيء، إذا جَافَاه، والنِّفار هو الهرب والمجانبة. ينظر: لسان العرب (نفر): ٥/ ٢٢٧.

(٢) الصِّحّة والصحاح خلاف السَّقم، وذهاب المرض، والصحيح الذي لا وباءَ فيه. ينظر: لسان العرب (صحح): ٢/ ٥٠٨

(٣) الباري الصحيح المعافى. ينظر: لسان العرب (برأ): ١/ ٣١.

(٤) السّقم المَرَضُ. ينظر: لسان العرب (سقم): ١٢/ ٢٨٨.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ١٤٨: ٢٥٨،٢٥٧.

(٦) المؤمنون/ ٧٠.

(٧) ينظر: أساس البلاغة (جرب): ١/ ٨٧، وتاج العروس (جرب): ٢/ ١٤٥.

(٨) ينظر: المحكم (جرب): ٢/ ٥٧٧.

(٩) ينظر: المصباح المنير: ١/ ٩٥، وتاج العروس (جرب): ٢/ ١٤٥.

(١٠) ينظر: مجمع الأمثال: ٢/ ٤٥، وجمهرة الأمثال: ٢/ ٣٢، وأساس البلاغة (جرب): ١/ ٨٧.

الإنسان والدواب من الإبل معاً. وبهذا؛ يحتمل النص أنْ يكون المراد بـ(الصحيح) و(الأَجْرَب) هما الإنسان؛ لأنّ المخاطَب في السِّياق هو (الإنسان). ولا يَبْعُد أنْ يكون المُراد بذلك (الأَجْرَب) من الدّواب، و (الصحيح) منها؛ على سبيل تمثيل الأمر بما يَفْعله العرب من إبْعَاد للجمل الأجرب عن بَقِيّة الإبل وإفراده عنها، مخافة أنْ يُعْدِيها. فكأنّ هذا الإبعاد نِفَار للصحيحة من الإبل من الجَرَبِ. ويريد (عليه السلام) القول إنّ (الحَقَّ) عند بعض النَّاس كالجَرَب المُعْدِي، يبتعدون منه؛ مخافَةَ أنْ يُصيبهم شيء منه، لما في الحَقِّ من جَوْرٍ على النّاسِ في مصالحهم وأموالهم. فيعدّونه مرضاً، في حين أنّه داعية للشفاء من السَّقم. متخذاً أسلوب التشبيه، لتجسيد موقف أصحابه من الحق وابتعادهم عنه وعن أهله.

حَدَابِيْر

ناقةٌ حِدْبِيْر حَدْباء، إذا بدت حراقيفها، وعظم ظهرها[١]. والحَدَابِيْر جمع **(حِدْبَار)**، وهي الناقة التي أنحنى ظهرها من الهُزال والدبّر[٢]. فهي ضامرة قد ذهب لحمها من الضعف[٣]. وقد وردت لفظة **(حَدَابِيْر)** مرة واحدة في نهج البلاغة[٤]، وذلك في دعاء الإمام في (الاستسقاء) الذي يقول فيه: ((**اللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ اعْتَكَرَتْ[٥] عَلَيْنَا حَدَابِيرُ السِّنِيَن، وَأَخْلَفَتْنَا مَخَايِلُ[٦] الْجُودِ؛ فَكُنْتَ**

(١) ينظر: العين (حدبر): ٣/ ٣٣٥، وتهذيب اللغة (حدبر): ٥/ ٢١٥.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (حدبر): ٥/ ٢١٥.

(٣) ينظر: القاموس المحيط (حدبر): ١/ ٤٧٧، وتاج العروس (حدبر): ١٠/ ٥٦٤.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٠٣.

(٥) اعتكر. أي كرَّ وانصرف، واعتكر عليه. إذا حمل عليه. ينظر: لسان العرب (عكر): ٤/ ٥٩٩.

(٦) المخايل جمع مخيَلة، وهي السحابة التي إذا رايتها حسبتها ماطرة. ينظر: لسان العرب (خيل): ١١/ ٢٢٨.

الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَئِسِ، وَالْبَلاَغَ لِلْمُلْتَمِسِ))(١). والنص – كما تقدم – في دعاء الاستسقاء الذي يدعو به لإنزال رحمة الله، واستدرار المطر، ولهذا يصف فيه حال الناس، وما جرى عليهم. فاستعمل لفظة (حَدَابِيْرُ) مضافة إلى كلمة (السِّنِين) و(الحَدَابِيْرُ) في اللغة جمع (حِدْبَار)، وهي – كما يذكر الخليل – الناقة إذا بدت حراقيفها، وعظم ظهرها(٢). وهي (حِدابِيْرٌ) أيضاً(٣). وهذا هو الأصل في دلالة هذه المفردة عند اللغويين(٤). ويبدو أن السيد الشريف الرضي أفاد من الدلالة المعجمية لهذه المفردة، فشرح معناها في كلامه (عليه السلام) قائلاً: ((وقَوْله (حَدَابِير السِّنِينَ) جمع حِدْبَار، وهي النَّاقَةَ التي أنْضَاها السَّيْر. فشَبَّهُ بها السَّنَةَ التي فَشَا بها الجَدْبُ))(٥). ثم احتج السيد الشريف لهذه الدلالة بقول ذي الرمة(٦):

حَدَابِيرُ ما تَنْفَكُّ إلاَّ مُنَاخَةً ... على الخَسْفِ أو نَرْمِي بها بلداً قَفْرا

فالشريف الرضي يعتمد على لغة العرب في دعم رأيه، الذي وافقه فيه أغلب شراح النهج ومنهم الشارح البحراني(٧)، وصاحب الديباج الوضي(٨). في حين لم يعلق ابن أبي الحديد على دلالة هذهِ المفردة مكتفياً بالتعليق على البيت الشعري الذي احتج به السيد الشريف الرضي، مصوباً ما نقله الرضي بقوله: ((والبيت

(١) نهج البلاغة: خ/ ١١٥: ٢١٥.

(٢) ينظر: العين (حدبر): ٣/ ٣٣٥.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (حدبر): ٥/ ٢١٥، ولسان العرب (حدبر): ١/ ٣٠١، وتاج العروس (حدبر): ١٠/ ٥٦٤.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ١١٥: ٢١٧، ٢١٨.

(٦) ديوانه: ٨٦. وفيه: ((حَرَاجِيْجُ ماتَنْفَكُّ...)) بدلًا من (حَدَابِير).

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥٤٨.

(٨) ينظر: الديباج الوضي: ٢/ ٩٦٠.

الـذي ذكـره الـرضّي رحمـه الله لـذي الرّمّـة، لا أعرفـه إلاّ (حَرَاجِيْجُ)...والحُرْجُـوْج النَّاقَـةُ الضّامِـرَةُ في طُـوْلٍ))[١]. والراجـح مـا ذهـب إليـه الشـارح ابـن أبي الحديـد في قـول (ذي الرمة).أما موقـف أصحاب الغريـب مـن الاسـتعمال العلـوي، فقـد خصـوا هـذا الاسـتعمال وتوظيـف المفـردة فيـه بكلام الإمـام[٢]. وأشـاروا إلى أنهـا دالـة في قـول الإمـام عـلى الناقـة التـي ((بَـدا عَظْـمُ ظَهْرِهـا، ونَشَـزت حراقِيفُهـا مـن الهُـزَال))[٣]. وذهـب ابـن الأثـير الجـزري أنّ الإمـام وظّـف هـذهِ الكلمـة و((شَـبّه بهـا السِّـنِينَ التـي يكثـر فيهـا الجَـدْبُ والقَحْـطُ))[٤]. وهـذا التفسـير شـبيه بـما ذكـره الشريـف الـرضي في شرحـه لكلام الإمـام الـذي اهتـدى الـشراح والمصنفـون في (غريـب الحديـث) لكلامـه إلى هـذه الدلالة،وإضافتهـا إلى كلمـة (السِّـنين)، أضفـى ذلـك عليهـا الدلالـة عـلى الشـدة والصعوبـة وقلـة النـماء والهـزال، وهـي صفـات تتميـز بهـا الناقـة الحِدْبـار التـي تكـون عجفـاء الظهـر، ضامـرة السـنام[٥]، لم يبـق فيهـا إلا العظـم مـن شـدة الهـزال. فيـؤدي ذلـك إلى قسـاوة بدنهـا وعـدم تحملهـا للراكـب الـذي سيصعب عليـه اعتـلاء ظهرهـا أو الراحـة عليه.ولهـذا ورد في بعـض الأحاديث:((**سَـأَحْمِلُكَ عـلى صَعْـبٍ حَدبَـاء حِدْبَـارٍ يَنِـجُّ ظَهْرُهـا**))[٦]. أراد: بالحدبـاء التـي التـي احـدودب ظهرهـا،أو التـي صـارت حدبـاء كالنعـش الـذي يحمـل فيـه الميـت[٧]، في حـين أراد بالحدبـار الناقـة التـي

(١) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٧/ ٢٠٧.

(٢) ينظـر: الفائـق في غريـب الحديـث: ١/ ٢٦٩، والنهايـة في غريـب الحديـث: ١/ ٣٥٠، وغريـب نهـج البلاغـة: ١٨٣.

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ١/ ٣٥٠.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: المحكم (حدبر): ٤/ ٧٢، والقاموس المحيط (حدبر): ١/ ٤٧٧.

(٦) الفائق في غريب الحديث: ١/ ٢٦٩، والنهاية في غريب الحديث: ١/ ٣٥٠.

(٧) ينظر: لسان العرب (نجج): ٢/ ٣٧٤.

بدا عظم ظهرها، ونشزت حتى نجت القرحة منها، وسال منها القيح[١]. وقد ضرب ذلك مثالاً للأمر الصعب[٢]. كأن مافي سنام الناقة الحدبار من هزال وقيح يمثل صعوبةً وعسراً لراكبها. وهذا هو وجه الشبه بين جدب السنين وقحطها، وبين ظهر الناقة (الحدبير) الذي بدا مثل الأكمة المجدبة أو النشز من الأرض[٣]، الذي أقفر وخلا من العشب والرواء. ويحصل ذلك عند انقطاع المطر عنه، وعدم وصوله اليه فيؤدي ذلك إلى الجدب والقحط[٤].

وكلمة (حَدِابِيْر) تدل على الضعف والهزال والصعوبة، والجفاف وقلة الشحم في ظهر الناقة، فكأن هذهِ السنين التي يصفها الإمام أشبهت الدابة الحدباء التي بدت كالنعش الذي يحمل فيه الأموات، الذين انقطع نصيبهم في الحياة الدنيا[٥]. ومن خلال هذا العرض لأقوال اللغويين والشرّاح في مفردة (حَدَابِير)، ومكانتها في كلام الإمام (عليه السلام)، أجد أن الخروج بدلالة محدّدة لهذه المفردة لا يمكن أن يتم، إلا من خلال فهم الألفاظ المجاورة لها في النص، وهو ما أغفله أغلب اللغويين، ومنهم دارسو الغريب الذين لم يعنوا بتركيب الإضافة في (حَدَابِيْر السِّنِيْن)، وإنما وجهوا عنايتهم إلى لفظة (حَدابير) فقط، إلا بعض المحدثين من دارسي غريب (نهج البلاغة) الذي أشار إلى أن الإمام قدم الوصف (حَدَابِير)، وأضافه الى(السِّنين)؛ للمبالغة في الجدب والقحط لتلك السنين المترادفة بعضها على البعض الآخر[٦].

---

(١) ينظر: أساس البلاغة (حدب): ١/ ١١٥.

(٢) ينظر: الفائق في غريب الحديث: ١/ ٢٦٩، والنهاية في غريب الحديث: ١/ ٣٥٠.

(٣) ينظر: القاموس المحيط (حدبر): ١/ ٤٧٧، وتاج العروس(حدبر): ١٠/ ٥٦٤.

(٤) ينظر: غريب نهج البلاغة: ١٨٤.

(٥) ينظر: أساس البلاغة (حدب): ١/ ١١٥.

(٦) ينظر: غريب نهج البلاغة: ١٨٤.

وهذهِ التفاتة جيدة، ومثرية لدلالة النص، وأزيد عليها أن لفظة (حَدَابِير) بهذا التركيب اكتسبت معنى جديداً نقلها من دلالتها الأولى إلى الدلالة على القحط والجدب وصعوبة الحياة، منفصلة بذلك عن معناها الأول الذي هو الناقة المهزولة التي نشز عظم ظهرها من التعب وكثرة الأسفار. فتكون هذه الكلمة قد خضعت لقوانين التطور اللغوي واتساع الدلالة شأنها في ذلك شأن الكثير من الالفاظ التي انتقلت من دلالتها الوضعية إلى دلالات أخرى. وبهذا تصبح مفردتا (حَدَابِيْر، وحِدْبَار) تدلان على جدب السنين وقحطها، وذلك على سبيل الحقيقة لا المجاز كما اختار لها بعض المعجميين أن تكون(١). ومما يعين على ذلك حروف الكلمة نفسها التي تفيد في أصلها الثلاثي الإيحاء بالعلو والارتفاع(٢). ولا بأس أن يكون هذا العلو والارتفاع دالاً على ارتفاع الجدب والقحط وبلوغهما أقصى الغاية في القحط، ومن ثم باضافة الحرف الرابع للكلمة هو (الرَّاء) الذي تصير به(حَدْبَرَ) كلمة رباعية(٣) توحي بالشدة والقسوة من خلال اجتماع أحرفها، وبهذه الصورة أصبحت الكلمة المتقدمة لفظة (غريبة) كما صنفها السيد الشريف الرضي عند شرحه كلام الإمام(٤). وزاد بعض الباحثين المحدثين على ذلك، بأن جعلها من (الحُوْشِي، أو الوَحْشِي) من الألفاظ(٥). غير أنّ ذلك لا يعني النفرة منها، أو أنها

(١) ينظر: تاج العروس (حدبر): ١٠/ ٥٦٤.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (حدب): ٢/ ٣٦.

(٣) ينظر: أساس البلاغة (حدب): ١/ ١١٥.

(٤) ينظر: نهج البلاغة: ٢١٧.

(٥) الحُوْشي، أو الوَحْشِي من الألفاظ هو ضرب من الغريب الذي ينقسم على قسمين، الأول مستقبح غليظ منفور منه، والثاني حَسَنٌ لطيف رقيق اللفظ متناسق المخارج، ولكنه غير مستعمل في زماننا، وقد استعمله الأولون، فهو وحشي عندنا، وغير وحشي عندهم. وقد اخذوا تسميته من النظر إلى (الوحوش) التي عد منها الغزال أيضاً ناظرين في ذلك إلى نفارها وعدم الفتها للبشر. وبهذا

غير مناسبة لذوق السامعين، وإنما يدل ذلك على فصاحتها ومناسبتها لزمن بدت فيه دلالتها عالية مع كونها تتضمن الإيحاء بالشِدّة والصعوبة والالم.

ذات عوار

العَوَار - بالفَتْح - العَيْب[١]. وقد تضم عينه، فيقال: عُوار[٢].

والعَوَار خَرْق أو شَقّ في الثّوب، وهو عيب فيه[٣]. والعَوَر الشين والقبيح والردئ من كل شيء[٤].

وقد وردت لفظة (عَوَار) في نهج البلاغة مرة واحدة[٥]، للدلالة على الناقةِ ذات العيب والرّداءة. وذلك في قول أمير المؤمنين الذي يعدد فيه الدواب المعيبة التي لا تؤخذ في الصدقات؛ إذ يقول لعامله عليها ((**وَلاَ تَأْخُذَنَّ عَوْداً، وَلاَ هَرِمَةً، وَلاَ مَكْسُورَةً، وَلاَ مَهْلُوسَةً، وَلاَ ذَاتَ عَوَار**))[٦].

أقول: وقد ورد في الحديث النبوي النهَّيُ عن أخذ الهرمة من الإبل وذاتِ العَوَار، وذلك في الحديث ((**ولا يُخرَجُ في الصَّدَقَةِ هَرمةٌ، ولا ذاتُ عَوَارٍ...**))[٧]. و(ذاتُ العَوَار) في الحديث هي ذاتُ العَيْب[٨]. والعيوب في الدواب كثيرة، لعل

تكون اللفظة الحوشية هي اللفظة المستعملة في زمان دون زمان آخر وكلام الإمام مُبَرّءٌ من الالفاظ المستهجنة. ينظر: تفصيل ذلك في: غريب نهج البلاغة: ١٨١: ١٨٢.

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٣١٨، ولسان العرب: ٤/ ٦١٦.

(٢) أنفسهما.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (عور): ٤/ ١٨٥، ولسان العرب (عور): ٤/ ٦١٦.

(٤) ينظر مقاييس اللغة (عور): ٤/ ٦١٥.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ٣٢٨.

(٦) نهج البلاغة: ك/ ٢٥: ٤٨٢، ٤٨٣.

(٧) صحيح البخاري: ٢ / ٥٢٨، والنهاية في غريب الحديث: ٣/ ٣١٨.

(٨) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٣١٨، ولسان العرب (عور): ٤/ ٦١٦.

منها (الخَرَقُ) في عقولها، فكأنّها كالثوب الأخرق الذي شُقَّ منه جانب، فصار عيباً فيه. ورُبَّما كان (العَوَار) في هذهِ الدّواب هو (عَوَر العَيْن)، وذهاب حِسَّ إحدى عَيْنيْها. وهو ما يُمَثِّل ضرباً من الرّداءة وقَبْحِ المَنْتَظر في الدّواب.

العَمِدة

العَمِدَة من الإبل هي التي ورم سنامها من عضّ القَتَب والحِلس[١]. وقيل: هي التي انشدخ سنامها من داخله لكثرة الدبر، وثقل الحمل عليها[٢]. وهذهِ العلة من علل الإبل تكون في السنام خاصة، وغالبا ماتصير في الإبل ذات السنام الضخم المتلئ بالشحم، فإذا حمل عليه ثقل كسر ومات فيه شحمه[٣]. ولفظة (**العَمِدة**) من ألفاظ نهج البلاغة، إذ استعملت مرة واحدة[٤]. بصيغة الجمع للدلالة على الإبل التي انشدخ سنامها وورم. وذلك على نحو التشبيه بها في حاجتها إلى المداراة والعناية. إذ يقول الإمام مشبهاً حال أصحابه في الضعف والوهن بالبكار العَمِدة من الإبل: ((**كَمْ أُدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى الْبِكَارُ الْعَمِدَةُ**...))[٥]. أراد: أنهم كالإبل المشقوقة السنام من كثرة ما فيها من شحم، فلما القي عليهم الأمر بالدعوة إلى القتال أثقلهم ذلك واخذوا بالابتعاد والنأي من أن يصيبهم شيءٍ من هذهِ الأحمال[٦]. فوصف قعودهم وتقاعسهم عن الجهاد بلفظ (العَمِدة)

---

(١) ينظر: المحكم (عمد): ٢/ ٣٧.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: العين (عمد): ٢/ ٥٩، والمخصص: م/ ٢: س/ ٧: ١٦٧، ١٦٨.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ٣٢٠.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ٦٩: ١٠٧.

(٦) ينظر: الديباج الوضي: ٢/ ٥٢٦.

من الإبل التي لا تطيق صبراً وتحملاً[١]، لما بها من ورم السنام وانشداخه. فكأن هؤلاء ماتت فيهم الغيرة والطاعة لإمامهم الذي يأمرهم بقتال الأعداء والوقوف بوجههم. في حين أن الواجب عليهم والمفروض بهم أن يكونوا رجالاً أشداء ممتلئِ القوة والعزم. وهذا هو الأصل في لفظة (عمد) في اللغة[٢].ولهذا شبّه مداراته لهم وحسن تعامله معهم بمداراة أصحاب الإبل للإبل المشقوقة السنام.

العَشْواء

العَشْواء النَّاقَةُ التي لا تبْصِر ما أمامها، فَتَخْبط كل شيءٍ بيدها، أو تقع في البِئْر؛ لأنها لا تتعاهد مَوْضِعَ أخفافها[٣]. وقد وردت مفردة (العَشْوَاء) مرة واحدة في نهج البلاغة [٤]، وصفاً للناقة العَشْوَاء التي لا تبْصر ما أمامها. وذلك في وصيّة الإمام لابنه الإمام الحسن (ﷺ) في مقام توجيه الإمام (ﷺ) له ولبقيّة النّاس بضرورة صفاء القلب وخشوعه، وإتمام الرأي في النّظر والفِكر معاً في الاستعانة بالله تبارك وتعالى. يقول (ﷺ): ((**وَابْدَأْ قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذلِكَ بِالاسْتِعَانَةِ بِإِلهِكَ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ... فَإِذا أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ، وَتَمَّ رَأْيُكَ وَاجْتَمَعَ، وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذلِكَ هَمّاً وَاحِداً، فَأَنْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتُ لَكَ، وَأَنْ أَنْتَ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ، وَفَرَاغِ نَظَرِكَ وَفِكْرِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخْبِطُ الْعَشْوَاء وَتَتَوَرَّطُ الظَّلْمَاءَ، وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ وَلاَ مَنْ خَلَّطَ...**))[٥]. والنّص في مقام النُّصْح والإرشاد، والتوجيه بالأخذ بأحَبِّ ما يكون إلى أمير المؤمنين من وصيّته، وهي ((**تَقْوَى اللهِ... وَالأَخْذُ**

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٤٦.

(٢) ينظر: العين (عمد): ٢/ ٥٧.

(٣) ينظر: العين (عشو): ٢/ ١٨٨، وتهذيب اللغة (عشو): ٣/ ٣٦، ولسان العرب (عشو): ١٥/ ٥٧.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٠٤.

(٥) نهج البلاغة: ك/ ٣١: ٥٠٠، ٥٠١.

بِـمَا مَـضَى عَلَيْـهِ الأولُـونَ مِـنْ آبَائِـكَ، وَالصَّالِحُـونَ مِـنْ أَهْـلِ بَيْتِـكَ...))[١]، فعـدم التقوى سيؤدي بالإنسان إلى التّخَبّط كـ(تخَبْطَ العَشْوَاء). وذلك على سبيل التشبيه، مستعملاً مفردتي (تَخبْط) و (العَشْوَاء)، وهما من المفردات الدالة على الدواب وأفعالها، وبخاصة (الإبل) التي تكون الضعيفة البَصر متخبطة مضطربة، تضرب بأخفافها، وتخبط بها ما صادفها من أشياء. فاستعمل هذا الضّرب من التعبير لتشبيه المبتعد عن تقوى الله بالمتخبّط تخبط الناقة العشواء لأنه مُتَخَبِّط في دينه لا محالة، كما تَخْبِطُ العَشْواء من النّوق، التي لا تبصر ما أمامها.

أقول: وتعبير الإمام: (تَخْبِطُ العَشْواءَ) يحتمل عدة دلالات؛ منها أنْ يكون في الكلام حذف، والأصل فيه: (تَخْبِطُ خَبْطَ العَشْوَاءِ)،فحذفت مفردة (خَبْط)وهي في الأصل مفعول به للفعل (تَخْبط)، وفاعله ضمير تقديره (أنت)، وعلى هذا يكون تقدير الكلام (تَخْبِطُ خبطاً يشبه خَبْطَ العَشْوَاءِ). فَأمّا إذا قَدّرنا أنّ المُشَبّه به هو (الخَبْط)؛ بوصفه محور التعبير وغايته، فتكون مفردة (خَبْطَ) منصوبة بنزع الخَافِضِ، وهو حرف التشبيه (الكاف). على أساس أنّ المعنى هو: (تَخْبِطُ كَخَبْطِ العَشْوَاء)، فلّما أُريد تقوية التشبيه بين طرفيه، حُذِفَت منه الأداة، وكلمة (خَبْط)، ليتحُوّل الكلام من التشبيه إلى الاستعارة التي زادت من بلاغة التعبير، وجودة صياغته، وأضفت عليه تصويراً فنياً منحه ضرباً من الغرابة في التعبير، لِيَلْتَفت اليه السَّامع ويعني به، ويقف عند أهمية النصائح التي ذكرها (عليه السلام) والتي سيؤول حال المفّرط بها إلى التخبّط والاضطراب.

أمّا الدلالة الأخرى المحتملة من هذا التعبير، فهي موجهة نحو مفردة (العَشْوَاءَ)، التي يجوز عدّها – في هذا المقام – صِفةً حذف موصوفها، وتقدير

---

(١) نفسه.

المعنى هو: (تَخْبِطُ كالنّاقَةِ العَشْوَاءِ)، ولعل الرّغبة إلى الاختصار والجنوح نحو إبراز المشبّه والمشّبه به بهيئة واحدة من حيث قوّة التشبيه بينهما هو الذي دعا إلى حذف الموصوف وأداة التشبيه؛ ليبقى التعبير بحسب ما جاء في نص الإمام. وهذا الوجه من التأويل للكلمة المتقدمة يمكن أنْ يوصل إلى احتمالٍ آخر غير بعيد عن القبول، وهو أكثر اختصاراً وقبولاً من حيث مستويات الحذف والتقدير في التعبير السالف الذّكر، وذلك بأن يكون قوله (عليه السلام) مقتصراً على حذف أداة التشبيه من لفظة (العَشْوَاء) والتقدير قبل ذلك: (تَخْبِطُ كالعَشْوَاءِ)، أي: تَخْبِطُ كالعَشْوَاءِ من النُّوق التي لا تتعاهد مَوْضع أخفاقها[١]. وأصل (العَشْوَاء) – فيما يبدو – مَأخوذ من (العَشْو)، وهو الذي لا يبصِر بالليل، ويُبْصِر بالنهّار. فيكون قد ساء بَصَرُهُ من غير عَمَى[٢]. فكأن الإمام أراد بذكر هذهِ المفردة الإشارة إلى دلالتين، الأولى هي التّخَبّط والاضطراب، والثانية العَمَى وسوء التّبَصُّر والبَصِيْرة، وعدم الفهم. كأن الذي (يَخْبِطُ العَشْواء) كمَنْ يمشي في الظلام فلا يدري ما أمامه. ولهذا قال الإمام بعد كلمته المتقدمة: ((...**وَتَتَوَرَّطُ الظَّلْمَاءَ، وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ وَلاَ مَنْ خَلَّطَ**...))[٣].

مكسورة

الكَسْر في اللغة الهَشْم والهَضْم[٤]. والكَسْرة القطعة المكسورة من الشيءِ[٥].

(١) ينظر: العين (عشو):٢/ ١٨٨، ولسان العرب (عشو):١٥/ ٥٧.

(٢) ينظر: جمهرة اللغة (عشو): ٢/ ٨٧٢، ومقاييس اللغة (عشو): ٤/ ٣٢٢.

(٣) نهج البلاغة: ك/ ٣١: ٥٠١.

(٤) ينظر: مقاييس اللغة (كسر): ٥/ ١٨٠.

(٥) ينظر: لسان العرب (كسر): ٥/ ١٤٠، وتاج العروس (كسر): ١٤/ ٣٦.

وناقة كَسِيْر. أي مَكْسُورة الرِّجل [١]. وقد وردت لفظة (مكسورة) مرة واحدة في نهج البلاغة[٢]؛ للدلالة على الناقَة المكسورة الرِّجل، أو الظَّهْر من كَثْرَة الحَمْلِ عليها. يقول أمير المؤمنين في إرشاد عامله على الصَّدَقات، ونَهْيِه عن أخذ الصَّدَقات من الدّواب المَعِيْبات: ((... **وَلاَ تَأْخُذَنَّ عَوْداً، وَلاَ هَرِمَةً، وَلاَ مَكْسُورَةً، وَلاَ مَهْلُوسَةً**..))[٣]. وأراد (بالمَكْسُورة) – كما تقدم – الناقة التي كُسرت إحدى أرجلها، أو ظَهْرها[٤]. ولا يكون ذلك فيها إلآ اذا ضُعَفَ بَدُنُها، أو كبر سِنُّها. ويحتمل أنْ يُراد بـ (المَكْسُورة) بقية الدَّواب، من قبيل الشَّاء والنَّعَم التي توصف بكسر بعض قوائمها الأربع. وأنما عَبّر الإمام (عليه السلام) بلفظة (مكسورة) عن هذهِ الدّواب في إشارة إلى ما تصيبها من عِلّةٍ تقعدها عن القيام بالتنّقل وحمل أحمال.

اللاّغِب

اللَّغِب شِدَّة الإعياءِ، والضعف والتّعب[٥]. ولَغبت الدَّابّة، إذا أَعْيَتْ وتَعِبَتْ[٦]. واستعمل الإمام لفظة (اللاغِب) بصيغة اسم الفاعل مرة واحدة [٧]، للدلالة على التَّعِبْ من الإبل. وذلك في قوله (عليه السلام) الذي يُرْشِد فيه عامله على الصدقات أمْ يُريح الدّواب في أثناء سَيْره، وهو يَحْدُرها إلى الإمام: ((...**وَلاَ يَجْهَدَنَّهَا رُكُوباً، وَلْيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذلِكَ وَبَيْنَهَا، وَلْيُرَفِّهْ عَلَى اللاَّغِبِ**...))[٨]. أمره بأنْ لا

(١) نفسه.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٠٠.

(٣) نهج البلاغة: ك/ ٢٥: ٤٨٣.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٥/ ١١٨

(٥) ينظر: العين (لغب): ٤/ ٤٢١، ومقاييس اللغة (لغب): ٥/ ٢٥٦.

(٦) ينظر: لسان العرب (لغب): ١/ ٧٤٣.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٨٣.

(٨) نهج البلاغة: ك/ ٢٥: ٤٨٣.

يجهد الدواب في الركوب، ولا يختصها بالرّكوب في سيرِه حتّى لا يصِبها التَّعَب. وإنما يجعل الركوب بينها مناوبة بالقسط والعدل(١). وأمر أنْ يُرَفَّه عن (اللّاغِب) من الدواب. والتّرفيه والرَّفَاهَة في اللغة رَغَد الخِصب، ولِيْن العَيْشِ(٢). أراد (عليه السلام) أنْ يُرَفِّه عن الإبل، والنياق بإراحتها وإيْرَادِها الماء كُلما احتاجت إليه. حتى لا يُصِيْبَها الإعْيَاء وشِدَّة التَّعْب من السَّيْر. وثقل أحمالها. ويلحظ في النّص علاقة بين مفردة (لِيُرَفِّه) وبين لفظة (اللاَّغِب). فإنّ (يُرَفِّه) تدل على أَقْصَر الورودِ وأَسْرَعِه بالنسبة للإبل. وذلك بأنْ تشرب الإبل الماء كلما أرادت(٣). وهذا هو منتهى الرَّفه اليها؛ لأنّ ذلك يكون مصحوباً بالإراحة، والتوقف في مَواضع الماء. وبهذا تكون الدواب اللاّغِبة مُهَيّأةً لأنْ تُراح، وتتخلص من الإعياء والضَّعْف الذي يصيبها من المَسِير. ومراعاة لهذا المعنى، أشار الإمام بالتَّرفيه على هذا النوع من الدواب المُتْعَبَةِ والمُصَابَة بعِلَل في أخفافها وأَرْجُلِها، فَأمره (عليه السلام) أنْ ((**يُوْرِدْها مَا تَمُرُّ به من الغُدُر**))(٤). والغُدُر جمع (غِدْير)، وهي مواضع الماء في البَيْداء. فكأنما هذهِ الغُدُر مواضع استراحة وَوِرْدٍ لهذهِ القوافل السَّيَّارة. وقد التفت بعض شُرَّاح النهج إلى مفردة (اللاّغِب)، من جهة دلالتها على الدّواب، فذكر أن المراد بها الجَمَل، لهذا ذَكَّرَ صِفَتَهُ(٥). وتحتمل المفردة المتقدمة الدلالة على النّاقَةِ أيضاً، وإنما حذفت التاء من الوَصْف؛ لأنّه في معنى النَّسب، كما يقال: ناقة ضَامِر، أي: ذاتُ ضُمَور(٦).

---

(١) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٢٢٢٠.

(٢) ينظر: المحكم (رفه): ٤/ ٣٠٥.

(٣) نفسه.

(٤) نهج البلاغة: ك/ ٢٥: ٤٨٣

(٥) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٢٢٢٠.

(٦) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٢٢٢٠.

وتعليقاً على هذا الوجه أقول: إنّ استعماله (عليه السلام) لمفردة (لاَغِب) بوزن الفاعل يراد به لزوم التّعب والأعياء لهذهِ الدّواب، فإنّها تلزم الدواب ولاتنفك يزول عنها إلا بالراحة والترّفيه، ولهذا أورد الإمام (عليه السلام) هذهِ الصفة بوزن اسم الفاعل -كما يبدو- للدلالة على التعب في هذهِ الدّواب الملازم لها ما دام حاديها مُجْهِداً لها، غير مُرَفِّهٍ. وهذا المعنى تقدمه صيغة (فاعل) دون بقية المشتقات كما يذكر الدارسون[١]. وأمّا كون هذا الوصف مجرداً من (التاء) في دلالته على جنس الدّواب التي يتحدث عنها الإمام (عليه السلام)، فمجيء الوصف (لاغب) خالٍ منها؛ فذلك لأنّه أُريد - فيما يبدو - معنى الصِّفَة في اسم الفاعل. وهي صفة اللّغُوب وشِدّةُ التّعب والإعياء. وهذه تُصِيب الدّواب جميعاً سواء أكانت ناقة أم جملاً، ولو قصد (عليه السلام) دلالة الفعْل أو الحَدَث فيها. لقال (لاِغَبةُ)، وهي الناقة التي سَيُصِيبُها اللَّغَب والاعياء. كما يقال ((امرأة حائضَةٌ غداً، ومُرْضِعَةٌ غداً، فلا يَنْزَعونَ الهاء؛ لأنّه شيء لم يَثْبُت، وإنما الإخبار عنه على لفظ الفعل، وهو قولنا: تَحِيْضُ غداً، وَتُرْضِع غداً))[٢]. فضلاً عن ذلك، فدلالة النّسب موجودة في (لاغب)التي استعملها الإمام. وقد أشار النحويون إلى هذهِ الدلالة في اسم الفاعل إذا كان جارياً على الشيءِ وصاحبه. فإنهم يقولون لذي الدِّرع، دَارِعٌ، ولذي السَّيْف سائِفٌ ولذي التُّرس تَارِس[٣]. ويقولون: ناقَةٌ ضَامِرَ لوصف المؤنث، وهو في كلامهم صِفَةٌ لـ (شيءٍ)، و (الشيءُ) مذكّر فكأنهم قالوا: هذا شيءٌ ضَامِرٌ، ثم وصفوا به المؤنث، كما أنهم يقولون: (دراع). كأنّه قال: دِرْعِي[٤]، على جهة النَّسب. والمعنى ذو دِرْع أيضاً[٥].

(١) ينظر: معاني الأبنية: ٤٧، ٤٨.

(٢) ينظر: كتاب سيبويه: ٣/ ٣٨٤، والمخصص لابن سيده: ١٦/ ١٢١، ومعاني الأبنية: ٥٥.

(٣) ينظر: المقتضب: ١/ ١٢٠، ومعاني الأبنية: ٥٢.

(٤) ينظر: كتاب سيبويه: ٣/ ٣٨٣، ٣٨٤.

(٥) ينظر: المقتضب: ١/ ١٢٠.

النَّقب

النَّقْب نَقْب الحائط والدخول في عُمْقه[١]. ونَقِبَ خُف البَعِيرْ اذا تَخَرّق، ورَقَّتْ أَخْفَافُهُ[٢]. والنَّقْبَةُ قُرْحَةٌ تخرج بجنب الدَّابة تهجم على الجَوْف ويكون لها رأس من الدَّاخل[٣]. وهي أيضاً أولُ الجَرَب في الدَّابَّة من الإِبِل. ورُبّما كانت في مِشْفَرِ البَعِير أو ذَنَبِهِ[٤]. ومفردة (النَّقِب) من الفاظ نهج البلاغة التي استعملها الإمام (عليه السلام) مرة واحدة[٥]. للدلالة على ما يُصيب البَعِير من تَخَرّقٍ في خُفِّهِ. وذلك في سياق وَصِيَّتِه لبعض عمّاله على الصّدقات التي يأخذها من النّاس، إذ يُوْصِيْهِ بِأَنْ يَرْفق ببعض ما أعتَلَّ منها. وذلك في قوله (عليه السلام): ((... **فَإِذَا أَخذَهَا أَمِينُكَ فَأَوعِزْ**[٦] **إِلَيْهِ: أَلاَّ يَحُولَ بَيْنَ نَاقَة وَبَيْنَ فَصِيلِهَا**[٧]... **وَلْيَسْتَأْنِ**[٨] **بِالنَّقِبِ وَالظَّالِعِ**...))[٩]. أراد أنّ عامل الصدقات لا يُوكَّل على حفظ الصَّدقات إلاّ مَنْ كان أَمِيْناً يوثق بدينه، ولهذا وصفه بلفظة (أَمِيْنُكَ)، ثم أمره أنْ يَطْلِب اليه أنْ لا يفرّق بين ناقة وولدها، وأنْ يَتَأنَّ ولاُ يعْجِلَ منها ما كان نَقِبَ الخُفِّ رَقِيْقُه، بحيث تكاد الأرض أنْ تَجْرَحه إذا مَشى عليها[١٠]. ولهذا أمر أنْ يَسْتَأنِ بهذا الضَّرْب من الدواب المَعْلُولة في مِشيتها

(١) ينظر: تهذيب اللغة (نقب): ٩/ ١٥٩.

(٢) ينظر: العين (نقب): ٥/ ١٧٩، ولسان العرب (نقب): ١/ ٧٦٥.

(٣) ينظر: العين (نقب): ٩/ ١٥٩، وتهذيب اللغة (نقب): ٩/ ١٦٠.

(٤) ينظر: لسان العرب (نقب): ١/ ٧٦٦.

(٥) المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ٤٥٥.

(٦) الوَعْزُ التَّقْدُمَة في الأَمْرِ. ينظر: لسان العرب (وعز): ٥/ ٤٣٠.

(٧) الفَصِيْلُ ولد النَّاقَةِ إذا فُصِلَ عن أُمّهِ. ينظر: لسان العرب (فصل): ١١/ ٥٢٢.

(٨) يَسْتأنِ من الأَناة، وهي الحِلْمُ والوقار في اللغة، والبُطْءُ. ينظر: لسان العرب (أني): ١٤/ ٤٨.

(٩) نهج البلاغة: ك/ ٢٥: ٤٨٣.

(١٠) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٥/ ١١٩.

التي لا تستطيع السَّيْر، لما فيها من نَقَب، أو عَرَجٍ في أَرْجُلها[١]. والإمام يجمع في هذا السَّياق بين الدواب التي فيها عاهة في أَرْجُلِها وأيديها، فيمنعها ذلك من المشي المعتاد لديها. إذ يحتمل أنْ يُراد بـ(النَّقِب) في هذا السّياق البَعِيْر الأَجْرَب الذي أَصَّابتَهُ عِلّة الجرب في بدنِه، فَسَاءتْ مَشافِره، وبَقِيّة جِسْمه، وأنْهَكَه المَرَض. وذلك مأخوذ من (النَّقَب) وهو الجَرَب عامة[٢]. فهو مرض ينقب جِلْدَ البَعِيرْ ويَخرقه فيصاب جَنْبَه أو وِرْكَهُ، أو مَشَافِرَه حتى تشريه كُلّه[٣]. و(النُّقْبَة) عِلّةٌ في سرَّةِ الدَّابَّةِ أيضاً يَسِيْلُ منها ماءٌ أَصْفَر يَنْقُبها البِيْطَارُ بِمِنْقَبِهِ[٤] حتى تَبرْأ. وبهذهِ الدلالات، يَصير المعنى: أنّ التأني يكون بِمَنْ أَصابه الجَرَبَ من الإبل فأنهكه وبالظالع الذي يَغْمِز في مِشْيَتِه؛ لأنهما لا يستطيعان السَّيْرَ عند مماشاتهما بقية الدواب. ولم أجد من الشُرَّاح من أشار إلى ما تقدم من دلالة لمفردة (النَّقِب) في كلام الإمام (عليه السلام) وتفسيرها بالأَجْرَب من الإبل، إلاّ ابن الأثير الجزري عندما نقل كلامه (عليه السلام): ((**وَلْيَسْتَأنِ بالنَّقِبِ والظَّالِعِ**))؛ إذ نقله برواية نصّها: ((**وَلْيَسْتَأنِ بِذَاتِ النَّقِبِ والظَّالِعِ**))[٥]. وعلق عليها بقوله: ((أي: بذاتِ الجَرَب والعَرْجاء)) [٦].

مَهْلوسة

الهُلاَسُ شِدة السُّلاَل من الهُزَال[٧]. ومنه قولهم: امرأة مهلوسة. أي مَهْزُوْلَة[٨].

(١) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٢٢٢٠.

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٣/ ١٥٨.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: لسان العرب (نقب): ١/ ٧٦٦.

(٥) نفسه.

(٦) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٣/ ١٥٨.

(٧) ينظر: العين (هلس): ٤/ ٧، وتهذيب اللغة (هلس): ٦/ ٧٧.

(٨) ينظر: العين (هلس): ٤/ ٧.

والهُلاَس السِّل[١]. ويؤدي الهُلاَس إلى إخفاء اللحم من الجسم، ومن ثَمّ الهُزال [٢]. فتضعف قوّة الجسم حينئذٍ. ومفردة (مَهْلُوْسَة) من الفاظ نهج البلاغة، التي استعملت فيه مرة واحدة [٣]، وصفاً للنّاقة التي أنهكها الهُزَال. حتى أنّ الإمام لم يُدْخِلْهَا في الصدَقاتَّ من الإبل، وذلك في قوله (عليه السلام): ((**وَلاَ تَأْخُذَنَّ عَوْداً، وَلاَ هَرِمَةً، وَلاَ مَكْسُورَةً، وَلاَ مَهْلُوسَةً...**)).ولمّا كان أمير المؤمنين يتحدث في هذا السياق من المَعِيْبَات من الدَّواب، فلهذا أورد هذا اللفظ الدال على العِلّة في الإبل دون ذكر اسم الدابّة؛ لأنّه أراد صفة الدابة عند اعتلالها. فـ(المهلوسة) مفردة توحي بِشدة الضعُّف التي تبدو عليها هذهِ النَّاقَة؛ لأن (الهُلاَس) داءٌ يُضْعِف النِّياق، ويُهْزِل لَحْمَلها، وهو في البَدَنِ أشدُّ مايكون. وقد خَصّه اللغويون بِمرَضِ السُّلِ [٤].

٢ـ الفاظ أجزاء جسم الإبل

السَنَام

السَّنام أعلى ظَهر البَعير والنّاقة[٥]. يقال: جَمَل سَنِم. أي عظيم السَّنام[٦]. وتَسَنَّمْت الشيء إذا عَلَوْتُهُ[٧].

وقد استعمل الإمام (عليه السلام) مفردة (سَنَام) أربع مرات في نهج البلاغة. في حين

(١) ينظر: جمهرة اللغة (هلس): ٢/ ٨٨١.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (هلس): ٦/ ٦٢.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٦٩.

(٤) ينظر: جمهرة اللغة (هلس): ٢/ ٨٨١، ولسان العرب (هلس): ٦/ ٢٤٩.

(٥) ينظر: لسان العرب (سنم): ١٢/ ٣٠٦.

(٦) ينظر: العين (سنم): ٧/ ٢٧٣، وتهذيب اللغة (سنم): ١٣/ ١٣.

(٧) ينظر: تهذيب اللغة (سنم): ١٣/ ١٣.

جاءت لفظة (تَسَنَّمْتم) مرة واحدة[١]، للدلالة على العَلوّ والارتقاء. ويمكن تفصيل ذلك بحسب ما يأتي:

أولاً: الدلالة على علو الشَّأن ورفعة المنزلة.

وقد وردت هذهِ الدلالة في استعمالات متعددة، وظّف فيها الإمام مفردة (سَنَام) لهذا المعنى، ومن ذلك قوله مخاطباً أصحابه في بعض أيام (صِفّين)، وهو يحثهم على القتال: ((**وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتكُمْ، وَانْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ، تَحُوزُكُمُ الْجُفَاةُ الطَّغَامُ، وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ، وَيَآفِيخُ الشَّرَفِ، وَالأَنْفُ الْمُقَدَّمُ، وَالسَّنَامُ الأَعْظَمُ...**))[٢]. والنص في مقام التعجب، ومن ثَمّ مدح أصحابه عندما حازهم جند الشام، ولهذا ذكر أصحابه بأنّهم أهل السَّبْق والتقْدُمة، والمقام والشرف والرَّفعة وعُلُوَّ المكانة. جاعلاً هذهِ الخصال جميعاً بإزاء خصلتين من أقبح الخصال التي يتسم بها الإنسان، وهما (الجُفاة، والطّغام)، للدلالة على أراذل الناس وأوغادهم. والملاحظ أنّه استعمل مفردات (لَهامِيم)، و(يَآفيخ)، و(الأنْف)، و(السَّنَام)، للدلالة على مَدْحِهم بذكر أشرف المواضع من الإنسان والدّواب على جهة التشبيه، آخذاً من لفظة (السَّنَام) دلالتها على العُلُو والعِظَم، بوصفه أكبر أجزاء البدن في البَعيْر وأعلاها، لهذا استعاره الإمام لتحقيق معنى عُلُوَّ رُتبة هؤلاء القوم من أصحابه وسبقهم شرفاً ورفعة ومنزلة على أعراب أهل الشّام أصحاب الغِلظة والجفاء، فهم رؤساء الناس وكبارهم[٣].

أقول: ويتكرر هذا الضَّرب من التعبير في نهج البلاغة أينما أراد الإمام

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ٢٢٦.

(٢) نهج البلاغة: خ، ١٠٧: ١٩٤، ١٩٥.

(٣) ينظر: الديباج الوضي: ٢/ ٨٥٢.

بيان شجاعة أصحابه، أوعند حثّهم على القتال، فكأنّ مدحهم بهذِهِ الصّفة يحرّك فيهم الهِمّة والرغبة في المناجزة والسَّعي إلى النَّصر، فإن قصد الدلالة على سَبقهم وتقدّمهم وجُودهم، وصَفَهَم بكونهم (لَهَامِيْم العرب والسَّنام الأعْظم). مشيراً بتعبير (السَّنام الأعْظم) إلى قِدمِ منزلتهم ومكان تَدَبّرهم وحكمتهم بين الناس جميعاً. وذلك أنّ (سنام البعير) كلما عَظُم وكَبُر، كان ذلك دلالة على قِدم البعير وكبر عمره. وفي هذا المعنى إشارة إلى معنى الحكمة وحُسْن التّدبير، فضلاً عن علو القَدْر. وذلك مستوحىً من خيار ما في البعير من جزء، وهو السّنام[1]. ومما يُدلل على ذلك قوله (عليه السلام) مُستنهضاً صحبه على القتال، مُحذراً إيّاهم من الفرار في المعركة: ((... **وَأيْمُ اللهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ، لاَ تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الاْخِرَةِ، أَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ، وَالسَّنَامُ الأعْظَمُ**...))[2]. كأن تحذيرهم من الفرار يمثل عاراً لهم في الدنيا والآخرة، علاوة على عدم إمكان فرارهم من عقاب الله تبارك وتعالى. وتبدو العلاقة بين (الفِرار) في المعركة، والتذكير بالمكانة والرفعة التي عليها القوم واضحة؛ فكلما كان المرء كبيراً في قومه، عالي المقام عندهم، كلّما كَبُرَ عليه النكوص والإفْلات في الوقائع. ولهذا ذَكّرهم الإمام بمنزلتهم هذِهِ مع شِدَّة الضَرب وَهْول المعركة مَدْحاً لهم، وحَثّاً على بَذْل أقصى ما عندهم من قوّة في سبيل النَّصر. ولّما أراد الإمام الدلالة على سوء عاقبة الفرار في الدنيا، ذكر سوء عاقبته في الآخرة، وهو عدم الإفلات من (سيف الآخرة). إشارة إلى عقاب الله تبارك وتعالى وعدله.

وقد وصف الإمام (أهل الكوفة)، لمّا أراد استنفارهم إلى جهاد العَدوَّ

---

(١) ينظر: لسان العرب (سنم): ١٢/ ٣٠٢.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ١٢٤: ٢٨٨

بالبصرة في (حرب الجمل) بأنّهم (سَنَام العرب) وذلك في قوله: ((**مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ، جَبْهَةِ الأَنْصَارِ وَسَنَامِ الْعَرَبِ...**))[١].فاستعار لهم لفظ (الجبهة)، و(السَّنام).والجبهة من الإنسان هي الجزء المستوي الواقع ما بين الحاجبين إلى النّاصية[٢]. وهي محل الشرَّف والكرامة من الإنسان. ولهذا كانت الصلاة مشتملة على وضع الإنسان جبهته على الأرض ما يصح السجود عليه خضوعاً وتذللاً لله جل جلاله. واستعماله (عليه السلام) لهذه المفردة في هذا السيّاق يوحي بالدلالة على أنّ المخاطبين هم وجُوه القَومْ وساداتهم الذين يستحقون هذا الوصف. وقد ذكر بعض الشراح أنّهم يكنون بالجبهة عن أحسن الشيء وخياره. ولهذا أوردها أمير المؤمنين في مقام المدح والثناء على الأنصار من أهل الكوفة، فإنّهم أعظم الناصرين له، وأكثرهم جِهَاداً في حقه[٣]، فضلًا عن كونهم أعوانه[٤].

وقد اتبع الإمام قوله المتقدم بتعبير (سَنَام العرب)، إشارة إلى رفعتهم وعُلوهم[٥]. فهم قمة العَرب.

ثانياً: الدلالة على الإسلام.

وتبدو هذه الدلالة متفرّدة عن الإمام (عليه السلام)، فإنّه جعل (الإسلام) بمنزلة (السَّنام)، وذلك في قوله الذي يتحدث فيه عن فضل الإسلام عند الله تبارك اسمه. يقول الإمام: ((... **جَعَلَ اللهُ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ، وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ، وَسَنَامَ**

---

(١) نفسه: ك / ١: ٤٥٩.

(٢) ينظر: العين (جبه): ٣/ ٣٩٥.

(٣) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٢١٠٢.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٤/ ٨.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٤/ ٨، والديباج الوضي: ٥ / ٢١٠٢.

طَاعَتِـهِ))[١]. والنّـص يشـير إلى قيمـة (الإسـلام) عنـد الله الـذي جعـل فيـه غايـة رضوانـه، وأعـلى أُسُسـهِ. فهـم يشـير إلى أنّ الديـن الإسـلامي الحنيـف يتضمـن (غايـة رضـوان الله)، و(الأسـاس الـذي يَسْـتقيم بـه المَرْء وعمله). وفـوق ذلـك كلـه، فيـه قِمـة الطاعـة للحقّ جـل جلالـه. وقـد استعار الإمـام مفـردة (سَـنام) مـن دلالتهـا عـلى الجزء المعـروف في الإبـل للدلالـة عـلى القمـة التـي تتمثـل بهـا طاعـة الله. كأنّ الـذي يريـد أنْ يبلـغ القمـة والعلـو في رضـا الله تبـارك وتعـالى وينـال الثبـات في دعائمـه، فينبغـي عليـه أن يكـون مُسـلماً قـولاً وعمـلاً. فالإسـلام، في كلام الإمـام، هـو الأصـل الـذي يحتاجـه المـرءُ، ليبلـغ بـه الـشَّرف والرفعـة عنـد الله.

ثالثاً: الدلالة على اعتلاء العلياء.

واستعمل الإمـام لهـذه الدلالـة مفـردة (تَسَـنَّمتُم) التـي سـاقها في مقـام بيـان فَضْـل أهـل البيـت (عليهم السلام) عـلى النّـاس، واهتدائهـم بهـم إلى الحـقّ. يقـول أمـير المؤمنـين: ((**بِنَا اهْتَدَيْتُـمْ في الظَّلْمَاءِ، وَتَسَـنَّمْتُمُ العلْيَـاءَ، وبِنَـا انْفَجَرْتُـم عَـنِ السِّـرَارِ**...))[٢]. وقـد جعـل (الاهتـداء) مقدمـة لـ(تَسَـنُّمم). فالمـرء يهتـدي إلى الـشيء أولاً، ومـن ثَـمّ يرتقيـه سـواء أكان ذلـك الـشيء مـن المركوبـات أم مـن غيرهـا. وقـد أشـار بـ(الظلـماء) هنـا إلى ظلـمات الجاهليـة التـي كان النـاس يعمهـون فيهـا تيهـاً وضـلالاً، حتّـى اهتـدوا بالنبـي الأكـرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ورسـالته إلى طريقهـم التـي أنارهـا لهـم بنـور الإسـلام.

أمّـا مفـردة (تسَـنّمْتُم)، فقـد اسـتعارها الإمـام في هـذا السـياق لارتقـاء العـرب المنزلـة السَّـامية الرفيعـة بفضـل النبـي الأكـرم (صلى الله عليه وآله). وتسـتعمل هـذه المفـردة في ارتقـاء ظهـر الجَمـل، فيقـال لمـن اعتـلى بعـيراً: إنّـه تسـنّمَه. ثـم اتسـعت دلالـة هـذه

(١) نهج البلاغة: خ / ١٩٨: ٣٩٦.

(٢) نفسه: خ / ٤: ٣٤.

الكلمـة- كـما يبـدو- فأصبـح كل مـا ركبـه المـرء مـن شيء، فقـد تسـنمه[١].

وأمـا مفـردة (العَلْيـاء)، فهـي في اللغـة اسـم للمـكان المرتفـع كالنَّجـد وغـيره[٢]. والملاحـظ أنّ أمـير المؤمنـين أراد تذكـير هـؤلاء القـوم أنّ مـا وَصَلـوا إليـه مـن منزلـة وعَلّـو قـدرٍ، فإنّـه بفضـل النبـي الأكـرم (ﷺ) وآلـه الأطهـار الذيـن أخرجـوا النّـاس مـن الظلـمات إلى النّـور. فوظـف مفـردة (تسـنْمتُم) للدلالـة عـلى ارتقائهـم ووصولهـم إلى مـا هـم عليـه مـن الـشّرف والرّفعـة. فناسـب ذلـك المعنـى اسـتعارة الإمـام لمفـردة (تسـنّمتم) لـ(ذُروة العَلْيـاء)، ملاحظـة لشـبهها بالنّاقـة التـي يُعْتـلى سـنامها[٣]في كنايـة عـن علـوم قدرهـم وشرف ذكرهـم [٤].

الكَلْكَلُ

الكَلْـكَلُ الصَّـدر مـن كل شيء[٥]. وهـو مـا بـين الترقوتـين عنـد الإنسـان [٦].وفي الفـرس مـا بـين الحزمـة إلى مـا مـس الأرض منـه إذا ربـض[٧]. وقـد وردت لفظـة (كَلْكَلهـا) مرتـين في نهـج البلاغـة، في حـين جـاء ألفـاظ (كَلْكَلـه) و (كَلاكِل) و (كَلاكِلهـا) مـرة واحـدة لـكل منهـا [٨]. وذلـك للدلالـة عـلى الصـدر بعامـة. ولكـن الإمـام خـص تلـك الألفـاظ بالـدلالات الآتيـة:

(١) ينظر: لسان العرب (سنم): ١٢/ ٣٠٧.

(٢) ينظر: الفائق: ١/ ١٢١.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١ / ٢٠٠، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٨٦.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٨٦.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (كلل): ٩/ ٣٣٣، والمحكم (كلل): ٦/ ٦٥٩، ولسان العرب (كلل): ١١/ ٥٩٦.

(٦) نفسها.

(٧) ينظر: المحكم (كلل): ٦/ ٦٦٠، ولسان العرب (كلل): ١١/ ٥٩٧.

(٨) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٠٢.

أولاً: الدلالة على أَكَابِر العَرَب.

وهم صدور الأمة الذين تكلم عنهم الإمام (عليه السلام) في سياق بيان شجاعته وفضله في الإسلام، إذ يقول: ((**أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلاَكِلِ الْعَرَبِ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ**[١] **قُرُونِ**[٢] **رَبِيعَةَ وَمُضَرَ...**))[٣]. أراد (عليه السلام) أنه وضع في صغره بقمم العرب، وعلياها من صدورهم ومقدميهم، وكسر شوكتهم، واستعار لفظة (كلاكل) للجماعة من أكابر العرب الذين قتلهم في صدر الاسلام، ووقائعه المختلفة حتى قتل من قتل من أعزّة العرب حينذاك[٤]. وقد دلت لفظة (كلاكل) على هذا المعنى؛ لأن الكلكل من الإنسان والحيوان، هو مقدمته ومحل قلبه، لذلك يعد موضعاً للعزة والكبرياء، فضلاً عن الصدارة. وهو ما أوحى به كلام الإمام عند استعماله هذه المفردة لتكون مناسبة للمعنى الذي قصد اليه وربما دلّت المفردة على غير الصدر المعروف في الإنسان والحيوان[٥]. كأنما أراد الإمام أنه أنزل هؤلاء الصدور من الأمة إلى محل وضيع عندما أرغمهم على الموت قهراً في سبيل الاسلام. ومما عزز هذا المعنى قوله (**وكَسَرْتُ نَوَاجِم قُرُون رَبِيْعَة ومُضَر**). فعبر بـ (نواجم قرون) إلى ما برز من القبائل العربية من أبطال مقدمين في الحروب. واستعمل لهم لفظ (القرون)؛ لأنّ القرن هو سلاح الحيوان الذي يصول به ويمنع[٦]. فكأنهم سلاح

(١) نَجَم الشيءُ، إذا طلع. ينظر: لسان العرب ١٢/ ٥٦٨.

(٢) القَرْنُ الرّوقُ، وموضعه رأس الإنسان والثيران والظباء وغيرها. ينظر: لسان العرب (قرن): ١٣/ ٣٣١.

(٣) نهج البلاغة: خ/ ١٩٢: ٣٧٨.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ٢٣٥، والديباج الوضي: ٤/ ٢٠٥٠.

(٥) ينظر: المحكم (كلل):

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ١٨٣، والديباج الوضي: ٤/ ٢٠٥٠.

قبائلهم التي تقابل بها، وتصول وتمنع عنها الاعداء. فضلاً عن هذا اللفظ يدل في اللغة على معان متعددة، فالقرن هو الفرد الذي لا واحد له ولا نظير[١]. وهو الضد في القوة أيضاً[٢].

ثانياً: الدلالة على أثقال الدنيا وما فيها من بغي وفتنٍ.

ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق كلامه عن أذى الدنيا، وما تفعله بالناس: **((فَاللهَ اللهَ عِبَادَ الله! فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَن، وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرَن، وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا، وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا... وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلاَزِلِهَا، وَأَنَاخَتْ بِكَلاَكِلِهَا...))** [٣].المراد: أن الدنيا قد قدمت بمصائبها، وحطت بصدرها مافيه من ثقل على الإنسان. فاستعمل لها لفظ (الكَلاِكل)؛ للدلالة على شدة أهوالها ومصائبها، مشبهاً ذلك بالبعير الذي ينيخ كَلْكَلَه على الأرض؛ فيحطم ما تحته. لفظة (أَنَاخَتْ)، الدالة على إبراك الإبل واستقرارها على الأرض في مناخها[٤]. وقد ذهب الشارح البحراني إلى أن (الكلاكل) استعارة للأهوال الثقيلة، ووصفها بالإناخة إشارة إلى هجومها على الناس ونزولها بهم[٥].

ويمكن أن يكون المراد (بالكلاكل) – هنا – الدلالة على تعدد أهوال الدنيا وما ترسله على الناس من هموم ومشاكل، وإهلاك للحرث والنسل. ونظير هذا التعبير الذي وظف له الإمام لفظة (كلاكل) أو (كلكل) ما استعمله الإمام (عليه السلام)

(١) . ينظر: العين (قرن): ٥/ ١٤٣.

(٢) نفسه.

(٣) نهج البلاغة: خ/ ١٩٠: ٣٥٣.

(٤) ينظر: لسان العرب (نوخ): ٣/ ٦٥.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ١٢٤.

في (خ/ ٩١، ١٥١، ١٩٢، ٢٢٦).

جِرانه

الجِـرَان مُقَـدَّم العُنُـقِ مـن مذبـحِ البَعِـيْر ومنحـره[١]. وقيـل: الجِـرَان هـو باطـن العنـق[٢]. ووصفـه بعـض اللغويـين بالجلـدة تـضرب عـلى باطـن العنـق مـن ثغـرة النحـر إلى منتهـى العنـق في الـرأس[٣]. ومفـردة (**جِرَانـه**) مـن الفـاظ نهـج البلاغـة؛ فقـد استعملت فيـه أربـع مـرات[٤]؛ للدلالـة عـلى اتسـاع الديـن والاسـلام واسـتقرار وامتـداده. ومـن ذلـك قولـه (عليه السلام) في مقـام الحديـث عـن أثـر الصـدق مـع الله تعـالى في تحقيـق النـصر عـلى الكافريـن: ((**وَلَقَـدْ كُنَّـا مَـعَ رَسُـولِ الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، نَقْتُـلُ آبَاءَنَـا وَأَبْنَاءَنَـا وَإِخْوَانَنـا وَأَعْمَامَنَـا، مَـا يَزِيدُنَـا ذلِـكَ إلاَّ إِيمَانـاً وَتَسْلِيماً، وَمُضِيّـاً عَـلَى اللَّقَـمِ، وَصَـبْراً عَـلى مَضَـضِ الاْلَمِ، وَجِـدّاً عَـلى جِهَـادِ الْعَـدُوِّ، وَلَقَـدْ كَانَ الرَّجُـلُ مِنَّـا وَالاْخَـرُ مِـنْ عَدُوِّنَـا يَتَصَـاولاَنِ تَصَـاوُلَ الْفَحْلَـيْنِ، يَتَخَالَسَـانِ أَنْفُسَـهُمَا، أَيُّهُمَا يَسْـقِي صَاحِبَـهُ كَأْسَ الْمَنُـونِ، فَمَـرَّةً لَنَـا مِـنْ عَدُوِّنَـا، وَمَـرَّةً لِعَدُوِّنـا مِنَّـا، فَلَـمَّا رَأَى اللهُ صِدْقَنَـا أَنْـزَلَ بِعَدُوِّنَـا الْكَبْـتَ**[٥]**، وَأَنْـزَلَ عَلَيْنَـا النَّـصرَ، حَتَّـى اسْـتَقَرَّ الاْسْـلاَمُ مُلْقِيـاً جِرَانَـهُ وَمُتَبَوِّئـاً**[٦] **أَوطَانَـهُ**))[٧].

والنـص وصـف الحـال الاسـلام والمسـلمين في بـدء الإسـلام، وكيـف كان المسلمون مـع النبـي الأكـرم (صلى الله عليه وآله وسلم) يقاتلـون آباءهـم وأبناءهـم وقراباتهـم مـن أجـل الإسـلام، حتى

(١) ينظر: العين (جرن): ٦/ ١٠٤.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (جرن): ١١/ ٢٧، ولسان العرب (جرن): ١٣/ ٨٦.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٨٣.

(٥) الكَبْتُ الصَّبْر، وهو كَسْرُ الرّجل وإخْزاؤه. ينظر: لسان العرب (كبت): ٢/ ٧٦.

(٦) بَوَّأهم نَزَل بهم إلى سَنَدِ جَبَلٍ. ينظر: المحكم (بوء): ١٠/ ٥٦١.

(٧) نهج البلاغة: قصا/ ٤٦٧: ٦٩٤.

أنـزل الله بأعـداء المسـلمين الفـزع والخسران، فاسـتقر الديـن وتمكـن أمـره في الأرض. وقـد عـبر الإمـام عـن حـال تمكـن الاسـلام واسـتقراره بـما يناسـب الطبيعـة المألوفـة للمخاطبـين في ذلـك الوقـت، فاسـتعمل لفـظ (جِرَانـه)، وهـو مقـدم عنـق البعـير، فـإذا مـد البعـير عنقـه قيـل ألقـى جرانـه بـالأرض[١]. وتكـون هـذهِ الحالـة عندمـا يـبرك البعـير عـلى الأرض بعدمـا يـؤتي بـه مـن سـفرٍ أو غـيره، فيمـد البعـير جرانـه لأخـذ الراحـة والاسـتقرار. ويكـون الجمـل في هـذهِ الحـال ثابتـاً مسـتقراً بالأرض.ووظـف الإمـام هـذا التعبـير؛ لاظهـار دلالـة اسـتقرار الاسـلام وابتعـاد المناهضـين لـه عنـه، وهـم المشركـون الذيـن منعـوا النبـي (ﷺ) مـن نـشر الديـن في أوائـل ظهـور الاسـلام. والملاحـظ أن الاسـتقرار في قلـوب المسـلمين مقـدم عـلى اسـتقراره في الأرض، وانتشـاره في البلـدان.

وثمـة دلالـة أخـرى أراد الإمـام الإشـارة إليهـا مـن خـلال تعبـير (مُلْقِيـاً جِرَانَـه)، وهـي صلابـة الاسـلام وقوتـه عـلى الرغـم مـن الفتـن والملاحـم التـي مـرت بـه. والصلابـة التـي يتميـز بهـا جـران البعـير، فهـو مـن الصلابـة بمـكان، حتـى أن العـرب كانـت تسـوي سـياطها مـن هـذا الجـزء مـن البعـير لقوتـه وصلابتـه[٢]. ويبـدو لي أنّ هـذهِ الدلالـة أليـق بالسـياقات التـي وردت فيهـا لفظـة (جـران) في نهـج البلاغـة،فالإمـام (عليه السلام) لم يسـتعمل المفـردة المتقدمـة إلا عنـد كلامـه عـلى الإسـلام واسـتقراره معـبراً عـن ذلـك بلفظـة (جرانـه) التـي وردت بالدلالـة المتقدمـة نفسـها في (خ/ ١٨٢، قصـا/ ١٧، ٤٦٧).

غَارب

(١) ينظر: العين (جرن): ٦/ ١٠٤.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (جرن): ١١/ ٢٧.

الغَارِب هو أعلى الموج وأعلى الظهر[١]. والغَارِب الكاهل من الخفّ، وهو ما بين السنام والعنق من البعير[٢]. وقيل: بل هو أعلى مقدم السنام[٣]. واستعملت لفظة (غَارِب) ثلاث مرات في نهج البلاغة[٤]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على مقدم عنق البَعِير.

وهو أعلى مقدم سنامه، بين السنام والعنق، وقد جاءت هذه الدلالة في قوله (عليه السلام) متحدثاً عن (**البَلاَء**): ((... **ذَاكَ إِذَا عَضَّكُمُ الْبَلاَءُ كَمَا يَعَضُّ الْقَتَبُ غَارِبَ الْبَعِيرِ**...))[٥]. والغارب كاهل البعير وأعلى مقدم سنامه من الكتف، وكثيراً ما تتآكل هذهِ المنطقة من البعير، وتتقرح بسبب من وضع الرحل عليها وربطه بغارب البعير، ولهذا شبه الإمام به (**عَضَّ البَلاَء**) الذي يقرح الإنسان ويأكل عزمه وكبرياءه في إشارة إلى انغماره في المعاصي والعثار والفسوق[٦].

ثانياً: الدلالة على إطلاق الأَمر وتركه على حاله.

وقد أورد الإمام (عليه السلام) هذا المعنى مرتين في كلامه الوارد في نهج البلاغة، الأول يشير به إلى الدنيا، مشبها إياها بالبعير المطلق المتروك. يقول (عليه السلام) في ذم الدنيا وعدم اغتراره بها: ((**إِلَيْكَ عَنِّي يَا دُنْيَا، فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ، قَدِ أنْسَلَلْتُ**

(١) ينظر: العين (غرب): ٤/ ٤١١.

(٢) ينظر: لسان العرب (غرب): ١/ ٦٤٤، وتاج العروس (غرب): ٣/ ٤٧٩.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (غرب): ٨/ ١١٩.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٣٤.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ٨٧: ٣٤٨.

(٦) ينظر: الديباج الوضي: ٤/ ١٩٢٠.

مِنْ مَخَالِبِكِ[١]، **وَأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ، وَاجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ**[٢]))[٣]. وقد صدّر الإمام (عليه السلام) كلامه هذا باسم الفعل **(إِلَيْكِ)** مؤخراً المنادى – وهي الدنيا – عن الأمر بالابتعاد؛ لغرض لفت النظر وحث السامعين على سلوك النهج الذي سار عليه الإمام (عليه السلام) – كما أحسب. ثم عبر عن نبذ الدنيا، وتركها دون أن يشغل نفسه بها، بقوله (فَحَبْلك على غارِبك)، وهو تعبير مأخوذ من طرح حبل البعير الذي يقاد به على غاربه ومقدّم سنامه، إهمالاً له لتركه يذهب حيث يشاء. وقد أراد (عليه السلام) التنبيه إلى إعراضه عن الدنيا وعدم شغله بها، فجعلها كالناقة المرسلة التي يوضع زمامها على كاهلها رغبة في إهمالها وتجنب العناية بها.

ويومئ التعبير المتقدم بأنَّ الإمام قد سرح الدنيا وتركها، وطلقها مؤبداً ذلك بعدم إمكان الرجوع اليها. ولهذا كان يخاطبها بأن لا تعرض له أو تقترب منه، وليس العكس، وقد استعمل الإمام عبارة (حَبْلك على غَارِبِكِ) بطريقة المثل، فقد كانت البيئة الاجتماعية العربية في ذلك الوقت تستعمل هذا التعبير في تسريحها للمرأة التي يطلقها زوجها، فضلاً عما يراد تخليته من أيديهم من الأشياء. فيقولون ((حَبْلَكِ على غَارِبِكِ))[٤]. كناية عن الطلاق، ومرادهم من ذلك: أن المرأة مسرحة الذهاب حيث شاءت[٥]. وقد أخذت العرب ذلك من متعلقات. الناقة ولوازمها، فإنهم إذا أرادوا تركها للرعي، ألقوا خطامها على غاربها إيذاناً لها

(١) نهج البلاغة: خ/ ١٨٧ : ٣٤٨.

(٢) الدَّحْضُ الزّلق. ينظر: لسان العرب (دحض): ٧/ ١٤٨.

(٣) نهج البلاغة: ك/ ٤٥ : ٥٣٣.

(٤) جمهرة الأمثال: ١/ ٣٤٢، ومجمع الأمثال: ١/ ١٩٦، والمستقصى في أمثال العرب: ٢/ ٥٦.

(٥) ينظر: مجمع الأمثال: ١/ ١٩٦.

بأن تهنأ في رعيها؛ لأنها إذا رأت خطامها وقد أشنق لم تهنأ بشيء[1]. وبالعودة إلى قولة الإمام (عليه السلام)، فإن (غارِبَ الدُّنْيَا) في كلامه هو فتنتها وزهوها وما فيها من ملذات، متعلقة بأصلها وكاهلها الذي ترتكز عليه لذاتها. فكأنّ (غارب الدُّنْيَا) قمّة لذّتها. وذلك عندي مأخوذ من أصل دلالة (الغَارِب) في اللغة، وهي أعلى الشيءِ وقمته[2]. أما (حَبْلُ) الدنيا في كلمة الإمام (حَبْلُكِ على غَارِبِكِ)، فهو إشارة إلى زمامها وقيادها الذي يراد للإمام (عليه السلام) أن يتولاه ويمسكه، لكي يكون منقاداً لها لا قائداً. وهو بهذا يكون بمنزلة خطام البعير الذي يتولاه الراكب، فمرة يشنقه وأخرى يسلسه. ولا سيما إذا كانت الناقة صعبةً عصّية القياد. وهكذا هو حال الدنيا فإنها صعبة الركوب لمن ركبها وتقحمها.

أقول: وكنّى (عليه السلام) عن الخلافة بالناقة، فجعلها مرسلة لا رغبة فيها، مثلما طلق الدنيا وتركها على عاربها. وذلك في (خ/ ٣).

وَبَر

الوَبَر صوف الإبل ونحوها[3]. وجمل أوبَر إذا كان كثير الوبر[4]. ولفظة **(وَبَر)** من ألفاظ نهج البلاغة التي استعملت فيه ثلاث مرات[5]. دالة على صوف الإبل الذي يكون علامة من علامات البداوة ورعي الإبل؛ فضلاً عن الدلالة على البيوت والأخبية المتخذة من صوف الإبل، وهي المسماة بـ **(الخيام)**. وقد استعمل

(١) ينظر: تهذيب اللغة (غرب): ٨/ ١١٩، ومجمع الأمثال: ١/ ١٩٦، ولسان العرب (غرب):١/ ٦٤٤، وتاج العروس(غرب): ٣/ ٤٧٩.

(٢) ينظر: تاج العروس(غرب): ٣/ ٤٨٠.

(٣) ينظر: العين (وبر): ٨/ ٢٨٦، وتهذيب اللغة (وبر): ١٥/ ١٨٩.

(٤) ينظر: المخصص: م/ ٢: س/ ٧: ٧٦.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٧٤.

الإمام المفردة المتقدمة مضافة إلى لفظة (**بَيْت**) إشارة إلى نمط صنعها، من جهة اشتمالها على صوف الإبل. وذلك في سياق كلامه عن ظلم بني أمية وإباحتهم المحرمات. يقول الإمام: ((**وَالله لاَ يَزَالُونَ حَتَّى لاَ يَدَعُوا لله مُحَرَّماً إِلاَّ اسْتَحَلُّوهُ... حَتَّى لاَ يَبْقَى بَيْتُ مَدَر**[١] **وَلَا وَبَر إِلاَّ دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ وَنَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ...**))[٢] أراد أن ظلم الأمويين وإباحتهم الحمى غير مقتصر على مكان حكمهم، وإنما سيعم البيوتات جميعاً من حواضر المدن وقراها، فضلاً عن المنازل الواقعة في البوادي. وكنى عن ذلك بذكر لفظة (**بيت**) المضافة إلى مفردة (**وَبَر**) إشارة إلى مكان البادية الذين تكون فيها البيوت متخذة من صوف الأباعر.

أقول: وقد جاء التعبير نفسه في خطبة أخرى للإمام (عليه السلام) يتحدث فيها عن ظلم الامويين، وذلك في (خ/ ١٥٨، ١٩٢).

شِقْشِقَة

الشِّقْشِقَةُ لهاة البعير، ولا تكون إلاّ للعربي من الإبل كما يذكر اللغويون[٣]. وذكر أبو عبيد القاسم بن سلام أنها شيء شبيه بالرئة تخرج من شدق الفحل من الإبل العراب إذا هدر[٤]. ووصفت بانها جلدة رقيقة حمراء يخرجها البعير من جوفه، عندما ينفخ إذا هاج وهدر[٥]. وقد استعمل الإمام لفظة (شِقْشِقَة) بصيغة

---

(١) المَدَر قطع الطين اليابس. ينظر: لسان العرب (مدر): ٥/ ١٦٢، والمراد البيوت المصنوعة من الطين، وهي كناية عن القرى والحواضر من المدن.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ٩٨: ١٧٩.

(٣) ينظر: العين (شقق): ٥/ ٧، ومقاييس اللغة (شقق): ٣/ ١٧٢، والمحكم (شقق): ٦/ ٩٧، ولسان العرب (شقق): ١٠/ ١٨٥.

(٤) ينظر: غريب الحديث (أبو عبيد): ٣/ ٢٩٧، ولسان العرب (شقق): ١٠/ ١٨٥.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (شقق): ٨/ ٢٠٤، وجمهرة اللغة (شقق): ١/ ٢٠٧، والنهاية في غريب الحديث:

المفرد والجمع على (شَقَاشِق) مرة واحدة لكل منهما في نهج البلاغة[١]؛ للدلالة على ما يخرجه البعير العراب من جلدة من جوفه. وذلك في سياق كلامه الذي يتحدث فيه عن أمر الخلافة وصبره عما جرى فيها، ثم مبايعة الناس له. إذ يقول في بعضٍ من هذهِ الخطبة: ((**أَمَا وَاللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَها فُلانٌ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّيَ مِنهَا مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحَا، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ،... حَتَّى مَضَى الأولُ لِسَبِيلِهِ، فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فلان بَعْدَهُ فَيَا عَجباً!! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُها[٢] في حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لاخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ... فَصَيَّرَهَا في حَوْزَة[٣] خَشْنَاءَ، يَغْلُظُ كَلْمُهَا[٤]... فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ المُدَّةِ، وَشِدَّةِ المِحْنَةِ... أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوْلاَ حُضُورُ الحَاضِرِ، وَقِيَامُ الحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ... لألَقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أولِها، وَلأَلفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عفْطَةِ[٥] عَنْزٍ[٦]**))[٧]. فقام اليه رجل من أهل العراق عند بلوغه إلى هذا الموضع، وناوله كتاباً فيه مسائل يريد الاجابة عنها فقرأه الإمام. فلما فرغ منه. قال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين لو اطردت خطبتك من حيث أفضيت[٨]. فقال: ((**هَيْهَاتَ يَابْنَ عَبَّاس! تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ**))[٩].

٢/ ٤٩٠، وتاج العروس (سقف): ٢٥/ ٥٢١.

(١) ينظر: المعجم المفهرس لنهج البلاغة: ٢٤٢.

(٢) يَسْتِقْيلُها، أي يطلب الإقالة منها. ينظر: لسان العرب (قيل): ١١/ ٥٧٩.

(٣) الحَوْزُ ما يُحُوْزُهُ الرّجل من مَوْضِعٍ ويتخذه له جاعلًا حوله مُسّناة. ينظر: المحكم (حوز): ٣/ ٤٨٢.

(٤) الكَلْمُ الجُرْحُ. وكَلَمُها جُرْحها. ينظر: العين (كلم): ٥:٣٧٨.

(٥) العَفْطَةُ عَطْسُ الماعِزة. ينظر: لسان العرب (عفط): ٧/ ٣٥٣.

(٦) نقلت المدونات اللغوية كلمة الإمام (عليه السلام) أعلاه ومنها لسان العرب (عفط): ٧: ٣٥٢.

(٧) نهج البلاغة: خ/ ٣: ٢٨ – ٣٣.

(٨) نهج البلاغة: خ/ ٣: ٣٣، ومصادر نهج البلاغة وأسانيده: ١/ ١٠٧، ٣٠٨.

(٩) نفسه: خ/ ٣: ٣٣.

وقد عبر (عليه السلام) عن ما في نفسه من كلام، واصفاً إياه بـ (شِقْشِقَة) البعير التي هدرت ثم قرت، أي رجعت إلى مستقرها. فكأن كل هذه الأمور التي مر بها الإمام وتكلم عنها للناس، أخرجها بهذه الكلمات الفصيحة البليغة. والشِقْشِقَةُ كما تقدمت أقوال اللغويين فيها جلدة، أو رئة تخرج من فم البعير حمراء اللون، ينفخ فيها البعير إذا هدر. والإمام إنما عبر عن كلمته التي ذكرها بـ (الشِقْشِقة)، لأنه أزهد من أن تأخذه الخلافة، وتستميله الدنيا اليها. ولهذا صرح في خاتمة كلامه بقول ((... **وَلاَلَفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْز**))[١]، فالدنيا عنده أشد هواناً من عطسة العنز. وعطسة العنز يصحبها الكثير من القذارة التي تخرج عادة من أنفها، وهو ما قصد اليه في وصفه (دنياهم) التي عبر عنها بضمير المخاطبين؛ اشارة إلى أنها لهم وليست له (عليه السلام). وعبر عنها بهذا التعبير للدلالة على ما يصحبها ويخرج منها من قذر تشمئز منه النفس وترغب عنه. ووصف كلامه بـ (الشِّقْشِقَة) فيه إشارة إلى فصاحته وبلاغة أقواله، فضلاً عن شرفه ورفعته، وقوة بأسه مما جعله مقدماً بين أقرانه، حتى فاق العرب في ذلك. ويمكن فهم ذلك من خلال مفردة (شِقْشِقَة)، فإنها لا تخرج إلا من فم البعير العراب الأصيل[٢]. علامة على كثرة هدره وفحولته. فبقية الإبل غير الأصلية لا تهدر، أو أنها تهدر ولا تغط في الشقْشِقَة، لأنها لا شِقشِقَة لها[٣]. فضلًا عن أن هدير الفحل دليل على غضبه واحتدامه، ولا يكون ذلك الاّ في ما يزعجه من الأحوال، فكأنه يستنكر ما يؤذيه ويمتعظ منه،فهديره كالكلام عند الإنسان.ولهذا وصف الخطيب الماهر

---

(١) نفسه.

(٢) ينظر: العين (شقق): ٥/ ٧، وجمهرة اللغة (ششق): ١/ ٢٠٧.

(٣) ينظر: غريب الحديث (الخطابي): ١/ ٤١١.

بالكلام، الجهير الصوت بأنه ذو شِقْشِقَة[١]؛ لأن البعير إذا هدر، فقد بلغ أقصى غاية الفصاحة بالهدر؛ فإنهم لا يقولون: هَدَرَ البَعير إلا إذا أفصح في هدره. كما ينقل عن الأصمعي (ت ٢١٥ هـ)[٢]. ومن هذا المعنى - فيما يبدو - قالوا: إن فلان شقْشقَةُ قَوْمه، بمعنى أنه شريفهم وفصيحهم[٣]. كأنه واحد قومه الذي لا قرين له ولا نظير. وهذهِ المعاني والدلالات كلها تفيدها لفظة (شِقْشِقَة) الواردة في كلامه (عليه السلام) التي تحتمل هذه الإشارات الدلالية، فضلاً عما صنعه الإمام من جمعٍ بين الأصل والفرع في قوله: ((**شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمّ قَرَّتْ**))، فقد ناسبَ في هذا التعبيرَ بين مفردة (هَدَرَتْ)، وهي الأصل كما يفهم من كلام الدكتور إبراهيم السامرائي في فكرته هذهِ، وبين لفظة (شِقْشِقَة) وهي الفرع[٤]، فكأنما الهدر هو الأصل؛ لأن به تخرج الشِقْشِقَة من فم البعير وهذا فيما أحسب من قبيل العلاقة بين السبب والمسبب.

أقول: وثمة موضع آخر استعمل فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) مفردة (**شَقَاشِق**) بصيغة الجمع للدلالة من يتزعم فتنة أهل الشام الذي تهدر شَقَاشِقُهُ، دلالة على أمره بانطلاق الفتنة وإقبالها على الناس، وذلك في (خ/ ١٠١).

آباطُ الإبل

الإبطُ معروف، وهو باطِن المنكب من الإنسان والدواب[٥]، ويقال لما

---

(١) ينظر: المحكم (شقق): ٦/ ٩٧، ولسان العرب (شقق): ١٠/ ١٨٥.

(٢) ينظر: غريب الحديث (الخطابي): ١/ ٤١١.

(٣) ينظر: لسان العرب (شقق): ١٠/ ١٨٦.

(٤) ينظر: مع نهج البلاغة: ٢٤٤.

(٥) ينظر: مقاييس اللغة (أبط): ١/ ٣٧، والمحكم (أبط): ٩/ ٢٠٩، ولسان العرب (أبط): ٧/ ٢٥٣.

تحت جناح الطيور ابط أيضاً[١]. وقد وردت لفظة (آبـاَط) بالجمع على (أَفْعَال) مرة واحدة في نهج البلاغة[٢]، للدلالة على باطن منكب الإبل. وذلك في وصيةٍ لأمير المؤمنين (عليه السلام) يقول فيها: ((**أوصِيكُمْ بِخَمْس لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاطَ الإبِل لَكَانَتْ لِذلِكَ أَهْلاً: لاَ يَرْجُوَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إلاَّ رَبَّهُ، وَلاَ يَخَافَنَّ إلاَّ ذَنْبَهُ...**))[٣]. إن استعمال الإمام تعبير (آباطَ الإبل) فيه إشارة إلى الارتحال الذي كنّى عنه الإمام، كأن الراكب إذا أراد السفر ضرب بكعبي رجليه إبط الجمل[٤]. وهو ما وقع تحت منكبه ملاصقاً لمرفقه[٥]. وهذهِ عادة عند العرب الرحّل عندما يعتزمون السفر الشاق البعيد. ولما كانت الوصايا التي أوصى بها الإمام توجب على المرء السعّي في طلبها والأخذ بها؛ لأنها تمثل أصول الإيمان ومبادئه؛ فلهذا جعلها الإمام بمنزلة ما يطلبه البدوي من لوازم الحياة في الصحارى. وكان مناسباً للمقام أن جعل الإمام (فَضِيْلَةِ الصَّبْرِ) خاتمة لهذهِ الوصايا التي تناسب حال من (ضرب الآباط)، طلباً للسفر والمشقة في تحصيل غايته، فلهذا يلزمه الصبر، ورجاء الله تبارك وتعالى.

إِعجاز الإبل

العَجز مؤخر الشيء، وهو ما بعد الظهر[٦]. وجمعه أعجاز[٧]. وأعجاز الإبل

(١) ينظر: المصباح المنير: ١/ ١، ولسان العرب (أبط): ٧/ ٢٥٣.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١١.

(٣) نهج البلاغة: قصا / ٨٢: ٦١٣.

(٤) ينظر: معارج نهج البلاغة: ٢/ ٨٠٧، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤١٥، والديباج الوضي: ٦/ ٢٧٧٨.

(٥) ينظر: الديباج الوضي: ٦/ ٢٧٧٨.

(٦) ينظر: العين (عجز): ١/ ٢١٥، والمحكم (عجز): ١/ ٢٩٩.

(٧) أنفسهما.

مآخيرها[١]. واستعمل الإمام لفظة (أَعْجَاز) بصيغة الجمع على (أَفْعَال) مرة واحدة في نهج البلاغة [٢]. مضافة إلى مفردة (الإبل)؛ للدلالة على مآخيرها. وذلك في قوله: ((**لَنَا حَقٌّ، فَأنْ أُعْطِينَاهُ، وَإِلاَّ رَكِبْنَا أَعْجَازَ الإبل،وَأنْ طَالَ السُّرَى**[٣]))[٤]. يتضمن قول الإمام إشارات عديدة؛ منها أنه يومئ بـ (الحق)؛ إلى حقه وحق أهل البيت (عليهم السلام) في (الإمامة) التي أخذت منه يوم الشورى. وقد نقل المؤرخ الطبري(ت٣١٠ هـ) قول الإمام المتقدم في (قِصّة الشّورى)[٥]. وشرح الشريف الرضي قوله (عليه السلام) ((**رَكِبْنا أَعْجاز الإبل**))، ذاكراً أنه ((من لطيف الكلام وفصيحه. ومعناه: أنا إنْ لم نُعْطَ حَقّنا كُنّا أذلاّء، وذلك أنّ الرديف يركب عجز البعير، كالعبد والأسير ومن يجري مجراهما))[٦]. وهذه بعض الوجوه التي فسر بها كلامه (عليه السلام). وذلك أن (أعجاز الإبل)، ومآخيرها،مركب شاق صعب[٧]. استعمله الإمام على جهة التشبيه. مستعيراً هذا الجزء من أعضاء جسم الإبل؛ بوصفه أدنى جزء من ظهورها، في تشبيه حال الراكب عليها وبخاصة إذا كان الركوب بغير رحل أو وطاء، ما يزيد من أذى الراكب، وعدم استقراره في مركبه؛

(١) ينظر: تهذيب اللغة (عجز): ١/ ٢٢٠.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٩٢.

(٣) السُّرى السير ليلًا. ينظر: مقاييس اللغة (سرو): ٣٣/ ١٥٤.

(٤) نهج البلاغة: قصا/ ٢٢: ٦٠٢، وقد نقلت المدونات اللغوية قول الإمام المتقدم. ينظر: غريب الحديث (ابن قتيبة): ٢/ ١٣٩، وتهذيب اللغة (عجز): ١/ ٢٢٠، والفائق: ٢/ ٣٩٧، وغريب الحديث (ابن الجوزي): ٢/ ٧٢، والنهاية في غريب الحديث: ٣/ ١٨٥، ولسان العرب (عجز): ٥/ ٣٧١، وتاج العروس (عجز): ١٥/ ٢١٢.

(٥) ينظر: تاريخ الطبري: ٢/ ٥٨٥، ومصادر نهج البلاغة وأسانيده: ٤/ ٢٣.

(٦) نهج البلاغة: قصا/ ٢٢: ٦٠٢، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٨/ ١٠٧.

(٧) ينظر: تهذيب اللغة (عجز): ١/ ٢٢٠.

فوجود الرحل والوطاء على ظهر البعير يعين في اطمئنان الراكب وثباته. وهذا الوجه أبان عنه ابن قتيبة في دلالة (اعجاز الإبل) الواردة في كلامه (عليه السلام)[١]. وهو من أوائل الذين اشاروا إلى هذه الدلالة، وزاد عليها بأنه يحتمل أن يراد بالتعبير المتقدم كون الراكب ردفاً تابعاً لغيره[٢]. وهو ما يزيد في أذاه وعدم ثباته، فيصير كأنه مظلوم في ركوبه تلواً لغيره. فأشار الإمام إلى تأخيرهم له وتقديم غيره عليه بذكر (ركبنا أعجاز الإبل)[٣]. كأنه يومئ إلى أخذ حقه في (الإمامة) من خلال تقديم غيره عليه وجعله ردفاً تابعاً لغيره، ومع ذلك كله، فإنه يعلن تحمله ذلك وصبره عليه[٤].

وثمّة دلالة أخرى يحتملها النص، مؤداها أنّ الإمام يقصد بذلك: أنْ قدمنا للإمامة تقدمنا، وأنْ أُخِّرنا صبرنا على الأثرة، وإن طالت الأيام[٥]؛ لعدم وجود الناصر والمعين. وقد لمس بعض الدارسين في كلام الإمام ضرباً من الفخر وعلو الهمّة على أساس أن الراكب على عجز البعير، وكاذ الفرس؛ تطلق يداه بالسلاح أكثر من الراكب الذي يلي عنقهما[٦]. وهذا وجه بعيد لا يناسب السياق الذي

---

(١) ينظر: غريب الحديث (ابن قتيبة): ٢/ ١٣٩، والفائق: ٢/ ٣٩٧.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (عجز): ١/ ٢٢٠.

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٣/ ١٨٥، ولسان العرب (عجز): ٥/ ٣٧١، وتاج العروس (عجز): ١٥/ ٢١٢.

(٥) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٣/ ١٨٥. وقد أشار الباحث د.عبد الكريم السعدأوي إلى أن هذهِ الدلالة ذكرها السيوطي في كتابه (التذييل والتذنيب على نهاية الغريب). وفاته أن (ابن الأثير الجزري) أسبق من (السيوطي) في هذا القول؛ لتقدم الأول زمناً. ولعله لم يطلع على رأي (ابن الأثير) هذا. ينظر: غريب نهج البلاغة: ٣٠٣، ٣٠٤.

(٦) ينظر: غريب نهج البلاغة: ٣٠٣، ٣٠٤.

استعمله الإمام السياق. وهي فالراكب على عجز الإبل لا يكون مستقراً في ركوبه فكيف يكون حال الرديف على ظهر الفرس، وذلك معروف مفهوم من هيئة ظهر (الجمل) و (الفرس). فكيف تطلق يد من اعتلى (أعجاز الإبل) بالسلاح، وهو متحير في تثبيت نفسه ومنعها من الوقوع مستعملاً في ذلك يده لغرض الثبات والاستقرار ممسكاً بظهر صاحبه ليمنع نفسه من الوقوع، وهو ما يمنعه من إطلاق يديه بالسلاح. ولو أراد الإمام هذا المعنى، لذكر (أعجاز الخيل) بدلاً من (أعجاز الإبل) لأنّ ظهرها وعجزها أكثر ملاءمة في الركوب والاستقرار من الإبل. ولكننا يمكن أن نتلمس دلالة الفخر في كلامه (عليه السلام) من خلال احتمال أنه يريد: إننا إنْ نمنعه – أي حقه – فذلك لا يمنعنا من بذل الجهد الجهيد في طلبه. وذلك كفعل من يضرب في ابتغاء طلبته أكباد الإبل، ولا يبالي بطول السرى[1]. وهذه الدلالة راجحة تضاف إلى الدلالات الأخرى المتقدمة التي باجتماعها يمكن الخروج بعدة إيحاءات للتعبير المتقدم الذي اتسع فيه القول، لتكون الدلالات المتقدمة جميعاً مقصودة في كلامه (عليه السلام) [2]. فضلًا عن كون (عجز البعير) رمزاً للمشقة والقهر والغلبة والأذى، وتحمل المشاق، فضلاً عن الدلالة على التأخر في تولي الامور.

وأود – هنا – أن أُسجل تحفظاً على ما ذهب اليه أغلب المصنفين في (غريب الحديث) و (شرح نهج البلاغة) الذين رددوا عبارات يفهم منها أن الإمام أراد تشبيه حاله بحال الذليل المنكسر مثل الأسير والعبد الذين يردف بهم على أعجاز الدواب. فإنّه(عليه السلام) لم يرد معنى الذلة والانكسار، وإنما معنى استلاب حقه والاستيلاء عليه ومنعه منه، وفي هذا اشارة إلى إيذائه واستضعافه.

(١) ينظر: الفائق: ٢/ ٣٩٧، والنهاية في غريب الحديث: ٣/ ١٨٥.

(٢) يمكن أن تكون الاحتمالات المتقدمة كلها مرادة كما يذكر الشارح البحراني في شرح نهج البلاغة: ٥/ ٣٩٧.

٣ـ ألفاظ عامّة الإبل

إبل

الإبل معروفة، وهي تسمية تطلق على صغار الأباعِر ومَسَانِّها[١]. ولفظة (إِبِل) اسم جمعٍ لا واحد له من لفظه، وهو لفظ مؤنث، لأنّ أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين، فالتأنيث لازم لها[٢]. وربما سكنت العرب (الباء) من (إبِل) تخفيفاً، فقالت (إبْل)[٣]. وقد وردت لفظة (الإبل) إحدى عشرة مرة في نهج البلاغة[٤]، للدلالة على الإبل المعروفة، وهي إحدى الدواب التي تستعملها العرب في التنقل عبر الصحارى وتحمل عليها الرِّحال والأمتعة. ويلاحظ في استعمال الإمام لهذهِ المفردة أنه ساقها لمعانٍ يمكن تفصيلها بالآتي:

أولاً: الدلالة على الاجتماع والكثرة والتّزاحم.

إذ أورد أمير المؤمنين هذا المعنى في غير موضعٍ من كلامه من نهج البلاغة؛ إشارة إلى الاجتماع والتزاحم، ومن ذلك قوله في سياق وصف تزاحم أصحابه عليه، ومَنْعِهم له من قتال أهل الشام بِصِفِّيْن: ((**فَتَدَاكُّوا[٥] عَلَيَّ تَدَاكَّ الإبلِ الْهِيمِ[٦] يَوْمَ وِرْدِهَا[٧]**...))[٨]. والدَّكِ في اللغة الدّقُّ والضَّرب والكَسْر حتى التسوية

(١) ينظر: مقاييس اللغة (أبل): ١/ ٤٠، والمحكم (أبل): ١٠/ ٤٠٩.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (أبل): ١/ ٤٠، ولسان العرب (أبل): ١١/ ٣.

(٣) ينظر: لسان العرب (أبل): ١١/ ٣.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١١.

(٥) التّدَاك الإزْدِحَام، وأصل الدّكِ هو الكسر. ينظر: لسان العرب (دكك): ١٠/ ٢٦.

(٦) الهِيْمُ العطاش، وهي الإبل التي يصيبها داء العطاش. ينظر: لسان العرب (هيم): ١٢/ ٦٢٧.

(٧) الورْدُ الماء الذي يُوْرِد، والوِرْدُ الإبل الواردة. ينظر: لسان العرب (ورد): ٣/ ٤٥٦.

(٨) نهج البلاغة: خ/ ٥٤: ٩٤.

بالأرضِ، ثم انتقل المعنى إلى الدلالة على الإزْدِحام على الشخص والتجَمّع عليه[١]. وهذا المعنى مخصوص في كلامه بازْدِحام الإبل وإرسالها جمعاء إلى الوِرْد[٢]، فَتُلْقِي - حينذاك - بثقلها جميعاً على الماء، ولاسّيما إذا كانت هِيْمًا، كما يصفها الإمام في قوله المتقدم الذكر. و(الهِيْمُ) هي الإبل العِطاش[٣]، التي تُسرِع إلى الوِرْدِ، وهو موْعِد شِربها للماء، فتراها تتزاحم وتَزْدِحم يدفع بعضها بَعْضاً، وقد أخذ الإمام (عليه السلام) هذا المعنى مُشَبِّهاً به أصحابه يوم طال مَنْعهم له من قتال أهل الشّام بِصِفِّيْنَ[٤]. ومن الجَدِيْر بالذِّكر أنّ هذهِ الكلمة اختلف الشرَّاح في مناسبة صدورها عن الإمام. فمنهم من ذهب إلى أنها صدرت عنه في ذِكر بيعَته بالخلافة، وهو ما اختاره الشارح ابن أبي الحديد الذي عَلّق على المقولة المتقدمة بأن عَقَدَ موضوعاً تكلم فيه عن (بَيْعَةِ عليٍّ وأمر المتخلفين عنها)[٥]. وتابعه في ذلك السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب[٦]. ومن الشرُّاح من ذهب إلى أنّ الخطبة المتقدمة هي في صفَة أصحاب الإمام (عليه السلام) لّما طالَ مَنْعُهُ لهم من قِتَالِ أهل الشّام بِصِفِّيْنَ، وقد منعهم من ذلك لأمرين؛ الأول أنّ عادته في الحرب كانت عدم البدء بالقتال؛ ليكون خَصمه هو البادئ فتلزمه الحُجَّة عند ذاك. والثاني هو استخلاصه وجه المصلحة في كيفية قتالهم ومراعاته لهم لعلهم يَنْجَذِبُون إلى الحَق. فيكون في ذلك حقن دماءِ المسلمين. ويمثل هذا الرأي العلامة البحراني[٧].

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/ ١٢٨، ولسان العرب (دكك): ١/ ٤٢٦.

(٢) ينظر: تاج العروس (دكك): ٢٧/ ١٥٤.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (هيم): ٦/ ٢٤٦، ومقاييس اللغة (هيم): ٦/ ٢٦.

(٤) ينظر: نهج البلاغة: خ/ ٥٤: ٩٤.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٤/ ٧.

(٦) ينظر: مصادر نهج البلاغة وأسانيده: ٢/ ٢٤،٢٥.

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣١٨.

أمّـا الفريـق الثالـث، فقـد سـكت عـن ذِكـر مناسـبة النَّـص، واكتفـى أصحابـه بـشرح كلماتـه فقـط. وفي طليعـة هـؤلاء البَيْهَقـي الأنصـاري(١)، وأبـو الحسـين يحيـى بـن حمـزة الحسـيني(٢). ومـا ذهـب إليـه ابـن أبي الحديـد يعنـي أن تدافـع القـوم وازدحامهـم عـلى الإمـام (عليه السلام) كان رغبـة في بيعتِـهِ بالخلافـة، هـو دليـل عـلى رغبتهـم فيـه، وحرصهـم عـلى أنْ يتـولى الإمـام إمرتهـم. وممـا يَنْـصر هـذا الـرأي، ورود نـصٍّ آخـر في (نهـج البلاغـة) يشـابه النـص الـذي نحـن بصـدده إلاّ في بعـض الألفـاظ، يصـف فيـه الإمـام بَيْعَـةَ النـاس لـه بالخِلافَـة وازدحامهـم عليـه، وهـو قولـه (عليه السلام): ((**وَبَسَـطْتُمْ يَـدِي فَكَفَفْتُهَـا، وَمَدَدْتُمُوهَـا فَقَبَضْتُهَـا، ثُـمَّ تَدَاكَكْتُـمْ عَـلَيَّ تَـدَاكَّ الإبـل الْهِيـمِ عَـلَى حِيَاضِهَـا**(٣) **يَـوْمَ وِرْدِهَـا...**))(٤) حتـى أن الشريـف الـرضي ذكـر في صَـدَارة النّـص أعـلاه أنـه: (قـد تَقَـدَّم مِثْلُـه بألْفَـاظٍ مُخْتَلَفِة)(٥). يقصـد بذلـك قـول الإمـام: ((**فَتَدَاكُّـوا عَـليَّ تَـدَاكَّ الإبـل الْهِيـمِ يَـوْمَ وِرْدِهَـا...**))(٦). وتشـابه الفـاظ هذيـن النَّصَـينْ يقـوي الحجـة في كـون الأول منهـا هـو المخصـوص بمسـألة البَيْعَـةِ التـي أَعْـرض عـن ذكرهـا كثـير مـن شُرَّاح النهـج، حتـى جعلهـا بعضهـم خاصـة بَمـنْ منـع الإمـام (عليه السلام) مـن قتـال أهـلِ الشـام بِصِفِّـين، ولعـل مـا أوقعهـم في ذلـك هـو قـول الإمـام في الخطبـة (٥٤) بعدمـا ذكـر تداكهـم عليـه: ((... **وَقَـدْ قلَّبْـتُ هـذَا الامْـرَ بَطْنَـهُ وَظَهْـرَهُ حَتَّـى مَنَعَنِـي النَّـوْمَ، فَـمَا وَجَدْتُنِـي يَسَـعْنِي إلاَّ قِتَالُهُـمْ أو الْجُحُـودُ بِـمَا جَـاءَ بِـهِ مُحَمَّـدٌ**(صلى الله عليه وآله)**، فَكَانَـتْ مُعَالَجَـةُ الْقِتَـالِ أَهْـوَنَ عَـلَيَّ مِـنْ مُعَالَجَـةِ**

---

(١) ينظر: معارج نهج البلاغة: ١/ ٣٣٨.

(٢) ينظر: الديباج الوضي: ١/ ٤٧٢.

(٣) الحِيَاضُ جمع حَوْض، وهو مجمع الماء. ينظر: تاج العروس (حوض): ١٨/ ٣٠٨.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ٢٢٩: ٤٤٤.

(٥) نفسه

(٦) نهج البلاغة: خ/ ٥٤: ٩٤.

الْعِقَابِ، وَمَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الآخِرَةِ)) (١). فكأنّ قوله: ((**، وَقَدْ قَلَّبْتُ هذَا الأمْرَ...**)) يشير إلى قتال القوم يوم (صِفِّيْنَ)، وأَنّ هناك مَنْ يمانِع من قتالِ أهل الشام من أصحابه. ومما زاد في ترسيخ هذهِ الفكرة عند شُرَّاح النهج الذين مالوا إلى جعل النص المتقدم خاصاً بمنعه من قتال أهل الشّام (بِصِفِّيْن)، ما ذكره أمير المؤمنين في بعض خطب النهج متحدثاً عن ضَعْفِ ثُلَّةٍ من أصحابه في بعض أيام (صِفِّيْنَ). إذ يقول (عليه السلام): ((**وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ، وَانْحِيَازَكُمْ** (٢) **عَنْ صُفُوفِكُمْ، تَحُوزُكُمُ الْجُفَاةُ** (٣) **الطَّغَامُ** (٤) **وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ...**)) (٥). أمّا من ذهب إلى أنّ النّص كان في تَهافُت أصحابه وازدحامهم عليه لِمَنْعه لهم من البَدْء بقتال أهل الشّام في معركة صِفِّيْن، فَلَعَلّهم فَهِمُوا ذلك من سياق الخطبة، فضلاً عن قول آخر للإمام تحدث فيه عن فَلَجِ أصحابه على أصحاب معاوية في المعركة ذاتها، بعدما حازهم أهل الشام عن مواقعهم، مُشَبِّهاً تدافع الشَّاميِّنَ وانكسارهم بتزاحم الإبل إذ يقول: ((... **وَلَقَدْ شَفَى وَحَاوحَ** (٦) **صَدْرِي أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخَرَة** (٧)، **تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ، وَتُزِيلُونَهُمْ** (٨) **عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ... تَرْكَبُ أولاهُمْ**

---

(١) نفسه: خ/ ٥٤: ٩٤، ٩٥.

(٢) انحاز القَوْم، اذا تَركوا مركزهم ومعركة قتالهم، ومالوا إلى موقع آخر. ينظر: المحكم: ٣/ ٨٢.

(٣) جَفَاهُ بَعُدَ عنه، وضل به ما أساءه. ينظر: تاج العروس (جفو): ٣٧/ ٣٦٠.

(٤) الطّغام جمع طَغَامَة، وهم أراذل الناس، وأضعفهم. ينظر: لسان العرب (طغم): ١٢/ ٣٦٨.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ١٠٧: ١٩٤.

(٦) الوَحَاوح جمع وَحْوَحة، وهي صوت مع بحح، وتَردّد للنَّفَسِ في الحَلْقِ حتى يَسمَع له صوتاً. ينظر: لسان العرب (وحح): ٢/ ٦٣٠.

(٧) الأَخَرَةُ آخر كل شيءٍ. ينظر: لسان العرب (آخر): ٤/ ١٤.

(٨) الزَّوْل الحركة، والمحيص عن المكان. ينظر: لسان العرب (زول): ١١/ ٣١٣.

أُخْرَاهُمْ كَالإبلِ الْهِيمِ الْمَطْرُودَةِ، تُرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا، وَتُذَادُ[١] **عَنْ مَوَارِدِهَا))**[٢]

وخلاصة الأمر. أن كلام الإمام ((**فَتَدَاكُّوا عَلَيَّ تَدَاكَّ الإبلِ الْهِيمِ يَوْمَ وِرْدِهَا...**)) [٣]. يمكن أن يكون مخصوصاً بذكر البيعة له بالخلافة، ولاسيماّ أنّه تحدث بكلام مثله أشار له السيد الشريف في (خ/ ٢٢٩)، فيكون المعنى أنهم تزاحموا وازدحموا عليه كما تزدحم الإبل عند الماء يوم وِرْدِها المخصص لها، ووجه الشَّبَهِ بين ازدحامهم وازدحام الإبل، هو الكثرة والاجتماع والتدافع فضلاً عن شدة الرغبة في الورود وهذا هو حال (الإبل) عند نزولها إلى الشِّرْب رغبةً في الماء. وأمّا تزاحم الناس على أمير المؤمنين فكان رغبةً فيه وعطشاً إلى وِرْدِ عَدْله، والنَّهْل من سماحته وخُلُقِهِ العالي الذي هو خُلُق القرآن الكريم وخُلُق النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم).

ثانياً: الدلالة على ركوب أعجاز الإبل دلالة على الذّلّة والمهانة.

ذلك قوله (عليه السلام) في سياق كلامه عن حقّه الذي أُخِذَ منهم. يقول أمير المؤمنين: ((**لَنَا حَقٌّ، فَأَنْ أُعْطِينَاهُ، وَإِلاَّ رَكِبْنَا أَعْجَازَ الإبلِ، وَأَنْ طَالَ السُّرَى**[٤]))[٥]. وحقوقهم المسلوبَةُ منهم كثيرة، ولَعَلّه يوميء هنا إلى حَقِّهم في الإمامة [٦]. وذلك إذا كان هذا الكلام قد صدر منه يوم السقيفة[٧]. فَأمّا إذا كان هذا قَد تكلم به

(١) التذَّوْدُ السَّوقُ والطَّرْدُ والمنع. ينظر: لسان العرب (ذود): ٣/ ١٦٧.

(٢) نهج البلاغة: خ / ١٠٧: ١٩٥.

(٣) نفسه: خ/ ٥٤:

(٤) السرُّى السَّيْرُ عامّة الليل. ينظر: تاج العروس(سري): ٣٨/ ٢٦١.

(٥) نهج البلاغة: قصا / ٢٢: ٦٠٢.

(٦) ينظر الديباج الوضي: ٦/ ٢٧٣٨.

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٨/ ١٠٧.

يـوم الشُّـورَى، كـما يُذكـر، فيكـون الحَـق الـذي يذكـره الإمـام هـو حقـه في الخلافَـة[١]. فاختلاف المناسبة والمقام يفسّر مفردات النص، فإنَّه لمّا انتهت إليه أنباء السّقِيفَة[٢]. بعد وفاة النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله) قال: ((**ما قالت الانصار؟ قالوا: قالت: منا أمير ومنكم أمير**. قال(عليه السلام): **فَهَلاَّ احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ: بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ(صلى الله عليه وآله) وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ، وَيُتَجَاوزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ؟ قالوا: وما في هذا من الحجّة عليهم؟ فقال**(عليه السلام): **لَوْ كَانَتِ الامارة فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ. ثم قال: فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ؟ قالوا: احتجت بأنها شجرة الرسول**(صلى الله عليه وآله)**.فقال**(عليه السلام): **احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ، وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ.**))[٣]. فَتراه يحتج في حادثة السقيفة (بالإمامة). ويكني نفسه وعن أهل بيته بـ (الثَّمَرةِ). وهذا يعني أنه يجعل من الإمامة منصباً أعلى وأرفع من الخلافة؛ التي أكره عليها الإمام بعدما مُنِع حَقّه، فبويع بالخلافة بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفّان. ولهذا أشار السيد عبد الزهراء الخطيب[٤] إلى أنّ قولَه: ((لَنَا حقٌّ...)) جزء من كلامه الذي تكلّم به لمّا عزموا على بيعة الخليفة عثمان[٥]، وهو قوله (عليه السلام): ((**لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي، وَوَاللهِ لاَسْلِمَنَّ مَاسَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ**

(١) نفسه.

(٢) هي سَقِيْفَةُ بني ساعدة التي اجتمع عندها المهاجرون والأنصار بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) لاختيار من خليفة وكان الإمام (عليه السلام) ومعه جماعة من المسلمين قد اعتزلوا هذا الاجتماع، ومنهم الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله. ينظر: السيرة النبوية (ابن هشام): ٦/ ٧٧..

(٣) نهج البلاغة: خ/ ٦٧: ١٠٥، ١٠٦.

(٤) قال السيد عبد الزهراء الخطيب إنّ ((هذهِ الكلمة وما رواه الرضي في الخطبة (٧٢) كلام واحد، وأنهّ (عليه السلام) قاله يوم الشورى)). مصادر نهج البلاغة وأسانيده: ٤/ ٢٣. وقد قصد السيد عبد الزهراء بخطبة (٧٢) ما قاله الإمام لما عزموا على بيعة الخليفة عثمان، وهي خ (٧٤).

(٥) ينظر: مصادر نهج البلاغة وأسانيده: ٤/ ٢٣.

يَكُنْ فِيها جَوْرٌ إلاَّ عَلَيَّ خَاصَّةً...)) (١). وهـذه المقدمة تفيد في الإبانة عن مناسبة النص التي لم يذكر الشريف الرضي شيئاً عنها، مكتفياً بشرحها.

البهائم

البهيمةُ اسم للذكر والأنثى من أولاد بَقَر الوَحْشِ، وضروب الغنم (٢). والبَهِيْمَةُ كل ذات أربعِ قوائمٍ من دواب البَرِّ والبَحْر. والجمع بَهَائم (٣). وقد وردت لفظة (البَهَائم) بصيغة الجمع على (فَعَائِل) سبع مراتٍ في نهج البلاغة، في حين جاءت لفظة (البَهِيْمة) أربع مرات فقط (٤). وذلك للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على (الجَمَل) الذي صار الواسطة التي أقلّت السيّدة (عائشة) في معركة الجَمَل.

ووصفه الإمام في قوله الآتي بـ (البَهِيْمَة) وذلك في سياق ذمِّ أهل البَصرة بعد وَقْعَة (الجَمَل)، إذ يقول أمير المؤمنين: **((كُنْتُمْ جُنْدَ المَرْأَةِ، وَأَتْبَاعَ البَهِيمَةِ، رَغَا فَأَجَبْتُم، وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ...))** (٥) وذم الإمام هذا من أشدِّ الذم على أهل البصرة؛ لأنّه جعلهم يأتمرون بأمْر المرأة، ويكونون جُنْداً لها، وهي قائد لهم في هذه المعركة، وهذا من أشدَّ التقّريع؛ لأنّ العربي يأنف بِطَبِيعتِه أنْ تقوده المرأة. فكأنَّ الإمام يقول لهم: إنكم لوكُنتُم بدرجة عالية من رجاحة العقل، وحُسْن التفكير والتّدبير ما تَوَلَّت أمركم امرأة، ولا قادتكم إلى الخروج على إمام الأمّة وقائدها. ثُمَّ رفعَ (عليه السلام) من مستوى ذَمِّهِم، بِأنْ جعلَهم اتباعاً (للبَهِيْمَة)، وهي (جَمَل) السيدة (عائشة) الذي

(١) نهج البلاغة: خ/ ٧٤: ١١٣، ١١٤.

(٢) ينظر: العين (بهم): ٤/ ٦٢، وتهذيب اللغة (بهم): ٦/ ١٧٨.

(٣) ينظر: العين (بهم): ٤/ ٦٢.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٦٦.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ١٣: ٤١.

يعد راية عَسْكَرِ البَصرة[١]، فقتلوا دُوْنَه كما تقتل الرجال تحت رايتها[٢]. ووَصَفَهم بـ(الأتّباع)؛ والتّابع هو التالِي والقائم على هوى غيره[٣]. وهذا المعنى يدلنا على شِدّة اللوم والتعنيف الذي وَصَفَهم الإمام به، لاتباعهم (بَهِيْمة) عجماء، لا تُمييز لها[٤]. أمّا إيثاره مفردة (بهيمة) على ما سواها من الألفاظ الدالة على الدواب، فلدلالتها على الإبهام وعدم التمييز. وهو يناسب حال المخصوص بالخطاب المخاطَبِيْن الذين اتبعوا بهِيمة لا تَمْيَز لها. وهذا دليل على أنّهم هم أدنى من البَهِيْمة في عدم التَّمِيِيْزِ، ومما يؤكد حالهم هذهِ إجابَتِهم لُرِغَائه، وهو صوْته[٥]. اشارة إلى طاعتهم العمياء له. وهو من أشْنَع اللّوم وأَدْخَل الذّم[٦]. وقد جعل (رغاء البَهِيمة)، كناية عن دعوتها لهم إلى القتالِ، لأنها جاءتهم راكبة عليه[٧] فعد علامة لدعوتهم وراية لحربهم. ويبدوأن الإمام افاد من التوظيف القرآني لمفردة (بَهِيْمَة) الواردة في قوله تعالى الذي يَفْتَتح به سورة (المائدة) إيذاناً بإباحة هذهِ البَهَائم للإنسان، وذلك قوله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ**﴾[٨] وقد ذكر المفسرون أنه إنما قيل: بَهِيْمَة، لأنّ كلَّ حَيٍّ لا يُمَيِّز، فهو بَهِيْمَة، لأنّه أبْهَم عن

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١/ ٢٣٥.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: العين (تبع): ٢/ ٧٨.

(٤) ينظر: لسان العرب (بهم): ١٢/ ٥٦.

(٥) نفسه(رغا): ١٤/ ٣٢٩.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٩٨.

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٩٨.

(٨) المائدة / ١.

أنْ التمييز[١]. وقيل: أن المراد بـ (بهيمة الأنْعَام) كل ذاتِ أربع في البرِّ والبَحرِ، ومنها الإبل والبقر والغنم[٢]. وقد استعمل الإمام (عليه السلام) لفظة (بَهائم) و (بِهَيمة) للدلالة على الإبل، وذلك في: (خ/ ١٤٣).

ثانياً: الدلالة على البَهائم من دواب الأرض.

وقد شاعت هذهِ الدلالة في نهج البلاغة، إذ أطلق مفردة (بَهِيْمة) دون أنْ يخصِّصْهَا بالدلالة على نوعٍ مُعَيَّن من هذهِ البَهائم، وذلك مناسبة للسياقات التي وردت فيها هذهِ اللفظة. مفرداً كانت أو جمعاً. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق الوصيّة بالعِبَادِ والبلاد: ((**اتَّقُوا اللهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلاَدِهِ، فَإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ**[٣] **وَالْبَهَائِمِ**...))[٤].أراد وصيّة أصحابه بكل ما في الأرض من عباد وبلاد، عاقل أو غير عاقل، حتى شملت وصيتّه البقاع من الأرض، وهي الأماكن المميزة عن غيرها من الأراضي، كأن تكون مشتملة على الزرع أو غيرها، والمراد باللفظ عامة البقاع لا خصوصها، مع العناية بالبُقْعَة المميزة من الأرض لاشتمالها على النبات. ولم تقتصر وَصِيَّتهُ (بالبِقَاع)، وإنما قَرَنَهَا بالمسؤولية الخاصة بـ (البَهائم) أيضاً. وهي دواب الأرضِ من الأنعام ذوات الأربع. ومسؤولية المخاطبين تجاهها، تظهر في ضرورة توفير العيش لها ورعايتها. وخَصّها بذلك؛ لكونها من الأحياء التي خلقها الله تبارك وتعالى لخدمة الإنسان وإطعامه. ومن نظير تلك الدلالة المتقدمة ما ورد في: (خ/ ١٥٣، ١٦٠، ١٨٦، ك/ ٢٥، ٣١، ٤٥، قصا/ ٤١٤).

---

(١) ينظر: التفسير الكبير: ١١/ ٩٧.

(٢) ينظر: الكشاف: ١/ ٦٣٥.

(٣) البِقَاع جمع بُقْعَة – بالضَّمِّ – وهي القِطعة من الأرضِ التي تختلف عن هيئة ما بِجَنْبِهَا من الأرض. ينظر: لسان العرب (بقع): ٨/ ١٨

(٤) نهج البلاغة: خ/ ١٦٧: ٣٠٤.

الجَمَل

الجَمَل البَازِل من الإبل كما يقول الخليل[١]. وَقيل: إنهّ يكون جَملًا إذا أَربع[٢] أي: طلعت رباعيته. وقيل: بل إذا أَجْذَع[٣]. وذلك إذا طَعَن وكبرُ في السَّنَة الخامسة من عُمْره[٤]. وقد وردت لفظة **(الجَمَل)** أربع مرات في نهج البلاغة، في الفاظ (جَمَلاً) و (جَمَلها) و (الجِمَال) بصيغة الجمع على (فِعَال) مرة واحدة لكلِ منها[٥]. وقد وظَّفَ الإمام (عليه السلام) المفردات المتقدمة التي تدل عند اللغويين على الذَّكَرِ من الإبل، أو على زَوْجِ الناقَة[٦]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على الجَمَل المعروف الذي هزُل، وصار ضَعِيفاً مُنْهكاً من كثرة ما حُمِل عليه، حتى ضجَّ مما يُثْقَله.

ومن ذلك قول أمير المؤمنين (عليه السلام) في سياق ردّه على كتاب لمعاوية؛ إذ يقول له الإمام (عليه السلام): **((وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائراً بِدَمِ عُثْمانَ، وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمانَ فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ أَنْ كُنتَ طَالباً، فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُّ مِنَ الْحُرْبِ إِذَا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ آلْجِمَالِ بِالأثْقَالِ...))**[٧]. وخِطَاب الإمام (عليه السلام) لمعاوية، خطاب تهديد ووعيد، ينفي فيه الإمام عن معاوية صدقه في الطّلب بدم الخليفة عثمان، ثُمَّ يصف حال معاوية، وهو يضِج من الحرب التي صوّرها الإمام بأنها تَعَض،

(١) ينظر: العين (جمل): ٦/ ١٤١، وتهذيب اللغة (جمل): ١١/ ٧٤.

(٢) ينظر: المحكم (جمل): ٧/ ٤٤٧.

(٣) نفسه

(٤) ينظر: لسان العرب (ربع): ٨/ ١٠٨.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٩٠.

(٦) ينظر: تهذيب اللغة (جمل): ١١/ ٧٤، ولسان العرب (جمل): ١١/ ١٢٣.

(٧) نهج البلاغة: ك/ ١٠: ٤٦٩.

إشارة إلى أذاها وألَمِها. وأمّا وَصْفُه بالضجيج، فالضّج والضُّجِيج الصِّياح عند المكروه والمشَقَّة والجزع[١]. كأنه يصيح من ألَمِ الحرب التي عَضَّتْهُ كَصِيَاحِ الجمل من حَمْلِ الأثقال. وضجيج الجِمَال جَلَبَتُهَا وفَزَعُهَا من ثَقْلِ الحَمْل عليها[٢]، والتشبيه هنا قائم على ما يصدر من معاوية من ضجيج وتَبَرُّمٍ من ثقل الحرب وعدم قدرته عليها، وعلى منازلة الإمام كما يَضجّ الجَمَل من أثقاله[٣]. ولا يكون ذلك في (الجِمَال) الاّ إذا كانت واهنة لا تستطيع أنْ تقوم بما عليها. ولهذا استعمل (عليه السلام) مفردة (الجِمَال)؛ لمناسبتها حال معاوية في ضجيجة من الحرب التي صوّرها له بهيئة السَّبْعِ العَقُور في عَضَّته وإيلامهِ[٤]. حينما يهاجم الجِمَالَ المُثْقَلَةِ بأحمالها، وهو مايزيدها ثقلاً وإبطاء، فضلاً عمّا بها من كِبر سِنٍّ وبزل. إلاّ إذا بَزُلَ كما يذكر أهل اللغة[٥]. والبَزْل في البَعِيرْ انفطار نَابِه، وذلك إذا بَلَغ الثامِنَة من عمره أو التاسعة[٦]. فيكون حينذاك من الإبل الطاعنة التي لا فائدة منها. فشبه (عليه السلام) حال معاوية في ضعفه وعجزه عن مقاتلته الإمام ومواجهته في الحرب بحال الجمل البازل الضعيف الذي طعنه كبر سنّه.

أقول: ونظير دلالة لفظة (جِمَال) على الضجيج والوهن وعدم الفائدة والجزع، فضلاً عن الضَّعف والاعتلال. ما ورد في: (خ/ ٣٩، ٢٤٠، ك/ ٢٨، ٧١).

---

(١) ينظر: لسان العرب (ضجيج): ٢/ ٣١٢.

(٢) ينظر: أساس البلاغة (ضجيج): ١/ ٣٧١، وتاج العروس (ضجيج): ٦/ ٧٥.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ٢٠٨.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: العين (جمل): ٦/ ١٤١، والمُغْرب في ترتيب المعّرب: ١/ ١٦٠.

(٦) ينظر: لسان العرب (بزل): ١١/ ٥٢، و (ربع): ٨/ ١٠٨، و(جمل): ١١/ ١٢٣.

ثانياً: الدلالة على الجَمَل[١] الذي اتخذته السيدة (عائشة) واسطة لها في حربها على الإمام (عليه السلام).

وقد ذكر الإمام هذا (الجَمَل) الذي صار رمزاً لحَرب ناكثي بيعته. حتّى صار (يوم الجَملِ) علامة على تلك الوَقْعَةِ التي انتصر فيها الإمام عليهم بالبصرة. ولما حصل في هذا اليوم من انهزام وانكسار لهؤلاء، فقد استعمل الإمام تعبِير (يَوْم الجَمَل)، في مقام التهديد والوعيد بِأَن يصير حال (أهل البَصْرَة) من أصحاب الآراء الجائرة المنابذين للإمام، كحالِ أصحاب الجَمَل الذين انتهى أمرهم بأسرع ما يكون. يقول أمير المؤمنين: ((... **وَلَئِنْ أَلْجَأْتُمُونِي إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ، لاَ وقِعَنَّ بِكُمْ وَقْعَةً لاَ يَكُونُ يَوْمُ الْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلاَّ كَلَعْقَةِ** [٢] **لاَعِق، مَعَ أَنِّي عَارِفٌ لِذِي الطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ، وَلِذِي النَّصِيحَةِ حَقَّهُ...**)) [٣] والنص ذِكْر لحالِ أهل البصرة ومواقف الإمام معهم، على الرغم مّما فعلوه معه منابذة ومخالفة وشِقاق، حتى أَلجؤوه إلى حربهم، فذكّرهم بما صَنَعَهُ (يَوْمَ الجَمَلِ) محاولة لإرجاعهم إلى الحق، والتوبة عند علمهم ببقائه مستعداً لقتالهم [٤] مع كون ذلك ليس هيناً عليه، وذِكْرهُ (يَوْمَ الجَمَلِ) إشارة إلى ما فعله بالناكثين الذين شَتَّت شَمْلَهُم ولم يَسْلَمُ منهم الاّ مَنْ فرَّ منهم. فكأنّ الإمام (عليه السلام) استعمل لفظة (الجمل)؛ إشارة إلى ما سيجري عليهم من أذى لَحِقَ الجَمَل وأصحابه وقد عَبّر عن ذلك بلفظة (لَعْقَةِ) للدلالة

(١) ومن ناقلة القول الإشارة إلى أنّ اسم الجَمَل الذي كانت عليه السيدة (عائشة) هو (عَسْكَر). ينظر: المغرب في ترتيب المعّرب: ١/ ١٦٠. ولكن غلب لفظ (الجَمَل) على هذا الاسم حتى صار معهوداً عند السامعين عند ذكر كلمة (الجمل).

(٢) اللَّعْقَة – بالفتح – المرة الواحدة من اللّحْس. وهو لفظ يدل على كل ما يلعق من دواء أو عَسَلٍ. ينظر: لسان العرب (لعق): ١٠/ ٣٣٠.

(٣) نهج البلاغة: ك/ ٢٩: ٤٩٤.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ٢٤٩.

على سُهُولة الإيقاع بهم[١]. يلبَث فيها الإمام وجنده كلعقة طعامٍ، فكيف يكون حال أهل البصرة الذين هم أقل شأناً وعدداً. ونظير توظيف مفردة (الجَمَل) في الدلالة على الدَّابة التي اتخذت واسطة في السَّيْر إلى نَكْث بيعة الإمام (عليه السلام)، ورمزاً في التأليب عليه حتى سميت المعركة باسمه ما أورده الإمام في مقام الأذكار والتحذير لِمَنْ ثَبَّطَ الناس عن الخروج معه إلى معركة الجمل. وذلك في(ك/ ٦٣).

دابّة

قال الخليل: ((كل شيءٍ مما خلق الله يسمّى دَابّة))[٢]. وهي اسم لما يركب[٣]. وقيل: ويدبّ من الحيوان تمييزاً عن غَيْره من المخلوقات[٤]. واستعمل الإمام مفردة (دَابَّة) مرتين في نهج البلاغة،في حين جاءت لفظة (دَابّتهُ)، و(دَوَابنا) بصيغة الجمع على (فَعَال) مرة واحدة لكل منهما[٥]. للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدَّابّة المعروفة التي يُركب عليها.

ومن ذلك قوله في وصيَّتِه لعّماله على الخِرَاج: ((**وَلاَ تَبِيعُنَّ لِلنَّاسِ فِي الْخُرَاجِ كِسْوَةَ شِتَاء وَلاَ صَيْف، وَلاَ دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ**[٦] **عَلَيْهَا**))[٧]. والدّابَّة هي التي تستخدم في أعمال النّاس، سواء في الزّراعة أو حَمْل أمتعتهم، وغيرها، كالحِمار و البِغال.

---

(١) ينظر: الديباج الوضي: ٦/ ٢٢٦٥.

(٢) العين (ديب): ٨/ ١٣.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: لسان العرب (ديب): ١/ ٣٦٩، وتاج العروس (دبب): ٢/ ٣٩٢.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٥١.

(٦) يَعْتَمِلُون عليها، أي يتخذونها وسيلة في العمل التقوم بما يحتاجون اليه من أعمال. ينظر: لسان العرب (عمل): ١١/ ٤٧٥.

(٧) نهج البلاغة: ك/ ٥١.

وجاءت هذهِ اللفظة مفرداً نكرة في هذا السياق؛ للدلالة على مطلق الدواب التي تستعمل في أمور الخِدْمَة. ولهذا نهى الإمام عمّاله من إحواج الناس إلى بَيع ما يلزمهم من كِسوة أو دابَّة يحتاجونها في العمل. ومن ذلك لفظة (دَوَابنا) التي استعملها الإمام في دعاء الاستسقاء للدلالة على عامّة الدواب التي أصابها الهيام والعطش في (خ/ ١١٥) واستعملها بصيغة الجمع لبيان الكثرة والتّنَوّع كما يبدو، وذلك لمكان السياق الذي يتحدث فيه الإمام.

ثانياً: الدلالة على الرِّجْلَيْن من الإنسان.

وقد استعار الإمام لفظة (دابَّة) لِرِجْلَي النبيِّ عيسى(عليه السلام) في إشارة إلى الاستغناء عن الدواب في تَنَقُّله، زهداً ورغبة عن ذلك؛ إذ يقول في وَصْف حال النبّي عيسى: ((... **دَابَّتُهُ رِجْلاَهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ**))[١]. فَرِجْلَاه ويداه هي ما يَعْتَمِل به النبي (عيسى) في أعماله، كأنّه رغب عن الإفادة من (الدَّابّة) و(الخادم) تركاً للدنيا، وإعراضاً عنها. ويبدو أنّ استعمال لفظ (دابّة) والتعبير بها عن رِجْلَي النبي في هذا المقام جاء للمناسبة بين (الدابّة و الرجّل)، من جهة الدلالة على المَشْي؛ فلفظ (دَابَّة) مأخوذ من (الدَّبِيْب)، وهو في اللغة المَشْي على هيئة مُعَيّنَةَ[٢]. والدَّبُّ الضَّرْب[٣]. كأنّ الدَّابّة اذا مشت تَضرْب برجليها الأرَض بهيئة معينة معروفة ومن هنا جاءت المناسبة في وصف الرجلين بالدّابّة.

ثالثاً: الدلالة على الدواب عامّة.

وهي كل ما دَبَّ على الأرض سواء أكان عاقلاً أم غيرعاقل. وجاءت هذه

(١) نهج البلاغة: خ/ ١٦٠: ٢٨٣.

(٢) ينظر: لسان العرب (دبب): ١/ ٣٦٩.

(٣) نفسه.

الدلالة في سياق كلامه عن قدرة الله تبارك وتعالى، وانفراده بالعَظمة،وأنّ مصير الخلائق كلها اليه. يقول: ((بِيَدِكَ نَاصِيَةُ[١] كُلِّ دَابَّة، وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَة))[٢]. أراد (عليه السلام): أنّ الله جل جلاله بيده قَبْضَته – وهوُ مَنّزه عن الجوارح – ماشاء من مصائر الخَلْق جميعاً، فذكر لفظ (ناصية) وأضافها إلى (كُلِّ دَابَّة) لإرادة العموم، وتحقيق القدرة على إذلال هذهِ الدَّواب عند انتهاء مصائرها اليه. واستعماله مفردة (ناصِيَة) تفيد الدلالة على هذا المعنى، فهذا الموضع من الإنسان وبقيّة الدواب، يمثل محل العُلُو والكبرياء والشَّرف فيهما. فقصد الإمام (عليه السلام) الدلالة على أنّ سلطان الله تبارك وتعالى فوق كلِّ شيء، فيكون سلطانه تعالى على أشرف محل في هذه الدواب دليلاً على القَهْر والغَلَبة وتمام القدرة[٣]. ويبدو أنّه(عليه السلام) قد أخذ هذا التعبير من القرآن الكريم الذي يقول فيه الله تبارك وتعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آَخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٤]. وقد ذكر المفسرون أنّ أخذ الدواب (بالنّاصِية) في الآية المباركة علامة على قبض القادر المالك على من يقدر عليه. كما يقاد الأسير والفَرَس، حتى صار الأخذ بالنّاصية عُرفاً في القُدْرة على الحيوان وغيره[٥]. وكانت العرب تَجزّ ناصية الأسير المَمْنُون عليه؛ لتكون علامة أنّه قُدِر عليه، وقُبِض على ناصيته[٦].

(١) النّاصِيَة مَنْبَتُ الشّعر في مقدّم الرأسِ. وقيل: بل هو قصاص الشعر في هذا الموضع. وسُمّي (ناصية) لنباته في مقدم الرأس. ينظر: تهذيب اللغة (عضو): ١٢/ ١٧١، ولسان العرب (نصو): ١٥/ ٣٢٧.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ١٠٩: ١٩٩.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥١٩.

(٤) هود/ ٥٦.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز: ٣/ ١٨١.

(٦) نفسه.

ناقة

النَّاقَة الأنثى من الإبل[١]. وتسمّى النّاقة ناقةً إذا جُذعت[٢].

وقد وردت لفظة (ناقة) مرتين في نهج البلاغة[٣]، للدلالة على الناقة المعروفة، وهي أنثى الإبل، وذلك في سياقين مُنْفصلين؛ الأول يتحدث فيه الإمام عن (ناقة ثمود) كما يُسميها، أو ناقة النبي صالح (عليه السلام) كما تُسمّى في المدونات الإسلامية[٤]. يقول الإمام علي في سياق النُّصح والإرشاد والتّحذير من الرِّضا بالظلم والطغيان والسكوت عليهما ((...**إِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللهُ تَعَالَى بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾**[٥]...))[٦]. يوظف الإمام القصة القرآنية المتعلقة بناقة نبي الله صالح (عليه السلام) مثلاً في النهي والتحذير من السكوت عن أعمال الباطل والقبول بها. لأنّ الساكت عن الظلم راضٍ به بحسب نظر الإسلام. وهو ما يؤكده الإمام في كلامه. واستعماله لمفردة (ناقة) دون غيرها من الألفاظ الخاصة بالإبل في هذا السياق جاء لأنّه يتحدث عن القضية المرتبطة بالناقة في القرآن الكريم، مع ملاحظة ما توحيه لفظة (ناقة) من التَّرويض والتّذليل. فالمُنوّق هو المُروّض المذلل من الجِمال[٧]. فكأنّه قد أُحْسِنَت

(١) ينظر: لسان العرب (نوق): ١٠/ ٣٦٢، وتاج العروس (نوق): ٢٦/ ٤٤٠.

(٢) أنفسهما.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٦٤.

(٤) ينظر: الكشاف: ٢/ ١١٣، والمحرر الوجيز ٢/ ٤٢٠.

(٥) الشعراء/ ١٥٧.

(٦) نهج البلاغة: خ/ ٢٠١: ٤٠٢.

(٧) ينظر: تهذيب اللغة (نوق): ٩/ ٢٤٣، ولسان العرب (نوق): ١٠/ ٣٦٢.

رياضَته فصار كالنّاقة [١]. ولهذا يقال في الأمثال: ((اسْتَنوَقَ الجَمل))[٢]، إذا أريد التعبير عن ذل البعير وسهولة ركوبه. فكأنّه صار كالنّاقة في ذُلّها وسهولة مركبها[٣]. كأنّ أمير المؤمنين(عليه السلام) من خلال سرد هذهِ القصة القرآنية يُوميءُ إلى أنّ الثموديين قد أظهروا جبروتهم وطغيانهم وسلّطوها على (الناقة)، وهي من أضعف الدواب وأذلّها التي أخرجها الله لهم، وقد عاقبهم الله تبارك وتعالى وأر كَسَهم بسببها. يقول جل جلاله في قصة النبي (صالح) التي حكاها الذكر الحكيم في قوله: ﴿**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[٤]. وقد أتى النبي (صالح) (ثمود) يدعوهم إلى الله تبارك وتعالى، فلم يَتْبعه إلا قليل منهم، فحذّر الباقين وأنذرهم، فَسَألوه آية ناقةً تَخْرج من صخرةٍ في الجبل، فإن فَعَلَ لهم ذلك صدّقوه وأجابوه، فَصَلّى ودعا ربّه، فتَمَخَّضت الصَّخرة تمخّض النّتاج بولدها، فانصدعت عن ناقة كما أرادوا[٥]. ثم قَسّم لهم النبي بأمر الله شرب أنعامهم وشرب الناقة. ولكنهم ما لبثوا أن عَقَروها، واقتسموا لحمها[٦].

وإنما أضيفت مفردة (الناقة) إلى (اسم الجلالة) في القرآن الكريم تشريفاً لها وتخصيصاً من إضافة الخلق إلى الخالق حسبما يذكر المفسرون[٧]. فإنها آية من الله

---

(١) ينظر: تاج العروس (نوق): ٢٦ / ٤٤٢.

(٢) مجمع الأمثال: ٢/ ٩٤، وجمهرة الأمثال: ١/ ٨، والمستقصى في أمثال العرب: ١/ ١٥٨.

(٣) ينظر: مجمع الأمثال: ٢/ ٩٤، ولسان العرب (نوق): ١٠/ ٣٦٢.

(٤) الاعراف / ٧٣، وينظر: هود ٦١.

(٥) ينظر: الكشاف:٢/ ١١٣، والمحرر الوجيز: ٢/ ٤٢٠.

(٦) أنفسهما.

(٧) ينظر: المحرر الوجيز: ٢/ ٤٢٠.

تبارك وتعالى، ولهذا غَضَب الله على (ثمود) لماّ عقروها[١]. قال تعالى: ﴿**فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا**﴾[٢]. وكان عاقر النَّاقة رَجُل واحد من ثمود كما يُروى[٣]، ولكن الله تبارك وتعالى نسب (العَقْرَ) اليهم جميعاً؛ فقال (فَعَقَرُوها) بالإسْنَاد إلى الجمع، في إشارة إلى رِضاهم، وقبولهم بهذهِ الفِعْلة. وهو ما ذكره الإمام (عليه السلام) في كلامه مُسْتعيناً بالوصف القرآني للقصّة، في مقام النهي عن القبول بالظلم والبغي والسكوت عنهما؛ لأنّ ذلك يدل على إقرار الناس الظالمين على ظلمهم، فلا يكون للنَّدم - عند ذاك- فائدة تُرجى. ولهذا احتجَّ (عليه السلام) في ثنايا كلامه بقوله تعالى في وَصف ندم ثمود. ﴿**فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ**﴾ [٤]. ولكن الله تعالى خَسَف بهم الأرض عقاباً لهم على عدم طاعة الله ورسوله، فقال الإمام مُعلقاً على عذاب ثمود:((**فَمَا كَانَ إِلاَّ أَنْ خَارَتْ**[٥] **أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ**[٦]...))[٧].وهذا الكلام هو تَفْسير و بَيَان لقوله تعالى في شأن عذاب الله لثمود: ﴿**فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[٨]. وقد وردت لفظة (ناقة) بالدلالة المتقدمة نفسها، أعني كونها انثى الإبل، بوصفها إحدى وسائط النقل في ذلك الوقت في (ك/ ٢٥).

---

(١) نفسه.

(٢) الشمس / ١٤، ١٥.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٢/ ٤٢٠.

(٤) الشعراء / ١٥٧.

(٥) أصل الخوار صوتُ الثّور، والخوار الصياح. ينظر: لسان العرب (خور): ٤/ ٢٦١.

(٦) الخسف سؤوخ الأرض بما عليها. ينظر: لسان العرب (خسف): ٩/ ٦٧.

(٧) نهج البلاغة: خ / ٢٠١: ٤٠٢.

(٨) الشعراء / ١٥٧.

البَعِير

البَعِيْر لفظ يقع على الجمل والنّاقَةِ معاً [١]. والعرب تقول: هذا بَعِيرْ، ما لم يَعْرِفُوا جِنْسه، فإذا عرفوا. قالوا للذكر جَمَلٌ، وللأُنْثَى نَاقَة [٢]. مثلما يقولون (إنسان) إذا لم يَعْرفوا جِنْس القادم، فإذا عُرِف، قيل للذكر رَجُل،وللأنثى امرأة [٣].

والبَعِيْر هو الجَمَلُ البازل[٤]، وهو الذي كبر سنه حتّى انفطر نابه، وبَزُل. ويكون ذلك إذا استكمل البعير السّنة الثامنة من عمره، وطعن في التاسعة [٥]. وقد وردت لفظة(البَعِيْر)في نهج البلاغة مرة واحدة [٦]. دالة على البَعيرْ المعروف،وهو الجَمَل الذي استعمل واسطة للنقل والتّرحال. وجاءت المفردة المتقدمة في سياق حديث الإمام عن الملاحم وما ينتج عنها من (بَلاَءٍ)؛ إذ يقول:((... **ذَاكَ إِذَا عَضَّكُمُ الْبَلاَءُ كَمَا يَعَضُّ الْقَتَبُ غَارِبَ**[٧]**الْبَعِيرِ**...))[٨]. وقد جعل البلاء يعضُّ الإنسانَ، آخذاً مفردة (عَضَّكم) التي تعد من لوازم الحيوانات الجارحة المسبّبة للاذى كالأسد وغيره، فاستعملها(للبلاءِ)؛لاظهار تمكُّنه من الناس لبيان شِدّة الألم الذي يُضْفِيه هذا البلاء على الناس[٩]. واللّافت للنظر أنّ أمير المؤمنين جعل(عَضَّ البلاء)في هذا

(١) ينظر: تهذيب اللغة (بعر): ٢/ ٢٢٩.

(٢) ينظر: العين (بعر): ٢/ ١٣٢.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: لسان العرب (بعر): ٤/ ٧١.

(٥) نفسه (بزل): ١١/ ٥٢.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٥٧.

(٧) الغارب الكاهِل، وهو ما بين السَّنام والعُنُق مِن البعير. ينظر: تاج العروس (غرب): ٣/ ٤٧٩.

(٨) نهج البلاغة: خ/ ١٨٧: ٣٤٨.

(٩) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ١١١.

السياق مُشْبِهاً لِعَضِ (القَتَبِ)،وهو إكاف البَعِيْر الذي يوضع على قَدر سنامه[١]. إشارة إلى أن الرّحل عند وَضعِه على السَّنَام يعض كاهل البَعِير،لشدَّه ما يُعْقَد عليه اتقاء لسقوط الراكب.

أمّا أنه استعمل مفردة (البَعِيْر) في هذا النّص دون أن يستعمل مفردة أخرى دالة على هذا النوع من الدّواب، فيبدو أن كلامه عن البلاء الذي يعد من لوازمهِ إنهاك النَّاس والتشديد عليهم، مما يزيد في عنَائهم، ويضْعِف قولهم حتّى يصير الشَّاب منهم بمنزلة الكَهْلِ من الضَّعْف وقِلَّة الحِيْلَة في تحمُّلِ مَشَاقِ هذهِ البلايا. وهذا الحال تبدو مشابهة ومناسبة لحال (البَعِيْر) الذي عَضَّه الرَّحْل وأكل من سَنَامه، فزادَه ضَعْفاً إلى ضَعْفه. فالبعير في اللغة هو ما كبر سِنّه وأنْفطَر نابه من الهرم، وذلك إذا صار في التَّاسِعَةِ من عُمْرِه[٢]. وثَمَّةَ وجه آخر محتمل عندي في إيثار الإمام لفظة (البَعِيْر) في هذا النص، وهو أنّ البعير غالباً ما يكون صعباً غير هادئ الطّبع، فلهذا يحاول صاحبه أنْ يَتَلَطَّفَ معه بأنْ يؤنسه بِإمْرار يدهِ عليه وبمسحِ غارِبه حتى يَسْتَأنِسَ كما يذكر اللغويون[٣]. فكأنّ (البلاء) الذي يذكره الإمام في هذا النص هو مما يَتَلَطّف به الله تعالى على العِباد، ومما يُؤْنِسُهُم به تَخْفِيْفاً عّما يصيبهم في الآخرة. مع أنّ جُلَّ الناس لا يفهمون هذا الضَّرب من التَّلَطُّف والإيناس، إلاّ الخاصة منهم.

---

(١) ينظر: لسان العرب (قتب): ١/ ٦٦١.

(٢) ينظر: نفسه(بزل): ١١/ ٥٢.

(٣) ينظر: تاج العروس (غرب): ٣/ ٤٧٩.

العَجْمَاء

العَجْمَاء كُل دَابَّة أو بَهِيْمَة [١]. قيل لها عَجْماء؛ لأنها لا تتكلم [٢]. وقد استعمل أمير المؤمنين لفظة (العَجْمَاء) مرة واحدة في كلامه الوارد في نهج البلاغة [٣]، للدلالة على البَهيمة أو الدَّابة التي لا تَنْطق ولا تتكلّم. وذلك في سياق كلامه عن فضل أهل البيت (عليهم السلام)، وعن منزلته بين القَوم. يقول (عليه السلام): ((**بِنَا اهْتَدَيْتُمْ في الظَّلْمَاءِ، وَتَسَنَّمْتُمُ** [٤] **ذُرْوَةَ** [٥] **العلْيَاءَ** [٦]**، وبِنَا أنْفَجَرْتُم** [٧] **عَنِ السِّرارِ** [٨]**، وُقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الوَاعِيَةَ** [٩]... **اليَوْمَ أنْطِقُ لَكُمُ العَجْمَاءَ ذاتَ البَيَان! عَزَبَ** [١٠] **رَأْيُ امْرِىء تَخَلَّفَ عَنّي**...)) [١١]. وهذه الخُطْبة من أفصح كلام الإمام كما يقول السيد الشريف الرضي [١٢]. وقد أراد (عليه السلام) بـ (العَجْمَاء) -هنا- الحُجَّة البيّنَه التي لم يفهموها أو يعوها، لأنهم لم يسمعوا نداءه لهم، ولم يَمْتَثِلُوا لأمْرِه، ولهذا عبّر (عليه السلام) عن ندائه ودعوته لهم بالصُّراخ على الميِّت الذي لا يسمع واعيته والنّدبة عليه؛ فليس

(١) ينظر: العين (عجم): ١/ ٢٣٧.

(٢) ينظر: غريب الحديث (أبو عبيد): ١/ ٢٨١، وتهذيب اللغة (عجم): ١/ ٢٤٩.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٩٣.

(٤) تَسَنَّمَ الشيء علاه. ينظر: لسان العرب (سنم): ١٢/ ٣٠٧.

(٥) ذُرَى الشي أعلاه. ومنه تَذَرّى السَّنام، إذا شرف وعلا. ينظر: أساس البلاغة (ذرى): ١/ ٢٠٤.

(٦) العَلْيَاءُ رأسُ الجَبَل. ومنِ ثَمّ قيل لكل ما علا عَلْيَاء. ينظر: المحكم (علو): ٢/ ٣٥٣.

(٧) انَفَجر الُّبْحُ، إذا طلع، وأفْجَرُوا، إذا دخلوا في الفَجْر. ينظر: المحكم (فجر): ٧/ ٣٩٥.

(٨) لبسرَّار الليلة التي يَسْتسِرُّ فيها القَمَرَ. ينظر: المحكم (سرر): ٨/ ٤٠٦.

(٩) أصل الواعِيَة من الوَعى، وهو الجَلَبَة، ثم دَلّت على الصَّراخ على المَيّت. ينظر: المحكم (وعي): ٢/ ٣٨٥.

(١٠) عَزَبَ يَعْزُبُ، إذا ذهب، وغاب. ينظر: لسان العرب (عزب): ١/ ٥٩٦.

(١١) نهج البلاغة: خ/ ٤: ٣٤، ٣٥.

(١٢) نفسه: ٣٤.

لهؤلاء سمع ولا فَهْم. وقد كنى بـ(الواعية) عن نفسه، لأنّه صاحَ فيهم بالمواعظ الحسنة فلم يقبلوا. ولم يفهموا لها بيان[١]. أما قوله ((**اليوم أنْطِقُ لكم العَجْماءَ ذاتَ البَيانِ**)). (فالعَجْماء) في اللغة البَهيْمَة والدَّابّةُ. وإنما سُمِّيَت بذلك لأنّها لا تتكلم. كما يذكر اللغويون[٢]. ويبدو أنّ المعنى بهذهِ الدلالة لا يناسب سياق النص، فيمكن أنْ تكون مفردة (العَجْماء) دالة على الحُجَّة والبَيَان الذي أراد الإمام إظهاره لهؤلاء القوم الذين يخاطبهم، فكأنّ الحُجّة بمنزلة الدَّابة العَجْماء لدى المخاطبين الذين لا يَفْقَهُونَ من كلامه شيئاً. فلهذا يُحتملُ أنّه استعار مفردة (العَجْماء) التي تدل على الدابّة أو البهيمة التي لا تتكلّم في هذا المقام؛ لِيظْهِر أنّه سَيَفْتَحَ لهم مغاليق البراهين والحجج الدّامغة، ويَضع أمامهم الأدلة غابت عن فَهْمهم وإدراكهم؛ فَتَصَوَّروهم عَجْماء لا سبيل إلى فَهْمِ معاني رغائها وهَدْرِها. ولهذا وَصَفَ (عليه السلام) هذهِ (العَجْماء) بأنها (ذاتَ البَيَان). كأنه أراد القول إنها بَيّنَة واضحة، ولكنهم صُمّوا وعُمّوا عن فهمها وتَدّبُّرها.

علاوة على أنّ الإمام (عليه السلام) قد استعمل الفعل (أنْطِق) مَبْنيّاً للمجهول، إشارة إلى أنّه سيجعلها تُنبئ عما لم يفهموه، ويفتح ما فيها معاني، لأنها ليست مُبْهَمة إلاّ عليهم. وقد ذهب شُرّاح نهج البلاغة في بيان كلامه سالف الذكر؛ مذهبين يختلفان في التعبير ويتفقان المضمون؛ فالأول يرى أنّ المراد بـ (العَجْماء)، هي الرموز التي تضَمَّنتها هذهِ الخطبة، فإنها خفيّة غامِضة، وهي مع غموضها جَلِيّة لأولي الألباب، وتنطق كما الألسنة، عِبَر ومواعظ تُخبِر عن نفسها[٣]. أما المذهب الثاني، فيرى أن (العجماء) كناية عن الحال التي يُشَاهدها المخاطبون من العِبَرِ الواضحة، والمُثلات

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٨٦.

(٢) ينظر: غريب الحديث (أبو عبيد): ١/ ٢٨١، وتهذيب اللغة (عجم): ١/ ٢٤٩.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١/ ٢٠٢.

التي حَلَّت بِقَومٍ فَسَقُوا عن أمرِ ربّهم، ونواهيه التي أمرهم بها الإمام (عليه السلام). مشبهاً إياها (بالعَجْماء) من الحيوان، على سبيل الاستعارة، ووصفها بـ (ذات البيان)؛ لأنه أنطقها معبراً بلسانه عما تقتضيه من مقال[١]. وبهذا تكون مفردة (العَجْماَء) مُتَّسعَة الدلالة؛ إذ انتقلت من الدلالة على الدابة أو البهيمة غير الناطقة، إلى الدلالة على الحجج والبراهين والدلائل. وثَمّة احتمال آخر تحتمله لفظة (العَجْماء)، فيمكن أنْ تكون صفَةً لموصوف محذوف تقديره ((الكلمات العَجْماء))، إشارة إلى ما تضمّنه كلامه (عليه السلام) في هذه الخطبة. وقد شبّه هذهِ الكلمات العجماء بالبهائم الّتي لا نُطْقَ لها[٢]. وهذا الوجه قريب من المذهب الذي يرى أن (العَجْماء) هي الرموز والاشارات التي تضمنها كلامه (عليه السلام) في الخطبة المتقدمة.

٤ـ الفاظ قيود الإبل وأزمتها

زمام

الزِّمام الخيط أو الحَبْل الذي يوضع في أنف النّاقة[٣]. وهو الذي يجعل في بُرَّة النّاقة أو البعير، أو في خِشَاشتها، ثم يُشَدُّ في طرفه المِقْود[٤]. وربما سُمِّي المقودُ زماماً[٥]. وقد شاع استعمال مفردة (**زمام**) باشتقاقات متعددة في نهج البلاغة، فقد استعملت لفظة (أزِمّة) بصيغة الجمع على (أَفْعِلَة) ثمان مرات؛ اثنتان منها أُضِيْفَت فيها المفردة إلى ضمير الغائبة، وواحدة إلى ضمير المخاطب. في حين جاءت لفظة

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٨٨، والديباج الوضي: ١/ ٢٣٢.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٨٨.

(٣) ينظر: العين (زم): ٧/ ٣٥٤، وتهذيب اللغة (زم): ١٣/ ١٢١.

(٤) ينظر: جمهرة اللغة (زمم): ١/ ١٣١، ولسان العرب (زمم): ١٢/ ٢٧٢، وتاج العروس (زمم): ٣٢/ ٣٢٨.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٠٢.

(زِمَام) بصيغة المفرد سبع مرات ثنتان منها مضافة إلى ضمير الغائبة، وواحدة مضافة إلى ضمير الغائب[١]، وذلك للدلالة على (زِمَام) الدّواب التي تقاد بها، ولكنه (عليه السلام) أخذه من هذا المجال الدلالي إلى مجالات أخرى، على سبيل تشبيهها بالإبل التي تُقَاد بأزِمتِها. ومن ذلك قوله في سياق حديثه عن شجاعته وعدم وهنه مخاطباً أخاه (عقيلاً): ((... **وَلاَ تَحْسَبَنَّ ابْنَ أَبِيكَ ـ وَلَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ ـ مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً، وَلاَ مُقِرّاً لِلضَّيْمِ**[٢]**وَاهِناً**[٣]**، وَلاَ سَلِسَ الزِّمَامِ لِلْقَائِدِ**...))[٤]. يريد أنّه (عليه السلام) ليس بالسّهولة التي يتصورها الاعداء حتى وأنْ أسلمه الناس وتخلّوا عنه، فإنّه لا يُقِرّ للظلم ولا للضَّعْف يكون سهل القياد. فاستعمل لفظ (الزِّمَام)؛ من باب نفي التَّشَبّه بالبَعِيْر الذَّلُول الذي يَسْهُلُ قياده، ولهذا قال: ((وَلاَ سَلِسَ الزِّمَام...)). أي ليس من الهيَّن قيادة وتَوْجِيهه حسبما يريد الآخرون. وقد أشار الشُّرَّاح إلى نظير هذا المعنى في كلامه (عليه السلام) المتقدم[٥].

وقد أورد الإمام مفردات (أزِمَّتها، وأزِمَّة، وأزمتكم، وزمام) للدلالة على ما تقاد به الأمور وذلك كله على سبيل الاستعارة التي جاءت في (خ/ ٩٦، ٨٧، ١٦، ١٠٦، ١٣٣، ١٦٥، ١٩١، ١٩٥، ٢٢٧، ٢٣٧، وقصا/ ٣٧٨).

(١) نفسه: ٢٠٢.

(٢) الضّيْم الظّلْم. ينظر: لسان العرب (ضيم): ١٢/ ٣٥٩.

(٣) الوَهْن الضَّعْفُ. ينظر: لسان العرب (وهن): ١٣/ ٤٥٣.

(٤) نهج البلاغة: ك/ ٣٦:

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٦/ ١١٨، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٣٠٠، والديباج الوضي: ٥/ ٢٤٠٧.

خِطَامها

الخَطْم مُقَدَّم أنْف البعير وفَمه[١]. وهو ما يوضع فيه (الخِطَامُ)، وهو حبل يُجْعَل في شفَار من حَدِيْد يُجعل في خَطْم البَعِيْر[٢]. وقيل: هو كل ما وُضع في أنْف البَعِير ليُقَاد به[٣]. وقد وصف ابن الأثير (الخِطَامَ) بتفصيل دقيق، فذكر أنّ الخِطام حَبْل من لِيْف أو شعر، أو كِتَّانٍ يُجْعَل في أحد طرفيه حَلْقَة، ثم يشَد فيه الطرف الآخر من الحَبلِ حتى يَصِيرَ كالحَلْقَة فيُقلّدُ به البَعِير، ثُمّ يُثْنَى على مَخْطَمه[٤]. وقد تكررت لفظة (خِطَامها) ثلاث مرات في نهج البلاغة[٥]. للدلالة على خطَام النّاقَة الذي يُشَدُّ على خِطْمها. وقد وظّف الإمام هذه المفردة في سياقات ناقلاً إياها من مجالها الدلالي الذي تشتغل فيه بوصفها من لوازم قياد الدّابة. موظفاً إياها في الدلالة على البَلِيَّة والفِتْنَة التي تنمو مضطربة هَوْجَاءَ، يريد بذلك فِتَن بني أُمّية، وبقية الفِتن التي تعثر بخطامها. ومن ذلك قوله في سياق التّحذير: ((**وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمُ الْبَلِيَّةُ جَائِلاً**[٦] **خِطَامُهَا، رِخْواً بِطَانُهَا**[٧]، **فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ**...))[٨]. والإمام (عليه السلام) يُجسِّد البَلِيّة، ويجعلها كالبَعِيرِ الهَائج الذي يكون خِطَامه رخواً غير مُسْتَقِر، وهو ما يزيد من صعوبة السيطرة على هذهِ الدَّابة

(١) ينظر: العين (خطم): ٤/ ٢٢٦، والمصباح المنير: ١/ ١٧٤.

(٢) ينظر: العين (خطم): ٤/ ٢٢٦.

(٣) ينظر: المحكم (خطم): ٥/ ١٢٨، ولسان العرب (خطم): ١٢/ ١٨٧.

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٥٠، وتاج العروس (خطم): ٣٢/ ١١٤.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٣٦.

(٦) الجَائِلُ السَّلِسُ الزّائل عن مكانه. ينظر: لسان العرب (جول): ١١/ ١٣٢.

(٧) البِطَانُ الحِزَامَ الذي يُشَدُّ به القتبُ على ظهر البعير، ويُشَدّ في اسفَل بطن البعير. ينظر: لسان العرب (بطن): ١١٣.

(٨) نهج البلاغة: خ/ ٨٩: ١٤٦.

حينذاك، وكذلك (البَليَّة) التي يتحدث عنها الإمام مكنياً بها عن فِتْنَةُ معاوية وبني أمية [١] التي تبدو هائجة ثائرة لا يمكن المَسْك بِزمامها؛ لأنه جائل رَخْو كخطام البَعِيْرِ الهائج الذي يمكن لا الإمساكُ به. ومما عَزّز خطر هذهِ (البَلِيَّة)، وَصْف (بِطَانِها)، (بالرَّخْو)، والبِطَان هو الحِزام الذي يُشَدُّ به القَتَب، ويكون تحت بَطن البَعِيْر [٢]، فإن أُرخِي تَقَلْقَلَ القَتَب وأوشك الراكب أنْ يَقَعَ. وبهذا يُفلت الزِّمَام ويَعْرِض الراكب للأذى. وأما استعمال مفردة (خِطَام) بدلاً من (زِمَام) في هذا السياق؛ فيبدو لي أنّ (الخِطَام) أوثق ارتباطاً بالناقة، وأكثر فائدة في جَذْبِها والسيطرة عليها به، ولا سيّما عند نِفارها وصعوبة قيادتها. (فالخِطَام) يُدار على فم الدَّابة وأنْفِهَا فيكون أشبه بلجام الفرس، فضلاً عن قوة مَنَعَتِه من الإفْلاَت. في حين أنّ (الزِّمامَ) خَيْط، أو حَبْل يُشَدّ في خِشَاش الناقة، ثم يُشَد في طَرَفِه المِقْوَد الذي تقادُ به الدَّابّة [٣] وهو – كما يبدو من وَصف اللغويين له – أَقَلُّ منعة في كَبْحِ جِمَاح البَعِير المَشْدُود بِزِمَامِهِ من الخِطَام. ولمّا كان السِّياق الذي يتحدث فيه الإمام (عليه السلام) سياق وصف فِتْنَة هوجاء لا تُبْقِي ولاتَذَر كما يقال. لهذا وظّف هذهِ المفردة مع مفردة (رخَواً) و (بِطَانُهَا)؛ للدلالة على صعوبة الوقوف بوجه هذه البَلِيّة مع كل ما يملكه المرء المسلم من وسائل كبحها والوقوف بوجهها من قيم خلقية واسلامية، فضلاً عن العقيدة الرَّاسخة. وهذه القيم هي أشبه ما تكون بـ(خِطَام النَّاقَةِ) و (بِطانها) الذين يكون بها السَّبِيْل لكَبح جِماح البَعِير الهائج.

وقد أشار غير واحد من شُرَّاح النهج إلى هذا المعنى أيضاً [٤]. ولكن صاحب

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦/ ٣٠٣.

(٢) ينظر: لسان العرب (بطن): ١٣/ ٥٧.

(٣) ينظر: لسان العرب (زمم): ١٢/ ٢٧٢، وتاج العروس (زمم): ٣٢/ ٣٢٨.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦/ ٣٠٣، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٤٢٤،

(الدِّيْبَاج الوضي) اختار أن يكون الإمام قد كنّى بلفظ (الخِطَام) عن تَلاشي الأمر وفساده في دولة بني أميّة، وأنّه ليس مُسْتَوثقاً جارياً على حدوده وقوانينه [١]. وهذا الوجه ليس ببعيد عمّا ينطوي عليه كلامه (عليه السلام) من إشارة إلى هذهِ الفتنَة. ومما تَجْدر الاشارة إليه أنّ الإمام كرَّر التَّعبِير المتقدم نفسه في سياق كلامه عن (الدُّنْيَا عند بَنِي أُمَيّة) وذلك في (خ/ ١٠٥). و(خ/ ١٨٩).

خِزامته

الخَزْم في اللغة الشد والثقب[٢]. والخُزَامَة بُرّة أو حلقة تجعل في وترة أَنف البعير ليشد بها الزمام[٣]. وبعض اللغويين يخصص ذلك بأنها اذا كانت من شعر، فإنها خُزَامة، وإنْ كانت من ضفر، فهي برة[٤]. و(الخُزَامة) لفظ عام، فكل شيء ثقبته، فقد خَزَمْتَه. واستعملت لفظة (خُزامتُه) في نهج البلاغة بصيغة المفرد مرة واحدة، وبصيغة الجمع على (فَعَائل) مرة واحدة أيضاً[٥]، للدلالة على الإذلال والتّنكيل عند السوق والقيادة. ومن ذلك قول أمير المؤمنين (عليه السلام) في مقام الحديث عن بيعته بالخلافة: ((...**أَيُّهَا النَّاسُ، أَعِينُوني عَلى أَنْفُسِكُمْ، وَايْمُ اللهِ لأنْصِفَنَّ الْمظْلُومَ من ظَالِمِهِ، وَلأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ، حَتَّى أورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَأنْ كَانَ كَارِهاً**))[٦]. يصور الظالم بأنه كالدابة التي تجرّ بخزامتها المربوطة في وتر أنفها، كأن

ومع نهج البلاغة: ١٥١.

(١) ينظر: الديباج الوضي: ٢/ ٦٧٠.

(٢) ينظر: العين (خزم): ٤/ ٢١٢، والمغرب في ترتيب المعّرب: ١/ ٢٥٣. لسان العرب (خزم): ١٢/ ١٧٤.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (خزم): ٧/ ٩٩.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (خزم): ٧/ ٩٩.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٣٥.

(٦) نهج البلاغة: خ/ ١٣٦: ٢٤٤.

ذلك علامة على انها مقهورة صاغرة، وكذلك الظالم الذي يركبه الغرور والخيلاء والتسلط، فاستعمل الإمام مفردة (خُزَامته) للدلالة على إخضاع هذا النوع من الناس، وإنزالهم عند سلطة الحق. فيكونوا بذلك أذلاء مقهورين [١]، كالدابة التي تُساق إلى موردها سوقاً، سواء رضيت أو لم ترض. واستعمل الإمام لفظة، (خَزَائِم) بصيغة الجمع على (فَعَائِل) للدلالة على القَهْر والإذلال أيضاً، موظفاً هذهِ اللفظة في سياق كلامه عن (إبْليسَ) وجنوده الذين يسوقون أتباعه إلى النار. وذلك في قوله: ((**حَتَّى إِذَا أَنْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ** [٢] **مِنْكُمْ، وَاسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ** [٣] **مِنْهُ فِيكُمْ،... اسْتَفْحَلَ** [٤] **سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ، وَدَلَفَ** [٥] **بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ، فَأَقْحَمُوكُمْ** [٦] **وَلَجَاتِ** [٧] **الذُّلِّ... وَقَصْداً لِمَقَاتِلِكُمْ، وَسوقاً بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ...**)) [٨]. يصور انقياد أتباع (إبليس) وجنوده، وقيادهم له إلى الذلّ، ويسوقهم إلى النار المعدة لهم برضاهم؛ لأنهم إنما أطاعوه وآتبعوه ليكون إمامهم إلى العذاب وقائدهم. والإمام -هنا - يومئ إلى أصحابه الذين افترقوا عنه، وأطاعوا غيره - كما يبدو - فتركوا الحق، وظعنوا مع الباطل الذي ينتهي بهم النار.

ولما كان السياق الذي يتكلم به أمير المؤمنين محتفلاً بالمفردات الدالة على

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥٨٣.

(٢) الجامحة المُسْرِعة.مأخوذة من جموح الفرس وهي اسراعه. ينظر لسان العرب. (جمح): ٢/ ٦.

(٣) الطمّاعيّة مصدر صناعي يدل على (الطَّمع) من الناس. ينظر لسان العرب (طمع): ٨/ ٢٣٩، ٢٤٠.

(٤) استَفْحَلَ الأمرُ، أي تَفَاقَمَ وأشْتَدَّ. ينظر: تاج العروس (فحل): ٣٠/ ٢

(٥) الدَّلف المَشْيُ الرُّوَيْدُ المقارب في الخَطْوِ. ينظر: لسان العرب (دلف): ٩/ ١٠٦.

(٦) أَقْحمَ الشيءَ، أَدْخَلَهُ من غيْرِ رَوِيّةٍ. ينظر: لسان العرب (قحم): ١٢/ ٦٢.

(٧) الوُلُوج و الدخولُ. ينظر: لسان العَربَ (ولج): ٢/ ٤٠٠.

(٨) نهج البلاغة: خ/ ١٩٢: ٣٦٢، ٢٦٣.

التسرع، والطمع والحرص على طاعة (إبليس)، لهذا ذكر نتائج هذا الأمر، وذلك بإذلال هؤلاء، وإرغامهم على الخضوع والقهر. مستعملاً مفردة (سَوْقاً)، و(خَزَائِم)، و(القَهْرِ)؛ للدلالة على طبيعة هذا الضرب من القياد إلى النار الذي يتزعمه (إبليس) وجنوده. فالسوق هو التقاود والتتابع في السير [(١)]، وأكثر ما تستعمل هذهِ المفردة في سوق الإبل، والغنم كما يشير اللغويون [(٢)]. ولهذا جعل الإمام لهذا (السَّوْق) قائداً يقود هذهِ الجماعة التي شبهها بجماعة الإبل التي تساق بخزائمها التي في وتر أنفها، والتي يربط بها الزمام.ووصف سوق الخزائم هذا بـ (القَهْرِ)؛ إشارة إلى الذل الذي يعاني منه هؤلاء عند قيادهم إلى النار. كما الإبل التي يجد في إذلالها ويشدد عليها. وتبدو إيحاءات لفظة (خزائم) ظاهرة، من خلال ارتباطها بـ (الأَنْفِ) الذي يعد محل الكبر والخيلاء والعزة في الإنسان، والعرب تضرب الأَنف مثلاً في الإمتناع عن الضيم، فيقال: هو حَمِي الأَنْف[(٣)]، إذا كان صاحبه أَنِفاً من أن يُضَام[(٤)]. ويقولون: شُمُّ الأُنُوْف[(٥)]. أي أعزّها، وأكرمها وأعلاها منزلة ومكانة. ولهذا يساق البعير بجعل الخطام في وتر أَنفهِ، سواء أكانَ من خشاشٍ أو خزامةٍ؛ ترويضاً له وإرغاماً؛ لِئلاّ يمتنع على قائده في شيء[(٦)]، لما يصيبه من الوجع في أَنفه الذي كثيراً ما يصيبه العقر في هذا الموضع. فيقال: (جَمَلٌ أَنِف). أي معقود الأنف من الخطام[(٧)] وذكر الإمام (عليه السلام) لفظة (خزائم) إنما هو

(١) ينظر: لسان العرب (سوق): ١٠/ ١٦٦.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (أنف): ١٥/ ٣٤٥.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: لسان العرب (أنف): ٩/ ١٢.

(٦) ينظر: تهذيب اللغة (أنف): ١٥/ ٣٤٥.

(٧) نفسه.

على وجه الاستعارة؛ لأنّ الإنسان أمنع ما يكون بخزائمه، فإذا أخذت خزائمه قهراً، فلا خير له بعد ذلك[١]. ويبدو أنّ هذا المعنى هو الذي سوغ استعمال لفظة (خَزَائِم) بالجمع على وزن (فَعَائل)[٢]. وهذا الوزن يدل على أمرين:

الأول: الدلالة على الكثرة، فهذه الصيغة تناسب الدلالة على الكثرة في بيان اتباع (إبليس) وأصحابه، وكثرتهم هذهِ تستلزم تعدد (الخزائِم) التي يحتاجها هؤلاء لسوقهم.

ثانياً: أنّ صيغة (**فَعَائِل**) التي جاءت عليها لفظة (**خزائِم**) تدل على أنّ ما جمع عليها قد انتقل من (الوَّصْفيّة) إلى (الإسْمِيَّة) كما يذكر الدارسون[٣]. والمراد (بالإسْمِيّة) ابتعاد هذا الجمع من الحدث الذي هو معنى (الفِعْل)، وقُربه من الثبات والدّوام. وبحسب هذا التوصيف، فليس المراد بلفظة (خَزَائِم) في كلام الإمام معنى (يَخْزِم)، وإنما معنى (**الخَزْم**). وتعليقاً على هذا الكلام، أرى أنّ اتساق كلامه (عليه السلام) مع هذهِ المسألة فيه نظر؛ لأنّ (خزائم) باقية على الوصفيّة، وجمعها على (**فَعَائِل**) يمكن أنْ ينزع الجمع إلى معنى الفعلية، وهي دلالة الحدث المستمر الدائم. فلا شك أنّ قوله (عليه السلام): ((**وَسَوْقاً بِخَزَائِم القَهْرِ**...)) لا يكون مقتصراً على هذا الموقف فحسب، بل أنّ الوصف مستمر دائم.

كعمته

الكعَام شيء يجعل في فم البعير يشد به إذا هاج، فيمنعه من أنْ يرغو، أو يعض

(١) ينظر: الديباج الوضي: ٤/ ١٩٨٦.

(٢) وبجمع على هذا الوزن كلُ اسم رباعيٍ، مؤَنَّثٍ، قبل آخره مَدّ، مُخْتُوماً بالتاء، أو مجرداً منها. نحو: صَحِيْفَةٌ، وصَحَائِفَ، وعَجُوْزٌ، وعَجَائِز. ينظر: شرح ابن عقيل: ٤/ ١٣٢، ومعاني الأبنية: ١٧٠.

(٣) ينظر: معاني الأبنية: ١٩٠.

ويأكل [١]. وقد استعمل الإمام لفظة (كَعَمْته) و (مَكْعُوم) مرة واحدة لكل منهما في كلامه الوارد في نهج البلاغة[٢]. للدلالة على ما يأتي:

أولاً: منع الناس الراغبين في الله من الكلام.

وذلك في قوله (عليه السلام) في سياق وصف الراغبين في الله تبارك وتعالى، الذين شدد عليهم الظالمون الخناق فهم: ((**رِجَالٌ غَضَّ**[٣] **أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ، وَأَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ، فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍّ**[٤]**، وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ**[٥]**، وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ**...))[٦]. وهذا النص من سياق يتحدث فيه الإمام (عليه السلام) عن أصناف الناس، وهم أربعة عنده، منهم هذا الصنف الأخير الذين وصفهم بأنهم غضّ أبصارهم ذكر المعاد إلى الله تبارك وتعالى، وأسبل دموعهم خوف المحشر والقيامة. دلالة على خشيتهم من الباريء جل جلاله، ورغبتهم في لقائه. ثم شرع (عليه السلام) في وصف حالهم في الدنيا مع الظالمين، فمنهم الشريد الهارب الذي شرد في البلاد مطروداً كالبعير الناد، لكثرة إنكاره ألمنكر، ولقلة صبره على مشاهدة الأذى في الناس[٧]. ومنهم الخائن المقموع من الذل. والصنف الثالث هو الساكت المَكْعوم. وهو الذي سكت مخافة من بطش الظالمين وسطوتهم، فكأنه أسكت عنوةً. ولهذا

(١) ينظر: العين (كعم): ١/ ٢٠٩، وتهذيب اللغة (كعم): ١/ ٢١٣، ومقاييس اللغة (كعم):٥/ ١٨٥، ولسان العرب (كعم): ١٢/ ٥٢٢.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٠٠.

(٣) غَضَّ بَصَرَهُ كَفَّهُ وكَسَرَهُ، مُرْخياً إيّاه. فتصير جفونه دَانِية. ينظر: لسان العرب (غضض): ٧/ ١٩٧.

(٤) النّادّ الشارد المُنْزَعج. ينظر: لسان العرب (ندد): ٣/ ٤١٩، ٤٢٠.

(٥) القَمْعُ القَهْرُ والذُّلُّ. ينظر: لسان العرب (قمع): ٨/ ٢٩٤.

(٦) نهج البلاغة: خ/ ٣٢: ٧١.

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٢٧٣.

استعمل أمير المؤمنين مفردة (مَكْعُوم) التي تستعمل في مجال دلالي مخصوص بالإبل من الدواب، موظفاً إيّاها في هذا السياق للدلالة على معنى الإسكات والمنع من الكلام. جاعلاً هذا الصنف من الناس شبيهاً بالبعير الذي يُكْعَم فمه مخافة أنْ يرغو أو يعض و يأكل [1]. فكأن هذهِ الطائفة من الناس قد أكْعمت أفواهها خشية من أنْ تتكلم بالحقِّ، وتشهد على الظالمين ما فعلوه من ظلم وقهر، أو أن تهيج هذهِ الفئة على السلطة الحاكمة، فتحدث تغييراً في أفكار الناس، ورؤاهم فتميلهم إلى جانب الحق، مما يؤدي إلى إثارة التغيير، واندفاع الناس نحو إسقاط الظالمين من عروشهم.

ولايكون الكَعْم إلاّ عند هياج البعير وانزعاجه، وهذا الملمح يسوغ فكرة توظيف مفردة (كعم) بصيغة (مَفْعُول) الدالة على كبت فم الإنسان، ومنعه من الكلام كأنّ الخوف قد كعمهم وأسكتهم فلم يتكلموا بكلمة. أو أنهم غير راضين عما يرون ويسمعون من ظلم للناس وقهر، فليس لهم – حينئذٍ – أنْ يتحدثوا أو أنْ يثوروا ضد هذهِ الأمور، فتعمد السلطة في هذا الحال إلى كَعْمِهم وإسكاتهم إمّا بالترهيب أو بالترغيب، وغير ذلك من الوسائل التي يستعملها الظالمون في إيذاء الناس وإسكاتهم.

وربما يكون هذا الضرب من الناس من القادرين على ضبط أنفسهم، وكبحِ جِماحها، مستعملين في ذلك مبدأ (التَّقِيّة)[2] الذي يعد سبيلًا إلى منع هياجهم وثورتهم في نحو التصدي للظالمين.

---

(١) ينظر: لسان العرب (كعم): ١٢/ ٥٢٢.

(٢) التِقِيّة مأخوذة من (الوقاية)، وهي الحفظ مما يؤذي ويَضّرُ. ينظر: مفردات الفاظ القرآن (وقي): ٨٨١.

ثانياً: الدلالة على منعِ الموجِ من التّقاذف والهَياج.

وأتى الإمام (عليه السلام) بهذهِ الدلالة في مقام حديثه عن دحو الأرض، وكبسها على مور أمواج البحر المُسْتَفْحِلَةِ. وذلك في قوله (عليه السلام): ((**كَبَسَ الأرْضَ عَلى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ، وَلُجَجِ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ... فَخَضَعَ جِمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلاَطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا، وَسَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِهَا... وَسَكَنَتِ الأرْضُ مَدْحُوَّةً**[1] **فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ، وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأوِهِ**[2] **اعْتِلاَئِهِ... وَكَعَمَتْهُ عَلَى كِظَّةِ**[3] **جَرْيَتِهِ، فَهَمَدَ**[4] **بَعْدَ نَزَقَاتِهِ**[5]**...**))[6]. فكأن الأرض أشبه بالسد الذي يكبح جماح الموج المتلاطم الذي يصطخب متقاذفاً، كالفحل الهائج. وتشبيه الإمام له بالفحل من الإبل عند هياجه وإرغائه. سوغ - حينئذ - استعمال مفردة (كَعَمَتْهُ)؛ للدلالة على منع هذا (البعير) الهائج من أن يصطخب ويرغو، فأضحت الارض بمنزلة الحبل الذي يكعم به فم البعير، لمنعه من الرغاء والطغيان.

أوهاق

الوَهَق الحبل المغار الذي يرمى في أنشوطة فتؤخذ به الدابة والإنسان[7]. وقد خص بعض اللغويين هذا النوع من الحبال بالإبل والخيل؛ لاستعماله في ربطهما[8].

(١) الدّحْوُ البَسْطُ. ودحو الأرض بَسْطها. ينظر: تاج العروس (دحو): ٣٨/

(٢) البَأو الفَخْر والكِبَر. ينظر: تاج العروس (بأو): ٣٧/ ١٣٩.

(٣) الكِظّةُ البِطْنَةُ وآمتلاء البطن بالطعام والشراب. وتدل على امتلاء السِّقاء بالماء. ينظر: لسان العرب (كظظ): ٧/ ٤٥٧. والمراد امتلاء البحار وارتفاع موجه.

(٤) الهَمْدُ السكوت والسكون. ينظر: لسان العرب (همد): ٣/ ٤٣٦.

(٥) النزَق الخِفّة والعجلة والطيش في كل أمر. ينظر: لسان العرب (نزق):١٠/ ٣٥٢

(٦) ينظر: نهج البلاغة: خ / ٩١: ١٦١.

(٧) ينظر: العين (وهق): ٤/ ٦٤، وتهذيب اللغة (وهق): ٦/ ١٨٢.

(٨) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٥/ ٢٣٢، ولسان العرب (وهق): ١٠/ ٣٨٦.

ولفظتا (أوهَقَتُهم) و (أوهَاق) من الفاظ نهج البلاغة، إذا استعملت كل لفظة مرة واحدة فيه[١]، للدلالة على الحبال التي يجر به الإنسان إلى المحن والقوارع والمنايا. ومن ذلك قول الإمام (عليه السلام) متحدثاً عن الدنيا، منفراً منها: ((... **وَأَعْلَقَتِ**[٢] **المُرْءَ أوهَاقَ المَنِيَّةِ قَائِدَةً لَهُ إِلى ضَنْكِ**[٣] **المَضْجَعِ، وَوَحْشَةِ المَرْجِعِ**...))[٤]. يريد (عليه السلام) أنّ الدنيا ما تلبث أنْ تَزول، وهي خادعة غادرة، مازالت تخدع الإنسان وتعلق به حبال المنيه، وهي تقوده إلى ضيق مرقده وقبره. فتجرّه اليه كما تجر الدابة إلى مذبحها. ولما كان النص في مقام ذم الدنيا؛ لهذا استعار لها الإمام أوصاف الدواب؛ للدلالة على شدة ضربها وأذاها، فذكر مفردة (قَمَصَتْ بأَرْجُلها)؛ لبيان هذا المعنى، ومن ثم استعار لها أيضاً مفردة (قَنَصَ)، وهي من الألفاظ الخاصة بالصيد - للدلالة على خداعها الإنسان واصطياده، والايقاع به في شباكها؛ كأنه طير علق بشبكة الصياد (بأوهَاق المَنِيّة) كالدَّابة التي تجرّ إلى مصرعها.

والاستعمالات التي أوردها الإمام للدنيا كلها تمثل اشارات إلى امتناع الدنيا وإبائها على الإنسان عند اقتراب أجله متخليّة عنه، كأنها تضربه بأرجلها كما تفعل الدابة عند نفارها وجزعها، بعدما قنصته بأحبلها التي كنى بها الإمام عن الصفات المذمومة التي منحتها للإنسان[٥]، فأصابته بها وأردته. وقد جعل هذه الأمور كناية عن العِلل والامراض البدنية وغير البدنية التي يُصاب بها المرء في

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٩٦.

(٢) أعلق الشيء، إذا وقع في الحبل. ينظر: لسان العرب (علق): ١٠/ ٢٦١.

(٣) الضنك الضيق من كل شيءٍ. ينظر: لسان العرب (ضنك): ١٠/ ٤٦٢.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ٨٣: ١٢٢.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٧٧.

الدنيا بسبب منها. حتى أوهقته المنايا وجرّته إلى مضجعه [١]. وقد جاءت لفظة (أوهَقَتْهُم) بالدلالة المتقدمة نفسها في (خ/ ١١١).

مَثَانِيْهَا

الثَنَاء ثَنْيُ عقال البعير، إذا عقل بحبل مثنيٍ[٢]. وتعقل يدا البعير جميعاً بحبل يسمى الثَّناية [٣]. وهو حبل تشد بأَحد طرفيه يد البعير، وبطرفه الآخر اليد الأخرى للبعير، فيقال ثَنَيْت البَعِيْر بَثَنايَيْنِ. فهو حبل واحد جاء بلفظ التثنية[٤]. ويصنع هذا الحبل من الصوف أو الشعر [٥]، ويكون هذا الحبل طويلًا وربما استعمل في شد قتب السّانية، وطرف الرشاء في مِثْنَاتِه[٦]. وقد وردت لفظة (مَثَانِيْها) مرة واحدة في نهج البلاغة [٧]؛ للدلالة على الحبل الذي يعقل به البعير. وذلك في قوله أمير المؤمنين (عليه السلام) مشبها تزاحم الناس وتداكهم عليه بالإبل العطشى التي أرسلها رعاتها مخلوعة مثانيها. يقول الإمام: ((**فتَدَاكُّوا عَلَيَّ تَدَاكَّ الإبِلِ الْهِيمِ يَوْمَ وِرْدِهَا، قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا، وَخُلِعَتْ مَثَانِيهَا...**)) [٨]. يشبه الإمام ازدحام الناس عليه بتدافع الإبل العظشى المرسلة نحو الماء، وقد خلعت حبال عقالها، وهو ما زاد في إسراعها وهياجها، وعدم السيطرة عليها، فكأن خلع هذه المثاني زاد من قوة هذهِ الإبل وطاقتها في التزاحم والتدافع، ولعله أشار بقوله (خُلِعَتْ مثانيها)

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٧٧.

(٢) ينظر: العين (ثني): ٨/ ٢٤٤.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (ثني): ١٥/ ٩٧.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: المحكم (ثني): ١٠/ ١٩٨.

(٦) ينظر: تاج العروس (ثني): ٣٧/ ٢٩٢.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٧٧.

(٨) نهج البلاغة: خ/ ٥٤: ٩٤، ٩٥.

إلى هذا المعنى. فـ (مَثَاني) الشيءِ في اللغة هي قواه و طاقاته[١]. فكأنه أراد بالتعبير المتقدم أنّ خلع المثاني من الإبل، هو علامة على اطلاق قوتها، ولنيل غايتها من الماء، وكذلك الذين تداكوا عليه. وهذا قال (عليه السلام) مبيناً شِدّة تدافع هؤلاء: ((**حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ، أو بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ**)) لشدة بأسهم وقوتهم في التدافع، حتى أنّ بعضهم يضرب بعضاً كما تتضارب الإبل العطاش، ولهذا استكمل الإمام السياق الذي وردت فيه لفظة (تَدَاكّوا) لبيان التجمع والتدافع والضرب، بأن قال (خُلِعَتْ مَثَانِيها) تشبيهاً لهم بالإبل من هذا الوجه[٢].

المَخْشُوشُ

الخَشُّ جعل الخِشَاشِ في أنف البعير[٣]. وهو ضرب من العود يجعل في عظم أَنف البعير[٤]. والمَخْشوش هو البعير الذي وضع في أنفه ذلك العود[٥] الذي يشد به الزمام؛ ليكون أَسرع لانقياده[٦]. وقد وردت لفظة (المَخْشُوش) مرة واحدة في نهج البلاغة[٧] وصفاً (للجَمَلِ) في كلامه (عليه السلام) الذي يردّ فيه على كتاب ورده من معاوية، يذكر فيه أنّ الإمام كان يقاد كما يقاد الجمل المَخْشُوش حتى يبايع. فردّ عليه الإمام قائلاً: ((... **وَقُلْتَ: إِنِّي كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى أُبَايِعَ، وَلَعَمْرُ اللهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ! وَمَا عَلَى**

(١) ينظر: لسان العرب (ثني): ١٤/ ١١٥.

(٢) ينظر: مع نهج البلاغة: ١٠٠، ١٠١.

(٣) ينظر: العين (خش): ٤/ ١٣٢، وتهذيب اللغة (خش): ٦/ ٢٨٩.

(٤) ينظر: المحكم (خش): ٤/ ٤٩٥، ٤٩٦، ولسان العرب (خش): ٦/ ٢٩٦.

(٥) ينظر: مقاييس اللغة (خش): ٢/ ١٥١، ولسان العرب (خش): ٦/ ٢٩٦.

(٦) ينظر: لسان العرب (خش): ٦/ ٢٩٦.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٣٦.

المُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ [١] **فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شَاكّاً فِي دِينِهِ...))** [٢]. والكلمة التي يرد عليها الإمام (عليه السلام) لمعاوية يشبه فيها الإمام في اكراهه على البيعة بقياد الجمل المَخْشُوش و(الجَمَلُ المَخْشُوشُ) هو الذي يُخَشُّ في أَنفه عودة من الخشب ليشد به الزمام؛ حتى يسهل قياده[٣]. وهذهِ كانت - كما يذكر الإمام - على معاوية لاله، لأنّه أراد أنْ يذم بها، فمدح من حيث لا يشعر. فإنّ الذي يراد منه أنْ يبايع لا يكره عليها، وإنما له حَق الاختيار، فأما إذا أُكره على البيعة؛ فإنّه لا محالة مظلوم مجبر على ما أُخذ اليه. ولاشك أن إكراه شخصٍ مثل الإمام على أداء البيعة لأي خليفة، يمثل مخالفةً لمبدأ البيعة أصلاً. فضلاً عما يمثله موقفه (عليه السلام) الرافض لتلك البيعة من دلالات على بطلانها. ومن خلال بيان مفرداة (المَخْشُوش) والعلة في وضع عود الخشب في أنف الجمل، نفهم أن هذا النوع من الجمال لا تخش في أنفه هذهِ العويدة إلاّ إذا كان نفاراً صعب المراس؛ لأنهم إنّما يخشون أَنفه ليسهل قياده[٤]، لما يشعر به من الم عند شد زمامه؛ فضلاً عن لفظة (البَعِيْرِ) في هذا السياق توحي بالصبر وشدة التحمل أيضاً، وهذهِ أوصاف معروفه في الأَبَاعِر في التراث العربي، وهذا التشبيه ربما يصل إلى قدرٍ بسيط من خصال الإمام (عليه السلام) في الصبر وتحمل الأذى الذي أصابه بعد وفاة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) مع جلالة قدر الإمام وعظيم منزلته؛ ولهذا قلب أمير المؤمنين ما ورده من كلام معاوية رأساً على عقب - كما يقال - موجّهاً ملام معاوية من الذَمَّ كما كان يعتقد إلى المدح،فضلاً عن الدلالة على بطلان البيعة التي أخذ الإمام اليها مكرهاً لا طائعاً.

---

(١) الغَضَاضَةُ الإذلال. ينظر: لسان العرب (غضض): ٧/ ١٩٨.

(٢) نهج البلاغة: ك/ ٢٨: ٤٩١.

(٣) ينظر: لسان العرب (خش): ٦/ ٢٩٦.

(٤) نفسه

٥ـ علف الإبل واجترارها وعطشها

عَلَفها

العَلَف طعام الدابة، وقضيمها[١]. واعتلفت الدابة إذا أكلت[٢]. والعَلِيْفَةُ والمعْلَفَة، النّاقَةُ التي يُجمع لها العَلَف، فتعلف للسمن، دون أنْ تسرح، أو ترسل للرعي[٣]. وقد استعملت مفردات (عَلَفها)، و(أَعْلافها)، و(المَعْلُوفة) و (مُعْتَلفه) مرة واحدة لكل واحدة منها في نهج البلاغة[٤]. للدلالة على طعام الدواب من الإبل وغيرها. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في مقام الذم، وتشبيه الناس بالنعم: ((**أَيُّهَا الغَافِلُونَ غَيْرُ المُغْفُولِ عَنْهُمْ، وَالتَّارِكُونَ المَأْخُوذُ مِنْهُمْ، مَالي أَرَاكُمْ عَنِ الله ذَاهِبِينَ، وَإِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ! كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ أَرَاحَ**[٥] **بِهَا سَائِمٌ إِلَى مَرْعىً وبِيٍّ**[٦]**، وَمَشْرَب دَوِيٍّ**[٧]**، وَإِنَّمَا هِيَ كَالمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَى لاَ تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا...**))[٨]. ويذكر الإمام على الناس ذهابهم عن الله جل جلاله، ورغبتهم بغيره من لهو الدنيا ولعبها، وسلطانها الذي صار كأنه قبلتهم وسيدهم دون الله. وقد استهل أمير المؤمنين كلامه هذا بتذكير الناس أنهم غير مغفولٍ عنهم.

يريد بذلك: أنّ الله جل وعلاه لا يغادر لهم صغيرة أو كبيرة إلاّ أحصاها وشبه الناس الذين اتصفوا بهذهِ الأوصاف بالنّعم التي أراحها راعيها إلى مرعى كثير

(١) ينظر: العين (علف): ٢/ ١٤٤، والمحكم (علف): ٢/ ١٦١، ولسان العرب (علف): ٩/ ٢٥٥.

(٢) ينظر: المحكم (علف): ٢/ ١٦١.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢/ ١٦٢.

(٥) أَرَاحَ إذا أراحها لتستريح بعد الإعياء. ينظر: لسان العرب (روح): ٢/ ٤٦٢.

(٦) الوَبِيءُ المرعى الكثير الوباء غير جيد الرعي. ينظر: لسان العرب (وبأ): ١/ ٨٩.

(٧) الدَّوِيُّ الذي فيه داء وَدِيءُ. ينظر: العين (دوي): ٨/ ٩٣.

(٨) نهج البلاغة: خ/ ١٧٥: ٣١٤.

الداء، رديء العشب دوي المشرب، كأن في شربه الداء الذي يشتت شملها، وما علم أنها في نهاية أمرها ستكون للذبح والفناء. فقد أخذت إلى غير ما أعدت له وذلك أنّ المعلوفة من الدواب والنعم، لا تخرج إلى المرعى، لأنها يجمع لها العَلَفُ لتسمن، فلهذا لا تعد للسرح. لأن الغرض من إعلافها هو تهيئتها للذبح كما يظهر. ويطلق على هذا الضرب من الإبل (العِلَيْفَة) أو (المُعْلَفَةَ)[1]. وقد استعمل الإمام (عليه السلام) مفردة (المَعْلُوفَة) بصيغة (مفْعُول) في سياق التهكّم والذّم، كأنه يشير إلى كونها مُنَعّمة في أكلها وشربها دون أن تعلم خاتمتها ومصيرها، معدة للذبح بالمدى. وقد وردت الفاظ (عَلَفها) و (أَعلافها) للدلالة على طعام الدواب الذي تأكله، وذلك في (ك/ ٤٥) في حين جاءت مفردة (مُعْتَلَفِه) للدلالة على موضع الإعلاف، ومكانه على سبيل التشبيه بالدابة التي تعلف في مواضعها المخصصة لذلك. في (خ/ ٣) من نهج البلاغة.

الهِيْم

الهَيْمَان العَطْشَان[2]. والهِيْم الإبل العِطاش التي يصيبها الدَّاء، وهو مرض يكسبها العطش، فتمص الماء مصاً، ولاتروى. واحدها أَهْيَم[3]. يقال: هامَتْ دوابنا، إذا عَطِشَتْ[4]. ومن ذلك أيضاً الهُيَامُ، وهو داءٌ يصيب الإبل من ماءٍ تشربه مستنقعاً، فيصيبها الجنون والدوار حتى تهلك[5]. وقد وردت لفظة (**الهِيْم**) أربع مرات في نهج البلاغة[6]؛ للدلالة على الإبل العطشى التي ترسل إلى وردها

(١) ينظر: المحكم (علف): ٢/ ١٦١.

(٢) ينظر: العين (هيم): ٤/ ١٠١.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (هيم): ٦/ ٢٤٦، ٢٤٧، والنهاية في غريب الحديث: ٥/ ٢٨٨.

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٥/ ٢٨٨.

(٥) ينظر: لسان العرب (هيم): ١٢/ ٦٢٦.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٧١.

لتشرب. وقد استعمل الإمام (عليه السلام) هذه المفردة في مقام التشبيه. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في مدح عترة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) الذين هم منار الهدى، وأعلامه القائمة. كما في قوله الذي يعجب فيه من تيه الناس وحيرتهم، وفيهم عترة النبي الأكرم: ((... **فَأَيْنَ يُتَاهُ**[١] **بِكُمْ ؟ أوكَيْفَ تَعْمَهُونَ**[٢] **وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ؟ وَهُمْ أَزِمَّةُ**[٣] **الْحَقِّ، وأَعْلاَمُ**[٤] **وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ! فأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ، وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ**))[٥] والنص مبدوء بالاستفهام الذي أخرجه الإمام للعجب والانكار على الناس الذين يتيهون في حيرة، ويترددون في الضلالة، وبينهم عترة النبي ونسله وأخص أهل بيته، وهم أولاد علي وفاطمة (عليهما السلام)[٦]. وهؤلاء هم أزمة الحق الذين يقاد بهم الدين ويوجه، وهم الأعلام التي يهتدي بها الضلال في دينهم، وألسنة الصدق. ولما كانت هذه الخصال والصفات لا تتوافر إلاّ فيهم، لهذا أرشد (عليه السلام) إلى إنزالهم في أحسن منازل القرآن الكريم، ودعا إلى الورود من علومهم وأخلاقهم كما ترد الإبل العطشى التي أصابها داء العطاش. وهذا الضرب من الإبل يُسرع إلى الماء وهي متهالكة يدك بعضها بعضاً مما بها من العطش.

أقول: يريد بهذا التعبير حث الناس على الرجوع إلى أهل البيت (عليهم السلام)، والنهل

(١) التَّيْهُ الحَيْرَة والضَّلال. ينظر: النهاية في غريب الحديث: ١/ ٢٠٣.

(٢) عَمَهَ يَعْمَهُ، إذا تَرَدّى في الضّلالة. ينظر: العين (عمه): ١/ ١٠١.

(٣) الزَّمُّ الشَدُّ، والأزِمّةُ جمع (زِمَام)، وهو الحَبْل الذي يجعل في الخشبة التي توضع في أنف البعير ليقاد. ينظر: المحكم (زمم): ٩/ ١٦.

(٤) العَلَمُ شيء يُنْصَب في الفلوات لتهتدي به الضالة. ينظر: المحكم (علم): ٢/ ١٧٦.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ٨٧: ١٤٣.

(٦) ينظر: المحكم (عتر): ٢/ ٤٤، والنهاية في غريب الحديث: ٣/ ١٧٧.

من علومهم، مشبها هذا الرجوع بورود الأباعر الهيام الماء، فحذف أداة التشبيه لجعل التشبيه أقوى وأمكن بين الطرفين (المشبه، والمشبه به). ووجه الشبه هو الرّي والورد، والإفادة من أتباع الأئمة (عليهم السلام). ويبدو أن توظيف مفردة (الهِيْم) في هذا السياق جاء لأمرين؛ الأول محاكاة الناس بما يعتادون عليه في حياتهم الاجتماعية اليومية من خلال ملازمتهم للإبِلِ، ومعرفتهم بأحوالها وطبائعها وما يجري عليها عند عطشها، ولهذا أتبع الإمام المفردة المتقدمة بلفظة (العِطَاش)، - بالكسر- وهي شدة عطش الإبل[١].

كأنّه يريد القول. إن هيامكم وشدة عطشكم إلى علومهم ومعارفهم ينبغي أنْ يكون في أقصى غاياته، حتى كأنكم مصابون بداء العُطَاش الذي لا يروى من الماء من أُصيب به والأمر الثاني- ولعله مقدم على سابقه - إفادته (عليه السلام) من الاستعمال القرآني الذي وردت فيه لفظة (الهِيْم)،وذلك في قوله تعالى شأنه: ﴿**فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ**﴾[٢] وهذه المفردة انتضمت في سياقٍ يتحدث فيه الذكر الكريم عن كُفّار قريش، ومن هم في حالهم[٣]، واصفاً إياهم (بالضّالين المكذبين)؛ إذ يقول تعالى ﴿**ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ**﴾[٤]. والنص يشير إلى عقاب أولئك الضالين عن طريق الله تبارك وتعالى، والبعيدون عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) المكذبون بنبوته ورسالة السماء، ولهذا ذكر القرآن الكريم عقابهم بأنهم لآكلون من شجرٍ من زقوم الذي هو طعام الأثيم، وشاربون عليه من

---

(١) ينظر: تاج العروس (عطش): ١٧/ ٢٦٨.

(٢) الواقعة / ٥٥.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٥/ ٢٤٧.

(٤) الواقعة / ٥١ – ٥٥.

الحميم، وهو الماء الحار كما يرى المفسرون[١]، وهو حميم نار جهنم. أما (شْرِب الهِيْم)، فقد أجمع المفسرون على أنّ المراد به هو شرب الإبل الهيام التي بها داء الاستسقاء، فلا تكاد تروى؛ لأنه مرضٌ معطش للإبل فإمّا أن يميتها، أو تسقم به سقماً شديداً[٢].

ومن خلال الموازنة بين السياق القرآني وسياق كلام الإمام (عليه السلام) نلحظ التقارب بينهما في بعض المفردات، وفي صورة (شِرْب الإبل الهِيْم للماء)، فكلا النصينِ يصوران حالة الورد التي عليها الإبل العَطْشَى، ولكن القرآن يجعل من هذه الصورة إشارة إلى تشبيه شرب الضالين للحميم عقاباً لهم على تمرّدهم وخروجهم عن طاعة الله تبارك وتعالى. والنص العلوي يصور الدعوة إلى الورد من علوم أهل البيت وأخلاقهم، كما ترد الإبل العطشى ذوات داء العطاش. كأن الإمام (عليه السلام) يوصي هؤلاء أن يحرصوا على اتباع عترة النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ والسير على خطاهم، لئلاّ يصيبهم ما أصاب (الضالين المكذبين) الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى في سورة الواقعة. وثمة مواضع أخرى وردت فيها لفظة (الهِيْم) للدلالة على العطاش من الإبل، وذلك في (خ/ ٥٤، ١٠٧، ٢٢٩) من نهج البلاغة.

يَخْضِمْون

الخَضْم الأكل والمضغ بأقصى الأضراسِ[٣]. وهو مَلء الفم بالمأكول[٤]. والخَضْم للإنسان بمنزلة القَضْمِ من الدابة[٥]. واستعمل الإمام لفظة (يَخْضِمون)

---

(١) ينظر: تنوير المقباس: ١/ ٤٥٤، وروح المعاني: ٢٧/ ٥٤٧.

(٢) ينظر: الكشاف: ٤/ ٤٦٢، والمحرر الوجيز: ٥/ ٥٤٧.

(٣) ينظر: العين (خضم): ٤/ ١٧٩، وتهذيب اللغة (خضم): ٧/ ٥٦.

(٤) ينظر: المحكم (خضم): ٥/ ٤٧.

(٥) نفسه.

و (خَضْمَ) مرة واحدة لكلٍ منهما؛ للدلالة على أكلِ أموال المسلمين مشبهاً ذلك بخضم الإبل نبت الربيع. يقول (عليه السلام) في سياق وصف الخليفة الثالث (عثمان بن عفان): ((... **إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ القَوْمِ، نَافِجاً حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللهِ خَضْمَ الإبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ**...))[١]. والنص يشير إلى نهوض الخليفة (عثمان بن عفان) بأمر الخلافة؛ ليكون ثالث الخلفاء الذين أطلق عليهم الإمام (عليه السلام) لفظ (القَوْم)، للدلالة على معنى الجماعة[٢] التي اجتمعت لاختيار الخلفاء، ومنهم الخليفتان (أبو بكر وعمر). وقد أشار الإمام بلفظ (القيام) إلى نهوض الخليفة (عثمان بن عفان) بأمر الخلافة وتقلدها. في حين أنه استعمل لفظة (قَامَ) الثانية؛ للدلالة على تزعم أقرباء الخليفة من بني أمية الأمر معه، وتقلدهم المناصب الرفيعة في الدولة الاسلامية آنذاك تسلطاً وغصباً. ولهذا استعمل الإمام مفردة (يَخْضِمون) التي تدل على الأكل عامة، بل الأكل بملء الفم كما تذكر المدونات اللغوية[٣]. كأنّه (عليه السلام) يشبههم بالإبل التي تخضم نبت الربيع بملء فمها، أو بأقصى أضراسها. واللاّفت للنظر أنّ الإمام يجعل هؤلاء الناس يخضمون كخضم الإبل للنبت. مستعملاً لفظ (الخَضْمَ) للأبل، في حين أن اللغويين يذكرون أن الخَضم للإنسان، والقَضْمَ للدابة[٤]. وقد سوغ أصحاب غريب الحديث والمعجميون هذا الأمر في كلامه الذي ذكروه في مصنفاتهم، ذاكرين أن لفظة (يَخْضِمُون، وخَضْم) في حديث عليٍّ (عليه السلام): ((**وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللهِ**

(١) نهج البلاغة: خ/ ٣: ٣٠.

(٢) ينظر: لسان العرب (قوم): ١٢/ ٥٠٥.

(٣) ينظر: لسان العرب (خضم): ١٢/ ١٨٢، ١٨٣.

(٤) نفسه: ١٢/ ١٨٣.

خَضْمَ الإبلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ))[١] تدل على الأكل بأقصى الأضراسِ[٢].

وتبدو مفردتا (يَخْضِمُون) و (خَضْم) أشد دلالة في الأكل واستهلاك الطعام، وفي مجال المفاضلة بين مفردتي (خَضْم) و (قَضْم)، تبدو الأولى أكثر إيحاء في الاتيان على ما يؤكل. وقد ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام أن (الخَضْمَ) أشد في المَضْغ وأَبْلَغ من القَضْم[٣]. فالقَضْم يكون بأدنى الأضراس، والخَضْم بأقصاها[٤]. ولما كان السياق يتحدث عن حال التسلط الذي عم في أيام الخليفة (عثمان بن عفان)، من خلال سيطرة أقربائه وولائجه على أجزاء الدولة الاسلامية، واستئثارهم بالحقوق والضياع والأراضي، لهذا شبههم الإمام (عليه السلام) - كما ذكرت سلفاً - بالإبل التي تخضم نبت الربيع من جهة إتيانها على كل شيءٍ من النبت، فكما تستطيب هذهِ الدواب نبت الربيع لغضاضته ورطوبته واخضراره. فإن هؤلاء جعلوا مال الله خَضِيْمَةً[٥] مستطابة لهم. يتناولونها متى شاؤوا. وهم في سعة ورغد من العيش. كأن رغدهم هذا متأتٍّ من كثرة ما حازوه من أموال، وأراضٍ لم تكن من حقِّهم أو من أموالهم. وتوحي مفردة (خَضْم) دلالات بشدةِ النهم، والرغبة في الامتلاء. كأنهم اجتمعت فيهم الصفتان؛ صفة النهم وكثرة الأكل، والسعي إلى ملءِ أفواههم من الطعام مع ملاحظة أن طعامهم كان من أطيب الطعام وأشده غضارة، والصفة الثانية وهي المتقدمة عندي على سالفتها، هي أخذ مال الله وأموال المسلمين، والسيطرة عليها بشدة لا تختلف عن شدة رغبتهم في الأكل

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٤٤، ولسان العرب (خضم): ١٢/ ١٨٣.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: غريب الحديث (أبو عبيد): ٤/ ١٨٧.

(٤) ينظر: غريب الحديث (أبو عبيد): ٤/ ١٨٧.

(٥) الخَضيمة النَّبْتُ إذا كان رطباً أخضَر. ينظر: العين (خضم): ٤/ ١٧٩، والمحكم (خضم): ٥/ ٤٧.

عندهم وعدم الشبعِ.

وقد إشار شارحو النهج إلى هذهِ الخصال عند بني أمية المقرّبين من الخليفة (عثمان بن عفان)، فذكر ابن أبي الحديد جمهرة من الأخبار عن تسلط الأمويين على الناس، وتوليهم الولايات، وحصولهم على القطائع في زمنه[١].

حَسَكِ السَّعْدَان

الحَسَك نبات له ثمرة خشنة تتعلق بأصواف الغنم، واحدته (حَسَكة)[٢]. وتضرب هذهِ العشبة إلى الصفرةِ، ويكون لها شوك مدحرج لا يكاد يمشي عليه أحد إلا من كان في رجليه خف أو نعل[٣]. والسعدان نبات له شوك، غير أنه غليظ مفرطح كالفلكة، ونباته يسمى الحلمة[٤]. وهو من أحرار البقول، وأفضل المراعي[٥]. وقد وصف اللغويون هذا النوع من النبات بأنه بقلة ذات شوك غبراء اللون حلوة، ولها إذا يبست شوكة مفلطحة كأنها درهم[٦]. ويعد المرعى الذي ينبت فيه هذا البقل من أنجح المراعي عند العرب، وأفضل مراعيهم أيام الربيع، حتى أن الإبل تسمن إذا رعت فيه وتحلو ألبانها[٧]. واستعمل أمير المؤمنين (عليه السلام)

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١/ ١٩٢، ١٩٣، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٨٠، ١٨١، والديباج الوضي: ١/ ٢١٨.

(٢) ينظر: العين (حسك): ٣/ ٥٩، والمحكم (حسك): ٣/ ٣٤.

(٣) ينظر: المحكم (حسك): ٣/ ٣٤.

(٤) ينظر: العين (سعد): ١/ ٣٢٣.

(٥) نفسه.

(٦) ينظر: المحكم (سعد): ١/ ٤٦٩.

(٧) ينظر: غريب الحديث (الخطابي): ١/ ٤٨٠، ولسان العرب (سعد): ٣/ ١٥

تعبير (حَسَكِ) (السَّعْدَان) مرة واحدة في كلامه الوارد في نهج البلاغة[١]. وذلك في تعبير واحد مضافاً فيه لفظ (السَّعْدَان) إلى (حَسَكِ)؛ للدلالة على الأذى والألم الذي يصيبه من شوك هذين النبتين. يقول (عليه السلام) في سياق تبرُّئه من الظلم: ((**وَاللهِ لأنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً، أو أُجَرَّ فِي الاغْلاَلِ**[٢] **مُصَفَّداً**[٣]**، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ...**))[٤] وقد وظف الإمام لفظة (حَسَكِ) (السَّعْدَان)، بإضافة (الحسك) الى (السّعدان) وهذان النبتان من البقول التي ترعاها الإبل وتسمن عليها. وتضرب مثلاً في الأذى والإيلام بسبب من احتوائها على الاشواك المؤذية التي لايمكن أن يمشي المرء عليها إلاّ وهو ينتعل خفاً أو نعالاً كما يذكر اللغويون[٥]. ويمتاز (السَّعْدَان) بشوكه المؤلم الذي لا يقل أذى عن (الحَسَك)، وبهذا تكون إضافة (الحَسَكِ) إلى (السَّعْدَان) في كلام الإمام يوحي بالمبالغة في الأذى الذي يسببه هذا النبت بما فيه من شوك يؤذي من اضطجع عليه، فيبيت مسهداً أَرِقاً من شدةِ الألم. ولهذا استحب الإمام هذا النوع من الوصف، وارتضاه لنفسه بديلاً عن ظلم بعض الناس، فهان عليه أذى نفسه، ولم يهن عليه لقاء الله تبارك وتعالى ورسوله، وهو ظالم لبعض عباده، وهو ظالم لبعض العباد. فقد اتخذ (عليه السلام) من بعض لوازم الحياة البدوية، وهي النباتات المتعلقة بمراعي الإبل في سياق التبرؤ من الظلم وإيذاء الناس، مؤثراً أذى نفسه على إيذاء غيره. ويمكن أنْ نفهم دلالة أخرى من التعبير

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١١٠، ٢١٥.

(٢) الَأغلال الجوامع التي تجمع الأيدي إلى الأعناقِ. ينظر: لسان العرب (غلل): ١١/ ٥٠٤.

(٣) الَأصْفَاد هي القُيُود والأغلال الحديدية التي يوثق بها. ينظر: لسان العرب (صفد): ٣/ ٢٥٦.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ٢٢٤: ٤٣٧.

(٥) ينظر: المحكم (حسك): ٣/ ٣٤.

المتقدم، وذلك بجعل هذا النوع من الإضافة من باب إضافة (الجُزء إلى الكل)، فيكون (الحَسَك) هو النبت، والسعدان شوكة و إبره التي تؤلم من يطأ عليها. ويبدو أن بعض شراح النهج استحب هذه الدلالة، فصرح أنّ (السَّعْدَان) هو نبت شوكي ذو حَسَك له رؤوس محددة[١]. ومهما يكن من شيءٍ فإنَ هذا النوع من النبت يدل على الإيلام والأذى بالنسبة للإنسان، ولكنه مفيد ومغذٍّ بالنسبة للإبل والدواب، فآثر الإمام الجانب المؤلم على المفيد ليدلل على رغبته في أذى الدنيا على أذى الآخرة.

العِطَاش

العَطَش ضد الري[٢]. والعُطَاش – بالضم – شدة العطش[٣]. وإبِلٌ عِطاش – بالكسر – شديدة العطش[٤]. وعَطَّشت الإبل تَعْطِّيَشاً، إذا ازدادت على ظمئها في حبسها عن الماء، وذلك إذا كانت نوبتها في اليوم الثالث أو الرابع، فتسقيها فوق ذلك اليوم[٥]. ولفظة (العِطَاش) من الفاظ نهج البلاغة؛ فقد استعملها الإمام مرة واحدة في كلامه[٦]؛ للدلالة على داء العطاش الذي يصيب الإبل، فيبلغ شدته؛ فما تروى حتى إذا وردت الماء. وجاء ذلك في قوله (عليه السلام) الذي ينصح فيه الناس بالرجوع إلى أهل البيت (عليهم السلام)، وإعطائهم حقهم الذي وضعهم فيه الله تبارك وتعالى

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ٥٣.

(٢) ينظر: لسان العرب (عطش): ٦/ ٣١٨، وتاج العروس (عطش): ١٧/ ٢٦٧.

(٣) ينظر: تاج العروس (عطش): ١٧/ ٢٦٧.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: العين (عطش): ١/ ٢٤٣، وتهذيب اللغة (عطش): ١/ ١٥٨.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٠٦.

يقـول الإمـام: ((... **وَبَيْنَكُـمْ عِـتْرَةُ**[(١)] **نَبِيِّكُـمْ؟ وَهُـمْ أَزِمَّـةُ الْحَقِّ،وأَعْـلامُ الدِّيـن، وَأَلْسِـنَةُ الصِّدْقِ! فأنْزِلُوهُـمْ بِأَحْسَـنِ مَنَازِلِ القُرْآنِ، وَرِدُوهُـمْ وُرُودَ الْهِيـمِ الْعِطَاشِ**))[(٢)]. يبيـن الإمـام منزلـة عـترة النبـي الأكـرم، بوصفهـم قـادة الحـق، وأعـلام الديـن، وألسـنة الصـدق، ولهـذا أمـر (عليه السلام) النـاس، وأرشـدهم إلى إنزالهـم (بأحسـن منـازل القـرآن). فوظّـف الإمـام لفظـة (أزِمَّـة)؛ للدلالـة عـلى كونهـم القـادة الذيـن يتبعهـم الخلـق إلى طريـق الحـق مثلـما تقـاد الناقـة بالزمـام؛ فهـم الحبـل الـذي يتمسـك بـه الخلـق جميعـاً في النجـاة بإمسـاكه[(٣)]، وذلـك عـلى سـبيل التشـبيه البليـغ الـذي تحصّـل مـن تعبير(أزمّـة الحـق)، جاعـلاً (الحق)بهيأة جمـلٍ ذي زمـام، في تصويـر فنـي أخـرج باسـتعارة مكنيـة. كـما اسـتعمل لهـم لفـظ (الأعـلام) و (أَلْسِـنَة). فالاعـلام باعتبـار كونهـم هـداة الأمـة، وأعـلام الديـن في الظهـور والوضـوح[(٤)]. وأمـا وصفهـم بـ (الألسـنة)؛ فذلـك لكونهـم تراجمـة الوحـي الصـادق مثلـما يكـون اللسـان ترجمانـاً للنفـس، فضـلاً عـن انهـم لا يقولـون إلا صدقـاً[(٥)]. وأشـار (عليه السلام) بقولـه (أحسـن منـازل القـرآن) إلى منزلـة الاكـرام والتعظيـم التـي ينالهـا الذكـر الحكيـم في القلـوب. فالمـراد الوصيـة بإكرامهـم ومحبتهـم وتعظيمهـم كـما يكـرم القـرآن. ويبـدو أن الإمـام يومـئ بقولـه المتقـدم إلى إنـزال أهـل البيـت (عليهم السلام) المنزلـة التـي أحلهـم فيهـا القـرآن، وهـي أحسـن المحـال، وذلـك قولـه تعـالى: ﴿ **ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ**

---

(١) العـترة الاسرة، والرهـط الأدنـون، وأخـص الأقـارب. وهـذهِ المفـردة مخصوصـة بالنبـي الاكـرم (صلى الله عليه وآله)، فعترتـه هـم ولـد فاطمـة البتـول (عليها السلام). ينظـر: لسـان العـرب (عـتر): ٤/ ٥٣٨.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ٨٧: ١٤٣.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٤١٦، والديباج الوضي: ٢/ ٦٥٣.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٤١٦.

(٥) نفسه.

﴿فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾(١) أما الأمر بـ (وِرْدِهم) وتشبيه ذلك بورود الإبل الهيم العِطاش، فهو دعوة إلى التعلم منهم، والنهل من علومهم كما ترد الإبل العطشى الماء. وذلك أن هذا الضرب من الإبل تسعى إلى الماء عجلى بسبب ما يعتريها من الهيام حتى يدك بعضها البعض الآخر.

ويذكر اللغويون أن حالة (العُطِاش) بالكسر والضم هي أشد حالات عطش الإبل وأشدها(٢). وغالباً ما تكون هذهِ (العطاش) مما يرد الماء ويشربه ولكنه لا يروى منه. وجاء توظيف الإمام لهذهِ المفردة مناسباً للسياق الذي دعا فيه الناس إلى الورد من أهل البيت وعلومهم كما ترد الإبل العطاش وتقبل على الماء. فشَبّههم (عليهم السلام) بينابيع الماء العذب التي تروي العطاش من الناس، في حين شبه الناس بعطاش الإبل التي لاترتوي من الماء مهما شربت، كناية عن عدم تحقق الاكتفاء بعلومهم مهما نُهِل منهم.

اعْذِبُوا

العذب المُمْتَنِع، وعَذَبَه إعْذَاباً وعَذَّبَهُ تَعْذِيباً اذا منعهُ وفطمه عن الامر، وكل من منعته شيئاً، فقد اعْذَبتهُ(٣). والعَذُوْب من الدواب هو المتنع الذي بات لا يأكل ولا يشرب(٤). وعَذُب الرجل فهو عَاذِب عن الأكل والشرب، فلا هو صائم ولا مفطر(٥). وقد وردت لفظة (أعْذِبُوا) بصيغة الأمر مرة واحدة في نهج

(١) الشورى / ٢٣.

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٥٧، وتاج العروس (عطش): ١٧/ ٢٦٧، وتنظر مفردة (الهيم) في البحث.

(٣) ينظر: لسان العرب (عذب): ١/ ٥٨٣.

(٤) ينظر: العين (عذب): ٢/ ١٠٢.

(٥) نفسه.

البلاغة[١]؛ للدلالة على الكف وترك شغل القلب بذكر النساء، وذلك في سياق مخاطبته سريةً شيعها (عليه السلام) للغزو، فقال لهم: ((**أَعْذِبُوا عَنِ النِّسَاءِ مَا اسْتَطَعْتُم**)) [٢]. ومعنى (أَعْذِبُوا)، امنعوا أنفسكم عن ذكر النساء وشغل القلوب بهن، فأمرهم أن يصدفوا عن النساء، وأن يمتنعوا عن مقاربتهن؛ لأن ذلك يفت في عضد الحمية، ويقدح في معاقد العزيمة، ويكسر عن العدو[٣]. وقد نقل اللغويون هذا الحديث عن الإمام (عليه السلام)، وأشاروا إلى دلالة هذهِ اللفظة على المنع والترك [٤]. وتعد لفظة (أَعْذِبُوا) من الالفاظ الغريبة في كلام أمير المؤمنين، فقد وضعها الشريف الرضي في باب غريب كلامه المحتاج إلى تفسير[٥]. أرجع الدكتور عبد الكريم السعداوي غرابة هذه المفردة في كلام الإمام إلى الإبهام الحاصل في ذهن السامع بين (عَذَب) و (أَعْذِب)، من حيث الصيغة، وبين (السَّائِغ) و الممتنع في (عَذَب) من حيث الحلاوة، و(عَذَب) الدالة على المنع في كلامه [٦] والمقصود بهذا الكلام أن اختلاف الصيغة الصرفية لكل من (عَذْب) و (أَعْذِب) يمنحها دلالة التضاد الذي أحسبه السبب الرئيس في غرابة هذه المفردة التي تدل على الترك والمنع، كما أن لفظة (عَذْب) تدل على الترك والمنع في مضمونها، على الرغم من دلالتها على الماء العذب الطيب اصلاً، ذكر الزبيدي العلة في تسمية الماء الحلو

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٩٦.

(٢) نهج البلاغة: غ/ ٧: ٦٥٣.

(٣) ينظر: غريب الحديث (أبو عبيد): ٣/ ٤٦٧، ونهج البلاغة: غ/ ٧: ٦٥٣، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٥١٤.

(٤) ينظر: غريب الحديث (أبو عبيد): ٣/ ٤٦٧، وتهذيب اللغة (عذب): ٢/ ١٩٣، والنهاية في غريب الحديث: ٣/ ١٩٥، ولسان العرب (عذب): ١/ ٥٨٤.

(٥) ينظر: نهج البلاغة: ٥٤٩.

(٦) ينظر: غريب نهج البلاغة: ٢١٥، ٢١٦.

عذباً والعذاب عذاباً، فقال: ((**وسُمّيَ الماءُ الحُلْوُ عَذْباً لِمَنْعِهِ العَطَشَ، والعَذَابُ عَذَاباً لِمَنْعِهِ المُعَاقَبَ من عَوْدِهِ لِمِثْلِ جُرْمِهِ، ومَنْعِهِ غَيْرَهُ مِن مِثْلِ مَا فَعَلَ...**))[١]. ويفهم من هذا الكلام أن دلالة (العَذْب) على المنع موجودة حتى في أثناء استعمال المفردة للدلالة على الطيِّب من المأكول والمشروب، فضلاً عن أنّ الصياغة التي استعملها فإن الصياغة التي استعملها الإمام (عليه السلام) لهذه المفردة منحها ضرباً من الغرابة؛ فمجيءَ الكلمة بصيغة الأمر يلفت النظر ويهيئ السمع إلى ترقب المنهي عنه لأجل تجنبه ومنع النفس عنه.

المَعَاطِش

المَعَاطِش هي مواقيت الإضماء[٢]. وتطلق هذه الكلمة على الأرض التي لا ماء بها[٣].

وقد وردت المفردة المتقدمة في نهج البلاغة مرة واحدة[٤]، للدلالة على الأرض التي لا ماءَ فيها. وأورد الإمام هذه الدلالة في سياق التمثيل الذي ضَرَبه لبعض أهل البصرة الذي أرسله قومه إلى أمير المؤمنين لما قَرُب منها؛ ليعلم حالهم مع (أصحاب الجَمَل). فَبيّن له الإمام أمرهم مع هؤلاء، ثم قال له: بَايع. فقال الرَّجُل: إني رَسَوْل قَومٍ ولا أحدِثُ حَدثاً حتى أرْجِع إليهم[٥]. فقال له (عليه السلام): ((**أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ، فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ**

---

(١) تاج العروس (عذب): ٣/ ٣٣٠.

(٢) ينظر: العين (عطش): ١/ ١/ ٢٤٣، وتهذيب اللغة (عطش): ١/ ٥٨.

(٣) أنفسهما.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ٣٠٦.

(٥) ينظر: نهج البلاغة: خ/ ١٧٠: ٣٠٧،٣٠٨.

وَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلأ وَالْمَاءِ، فَخَالَفُوا إلى الْمَعَاطِشِ وَالْمَجَادِبِ[١]، مَا كُنْتَ صَانِعاً؟ قال: كُنْتُ تَارِكَهُمْ وَمُخَالِفَهُمْ إلى الْكَلأ وَالْمَاءِ. فَقَالَ لَهُ (عليه السلام): فَامْدُدْ إذاً يَدَكَ.))[٢] فقال الرَّجُل: ((**فو الله ما استطَعْتُ أنْ امْتنَع عند قيام الحُجة عليَّ، فبايعْتُهُ(عليه السلام)**))[٣].
وقد أجمع الشُراح على لُطف هذا التمثيل الذي تمثّل به أمير المؤمنين، فإنّه أوقَعُ في النَّفس وأوضح في الحُجّة[٤]. فقد جعل المخاطب رائداً لأهله، والرَّائد هو الذي يبعثه قومه ليِرودَ لهم مواضع الكلأ والمنازل ومساقط الغيث فينظر، ليختار لهم أفضلها[٥]. فلا يكون إلا صادقاً في إرشادهم، ووجب عند ذلك أنْ يصدّقوه. ولهذا مَثّل الإمام حال الرّجل بذلك؛ لأنّ قومه أرسلوه ليستطلع لهم خبر طرفي القتال في معركة (الجمل)، لما وقع في حالهم من الاشتباه والشك. وقد أراد (عليه السلام) استمالة الرّجل واقناعه بالحجة الغالبة، فصّور له المسألة بهذِهِ الصورة المشتملة على صِدقْ (الرَّائد) مع ملاحظة أنّ هذا الشخص هو (رائد) أيضاً في موقفه مع الإمام؛ لأنه مبعوث قومه، ولكن إلى تتبع مواطن الخير والحق، ومعرفة مساقط الفضائل والهداية، فإنْ ظهرت له، عَلَم - عند ذاك - مواضع العطش والجدْب. وقد أبان له الإمام بكلامه الفارق بين الأمرين اللّذَين مثّل لهما بـ(مَساقِطِ الغَيْث)، في إشارة إلى نفسه ومعسكره، وبـ(المِعاطِش والمَجَادَب)، إشارة إلى أصحاب الجَمَل. فكأنّه (عليه السلام) تلمسَّ الخَير كَلّه بالغيث الذي يُغيْث الناس، ويملأ الأرض بالعشب والكلأ والنّعم، و تحيا به النّاس والنَّعم، بخلاف المعاطِش من الأراضي الخالية التي لا

---

(١) الجَدْب نقيض الخصب. ينظر: لسان العرب (جدب): ١/ ٢٥٤.
(٢) نهج البلاغة: خ/ ١٧٠: ٣٠٨.
(٣) نفسه.
(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ٢٢٩، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦٧٧.
(٥) ينظر: العين (رأد): ٨/ ٦٢.

ماءَ فيها فيكون صاحبها عطشان أبداً[١]، فإنها تمنع من الرّحمة والخير عن الناس، فتضطرهم إلى مجانبتها، ولاسيما إذا اقترنت بالجدب والقحط ومواضع المَحْل والعَيْب والتنقُصّ إلى لا تكاد تخصب، فيلزمها القَحطُ[٢].

و خيّر الإمام الرجل بين هذين الأمرين، فإذا صدق أهله بذكر لهم مواضع الماء والكلأ، فخالفوه إلى غيرها، فإنهم هلكوا بذلك، لما تقدم من انعدام الماء والخصب في غير ذلك المواضع، ولهذا سأله الإمام عن موقفه في ذلك، فذكر أنه تاركهم ومخالفهم إلى الكلأ والماء. وبهذا ألْزمَه الإمام الحجّة.

٦ـ سير الإبل وحداؤها ودعقها وتمعكها

الوَجِيْف

الوَجْف سرعة السير[٣]. وهو ضرب من سير الخيل والإبل[٤]، فهو يصلح للبعير والفرس[٥]. وناقة ميجاف، أي كثيرة الوَجِيْف[٦]. وتردد استعمال الجذر اللغوي (وجف) في نهج البلاغة، فقد جاءت الفاظ (أوجَف) و (أوجَفُوا) و (تُوْجِفُ) و (الوَجِيْف) مرة واحدة لكل مفردة من المفردات المتقدمة في نهج البلاغة[٧]. وقد دلت هذهِ المفردات جميعاً على (الإسراع) ولكن هذهِ الدلالة

---

(١) ينظر: مع نهج البلاغة: ٢٦٣.

(٢) ينظر: لسان العرب (جدب): ١/ ٢٥٦، والقاموس المحيط (جدب): ١/ ٨٤.

(٣) ينظر: العين (وجف): ٦/ ١٩٠.

(٤) ينظر: المحكم (وجف): ٧/ ٥٦٥، ولسان العرب (وجف): ٩/ ٣٥٢، وتاج العروس (وجف): ٢٤/ ٤٤٦.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (وجف): ١١/ ١٤٥، والمحكم (وجف): ٧/ ٥٦٥.

(٦) ينظر: المحكم (وجف): ٧/ ٥٦٥.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٧٦.

تختلف باختلاف السياقات التي صنعها (عليه السلام)، ومن ذلك:

أولاً: إسراع الذِّكر باللِّسانِ.

وجاءت هذه الدلالة في سياق كلامه (عليه السلام) عن التقوى التي تمكن العبد من اجتياز الصراط يوم القيامة؛ إذ يقول: ((**فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ الله تَقِيَّةَ**[١] **ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ، وَأَنْصَبَ**[٢] **الْخَوْفُ بَدَنَهُ... وَأَوجَفَ الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ**[٣]...))[٤]. أراد بهذِهِ الوصية: أن تكون التقوى محفوفة بحذر صاحب العقل، الذي شغل التفكر بالله وبطاعته قلبه وولاه، حتى أنصبه الخوف من الباري جل جلاله. فكأنما أمرضه وأجهده خوف الله جل جلاله، حتى أوقف نفسه لطاعة الله واكتساب رضاه مسرعاً بالذكر لسانه، لشدة ما به من خوف وتقىً، فعبر (عليه السلام) عن اعتياد هذا النوع من الأتقياء وإدمانهم للذكر[٥] بلفظة (أوجَفَ) آخذاً من هذه المفردة من دلالتها على السير السريع للإبل والخيل، وإعمالها في مجال سرعة اللهج بذكر الله بواسطة اللسان. فكأن اللسان مطيةٌ أوجفت براكبها نحو أمان الله[٦]. وهذا وجه من وجوه المعنى. اما الوجه الثاني وهو الأكثر مناسبة للسياق، فهو (الإيجاف والإسْرَاع). وهذا أحد المعاني الأساسية في مادة (وجف) التي تدل على

---

(١) التَّقِيّة الحَذَر، والاسم منها التقوى. ينظر: المحكم (وقي): ٦/ ٩

(٢) النَّصَبُ المَرَضُ والدّاء والبلاء والكَدّ والجُهد والنَّصْبُ المثُول. ينظر: المحكم (نصب): ٨/ ٣٤٤.

(٣) أوردت المدونات اللغوية كلمة الإمام (عليه السلام) المتقدمة. ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٥/ ١٥٦، ولسان العرب (وجف): ٩/ ٣٥٢.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ٨٣: ١٣٠.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٨٩.

(٦) وقد أشار إلى هذا المعنى ابن منظور في تعليقه على قول أمير المؤمنين: ((... وأوجف بالذكر لسانه)). ينظر: لسان العرب (وجف): ٩/ ٣٥٢.

الاضطراب أيضاً. يقال: قَلْبٌ وَاجِف. أي مضطرب[١] وهذهِ الدلالة مناسبة لحال من يصفه الإمام (عليه السلام)، فإنه فضلاً عن إسراعه في تحريك لسانه بالذكر، فإنه يدل على اضطراب ذلك الإنسان خشية من الله تبارك وتعالى.

ثانياً: الدلالة على إسراع (مَطَايا الطَّمَع).

وهو من التعابير البليغة عنده (عليه السلام)، فقد جعل (للطَّمَع) (مَطَايا) يركبها الإنسان، فتوجف به موردة إياه مناهل الهلكة. يقول الإمام في السياق وصيته لولده (الحسن) (عليه السلام) ناهياً عن الطمع: ((**وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا**[٢] **الطَّمَعِ، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ**[٣] **الْهَلَكَةِ**...))[٤]. وقد جعل الإمام (عليه السلام) لفظة (**تُوْجِف**) دليلًا على سرعة سير هذهِ المطايا، فكأنما يؤكد أن الطمع يمثل مطية للإنسان الذي تغلبه نفسه، فتجعل منه طمعاً يحاول الحصول على أي شيء لم يقسم له. وذهب الشارح البحراني إلى أن الإمام استعار لفظة (مَطَايا)، للقوى الأمارة بالسوء في نفس الإنسان، ومنها القوى (الوهمية، والخيالية، والشهوية). ووجه المشابهة بينما هو كونها حاملة (للنفس العاملة) وموصلة لها إلى ما يطمع به الإنسان، فهي كالمطايا لراكبها. ثم استعار لها لفظة (تُوْجِف)؛ للدلالة على سرعة انقياده مع هذه المطايا إلى المطامع الرديئة التي تورد مناهل الهلكة[٥]. ويفهم من هذا الكلام أن النفس الأمارة بالسوء، هي التي يركبها الإنسان، فتسرع به نحو الهلاك. في حين أنّ النفس التي يَعبّر عنها بـ (العَاقِلة)، وهي – هنا – ضمير الإنسان وعقله، لا يمكن

(١) ينظر: تاج العروس (وجف): ٢٤/ ٤٤٦.

(٢) المَطِيّة من الدواب هي التي تَمْطُو في سَيرْها. ينظر: المحكم (مطو): ٩/ ٤٨.

(٣) المَنَاهل جمع مَنْهَل، وهو عين الماء الذي ترده الإبل. ينظر: لسان العرب (نهل): ١١/ ٦٨١.

(٤) نهج البلاغة: ك/ ٣١: ٥٠٨.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٢٨٠.

أن تمتطي شهواتها وهي موجفة بها نحو الهلاك، ولكن غلبة الهوى والشيطان على النفس، هو الذي يدفعها إلى أن (تُوْجِفَ) بها مطايا الطمع. ومن المسألة نفسها، استعمال الإمام (عليه السلام) لمفردة (الوِجَيْف) بصيغة (فَعِيل) وصفاً لسير كلٍ من (طلحة و الزبير) في كتابه الذي بعثه إلى (أهل الكوفة) عند مسيره من المدينة إلى البصرة(١): ((**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ**(٢): **إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ، فَكُنْتُ رَجُلاً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أُكْثِرُ اسْتِعْتَابَه**(٣)، **وَأُقِلُّ عِتَابَهُ، وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ، وَأَرْفَقُ حِدَائِهِمَا**(٤) **الْعَنِيفُ...**))(٥). والنص يوضح فيه الإمام موقفه من الخليفة (عثمان)، مشيراً إلى انه كان يكثر من (**استعتابه**) على ما صدر منه من أمور رفضها المسلمون والصحابة. والاستعتاب في اللغة هو طلبك إلى المسيء الرجوع عن إساءته كما يذكر اللغويون(٦). وهذا يدل على محاولة الإمام إرجاع الخليفة إلى الصواب، وطلب الرضا له(٧). ولهذا استعمل تعبيراً قابل فيه بين (أُكْثِر) و (أُقِل)، مستعملاً المفردة الأخيرة؛ للدلالة على قلة لومه للخليفة (عثمان) وقلة تعنيفه على الاساءة(٨). لأن غرضه (عليه السلام) إصلاح وضع الخلافة، وإخراج الخليفة (عثمان بن عفان) من المأزق الذي وقع فيه، في حين أن

(١) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٢١٠١.

(٢) اعَايَنَهُ مُعَاينة، أي: رَآهُ دون أنْ يشك في رؤيته. ينظر: لسان العرب (عين): ١٣/ ٣٠٢.

(٣) الاستعتاب هو طَلَبُك إلى المُسيءِ الرجوع عن إساءته، والعِتاب هو اللّوْم على الإساءة. ينظر: لسان العرب (عتب): ١/ ٥٧٧

(٤) الحَداءُ هو زَجْرُ الإبل وسَوْقها. ينظر: لسان العرب (حدا): ١٤/ ٦٨.

(٥) نهج البلاغة: ك/ ١: ٤٥٩.

(٦) ينظر: لسان العرب (عتب): ١/ ٥٧٧.

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٤/ ٨، والديباج الوضي: ٥/ ١٢٠.

(٨) ينظر: لسان العرب (عتب): ١/ ٥٧٧.

الطرف الآخر الذي يتمثل بـ (طَلَحَةَ و الزُّبَيْر) والسيدة (عائشة) كان يؤلب على الخليفة (عثمان)، ويسعى إلى النيل منه، وقد عبر الإمام (عليه السلام) عن موقف (طَلْحَة والزّبَيْر) بقوله: ((**أَهْوَنُ سَيْرِهما فيه الوَجِيْف**))[١]. موظفاً لفظة (الوِجَيْف) في هذا السياق؛ للدلالة على سعيهما للاطاحة بالخليفة و الطعن عليه، حتى أن سعيهما هذا هو من البطء بمكان[٢]. و (الوِجَيْف) هو ضرب من السير السريع للإبل[٣]. وهو مما يصلح أن توصف به الخيل والإبل[٤]. وقد استعار الإمام (عليه السلام) هذهِ المفردة من مجالها الدلالي، وهو اختصاصها بسير الدواب السريعة، إلى وصف إجلاب (طَلْحَة و الزَّبَيْر) وسعيهما في النيل منه سعياً سريعاً كـ(وَجِيْفِ) الإبل حينما تسرع في سيرها. ومع تسرعهما في هذالامر، فهما أبطأ بما يخفّان إليه من أمر[٥]. وفي ذلك إشارة إلى كونهما على الباطل ولم يكتف الإمام بهذا التعبير، وإنما استعمل مفردة (حَدَائِهِمَا) في قوله:((**وَأَرْفَقُ حَدَائِهِما العَنِيْفُ**))[٦] في استعارة لهذه المفردة التي تدل على سوق الإبل وزجرها[٧]. في محاولة لتوجيهها إلى ما يريده حاديها الذي يحأول حثها على السرعة في السير. جعل الإمام ذلك كناية عن مبالغتهما في القضاء على الخليفة (عثمان)[٨].

---

(١) نهج البلاغة: ك/ ١: ٤٥٩، وقد نقلت المدونات اللغوية كلمة الإمام المتقدمة. ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٥/ ١٥٦، ولسان العرب (وجف): ٩/ ٣٥٢.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٤/ ٨.

(٣) ينظر: لسان العرب (وجف): ٩/ ٣٥٢.

(٤) ينظر: المحكم (وجف): ٧/ ٥٦٥.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٤/ ١٦٨.

(٦) نهج البلاغة: ك/ ١: ٤٥٩.

(٧) ينظر: لسان العرب (حدا): ١٤ / ١٦٨.

(٨) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٢١٠٣.

تَخْبِط

الخَبْطُ شدة الوطءِ بأيدي الدواب[١]. وقيل: هو ضرب البعير الشيء بخف يده[٢]. أو بيديه ورجليه معاً[٣].

وقد وردت لفظة (تَخْبِط) بصيغة الفعل المضارع مرتين في نهج البلاغة، في حين استعملت اللفظة نفسها متصلة بضمير الخطاب الخاص بالجمع (تَخْبِطكُم) مرة واحدة فحسب[٤]؛ للدلالة على الخبط والاضطراب الذي يصاب به الناس أيام الفتن والمحن. ومن ذلك قول أمير المؤمنين في وصف فتنة بني أمية التي يحمل رايتها أهل الضلال منهم. يقول الإمام: ((**رَايَةُ ضَلاَلَة قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا**[٥]... **تَكِيلُكُمْ**[٦] **بِصَاعِهَا**[٧]، **وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا**[٨]. **قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنْ الْمِلَّةِ**[٩]...))[١٠]. يصف الإمام قيام الفتنة التي يقودها أهل الضلال من بني أمية الذين يحملون رايتها. وعبر الإمام عن ذلك بقيامها على قطبها، إشارة انتظام أمرها واستحكام قوتها.

---

(١) ينظر: العين (خبط): ٤/ ٢٢٣، ومقاييس اللغة (خبط): ٢/ ٢١٤، ولسان العرب (خبط): ٧/ ٢٨١.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (خبط): ٧/ ١١٣، ولسان العرب (خبط): ٧/ ٢٨٠.

(٣) ينظر: لسان العرب (خبط): ٧/ ٢٨١.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٣٣.

(٥) القُطب الحديدة التي تكون وسط حجر الرحى السفلى. ينظر: لسان العرب (قطب): ١/ ٦٨٢.

(٦) الكيل ضرب من الوزن الذي تكال به الأشياء لمعرفة مقدارها. ينظر: لسان العرب (كيل): ١١/ ٦٠٥.

(٧) الصّاع نوع من المقادير التي توزن بها الأشياء. وهو أربعة أمداد. وقيل: أربعة أمناء. ينظر: تهذيب اللغة (صوغ): ٣/ ٥٣.

(٨) الباع مسافة مابين الكفين إذا بسُطا. ينظر: المحكم (بوغ): ٢/ ٣٦٨.

(٩) المِلّة الشريعة. ينظر: المحكم (ملل): ١٠/ ٣٧٩.

(١٠) نهج البلاغة: خ/ ١٠٨: ١٩٧.

ثم يبين خطرها على الناس، الذين يحذرهم من طغيانها. مشيراً إلى كونها تكيل الناس كما يُكال البر وغيره عندما يراد وزنه وتقديره بالصاع. ويومئ بذلك إلى إحراز الأمويين الناس ومحاولة القضاء عليهم جميعاً. ثم استعار لهذِهِ الفتنة لفظة (تَخْبِطُكم) مصوراً إياها بصورة البعير الذي يضرب بخفيه الأرض بشدة. و(الخَبْطْ) نوع من الضرب الذي تمتاز به الإبل على ما سواها من الدواب عندما تطأ الأرض بأخفافها. ويحتمل أن يراد باللفظة المتقدمة الدلالة على الضرب بعامة، وذلك كخبط القوم إذا ضربهم بالعصا[(١)]. ومنه أيضاً خبط الشجر بالعصا، إذا أريد نفض ورقها لتعلفها الإبل والدواب[(٢)]. وبهذا تكون مفردة (تَخْبِطُكم) ذات دلالة عامة غير مخصوصة بخبط الإبل. ولعل خبط الإبل أليق بالسياق؛ لارتباط (خبط الإبل) بالخوض والهدم وعدم التمييز بين شيءٍ وآخر، ولاسيما إذا كانت الإبل عشواء غير مبصرة. فضلاً عن كون خبطها مصحوب بالأذى والوطئ الشديد[(٣)]. وقد أسهم استعمال الإمام لصيغة الفعل المضارع لهذه المفردة في تعضيد الدلالة ومنحها ضرباً من الإيحاء بما سيقع مستقبلاً؛ مناسبة لمقام التكلم الذي كان الإمام يتحدث فيه. أما استعماله (عليه السلام) مفردة (باعها)، ففيه دلالة على كثرة واتساع الأذى (الخبط)؛ كأن خابط الفتنة سيكون واسع من هذِهِ الجهة لا اليد بأذاه وقهره وغلبته على الناس. وهذا التعبير أبلغ من استعمال مفردة (اليَد) في الضرب؛ لأن (الباع) أدل في الافادة على قوة الضرب[(٤)]. هذا من جهة. ومن جهة أخرى فاستعمال المفردة المتقدمة يمنحها مزية الإيحاء بالكرام والبسطة في العطاء.

---

(١) ينظر: لسان العرب (خبط): ٧/ ٢٨١.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: لسان العرب (خبط): ٧/ ٢٨١.

(٤) ينظر: منهاج البراعة: ٧/ ٢٤٤.

وقد أشار الخليل أن (الباع) لا يستعمل إلا في الكرم؛ فلا يقال إلا كريم الباع[١]. وبهذا يكون في استعمال الإمام تعبير (تخبطكم باعها) علامة على سعة يد قادة الفتنة في إيذاء الناس، والتضييق عليهم باسطين لذلك أيديهم خبطاً وضرباً وأذى لهم. أما إذا أريد بالقول المتقدم الدلالة على ضرب الشجر باليد لإسقاط ورقه وثماره واستعماله علفاً للدواب، فذلك ليس ببعيد عما قدمته من كون أصحاب هذهِ الفتنة وقادتها يسعون إلى استئصال المؤمنين من الناس وقطع دابرهم، ليكونوا بمنزلة الثمار التي يجتنيها الرعاة لدوابهم وبهذا ينطبق المصداق في أن بني أمية أشبه ما يكون بالإبل التي تخبط الأرض بقدميها خبطاً وضرباً وعجناً؛ ليحصلوا على ما يقتاتون عليه من الثمار. والمراد بالثمار - هنا - علية المؤمنين وقادتهم وقد استعمل الإمام (عليه السلام) المفردة المتقدمة نفسها مجردة من (كاف) الخطاب (تَخْبِط) بالدلالة المتقدمة نفسها في (خ/ ٩٣، ك/ ٣١).

اسْتَوسقت

وسق الإبل، فاستوسَقَت. أي طردها فاطاعت[٢]. واستوسقتِ الإبل، اجتمعت وانضمت[٣]. والوَسِيْقَة من الإبل كالرِّفقة من الناس[٤]. وتساوقت الإبل، تتابعت[٥]، و(اسْتَوْسَقَت)، و (تَسْتَوسِقوا) من مفردات نهج البلاغة؛ إذ وردتا مرة واحدة[٦]. للدلالة على الطاعة والاجتماع وعدم التفرق عن الأمر. ومن

(١) ينظر: العين (بوع): ٢/ ٢٦٤.

(٢) ينظر: لسان العرب (وسق): ١٠/ ٣٨٠.

(٣) ينظر: العين (وسق): ٥/ ١٩١، ولسان العرب (وسق): ١٠/ ٣٨٠.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (وسق): ٩/ ١٨٥.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٨٣.

ذلك قوله (عليه السلام) مخاطباً الناس في سياق الذم والتقريع: ((**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ بِهَا الأنْبِيَاءُ أُمَمَهُمْ، وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الأوصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، وَحَدَوْتُكُمْ بالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا. لله أنْتُمْ! أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ، وَيُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ؟...**))[1]. يتضمن كلام الإمام الإشارة إلى أمرين؛ الأول منهما مقدمة للثاني. ويذكر (عليه السلام) ما أداه من حق للناس؛ من قبيل بثّ المواعظ والارشادات التي تتضمن الأمر بالمعروف و النهي عن ارتكاب المعاصي، وضرورة انتهاج الطريق المستقيم، حتى أدى اليهم ما أدته الأوصياء إلى من بعدهم. فعلى هؤلاء الناس السمع والاهتداء بها يسمعونه من مواعظ وإرشادات. وإلاّ فالتأديب شأنهم. فاستعمل الإمام لفظة (أَدَّبْتُكم)؛ لأن الغاية من العقاب ليس الانتقام، وإنما التأديب والهداية إلى الطريق المستقيم، فضلاً عن أنه (عليه السلام) استعمل مفردة (سَوْطي) في إشارة إلى عقابه لهم، واقامته حدود الله تبارك وتعالى. وربما احتمل المعنى أن تكون المفردة دالة على ما قدمه لهم من آداب ومواعظ وزجرٍ[2]. غير أنّ ذلك لم يدفعهم إلى الاستقامة والعدول إلى الحق. ثم أشار (عليه السلام) إلى قياده للناس، وسوقه لهم كما تساق الدواب بالزجر، ولكن ذلك لم يجمعهم أو يؤلف قلوبهم. موظِّفاً لذلك مفردات (حَدَوْتُكم) و (الزَّوَاجِر) للدلالة على قيادته لهم جاعلاً منهم كالإبل التي يحدوها حاديها في رعيها و انتقالها من مكان إلى آخر، وأشار بلفظ (الزَّواجر) إلى نهيه لهم، وزجره عما لا يجوز لهم فعله. ولكن هؤلاء القوم لم يجتمع لهم أمر أو شأن فعبر عن هذا المعنى بلفظة (لم تَسْتَوْسِقُوا)؛ للدلالة على عدم تآلفهم، واجتماعهم على أمرهم الذي يدعوهم الإمام اليه في سرائهم وضرائهم، وفي الاتفاق على رأي واحد؛ كأنهم في ذلك كالإبل التي

---

(١) نهج البلاغة: خ/ ١٨٢: ٣٣٢.

(٢) ينظر: الديباج الوضي: ٤/ ١٥٤٥.

يحدوها زاجرها ولكنها تظل متفرقة تذهب يميناً وشمالاً[١]. وقد وردت لفظة (استوسقت) بالدلالة المتقدمة نفسها في(خ/ ١٠٤).

حَدَائِهما

الحَدْو هو سَوْقُ الإبل [٢]، وحدا الإبل يحدوها أي زجرها وساقها من خلفها[٣]. وأصل الحَدو لاتباع، واحتداه، إذا تبعه[٤]. ومنه قيل الأيدي (الحَوَادِي)؛ لأنها تتلو الأرجل وتتبعها[٥]. وجاءت لفظة (حَدَائِهما) مرة واحدة في نهج البلاغة[٦]، للدلالة على سوق الإبل وزجرها؛ فقد وظف الإمام هذه المفردة في سياق كلامه عن موقف (**طَلْحَة و الزُّبَيْر**) من الخليفة (عثمان بن عفان). يقول فيه الإمام (عليه السلام): ((**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ: إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ، فَكُنْتُ رَجُلاً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أُكْثِرُ اسْتِعْتَابَه، وَأُقِلُّ عِتَابَهُ، وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ، وَأَرْفَقُ حِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ...**))[٧]. وأراد (عليه السلام) بأن أهوان ما كان يقوم به (طلحة والزبير) من سقيٍ للنيل من (عثمان بن عفان) هو سرعة سيرهما في الاطاحة به، وأن أرفق ما كانا يقومان به هو تأليب الناس عليه وتحريضهم عليه، زجراً وسوقاً كما تزجر الإبل وتساق ممن يحدوها.

أقول: وليس المراد بقول أمير المؤمنين ((أَرْفَقُ حدائهما العَنِيْفُ)) أن المراد

(١) نفسه: ٤/ ١٥٤٦.

(٢) ينظر: لسان العرب (حدا): ١٤/ ١٦٨، والقاموس المحيط (حدا): ١/ ١٦٤٣.

(٣) ينظر: المحكم (حدو): ٣/ ٤٨٧.

(٤) ينظر: المحكم (حدو): ٣/ ٤٨٧، وتاج العروس (حدو): ٣٧/ ٤٠٨.

(٥) أنفسهما.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٠٤.

(٧) ينظر: لسان العرب (حدا): ١٤ / ١٦٨.

رفقهما المختص بحث أنفسهم عليه فقط، وإنما يتعدى ذلك إلى تأليب الناس عليه؛ لأن (الحَدَاء) يعني سوق الحادي للإبل زجراً

حتى تتبع بعضها بعضاً[١]. ولا يكون ذلك إلّا من خلف الإبل[٢]. فكأن ما يقوم به (طلحة والزبير) مشابه لما يقوم به الحادي عند سوقه الإبل، ولهذا استعار الإمام مفردة (حدائهما)؛ للدلالة على هذا الحث والاكراه على التقدم، أما ما يذكر على الحداء هو غناء الراعي للابل[٣]. فلا بد صرفه إلى ما كان يقوم به (طلحة والزبير) من إغراءٍ للناس بخلع الخليفة (عثمان) والإطاحة به كأن هذا الإغراء بمنزلة (الحداء) الذي يترنم به الحادي حينما يسوق إبله. فإنّ الإبل إذا سمعت (الحداء)، أسرعت وجدت في المشي، واشتدت حتى أزعجت راكبها وأتعبته[٤]. وليس ببعيد أن يكون موقف (طلحة والزبير) من هذا القبيل.فاتخذ الإمام (عليه السلام) هذا النوع من التعبير، سبيلاً لبيان شدتها على الناس، وتشددهما في إسقاط الخليفة (عثمان) أقول:وكأن وصف الإمام (عليه السلام) لهما بعنف (سوقهما وزجرهما) يوحي بتزعمهما لهذا الأمر، وكونهما رأسه؛ فأن الذي يقوم (بحَدْوِ) الإبل وسوقها، يكون هو الراعي والموجه لها. وكلما زاد تشدده عليها زاد انصياعها لأمره. وكذلك حال هذين الرجلين اللذين كان أرفق حدائهما العنف وعدم اللين في التحريض على الخليفة عثمان بن عفان، وتأليب الناس عليه[٥].

تَدْعَق

(١) ينظر: لسان العرب (حدا): ١٤ / ١٦٨.

(٢) ينظر: لسان العرب (حدا): ١٤ / ١٦٨، وتاج العروس (حدا): ٣٧/ ٤٠٨.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: لسان العرب (قرر): ٥/ ٨٧.

(٥) نفسه: (عنق): ٩/ ٢٥٧.

الدَّعَق شدة وطءِ الدواب الأرض حتى تصير فيها أثار من دعقها[١]. ودعقت الإبل الحوض، إذا وردته وازْدَحَمَتْ عليه، فَخَبَطَتْه حتى تَثْلِمُهُ[٢]. وطريق مَدْعُوق، أي مَوْطُوء[٣]. ولفظة (تَدْعَق) من الفاظ نهج البلاغة التي وردت فيه مرة واحدة[٤]؛ للدلالة على وطء الخيل الأرض في الحرب، يقول الإمام (عليه السلام) في سياق الحث على قتال العدو، وإنزال الهزيمة به: ((... **إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ دِرَاك يَخْرُجُ مِنْهُ النَّسِيمُ، وَضَرْب يَفْلِقُ الْهَامَ... وَحَتَّى تَدْعَقَ الْخُيُولُ فِي نَوَاحِرِ**[٥] **أَرْضِهِمْ**...))[٦] ومفردة (تَدْعَق) تحتمل دلالات متعددة، فقد ذكر الشريف الرضي أنها تدل على (الدَّقّ). والمعنى: حتى تَدَقّ الخيول بحوافرها أرضهم[٧]، والمراد بنواحر أرضهم. متقابلاتها يقال: منازل بني فلان تتناحر، أي: تتقابل[٨]. وقد أخذ اللغويون هذهِ الدلالة عن الشريف الرضي - فيما يبدو - عند بيانهم معنى مفردة (نَواحِر) في كلام أمير المؤمنين سالف الذكر. فذكروا القول نفسه الذي نص عليه السيد الشريف[٩]. أما مفردة (تَدْعَق)، فأصلها في اللغة

(١) ينظر: العين (دعق): ١/ ١٤٥، والمحكم (دعق): ١/ ١٧٤، ولسان العرب (دعق): ١٠/ ٩٧.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (دعق): ١/ ١٤٠.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٥٢.

(٥) النواحِر من الأرض مقابلاتها. ينظر: لسان العرب (نحر): ٥/ ١٩٧.

(٦) نهج البلاغة: خ/ ١٢٤: ٢٢٩، وقد نقلت المدونات اللغوية قول الإمام: (حَتّى تَدُعَقّ الخيول في نواحِرِ أَرْضِهِم)). ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٥/ ٢٦، ولسان العرب (نحر): ٥/ ١٩٧.، و (دعق): ١٠/ ٩٧. برواية أخرى هي ((حتى تدعق الخيل في الدماء)).

(٧) ينظر: نهج البلاغة: خ/ ١٢٤: ٢٢٩.

(٨) نفسه.

(٩) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٥/ ٢٦، ولسان العرب (نحر): ٥/ ٩٧.

الدفع الكثير كما يفهم من كلام الخليل[1]. ويبدو أنهم اخذوا دلالة (الدَّق) في هذهِ المفردة من معنى الدفع؛ لأن الدق في أصله ناشئ من الدفع. وقد خطّأ ابن سيده اللغويين الذين ذهبوا إلى أن (دَعَقَ) أصله من (دَقَّ) المضعّف كأن (العين) فيه زائدة في أصل المفردة، أو انها بدل من (القاف) الأولى في (دَقَقَ)[2]. ووصف ذلك الرأي بأنه من ضَعَفَةِ أهل اللغة[3]. والدَّعْقُ إذا كان منسوباً إلى حوافر الخيل، فهو الوطء المصحوب بمواضع الأرجل التي تدل على انغراس أقدام الخيل في الأرض مخلفة تلك الآثار التي تكون أشبه بالحفر الصغيرة ويقال للطريق التي وطأته الدواب بأرجلها طريق مدعوق[4]. أما إذا وطأت الإبل الأرض بأخفافها، فيسمى وطؤها خبطاً[5].ويمكن أن نفهم من دلالات مفردة (تَدْعَق) التي ذكرها اللغويون معانٍ أخرى غير الدلالة على ذكر، الشريف الرضي. فتتسع دلالة المفردة لتكون دالة على الوطئ والتأثير في أرض الاعداء، كناية عن التأثير وإشاعة القتل بهم، والسيطرة على مواضعهم التي كانوا يحوزونها.كأن دَعْقَ الخيول لأراضيهم يمثل علامة على النصر والفلج وإذلال الاعداء بعد أن وصلت الخيل إلى أقاصي أراضيهم.

وقد أشار اللغويون من الذين ذكروا قول الإمام (عليه السلام) إلى هذا المعنى، على الرغم من أنهم أوردوا رواية مختلفة عما موجود في نهج البلاغة، فقد نقل ابن الأثير الجزري وابن منظور قول الإمام بالنص الآتي: ((**وفي حديث علي، وذكر**

(١) ينظر: العين (دعق): ١/ ١٤٥.

(٢) ينظر: المحكم (دعق): ١/ ١٧٤.

(٣) نفسه..

(٤) ينظر: لسان العرب (دعق): ١٠/ ٩٧، وتاج العروس (دعق): ٢٥/ ٢٩٠.

(٥) المحكم (دعق): ١/ ١٧٤، وينظر: لسان العرب (دعق): ١٠/ ٩٧.

الفِتْنَـة، فقـال حَتّـى تَدْعَـق الخَيْـل في الدِّمـاء))[١]. وفـسرا مفـردة (تَدْعَـق) بأنهـا تعنـي (طَـأ)، مـن قولهـم: دعقـت الـدواب الطريـق، إذا أثـرت فيـه[٢]. وممـا يعضـد هـذا المعنى دلالـة مفـردة (نواحـر) التـي يمكـن أن تـدل عـلى أقـاصي الأرض وأطرافهـا، فضـلاً عـن الدلالـة التـي ذكرهـا السـيد الشريـف. وذلـك مـن قولهـم لآخـر ليلـة مـن الشـهر إنهـا (نحيرة) بمعنـى (نَاحِـرَة). كأنهـا تصـير في نحـر الشـهر، فتنحـر الهـلال؛ ليسـتقبل بهـا أول الشـهر[٣]. وتحتمـل مفـردة (تَدْعـق) دلالـة أخـرى، وهـي الدلالـة عـلى الهيـاج والنفـير، مـن قولهـم: دعـق القـوم، إذا هـاج منهـم ونفرهـم[٤]. أي شـد عليهـم وحمـل. وأزيـد عـلى هـذا الوجـه أن (الدَّعـق) يمكـن يكـون إشـارة - أيضـاً - إلى تقـدم الخيـل في الغـارة عـلى الأعـداء، كأنهـا طلائـع الجيـش التـي تدخـل أراضي العـدو وذلـك مـن قولهـم: خَيْـل مَدَاعِيـق، وهـي المتقدمـة في الغـارة[٥].

قَمَصَت

القَمْـص قَمْـصُ البَعِـيْرِ، وذلـك إذا رفـعَ يديـه ثُـمّ طَرَحهـما معـاً، كأنـه يَعْجِـن برجليـه[٦]. واسـتعملت لفظـة (قَمَصَـت) مـرة واحـدة في نهـج البلاغـة[٧]؛ للدلالـة عـلى عـدم اسـتقرار الدنيـا ودوامهـا عـلى حـال. وجـاء هـذا المعنـى في قـول أمـير المؤمنـين

(١) النهاية في غريب الحديث: ٢/ ١١٩، ولسان العرب (دعق): ١٠/ ٩٧.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (نحر): ٥/ ١٠، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٨/ ٩، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥٥٨.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٨/ ٩.

(٥) ينظر: المحكم (دعق): ١/ ١٧٤.

(٦) ينظر: جمهرة اللغة (قمص):٢/ ٨٩٤، مقاييس اللغة (قمص):٥/ ٢٧.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ٣٨١.

(عليه السلام) الذي يتحدث فيه عن ذمِّ الدنيا، و التَّنْفِيْر منها. إذ يقول:((**فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا، رَدِغٌ مَشْرَعُهَا، يُونِقُ مَنْظَرُهَا... حَتَّى إِذَا أَنِسَ نَافِرُهَا**[١]**، وَاطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا، قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا، وَقَنَصَتْ**[٢] **بِأَحْبُلِهَا**))[٣].يشَبّه الإمام الدنيا في كلامه هذا بالدَّابّة غير الذَّلول، وهي الدابة الصَّعْبَة التي لا يَأمَن راكبها على نفسه منها، لعدم استقرارها، فما إن يقترب منها حتى تَنْفِر منه، وتعلوه بأيْدِيَها ثم ضاربة بهما الأرض. وهذا دليل على عدم ثبات أحوال الدنيا، ودوامها على حال. فما تَلْبَث أن تُوقع راكبها، وتَقْمُص بوجهه. فاختار الإمام (عليه السلام) هذا الوصف من أوصاف البعير لتشبيه الدنيا به من هذا الوجه، فحذف المشبّه به، وهو الدنيا، وأبقى لازماً من لوازمه، وهو القَمْص، من باب الاستعارة المكنية. كأن الدنيا تَقْمُص بوجه الإنسان كما يقمص البعير بيديه عندما يضرب بهما الارض. وأصل (القَمْص) في اللغة هو الوَثْب وعدم القَرارِ في مكان واحد[٤].ثم غلب هذا الوصف – فيما يبدو – على الدّواب التي لايَقِر لها قرار، والتي تمتاز بكثرة حركة أيديها. ويَنطبق ذلك على الإبل والخَيْل.فيقال (القَامِصَةُ) الدّابَّة النَّافِرَة التي تضرب بِرِجْلَيها[٥]. وقمصت الناقة، إذا نشطت[٦]. وهذه من صفات الناقة النّفور. ويقال: ((قمص الفَرَسُ قَمْصاً وقِماصاً، وهو أن يَنْفَر ويَرْفع يديه ويَطْرحها))[٧]. والقَمِيْصُ البِرْذَون

---

(١) النفر التفرق والابتعاد.ينظر: العين (نفر):٨/ ٢٦٧.

(٢) القنص الصيد. ينظر: لسان العرب (قنص):83/ 7.

(٣) نهج البلاغة: خ / ٨٣: ١٢٢. وقد أود اللغويون كلمة الإمام المتقدمة. ينظر: النهاية في غريب الحديث:٤/ ١٠٨ و ٤/ ١١٢، ولسان العرب (قمص):٧/ ٨٣، و(قنص): ٧/ ٨٣.

(٤) ينظر: لسان العرب (قمص):٧/ ٨٣.

(٥) ينظر: النهاية في غريب الحديث:108/ 4، ولسان العرب (قمص):83/ 7.

(٦) ينظر: اساس البلاغة (قمص): ١/ ٥٢٢.

(٧) ينظر: النهاية في غريب الحديث:٤/ ١٠٨، ولسان العرب (قمص):٧/ ٨٣.

من الخَيْل الكثير القُماص والوثوب[(١)]. والمُشَبّه به في كلام الإمام هو (البَعِيْر)، أو (الفَرَس)، لأنهما يمتازان بهذه الصِفَة، وهي الوثوب وعدم الثبات، ولاسيما إذا كانا من الدواب النِّفار، وهذا المعنى يقرِّب من علاقة المُشابهة بين (الدُّنيا)، وهي (المُشَبَّه)، وبين (البَعير والفَرَس)، وهما المُشَبّه به - كما يبدو - من سياق الاستعارة الذي صوّر فيه أمير المؤمنين الدنيا بهيئة بَعِير نفور، أو فَرس صَعب كثير الوُثُوب، ما يلبث راكبه أنْ يسقط ما أن يعتلي صهوته. ويحتمل تعبير الإمام معنى آخر يمكن الوصول اليه من مفردة (قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا)، كأن الدنيا تَمْتَنِع عن الإنسان، وتَتَخَلّى عنه عند حضور أجله، كأنها تدفعه برجلها مولية عنه مثلما تفعل الدَّابّة ذلك[(٢)]. وهذا المعنى يعزز الدلالة التي أضفتها مفردة (قَمَصَت) على تَغَيرّ الدنيا وزوالها عن الإنسان وعدم دوامها له[(٣)]. ويلحظ في تعبير الإمام (عليه السلام): ((**قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا**...)) أنّه جمع مفردة (أَرْجُل)، في حين أنّ (قَمْص الدَّابَّة) لايكون إلّا بِيَدَيْها دون رِجْلَيْهَا، لأنها تَعْجن بالرِّجْلَينِ حينما تَضرب بهما الأرْض وتَقْمص باليَدَين معاً[(٤)]. وكان المناسب لهذا الحال أن يقال: (وقَمَصَت بِيَدَيها). غير أنّه (عليه السلام) جمع - مُغَلِّباً - الأرجل على الايدي. وقد تَنَبّه الشُرَّاح إلى هذا التعبير، فذكروا أنه إمّا أنْ يكون قد عَبّر عن المُثَنّى بلفظ الجمع[(٥)]، أو لأنّه (عليه السلام) غَلّبَ الأرْجل على اليَدَيْن، فَعَبّر بالجمع عنهما من جهة غَلَبَة الأرجل على الايدي، فَسَمّاها كلها أرجلاً[(٦)].

(١) ينظر: لسان العرب (قمص):٧/ ٨٣.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٧٧.

(٣) ينظر: الديباج الوضي:٢ / ٥٧٢.

(٤) ينظر: جمهرة اللغة (قمص):٢/ ٨٩٤، مقاييس اللغة (قمص):٥/ ٢٧.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦/ ١٩٥، ١٩٦.

(٦) نفسه: ٦/ ١٩٦.

كأنه اعتبر الرِّجْلَيْن أعمّ من الأيدي. وهما فرع عنهما[١]. وذهب بعض الشرَّاح إلى أنّ استعمال لفظ (الأَرْجل) في هذا السياق جاء لاعتبار لفظ (القَمْص)؛ لأن القَمْص بالرِّجلين أنْسَب[٢]. ويُفْهَم من هذا الكلام أنّ القَمْص لايكون إلا بِرِجْلِيَ الدَّابَّة. وهذا خلاف ماذكره اللغويون من أنّ قَمْص البَعِير، والفَرسِ يكون باليَدَيْنِ[٣].

ويبدو أنّ التعبير بلفظ الجمع عن (الأَرْجل) وتغليبها على الايدي، أمر مرتبط بالمعنى الذي يقصد اليه الإمام، كأنه يريد أنّ الدُّنيا ضَرَّاء مؤذية، لايستقيم لها حال مع الإنسان، وإنها تستعمل جميع قواها في اسقاطه وأذاه، فاستعمل (الأرجل) بصيغة الجمع بوصفها الواسطة للسعي والتوجه إلى مرادها، وهي – هنا – السبيل الذي يقود الدنيا إلى الايقاع بالإنسان. وأيذائه. كأنه (عليه السلام) أراد الاشارة إلى أنّ المغتر بالدنيا، الذي يقْبِل عليها بِقَدَميه، لابُدَّ أن تصِيبه الدنيا بأَرجلها وتؤذيه. وهناك أمر آخر يبدو في هذا التعبير، فإن الأرْجل في الدَّابّة من أهم وسائل الضرب عندها، فبها تَضرِب من تَنْفُر منه، وبها تُسرع أيضاً. وهذا الامر بيِّن في الإنسان أيضاً، الذي يستعمل رِجْلَيْه في الدفاع عن نفسه، وربما يضرب مَنْ يريد أنْ يدفعه عنه بهما، كأنّه يمنعه من ملازمته له. ولهذا استعمل (عليه السلام) تعبير (قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا) لتحقيق هذهِ المعاني التي يوحيها قوله المتقدم في النص، من الاشارة إلى ترك الدنيا الناسَ، والتّخَلِّي عنهم بسرعة كأنهم تضربهم بأرجُلِها.

تَمَعّكَتْ

التّمَعّك الدلك والتقلب والتمرغ في التراب[٤]. وتمعكت الدابة، إذا تقلبت

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٧٧.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: المصباح المنير (قمص):٢/ ٥١٦، ولسان العرب (قمص):٧/ ٨٢.

(٤) ينظر: العين (معك): ١/ ٢١٠، ولسان العرب (معك): ١٠/ ٤٩٠.

في التراب[١]. ولفظة (تمّعكّتْ) من الفاظ نهج البلاغة، التي وردت فيه مرة واحدة[٢]؛ للدلالة على تمعك الأرض على الماء، ومنعها له من التلاطم والهياج. وذلك في قوله (عليه السلام) واصفاً القاء الارض بثقلها على الماء: ((... **فَخَضَعَ جِمَاحُ المَاءِ المُتَلاَطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا، وَسَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِهَا، وَذَلَّ مُسْتَخْذِياً**[٣] **إِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ كَوَاهِلِهَا**[٤]...))[٥]. وقد تقدم أن الإمام صور اصطخاب أمواج الماء وتلاطمها بالجمل الهائج، وكان دحو الأرض علامة على كعم هذه الأمواج، وكبح جماحها، وقد استعمل الإمام (عليه السلام) صورة أخرى جعلها بإزاء (الجَمَل الهائج)، وهي صورة الدابة التي تلقي بِكَلْكَلِها على الأرض، متمرّغة عليها بكواهلها، كما تتمرغ الدابة في تراب، موظّفاً مفردة (تَمَعّكَتْ)، لبيان إذلال الأرَض للماء، ومنعه من تقاذف أمواجه، فهي كمن تكبح جماحه وتذلّه أذلته بِتَمُّعِكهَا عليه. وهذا المعنى مأخوذ من دلالة (المَعْك) على الإذلال والإهانَة[٦].

٧ـ الرّحل والظّعن وأدواتها

الرّحل

(١) ينظر: العين (معك): ١/ ٢١٠.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٢٣.

(٣) استخذى، انكسر، واسترض. ينظر: تاج العروس (خذي): ٣٧/ ٤١.

(٤) الكاهل ما بين الكتِفَيْنْ. ينظر: لسان العرب (كهل): ١١/ ٦٠٢.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ٩١: ١٦١.

(٦) لسان العرب (معك): ١٠/ ٤٩٠.

ارْتَحَل البَعِـيْر رِحلَـةً، إذا سـار ومـضى[١]. والرَّحِيْـل اسـم الارتحـال للمسـير[٢]. والرَّحْل والرَّاحلة المرْكِب من الإبل. وهو أداة توضع مركباً للبعير تركب عليه النساء فوق البعير[٣]. استعمل الإمام (عليه السلام) الفاظ (ارحل) و (رَحَلْتُ) و (آرْتحل) و (ارتحلتُم) و (الرِّحال) و (رِحَالهم) و (رِحَالها) و (رَوَاحِلها) و (الارْتِحال) و (مَرْحُوْلَة) مرة واحدة لكل مفردة من هذهِ المفرداتفي نهج البلاغة[٤]؛ للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على الرَّحْلِ الذي يوضع على الإبل.

وقد وردت هذه الدلالة في قول أمير المؤمنين الذي يتحدث فيه (**الفِتَن**)، وذلك في قوله: ((**فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، لاَ تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ، وَلاَ تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةً مَرْحُولَةً: يَحْفِزُهَا**[٥] **قَائِدُهَا، وَيَجْهَدُهَا**[٦] **رَاكِبُهَا...**))[٧]. ويشبّه الإمام (الفِتَن) بالناقة التي تجهّز معدة للسفر، فيهيئ أَصحابها زمامها ورحالها. وَرِحَالُ النَاّقَةِ ورحلها مرْكبها، وهو أَصغر من (القتب). ويوضع على الإبل للركوب عليها[٨] ويخصص لركوب النساء على البعير[٩]. وجعله بعض اللغويين

(١) ينظر: العين (رحل): ٣/ ٢٠٧.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: العين (رحل): ٣/ ٢٠٧، وتهذيب اللغة (رحل): ٥/ ٥.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٨٢، ١٨٣.

(٥) الحَفْزُ حَثُّ الشيءِ وإعجاله من خَلْفِه سَوقاً وغير سَوْقٍ. ينظر: لسان العرب (حفز): ٥/ ٣٣٧.

(٦) الجَهْدُ الغاية، وأَجْهَدَهُ المرض والتعب أهزله. ينظر: لسان العرب (جهد): ٣/ ١٣٣.

(٧) نهج البلاغة: خ/ ١٠٢: ١٨٥.

(٨) ينظر: مفردات الفاظ القرآن (رحل): ٣٤٧.

(٩) ينظر: العين (رحل): ٧/ ٢٠٧.

من مراكب الرجال دون النساء معاً[١]. ويشتمل (الرَّحْل) الذي يوضع على الإبل على عدة أجزاء، منها (الرَّبَض)، وهي الحبال التي يشدّ بها الرَّحْل[٢]. والحِلْس، وهو الكساء الذي يوضع على ظهر البعير تحت الرحل[٣]، وهذه هي أجزاء الرَّحْلُ[٤]. أو (الكُوْر) كما أسماه بعض اللغويين[٥]. وبالرجوع إلى نص كلام الإمام نجده قد استعمل منه لفظة (مَزْمُوْمة، ومَرْحُوْلة) اشارة إلى الفتن - كما قلنا - والتي شبهها بالناقة أو الإبل التي أُعدت للرحيل[٦]، فجهز زمامها وهو ما يشد في أنف البعير والناقة من حبل يجعل في خشبة توضع في أنفهما ليقادا به[٧]. وبعد ذلك يهيأ الرحل ليوضع على ظهر الدابة، وتشد أَرباضه إيذاناً بالارتقاء عليه للرحيل. أقول: وساق الإمام المفردتين المتقدمتين بصيغة اسم المفعول؛ للدلالة على من هيأه لهذهِ الفتن، ووفرة أسبابها، ليرتقيها قائد يحثها على الانتشار والبث في أرجاء الأرض لتعم أكبر قدر من الناس. وربما كان لفظ (القائد) رمزاً للدلالة على الأعوان الذين يساعدون في تأجيج الفتنة وتأليبها[٨].وقد استعار الإمام (عليه السلام) مفردات (الزمام، والرَّحل) من الأدوات الخاصة بالإبل، ليكنى بها عن تمام الإعداد للفتنة و التعبئة لها. مثلما تهيأُ الناقة للركوب[٩]. واختار الدكتور إبراهيم

(١) ينظر: تاج العروس (رحل): ٢٩/ ٥٤.

(٢) ينظر: لسان العرب (ربض): ٧/ ١٥١.

(٣) نفسه: (حلس): ٦/ ٥٤.

(٤) ينظر: تاج العروس (رحل): ٢٩/ ٥٤.

(٥) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٢٠٩، وتاج العروس (رحل): ٢٩/ ٥٥.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٧/ ٨١.

(٧) ينظر: لسان العرب (زمم): ١٢/ ٢٧٢.

(٨) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٤٩٤.

(٩) نفسه.

السامرائي أن تكون مفردة (مَرْحُوْلَة) في كلامه (عليه السلام) دالة على تمام آلة الراكب على فرسه من السرج واللجام وغير ذلك[١]، كأنه يجعل من المشبه به (فرساً) وليس (ناقَةً)، فإنه جعل - برأيه هذا - الزمام، والرحل من لوازم (الخَيْل)، وليست من لوازم الإبل. مخالفاً بذلك اللغويين الذين جعلوا (الرَّحْل) خاصاً بالبعير، ثم جعلوه بمنزلة السرج للفرس[٢].

وقد استدرك الدكتور ابراهيم السامرائي ما وقع فيه من وهمٍ، فعاد في موضعٍ آخر من كلامه ليقول إن الرحل ((هو آلة النَّاقَة تُوْضَعُ عليها في السَّفر))[٣]. وقد استعمل الإمام ألفاظ (أرْحَل)، و (رَحَلْتُ) و (تَرَحَّلُوا) و (الرِّحال) و (رِحَالهم) و (رِحَالها) و (رَوَاحِلها)، في المواضع الآتية: (خ/ ٦٤، ٩١، ٩٣، ١٩٢ [٤]، ٢٢٣، ك/ ٢٩، قصا / ٤٦٦).

ثانياً: الدلالة على السَّفَر إلى الآخرة (الموت).

والرَّحِيل هو السفر والانتقال، وهو على ضربينِ؛ الأول سَفَر وانتقال في الدنيا، والثاني السفر إلى الآخرة، وهو سفر الموت. وهو أكثر المعاني شيوعاً في كلامه (عليه السلام)، حتى يمكنني القول أن أمير المؤمنين لم يستعمل الدلالة الأولى الاّ قليلاً في حين أنه استعمل الفاظ (الرَّحِيْل) و(الارتحال) وغيرها من هذه الاشتقاق؛ للتعبير عن الانتقال من الحياة الدنيا إلى الآخرة. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق ((**تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللهُ! فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ، وَأَقِلُّوا الْعُرْجَةَ عَلَى**

(١) ينظر: مع نهج البلاغة: ١٧٤.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه: ١٧٥.

(٤) عَرَجَ بالمكان، إذا أقام فيه، والتعرج على الشيءِ الاقامة عليه. ينظر: لسان العرب (عرج): ٢/ ٢١.

الدُّنْيَا... فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَؤُوداً[١]**، وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً، لَابُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا، وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا))**[٢] والنص تذكير من الإمام (عليه السلام) للناس بضرورة الاستعداد الدائم والتأهب للرحيل إلى الله تعالى. وقد استعمل لهذا المعنى لفظة (تَجَهَّزوا)، والتجهيز يكون إما للعرس أو للموت أو للسفر[٣]. والسياق -هنا- يتحدث عن التجهيز للسفر، وهو الموت، الذي يعد سفراً بحد ذاته إلى عالم جديد يلقى فيه الإنسان جزاءه، وأمر الإمام (عليه السلام) الناس بالتجهز يعد مقدمة للرحيل إلى الموت، الذي ينبغي على الإنسان إعداد نفسه كما يستعد المسافر إلى سفره، بأن يتجهز ليفد في نهاية أمره على الله بكل الطاعات التي أمر الله تعالى بها، وفي مقدمتها التقوى[٤]. وبهذا المعنى يكون المراد بـ (الرَّحِيْلِ) سفر الموت[٥]. فكأن المنادي هي عثرات الدنيا وحوادثها التي يصاب بها الناس. ويحتمل أن يراد (بالرحيل) - هنا - السفر إلى الله بالطاعات، ورياضة النفس وتهذيبها مثلما أشار إلى ذلك البحراني[٦].

ومع أحتمال المعنى أعلاه، فإن السياق يدفع إلى تقديم المعنى الأول على المعنى المحتمل، مع عدم المانع من الجمع بينهما ومما يؤيد أن الإمام يأمر بـ(إقْلَالَ العُرْجَة) على الدنيا، وهي عدم الاطالة في المكث. واللبث فيها، وهذا الأمر يؤكد أن الدنيا ممر إلى الآخرة، وأن من يتخذها مقراً فقد آمن بها. وأنكر الآخرة. والإقلال من

(١) التكَأُّد التكّلف والمكابدة، وعقبة كؤود شاقة المصعد، صعبة المرتقى. ينظر: لسان العرب (كأد): ٣/ ٣٧٤.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ٢٠٤: ٤٠٤.

(٣) ينظر: لسان العرب (جهز): ٥/ ٣٢٥.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ١٠.

(٥) نفسه.

(٦) نفسه.

المكث في الدنيا يدعم ترجيح دلالة لغظة (الرَّحيل) على سفر الموت. ومن الجدير بالذكر أن اختصاص مفردة (الرَّحِيْل) وبقية اشتقاقاتها بالدلالة على (الرحيل) إلى الآخرة في كلام الإمام. راجع إلى تركيزه (عليه السلام) على جعل الدنيا داراً مؤقتةً لا دار إقامة واستقرار؛ لإيمانه المطلق بأن الدار الآخرة هي (الحَيَوان)[١]، ولهذا يكرر دائماً في كلامه الوارد في نهج البلاغة أن: ((**وَالدُّنْيَا دَارٌ مُنِيَ لَهَا الْفَنَاءُ**[٢]، **وَلاهْلِهَا مِنْهَا الْجَلاَءُ**[٣]، **وَهِيَ حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ... فَارْتَحِلُوا مِنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ...**))[٤].

أقول: وقد وردت الفاظ أخرى كثيرة من اشتقاق مادة (رحل) دالة على سفر الموت، وذلك في (خ/ ٤٥، ٥٢، ٦٤، ٨٣، ١٧٦، ١٨٢، ١٨٤، ك/ ٣، قصا/ ١٨٧، ٤١٥).

ثالثاً: الدلالة على الانتقال والتحرّك.

ومنه قول الإمام مخاطباً جيشه، في سياق النصح والإرشاد في اختيار مواضعهم، وكيفية انتقالهم من مكان إلى آخر: ((... **فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَأَنْزِلُوا جَمِيعاً، وَإِذا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعاً...**))[٥] يريد (عليه السلام): أن التفرق في الحرب، أو عند التجمع بالجيش للقتال، مدعاة إلى عدم التحصين من العدو، فيسهل القضاء على الجند

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت/ ٦٤. و(الحيوان) مَصدر (حَيٍّ) والمراد به في الآية: حياةٌ مُسْتَمِرَّة دائِمة، خالدة لامَوْت فيها، كأنها في ذاتها حَياة. ينظر: الكشاف: ٣/ ٤٦٧.

(٢) الفَنَاء نقيض البقاء. ينظر: لسان العرب (فني): ١٥/ ١٦٤.

(٣) الجَلاَءُ هو الخروج من البلد، والتفرّق. ينظر: تاج العروس (جلو): ٣٧/ ٦١.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ٤٥: ٨٦.

(٥) نهج البلاغة: ك/ ١١: ٤٧٠.

عند تفرقهم، فضلاً عن أنه يورث الذلة، ويكثر الفشل عند الملمات[1]. ولهذا أمر (عليه السلام) أن يكون نزولهم في مكانٍ واحداً، وارتحالهم عنه مجتمعين على غير تفرقٍ. والمراد بـ (الارتحال) - هنا - الانتقال من توضع إلى موضعٍ في أثناء توجههم لقتال العدو، فإن عادة الجيش الكر والفر في الحروب، وتخير المواضع المناسبة للقتال، فلهذا تجد الجيوش لا تستقر في موضعٍ واحد، إلاّ فارقته بعد بضعة أيام، ولهذا فالارتحال في أيام المعركة أو قبلها لا يعني السفر بل، التحول من موضع إلى آخر. وربما أراد الإمام (عليه السلام) بتحذيره من التفرق عند النزول، ووجوب الارتحال جميعاً، الإشارة إلى وحدة الرأي والكلمة بين قادة الجيش، فهو نهي عن اختلافهم في المواقف واستئثار كل واحد منهم برأي، وبخاصة في مسألة التحرك والانتقال من مكان إلى آخر؛ لأن التوجيهات التي يخاطب الإمام بها الجيش توجيهات تشمل المسائل العامة دون قرار البدء بالمعركة؛ الذي يعد رهناً بالإمام، فهو الذي يأمر به. في حين أن التحرك والانتقال في أرض المعركة. رهن بقائد الجيش ومساعديه الذين ينبغي عليهم الاجتماع في مواقفهم وعدم تفرق آرائهم.

رابعاً: الدلالة على السَّلْب.

وأُريد بذلك سلب الشيء من الإنسان، مثل نعمة العلم - مثلاُ - التي ينعمها الله تبارك وتعالى على بعض عباده، ويسلبها منهم عند عدم العمل بما يعلم. ولهذا قال أمير المؤمنين في سياق بيان الاقتران والملازمة بين (**العِلْم والعَمل**):

(١) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٢١٥٨.

((**الْعِلْـمُ مَقْرُونٌ**[١] **بِالْعَمَـلِ فَمَنْ عَلِـمَ عَمِـلَ، وَالْعِلْـمُ يَهْتِفُ**[٢] **بِالْعَمَـلِ فَأَنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ**))[٣] يقصد (عليه السلام): أن (العِلْمَ) قريـن (للعَمَـلِ)، وأنهـما كالـشيءِ الواحـد أحدهمـا متصـل بصاحبه ومكمـل لـه. ولهذا أكد الإمام أن صاحب العلم لابد من أن يعمل بعلمـه. فأسـتعار (عليه السلام) لفظتـي (يَهْتِـف). و(ارْتَحَل) للدلالـة على معنيـين:

الأول: جعـل العلـم بمنزلـة الكائـن الحـي، فأضفـى عليـه بعـض أوصافـه، وهـو (الهُتَـاف)، أو النـداء، والدعـوة إلى تلبيـة أمـرٍ معـين وهـو - هنـا - الأداء، وتنفيـذ مضمـون (العِلْـم). فكأن العلـم يَصيـح بالعمـل، ويدعـوه لإتمـام لوازمـه، حتى يخرج العلـم ويـبرز إلى مجال التطبيـق[٤]. أمـا لفظـة (ارْتَحَل)، اخذهـا الإمـام مـن مجالها الدلالي الـدال على السـفر والانتقـال، وتهيئـة الدابـة بوضـع الرحـل عليهـا لغـرض الرحيـل إلى سـلب نعمـة (العِلم)[٥]مـن وطـنٍ لا يصلـح للاسـتيطان وذلـك إشـارة إلى عـدم منفعـة العلـم بـلا عمـل[٦]. وقـد زاد الشـارح ابـن أبي الحديـد معنـى آخـر افادتـه لفظـة (ارتحـل) في السـياق، وهـو الاشـارة إلى ارتحـال ثمـرة العمـل ونتيجتـه ثوابـه؛ فـإن الله تبـارك وتعـالى لا يثيـب الإنسـان العـالم بالشرائـع إذا لم يعمـل بهـا[٧]. وينطلـق الشـارح في رأيـه هـذا مـن أن (العِلـم) المذكـور في كلام الإمـام مخصـوص بالعلـم الدينـي، أو بـ (العِرْفـان)

(١) قَرَنْتُ الـشيء، إذا جمعته إلى شيءٍ آخر، والمقرون هـو المتصل بصاحبه الملازم لـه. ينظر: مقاييس اللغة (قرن): ٥/ ٧٦، والمحكم (قرن): ٦/ ٣٦٥.

(٢) الهُتَاف الصَّوْتُ العالي، وَهَتَفَ به. أي صَاح به ودعاهُ. ينظر: لسان العرب (هتف): ٩/ ٣٤٤.

(٣) نهج البلاغة: قصا/ ٣٦٦: ٦٧٤.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٨٧.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٩/ ٢٣٥.، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٨٧.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٨٧.

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي حديد): ١٩/ ٢٣٥.

كما حدده ابن أبي الحديد[1]. والحال أنّ العلم الذي يثاب عليه الإنسان يشمل بقية العلوم التي لا تخالف الشريعة الإسلامية، وتتفق مع قوانينها وأحكامها، وتنسجم مع ما يريده الله تبارك وتعالى، وتخدم الإنسان والخليفة بصورة عامة، فإنها لا تخلو من ثواب الله تبارك وتعالى.

خامساً: الدلالة على الإبل.

ويطلق عليها الإمام (عليه السلام) تسمية (الرَّواحل)، وذلك في قوله الذي يصف فيه أفعال المنافقين مع رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((... **وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ اللهِ كُلَّ غَمْرَةٍ**[2]**، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ**[3]**، وَقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الْأَدْنَوْنَ**[4]**، وَتَأَلَّبَ**[5] **عَلَيْهِ الْأَقْصَوْنَ**[6]**، وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا، وَضَرَبَتْ إِلَى مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا، حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا**...))[7].

والنص يوضح معاناة رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الشدائد في سبيل رضوان الله تبارك وتعالى، حتى تقلب له الأقربون من قريش، واجتمع عليه الأبعدون محاولين أن يؤذوه. فلما أسقط في أيديهم حاربوه. وقد عبر الإمام (عليه السلام) عن حربهم له بـ (خَلْع الأعِنَّة)، و (ضَرْب بُطُوْنِ الرَّواحل) وخلع الأَعنة والرسن من الفرس

(١) نفسه.

(٢) الغَمْرَةُ الماء الكثير، ثم استعملت للدلالة على الشِدَّةِ والهَم. ينظر: لسان العرب (غمر): ٥/ ٢٩.

(٣) الغُصّة الشَّجَا الذي يُغَصُّ به. ينظر: لسان العرب (غضض): ٧/ ٦٠.

(٤) دَنَا الشيء، إذا قَرُب، والدنأوة القرابَةُ و القُرْبى، والأدْنون الأقربون. ينظر: لسان العرب (دنو): ١٤ / ٢٧١.

(٥) أَلَبَ اليك القَوْم أتوك من كل جانب، والتّألّبُ التَّجمُّعُ. ينظر: لسان العرب (ألب): ١/ ٦

(٦) القَصَا النَّسَبُ البعيد، والأَقْصَون الأَبْعَدُون. ينظر: تاج العروس (ألب): ٣٩/ ٥

(٧) نهج البلاغة: خ / ١٩٤: ٣٨٥.

دلالة على الإعلان بالشر، إذ يكون الفرس - حينذاك - مسرعاً لا قياد له، لأنه مخلوع الرسن، وأَسرعُ الخيل ما خلع عنانه[١]. فاستعمل الإمام هذا التعبير للدلالة على إجلاب العرب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومحاربته، وأما ((**وَضَرَبَتْ إِلَى مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا**))، فالضرب لفظ يقع على جميع الأعمال، ومنه الضرب بمعنى الإسراع[٢]، وضرب بطون الرواحل كناية عن ارتحالها، والإسراع بها في السير إلى الحرب، أو كناية بها عن إسراف العرب نحو محاربة النبي (صلى الله عليه وآله)[٣]. ويستفاد هذا المعنى من الدلالات المعجمية لمفردة (ضَرَبَ)، إذ يقال: ضربت في الأرض بمعنى سافرت[٤]. وضرُبت أكباد الإبل إذا سير عليها في السفر[٥]. أقول: وبدلًا من: (ضرِبَتْ أَكْبَادُ الإبل)؛ استعمل الإمام تعبير (ضربتْ بُطُوْنُ الرَّواحل) ؛ للدلالة على الإسراع في السير إلى محاربة الرسول (صلى الله عليه وآله). وإنما استعمل (عليه السلام) مفردة (رَوَاحِل) في هذا السياق دون غيرها من الألفاظ الأخرى؛ لأنها لا تستعمل في الإغارة على العدو في الحرب، وإنما الذي يغار عليها هي الخيل، فإن الإبل تركب في الحج وأشباهه، في حين أن (الخيل) تركب في الجهاد في سبيل الله وغيرها من المعارك بحسب ما يذكر اللغويون[٦]. وهذا يعني أن الإبل مخصوصة عند العرب بالأمور السلمية، و في الأسفار البعيدة؛ لأنها قوية تحتمل مشاق السفر ومتاعبه، فضلاً عن قدرتها على حمل الأمتعة والهوادج. وبهذا المعنى يمكن أن يكون قصد

(١) ينظر: لسان العرب (خلع): ١٣/ ١٨٠، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٠/ ١٢٩.

(٢) ينظر: لسان العرب (ضرب): ١/ ٥٤٥.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٠/ ١٢٩.

(٥) ينظر: لسان العرب (ضرب): ١/ ٥٤٥.

(٦) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٢٠٩.

الإمام من ذلك أن هؤلاء العرب الذين تألبوا على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، استعملوا كل ما يمكنهم استعماله من وسائل في محاربته والايجاف عليه، بما يملكونه من عدد وعدة - كما يقال -، فاستعملوا خيلهم ورواحلهم، وجاؤوه فرساناً ورَكْبَاناً[١]؛ متخذين (رَوَاحِلَهُم) واسطة للإجلاب على الرسول الأكرم بعد أنْ كانت مخصوصة بالسفر والارتحال والتجارة، فجعلوها في ميدان القتال خلافاً لعاداتهم التي هجروها لأجل القضاء على الإسلام. فالمعروف عندهم أن الخيل للحرب والقتال، و (الرّواحل) للأسفار[٢]؛ حتى شاع لديهم القول بعد الإسلام إن الإبل للحج، والخيل للجهاد[٣]. وهذا موروث من حياتهم التي سادت قبل الإسلام؛ لأن الإبل لا تسمى (رَوَاحِل) إلاّ إذا ارتحل عليها في الأسفار، وحملت عليها الأَحمال؛ إذ يختارون منها البعير أو الناقة القويين النجيبين مع تمام الخلق وحسن المنظر، حتى يكاد الراحلة تعرف من بين جماعة الإبل اذا أقبلت[٤]. وقد خص بعض اللغويين (الرَّاحِلَة) بالبعير القوي، الذي يسمى عندهم (راحلة) بالتأنيث. والهاء فيه للمبالغة في الصفة أو على النسب، كأنهم قالوا: إنها ذات رحل[٥].

أقول: ومن هذا المعنى الذي ذكره اللغويون يمكن تعزيز فكرة تسخير العرب لكل إمكاناتهم في القضاء على النبي الأكرم، ومن ثم القضاء على الاسلام، كأن الإمام (عليه السلام) يريد القول: إنّهم أطْلَقُوا العِنَان لخيولهم وفرسانهم في الإجلاب على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وضربوا بطون رواحلهم سراعاً في التهيؤ والاستعداد للنزول

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٧٣٧.

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٢٠٩ و ٢ / ٢٥٩.

(٣) نفسه: ٢/ ٢٠٩.

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٢٠٩، وتاج العروس(رحل): ٢٩/ ٥٨.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (رحل): ٥/ ٦، وتاج العروس (رحل): ٢٩/ ٥٨.

بساحته. وقد أفادت مفردة (رَوَاحل) في هذا النص الدلالة على جمعهم لكل قوتهم، وطاقاتهم في قتال النبي، وذلك من خلال دلالة المفردة نفسها على البعير القوي الشديد التحمل، فضلاً عن استعمال المفردة بصيغة الجمع على (فَواعِل)، فيه إشارة إلى كثرة من هجم على النبي منهم من الركبان والرَّجّالة، وهذه الدلالة العددية مستفادة من دلالة هذا الجمع على الكثرة أولاً[١]، فضلًا عن دلالته على معنى الاسمية، فكأنه وصف تحول إلى اسم[٢]؛ لأن بناء (فَوَاعِل) مخصوص بجمع الأسماء أكثر مما هو لجمع الصفات[٣]. والقياس في جمع (رَاحِلَة) هو (رُحَّل) علي وزن (فُعَّل)؛ لأن (رَاحِلَة) وصف مفرد على وزن فاعلة صحيحة اللام، وهذهِ الشروط توجب جمعها على (فُعَّل). ولكن الإمام (عليه السلام) استعملها مجموعة على (فَوَاعِل) الذي أضفى عليه الإمام في هذا السياق دلالة الحركة والتكثير وهي دلالات اختص بها بناء (فُعَّل) كما يذكر الدارسون[٤]. الذين قطعوا عند تفريقهم بين بناء (فَوَاعِل) و (فُعَّل) أن الأول خاص بجمع الصفات التي تقترب من معنى الإسمية والثبوت. فضلاً عن خلوه من معنى الحركة الظاهرة[٥]. في حين أن (**فُعّلاً**) يتضمن الحركة الظاهرة والمبالغة في الكثرة[٦]. وتعليقاً على ذلك. أقول: إن ما ذهب اليه الدكتور فاضل السامرائي صحيح، غير أن السياق هو الفيصل في تحديد الدلالات الصرفية للبناء، فدلالة - الحركة الظاهرة - كما يسميها

(١) أقصد الكثرة في العدد، وهو ما يفيده هذا البناء من أبنية جمع التكثير. ينظر: معاني الابنية: ١٥٦.

(٢) ينظر: معاني الأبنية: ١٥٦.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه: ١٥٣.

(٥) نفسه: ١٥٥.

(٦) ينظر: معاني الأبنية: ١٥٣، ١٥٤.

الدكتور فاضل السامرائي - واضحة في قول الإمام ((**وَضَرَبَتْ إِلَى مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا**))، إذا كان المراد بالحركة الظاهرة حركة الإبل الروَاحِل عند إسراعها نحو غايتها كما كانت الحركة ظاهرة في المثال القرآني الذي احتج به الدكتور السامرائي لبيان هذهِ الدلالة، وهو قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾(١). فقد أيد الدكتور السامرائي ما ذهب إليه الزركشي (ت ٧٩٤هـ) في تعليقة على استعمال مفردة (سُجُود) بدلاً من (سُجَّد). إذ يقول: ((هلا قيل (السُّجَّد) كما قيل (الرُّكَّع) وكما جاء في آية ﴿**تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا**﴾(٢)، والركوع قبل السجود... والجواب: أن السجود يطلق على وضع الجبهة بالأرض، وعلى الخشوع، فلو قال: (السُّجَّد) لم يتناول إلاّ المعنى الظاهر ومنه ﴿**تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا**﴾(٣)))(٤).

أقول: وأما دلالة المبالغة في بناء (فَوَاعِل)، فظاهرة في السياق من خلال تكالبهم على النبي وسعيهم إلى القضاء عليه.

ظعن

الظَّعْن الشُّخوص من مكان إلى مكان لسفر أو غيره(٥). والظعينة المرأة،

(١) البقرة / ١٢٥.

(٢) الفتح / ٢٩.

(٣) الفتح / ٢٩.

(٤) البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ٣/ ٢٥٠، ٢٥١، ومعاني الأبنية: ١٥٢،١٥٣.

(٥) ينظر: العين (ظعن): ٢/ ٨٨، ومقاييس اللغة (ظعن): ٣/ ٤٦٥، ولسان العرب (ظعن): ١٣ / ٢٧١.

وسميت بذلك لأنها تظعن إذا ظعن زوجها، وتقيم إذا أقام[١]. والظعائن النساء في الهوادج[٢]. والظعينة الجمل الذي يُعمل عليه ويركب[٣]. وتسمى المرأة ظعينة؛ لأنها تركبه، وأكثر ما يُقال الظَّعْينَة للمرأة الراكبة[٤]. يقصدون الراكبة في (الْهَوْدَج)، وربما قيل للهودج ظعينة سواء أكان فيها نساء أم لا[٥]. والظَّعْنُ سير البادية لنجعةٍ أو حضور ماءٍ أو طلبه، من مرتعٍ إلى مرتعٍ[٦]. ولهذا يقال لكل من شَخَص في سفرٍ حجٍ، أو غزوٍ أو مسير من مدينة إلى أخرى ظاعن[٧]. وقد استعمل الإمام (عليه السلام) مفردة (يظعن) ثلاث مرات و (ظَعَنُوا) خمس مرات هي و (ظاعن) بصيغة اسم الفاعل، و (ظَعْناً) و (الظّعن)، و (ظعْنة)، و (والاظعان) جمعاً على (أفْعَال) مرة واحدة لكل منهما في نهج البلاغة[٨].

أولاً: الدلالة على السَّفر والارتحال.

وهو أكثر الدلالات شيوعاً في كلام الإمام (عليه السلام)، ومن ذلك قوله (عليه السلام) في وصيته وصى بها بعض قواده حينما أنفذه إلى قتال أهل الشام: ((... **وَلاَ تَسِرْ أولَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ اللهَ جَعَلَهُ سَكَناً، وَقَدَّرَهُ مُقَاماً لاَ ظَعْناً، فَأَرِحْ فِيهِ بَدَنَكَ...**))[٩] ويوصي

(١) ينظر: العين (ظعن): ٢/ ٨٨، ولسان العرب (ظعن): ١٣/ ٢٧١.

(٢) ينظر: العين (ظعن): ٢/ ٨٨، وتهذيب اللغة (ظعن): ٢/ ١٨٠.

(٣) ينظر: العين (ظعن): ٢/ ٨٨.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (ظعن): ٢/ ١٠٨.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (ظعن): ٢/ ١٠٨، ولسان العرب (ظعن): ١٣/ ٢٧٠.

(٦) نفسه.

(٧) نفسه.

(٨) (١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٧٢.

(٩) نهج البلاغة: ك/ ١٢: ٤٧١.

الإمام (عليه السلام) قائد جيشه في هذا النص بأن يكمُن في الليل؛ لأن الله تبارك وتعالى جعله سكناً يرتاح فيه العباد، مشيراً بكلامه هذا إلى قول الله جل جلاله: ﴿ **فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا** ﴾[1] والسكن ما يسكن فيه عن الحركات ويستراح[2]. ولهذا المعنى استعمل الإمام (عليه السلام) تعبير ((**وَقَدِّرْهُ مُقَاماً لاَ ظَعْناً**))، وأراد بـ (ظَعْناً) الدلالة على الارتحال، والسفر[3]. كأن هذا المقام يمثل حالة الاستقرار واللبث بالمكان، وهو معنى (السّكن) الذي دلت عليه الآية المباركة، في حين أن مفردة (ظَعْناً) تقابل الدلالة المتقدمة وتشير إلى الارتحال والانتقال[4]. أو كما يذكر اللغويون أنها تدل على الشخوص من مكان لآخر[5].

ونظير الدلالة المتقدمة لمفردة (ظَعَن)، وباشتقاقات مختلفة لهذه المفردة ما استعمله الإمام (عليه السلام) في غير موضع الدلالة على الارتحال والسفر أو الانتقال من موضعٍ إلى آخر. وذلك في (خ/ ٢٦، ٢٨، ٨٥، ٨٦، ١٠٩ [٧]، ١١١[٨]، ١٢٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٧، ١٨٦، ٢٢١، ك/ ٣١، ٣٨).

ثانياً: الدلالة على الهَوادج التي تحملها الإبل:

وقد استعمل الإمام هذه الدلالة في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام) في سياق الحديث عن سفر الناس إلى الآخرة، إذ يقول: ((**رُوَيْداً يُسْفِرُ**[6] **الظَّلَامُ، كَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ**

(١) الأنعام / ٩٦.

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن عطية الغرناطي: ٢/ ١٦.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ٢١١.

(٤) ينظر: مع نهج البلاغة: ٢٥٠.

(٥) ينظر: العين (ظعن): ٢/ ٨٨.

(٦) السَّفر الكشف. ينظر: تهذيب اللغة (سفر): ١٢/ ٢٧٨.

الأظْعَانُ، يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أنْ يَلْحَقَ...))[1] يذكر الإمام - في قوله هذا - أن الناس في سفر إلى الآخرة، وأنهم في طريقٍ مظلمة يسيرون الليل والنهار إلى مستقرهم، حتى ترد أظعانهم إلى مواطنها. هذهِ إشارة منه إلى أن الحياة الدنيا ما هي إلاّ طريق الحياة الآخر الدائمة. ولهذا وظف الإمام (عليه السلام) مفردة (الأظْعَان) التي تدل على الإبل التي تحمل عليها الهوادج التي تكو فيها النساء في هذا السياق للدلالة على المعنى المتقدم فإن لفضة (أَظْعَان) تمثل علامة ورمزاً لهذا السفر، فكأن أهل الدنيا كالركب المرتحل من ظعنه إلى مقامه ومستقره. وفي كلامه مجاز مرسل علاقته المحلية،فإنّه ذكر المحل،وأراد به الحال.والمعنى: أنا مسافرون وكأن قد وردت الأظعان إلى مناهلها، وقدمت إلى منازلها وانقطعت أسفارها بعد وصولها[2]. ولهذا ذكر الإمام بعد قوله المتقدم أنه: (**(يُوْشِكُ من أَسْرَعَ أنْ يَلْحَقَ...)**) كأنه يشير إلى أننا لاحقون بمن سبقنا إلى الموت، والى الوفود على الله تبارك وتعالى.

أِحْلاس

الحِلْس ما ولي البعير تحت الرحلِ[3]. وهو ضرب من الأكسية الرقيقة التي توضع على ظهر البعير تحت البرذعة[4]. وقد استعملت الفاظ (أَحْلَسُوْنَا) و (يُحْلِسُهُم) و(أَحْلاَس) مرة واحدة لكل منها في نهج البلاغة[5]. دلت جميعاً على الملازمة وإلباس الشيء للشيء. وقد غلب على هذه المفردات المتقدمة استعمالها

(١) نهج البلاغة: ك/ ٣١: ٥٠٧.

(٢) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٢٣٢٩.

(٣) ينظر: العين (حلس): ٣/ ١٤٢، ومقاييس اللغة (حلس): ٢/ ٩٧.

(٤) ينظر: لسان العرب (حلس): ٦/ ٥٤، والقاموس المحيط (حلس): ١/ ٦٩٤، وتاج العروس (حلس): ١٥/ ٥٤٦.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٢١.

في سياقات بيان الإخافة وملازمة الأدعياء من الناس القيم الخلقية السيئة، ومن ذلك قول أمير المؤمنين (عليه السلام) في سياق ذم الأَدعياء الذين الإمام عن طاعتهم. يقول (عليه السلام): ((**خَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ، وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ، وَهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ**[١]**، وَأَحْلَاسُ الْعُقُوقِ**[٢]...))[٣]. والنص نهى عن طاعة الأدعياء، وهم الذين المتهمون في أَنسابهم، والمنسوبون لغير آبائهم[٤]، وهؤلاء في نظره (عليه السلام) مسلوبو الطاعة؛ لأنهم مرضى النفوس والأخلاق، وأصحاب باطل. ومن ثَمّ هم أساس الخروج و العصيان وعدم الطاعة لله تبارك وتعالى، فضلاً عن أنهم ملازمو العقوق وعدم البر بالمؤمنين والناس جميعاً. فهم كما (الحِلْس) الذي يلازم ظهر البعير لكي توضع عليه البرذعة التي يوضع فوقها الرحل. والأصل في الجذر اللغوي (حَلَسَ) هو ملازمة الشيءِ للشيءِ كما يذكر ابن فارس[٥]. ومن ثم استعمل - فيما أحسب - الدلالة على هذا النوع من الأكسية التي توضع على الدواب والرواحل وقاية لها من أثر القتب أو السرج. وبهذا يكون (أحلاس العقوق) كمن يغطون عقولهم ويمنعونها من أن تسلك في الطريق القويم، ومجانبة الخصال الذميمة التي باتوا حلساً لها. فجعلهم الإمام ملازمين للعقوق الذي تمكن منهم حتى صار بمنزلة حلس البعير الذي يلازمهم ظهره. لما فيهم من الرغبة في ملازمة العوق وسوء الخلق الذي يرتقي ظهورهم ليحجب عنهم الاخلاق

---

(١) الفِسْقُ العِصْيَانُ والتَّرْكُ لأمر الله عز وجل والخروج عن طريق لحق. ينظر: لسان العرب (فسق): ١٠/ ٣٠٨.

(٢) أصل العقوق مأخوذٌ من العَقِّ، وهو الشَّقُّ والقَطْعُ، وهو ضدُّ البِرِّ. ينظر: لسان العرب (عقق): ١٠/ ٢٥٧.

(٣) نهج البلاغة: خ/ ١٩٢: ٣٦٥.

(٤) ينظر: العين (دعي):٢/ ٢٢١.

(٥) ينظر: مقاييس اللغة (حلس): ٢/ ٩٧.

الحميدة من البر والتقوى وغير ذلك كما يلازم (الحِلْسُ) ظهر البعير[١]. وقد استعمل الإمام لفظتا (أَحْلَسُونا، ويُحْلِسُهم) للدلالة على معنى الملازمة والتّلَبّس بالأمر في (خ/ ٩٣، ك/ ٩).

في حين أشار بعض من المحدثين أن لغتنا المعاصرة تستعمل مفردة (**حِلْس**) للدلالة على الملازمة أيضاً، فيقولون: (هو حِلْسُ الدَّارِ) أي ملازم لها. وفي هذا نقل من التوظيف البدوي القديم للألفاظ إلى جانب آخر متصل بالحضارة[٢] كما يبدو.

الوَضِيْن

((الوَضِيْنُ بِطَانُ البَعِيْرِ، إذا كان مَنْسوجاً بعضه في بَعْض))[٣]. ويصف اللغويون هذا البطان بأنه عريض ولا يكون الاّ من الجلد أو الشعر[٤]. وإنما سمت العرب هذا البطان بـ (الوَضِيْن)؛ لأنه منسوج[٥]. والوَضْن في اللغة النسيج ووضع الشيءِ بعضه على بعضٍ في النسيج. وهو مخصوص بنسج الدروع المحكمة، ومن ثم استعير لكل نسيجٍ محكمٍ مثل نسيج السرير وأشباهه بالجواهر[٦]. ومن ذلك قوله تعالى شأنه ﴿**عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ**﴾[٧]. و(المَوْضُوْنَة) في الآية المباركة المنسوجة القوية اللُّحمة والسّدى[٨]، وهذهِ الدلالة مأخوذة من

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ١٥٦.

(٢) ينظر: مع نهج البلاغة: ١٣٥.

(٣) العين (وضن): ٧/ ٦١.

(٤) ينظر: العين (وضن): ٧/ ٦١، ولسان العرب (وضن): ١٣/ ٤٥٠.

(٥) ينظر: لسان العرب (وضن): ١٣/ ٤٥٠.

(٦) ينظر: مفردات الفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني: ١/ ٥٢٦، ولسان العرب (وضن): ١٣/ ٤٥٠.

(٧) الواقعة/ ١٥، ١٦.

(٨) ينظر: التفسير الكبير: ٢٩/ ١٣٠.

(الوَضِيْن)، وهو الحبل العريض الذي يصنع منه الحزام؛ لقوة لحمته، فمنه تصنع و تنسج سُرُر الملوك المرصعة بالجواهر[١]. وقد استعمل الذكر الحكيم هذهِ المفردات للدلالة على الاستقرار حين الاتكاء[٢]. لمن يكون في الجنة. وقد وردت لفظة (الوَضِيْن) مرتين في نهج البلاغة[٣]؛ فقد استعمل(عليه السلام) هذه المفردة في الاشارة إلى اضطراب الفكر والعقل والتسرّع في الكلام. وذلك في مقام الإجابة على سؤال بعض أصحابه الذي سأله: ((**كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟**))[٤]. فقال له الإمام (عليه السلام): ((**يَا أَخَا بَنِي أَسَد، إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ، تُرْسِلُ**[٥] **فِي غَيْرِ سَدَد**[٦]...))[٧]. وإجابة الإمام تحتمل أمرين؛ الأول إرشاد الرجل الأسدي إلى غلط تفكيره، وانحراف رؤيته للأحداث، بحيث أنها أُبهمت عليه فاحتار فيها. والثاني أن الإمام جعل من عقل هذا الرجل وأفكاره وفهمه لهذهِ القضية أَشبه بـ (**البِطَان**) الذي يربط به الرحل الموضوع على ظهر البعير. وهذا الحزم المنسَوج من السيور يتميز يكونه الأُس الذي يحكم به الهودج أو الرحل. فإذا اضطرب أو ضعف، اضطراب المحمل وازداد قلقه، حتى يميل إلى السقوط. وكثيراً ما يكون ذلك من ضعف ضبط هذا الحزام. على الرغم من دقة نسجه وإحكام لحمته.

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٨٧.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ٦٢: ٢٨٨، ومصادر نهج البلاغة وأسانيده: ٢/ ٥.

(٥) الرَّسْل القَطِيْعُ من الإبل والغَنَمِ والإِرْسَال التوجيه. ينظر: لسان العرب (رسل): ١١/ ٢٨١، ٢٨٣.

(٦) السّدد، والسَّد إغلاق الخلل ورَدْم الثَّلْم. ينظر: لسان العرب (سدد): ٣/ ٧.

(٧) نهج البلاغة: خ/ ١٦٢: ٢٢٨، وقد نقلت كتب الغريب والمعاجم مقولة الإمام المتقدمة. ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٣٠٣، ولسان العرب (وضن):

ومن نتائج هذا الخلل في ربطه اضطراب سير البعير نفسه، وتمايله بسبب من قلق محمله من القتبٍ أو غيره.

فجعل الإمام (عليه السلام) فكر هذا الرجل واضطرابه في السؤال وفهمه لهذهِ المسألة، كالوَضِينِ القَلَقِ المضطرب، الذي لا يثبت له قرار. فقد ارسل هذا الرّجل كلامه دون تبصرّ، أو ادراك للسؤال والمقام الذي سأله فيه. فجاء قول الإمام متضمناً الدلالة على الأنكار والتعريض بهذا الشخص لما فيه من سرعة الحركة، والخّفة، وقلة الثبات، فهو في ذلك كالحزام الذي يشد به الرحل إذا كان رخواً[١]. ورأى أغلب الشراح أن معنى كلمة الإمام السالفة الذكر هو الدلالة على القلق والاضطراب، والتكلم في غير قصدٍ وصواب[٢]. وذلك أن الرجل لم يكن ثابتاً في عقله وأموره، حتى أنه يضع سؤاله في غير موضعه استعجالاً منه وتسرعاً.

أقول: ويحتمل أن يكون المراد من هذا الكلام أن نسج فكر هذا الرجل الذي يخاطبه الإمام على غير إحكام وتثبت، وكأنه منسوج بالتسرع والاضطراب والقلق، بدلاً من الحكمة والروية والتعقل. ويعين على ذلك على هذا المعنى الأصل المعجمي لمفردة (وَضِيْن). (فالوضن) في اللغة النسج[٣]، ويخصصه اللغويون بنسج السرير وأَشباهه بالجوهر والثياب[٤]. ويقال للدرع موضونه،إذا كان نسجها مقارباً محكماً[٥]. ومن هنا قيل لبطان الرحل (وَضين)؛ لأنه منسوج بعضه على البعض

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٣٠٣، ولسان العرب (وضن):١٣/ ٤٥٠.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ١٨٦، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦٥٨، ومع نهج البلاغة: ٣٦٢.

(٣) ينظر: لسان العرب (وضن): ١٣/ ٤٥٠.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

من السيور[١]. وقد وردت لفظة (وَضِينْ) موصوفه بالقلق والاضطراب إشار إلى الدنيا المضطربة المتقلقلة في حكم بني أمية، وذلك في (خ/ ١٠٥).

قَتَب

قال الخليل ((القَتَبُ إكَافُ[٢] الجَمَلِ))[٣]. وهو أحد آلآت الرحال التي توضع على البعير إذا كان مما يحمل عليه[٤]. ويفرق اللغويون بين (القَتَب) بالفتح و (القِتْبِ) بالكسر، فالأول البعير الحَمْل، والثاني البعير السانية[٥]. و (القَتَب) يعد من الأُكف الصغيرة الحجم التي تكون مناسبة لقدر السنام[٦]. وجاءت لفظة (قَتَب) في نهج البلاغة مرة واحدة[٧]. دالة على الإكاف الذي يوضع على البعير فيمسك به. وذلك في قول الإمام (عليه السلام): ((... **ذَاكَ إِذَا عَضَّكُمُ الْبَلاَءُ كَمَا يَعَضُّ الْقَتَبُ غَارِبَ[٨] الْبَعِيرِ**...))[٩]. والإمام (عليه السلام) يتحدث عن (البلاء) الذي يتمكن من الناس، ويلقي ثقله عليهم، حتى يتمكن منهم ويصبح هماً عليهم؛ فشبه البلاء بالقتب الذي يوضع عليه (الإكاف) حتى يستقر ويثبت على سنامه فينطبع الأثر في ظهره، فيكون أشد ما يؤذي منه غاربه ومقدم ظهره وعنقه الذي يشتمل عليه (القَتَب) كأنه عاض له. ومما يزيد من ذلك الأثر. ثقل الرّحل الذي يزداد بازدياد

(١) نفسه.

(٢) الإكافُ الرَّحل. ينظر: لسان العرب (أكف): ٩/ ٨.

(٣) العين (قتب): ٥/ ١٣١، ينظر: لسان العرب (قتب): ١/ ٦٦٠.

(٤) ينظر: مقاييس اللغة (قتب): ٥/ ٥٩.

(٥) ينظر: المخصص: م/ ٢: س/ ٧: ١٤٥.

(٦) ينظر: المخصص: م/ ٢: س/ ١٤٥، ولسان العرب (قتب): ١/ ٦٦١.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٦٢.

(٨) الغارب مقدم ظهر البعير. ينظر: لسان العرب (غرب): ١/ ٤٦٦.

(٩) نهج البلاغة: خ/ ١٨٧: ٣٤٨.

الاغراض التي توضع فيه. وشبيه بهذا ما يفعله البلاء بالناس بحسب ما يحذر الإمام منه. فاستعار (عليه السلام) لفظ (العَضّ) لإيلام البلاء الذي ينزل بقلوب الناس، وشبهه بعض القَتَب لغارب البعير، للدلالة على التّمكّن والاستيلاء وشدة الألم. وذلك كله على سبيل الاستعارة التي نتجت من وجه الشبه بين طرفي التشبيه[١].

ويبدو من كلام الإمام أنه يشبه (البلاء) أيضاً (بالجمل الصعب) على سبيل الاستعارة المكنية[٢]، ثم ذكر (العَضّ) من جهة تشبيه المعقول بالمعقول[٣].

العِكم

عَكَمْتُ المتاع أعّكمه عَكْماً، وذلك إذا بسطت ثوباً وجمعت فيه متاعاً فشددته. ويسمى هذا البسط عِكمةً[٤]. والعكمان، عدلان يشدان من جانبي الهودج[٥]، وهما شبه الحقيبتين تكون فيهما ثياب النساء، وتكون على البعير والهودج فوقهما[٦]. والعكم أيضاً نمط المرأة الذي تدخر فيه متاعها وذخيرتها[٧].

والعُكُوم الأحمال والأعدال التي فيها الأوعية من صنوف الأطعمة والمتاع[٨]. والعرب تقول يوم الظعن لخدمهم: أَعْتَكِموا. أي سّووا الأعدال وشدوها على

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ١١١.

(٢) ينظر: منهاج البراعة: ١١/ ١٢٢.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: العين (عكم): ١/ ٢٠٨، وتهذيب اللغة (عكم): ١/ ٢١٣، المحكم (عكم): ١/ ٢٨٧.

(٥) نفسه.

(٦) ينظر: العين (عكم): ١/ ٢٠٨، وتهذيب اللغة (عكم): ١/ ٢٨٧.

(٧) ينظر: لسان العرب (عكم): ١٢/ ٤١٥.

(٨) ينظر: غريب الحديث (ابو عبيد): ٢/ ٣٠٤، ولسان العرب (عكم): ١٢/ ٤١٥.

الحمولة[١]. و (العِكْم) من الألفاظ التي استعملها الإمام (عليه السلام) مرة واحدة في نهج البلاغة [٢]، وذلك بدلالة النمط الذي تجعل فيه الذخيرة والمتاع. وهو المسمى عند اللغويين بـ (العِدْل). وأراد من ذكره الإبانة عن ما يبقى فيه من (نُفَاضَةٍ) من بقايا الأوساخ أو التراب.يقول (عليه السلام) في خطبة له يتحدث فيها عن الضلال وفتنة بني أمية، وما ستنتجه من تفرق الأمة: ((**رَايَةُ ضَلاَلَة قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا، وَتفرَّقَتْ بِشُعَبِهَا، تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا، وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا. قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، قَائِمٌ عَلَى الضِّلَّةِ؛ فَلاَ يَبْقَى يَوْمَئِذ مِنْكُمْ إِلاَّ ثُفَالَةٌ كَثُفَالَةِ الْقِدْرِ، أَو نُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ الْعِكْمِ رَايَةُ ضَلاَلَة قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا، وَتفرَّقَتْ بِشُعَبِهَا، تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا، وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، قَائِمٌ عَلَى الضِّلَّةِ؛ فَلاَ يَبْقَى يَوْمَئِذ مِنْكُمْ إِلاَّ ثُفَالَةٌ كَثُفَالَةِ الْقِدْرِ، أَو نُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ الْعِكْمِ...**))[٣]. والسياق إيضاح لما سيكون من هذه الفتنة، فقد عبّر (عليه السلام) عمن بقى من هذهِ الفتنة بـ(ثُفَالَة القِدْر) والثقل ما استقر تحت القدر من كدره[٤]، أو ما بقي في قعر القدر من ردئ الطعام. ونفاضة العكْم – وهو مايسقط من الثوب الذي يجمع فيه المتاع والذخيرة من تراب أو بقايا أوساخٍ. وفي هذين الضربين من الاستعمال كناية عن أراذل الناس ممن لا خير فيه ولا ذكر؛ فهم كثُفَالة القدر غير معتبرين ولا ملتفت إليهم، لعدم فائدتهم وقلة شأنهم بين الناس. فلا ريب أنهم ينفَضُون كما تُنْفَض العِكم التي يراد تخليصها

(١) ينظر: لسان العرب (عكم): ١٢/ ٤١٥.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣١٣.

(٣) نهج البلاغة: خ/ ١٠٨: ١٩٧، وقد نقلت المدونات اللغوية قول الإمام (عليه السلام): ((... نفاضَة كنُفَاضة العكم...)) واحتجوا به على دلالة مفردة (العِكم). ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٢٨٥، ولسان العرب (عكم): ١٢/ ٤١٥.

(٤) ينظر: لسان العرب (ثقل): ١١/ ٨٤.

من الغبار وبقايا الزاد،الذي يعلف بها مما لا خير فيه[١].

٨ـ الهوامل والسَّروح من الإبل

السَّائمة

السَّائمة والسّوام النعم التي تسوم الكلأ اذا داومت رعيه [٢]. وأكثر ما يقال ذلك في الإبل الراعية خاصة [٣]. وقيل: السَّوَام كل ما رعى من المال في القلدات، إذا خلي [٤]. وَسَوْمُهُ رعيه حيث شاء [٥]. والسَّائم الذاهب على وجهه أني شاء[٦]. وقد وردت لفظة (السّائمة) خمس مرات في نهج البلاغة، منها مرة واحدة متصلة بـ(كاف المخاطب المذكر). في حين جاءت لفظة (السَّوام) بصيغة الجمع على (فَعَال) مرة واحدة فقط[٧]. وذلك للدلالة على الأنعام السَّائمة المَرْعِيّة. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في مقام تشبيه الناس من أصحاب القلوب العمي، الذين لم يستضيئوا بالحكمة بالأنعام؛ إذ يقول: ((... **لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ، وَلَمْ يَقْدَحُوا**[٨] **بِزِنَادِ**[٩] **الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ؛ فَهُمْ فِي ذلِكَ كَالأَنْعَامِ السَّائِمَةِ**...))[١٠].

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥١٣، ومنهاج البراعة: ٧/ ٢٤٤.

(٢) ينظر: العين (سوم): ٧/ ٣٢٠.

(٣) ينظر: العين (سوم): ٧/ ٣٢٠، ولسان العرب (سوم): ١٢/ ٣١١.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (سوم): ١٣/ ٧٥، ولسان العرب (سوم): ١٢/ ٣١١.

(٥) نفسه.

(٦) نفسه.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٣٠.

(٨) الإقداح الإبراء. ينظر: لسان العرب (قدح): ٢/ ٥٥٤.

(٩) الزّناد هو العود الذي يُقدح به النار. ينظر: تاج العروس (زند): ٨/ ١٤٦.

(١٠) نهج البلاغة: خ / ١٠٨، ١٩٦.

يريد (عليه السلام) أن الذين أبعدوا أنفسهم عن أنْ يستنيروا بالحكمة والعلوم الثاقبة، أشبه بالأنعام التي تسوم في مرعاها هائمة على وجوهها أنى شاءت. ووجه الشبه بين الطرفين هو الضلال والتيه، وعدم الوعي وإدراك الأمور. ونظير دلالة مفردة (السَّائمة) على الدواب أو الإبل السائمة في الرعي؛ ما جاء في (ك/ ٤٥،٦٤، وقصا:١٤٧)

وقد استعمل الإمام (عليه السلام) لفظة (السَّوام) بصيغة الجمع للدلالة على الإبل الراعية، وغيرها من الدواب، وذلك في سياق دعاء الإمام بالاستسقاء؛ استدراراً لرحمة الله تبارك وتعالى؛ إذ يقول: ((...**نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ**[١] **الْأَنَامُ، وَمُنِعَ الْغَمَامُ، وَهَلَكَ السَّوَامُ، أَلاَّ تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا، وَلاَ تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا...**))[٢]. الدعاء – هنا – بذكر قنوط الناس وشدة يأْسهم من نزول الغيث، وورود الغمام عليهم وهلاك السوام، يمثل استعطافاً لله تبارك وتعالى. والمراد بـ(السَّوام) جمع (سَائِمة)، وهو ما رعى من المالِ، سواء أكان من الماشية والغنم، أو الدواب من الإبل وغيرها[٣]. وخص بعض اللغويين (السَّوام) بالإبل التي ترسل للرعي، وهي الإبل التي لاتُعلف[٤]. فيترك على وجهه حيث شاء رعيه على وجهه حيث شاء.

سَائم

السَّائم في اللغة المال الراعي[٥] من إبلٍ وغنم ونحوها. وأسامها أرعاها

(١) القُنُوط اليأسُ. وقيل: هو أشَدُّ اليأس. ينظر: لسان العرب (قنط): ٧/ ٣٨٦.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ١١٥: ٢١٦.

(٣) ينظر: لسان العرب (سوم): ١٢/ ٣١١.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (سوم): ١٣/ ٧٦، ولسان العرب (سوم): ١٢/ ٣١١، وتاج العروس (سوم): ٣٢/ ٤٣١.

(٥) ينظر:لسان العرب (سوم):١٢/ ٣١١.

سَوْمَها[١]. وأَسَمْتُها إذا أخرجتها إلى الراعي[٢]. والمُسِيْم الراعي الذي يقوم بإسامة الدواب ورعيها [٣]. وقد جاءت مفردة (سَائم) و (مِسُيْم) مرة واحدة لكلٍ منهما في نهج البلاغة[٤]، للدلالة على الذي يقوم برعي الدواب عند سومها. إذ استعمل الإمام (عليه السلام) مفردة (سَائِم) بصيغة (فَاعِل) بالدلالة المتقدمة، وذلك في سياق الوعظ والارشاد؛ إذ يقول: ((**أَيُّهَا الغَافِلُونَ غَيْرُ المُغْفُولِ عَنْهُمْ، وَالتَّارِكُونَ المَأْخُوذُ مِنْهُمْ، مَالي أَرَاكُمْ عَنِ اللهِ ذَاهِبِينَ، وَإِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ! كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ أَرَاحَ بِهَا سَائِمٌ إِلَى مَرْعىً وبيٍّ**...))[٥]. شبه (عليه السلام) حال تيه الناس، وانشغالهم بدنياهم عن دينهم، وانصرافهم عن الله تبارك وتعالى إلى زعماء دنياهم وأُمرائهم، بالنعم من الدواب، وهي الإبل والماشية التي ذهب بها راعيها إلى مرعى رديء يجلب لها الوباء، ولا ينفعها بشيء. فاستعمل لفظة (سائِم) كناية عن الشيطان الذي يزين المنكر للناس، ويسيمهم إلى التيه والغواية. كما يرسل السَّائم الإبل إلى المرعى لترعى. ويمكن أنْ تتسع هذه المفردة لتكون دالة على كل مضلٍّ يزين للناس سوء أعمالهم وأفعالهم. أما وجه الشبه بين هؤلاء الناس والنعم التي أراح بها سائمها، فهو غفلتهم وسيطرة النفس الامارة بالسوء عليهم[٦]. وقد جعل الشارح البحراني هذهِ (النَّفس الأمّارة بالسوء) المصداق لمفردة (سَائِم). كأنها هي التي ترعى هذه الفئة من الناس، وتقودهم إلى المعاصي والآثام في الحياة الدنيا، والنيل من لذاتها

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: العين (سوم): ٧/ ٣٢٠، وجمهرة اللغة (سوم): ٢/ ٨٦٢، والفائق: ٢/ ٢٠٧.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٣٠.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ١٧٥: ٣١٤.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦٨٨.

ومشتهياتها، جاعلاً هذهِ اللذات بمنزلة المرعى الوبيء[١].

لقد استعمل الإمام مفردة (سَائِم) دالة على (الرَّاعي) الذي يَسْرحِ بنعمه في هذا السياق في حين أنّ اللغويين يرون أنّ هذهِ اللفظة لا تستعمل في الدلالة المتقدمة؛ إذ لا يقال للراعي (سَائِم)، وإنما يقال له: (مُسِيْم)[٢]. غير أنّ الناظر في توظيف هذه المفردة عند الإمام يجدها تستعمل في الدلالة على (الراعي) الذي يرعى الإبل وغيرها من الدواب، مثلما يجدها تدل على (الإبل) التي ترسل إلى الرعي ولا تعلف. وذلك في قوله (عليه السلام) متحدثاً عن فناء الدنيا وابتداعها من الله تبارك وتعالى وعدم قدرة الخلق على ابتداع بعوضة إذ يقول: ((**وَلَيْسَ فَنَاءُ**[٣] **الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا**[٤] **بِأَعْجَبَ مِنْ أَنْشَائِهَا وَاخْتَرَاعِهَا، وَكَيفَ وَلَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوانَهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا، ومَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا وَسَائِمِهَا، وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا**[٥]...**عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَة، مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا**...))[٦]. يريد (عليه السلام) أنّ قدرة الله تبارك وتعالى على الخلق والافناء، عجيبة، وهي ليست بأعجب من انشاء الدنيا واخترعها. وأنه لو اجتمعت جميع أحيائها من الطير والهائم المراح الموجود في مواطن إراحتها ومناخها، وما كان منها في مرعاه، فضلاً عن بقية أضاف الخلق، على أن يبتدعوا بعوضة ما استطاعوا إحداثها. ولهذا أراد (عليه السلام)، عمّا تبكيت الخلق وبيان عجزهم عن القدرة على الخلق والابتداع، فكنّى بمفردات (مُرَاحها)

(١) نفسه.

(٢) ينظر: جمهرة اللغة (سوم): ٢/ ٨٦٢، والفائق: ٢/ ٢٠٧.

(٣) الفناء نقيض البقاء. ينظر: لسان العرب (فني): ١٥/ ١٦٤.

(٤) ابتِدَاعها انشائها. ينظر: لسان العرب (بدع): ٨/ ٦.

(٥) السّنخ الأصل من كل شيء. ينظر: لسان العرب (سنخ): ٣/ ٢٦.

(٦) نهج البلاغة: خ/ ١٨٦: ٣٤٦.

و (سَائِمها) عما حل من النعم وأُريح، وما كان سروحاً منها. أمّا مفردة (سَائمها) - هنها - فتشير إلى الراعي الشارح من الدواب، وليس المراد (راعيها) الذي يقوم بإسامتها ورعيها فكأن هذه الصيغة تدل على معنيين؛ الأول النَّعم السائمة الراعية بنفسها في المرعى، والثاني هو الدلالة على الراعي الذي يقودها ويراعيها في مرعاها. وهذا الأمر يضيف على هذهِ المفردة الدلالة على (التّضاد) من حيث دلالتها على المعنى وضده. وهو ما لم يلتفت اليه اللغويون، ولا سيما في كلام الإمام (عليه السلام) الذي انفرد باستعمال اللفظة المتقدمة دالة على الراعي الذي يرعى الدواب والنعم.

أما لفظة (مُسِيْم)؛ فقد وردت في قوله (عليه السلام) الذي يتحدث فيه عن أهل الدنيا في مقام ذمهم؛ إذ يقول في وصفهم لولده الإمام الحسن (): ((**فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلاَبٌ عَاوِيَةٌ**[1]**، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ**[2]**، يَهِرُّ**[3] **بَعْضُهَا بَعْضاً... سُروحُ عَاهَة بِوَاد وَعْث، لَيْسَ لَهَا رَاع يُقِيمُهَا، وَلاَ مُسِيمٌ يُسِيمُهَا، سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى...**))[4]. والنص في ذم أصحاب الدنيا الذين يصفهم الإمام بـ(الكلاب العاوية) و (السِّباع الضّارية). إشارة إلى شدة افتراسهم وضراوتهم، إذ ينبح بعضهم على بعض. وقد أراد الإمام من هذهِ الأوصاف المتقدمة الدلالة على قهر الناس بعضهم بعضاً وأخذ القوي للضعيف. ثم وصفهم - بعد ذلك - بالنعّم السّروح التي تسرح في الآفات في واد وعث، لا يمكن السير فيه. علاوة على افتقارها الراعي الذي يقيمها

(١) العُواء صوت الذئب والكلب، وهو غير النُّباح. ينظر: لسان العرب (عوي): ١٥/ ١٠٧.

(٢) الضِاري هو من أولاد الكلاب السّلوقية التي تصيد. ينظر: العين (ضرو): ٧/ ٥٦.

(٣) هَرَّ الكَلْبُ يِهَرّ، إذا صَوّت، وهو صَوْته الذي دون النّباحِ من قِلة صَبرْهِ على البْرَدِ. ينظر: لسان العرب (هرر): ٥/ ٢٦٠.

(٤) نهج البلاغة: ك/ ٣١: ٥٠٦.

ويراقبها والميسم الذي يتولى اسامتها، ولا مسيمٍ يسيمها. وقد أخذ الإمام مفردتي (راعٍ) و (مُسِيم)، وهما بحسب الدلالة العامة - إحداهما تفسر الأخرى، فالمُسِيم هو الراعي كما تذكر كتب اللغة [١]. بيد أنّ استعمل الإمام استعمل مفردة (راعٍ) ووصفه عمله بـ(إقَامة النَّعَم)، في حين أن لفظة (مُسيْم). بحسب استعماله توحي بالدلالة على تسريح الدواب وسوقها إلى المرعى. كأنه يستعرض هذهِ الإبل حينما يسترح بها ويسوقها إلى مرعاها سراعاً. فهي صارة مسرعة. ولهذا قيل: سامَت النَّاقَة تَسوم سَوْماً، إذا أسرعت المرّ مع قصد الصوب في سير [٢]. كأن (المُسِيْم) هو الذي يمر بالإبل والدواب ويخرجها إلى مرعاها. وذلك إذا جعلها تذهب على وجهها حيث تشاء [٣]، في حين أن (الرَّاعي) هو الذي يرعى الماشية ويحوطها ويحفظها. فالراعي هو الحافظ [٤]. وتختص هذه المفردة - بحسب ما يفهم من المعاجم - بالغنم والشاء، في حين أن (المُسِيْم) هو راعي الإبل فحسب؛ فلا يقال لراعي الماشية أنه (مُسِيم). ولهذا قيل في المعجم أن الرعية هي الماشية المرعية [٥].
ومن هذا الفارق نفهم أنّ استعمال مفردة (راع) يراد منه الدلالة على حفظ النعم واحاطتها، مشير بذلك إلى أنّ بعض الناس من أهل الدنيا هم أشبه بالماشية المرعية التي تحتاج إلى راعٍ يقيمها ويحفضها عند سروحها؛ لأنها لا تقوم بنفسها، في حين أن الصنف الآخر منهم هم أشبه بالإبل السَّرُوح التي تخرج على وجهها ترعى، فتذهب حيث شاءت بلا مُسِيم يقودها ويوجّهها.

(١) ينظر: العين (سوم): ٧/ ٣٢٠، وجمهرة اللغة (سوم): ٢/ ٨٦٢، والفائق: ٢/ ٢٠٧.
(٢) ينظر: لسان العرب (سوم): ١٢/ ٣١١.
(٣) نفسه.
(٤) ينظر: لسان العرب (رعي): ١٤/ ٣٢٥.
(٥) نفسه.

الهاملة

إبل هَوَامِل مُسَيّبة لا تُرْعى[١]. وهي المهملة السدى المتروكة ليلًا أو نهاراً بلا راعٍ[٢].

وقد استعمل الإمام (عليه السلام) لفظة (هملاً) مرتين في نهج البلاغة، ولفظة (الهاملة) مرة واحدة[٣]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على الهَمْل من الناس.

وذلك تشبيهاً لهم بالمهملة الضالة من الإبل، وغيرها من الدواب. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق كلامه عن الفائدة من خلق الناس: ((**وَاعْلَمُوا -عِبَادَ الله-، أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلاً...**))[٤]. ُريد أنّ الله تبارك وتعالى لم يخلق الناس عبثاً دون غاية، ولم يكن خلقهم لأجل إرسالهم في هذهِ الدنيا هَمْلاً، مثلما تهمل البهيمة من الإبل[٥]. مستعملًا لذلك مفردة (هملًا) التي تدل على السّدى من الإبل التي تترك ليلاً أو نهاراً دونما راعٍ لها يقودها. وهو (عليه السلام) ينفي هذهِ الفكرة التي ربما تخطر في بال البعض من الناس، من خلال بيان الفائدة التي خلق الإنسان لأجلها، وهي عبادة الله وطاعته، فليس المراد بـ(الهَمْل) الدلالة على الضَوَال من الناس الذي يشبهون خوال الإبل في انتشارهم في الآفاق. وتيههم في الضلال دون راع يرعاهم ويصلح شؤونهم وإنما هم مسؤولون عن ما يقومون به من تصرفات

(١) ينظر: العين (همل): ٤/ ٥٦.

(٢) ينظر: المحكم (همل): ٦/ ١٦٧، ولسان العرب (همل): ١١/ ٧١٠.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٧٠.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ١٩٥: ٣٨٨.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٧٤١.

أو أفعال؛ لتميزهم بالعقل والادراك بخلاف الدواب التي لا عقل لها. وقد ذكر الإمام هذه المفردة في موضعٍ آخر بالدلالة نفسها في سياق نفي أنّ الله تبارك وتعالى قد ترك الناس بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) هَمْلاً بلا إمامٍ يقودهم إلى الطريق الواضح. وذلك في (خ/ ١).

ثانياً: الدلالة على الهَامِلَةِ من البهائم.

واستعمل الإمام (عليه السلام) هذهِ الدلالة في سياق التعجب، ونفي الاقتداء بالبهيمة الهاملَة، والسائمة المرعية. يقول الإمام متحدثاً عن نفسه، منكراً أنْ تكون بهذا الوصف: ((... **قَرَّتْ إِذاً عَيْنُهُ إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السِّنِينَ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ، وَالسَّائِمَةِ الْمَرْعِيَّةِ**))[١]. وإنما أنكر (عليه السلام) الاقتداء بهذا الضرب من الدواب؛ لأنّ البهيمة الهاملة، لا يسوقها راعٍ، أو يوجهها أحد: فتكون سدىً، ترسل ليلاً أو نهاراً مثل ضوال الإبل التي تترك مسيبةً.

مَسَارِب

المَسْرَب المَوْضع الذي يسرب فيه الظباء والوحش لمراعيها[٢]. والمَسَارِب جمع مسربة، وهي المراعي التي تَسْرَب فيها الدواب[٣]. وقد وردت لفظتا (مَسَارِب) و (مَسَاربهم) مرة واحدة لكل منها في نهج البلاغة[٤]؛ للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على المراعي.

وذلك في قوله (عليه السلام) متحدثاً عن التشديد في ضرب العدو وقتالتهم: ((**وَحَتَّى**

(١) نهج البلاغة: ك/ ٤٥: ٥٣٥.

(٢) ينظر: العين (سرب): ٧/ ٢٤٩، والمحكم (سرب): ٨/ ٤٨٤.

(٣) ينظر: أساس البلاغة (سرب): ١/ ٢٩١، ولسان العرب (سرب): ١/ ٤٦٥.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢١٣.

تَدْعَقَ الخُيُولُ فِي نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ، وَبِأَعْنَانِ مَسَارِبِهِمْ وَمَسَارِحِهِمْ))(١). والمراد: أنّ العدو لا يزول عن مواقفه دون أن يشدد عليه الضرب والطعن، وتدق أراضيه بحوافر الخيول في أقاصي أرضه، وأطراف مذاهب الرعي عندهم، كناية عن وصول الجيش إلى جميع مواطن أرض العدو بما في ذلك (المراعي، والمَسَارح) التي يرعى فيها، وتسرح عندها دوابهم ومواشيهم. ولفظة (مساربهم) مأخوذة في الأصل من (الإرسال). إذ يقال: (سَرَّب عليَّ الإبل)، اذا أرسلها قطعة(٢). والسَّربة القطيع من الدواب(٣)، أو القطعة من الخيل أو الإبل(٤) التي تسْرب في الأرض حيث شاءت(٥). ومنه صارت مفردة (مَسَارب) دالة على الذهاب والاتساع في الأرض بالنسبة إلى الدّواب ورعاتها كما يبدو(٦).

ثانياً: الدلالة على تسرب المنيِّ من الإنسان ونزوله إلى صلبه عند تكونه.

وجاءت هذهِ الدلالة في سياق كلام الإمام عن علم الله تبارك وتعالى بكل شيء؛ إذ يقول ((**مَحَطِّ الأَمْشَاجِ**(٧) **من مَسَارِبِ الأَصْلابِ**))(٨). يريد (عليه السلام) أنّ الله جل جلاله هو العالم بمحط الأمشاج وهي محل نزول النطف من الأصلاب.

---

(١) نهج البلاغة: خ/ ١٢٤: ٢٢٩.

(٢) ينظر: غريب الحديث (ابن قتيبة): ٢/ ١٣١.

(٣) ينظر: تاج العروس (سرب): ٣/ ٥٢.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (سرب): ١٢/ ٢٨٧، ومقاييس اللغة (سرب): ٣/ ١٠٥.

(٦) ينظر: مقاييس اللغة (سرب): ٣/ ١٠٥.

(٧) الأمشاج الأخلاط من ماء الرجل والمرأة. وقيل: بل هو ماء الرجل يختلط بماء المرأة. ينظر: لسان العرب (مشج): ٢/ ٣٦٧

(٨) نهج البلاغة: خ/ ٩١: ١٦٧.

ومساربها، هي الأوعية التي يسرب فيها المني وما يتولد عنه من أخلاط [(١)].

سَرُوح

السَّرح المال السَّائم[(٢)]. وهو مخصوص - فيما يبدو بالإبل إذ يقال: سّرحنَا الإبل، وسَرَحَت الإبل سَرْحاً[(٣)]. والسَّرَّحُ من المال ما يغذى به أو يسام ويراح في المرعى. والجمع سرُوح[(٤)]. والدواب تسرح بالغداة، وتُرَاح بالعَشيِّ[(٥)]. والسَّارِحَة الإبل والغنم[(٦)]. ويسمى الراعي الذي يرعاها عند سروحها سارِحٌ[(٧)]. والمَسْرح - بفتح الميم - مرعى السّرح. وجمعه مَسَارح[(٨)]. وجاءت لفظتا (سُروح) و (مَسَارِح) مرة واحدة لكل منهما في نهج البلاغة[(٩)] للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على رَعْي الإبل.

واستعمل الإمام (عليه السلام) بهذهِ الدلالة مفردة (سُرُوح)، وذلك في سياق وَصفه أَهل الدنيا، والطامعين فيها بأنهم: ((**نَعَمٌ**[(١٠)] **مُعَقَّلَةٌ**[(١١)]**، وَأخرى مُهْمَلَةٌ، قَدْ أَضَلَّتْ**

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٤٦٧.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (سرح): ٣/ ١٥٧، ولسان العرب (سرح): ٢/ ٤٧٨.

(٣) ينظر: العين (سرح): ٣/ ١٣٧.

(٤) ينظر: العين (سرح): ٣/ ٣٧، ولسان العرب (سرح): ٢/ ٤٧٨.

(٥) ينظر: لسان العرب (سرح): ٢/ ٤٧٨.

(٦) نفسه.

(٧) ينظر: العين (سرح): ٣/ ١٣٧.

(٨) ينظر: العين (سرح): ٣/ ١٣٧، ولسان العرب (سرح): ٢/ ٤٧٨.

(٩) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢١٣.

(١٠) النَّعَم الإبل. ينظر: تهذيب اللغة (نعم): ٣/ ١١.

(١١) المُعَقّلَةُ الإبل التي تُعْقَل. يقال: عَقَلْتُ البَعِيْر، إذا شِددت يده بِعِقَاله، والعِقَال الربّاط. ينظر: تهذيب اللغة (عقل): ٤/ ٧٢.

عُقُولَهَا،رَكِبَتْ مَجْهُولَهَا، سُرُوحُ عَاهَةٍ بِوَادٍ

وَعْثٍ[١]، **لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقِيمُهَا...**))[٢]. يشبه الإمام أهل الدنيا بالإبل المعقلة المربوطة بعقال، أو المهملة التي لا راعي لها. التي قد فقدت عقولها، وركبت المجهول الذي لا تعرف غايته، كأنها مال سُروح. والمراد بـ(السُّرُوح) الإبل، والماشية من غنمٍ وغيرها، لأنه (ﷺ) قد خص الإبل بمفردة (نَعَم)، وهي لفظة لا تطلق الاّ على الإبل. ومن ثمّ صور الناس من مُريدي الدنيا بـ(السرُوح)، وهي لفظة عامة توحي بالدلالة على كل ما يسرح أو يسام به من الإبل والماشية. ولعل هذا المعنى هو الذي سوغ استعمالها بصيغة الجمع على (فُعُول).كأنما أريد به تنوّع هذه الدواب وتعددها، فضلاً عن كثرتها. في إشارة إلى تنوّع الناس وتعدد أفكارهم وعقائدهم مستويات ادراكهم. وهذا يكون المعنى. أَنّ أصحاب الدنيا كالنعم المعقلة المربوطة، أو المهملة التي لا حافظ لها ولا راعٍ، وكالسُرُوح من الدواب التي ترعى الآفات من الراعي دون الطيب من المرعى براد موظفاً مفردات (مُعَقّلَة) و (سْرُوح) و (عاهة) و (وَعْث) براد وَعْثٍ - في كناية عن الدنيا-، ومواضع سَرْحِها، لوصف الإنسان الذي تتحكم به الدنيا، كأنه رهن لها وتبع وقد أومأ الإمام بلفظة (عاهة) و (وَعْث) إلى ما يتناوله الناس من حرامٍ، وطعام ذي شبهة. وغير ذلك من آفات الزاد الذي تشوبه الشبهات، فضلاً عن الاشارة إلى سوء ما يسير فيه من طريق لا يؤدي إلى الله تبارك وتعالى.

ثانياً: الدلالة مَوَاضِع السَّرح.

وهي المراعي التي تُرعى فيها الإبل والمواشي. وقد وردت هذهِ الدلالة في

---

(١) الوَعْثُ من الرّمل ما غابت فيه الأَرجُل والأَخفاف. ينظر: لسان العرب (وعث): ٢/ ٢٠٢.

(٢) نهج البلاغة: ك/ ٣١: ٥٠٧.

سياق دعائه على الأعداء الذين يحث أصحابه على قتالهم. وذلك في قوله (عليه السلام): **((اللَّهُمَّ فَأَنْ رَدُّوا الْحَقَّ فَافْضُضْ[١] جَمَاعَتَهُمْ، وَشَتِّتْ[٢] كَلِمَتَهُمْ... إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ دِرَاكٍ[٣]... وَحَتَّى تَدْعَقَ[٤] الْخُيُولُ فِي نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ، وَبِأَعْنَانِ[٥] مَسَارِبِهِمْ[٦] وَمَسَارِحِهِمْ))**[٧]. يريد الإمام من قوله: أنّ هؤلاء لن يتراجعوا عن مواقفهم الاّ بعدما يذوقوا مرارة الهزيمة، بالطعن النافذ المتتابع في أجسادهم، وحتى تسحق الفرسان نواصر أرضهم ونواحي مراعيهم ومواضع السرح التي ترعى فيها بهائمهم، وتطلق فيها للترويج. فكأن الإمام (عليه السلام) أراد - بهذهِ المفردات - الاشارة إلى غزو جنده للاعداء ودخول أراضيهم، ومواضع رعيهم ومواطن دوابهم.

أرْسَالاً

الرَّسَل القُطِيْع من كلِّ شيء[٨]. وقيل هو القطيْعُ من الإبل[٩]، وهو بين العشر والخمس والعشرين بين العشر إلى خمسٍ وعشرين كما يذكر اللغويون[١٠]. وربما

---

(١) الفضُّ الكَسْرُ والتفريق. ينظر: لسان العرب (فضض): ٧/ ٢٠٦.

(٢) الشّتُّ الافتراق والتفريق، وشتت جْمَعُهم اذا افتراق. ينظر: لسان العرب (شتت): ٢/ ٤٨.

(٣) الدَّرْك اللّحَاقُ والدِّراك اتباع الشيءِ بَعْضُهُ على بَعْضٍ في الاشياء كلها. ينظر: لسان العرب (درك): ١٠/ ٤٢٠.

(٤) الدّعْقُ شِدّة وطيءِ الدّابة ما تحت أرجلها. ينظر: لسان العرب (دعق): ١٠/ ٩٧.

(٥) أعْنَان كل شيءٍ نواحيه وأطرافه. ينظر: غريب الحديث (أبو عبيد): ٣/ ١٥٧.

(٦) المَسَارِبُ المراعي التي تسرب فيها الدواب. ينظر: لسان العرب (سرب): ١/ ٦٥.

(٧) نهج البلاغة: خ/ ١٢٤: ٢٩٩.

(٨) ينظر: العين (رسل): ٧/ ٢٤١، والقاموس المحيط (رسل): ١/ ١٣٠٠.

(٩) ينظر: تهذيب اللغة (رسل): ١٢/ ٢٧٢، والمحكم (رسل): ٨/ ٤٧٢.

(١٠) ينظر: تهذيب اللغة (رسل): ١٢/ ٢٧٢، والنهاية في غريب الحديث: ٢/ ٢٢٢.

أُدخلت مع الإبل في هذهِ المفردة الغنم أيضاً، إذ يسميها بعض اللغويين أرسالاً[١]. واستعمل الإمام لفظة (أَرْسَالاً) بصيغة الجمع على (أَفْعَال) مرة واحدة في كلامه الوارد في نهج البلاغة[٢]، للدلالة على مضي الناس ووفودهم على الله تبارك وتعالى بعد الحياة الدنيا. يقول (عليه السلام) في سياق التحذير من الدنيا والتنفير منها؛ بأنها: ((**وَأَعْلَقَتِ**[٣] **الْمُرْءَ أوهَاقَ**[٤] **الْمُنِيَّةِ قَائِدَةً لَهُ إِلى ضَنْكَ الْمُضْجَعِ، وَوَحْشَةِ الْمُرْجِعِ... وَيَمْضُونَ أَرْسَالاً، إِلَى غَايَةِ الأَنْتِهَاءِ، وَصَيُّورِ**[٥] **الْفَنَاءِ**))[٦]. والنص يوضح كيف تعلق المنية حبالها في رقبة المرء، وتقوده إلى ضنك القبر، ووحشة مرجعه في لحده. ويصف الإمام مسير الإنسان إلى أَجله بـ(مُضِيِّ الأَرْسَال)، والأَرسال جمع (رَسَل)، وهو القطيع من الإبل[٧]. وقد استعار الإمام هذهِ المفردة لمضي الناس وتوجههم نحو مماتهم، كأنهم قطعان الإبل التي يتبع بعضها بعضاً. واستعماله لهذه المفردة متأتٍّ من دلالتها على الهيأة التي يكون عليها الناس عند مماتهم، أو عند القيامة. فهم يمضون إلى مصائرهم مستسلمون، لا يعترضون على شيء البتة. كما الإبل التي يسوقها صاحبها جملة وأرسالاً قطيعاً أثر قطيع[٨]. ولفظة (أَرْسَال) لا تستعمل في اللغة إلا عند الدلالة على تقسيم قطعان الإبل على مجموعات مجموعات عند

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٢٢٢.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٨٨.

(٣) أَعْلَقَ أظْفَاره في الشيء أنْشَهَا فيه، وعلّق الشيءِ ناطَهَ به. ينظر: تاج العروس (علق): ٢٦/ ٢٨.

(٤) الوَهَق الحَبْل الذي تؤخذ فيه الدَّابّة، وفي انشوطة. ينظر: لسان العرب (وهق): ١٠/ ٥.

(٥) صَيُّور الشيءِ آخره وُمْنَتهاه، ينظر: المحكم (صير): ٨/ ٣٦٠.

(٦) نهج البلاغة: خ/ ٨٣: ١٢٢، ١٢٣.

(٧) ينظر: المحكم: ٨/ ٤٧٢، والمصباح المنير: ١/ ٢٢٦.

(٨) ينظر: الفائق: ٢/ ٥٥، وغريب الحديث (الخطابي): ١/ ١٦٩.

ورودها الماء. فيسمون كل مجموعة منها (أرسالاً). كما يفهم من أقوال اللغويين[١]؛ فتكون كل مجموعة منها بعشرة من الإبل[٢]. ترسل الواحدة تلو الأخرى. ويمكن أن يراد بـ (الأَرْسَال) جمع (رَسِيْل)، وهو الفحل من الإبل الذي ترسله العرب في الشول من النوق ليضربها. فيقال هذا رَسِيْل آل فلان. أي فحل إبلهم[٣]. فكأنما هؤلاء الناس الذين يمضون إلى (غاية الإِنْتِهَاء) تختلف شؤونهم وأحوالهم، فمنهم من هو فحل قومه وسيدهم المطاع، ومنهم من هو زعيم قومه ورئيسهم، وكل هؤلاء مصيرهم كمصير الأرسال من الإبل التي تُرْسَل إلى مواضعها بزجرٍ وحداء.

٩ـ قياد الإبل وسوقها وصعابها وذللها

أسْلس

السَّلِسَ – في اللغة – اللين السهل[٤]. ورجلٌ سَلِس، منقاد لين[٥]. ومهر سَلِس منقادٌ[٦]. وقد وردت لفظة (أَسْلَسَ) و (سَلِس) و (سلسلًا) مرتين لكل لفظة منها؛ للدلالة على سُهولة القياد وسرعته ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق الحديث عن الخلافة، وذكر صعوبة مركبها: ((... **فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ، أَنْ**

(١) ينظر: تهذيب اللغة (رسل): ١٢/ ٢٧٢، والفائق: ٢/ ٥٥، وغريب الحديث (الخطابي): ١/ ١٦٩.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (رسل): ١٢/ ٢٧٢.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: لسان العرب (سلس): ٦/ ١٠٦.

(٥) نفسه.

(٦) ينظر: تهذيب اللغة (سلس): ١٢/ ٢٠٩.

أَشْنَقَ(١) **لَهَا خَرَمَ**(٢)**، وَأنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ**(٣)**...))**(٤). يتحدث الإمام عن خلافة (عمر بن الخطاب) التي عقدت له من الخليفة (أبي بكر) الذي صيّرها: ((**في حَوْزَة خَشْنَاءَ، يَغْلُظُ كَلْمُهَا، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا، وَيَكْثُرُ العِثَارُ فِيهَا**))(٥). فيشبه (عليه السلام) من متَقلَّد الخلافة بـ (راكب الصعّبة)، وهي الناقة غير الذلول التي يصعب قيادها، لأنها غير مروضة. وراكب هذا النوع من النوق يكون بإزاء أمرين؛ فإما أن يكبح جماحها بشد زمامها وهو ما يؤدي وأذاها، أو أن يطلق العنان لها، بإسلاس زمامها، وإرخائه، فتطير به نحو الهلاك؛ لأنه تركها منقادة لا موجه لها، فتسحق كل ما وطأته أرجلها، وتدمّر كل ما آتت عليه. كأنها فاقدة عقلها من شدة سلسها. والسلس ذهاب العقل(٦). كأن الإمام (عليه السلام) يشير إلى أن (عمر بن الخطاب) قد ركب الخلافة التي شبهها (بالصَّعْبَة) من النوق التي يعجز صاحبها عن مداراتها وقيادتها؛ بسبب من عدم قدرته على ركوبها وتمرسه بهذا النوع من القياد، ولهذا كان بإزاء أمرين، فإما الشدة والأخذ بالقوة، أو الإرسال، وترك الأمر على ما يراد، وذلك باستعمال اللين والركون إلى عدم الشدة في إدارة الامور، وهو ما يؤدي إلى عدم إحكام إدارة الدولة، فيكون ذلك مدعاة إلى ورود المهالك والوقوع في التخبط. وقد أشار الشارح البحراني إلى أن هذا التشبيه من التشبيهات اللطيفة التي عقدها الإمام (عليه السلام)(٧). فإنه عقد التشبيه بين راكب الناقة الصعبة

(١) أَشْنَقَ البعيَر، إذا جذب خطامه. ينظر: لسان العرب (شنق): ١٠/ ١٨٧.

(٢) الخَزَمُ الشَّقُ، وخَزَم أنفه، إذا قطع وتره. ينظر: لسان العرب (خرم): ١٢ / ٧٠

(٣) تقحّم الشيء. دخل فيه. ينظر: لسان العرب (قحم): ١٢/ ٤٦٢.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ٣: ٢٩.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ٣: ٢٩.

(٦) ينظر: لسان العرب (سلس): ٦/ ١٠٧.

(٧) شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٧٨.

وبين المتسنم كرسي الخلافة،ووجه الشبه بينهما الاضطراب وعدم الثبات والسيطرة على هذه الصعاب التي تعرض لهما،فلاريب ان يؤدي ذلك إلى سقوط الراكب وانكفائه.ونظير دلالة (أَسْلَسَ) على إرخاء القياد، وعدم كبح الجماح ما ورد في (خ/ ٨٣، ١٩٢، ك/ ٤٥،٣٦، قصا/ ١٤٧).

الصَّعْب

الصَّعْب نقيض الذلول من الدواب، والأنثى منه صَعْبَة[١]. وأصعَب الجمل الفحل، فهو مُصْعَب، وإصْعَابه أنه لم يركب ولم يمسه حبل[٢]. وأصعبت الناقة، إذا تركت فلم يحمل عليها شيء[٣]. وجاءت لفظة (الصّعب) مرتين في نهج البلاغة، في حين استعملت مفردة (الصَّعْبَة) و (صَعْبها) مرة واحدة لكل منهما[٤]، للدلالة على الصعب غير الذلول من الإبل. ومن ذلك قوله (عليه السلام) لعبد الله بن عباس يصف فيه طلحة: ((**لاتَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ، فَإِنَّكَ إنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ، يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ: هُوَ الذَّلُولُ**))[٥]. أراد الإمام أن في (طَلْحَة) ضرب من الكبر والخيلاء والعنت حتى أنه يستهين بالصعب مهما كان شديداً أمره. فإذا ركب الجمل الصعب الجموح غير المنوق الذي يعسر ركوبه. قال: هو ذلول هين. فأخذ الإمام لفظ (الصَّعْب) - هنا - للدلالة على صعاب الأمور الذي لا تعرف عواقبها مشبَّهاً إياها (بالصَّعب) من الجمال الذي يجمح بصاحبه ويرديه. وقد أشار شراح النهج إلى أن المراد من تعبير الإمام بلفظ (يَرْكب الصَّعْب) الدلالة

(١) ينظر: العين (صعب): ١/ ٣١١، ومقاييس اللغة (صعب): ٣/ ٢٨٦.

(٢) ينظر: العين (صعب): ١/ ٣١١، ولسان العرب (صعب): ١/ ٥٢٤.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (صعب): ٣/ ٢٨٧، وأساس البلاغة (صعب): ١/ ٣٥٤.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٥٧.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ٣١: ٦٧، ٦٨.

على شراسة خلقه وشكاسة طبعه، وفخره بركوب الصعاب[١]. ويبدو من وصف الإمام لطلحة بهذا الوصف أنه لا يعبأ بشدة الأمور ونتائجها، ولهذا فإنه يمتطي الإبل الصعاب حتى مع هياجها فخراً بقوته، مثلما يعتلي صعاب الأمور، استهانة منه بنتائجها.

أقول: وكأن الإمام (عليه السلام) يومئ إلى أن هذا الضرب من الناس لا يحتاج إلى نصحٍ وأرشادٍ وتوجيه، لأنه غلبت عليه شقاوته، وعلاه الكبر والمنع. فكأنه كالجمل الصعب غير المذلل لا تنفعه المعاملة بالرقة وقد وردت ألفاظ (الصَّعْبَة) و (الصَّعْب) و (صَعْبها) بالدلالة المتقدمة نفسها وذلك في (خ/ ٣، ك/ ٣١، ٦٣).

النّفُور

النّفُور من الدواب هو المتجافي المتباعد. الذي تفرق عن غيره[٢]. وقد وردت هذهِ المفردة مرة واحدة في نهج البلاغة[٣]، للدلالة على المبتعد المتجافي من الإبل. وذلك في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام) في مقام التشبيه بالصعب النفور من الدواب. إذ يقول (عليه السلام): ((**أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً، وَرَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْناً**[٤]**، بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وَأَورَدْتُ خِصَالاً مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِي**[٥] **إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي... أو يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَفِتَنِ الدُّنْيَا، فَتَكُونَ**

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٢/ ١٢٩، والديباج الوضي: ١/ ٣٧٧.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (نفر): ٥/ ٤٥٩، ولسان العرب (نفر): ٥/ ٢٢٤.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٤٩.

(٤) الوَهْن الضّعْف. ينظر: لسان العرب (وهن): ١٣/ ٤٥٣.

(٥) الإفضاءُ في الأصل الإنتهاء. ينظر: لسان العرب (فضا): ١٥/ ١٥٧، وهو هنا يعني القاء ما في نفس الإمام (عليه السلام) من كلام إلى ولده الإمام الحسن (عليه السلام).

كَالصَّعْبِ النَّفُورِ...))[١]. أراد أنه بادر إلى ولده الإمام الحسن (عليه السلام) بالوصية قبل أن يدنو أجله، فألقى اليه ما في نفسه من حكم وأقوال، وقبل أن تقرب غلبات الهوى وفتن الدنيا. فيقسو – عند ذاك – القلب، ويصير الإنسان كأنه جمل صعب القياد. نفور غير آنسٍ بصاحبه، يستوحش من كل ما يلقاه. واستعماله (عليه السلام) مفردتي (الصَّعْب) و (النُّفُور) يظهران وجه الشبه بين طرفي التشبيه الذي أسقط منه الإمام الموصوف وأبقى صفاته الدالة عليه، فكأنه قال: ((**فَتَكُونَ كالجَمَلِ الصَّعْبِ النَّفُورِ**)) الذي لا يمكن ترويضه وإيناسهُ، ليكون ذلولاً آنساً بالناس لا يتجافى عنهم. وتشبيه الإمام (عليه السلام) لقلب الإنسان الذي يقسو وينمو على عدم النصح والإرشاد والهداية (بالصَّعْب النفور) من الدواب، تشبيه لطيف أراد به الإمام إثبات مسألتين؛ الأولى عدم القدرة على تأديب الأحداث من الأولاد بعدما يشبّون ويكبرون على المعاصي والآثام، فضلاً عن عدم القدرة على ترويضهم وإعادتهم إلى الطريق المستقيم؛ لأنهم ينفرون من النصح والإرشاد، ويتفرقون عمّن يرشدهم ويوجههم كما ينفر الجمل النفور عن صاحبه، كأنهم يخشون غلبة الناصح عليهم، وتمكنه من إقناعهم بالهداية إلى الإيمان. ولهذا ذكر أمير المؤمنين مبادرته بالوصية إلى ولده الإمام الحسن (عليه السلام)، وهذا الخطاب عام لا يخصصه المورد – كما يقال – فالحديث موجه إلى كل أَبٍ عليه أن يسبق أيامه لارشاد أولاده وتوجيههم قبل أن يبلغوا أشدهم، فيبادرهم بالأدب وهم فتية أحداث لما تقسوا قلوبهم بعد: فـ ((**قَلْبُ الحُدَثِ كَالأرْضِ الخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيء قَبِلَتْهُ**))[٢]. كما يقول الإمام.

(١) نهج البلاغة: ك/ ٣١ ٤٩٨، ٤٩٩.

(٢) نهج البلاغة: ك/ ٣١: ٤٩٩.

ذُلُل

الذَّلُول هو المنقاد من الدواب[١]، ودابة ذَلُول بينة الذل[٢]. وقد وردت لفظة (ذُلُل) بصيغة الجمع على (فُعُل) مرتين في نهج البلاغة، في حين جاءت مفردة (الذّلُول) مرة واحدة فيه[٣]. للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على الدّواب الذُلُل التي تنقاد بسهولة.

ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق كلامه عن (طَلْحَة) وكبريائه، في خطاب الإمام (عليه السلام) لعبد الله من عباس إذ يقول: ((**لاتَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ، فَإِنَّكَ أَنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ، يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ: هُوَ الذَّلُولُ...**))[٤]. يريد: أن في طلحة من الكبر والتعالي، ما جعله يهون الصعاب كلها، ولو كان يركب الصعب من الدواب، فإنه يقول: إنه ذلول منقاد مبالغة في التكبر والخيلاء.

ثانياً: الدلالة على التقوى وسهولتها.

وذلك أنه (عليه السلام) استعار لفظ (المَطَايا) للتقوى، جاعلاً منها أشبه بالدابة التي يمتطي ظهرها لتوصل إلى المكان الذي يريده الإنسان، وقد وصف الإمام هذه (المطايا = التقوى) بـ(الذُّلُل) إشارة إلى أنها غير صعبة القياد، وسهلة الامتطاء وذلك كله كناية عن يسر التقوى وسهولتها، إذا ما أراد الإنسان أن يكون تقياً. وبهذا تصير التقوى (مطايا ذُلُل) توصل الإنسان إلى الله جل جلاله ورضاه. يقول الإمام: ((**أَلاَ وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ، حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وَأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا، فَأَورَدَتْهُمُ الجَنَّةَ**))[٥].

---

(١) ينظر: العين (ذلل): ٨/ ١٧٦.

(٢) ينظر: العين (ذلل): ٨/ ١٧٦، والمحكم (ذلل): ١٠/ ٤٩.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٧١.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ٣١: ٦٨.

(٥) (٥) نفسه: خ/ ١٦: ٤٤.

ثالثاً: الدلالة على السحاب الخالي من البروق والصواعق.

وهذهِ من الدلالات المميزة عند الإمام، وقد ورد في سياق دعاءٍ له استسقى به قائلاً: ((**اللَّهُمَّ اسْقِنَا ذُلُلَ السَّحَابِ دُونَ صِعَابِهَا** ((١) يريد (عليه السلام) بـ (ذُلُل السَّحاب) المطر الذي لا رعد فيه ولا برق(٢). وقد أخذ شراح نهج البلاغة تفسير هذهِ الكلمة من كلام الإمام من السيد الشريف الرضيي الذي فسر مفرداتها، والصورة الفنية فيها وهو متعجب من فصاحتها وبلاغتها بقوله: ((وهذا من الكلام العجيب الفصاحة، وذلك أنه(عليه السلام) شبّه السحاب ذوات الرُّعود والبوارق والرياح والصواعق بالإبل الصّعاب التي تَقْمُصُ برحالها وتقِصُّ بركبانها، وشبّه السحاب خاليةً من تلك الروائع(٣) بالإبل الذُّلُلِ التي تُحْتَلَبُ طَيِّعَةً وتُقْتَعَدُ مُسْمِحَةً(٤)))(٥).

وقد وقف الشارحون عند هذا النص من كلام الإمام بإجلال، وبهرتهم مفرداته، حتى أنهم ما استطاعوا أن يأتوا بشيءٍ جديد في بيان دلالات مفرداتها غير ما ذكره السيد الشريف الرضي الذي قال فيه الشارح ابن أبي الحديد: ((قد كفانا الرَّضِيّ – رحمه الله – بِشَرْحه هذهِ الكلمة مؤونة الخَوْض في تفسيرها))(٦). في حين أعاد بعض الشراح كلام السيد الشريف نفسه بصياغة أخرى(٧). ويبدو

(١) نفسه: قصا / ٤٧٢: ٦٩٥.

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/ ١٦٦، ولسان العرب (ذلل): ١١/ ٢٥٧.

(٣) الرَّوائع من الرَّوْع، وهو الفزع. ينظر: لسان العرب (روع): ٨/ ١٣٥.

(٤) مُسْمِحَة اسم فاعل من (سَمَحَ). والسماح الجود، وعدم الضيق والشدة، ومنه (أَسْمَحَت الدابة) إذا لانت بعد استصعاب. ينظر: لسان العرب (سمح): ٢/ ٨٩

(٥) نهج البلاغة: قصا/ ٤٧٢: ٦٩٥.

(٦) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٢٠/ ١٩١.

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٥١٠، والديباج الوضي: ٦/ ٣٠٨١، ٣٠٨٢.

أنّ إعجاب الشراح بكلمة الإمام هذهِ ليس براجعٍ إلى مواطن الشبه بين (ذُلُل السَّحاب وصعابها) وبين الدواب الذلول وصعابها أيضاً، وإنما لمكان الاستعارة التي أنشأها الإمام بأخذ هذهِ المفردات من مجالاتها الدلالية التي تستعمل فيها إلى سياق الدعاء بالاستسقاء، وطلب نزول الغيث غير المشتمل على العواصف والصواعق، لأن نزول المطر يمثل رحمة من الله تبارك وتعالى، فلهذا طلب (عليه السلام) في دعائه أن تكون هذهِ الرحمة غير مشوبة بالبرق والرعد، وهي من الظواهر المخيفة التي يهيج لها الإنسان ويروع.

أِشْنَق

الشّنق طول الرأس كأنما يمد صعداً[١]. ويقال للفرس طويل الرأس شِنَاق ومَشْنُوق[٢]. ومنه أيضاً: شنقت رأس الدابة، إذا شددته إلى أعلى شجرة، أو وقد مرتفعٍ[٣].

وجاءت لفظة (أَشْنَق) مرة واحدة في نهج البلاغة[٤]؛ للدلالة على شَنْقِ خطام الناقة الصعبة. وذلك في قول أمير المؤمنين الذي يتحدث فيه عن خلافة (عمر بن الخطاب)، مشبهاً الخلافة بـ (بالنّاقة الصَّعْبَةِ) غير المروّضة إذ يقول: ((... **فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ، أَنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وَأَنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ...**))[٥]. والضمير في قوله (فَصَاحبها) يعود إلى (الخِلافَة)، إذ يشبه الإمام تسلم الخليفة (عمر بن

(١) ينظر: العين (شنق): ٥/ ٤٢، وتهذيب اللغة (شنق): ٨/ ٢٥٧.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: العين (شنق): ٥/ ٤٢، وأساس البلاغة (شنق): ١/ ٣٣٩.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٤٥.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ٣: ٢٩. وقد نقل اللغويون قول الإمام (عليه السلام) المتقدم. ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٥٠٦، ولسان العرب (شنق): ١٠/ ١٨٧.

الخطـاب) الخلافـة مـن (أبي بكـر) بركـوب (الصَّعْبَـة)، وهـي الناقـة غـير المروضـة العسـيرة القيـاد، ويبـدو مـن كلامـه وجـود حـذف في النـص، فلـم يذكـر الموصـوف فيـه، وهـو كلمـة (الناقـة)، واكتفـي بذكـر الصفـة بـدلاً عنـه وهـو لفـظ (الصعبـة) الموصـوف في هـذا النـص، وهـو لفظـة (الناقـة)، وأبقـى صفتهـا محلهـا، وهـي مفـردة (الصَّعْبَـة)، لعنايتـه بأمـر الصعوبـة التـي تبـدوا مـن ركـوب هـذا النـوع مـن النـوق، والتـي تمثـل في هـذا النـص (الخلافَـة)، وهـي المشـبه. إذ ليـس المـراد جنـس المركـوب كـما يذكـر بعـض الدارسـين[1]، الـذي التفـت إلى هـذا النـوع مـن الدلالـة التـي أنتجهـا الحـذف في هـذا السـياق. ولعـل الحـذف - هنـا - كان بسـبب مـن سـكوت الإمـام عـن ذكـر لفظـة (الخلافـة)؛ لأنهـا هـي المقصـودة بالتشـبيه، فـكأن الإمـام يريـد القـول إن (المُتسَـنِّم) للخلافـة كراكـب الناقـة الصعبـة، فحـذف لفظـة (الخلافـة)، وأبقـى الضمير دالاً عليهـا، ولمـا كان هـذا دَأْبُ الإمـام في الخطبـة كلهـا فإنـه أعـرض عـن ذكـر هـذهِ المفـردة، واكتفـى بذكـر أوصافهـا، ولهـذا عمـد (عليه السلام) إلى الاسـتغناء عـن ذكـر مفـردة (النّاقَـة) وأبقـى صفتهـا بـدلاً عنهـا ليحقـق نوعـاً مـن التناسـب بـين المشـبه والمشـبه بـه. حتـى اننـا نجـد الخطبـة (الشِّقشِـقيّة) التـي ورد فيهـا هـذا النـص المتقـدم محتفلـة بضمائـر الشـأن المتصـل بالفاظهـا مثـل (تَقَمَّصَـهـا، دُوْنَهـا، أَدْلَى بهـا، يَسْـتَقِيْلُهَا، صَيَّرَهـا، فَصَاحِبُهـا). وبالعـودة إلى مفـردة (أَشْـنَقَ)، فهـذهِ اللفظـة تعـد مـن المفـردات الدالـة عـلى قيـاد (النّاقـة) والتحكـم بهـا، ولاسـيما في إسراعهـا وإبطائهـا، وتوجيههـا الوجهـة التـي يريـد راكبهـا لأنـه الأسـاس في هـذا التوجيـه. والظاهـر مـن كلام الإمـام أن العكـس هـو الحاصـل في (القِيـاد) - هنـا - (فالنّاقـة الصَّعْبـة) وهـي (الخلافـة) هـي التـي تقـود صاحبهـا، وتعجـل بـه بحيـث يظهـر أن سـيطرته عليها غير بينة، فـ (الصَّعْبـة = الخلافة)

---

(١) ينظر: غريب نهج البلاغة: ٣٣٣.

جموح بصاحبها، ولهذا كان (راكبها) بإزاء أمرين؛ فإما أن يشنق زمامها ويكتفه، وتكون نتيجة ذلك خرم أَنفها؛ لأن زمام الناقة موضوع بخشاش أنفها أو طرف أَرنبته مما لا يبلغ الجدع. وهو ما يعبر عنه بـ (الخَزْم)[١]. كأن راكب الناقة يحاول كبح جماحها، فيجذب خطامها، فترفع الدابة رأسها بسبب من سحب مقودها فينخرم أنفها عند ذاك. وقد علق السيد الشريف الرضي شارحاً قول الإمام (عليه السلام) ((**أنْ أشْنَقَ لها خَرَم...**)) بقوله: ((يريد: أنّه إذا شَدّدَ عليها في جَذْب الزِّمَام، وهي تنازعه رأسها خَرَم أنفها...))[٢].

ويعتمد الشارح السيد الشريف على الدلالة المعجمية لمفردة (**أشْنَق**) التي يذكرها المعجميون، ومن ثم تبعه اللغويون والمصنفون في الغريب في ذكر المعنى نفسه[٣]. في حين اتفق شراح النهج على ذكر الدلالات المتقدمة نفسها أيضاً[٤]. وأما المعنى الذي قصد اليه الإمام في توظيف مفردة (أشْنَق) التي ذكر السيد الشريف أن الإمام (عليه السلام) قد استعملها متعدية بحرف الجر (لها)، ولم يقل (أَشْنَقَها) لأنه جعلها في مقابل (أسْلَسَ لها)[٥]. فقد ذكر بعض الشراح عدة معانٍ لكلام الإمام (عليه السلام)، فمنها أن يكون الضمير في (صَاحِبَها) عائد إلى مفردة (حَوْزَةٍ خَشْناء)[٦]

(١) ينظر: لسان العرب (خرم): ١٢/ ١٧٠.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ٣: ٣٣.

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٥/ ٥٠٦، ولسان العرب (شنق): ١٠/ ١٨٧.

(٤) ينظر: معارج نهج البلاغة: ٢٣٢،٢٣٣، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١/ ١٧٠، ١٧١، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٧٨.

(٥) ينظر: نهج البلاغة: خ/ ٣: ٣٣.

(٦) يقصد قول الإمام (عليه السلام): ((فَيَا عَجَباً بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُها في حَيَاتِهِ؛إذْ عَقَدَهَا لآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ... فَصَيَّرَهَا في حَوْزَة خَشْنَاءَ، يَغْلُظُ كَلْمُهَا...))نهج البلاغة: خ/ ٣:٢٩.

لأنها متقدمة الذكر[١]، التي أشار بها الإمام إلى طبيعة الخليفة (عمر بن الخطاب) الصعبة التي لا يحتمل للناس التعامل معه، فكأن أصحابه بحاجة إلى مداراته لأنهم كمن يركب الصعبة إذا أشنق لها خرم، وإن منحها زمامها تقحمت به المهالك[٢]. والشَّنَاق - هنا - يخص طريقة التعامل مع الخليفة وبهذا يكون المشبه في النص - بناءً على هذا الوجه - هي (الحوزة الخَشْنَاء) والمراد بها الخليفة (عمر بن الخطاب) كما ذكر بعض الشارحين[٣]. شبهت بالناقة الصعبة، ووجه الشبه هو الصعوبة وشدة الطبع وغلظة التعامل مع الآخرين. وقد رأى بعض الشراح أن يكون الضمير في (صاحبها) عائداً على (الخلافة) التي شبهها (عليه السلام) (بالناقة الصعبة) فلو فرط الذي يقود الناقة بزمامها، وتركها هملاً لألقته في التهلكة، وكذلك لو فرط الخليفة بخلافته وتخلى عن أحكامها وشرائطها ومراعاة شؤون الرعية وجانب في الحق والمحافظة عليها، وأهمل أمرها، فلا بد أن تُلقيه في موارد الهلكة[٤]. وقد عبّر (عليه السلام) عن عدم تدبر القيادة واحكام أمرها بلفظ (أسلس) الدال على بلفظ (أَسْلَسَ)، إرخاء القياد، وأما إذا (أَشْنَقَ) أمرها وشدد في تطبيق لوازمها، كان في ذلك مشقة وكلفة مثلما يصاب صاحب الناقة الصعبة التي إن زمها وكبحها ادى ذلك إلى خرم أنفها وإيذائها. كأن الإمام (عليه السلام) يشير بهذا الوجه إلى أن أحداً لايمكنه الموازنة وإحكام العدل عند توليه (الخلافة)، لأنه سيلزم نفسه الإفراط أو التفريط. ولاسيما في أيام (السَّقِيْفَةِ) وما جرى بعدها، ولهذا احتمل كلامه (عليه السلام) يحتمل معنى آخر أشار اليه الشارح البحراني، ملخصه أن المراد بقول

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٧٧، ١٧٨، والديباج الوضي: ١/ ٢١٢.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٧٧، ١٧٨.

(٣) ينظر: الديباج الوضي: ١/ ٢١٣.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٧٨.

الإمام (صَاحِبُها) هو نفسه (عليه السلام)، وقد تشبه براكب الصعبة؛ لأنه كان أيضاً بين أمرين؛ فإما أن يشنق فينحرم. أي أن يتشدد ويسعى إلى طلب حقه، فينشعب أمر المسلمين وتنشق عصاهم كما ينشق أو ينخرم أنف الناقة من جرّاء كبحها. أو أن يُسْلِسَ لها ويترك الأمر على حاله، وذلك بأن يسكت فيؤدي ذلك إلى تقحم الهلاك والأذى[١]. بما سيواجهه من الخلفاء وغيرهم. ويبدو هذا المعنى راجحا مقبولا على الرغم من أن البحراني قد جعله محتملاً فحسب.

١٠ـ لقاح الإبل ونتاجها

اللقاح

اللَّقاح جمع اللِّقْحَة، وهي الناقة التي استبان لقاحها وهي حملها. أي أنها أُلْقِحَت من الفحل[٢]. ويقال للناقة لَقُوح أول نتاجها لشهرين أو ثلاثة، ثم يقع عنها اسم اللَّقُوح. واللَّقُوح الحَلُوبَةُ من الإبل[٣].

واستعملت لفظة (اللِّقاح) ثلاث مرات في نهج البلاغة مرة محلاة بـ (ال) التعريف ومرتين مجردة منها[٤]؛ وذلك للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على الإبل الحَلُوب اللُّقْحَة.

وهي الإبل النتاج القريبة العهد بالولادة، التي تكون ذات لبنٍ. وذلك إمارة على وجود أولاد لها. واستعمل الإمام هذهِ المفردة بصيغة الجمع على (فِعَال)، في سياق وصف أصحابه الذين لم يتخلفوا عن دعوة الاسلام وذابوا فيه، وأحكموا

(١) نفسه.

(٢) ينظر: العين (لقح): ٣/ ٤٧، وتهذيب اللغة (لقح): ٤/ ٣٣.

(٣) ينظر: المحكم (لقح): ٣/ ١٢.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤١١.

القرآن الكريم، وهرعوا إلى الجهاد كما تهرع النوق إلى أولادها. يقول (عليه السلام): ((**أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الإِسْلاَمِ فَقَبِلُوهُ؟ وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ؟ وَهِيجُوا إِلَى الْجِهَادِ فَوَلِهُوا اللِّقَاحَ أَولاَدَهَا...**))[١]. فشبه الإمام حال هؤلاء القوم وولههم حينما هيجوا إلى الجهاد، بحال اللَّقاحِ من النوق، وهي التي ولدت للتو، وما زالت قريبة عهد بالنتاج؛ فإذا فارقت وليدها، ذهلت، وطار صوابها وهاجت اليه شوقاً. وهذهِ الحال شائعة في الإبل اللقحة، فإنها ما تزال تحن إلى ولدها حتى يسمن سنامه، وذلك لسبعة أشهرٍ، فيفصل عنها عند طلوع سهيل[٢]. فتكون بعد هذهِ المدة أهون حنيناً إلى فصيلها.

أقول: وقد أخذ الإمام هذه الفكرة المتعلقة بعطف هذهِ الدواب على أولادها وولهها عليهم، جاعلاً منها صورة وشبه بها أصحابه الذين هيجوا إلى الجهاد كما تهيج الإبل وتحن منبعثةً إلى أوطانها[٣]. فصار - في هذا السياق - ضربان من الحنين والوله الذي تمتاز به النوق، الأول وظف له مفردة (هيجوا)، وهو مأخوذ - كما سلف - من هياج الناقة وانبعاثها إلى وطنها، والثاني وله اللِّقاحِ من الإبل إلى أولادها. وإنما خص اللقاح دون غيرها من النوق؛ لأنها أشد ما تكون ولهاً إلى فصلانها من غيرها، حتى كأنها قد ذهب عقلها من شدةِ الوجد والحيرة عليهم. وثمّة إشارة تتعلق بالفعل (وَلِهُوا)، فقد رَوَت بعض شروح النهج البلاغة رواية أخرى فيه (وَلَّهُوا) بوزن (فَعَّل) بالمبالغة، كأن هؤلاء أرغموا اللِّقاح من الإبل على فراق أولادها، بأن ركبوا هذه النوق، أو استعملوها في الجهاد، وذلك كله رغبة في طاعة الله تبارك وتعالى وإجابةً لداعي الجهاد. ومع ضعف هذهِ الرواية؛

(١) نهج البلاغة: خ/ ١٢١: ٢٢٤.

(٢) ينظر المحكم (لقح): ٣/ ١٣.

(٣) ينظر: لسان العرب (هيج): ٢/ ٣٩٥.

لأنها تخالف النهي عن تفريق الأمهات عن أولادهن في البيع كما ورد في الحديث الشريف[١]. لكن ذلك يظهر الصورة التي كان عليها هذا النوع من المسلمين الأوائل. وثمة موضع آخر استعمل فيه الإمام مفردة (لِقَّاح)؛ للدلالة على إلقاح الحرب وتهيئة أسبابها، وذلك في (خ/ ١٥٠).

ثانياً: الدلالة على مَاءِ الفَحْلِ.

وجاءت هذه الدلالة في سياق كلامه (عليه السلام) عن (الطاووس) وعجيب خلقته؛ إذ يقول نفي لقاح الفحل من هذه الطيور لأنثاه من دمعة تسفحها مدامعه: ((**وَلَوْ كَانَ كَزَعْمِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَة تَسْفَحُهَا[٢] مَدَامِعُهُ، فَتَقِفُ في ضَفَّتَي جُفُونِهِ، وأَنَّ أُنْثَاهُ تَطْعَمُ ذلِكَ، ثُمَّ تَبِيضُ لاَ مِنْ لِقَاحِ فَحْل سِوَى الدَّمْعِ المُنبَجِسِ[٣]، لَمَا كَانَ ذلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَةِ[٤] الْغُرَابِ**...))[٥] ويذكر الإمام زعم من زعم أن الطاووس الذكر يلقح أنثاه من دمعة تسفحها مدامعه، فتطعم أنثاه ذلك، ثم تبيض دونما لقاحٍ الاّ الدمع الذي ينفجر عن عيونه. وإنما يشير الإمام إلى هذه الحال في الطاووس ليس على نحو صدق ذلك، وأنما على نحو ما يذكر في شأن هذا الطير العجيب، ولهذا قال (عليه السلام): ((**ولو كان كَزَعْمِ مَنْ يَزْعُم**...))، ولا يعني

(١) ونَصّ الحديث أنّه (صلى الله عليه وآله) قال: ((لَا تُوَلَّهُ وَالِدَةٌ عَنْ وَلَدِهَا)). كنز العُمّال للمتقي الهندي: ٥/ ٥٧٧، ٩/ ٧٥. وقد ورد الحديث في: العين (وله): ٤/ ٨٩، والنهاية في غريب الحديث: ٥/ ٢٢٦.

(٢) تَسْفَحها تُرسِلُها. ينظر: لسان العرب (سفح): ٢/ ٤٨٥.

(٣) البَجْس انشقاق في قِرْبة أو حَجَرٍ، أو أرضٍ ينبع منها ماء، وهو عَامٌ لكل انفجار ماء أو غيره. ينظر: لسان العرب (بجس): ٦/ ٢٤.

(٤) المُطَاعَمَةُ التّطَاعُم، وهو إدخال الفَمِ في الفَمِ، وهو في الحَمَام التّقبيل. ينظر: تهذيب اللغة (طعم): ٢/ ١١٤.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ٢٠٧، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦٦٧.

هذا تصديقه لهذا الزعم، ولكنه لوصح، فلا يكون أعجب من قولهم في مطاعمة الغراب عند اللقاح. فالعرب تزعم أن الغراب لا يسفد، وأنّ لقاحه يكون من مطاعمة الذكر والأنثى، وذلك بإيصال جزءٌ من الماء الذي

في قانصته اليها، بعدما يضع منقاره في منقار صاحبه، ويتزاقا [١]. ولهذا عبر (عليه السلام) عن سفاد الغراب بمفردة (مطاعمة)، للدلالة على تزاوجه وسفاده [٢] على نحو يشبه المطاعمة.

أقول: وقد ذكر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ما تزعمه العوام من أن تسافد الغربان يكون من تطاعمها بالمناقير، وأن لقاحها يكون من هذا الوجه[٣] وقد ردّ الجاحظ هذا الزعم، وذكر أنه لم ير العلماء يقولون أن إناث الحمام، إذا تسافدت قبّل بعضها بعضاً، وأنها تبيض عن ذلك، ولكن لا يكون من ذلك البيض فراخٌ، وإنه في سبيل بيض الريح [٤]. وبالعودة إلى لقاح ذكر الطاووس لأنثاه، فالذي ذكره الإمام هو زعم من ذهب إلى أن ذلك لا يحصل من لقاح فحل، فإنها لا تبيض منه والمراد من مفردة (لُقَاح) هو ماء الفحل، وهذا أصل دلالة هذه اللفظة عند اللغويين[٥]. ووظف الإمام التعبير عن هذهِ المفردة في سياق كلامه عن سفاد الطواويس لإناثها، موسعاً من دلالة هذهِ الكلمة، وآخذاً إياها من لقاح الإبل إلى لقاح الطاووس. فاللفظة المتقدمة مخصوصة أصلاً بلقاح الإبل كما يذكر أهل اللغة [٦]. واستعمالها في

(١) ينظر: معارج نهج البلاغة: ١/ ٥٨١.

(٢) ينظر: الحَيْوان، للجاحظ: ٣/ ١٧٧.

(٣) (٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: العين (لقح): ٣/ ٤٧، وتهذيب اللغة (لقح): ٤/ ٣٣، والمحكم (لقح): ٣/ ١٢.

(٦) ينظر: تهذيب اللغة (لقح): ٤/ ٣٤، والمحكم (لقح): ٣/ ١٣، والنهاية في غريب الحديث: ٤/ ٢٦٢.

غير ذلك المجال، مثل التعبير بها عن لقاح النساء وغيرها من اللقاح، دليل على اتساع معناها، ولعل ذلك يؤدي إلى تغيير دلالتها. فإنها إذا استعملت في الدلالة على لقاح النساء، فذلك يدل على حملها ولقحت إذا حملت[١]. ومهما يكن من شيء، فإنه لو كان سفاد الطواويس بالطريقة التي ذكرها الإمام على سبيل الزعم، فذلك من عجائب هذا الطائر التي أبدع الله تبارك وتعالى في صنعه.

شَوْله

شَالَتْ الناقَةُ بذنَبِهَا، إذا رَفَعَته[٢]، والشَّوْل من النّوق اللواقح، الواحدة شَائِل، وهي التي ضربها الفحل؛ فشالت بذنبها، أي رفعته، لتري الفحل أنها لاقح، وهذهِ علامة للقاحها[٣]. والشَّوْل من النوق واحدتها شائلة هي التي نقصت ألبانها، أوجفت[٤]. وتنقص ألبان الإبل، إذا أتى عليها سبعة أشهر من يوم نتاجها، فلا يبقى في ضروعها إلاّ شول من اللبن، أي بقية مقدار ثلث ما كانت عليه في حدثان نتاجها[٥]. وقد استعملت لفظتا (أَشَالُوا) و (شوْله) مرة واحدة لكل منهما في نهج البلاغة [٦]؛ للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على رَفْع الأيدي للقِتَال.

وقد استعمل الإمام هذه الدلالة لمفردة (أَشَالُوا) في قوله الذي يتحدث فيه

(١) ينظر: تهذيب اللغة (لقح): ٤/ ٣٤، والمحكم (لقح): ٣/ ١٣.

(٢) ينظر: العين (شول): ٦/ ٢٨٥.

(٣) ينظر: العين (شول): ٦/ ٢٨٥، وتهذيب اللغة (شول): ١١/ ٢٨٢، ولسان العرب (شول): ١١/ ٣٧٤.

(٤) ينظر: العين (شول): ٦/ ٢٨٥.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (شول): ١١/ ٢٨٢، ولسان العرب (شول): ١١/ ٣٧٤.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٤٧.

على الفتن والضلال: ((...**وَاسْتَرَاحَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ، وَأَشَالُوا عَنْ لَقَاحِ حَرْبِهِمْ، لَمْ يَمُنُّوا عَلَى اللهِ بِالصَّبْرِ، وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا بَذْلَ أَنْفُسِهِمْ فِي الْحَقِّ**...))(١). والنص في صفة قومٍ من أهل الضلال الذين استراحوا إلى الفتن، ومالوا إلى ضلالها واتباعها، فأشالوا أيديهم وسيوفهم إلى لقاح حربهم مع أهل الفتنة والضلال. وقد أخذ الإمام لفظة (أَشَالُوا) أو (آشتالوا) في بعض الروايات، للدلالة على تعزيز الحرب والفتن وإلقاحها كما تلقح الإبل الشوال(٢). وهذا المفردة مأخوذة من قولهم (ناقة شائل) أو (شَوْل)، وهي التي ترفع ذنبها علامة على أنها لاقحٌ (٣). أو كأنها تستعد للقاح، فتشول بذنبها للفحل(٤). فعبرّ (عليه السلام) بهذه المفردة عن رفع أيديهم وسيوفهم عن أن يلقحوا الحرب على هذه المفردة عن رفع أيديهم وسيوفهم عن أن يلقحوا الحرب على هذه الفئة التي جنحت إلى الفتنةِ. وقد ناسب (عليه السلام) بين مفردة (أُشَالُوا) ومفردة (لَقَاح) التي تدل على الناقَةِ اللاّقح التي يلقحها الفحل. فكأن هؤلاء الذين يتحدث عنهم قد رفعوا أذنابهم عن لقاح الحرب وإشعال نارها مع فئة الضلال؛ لأنهم - فيما يبدو - قد وقعوا في شبهةٍ جعلتهم يميلون إلى تلك الفئة، فاستراحوا عن منابذتهم، ودخلوا معهم في ضلالهم وفتنهم(٥). فهم - بهذهِ الحال - كاللقاح التي رفعت شولها للفحل علامة منها على استعدادها للقاح، وكانت علامة هذهِ الجماعة التي شبهها الإمام بالشول من الإبل، أن رفعوا شول أيديهم وسيوفهم للناس ايماء منهم إلى عدم رغبتهم بالقتال وإعلان الحرب. وثمة

(١) نهج البلاغة: خ/ ١٥٠: ٢٦٢.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ٩٩.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (شول): ١١/ ٣٧٥.

(٤) ينظر: لسان العرب (شول): ١١/ ٣٧٥.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ١٠٠.

وجه آخر من المعنى يحتمله النص وهو أنّ هذهِ الجماعة من الذين ((أشالُوا عن لِقَاحِ حَرْبِهم)) إنما لم يفعلوا ذلك - أي لم يعلنوا الحرب ضد فئة الضلال - لأنهم كانوا صابرين على مضضٍ من ألم المنكر الذي يشاهدونه من هذه الجماعة حتى يقوم من ينصر الحق، ويقود حركة القضاء على أهل الضلال والفتن، فيدعوهم إلى نصرة الله، فينهضون وقد حملوا بصائرهم على أسيافهم(١).

ثانياً: الدلالة على الشائِلة من الإبل.

وهي التي أتى عليها من يوم حَمْلها سبعة أشهرٍ، فيخف لبنها وينقص. وقد شبه الإمام الناس يوم القيامة بهذا النوع من النوق، وذلك في قوله (عليه السلام): ((... **فَكَأَنَّكُمْ بَالسَّاعَةِ(٢) تَحْدُوكُمْ حَدْوَالزَّاجِرِ(٣) بِشَوْلِهِ، فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ**...)) (٤). يريد أن الساعة، وهي وقت القيامة تأتيكم بغتة، فتسوق الناس زجراً، دفعاً لهم إلى مواضعهم فيها. فاستعار الإمام لفظة (شَوْله) للناس، مشبهاً إياهم بالشّوْلِ من النوق التي جف لبنها وانقطع، وجفاف ألبان النوق لا يكون إلاّ بعد حَمْلها الذي وقّت له اللغويون مدة سبعة أشهر من يوم الحَمْل. وقد صحح الأزهري هذهِ الفكرة التي تداولها اللغويون من أنّ الناقة الشّوْل هي التي مضى على حملها سبعة أشهر، فذكر أن الشّوْل من النوق هي التي أتى عليها

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦١٤.

(٢) السَّاعة في اللغة جزء من أجزاء الليل والنهار. ينظر: لسان العرب (سوع):٨/ ١٦٩، والمراد بها في النص الوقت الذي تقوم فيه القيامة، والساعة القيامة. ينظر: لسان العرب (سوع): ٨/ ١٦٩.

(٣) الزَّاجر. أصل الزّجر المنع والنهي. والزجر للبعير كالحَثّ له. ينظر: لسان العرب (زجر): ٤/ ٣١٨،٣١٩.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ١٥٧: ٢٧٦. وقد نقلت المدونات اللغوية قول الإمام أعلاه، ومنها. النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٥١٠، ولسان العرب (شول): ١١/ ٣٧٥.

من يوم نتاجها سبعة أشهر، وليس ذلك الحساب من يوم حملها، ولا يكون ذلك إلاّ اذا كانت الناقة كِشَافاً، وهو أن يضربها الفحل بعد نتاجها بأيامٍ قلائل، فهي كَشُوف - حينئذ - وهذا من أردا النتاجِ عند العرب[١].

أقول: والشول من النوق تحتاج إلى رقة في الزجر، ومراعاة في السوق، لكونها قريبة عهد بالولادة، وتسميتها وهذهِ مأخوذة من قلة لبنها أو جفافه في ضرعها و أخلافها وهذهِ الصفة مأخوذة من قولهم لبقية الماء في المزادة أو القربة: شَوْل. كأن الشّوْل من النوق هي التي لم يبق فيها من اللبن إلاّ مقدار ثلث، لأنّها كانت تحلب في حدثان نتاجها[٢]. ويمكن تطلق كلمة (شَوْل) أيضاً على الإبل التي ضعفت، فلزقت بطونها بظهورها[٣]. فكأن الناس الذين تحدوهم الساعة زجراً كالشول من النوق، لم يبق فيهم بقية من خيرٍ أو قوةٍ؛ لأنهم استنزفوها في حياتهم الدنيا، وبذلوا كل ما يملكونه من نعمٍ على ملذاتهم الدنيوية، فلما جاءتهم حدوة الآخرة بغتة، وساقتهم سوقاً عنيفاً، لم يسعهم ذلك الوقت أن يحرزوا الرفق الذي كانوا عليه في دنياهم. وقد استعار (عليه السلام) (للساعة) لفظة (الحَدْو) و (الزَّجر) تشبيهاً بالزَّاجر الذي يسوق الشول زجراً عنيفاً، فيعسف بها، فهي ليست كالنوق العشار التي أتى عليها عشرة أشهر [٤]. ووجه الشبه بين حدو الساعة وزجرها، وحدو زاجر الإبل وسوقه لها هو السرعة والحث[٥]. وأشار بعض الشراح إلى أن الإمام (عليه السلام) إنما خص (**الشّول**) دون بقية النوق في هذا السياق؛ لأنها أخفُّ النوق في السوق

(١) ينظر: تهذيب اللغة (شول): ١١/ ٢٨٢.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (شول): ١١/ ٢٨٢، ولسان العرب (شول): ١١/ ٣٧٤.

(٣) ينظر: العين (شول): ٦/ ٢٨٥.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ١٦٣.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦٤٤.

فضلاً عن خلوها من العِثار في الحدو[١]. وهذا المعنى مقبول، إذا كانت (الشَّوْل) هي الخفيفة من النوق بسبب من ضعفها ولزوق بطونها بظهورها، فكأنها - بهذا الوصف - أخف الدواب سيراً من غيرها. وهذهِ الدلالة تقوي المعنى الذي يشير اليه الإمام في أن الساعة تحدو بالناس وتزجرهم بالسوق العنيف الذي لا يدع لهم بقية متلكئة تعثر في طريقها إلى موقفها يوم القيامة.

المَطَافِيل

المطَافِيل الإبل الحديثة العهد بالنتاج [٢]. وهي التي معها أولادها [٣]. وقد وردت اللفظة المتقدمة مرة واحدة في نهج البلاغة [٤] جمعاً على (مَفَاعِيْل) للدلالة على الإبل المطفلة التي معها أولادها. وذلك في مقام تشبيه إقبال الناس ومنهم طلحة والزبير على الإمام (عليه السلام) يوم بيعتهم له بالخلافة. يقول أمير المؤمنين: ((**فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَافِيلِ عَلَى أولاَدِهَا، تَقُولُونَ: الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ...**))[٥]. وقد أراد (عليه السلام) التعبير عن شدة إقبال طلحة والزبير إلى بيعته، واندفاعهما إليه، فشبه ذلك ونحوه بإقبال العوذ من الإبل على أطفالها. وهذا الضرب من التشبيه من تشبيه التمثيل[٦] الذي يصور فيه الإمام حالهم لما امتنع (عليه السلام) عن قبول البيعة بالخلافة، فأصروا على مبايعته مشبَّهاً لهفهم عليه واقبالهم بالنوق الحديثة العهد بالنتاج وما سواها من الأمهات، وهي تقبل في شوق وحنان وسرعة على

---

(١) نفسه.

(٢) ينظر: العين (عشر): ١/ ٢٤٨، وتهذيب اللغة (طفل): ١٣/ ٢٣٦.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (طفل): ١٣/ ٢٣٦، وجمهرة اللغة (طفل): ٢/ ٩٢٠.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٧٤.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ١٣٧: ٢٤٥.

(٦) ينظر: بلاغة الإمام علي، د. أحمد محمد الحوفي: ١٠٩.

أولادها؛ لترمها وترضعها وتحميها[١]؛ لأنها أكثر إقبالًا وأشد عطفاً وحناناً على أولادها[٢]. وقد كان اختيار الإمام لمفردة (المطَافِل) في هذا السياق دقيقاً؛ لأنه تضمن تشبيه هؤلاء القوم المقبلين عليه بحال (المطافيل) من أولاد الإبل وبقية الدواب التي تكون بحاجة إلى رعاية وتغذية وحماية، حتى تقوى على النهوض وتحصيل حاجاتها بنفسها. وهؤلاء الناس، ومنهم (طلحة والزبير)، بحاجة ماسة إلى عدل الإمام ورعايته لهم، ولهذا تدافعوا وأقبلوا ولهين فزعين طلباً له، مع انهما نكثا بيعته بعد ذلك فراراً من عدله الذي طلبوه سلفاً.

العِشَار

العِشَارُ جمع (عَشْرَاء)، وهي الناقة التي أَقْرَبَت؛ لتمامها عشرة أشهر من حملها[٣]. وسميت بذلك؛ لأنها حديثة عهدٍ بالتَّعْشير، وهو حمل الولد في البَطْنِ[٤]. وقيل: بل العِشَارُ اسم للنوق التي قد نَتَج بعضها، وبعضها قد قَرُب ويُنْتَظَر نتاجها[٥]. وقيل: العِشار هي النوق الحديثة عَهد بالنتاج، وقد وضعت أولادها[٦]. والعُشَراء من الإبل كالنّفساءِ من النساء[٧].

ولفظة (العِشَار) من ألفاظ نهج البلاغة. إذ استعملها الإمام (عليه السلام) مرة

(١) نفسه.

(٢) ينظر: منهاج البراعة: ٨/ ٣٠٢.

(٣) ينظر: العين (عشر): ١/ ٢٤٧.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: العين (عشر): ١/ ٢٤٧، والمحكم (عشر): ١/ ٣٥٩.

(٦) ينظر: المحكم (عشر): ١/ ٣٥٩.

(٧) نفسه.

واحدة[١]، للدلالة على النوق العِشَار التي أتى على حملها عشرة أشهرٍ. وذلك في سياق كلام أمير المؤمنين عن التقوى، وأثرها في النجاة من النار يوم القيامة. ((**أوصِيكُمْ عِبَادَ الله، بِتَقْوَى الله، فَإِنَّهَا الزِّمَامُ وَالْقِوَامُ، فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا، وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا، تَؤُلْ بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ الدَعَةِ... في (يَوْم تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ)**[٢]... **وَتُعَطَّلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ...**))[٣] والإمام يريد بقوله ((**تُعَطّل فيه صُرُوم العشَار**)) ما يحصل يوم القيامة عندما يُنْفَخ في الصّور، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت. وأراد بـ (صُرُوم العِشَار) القَطْعة من الإبل التي تبلغ نحواً من الثلاثين[٤]، أو هي من العشرة إلى الأربعين[٥]. فكأنها بلغت النصاب لتكون قطيعاً مستقلًا يقطعه صاحبه عن بقية إبله. والاضطراب في العدد لا يلغي صَرْمها وقطعها عن بقية النّوق، فأنها في كل ذلك مستقلة عن أخواتها، وأمّا لفظة (العِشَار) فهي جمعٌ (عُشَراء) كـ (نُفَسَاء)[٦]، وهي النوق التي مضى على حملها عشرة أَشهرٍ، فإذا وضعت لتمامها فهي عُشَراء[٧]. وإنما قيل للواحدة منها (عُشَرَاء)؛ لأنها حديثة العهد بالتعشير، وهو حمل الولد في بطنها. وأكثر ما يطلق هذا الوصف عند اللغويين على الإبل والخيل[٨] ويبدو الأثر القرآني واضحاً في تعبير الإمام علي في قوله الذي ضمن فيه مفردة (عِشار)، ومن قبلها لفظة (عُطِّلَتْ). فإنه (عليه السلام) أخذه من القرآن الكريم

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٠٣.

(٢) إبراهيم / ٤٢.

(٣) نهج البلاغة:خ/ ١٩٥: ٣٨٩، ٣٩٠.

(٤) ينظر: العين (حرم): ١٢/ ١٣١.

(٥) ينظر: تاج العروس (حرم): ج١٣/ ٥١.

(٦) ينظر: لسان العرب (عشر): ٤/ ٥٧٢.

(٧) ينظر: العين (عشر): ١/ ٢٤٧.

(٨) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٥٧٢.

الذي يقول في مقام الحديث عن يوم القيامة: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾[(١)] وسياق الآية سياق حديث عن القيامة وما يجري قبلها وبعدها من أحداث سماوية.

وقد نظم الإمام (عليه السلام) ما يقرب من هذا السياق في قوله السالف الذكر. أما الآية المباركة، فقد تكلم أصحاب (معاني القرآن) و (المفسرون) عن مفردة (العِشَارُ)، وكيفية (تَعطِيْلها) في القرآن الكريم، فذهب الفرّاء (ت ٢٠٨ هـ) إلى أنها لقح الإبل [(٢)].وقريب من ذلك ما ذهب الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) الذي ذكر أن (العِشار)، هي النوق التي في بطونها أولادها، إذا أتت عليها عشرة أشهر[(٣)] وأما تعطيل (العِشَار) الذي ذكره القرآن الكريم، ونسج عليه الإمام كلامه فهو في اللغة الخلو والفراغ [(٤)]، ومنه قولهم دار معطلة، إذا كانت فارغة. وبئر معطلة، إذا لم يورد منها ولم يستق [(٥)]. ومنه أيضاً تعطيل الإبل، وهو تركها خالية بلا راعٍ[(٦)]. وأما (تَعْطِيل العِشَار)، فهو بحسب الدلالة اللغوية للمفردة، يعني تركها وإهمالها، لانشغال الناس يومئذ بأنفسهم. ولا يكون ذلك إلاّ في يوم عظيم، كيوم القيامة[(٧)].

أقول: ولهول يوم القيامة وشدته، ضرب الله تعالى(تَعْطِيل العِشَار) مثلاً في إظهار ذهول الناس عن هذه الإبل. وتركها سائبة مهملة لا راعي لها يرعاها

(١) التكوير / ٤.

(٢) ينظر: معاني القرآن (الفراء): ٥/ ١٨٧، وتهذيب اللغة (عشر): ١/ ٢٦١، والتبيان في تفسير القرآن (الطوسي): ١٠/ ٢٧٩، ومجمع البيان: ١٠/ ٢٧٦.

(٣) (٨) ينظر: التبيان في تفسير القرآن (الطوسي): ١٠/ ٢٧٩.

(٤) ينظر: مقاييس اللغة (عطل): ٤/ ٣٥١.

(٥) نفسه.

(٦) ينظر: معاني القرآن (الفرّاء): ٥/ ١٨٧.

(٧) نفسه.

في أيامها هذه مع كونها على وشك أن تضع أحمالها، فهي أشد ما تكون حاجة إلى من يعينها في ذلك. وهذا الأمر هام عند البدوي؛ لأن أنفس ما يملكه هو هذه النوق، ومما يزيد من نفاستها، هو كونها عشاراً قد بلغت ساعة وضعها[(١)]. وذلك بسبب من أهمية ذلك اليوم الذي يمرون به، الذي ينشغل فيه الناس بأنفسهم، ففيه ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾[(٢)]. لعظم ذلك اليوم. ومن خلال هذهِ الرؤية القرآنية، يمكن أن نفهم دلالات التعبير في قول الإمام (عليه السلام) ((**عُطِّلَتْ صُرُوم العِشَار**))، فالتعطيل - هنا - هو نفسه الذي بينه المفسرون في النص القرآني المبارك؛ (**وعُطِّلَتْ صُرَوم العشار**) هو إهمالها وتركها دون رعاية، لا حافظ عليها يحفظها ويقوم بأمرها. ويمكن أن تتوسع في دلالات هذه المفردات؛ لاظهار معان يمكن أن تدخل تحت هذه الدلالات: فـ(العِشار) وإن كانت لفظة مخصوصة أصلاً بالنوق التي بلغت عشرة أشهر من حملها، لكن ذلك لا يمنع التوسع في دلالتها، فتصبح دالة على كل حامل، أو مُرْضِعٍ من النساء أو الحيوان. قد اتسع هذا اللفظ، حتى قيل لكل حامل عشراء[(٣)]. وهذا الاتساع يمنحنا مرونة في أن تكون المفردة دالة على المرأة (النُّفَساء) التي جاوزت مرحلة الحمل، فصارت مرضعاً في شهرها العاشر، وهو الشهر الذي يلي اخر شهور الحمل عند الناس. ويمكن أن يكون ذلك على سبيل تشبه بحمل النساء ونفاسها. أما فارق المدة الزمنية بين أشهر الحمل في الإبل وأشهره في النساء، فقد جوز اللغويون أن تكون مفردة (عشار) دالة على النوق التي أتى عليها عشرة أشهر حتى تضع، فما زال ذلك أسمها

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (عشر): ١/ ٢٦١.

(٢) التكوير / ٤.

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٢٤٠، ولسان العرب (عشر): ٤/ ٥٧٢.

حتى إن وضعت ما في بطونها؛ لأن الاسم المتقدم يلزمها بعد الوضع[١]. ولهذا جوزوا أن تكون المفردة المتقدمة دالة على النوق التي معها أولادها[٢]. وهذا الأمر لازم في النساء أيضاً كما في النوق وغيرها من الدواب، وذلك لكي يتحقق معنى (التَّعْطِيل) الذي ذكره القرآن الكريم، فضلاً عن معنى (الذّهول) وحقيقته الذي أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا**...﴾[٣] وليس من الهين على الأُم أن تذهل عن رضاع ولدها لولا أن هذا اليوم الذي يمر بها، هو من أعظم الايام وأكثرها هولاً كما أنه ليس من السهل على الناس أن يعطّلوا النساء الحوامل اللواتي بلغن أيام وضعهن، وهن بحاجة إلى رعاية وعناية، فإنه أَنفس ماتكون المرأة أكرامة على أهلها هي أيام حملها وإرضاعها. فلا يمكن عند ذاك ترك هذهِ العشار من النساء في تلك الأيام. ويمكن أن تتسع مفردة (العِشَار) لتحتمل دلالات أخرى أكثر مما اقتصر عليه شراح نهج البلاغة من كونها الناقة التي بلغت عشرة أشهر[٤]. فيمكن أن يشمل ذلك عشر القلوب وهو كسرها وصدعها، فيكون ذلك مناسباً لتعطيلها وتركها تنصدع من هول القيامة، والخشية من عقاب الله تبارك وتعالى. وبهذه المرونة في انفتاح دلالة اللفظة في النص يمكن - أيضاً - حمل مفردة (تَعْطِيل) على إيقاف كل شعور للإنسان تجاه كل ما كان يحرص عليه من نفائس، وأموال وغيرها مما تنافس

(١) ينظر: تهذيب اللغة (عشر): ١/ ٢٦٢، ولسان العرب (عشر): ٤/ ٥٧٢.

(٢) ينظر: غريب القرآن (السجستاني): ١/ ٣٤٧، والتبيان في غريب القرآن (شهاب الدين المصري): ١/ ٤٥١.

(٣) الحج / ٢.

(٤) ينظر: معارج نهج البلاغة: ٢/ ٦٢٨، ٦٢٩، والديباج الوضي: ٤/ ١٦١٧.

فيه الناس في الحياة الدنيا؛ لانشغالهم بأنفسهم، واهمالهم لكل شؤون الدنيا[١].

العُوذ

العُوْذ جمع عائذ، وهي الناقة إذا وضعت ولدها أياماً يقوى عنها وذلك لسبعة أيام، كما وقَّت لها[٢]. وهي بمنزلة النفساء من النساء[٣]. والعُوْذُ لفظ يشمل الحديثات النتاج من الدواب، وهي الإبل والظباء والخيل[٤]. وقد وردت لفظة (العُوذ) مرة واحدة في كلام أمير المؤمنين في نهج البلاغة[٥]؛ للدلالة على النوق الحديثة النتاج التي يعوذ بها فصيلها. وذلك في سياق كلامه عن بيعته بالخلافة الذي يصف فيه أمر الناس وحالهم عندها قائلاً: ((**فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَافِيل عَلَى أولاَدِهَا، تَقُولُونَ: الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ...**))[٦]. ويذكر الإمام الناس في هذا النص بتهافتهم عليه يوم بيعته، مشبهاً إقبالهم إليه بـ((**إِقْبَالَ العُوْذِ المَطَافِيل**)) و (الإقْبَالُ) هو المجيءُ[٧]. وهو ضرب من استقبال الإبل عند سوقها[٨]. ومشيها نحو غايتها التي تساق إليها وإما (العُوْذ)، فهي النوق التي وضعت أولادها لسبعة أيامٍ[٩]،

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، للعلامة الطباطبائي: ٢٠/ ٢١٣، ومع نهج البلاغة: ٢٣٣.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (عوذ): ٩/ ٤٣٩.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (عوذ): ٣/ ٩٤.

(٤) ينظر: لسان العرب (عوذ): ٣/ ٥٠٠، وتاج العروس (عوذ): ٩/ ٤٣٩.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٢٧.

(٦) نهج البلاغة: خ/ ١٣٧: ٢٤٥، وقد نقلت المدونات اللغوية قول الإمام المتقدم، ينظر: النهاية في غريب الحديث:٣/ ١٣٠، ولسان العرب (عوذ): ٣/ ٥٠٠، وتاج العروس (عوذ): ٩/ ٤٣٩، و(طفل) ٢٩ / ٣٧٢.

(٧) ينظر: المحكم (قبل): ٦/ ٤٢٧.

(٨) ينظر: العين (قبل): ٥/ ١٦٩.

(٩) ينظر: تهذيب اللغة (عوذ): ٣/ ٩٤، وتاج العروس (عوذ): ٤٣٩.

وهي بمنزلة النفساء من النساء. كأنها تبقى ترعى ولدها وتقوم بأمره، فهي عائذٌ له؛ وهو يَعُوذ بها، ولهذا سميت (عُوذاً)؛ لأنها يُعاذ بها[١]. كأن حداثة عهدها بالنتاج يتطلب منها أن تحنو على ولدها؛ لأنه حديث العهد بالولادة أيضاً، وهو أشد ما يكون حاجة إلى الرعاية والعناية. فيعوذ بِأُمِّه، ويرقى بها كل شيء، سواء أكان جوعاً أم عاطفة أم حناناً تضفيها الأم عليه. وأما لفظة (المَطَافِل)، فقد عزز بها الإمام المفردة الأولى كأنه يشير إلى أن (العُوْذ)؛ من النياق حينما تقبل، تجيءُ معها أطفالها الصِّغار، وهي فصلانها[٢]. وقد افترق شراح نهج البلاغة فريقين في دلالة لفظة (العُوذ) فمنهم من وافق اللغويين في دلالتها، وأشار إلى أنها تدل على النوق الحديثة العهد بالنتاج والولادة. ومن هؤلاء ابن أبي الحديد[٣]، أبو الحسين يحيى بن حمزة الحسيني[٤]. في حين انفرد الشارح البحراني بتفسير مفردة (العُوذ) بـ (الناقة المُسِنّة)[٥]. ويبدو أنه استند في رأيه هذا على وجود لفظة (المَطَافيل) في السياق نفسه الذي جاءت فيه لفظة (العُوذ)، التي جعلها دالة على النوق القريبة العهد بالولادة، كأن المعنى عنده إقبال النوق، كبيرها مع فصلانها التي ترعاها.

لقد استعمل الإمام التعبير السالف الذكر على سبيل تشبيه إقبال الناس وورودهم عليه، بإقبال الإبل التي ترعى أولادها الصغار، والإبل المطفلة التي لما تزل تصحبها صغارها، وقد زال عنها اسم (العُوذ). إشارة إلى خروج الناس إلى بيعته، كباراً وصغاراً رجالاً ونساء، نُفَساء وأُمهات. والمفردة المتقدمة يمكن

(١) ينظر: لسان العرب (عوذ): ٣/ ٤٩٩.

(٢) ينظر: غريب الحديث (ابن الجوزي): ٢/ ١٧٤.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ٣١.

(٤) ينظر: اليباج الوضي: ٣/ ١١١٦.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥٨٤.

أن تستعمل للدلالة على كل أنثى عائذ، مرّت بضعة أيام على ولادتها، فيعوذ بها ولدها خلال هذه الفترة.. وبهذا يكون الإمام قد شبه النساء اللواتي أقبلن إلى بيعته (بالعُوْذ) من الإبل، التي عاذ بها أولادها، وبالمطافيل وهن ذوات الاطفال من النوق. كأن هذه الطائفة من النسوة والرجال قد عاذوا بالإمام ولجأوا اليه؛ لأجل حمايته لهم وللناس جميعاً، فهو الأولى بحفظ الناس صغيرهم وكبيرهم من بطش الجبارين. ويمكن بيان هذا المعنى من كلام آخر للإمام يصف فيه بيعته بالخلافة، وهو قوله: ((... **ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَّ الإبلِ الْهِيمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وِرْدِهَا، حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ، وَسَقَطَ الرِّدَاءُ، وَوُطِىءَ الضَّعِيفُ، وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنِ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ، وَهَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ، وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ، وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكِعَابُ**))[١]. وهذا النص يفسر ما أورده الإمام في كلامه ((**فأقبَلتُم اليّ إقبَالَ العُوْذِ المطافيل**))، فإنه يذكر فيه حال الناس يوم البيعة، وأصناف من خرج اليها وابتهج، مشبهاً ذلك (بإقبَالِ العُوْذِ المطافيل) ومشيها إلى غايتها ووجه الشبه شدة الإقبال، والحرص على بيعة الإمام (عليه السلام)[٢]. وقد تمثل هذا الحرص بقوله لهم (البَيْعَةَ البَيْعَة). وأما إجمال في هذا النص واقتصاره على تشبيه الذين هبوا لبيعته باقبال النوق العائذة لفصلانها والمطفلة منها؛ لأن المقام الذي يتحدث فيه هو مقام تذكير ولوم وعتاب بما أقدموا عليه يوم بيعته، وإنهم إنّما فعلوا ذلك طائعين غير مكرهين فلم تكن بيعتهم له فلتة[٣].ولهذا ذكرهم غير مرة بقوله:

---

(١) نهج البلاغة: خ/ ٢٢٩: ٤٤٣، ٤٤٤.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥٨٤. والديباج الوضي: ٣/ ١١١٦.

(٣) إشارة إلى خطابة (عليه السلام) في شأن بعضهم – وهم فيما أحسب طلحة والزبير – إذ يقول: ((لَمْ تَكُنْ بَيْعَتكُم إيّايَ فَلْتَةً...)) نهج البلاغة: خ/ ١٣٦: ٢٤٤.

((**قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوهَا، وَنَازَعَتْكُمْ يَدِي فَجَاذَبْتُمُوهَا**))(١). و يفهم من ذلك أن المخصوصين بالخطاب هم (طَلْحة، والزُّبَير)، فإنهما بايعا أمير المؤمنين، ومن ثم نكثا البيعة وخرجا من الكوفة إلى البصرة للتأليب عليه مع بعض الناس اللذين لا موقف لهم يقوي ذلك أن الخطبة التي يذكر فيها قول الإمام: ((**فأقْبَلتُم اليّ إقبَالَ العُوْذِ المطافيل**)) يتصدرها لوم وتقريح (لطلحة والزبير)، ومن ثم حديث عن طلبهم بثأر الخليفة (عثمان)، وقيامهم بأمر بالبغي على الإمام.

١١ـ ضرع الناقة وحلبها

أخلافها

الخِلْف الضَّرْع من الدواب(٢). كما يفهم من كلام الخليل. وقيل بل هو وَاحِد أَخْلاَف الضَّرْعِ من النَّاقة، وهو طرفه الذي يقبض عليه الحالب من ضَرعِها(٣). وقد وردت لفظة (أَخْلاَفها) بصيغة الجمع على (أَفْعَال) مرتين في نهج البلاغة(٤)؛ للدلالة على حلم الضَرع، ولكنه ليس ضَرع الناقة، فقد جعل الإمام (عليه السلام) هذه الأَخلاف جزءاً من ضَرْعِ (الدُّنْيَا)، وضَرْع (الحَرْب)، فمن الأول قوله (عليه السلام) في سياق كلامه عن بني أميّة واستئثارهم بالدنيا التي صورها الإمام بهيئة الناقة التي ترضع أخلافها. يقول الإمام: ((**فَمَا احْلَوْلَتْ الدُّنْيَا لَكُمْ فِي لَذَّتِهَا، وَلاَ تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رَضَاعِ أَخْلاَفِهَا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلاً خِطَامُهَا، قَلِقاً وَضِينُهَا...**))(٥)

(١) نهج البلاغة: خ/ ١٣٧: ٢٤٥.

(٢) ينظر: العين (خلف): ٤/ ٢٦٥، والمحكم (خلف): ٥/ ٢٠٢.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (خلف): ٧/ ١٦٩، وجمهرة اللغة (خلف): ١/ ٦١٦، ولسان العرب (خلف):٩/ ٩٢، وتاج العروس (خلف): ٢٣/ ٢٤٣.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٤٢.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ١٥٠: ١٩٠.

يقول (عليه السلام): إنّ الأمويين ما تمكنوا من الدنيا، وما زهت لهم في لذتها، إلاّ بعدما وجدوها عاثرةً بخطامها، ومضطرباً مركبها. فهو (عليه السلام) يجعل الدنيا عند الأمويين بمنزلة الناقة التي يطؤون ركابها، ويرتضعون أخلافها، من أطراف حُلمات ثديها، إشارة إلى استئثارهم بممتلكات الأمّة وسيطرتهم على خيراتها، ومنعهم الناس من حقوقهم. فإن الفصيل إذا رضع أمه استأثر بها ونال درها. ولبيان هذا المعنى وظّف الإمام (عليه السلام) مفردة (أَخلافها) من مجالها الدلالي الذي تختص به، وهو حلمة ضَرْع الناقة إلى الدلالة على مواضع مكاسب الدنيا ولذاتها [1]. التي يحتلبونها منها، كما يحتلب الدر من حلمات ضَرعِ الناقة. ومن نظير هذا الاستعمال – وتوظيف لفظة (أَخْلاَف) في غير مجالها – ما صنعه (عليه السلام) في سياق كلامه عن (الحَرب) جاعلاً منها كالناقة التي تدر الموت.إذ يقول: ((**حَتَّى تَقُومَ الْحُرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاق، بَادِياً نَوَاجِذُهَا**[2]**، مُمْلُوءَةً أَخْلاَفُهَا، حُلْواً رَضَاعُهَا، عَلْقَماً عَاقِبَتُهَا...**))[3]. والإمام يشبه الحرب عند بدئها، بالناقة التي بدت نواجذها من أقصى فمها كما عن بلوغها فيما تبدو نواجذ الإنسان عند ضحكه[4]. كأنه يومئ إلى ضحك هذهِ الدواب على هذا الصنف من الناس حتى تبدو نواجذها. ثم ينتقل (عليه السلام) إلى تشبيه الحَرْب بالناقة التي امتلأت حلمات ضرعها بالدر تهيئة لاستدرار حلبها. كأن (الحَرب) مهيأة لأن تدر القتل والهلاك من خلال إرضاع الناس سمومها المختلطة بالدّر، والذي يبدو لأول وهلة لبناً خالصاً حلواً ما يلبث أنْ تبدو عاقبته السيئة بالموت والدمار.

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥٠١.

(٢) النوّاجِذ أقصى الأخراس، وهي أربعة بعد الارحاء، وتسمى خِرْس الحُلَم. ينظر: لسان العرب (نجذ): ٣/ ٥١٣.

(٣) نهج البلاغة: خ/ ١٣٨: ٢٤٦.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ٣٣.

فاستعمل الإمام لفظة (أَخْلافها) للحرب على سبيك مقاربتها الناقة في الاستعداد والتأهب عند حلبها، أو إرضاع فصيلها[١]. وكنى بحلاوة (الرّضاع) إلى ما يحسّه طلاب الحرب ودعاتها من حلأوة في إبراز مآثرهم، وقوة أفعالهم في الحروب. عند مناجزتهم لأقرانهم، كما يستحلى اللبن في أول رضاعه[٢].

أقول: فالمعنى أنّ دعاة الحرب كأنما يسقون الناس لبنها الذي يهرقه المتعطشون للدماء والارتواء منها. ويعين على هذا المعنى دلالة مفردة (أَخْلاَف) نفسها، فمن دلالاتها المعجمية (الإسقاء)،و(الإسْتِقَاء)[٣]. طلب السقاية. فكأن هؤلاء الذين يحلو لهم رضاع الحرب، يستقون أوارها، ويطلبون إثارتها كالمستقى الذي يريد السقاية. فيجيبه الساقي بالماء أو اللبن. هذا المعنى صنعه أمير المؤمنين بضرب من التصوير الفني من خلال توظيف المفردات الدالة على الناقة وذكر أهم عضوٍ من أعضائها، وهو الضَّرْع، وأطراف حلماته التي تُمْسك عند الحلب ليتحكم بها الحالب، أو يلقمها الفصيل عند رضاعه، فضلاً عن ذلك (فالحَالِبُ) هو الذي يقوم باستدرار الحليب منها، والرَّاضع هو الذي يَنْهَلُ الدر ويستحلي به. والأول هو الداعي للحرب، والثاني هو الرّاغب الناهل من مآسِيهَا. و (الأَخْلاف) هي موضع نشوء الحرب وفتنها كما يبدو لي.

ضَرْع

الضَّرْع للشاة والناقة ولكل ذات ظلف وخفٍّ، وهو مدرُ لبنها[٤]. وجعله

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥٨٦.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: المحكم (خلف): ٥/ ١٩٩.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (ضرع): ١/ ٢٩٧، ولسان العرب (ضرع): ٨/ ٢٢٢.

الخليل مخصوصاً بالشّاء والبقر. وأما الناقة، فَضَرْعها هو الخلف، ولكنه أشار إلى أن من اللغويين من يسميها جميعاً الضَّرع[١]. والأخْلَاف هي حلم الضَّرع، والضَّرع جماع يضم الأطباء التي هي الأحاليل التي تمثل خروق اللبن، وهي التي تسمى الأَخْلَاف[٢]. واستعملت مفردتا (ضَرَع) و (ضَرْعَيْهَا) بصيغة التثنية مرة واحدة لكل منها في نهج البلاغة[٣].وذلك للدلالة على ضَرَع الدواب من ذوات الظلف والخف الذي يكون موضع درِّ اللبن، وهو كالثدي عند المرأة. ومن ذلك قوله (عليه السلام) متحدثاً عن عقد الخلافة من الخليفة (أبي بكر) إلى (عمر بن الخطاب)؛ في سياق تعجبه من هذا الموقف، قائلاً: ((... **فَيَا عَجَباً بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُها في حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لاخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ. لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا !...**))[٤]. يُريد: أنه اقتسم الخلافة بينه وبين الخليفة (عمر بن الخطاب)، كأنها ضَرْع أخذ كل واحد منهما شطراً منه أو جهةً من أَخْلَافه الأربعة مشبَّهاً - بذلك- الخلافة بالناقة الحلوب التي تدّر لبنا غزيراً على حالبها. مكنياً عنها بلفظ (ضرعيْها)، في أشارة إلى ما يناله هؤلاء من هيبة الحكم وسطوة المنصب. ولهذا استعار أمير المؤمنين لها ضَرع الناقة التي أَضْرَعت قبيل النتاج في استعارة ينتج منها وجه المشاركة في الانتفاع واقتسام الدَّرِّ[٥]. و يكون المعنى أنّ الخليفة (أبا بكر)، قد أَخذَ القِسْم من الضْرَعِ واحتلبه، في إشارة إلى أخذ نصيبه في الخلافة، ومن ثَمّ أعطى القسم الآخر من

(١) ينظر: العين (ضرع): ١/ ٢٧٠.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (ضرع): ١/ ٢٩٨.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٦٧.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ٣: ٢٩.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٧٧.

الضّرع بأخلافه الباقية إلى الذي نصبه من بعده، وهو الخليفة عمر بن الخطاب[١].

أقول: ويفهم من النص أنه (عليه السلام) يشير إلى عدم دوام الخلافة بهذا الشكل، فلابد من أنْ ينقطع درها مثلما ينقطع الدر من ضَرْع الناقة[٢]. وقد وردت لفظة (ضَرْع) للدلالة على ضَرْع الناقة اللبون في مقام التشبيه في (قصا/ ١).

يُفَوِّقُونَّني

الفَوَاقُ تَرْجِيْع الشَّهْقَة الغالِبة، ويقال للذي يصيبه البهر إنه يفوق فوقاً[٣]. وفواقُ الناقة رجوع اللبن في ضَرْعها بعد حلبها[٤]. وأفاقت الناقة، واستفاقها أَهْلُها، إذا نَفَّسُوا حلبها حتى تجتمع درتها[٥]. وفواق الناقة إفاقتها[٦]. وذلك مخصوص بالرضاع، فإذا أرضعت البهيمة أَمها، ثم تركتها حتى تنزل شيئاً من اللبن، فهذه هي الإفاقة والفواق[٧]. واستعمل الإمام مفردة (يُفَوِّقُوْنَّنِي) مرة واحدة في نهج البلاغة[٨]. للدلالة على تفويق حق الإمام، ومنعه منه يقول في سياق حديثة عن ذلك: ((**إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيُفَوِّقُونَني تُرَاثَ**[٩] **مُحَمَّد تَفْوِيقاً**...))[١٠]. يريد أن

(١) ينظر: الديباج الوضي: ١/ ٢١٠.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: العين (فوق): ٥/ ٢٢٤، وتهذيب اللغة (فوق): ٩/ ٢٥٣.

(٤) ينظر: العين (فوق): ٥/ ٢٢٤.

(٥) نفسه.

(٦) ينظر: العين (فوق): ٥/ ٢٢٤.

(٧) ينظر: تهذيب اللغة (فوق): ٩/ ٢٥٤.

(٨) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٥٨.

(٩) التُّرَاث الميراثُ، وهو ما وُرِثَ. ينظر: المحكم (ورث): ١٠ / ٢١٠. وذكر اللغويون أنّ (الإرث) أمله في الحَسَب، و (الوِرْث) في المال. ينظر: لسان العرب (أرث): ٢/ ١١١.

(١٠) نهج البلاغة: خ/ ٧٧: ١١٦.

بني أمية يعطونني من المال قليلاً[١]. أو أنهم يعطونني من ميراثي الذي ورثته من النبي (ﷺ) النزر القليل، فعبر عن هذا المنع والقلة بلفظة (يُفَوِّقُوْنَّنِي)آخذاً إيّاها من (فَوَاق النّاقة)، وهي الحلبة الواحدة من لبنها[٢]. والتفسير المتقدم هو تفسير الشريف الرضي لمفردة (يُفَوِّقُوْنَّنِي). وقد تبعه في ذلك أغلب شُّرَّاح النهج ويبدو أنّ هذه المفردة تحمل من الدلالة القلة ما منحها إيحاء في هذا السياق على ندرة ما يعطاه الإمام من حقه، كما يقل ما تعطيه الناقة من لبنٍ بعد حلبها، فما اجتمع فيها من ثائب اللبن بعد رضاع أو حلبٍ، فهو الفَواق[٣]، وهو نزر قليل لايكاد يفي بحقّه وحق أهل البيت الذي أخذ منهم، ولهذا استعار الإمام هذه الكلمة للإبانة عن قلة ما يعطى له من حق، في حين أنْ غيره يحظى بأكثر من ذلك. وإنما ذكر الإمام مفردة (تُراثَ)، مضافة إلى (محمد) (ﷺ) إشارة إلى استئثار بني أمية بفيئ رسول الله (ﷺ)، وصاروا يقّترون على أهل البيت تَقْتِيْراً. وذكر بعض الشُّرَّاح أن المراد بـ (تُراث محمد) (ﷺ) ما كان له من الولاية في أخذه وصرفه من جميع الأموال والحقوق. وهذا وجه مقبول يناسب السياق اليه[٤]. ويحتمل كلامه (عليه السلام) معنى آخر، وهو تشبيهه (لتراث محمد) بـ (دَرّ النّاقة) التي استنزف لبنها، حتى صارت لا تدر إلاّ فواقاً فواقاً. وهذا الوجه المحتمل يتضمن الاشارة إلى عدم شرعية حكم هؤلاء الامويين، وعدم صحة تصرفهم بأموال النبي (ﷺ)، فضلاً عن الفساد المالي الذي كانوا يمارسونه من خلال استئثارهم بهذه الحقوق، وعدم

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦/ ١٣٩، والديباج الوضي: ٢/ ٥٥٣، ومع نهج البلاغة: ٢٩٠.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: خ/ ٧٧: ١١٦.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (فوق): ٩/ ٥٥٢.

(٤) ينظر: الديباج الوضي: ٢/ ٥٥٣.

توزيعها بشكل عادل.

يَمْصُر

المَصْر الحَلْب بأطراف أَصابع السبابة والوسطى والإِبهام، كما يقول الخليل(١)، وكيفيته أن يؤخذ الضَّرْعُ بالكف، ويصير الإبهام من الأصابع فوقها (٢). وذهب بعض اللغويين إلى أن (المَصْرَ) مخصوص بطريقة الحلب بإصبعين فقط من الكفِّ، وهما الإبهام، والسبابةُ(٣). وقد وردت لفظة (يَمْصُرُ) مرة واحدة في نهج البلاغة (٤). للدلالة على حَلْبِ ضَرَع الناقة، واستدرار حليبها على بشكل لا يؤدي إلى تقليله في الضرّع، وإفراغه منه. وذلك في قول (عليه السلام) الذي ينهى منه عامله على الصدقات من ذلك قائلاً: ((... **فَإِذَا أَخذَهَا أَمِينُكَ فَأَوعِزْ إِلَيْهِ: أَلاَّ يَحُولَ بَيْنَ نَاقَة وَبَيْنَ فَصِيلِهَا، وَلاَ يَمْصُرَ لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذلِكَ بِوَلَدِهَا**...))(٥).

أقول: والإمام (عليه السلام) ينهى عن إنهاك الناقة، إيذاء فصيلها، من خلال النهي عن مَصْر لبنها، وحلب ما في ضَرْعها من لبنٍ، فيبقي الفصيل جائعاً (٦). وقد أخذ (عليه السلام) دلالة القلة في لفظة (مَصْر) دون كيفية الحلب التي وصفها اللغويون في دلالة هذه الكلمة، من أنها تعني الحلب بثلاثة أصابع، وهي السبابة والإبهام

(١) ينظر: العين (مصر): ٧/ ١٢٢، ولسان العرب (مصر): ٥/ ١٧٥.

(٢) ينظر: المحكم (مصر): ٨/ ٣٢٣، ولسان العرب (مصر): ٥/ ١٧٥، وتاج العروس (مصر): ١٤/ ١٢٤.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٢٢.

(٥) نهج البلاغة: ك/ ٢٥: ٤٨٢، وقد نقلت المدونات اللغوية قول الإمام (عليه السلام): ((ولا يمَصُرْ لَبَنَها...)). ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٤/ ٣٣٦، ولسان العرب (مصر): ٥/ ١٧٥.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ١١٩.

والوسطى [١]. ولهذا فسر ابن الأثير الجزري لفظة (يَمْصرُ) في كلام الإمام بعدم الإكثار من أخذ لبن الناقة مما يؤدي إلى إقلاله في خزعها [٢]. وهذا المعنى أليق بالسياق؛ لأنّه يناسب النّهي عن مضّرة الفصيل الذي يأخذه الجوع والضعف اذا ما انهك ضرع أمّه.

١٢ـ فحول الإبل وكرامها

الفحول

الفَحْلُ من الإبل وغيره. هو الذكر المستفحل[٣]. وقيل: الفَحْلُ هو الذكر من كل حيوان، وجمعه الفحل والفحول [٤]. والفَحْل هو الكريم المستجب في ضرابه من الإبل[٥]. ولفظة (الفُحُول) و (فَحْل) و (الفَحْلَيْنْ) من الفاظ نهج البلاغة، فقد استعملت المفردة الأولى ثلاث مرات، في حين وردت اللفظتين الاخريين مرة واحدة لكلٍ منهما [٦]. للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على الفَحْل من الإبل.

وهذِهِ أكثر الدلالات شيوعاً لمفردة (فَحْل)، ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق تشبيه ترقب الرجل من المسلمين بالآخر من جيش الكافرين قبيل الحرب بتصأول الفحل للفحل: ((... **وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالآخَرُ مِنْ عَدُوِّنا يَتَصَأولاَنِ**[٧]

(١) ينظر: المحكم (مصر): ٨/ ٣٢٣.

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٤/ ٣٣٦، ومع نهج البلاغة: ٣٢٦.

(٣) ينظر: جمهرة اللغة (فحل): ١/ ٥٥٥.

(٤) ينظر: المحكم (فحل): ٣/ ٣٤٩، ولسان العرب (فحل):

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (فحل): ٥/ ٤٨، والمحكم (فحل): ٣/ ٣٤٩.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٤٦.

(٧) التصأول الاستطالة والوثوب. وصال الفحل من الإبل، فهو صؤول اذا صار يعدو ويشل الناس

تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ، يَتَخَالَسَانِ[١] أَنْفُسَهُمَا، أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ...))[٢]
أراد (عليه السلام) أنهم كانوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقاتلون أعداء الاسلام، ويضربونهم مستطيلين عليهم متواثبين تواثب الفحلين من الإبل عندما يصول أحدهما على الآخر ليضرب أحدهما الآخر. واستعار الإمام لفظة (الفَحْلَيْن) للطرفين، ووجه الاستعارة شدة النزاع والقوة في الصولة بين المسلمين والكافرين وإنما خص هذهِ الكلمة بالاستعمال دون غيرها من الألفاظ؛ لأن ما ليس في غيرها من الألفاظ الدالة على الإبل. وإذا أُطلقت هذهِ الكلمة فالمراد منها الدلالة على القوة والفحولة ونجابة الضراب. كأن فيها معنى الاستيلاء، والانقضاض على الآخر مثلما ينقض الفحل من الإبل على بقية النوق لضربها. ولهذا غلبت على هذهِ المفردة – فيما يبدو من استعمالها – الدلالة على فحل الإبل، حتى صارت مخصوصة به، ولو أنها أطلقت على أي فحلٍ آخر؛ لكان ذلك على سبيل التشبيه بالفحل من الإبل. حتى أن العرب تشبه (الكَبْش) من الغنم، والذكر من النخل بفحل الإبل بجامع القوة والعظمة[٣] بل أنهم تجاوزوا هذهِ المسألة إلى أبعد من ذلك، فسموا (سُهَيْلًا) النجم (الفَحْلَ) تشبيهاً له بفحل الإبل؛ لاعتزاله عن النجوم وعظمته[٤]. أقول: ومما عزّز هذهِ الدلالة في كلام الإمام – سالف الذكر – استعمال لفظة (يتصاول)، وهي لفظة كثيراً ما تطلق على صولة فحل الإبل على بقية الإبل لقتالها وقهرها[٥].

بركضة. ينظر: لسان العرب (صول): ١١/ ٣٨٧.

(١) التخالس: التسالب والتصارع والقتال. ينظر: لسان العرب (خلس) ٦/ ٦٥.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ٥٦:

(٣) ينظر: المحكم (فحل): ٣/ ٣٤٩، ٣٥٠.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: لسان العرب (صول): ١١/ ٢٨٧.

وجَمَلٌ صؤول. أي يأكل راعية، ويوثب الناس فيأكلهم ويقهرهم[١]. وقد استعملت ألفاظ (فُحُول) للدلالة على فحول الإبل الهائجة للقراب، ومفردة (فَحْل) للدلالة على الفحل من الطاووس تشبيهاً له يفحل الإبل في (خ/ ٩١، ١٦٥) و (خ/ ١٦٥).

ثانياً: الدلالة على الفُحُول من الرِّجال.

وذلك في قوله (عليه السلام) متحدثاً عن فُحُوْله بعض الرجال، وهَيَاجهم فقد روي أنه (عليه السلام) كان جالساً في أَصحابه، فمرت بهم امرأة جميلة، فرمقها القوم بأَبصارهم[٢]، فقال (عليه السلام): ((**إنَّ أَبْصَار هـذِهِ الْفُحُولِ طَوَامِحُ**[٣]، **وَإِنَّ ذلِكَ سَبَبُ هَبَابِهَ**[٤]، **فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى امْرَأَة تُعْجِبُهُ فَلْيُلَامِسْ أَهْلَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَامْرَأَته**))[٥]. وفي النص اشارة إلى أن البصر هو أساس هياج الشهوة في الإنسان، ولاسيما في الإنسان غير الحصور. ولهذا جعله الإمام سبباً لهباب الشهوة. وإنما استعمل لفظة (فُحُول) بصيغة الجمع على (فُعُول)، للدلالة على هيجان هؤلاء الرجال، واستعدادهم للضراب مثل فحول الإبل. كأن هؤلاء لشدة مابهم من هياج، أشبهوا فحول الإبل التي تكون توصف بشدة الهياج والطماح للضراب. ولهذا المعنى قرائن استعملها الإمام (عليه السلام) في سياق المتقدم، منها لفظة (طوامح) التي وصف بها أبصار هؤلاء الرجال. والطماح في الأصل رفع الرأس عالياً[٦].

(١) نفسه.

(٢) نهج البلاغة: قصا / ٤٢٠: ٦٨٦.

(٣) أصل (الطِماح) العُلُو، وطمح ببصره إلى الشيء إذا علاه. ينظر: مقاييس اللغة (طمح): ٣/ ٤٢٣.

(٤) الهَبَابُ مأخوذ من هَبّ الريح، وهو ثورانها وهياجها. ينظر: لسان العرب (هيب): ١/ ٧٨.

(٥) نهج البلاغة:قصا / ٤٢٠: ٦٨٦.

(٦) ينظر: العين (طمح): ٣/ ١٧٦.

وطمح الفرس رأسه، إذا رفعه[١]. ثم قيل لمن رمى ببصره إلى شيء ما، إنه طامح. وتستعمل هذهِ المفردة أيضا في الدلالة على جِمَاح المرأة نحو الرجال، كأنها تطمح اليهم دون زوجها[٢].

وهذه الدلالة تناسب حال هؤلاء الرجال الذين رغبوا عن نسائهم، فطمحوا بابصارهم نحو امرأة أخرى. أما اللفظة الثانية التي أوردها الإمام قرينة على استعارة مفردة (الفُحُول) للرجال، فهي مفردة (هَبَابها) وهي كلمة مخصوصة بالهياج والثوران، وكثيراً ما تستعمل في هياج الدواب ورغبتها في الضراب والسفاد. ومنه هب الفحل من الإبل إذا هاج[٣]، وهب التيس يهب إذا نشط وطلّ السفاد[٤]. فجعل الإمام (عليه السلام) (الهَبَاب) سبباً لطماح الأبصار. ويجوز أن تكون لفظة (الفحول) دالة على الرجال، فاستعملها الإمام بدلاً من كلمة (رجال)، كأنه استغنى بالصفة عن الموصوف، وذلك إشارة إلى قوّة غريزتهم وشدة سبقهم، ولهذا أرشدهم إلى حل هذهِ القضية التي تخالف تعاليم الإسلام، بقوله (فَلْيُلامسِ أَهْله)، فكنى عن الجماع مع الزوجة بـ (المُلاَمسة)، متخذاً الاستعمال القرآني[٥] سبيلاً له في هذا التعبير، وذلك لدفع الشهوة عن هؤلاء القوم، والخلاص منها بطريقٍ شرعي لا يغضب الله تبارك وتعالى. ولهذا علق بعض شراح النهج على هذا الضرب من الكناية القرآنية التي استعملها الإمام في كلامه بأنها ((**من الآداب العجيبة، والكنايات الرشيقة التي استعملها الله تعالى في كتابه الكريم تأديباً للخلق**

(١) نفسه.

(٢) ينظر: لسان العرب (طمح): ٢/ ٥٣٤.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) وذلك في قوله تعالى: ﴿... **أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ**...﴾ النساء/ ٤٣.

وحملاً لهم على أَحْمَدِ الشِّيَم وأعلاها))[١].

بُدُناً

البَدَنَةُ ناقة أو بقرة تهدى إلى مكة، فهي كالأضحية من الغنم[٢]. وسميت بدناً؛ لأنهم كانوا يسمنونها لأجل ذلك[٣]. وقد وردت لفظة (بُدّناً) مرة واحدة في كلام أمير المؤمنين الوارد في نهج البلاغة [٤]، للدلالة على النياق السمينة التي تساق إلى بيت المال بقول (عليه السلام) مرشداً عامله على الصدقات وأمينه الذي يسوقها: ((... **وَلْيُرَوِّحْهَا**[٥] **فِي السَّاعَاتِ، وَلْيُمْهِلْهَا عِنْدَ النِّطَافِ**[٦] **وَالْاَعْشَابِ، حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللهِ بُدَّناً مُنْقِيَات، غَيْرَ مُتْعَبَات وَلاَ مَجْهُودَات...))**[٧]. يوجه الإمام في هذا النص إلى أمرين؛ الأول إراحة النوق عند وقت إرواحها، وهو وقت غروب الشمس؛ إذ يعد هذا الوقت إيذاناً لإعادة الإبل وبقية الدواب إلى مكانها الذي تبيت فيه وتستريح. ولهذا ذكر الإمام (عليه السلام) لفظة (السَّاعات) في إشارة إلى هذه الأوقات المخصصة لإرواح الإبل. ثم أمر بإمهالها عند نطف الماء النقي التي تكثر عنده الأعشاب. وأراد بالإمهال الرفق والتؤدة بها[٨]، وذلك بأن لا يعجلها عند هذه الواحات، وأن يرفق بها عند وصولها هذهِ الأماكن؛ حتى تنال من السقي والأكل ما يمكنها من

---

(١) الديباج الوضي: ٦/ ٣٠٣٩.

(٢) ينظر: العين (بدن): ٨/ ٥٢، والمحكم (بدن): ٩/ ٣٥٦.

(٣) ينظر: لسان العرب (بدن): ١٣/ ٤٨.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٩.

(٥) الرّواح في السَّيرْ، هو إيِوَاءُ الإبل بعد غروبِ الشّمس إلى مَرَاحها الذي تبيتُ فيه. ينظر: لسان العرب (روح): ٢/ ٤٦٥.

(٦) النُطْفَةُ هي الماء القليل الصافي. ينظر: لسان العرب (نطف): ٩/ ٣٣٥.

(٧) نهج البلاغة: ك/ ٢٥: ٤٨٣، ٤٨٤.

(٨) ينظر: لسان العرب (مصل): ١١/ ٦٣٣.

مواصلة رحلتها إلى بيت المال. والغاية من ذلك أن تصل هذه النوق بدناً سمان مكتنزات نقيات العظام، من كثرة المخ في عظامهن. فكأنهن (بُدَّناً) قد هيئن للنحر بمكة. على سبيل التشبيه بـ (البُدْن) التي تؤخذ إلى النحر في مكة، وهو ما أومأ إليه الإمام باستعماله مفردة (بُدَّناً) إشارة إلى كون هذهِ (الأموال المنقولة) التي تعد أحد مصادر تمويل بيت المال هي من الأموال التي تكسب درجة من الحرمة والمنعة؛ لأن الإمام (عليه السلام) يخصصها لإعالة الناس المحتاجين والفقراء، ودفع حقوق الموظفين في الدولة الاسلامية، فكما أن (البُدْنَ) من شعائر الله، ويطعم منها القانع والمعتر[1]. فكذلك (البُدَّن) التي يسوقها عمال الصدقات إلى بيت المال؛ لتصرف في مواردها المخصصة لها. وكما أن الله تبارك وتعالى لا يناله من هذهِ (البُدْن) أي شيء، إلاّ التقوى من أصحابها، فكذلك أمير المؤمنين الذي لا يناله من هذهِ الدواب شيئاً، إلاّ رغبته في رضا الله تبارك وتعالى. ولهذا تلحظ شدة حرصه (عليه السلام) على رعاية هذه الدواب، وتوكيده على عماله أن يحرصوا عليها، وأن لايقصروا في حقها ولاسيما في (ك/ ٢٥)الذي اختص بهذهِ المسألة الاقتصادية المهمة.

صِرُوم

الصِّرْمة طائفة من الإبل نحو ثلاثين[2]. وقيل: بل هي ما بين العشرين إلى الثلاثين، أو ما بين العشرة إلى الأربعين[3]. وأصل الصرّم في اللغة القَطْعُ البَائِن عن

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى شأنه: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ الحج: ٣٦ - ٣٧.

(٢) ينظر: العين (صرم): ٧/ ١٢١، والمحكم (حرم): ٨/ ١٢١.

(٣) ينظر: المحكم (صرم): ٨/ ٣٢١، وتاج العروس (حرم): ٣٢/ ٥٠١.

بعضه من أي نوع كان[١]. وقد وردت مفردة (صُرِوم) مرة واحدة في نهج البلاغة[٢] بصيغة الجمع على (فِعُوْل) للدلالة على القِطعة من الإبل التي تبلغ نحواً من الثلاثين. وذلك في قول أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي يتحدث فيه عن (التقوى) وأثرها في يوم القيامة: ((**أوصِيكُمْ عِبَادَ الله، بِتَقْوَى الله، فَإِنَّهَا الزِّمَامُ وَالْقِوَامُ**[٣]، **فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا**[٤]، **وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا، تَؤُلْ**[٥] **بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ**[٦] **الدَّعَةِ... ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾**[٧]... **وَتُعَطَّلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ...**))[٨]. يتحدث الإمام - في هذا النص- عن (التقوى) وأثرها في النجاة يوم القيامة الذي تعطل فيه صروم العشار. و(الصُّرُوم) جماعة الإبل[٩]، أو القِطعة منها. ويطلق عليها في اللغة (الصِّرْمة) أيضاً، وهي القطعة من الإبل تبلغ نحو الثلاثين[١٠]. وقد اختلف اللغويون في تحديد عددها، فثمة من يقول: إنها ما بين العشرين إلى الثلاثين[١١]. وآخر يذهب إلى أنها ما بين الثلاثين

(١) ينظر: مقاييس اللغة (صرم): ٣/ ٣٤٤، ولسان العرب (صرم): ١٢/ ٣٣٤.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٥٧.

(٣) القوام الثبات. ينظر: لسان العرب (قوم): ١٢/ ٤٩٧.

(٤) الوثائق جمع وثيقة، وهي في الأمر إحكامه والأخذ بالثقة. ينظر: لسان العرب (وثق): ١٠/ ٣٧١.

(٥) تَؤُلْ من الأول، وهو الرجوع. ينظر: لسان العرب (أول): ١١/ ٣٣.

(٦) الكِنُّ البيت، والجمع أكْنَان، وأكِنَّة. ينظر: لسان العرب (كنن): ١٣/ ٣٦٠.

(٧) إبراهيم / ٤٢.

(٨) نهج البلاغة: خ/ ١٩٥: ٣٨٩، ٣٩٠.

(٩) ينظر: معارج نهج البلاغة: ١/ ٦٢٨.

(١٠) ينظر: العين (صرم): ٧/ ١٢١.

(١١) ينظر: المحكم (صرم): ٨/ ٣٢.

إلى الخمس والأربعين[١]، وبعض يعدها من العشرة إلى الأربعين[٢]. وذهب آخرون إلى أنها تعد فوق العشرة إلى تسعة عشر[٣]. أما سبب تسمية هذهِ الجماعة من الإبل من الأعداد المتقدمة بـ (الصُرُوم) أو (الصِّرُوم) - بالضم أو الكسر -، فذلك راجع إلى أن بلوغها هذا القدر من العدد يؤهلها أن تصير مستقلةً بنفسها، فيقطعها صاحبها عن معظم إبله[٤]. فكأن عددها الذي وصلته - مهما بلغ، أو اختلف- يؤهلها لتكون قطيعاً منفصلاً عن بقية الإبل. ولعل ذلك يكون بسبب من رابط مشتركٍ بينها كأن تكون هذهِ القطعة من الإبل أو (القَطْعَةُ) بالفتح صَرُوماً لا ترد النضيح حتى يخلو لها من بقية الإبل، فتنصرم عن بقية الإبل[٥]. وقيد الإمام هذهِ القطعة من الإبل في النص بـ (العِشَار)، وهي النوق الحوامل التي أتى عليها في الحمل عشرة أشهر، فلا يزال ذلك أسمها حتى تضع حملها، فإذا وضعت فهي عشراء[٦]. وقيل: بل هي النوق التي ينتج بعضها، وبعضها ينظر نتاجها[٧] ولعل هذه الصفة تجعل من (الصّروم) قطعة من الإبل مخصوصة اقتطعت لأنها عشار قد قرب عهدها بالنتاج، وبهذا تميزت عن بقية الإبل. أقول: والإمام يصف - بهذا التعبير - الحال الذي يكون يوم القيامة الذي تهمل فيه جميع شؤون الدنيا، حتى تذهل كل مرضعة عما أرضعت، ولا يلتفت الناس في ذلك اليوم لأي شأن الاّ لأنفسهم.

(١) ينظر: تاج العروس (صرم): ٣٢/ ٥٠١.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (حرم): ١٢/ ١٣١، وتاج العروس (حرم): ٣٢/ ٥٠١.

(٣) ينظر: مع نهج البلاغة: ٢٣٣.

(٤) ينظر: تاج العروس (صرم): ٣٢ / ٥٠١.

(٥) نفسه.: ٣٢/ ٤٩٩.

(٦) ينظر: المحكم (عشر): ١/ ٣٥٩.

(٧) نفسه.

فَنِيق

الفَيْنق الفَحْل المقرم الذي لا يؤذى ولا يركب لكرامته على أهله(١). والفَنِيْق الجمل الفحل الذي يودع للفَحَلَة (٢). وقد وردت لفظة (فَنِق) مرة واحدة في نهج البلاغة(٣)، للدلالة على هياج الفتنة كما يهيج الفحل من الإبل، وذلك في إشارة إلى هياج الفتنة وقيامها. يقول (عليه السلام) في ذلك ((... **فَعِنْدَ ذلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَآخِذَهُ، وَرَكِبَ الْجُهْلُ مَرَاكِبَهُ، وَعَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ... وَهَدَرَ**(٤) **فَنِيقُ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُوم**(٥)، **وَتَوَاخَى**(٦) **النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ**(٧)...))(٨). يتحدث الإمام في هذا المقطع من خطبته عن الفتنة وراية الضلال، وما تفعله. مشبهاً هذه الفتنة (بالفَنِيقِ) من الإبل، وهو الجمل الفحل (٩)، الذي يحبس عن مخالطة الإبل، ليكون مهيأً للضراب. فما زال يهدر حتى يخلى عنه. فاستعمل الإمام هذا اللفظ للدلالة على الباطل بعد كمينه(١٠)، كأنه لشدة سطوته واهلاكه وقوة ضرابه في إلقامه فتناً أخرى، فنيقاً هادراً مستعداً

(١) ينظر: العين (فنق): ٥/ ١٧٧، وتهذيب اللغة (فنق): ٩/ ١٥٤، ولسان العرب (فنق): ١٠/ ٣١٣.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (فنق): ٩/ ١٥٤، ولسان العرب (فنق): ١٠/ ٣١٣، وتاج العروس (فنق): ٢٦/ ٣١٨.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٥٦.

(٤) هَدَرَ البعير يهدر إذا صاح. ينظر: تهذيب اللغة (هدر): ٦/ ١٠٧.

(٥) الكَظْم تجرع الغَيْظ، وأصله الإمساك عن الشيءِ. والكظوم الإبل التي لا تَجْتَرَ. ينظر: لسان العرب (كظم): ١٢/ ٥٢٠

(٦) الوَخي الطريق المُعْتَمَد. وتَوَاخَيت الأمرَ، أي تَيَمَّمْتُه.. ينظر: لسان العرب (وخي): ١٥/ ٣٨٢.

(٧) الفُجُور الانبعاث في المعاصي، وأصله من كثرة المال، والفَاجِرُ الكثير المال. ينظر: لسان العرب (فجر): ٥/ ٤٦.

(٨) نهج البلاغة: خ/ ١٠٨: ١٩٧، ١٩٨.

(٩) ينظر: تهذيب اللغة (فنق): ٩/ ١٥٤، وتاج العروس (فنق): ٢٦/ ٣١٨، ومع نهج البلاغة: ٢٨٨.

(١٠) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣٦/ ٥١٤.

لإهلاك أي شيء في طريقه عند خروجه؛ رغبةً في الإلقاح والضراب. بعدما كان منعماً في عيشه فلا يركب ولا يؤذى لكرامته على أهله[١] فكيف به إذا أطلق ؟ وقد عزز الإمام من أوصاف هذا الفحل بذكر بعض لوازمه وخصاله، ومنها (الهَدِيْر، والكُظُوم)، وهما من أوصاف الإبل، فالهدير صوت يطلقه البعير الفَنِيْق الهائج المحبوس في الحظيرة الممنوع من الضراب[٢]. وقد وظف الإمام هذهِ المفردة؛ للإشارة إلى بدء ظهور الفتنة والدعوة اليها، في حين أنه (عليه السلام) استعمل لفظة (كُظُوم) للدلالة على عدم قيام الفتنة وشيوع الباطل الذي وصفه بـ(الكظوم) دلالة على عدم هياجه وظهوره فكأنه - أي الباطل - كالفحل من الإبل المتنع من الاجترار[٣]. الممسك عن الشرب. كأنّ الباطل هاج بعد سكون وهجوع، فهاج وهدر كفحل الإبل. أقول: ولم يرد الإمام (عليه السلام) في تعبيره المتقدم أن الباطل يهدر دونما أثرٍ، كما يعبر في الأمثال: ((كالمُهْدِر في العُنَّةِ))[٤]. والمهدر هو الجمل الذي يجعل في الحظيرة التي يحبس فيها الفحل عند الضراب[٥]. فكأنما هو كالمعن الذي لا يلقح لضعفه وعجزه. وهو ما يضرب به المثل المتقدم الذي يقال للرجل الذي يصيح ويجلب، وليس وراءه شيء فهو كالبعير المحبوس في العنة، يهدر دونما أثر[٦]. وإنما قصد (عليه السلام) شدة هذا النوع من الفتن واذها بحيث أن سوطتها هياجها لا تبقي ولا تذر.

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (فنق): ٩/ ١٥٤.

(٢) نفسه: (هدر): ٦/ ١٠٧.

(٣) ينظر: لسان العرب (كظم): ١٢/ ٥٢٠.

(٤) مجمع الأمثال: ٢/ ١٤١، وجمهرة الأمثال: ٢/ ١٣٦.

(٥) ينظر: مجمع الأمثال: ٢/ ١٤١.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٧/ ١٥٠.

مُنْقِيَات

النِّقَا في اللغة عظم العضد[١]. والأنْقَاء كل عظمٍ ذي مخٍّ، واحده نِقْى، ونِقْوٌ[٢]. والمُنْقِيَة هي الناقة إذا كانت ذات نقيً، ومخٍّ في عظمها[٣]. و (مُنْقِيَات) من ألفاظ نهج البلاغة، فقد استعملها أمير المؤمنين (عليه السلام) مرة واحدة[٤]؛ للدلالة على الإبل السمان ذوات النقى. وذلك في قوله الذي يخاطب فيه بعض عماله على الصدقات: ((**وَلْيُمْهِلْهَا عِنْدَ النِّطَافِ وَالأعْشَابِ، حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللهِ بُدَّناً مُنْقِيَات، غَيْرَ مُتْعَبَات وَلاَ مَجْهُودَات...**))[٥]. أراد إراحة هذه الدواب، وإمهالها عند نطاف الماء النقي في الواحات المعشبة؛ لكي ترد من الماء، وتتغذى على الأعشاب، فذلك أوعى إلى أن تسمن وتكتنز من اللحم. فعبر بلفظة (بُدَّناً) عن سمنها وكبر حجمها وارتباطها بالحصانة المتعلقة بأموال الدولة الاسلامية، وهو ما يمثل تشريعاً لها، لأنها أشبه (بالبُدْن) التي تنحر في مكة التي يراد لها أنْ تكون سمينة مكتنزة اللحم. في حين أنه استعمل لفظة (مُنْقِيَات) بصيغة الجمع؛ للدلالة على مظهر هذا الاكتناز في النوق، من شدة عظمها لما يتجمع عليه من اللحم والشحم وما يتكون فيه من المخ؛ إذ توصف النوق بأنها (مُنْقِيَة)، إذا كانت ذات نقى في عظامها دلالة على أنها سمينة وقويّة البدن والتحمّل، قد علا عظامها وعيونها الشحم[٦]. وهذا التراكم في شحمة العين علامة على صحة الناقة وسمنها. في حين أن التي لا تبدو

---

(١) ينظر: المحكم (نقي): ٦/ ٥٧٠، والقاموس المحيط (نقي): ١/ ١٧٢٧.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (نقا): ٩/ ٢٤١.

(٣) ينظر: غريب الحديث (ابو عبيد): ٢/ ٢٠٩، والنهاية في غريب الحديث: ٥/ ١١٠

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٥٦.

(٥) نهج البلاغة: ك/ ٥: ٤٨٣، ٤٨٤.

(٦) ينظر: غريب الحديث (أبو عبيد): ٢/ ٢٠٩، وتهذيب اللغة (نقا): ٩/ ٤١.

في عينها الشحوم، تكون ناقة مهزولة ليس فيها نقى في عظامها [١]، وذلك علامة على اعتلالها وعدم صحة بدنها ويبدو ذلك في نحافة جسمها وقلة لحمها. ولهذا استعمل أمير المؤمنين لفظة (مُنْقِيات) إشارة إلى سمن هذهِ الدواب واكتنازها[٢].

١٣ـ الهرم من الإبل

عَوْداً

العَوْد الجمل المُسن الذي فيه بقية قوة[٣]. وقد عود البَعِيرْ، إذا قضت له ثلاث سنين بعد بزوله أو أربعٌ[٤]. وجاءت هذهِ المفردة في نهج البلاغة مرة واحدة[٥]؛ للدلالة على المسن من الإبل الذي فيه بقية قوة. وذلك في سياق نصح الإمام (عليه السلام) لبعض عماله على الصدقات، يعلمه فيه طرائق جباية الصدقات وأخلاقها، ومن ذلك قوله: ((**وَلاَ تَأْخُذَنَ عَوْداً، وَلاَ هَرِمَةً[٦]، وَلَا مَكْسُورَةً...**))[٧]. وقد ذكر الشراح أن (العَوْدَ) من الإبل هو الجمل المسن الذي قد أعيا، وهو ما جأوز سنه سن البازِل[٨]. ويعد هذا النوع من الإبل من المعيبات التي تخرج من أصل المال قبل التصدق به[٩].

(١) ينظر: غريب الحديث (ابو عبيد): ٢/ ٢٠٩، والنهاية في غريب الحديث: ٥/ ١١٠.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٥/ ١١٩، والديباج الوضي: ٥/ ٢٢٢١.

(٣) ينظر: العين (عود): ٢/ ٢١٩، وتهذيب اللغة (عود): ٣/ ٨٠.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (عود): ٣/ ٨٠، ولسان العرب (عود): ٣/ ٣٢١.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٢٧.

(٦) الهَرِمَة من الإبل هي الكبيرة القَحْدَةُ. ينظر: تهذيب اللغة (هرم): ٦/ ١٥٨.

(٧) نهج البلاغة: ك/ ٢٥: ٤٨٢.

(٨) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٥/ ١١٨، والديباج الوضي: ٥/ ٢٢١٧.

(٩) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٥/ ١١٨، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ٢٣٠.

النَّاب

النَّابُ النّاقَةُ المُسنَّة[١]. وقد سموها بذلك حين طال نابها وعظم[٢]. واستعمل الإمام (عليه السلام) المفردة المتقدمة مرة واحدة؛ للدلالة على الناقة المُسنَّة. في سياق كلامه عن فتنة بني أمية؛ التي يقول فيها: ((**أَلاَ وَإِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ، فإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ... وَايْمُ اللهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوْءٍ بَعْدِي، كَالنَّابِ الضَّرُوسِ[٣] تَعْذِمُ[٤] بِفِيهَا، وَتَخْبِطُ[٥] بِيَدِهَا، وتَزْبِنُ[٦] بِرِجْلِهَا، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا...**))[٧]. أقول: وتشبيه الإمام لبني أمية بـ (النّاب الضُّرَّوس) يدل على أنهم كالناقة المسنة التي بلغت من الكبر حتى عظم سنها وأزف عمرها والعرب تسمى الناقة (ناباً) إذا أَسنت. وذلك أن الأصل في (النّاب) هو السن التي تقع خلف الأسنان الرباعية في فمها[٨]. فإذا كبرت الناقة انفطر سنها علامة على كهولتها. فلهذا أطلقوا عليها (ناباً) من باب تسمية الكل باسم الجزء [٩]. فكأن الإمام (عليه السلام) يشبه الامويين بهذهِ (النَّاب) التي عظم سنها، ولكنها لما تزل عضوضةً

---

(١) ينظر: العين (نيب): ٨/ ٣٨١، والمحكم (نيب): ١٠/ ٥٠٢.

(٢) ينظر: المحكم (نيب): ١٠/ ٥٠٢.

(٣) الضَّرْسُ العضُّ الشَّديدُ بالأضراسِ. ينظر: تاج العروس (ضرس): ١٦/ ١٨١.

(٤) العَذْم العَضُّ. ينظر: لسان العرب (عذم): ١٢/ ٣٩٤.

(٥) الخَبْط الضرب الشديد، وخبط البعير، ضرب بخف يده. ينظر: لسان العرب (خبط): ٧/

(٦) الزَّبْن الدفع. وَزَبَنَتِ الناقة، ضربت رجليها عند الحلب. ينظر: لسان العرب (زبن): ١٣/ ١٩٤.

(٧) نهج البلاغة: خ/ ٩٣: ١٧٠، وقد نقلت المدونات اللغوية تشبيه الإمام (لبني أمية بالناب الضروس)، وذلك في: النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٢٠٠، ولسان العرب (ضرس): ٦/ ١١٩، و(زبن): ١٣/ ١٩٤.

(٨) ينظر: المحكم (نيب): ١٠/ ٥٠٢.

(٩) ينظر: المحكم (نيب): ١٠/ ٥٠٢، ولسان العرب (نيب): ١/ ٧٧٦.

مؤذية فلهذا وصفها بـ (الضَّرُوس)، وأصل (الضَّرُوْس) مأخوذٌ من (الضَّرْس) وهو العض الشديد بالضِّرسِ[١]. وإذا وصفت الناقة بأنها (ضُرَوْسٌ)، فذلك يدل على أنها عضوضٌ سيئة الخلق، تعض حالبها وتمنعه عند الحلب[٢]. ولعل هذهِ الدلالات تناسب حال بني أُمية الذين انمازوا بسوء الخلق مع الناس، فساموهم الخسف وسوء العذاب قتلاً وصلباً، وحبساً وتشريداً كما يذكر الشارح ابن أبي الحديد في ثنايا تعليقه على تشبيه الإمام (عليه السلام) لبني أمية (بالناب الضّروس)[٣].

ولم يقتصر أمير المؤمنين (عليه السلام) على التشبيه المتقدم، فقد ذكر أوصافاً أخرى تدل على سوء الخلق في الامويين، إذ وصفهم بالناقة التي (تعْذِمُ بِفِيْهاَ)، والعذم في اللغة العض[٤] والأكل بجفاء[٥]، وهذهِ الخصلة اذا كانت في الدابة، فإنها تدل على سوئها، وعدم اتزانها؛ لأنها تجفو في أكلها وتأخذ بلسانها وشفاهها[٦]. وهذهِ من الخصال غير المحمودة في النياق. فأخذ الإمام (عليه السلام) هذهِ الأوصاف ونظمها في سياق الذم؛ مشبّهاً بني أمية بها ذماً لهم. فكأنهم يأخذون بألسنتهم وشفاههم عضاً في الناس دلالة على حنقهم وغضبهم عليهم. فهم في ذلك كالناقة اذا غضبت وكدمت لسانها كأنها تسب الذي يقترب منها. ولهذا قيل في الفصيح: **(المرأةُ تَعْذِمُ الرَّجُلَ)**. أي: تشتمه وتسبّه[٧].

---

(١) ينظر: لسان العرب (ضرس): ٦/ ١١٧.

(٢) ينظر: غريب الحديث (الخطابي): ٢/ ١٦٢، ولسان العرب (ضرس): ٦/ ١١٨.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٧/ ٤٣.

(٤) ينظر: لسان العرب (عذم): ١٢/ ٣٩٤.

(٥) نفسه.

(٦) ينظر: العين (عذم): ٢/ ١٠٤، ولسان العرب (عذم): ١٢/ ٣٩٤.

(٧) ينظر: لسان العرب (عذم): ١٢/ ٣٩٤.

وأما قوله (عليه السلام): ((تَخْبِطُ بِيَدِهَا))، فالخبط الضرب وخبط البعير، إذا ضرب بخف يده[١]. وربما كانت الإبل تخبط خبط العشواء، إذا كانت لا تبصر[٢]. فتضرب ما تصادفه بيدها خبطاً وهذا الوجه من التشبيه يدل على الاذى الذي يسببّه الامويون للناس خبطاً بأيديهم بحيث لا ينجو منه حتى المسالم من الناس، فهم كالناقة العمياء التي تخبط ما يلاقيها. وهذا التشبيه يوميء به الإمام إلى أن كل ما يقوم هؤلاء الطغاة، فإنه يكون بأمر منهم، سواء اشتركوا فيه بالفعل، أو أمروا زبانيتهم بتنفيذه. ولإتمام خصال السوء في (النّابِ الضَّرُوس)، وصفها الإمام (عليه السلام) بأنها ((**تَزْبُنِ بِرِجْلِها وتَمْنَعُ دَرَّها**))، إشارة إلى أن الأُمويين لا يرغبون أن ينال الناس الخير والنعمة، وإنما يحاولون الاستئثار بها. وكذلك حال الناقة التي (تَزْبُن) برجلها، فإنها تدفع حالبها، وتضربه بثفنات رجلها عند الحلب[٣]. والعرب تسمي الناقة التي من عادتها أن تدفع حالبها عن حلبها زبَون[٤]. أقول: كأنه (عليه السلام) يشير بتوظيفه لهذهِ المفردة مشبها بها بني أمية، إلى أنهم (كالزَّبَانِية) الذين يوكلون بتعذيب أهل النار، ويدفعونهم إلى جهنم[٥]. حقهم، ويدفعون أهل الباطل إلى باطلهم كأنهم (زَبَانِي) العقرب وهي أبرتها التي تلدغ بها[٦]. فتؤذي من يقف في دربها. إن دفع هؤلاء الأمويين الناس عن أخذ حقهم يناسب التشبيه الذي صنعه الإمام (عليه السلام) لهم، بقوله: (وتَمْنَعُ درّها). أراد: أنهم كالناقة التي تمنع

---

(١) نفسه: (خبط): ٧/ ٢٨٠.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه: (زبن): ١٣/ ١٩٤.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: العين (زبن): ٧/ ٣٧٤، ومقاييس اللغة (زبن): ٣/ ٤٦.

(٦) أنفسهما.

درها عن حالبها، لأن خير ما في الناقة هو لبنها الذي تدره على الناس.

هَرِمَة

الهَرَم أَقصى الكبر[١]. والهَرم البعير القَحْد[٢]. والأنثى هَرِمَة[٣]. ولفظة (هَرِمَة) من مفردات نهج البلاغة، فقد استعملها الإمام (عليه السلام) مرة واحدة[٤]، للدلالة على الناقة المسنة التي بلغت من الكبر أقصاه. وذلك في قوله (عليه السلام): ((**وَلاَ تَأْخُذَنَّ عَوْداً، وَلاَ هَرِمَةً، وَلاَ مَكْسُورَةً**...))[٥]. والهرمة من الإبل هي من كبر سنامها فصارت قحداً، وهي أكبر من العَود سناً. ولهذا فرق (عليه السلام) بينها (العَوْدِ) من الإبل. في حين خلط بعض شراح النهج أنواع بين الضربين المتقدمين من كبار الإبل فجعل (العَوْد) و (الهَرِمَة) المسن من الإبل على حدٍّ سواء[٦]. وتعد (الهَرِمَةُ). من الإبل إحدى المعيبات من الدواب التي تخرج عند قسمة الصدقات قبل إخراجها.

النِّضْو

النِّضْو من الإبل الذي أَنْضَتْهُ الأَسْفَارَ، وهَزَلَتْهُ، والأُنثى نَضْوَة[٧]. واستعمل الإمام (عليه السلام) لفظة (النِّضْو) مرتين في كلامه الوارد في نهج البلاغة[٨]، للدلالة على الهزال والمرض الذي يصيب البعير. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في مقام ذم أصحابه بعد

(١) ينظر: لسان العرب (هرم): ١٢/ ٦٠٧.

(٢) القَحْدُ القحم السَّنَام من الإبل، والأنثى قَحِدَة. ينظر: تاج العروس (قحد): ٩/ ١١.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (هرم): ٦/ ١٥٨، ولسان العرب (هرم): ١٢/ ٦٠٧.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٦٨.

(٥) نهج البلاغة: ك/ ٢٥: ٤٨٢.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٥/ ١١٨.

(٧) العين (نضو): ٧/ ٥٩، المحكم (نضو): ٨/ ٢٤٧، ولسان العرب (نضو): ١٥/ ٣٣٠.

(٨) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٤٤.

غزو أصحاب معاوية لبعض المدن: ((... **أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخا... فَلاَ تَسْمَعُونَ لِي قَوْلاً، وَلاَ تُطِيعُون لِي أَمْراً دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الْجُمَلِ الْأَسَرِّ**[١]**، وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النِّضْوِ الْادْبَرِ...**))[٢]. ولما كانت الجماعة التي يخاطبها الإمام (عليه السلام) لا تطيع أمره في رد إرهاب معاوية وجماعته على أرض العراق، لهذا خاطبهم مشبهاً إياهم بما تمتاز به الجمال الصعبة التي تصدر أصواتاً عند ضجرها. وهذهِ هي الصفة الأولى التي وصفهم بها الإمام،فهم في ذلك كالجمل الذي يتحافى جمل من الم السرر والورم الذي أصابه بطنه من كثرة التقرح. وفي هذا الحال تكون الجمال عصيةً عند جذبها فتعمد في ذلك إلى الصياح والهياج يصبح من منعتها. وتشبيههم بهذا الأمر إشارة إلى تمنعهم وتضجرهم من دعوة الإمام لهم برد الاعتداء على مدنهم. وأما تشبيهه لهم بـ (النِّضْو الأَدْبَر)، فالنضو البعير الذي أنضته كثرة الأسفار حتى هزل. زاد على هذهِ الحالة في البعير، فجعله (أدْبَراً) فضلاً عن هزالة، والأَدبر هو البعير المجروح في ظهره[٣]، بسبب من القتب وما يحمل عليه[٤]. فصار وجه الشبه بين أولئك القوم و (النِّضْو الأَدْبَر) هو الضعف والتثاقل وشدة الخوف والألم، فكأنهم – في قعودهم وامتناعهم عن الإمام لهم – كالبعير المهزول الذي أصابته القروح في ظهره، فضعف وتثاقل عن الحركة إلى ما يساقاليه[٥]. وكل هذا الوصف ذم وتوبيخ لهم لما في هؤلاء من امتناع ونفار

---

(١) السرر داءُ يأخُذُ في السرُّةِ، وبعيرٌ أسرَ، إذا تجافى في بُرُوْكه عن الأرض من السَرَّر. ينظر: العين (سرر): ٧/ ١٨٨

(٢) نهج البلاغة: خ/ ٣٩: ٨٢.

(٣) ينظر: لسان العرب (دبر): ٤/ ٢٧٤.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٢/ ٢٣٦.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٢٩٢.

وتقصير عن إجابته(عليه السلام) إلى ما دعاهم إليه[١].

١٤ـ ألفاظ أسماء ولد الإبل وفصلانها

الفَصيل

الفَصِيْل ولد الناقة، إذا فصل عن أمه [٢]. وقد ذكر اللغويون أن أصل هذا الوصف مأخوذ من الفَصْل، وهو الفِطَام[٣].

واستعملت لفظة (الفَصِيْل) و (فَصِيْلها) مرة واحدة لكل منهما في نهج البلاغة[٤]، للدلالة على ولد الناقة الذي فصل عن أمه، وذلك في موضعين:

الأول: أورده الإمام في سياق تشبيه أتباعه لرسول الله (صلى الله عليه وآله) باتباع (الفَصِيْل أثَرَ أُمِّه)، وذلك في قوله الذي يبين فيه علاقته بالرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وعناية النبي به مخاطباً الناس بقوله: ((**وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله) بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ: وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ**[٥] **وَأَنَا وليدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي**[٦] **فِي فِرَاشِهِ... وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ...**))[٧]. يشبه الإمام (عليه السلام) اتباعه لرسول الله (صلى الله عليه وآله) باتباع الفصيل أثر أمّه والفَصيل ولد الناقة الذي افتصل عنها تواً. والوجه في ذلك شدة الملاصقة والمتابعة للفصيل ملاحظة لحاجته لأمه التي

(١) نفسه.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (فصل): ٤/ ٥٠٥، والمحكم (فصل): ٨/ ٣٢٩.

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٢٥١.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٥١.

(٥) حجْرُ الإنسان – بالفتح والكسر – حضْنُهُ. ينظر: لسان العرب (حجر): ٤/ ١٦٧.

(٦) كَنَفُ الشيءِ نَاحِيَتُهُ، وأكْنَفَهُ إذا أحاطة وصَانه. ينظر: لسان العرب (كنف): ٩/ ٣٠٨.

(٧) نهج البلاغة: خ/ ١٩٢: ٣٧٨.

لما يزل حديث عهد بالفصال عنها ولهذا يكون حريصاً على مقاربتها في الخطو واللبث بكنفها. وذلك أنه يبقى بحاجة إلى أمه حتى يشبّ ويكبر، وقد أفاد (عليه السلام) من هذا المعنى الذي يمثل الحياة البدوية المعتادة عند العرب، فوظفه في المشابهة بين اتباعه للنبي الأكرم، وبين هذا المعنى الراسخ في أذهان العقلية البدوية التي لا تفارق الإبل وأطوارها في العيش. وقد عزز الإمام هذا النوع من الثقافة في أفكار المخاطبين باستعمال مفردة (الفَصِيْلِ)، وهي لفظة ذات إيحاء عند السامعين بالفَصِال[١]. وهو الفِطَام عن رضاع الأم، سواء أكان في الإنسان أم في الدواب، فإنه غير مخصوصٍ بنوعٍ معين بها[٢].

وبهذا استطاع التعبير أن يشعر المتلقين بشدة الرابطة بين (النبي والإمام)، وهما (المَتْبُوع والتّابِع)، ولاسيما أن الإمام (عليه السلام) حرص على إظهار الدلالة النفسية لمفردة (فصيل) من خلال ذكر لفظة (أُمِّه). بحيث يشعر السامع بحالة (الفَطِيم) الذي فصل للتو عن أمه وأُبعد عنها، ولا يخفى على اللبيب - آنذاك - الحالة التي تمر بها الأم من أَثر هذا (الفِصَال)، وإبعاد ولدها من رضاعها فضلاً عن حالة الفَصِيلِ نفسه التي تجعله مضطرباً ساعياً إلى تتبع أمه اللبث في حجرها. ومراعاة لهذه الحالة التي يكون عليها الابن وأمه عند الفطام حرص القرآن الكريم على تحديد المدة الزمنية التي يستمر فيها الطفل في رضاع أمه، وهي حولين كاملين. يقول تعالى شأنه: ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ**

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٢٥١.

(٢) ينظر: المحكم (فصل): ٨/ ٣٢٩.

مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(١). وبالرجوع إلى النص نجده يحتفل بالكثير من المفردات التي تدل على تربية النبي الخاتم (ﷺ) للإمام علي، ورعايته له كرعاية الأم لولدها، بما فيها قضية (التغذية) التي يذكرها الإمام (عليه السلام) في قوله: ((**وكَانَ يَمْضَغُ الشيءِ ثُمَّ يُلْقِمْنِيْهِ**))(٢)، وهي مسألة مرتبطة بسياق التشبيه الذي عقده الإمام بين اتباعه لرسول الله (ﷺ) و((اتباع الفَصِيْلِ أَثَر أمّه)). فإن كلا الاتباعين يكون لغاية الإطعام والرعاية مع الفارق في أن الإمام لم يكن شغله البحث عن الغذاء المادي في اتباعه للرسول، وإنما كان يجد ويجتهد في الحصول على الغذاء الروحي المعنوي الذي كان يفيضه عليه الرسول من وحي الرسالة النبوية.

ثانياً: أما الموضع الثاني، فقد استعمل فيه (عليه السلام) مفردة (فَصِيلها) في موضعها الحقيقي، دالة على ولد الناقة الذي لما يزل متعلقاً بأُمه في الرضاع بعد فِصَالِه عنها، وذلك في سياق وصيته إلى بعض عماله على الصدقات، يأمره فيها بإرسال ما اجتمع عنده من الحقوق الشرعية من دواب مع مراعاتها عند جلبها من المؤتمن عليها. إذ يقول (عليه السلام): ((... **فَإِذَا أَخذَهَا أَمِينُكَ فَأَوعِزْ إِلَيْهِ: أَلاَّ يَحُولَ بَيْنَ نَاقَة وَبَيْنَ فَصِيلِهَا، وَلاَ يَمْصُرَ**(٣) **لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذلِكَ بِوَلَدِهَا**...))(٤). أمره (عليه السلام) ألّا يمنع الناقة عن ولدها؛ لأن الناقة تحتاج إلى فصيلها، وهو بحاجة أليها على الرغم من فصاله عنها، ولهذا عبر الإمام (عليه السلام) عن هذهِ الفكرة بأن جعل الصياغة اللغوية قائمة

(١) البقرة / ٢٣٣.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ١٩٢: ٣٧٨.

(٣) المَصْرُ الحَلْب. ينظر: لسان العرب (مَصر): ٥/ ١٧٥.

(٤) نهج البلاغة: ك/ ٢٥: ٤٨٣.

على أساس أن الناقة هي التي ترغب بولدها، كأنها ترغب بالحنو عليه ومراجعته، وليس العكس، أي أن يكون الفَصَيل هو الذي يريد أُمه. فيقال على سبيل الفرض (ألاّ يحُوْلَ بين الفَصِيلِ وأُمِّه). وأما كيفية (ألاَّ يحُوْل بين الناقَةِ وفَصِيْلها) فالنهي – هنا – هو عن أَخذ الناقة من المتصدق وترك فصيلها، وإنما يأْخذ الناقة عن فرض الصدقة، ويأخذ ولدها بالقيمة التي يدفعها له، هذا وجه[١]، ووجه آخر الكلام الإمام (عليه السلام) هو أَنه إذا صارت الناقة وولدها ضمن النصاب عند صاحب الزكاة، فلا يفصل بينهما في هذا الحال. وهذا الوجه هو أرجح عندي من الوجه الأول؛ لأن بلوغ الناقة وأبنها نصاب الزكاة يرجح أن توجمع الناقة وولدها. وتأكيد الإمام على ذلك راجع إلى هذهِ الفكرة.

ابن اللّبُون

اللّبُوْن – بِفَتح اللاّم – الناقة والشاة ذات اللبن غزيزةً كانت أولا[٢]. وابن اللَّبُونُ من الإبل، هو ما أتى عليه سنتان، ودخل في السنة الثالثة، فصارت أمه لبوناً. ذات لبنٍ؛ لأنها تكون قد حملت حملاً آخر وأرضعته[٣]، وقد جاء تعبير **(ابن اللّبُون)** مرة واحدة في نهج البلاغة[٤]؛ للدلالة على ولد الناقة الذي دخل في الثالثة من عمره. وذلك في سياق كلام الإمام (عليه السلام) الذي يبين فيه طريقة الخلاص من الفتن قائلاً: ((**كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ، لاَ ظَهْرٌ فَيُرْكَبَ، وَلاَ ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ**))[٥].

(١) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٢٢١٩.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (لبن): ١٥/ ٢٦١، والمصباح المنير: ٢/ ٥٤٨.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (لبن): ٥/ ٢٦١، والنهاية في غريب الحديث: ٤/ ٢٢٨، ولسان العرب (لبن): ١٣/ ٣٧٣.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٠٧.

(٥) نهج البلاغة: قصا / ١: ٥٩٩.

والخِطَابُ أمر من الإمام (عليه السلام) إلى أصحابه وبقية الناس أن يكونوا متشبهين بابن اللَّبُون، وهو ولد الناقة الملبنة التي بلغ ابنها الثالثة من عمره، فحملت بغيره ووضعت، فصار عندها لبن. وهذا ما ذكره اللغويون، واتفق معهم شراح النهج في ذلك[١]. كأن الإمام يطلب منهم ذلك؛ لأجل أن لايكون فيهم مطمع لأحد من طرفي الفتنة، فيتخذونهم مركباً، ومرضعاً. فعبر (عليه السلام) عن تسلط أهل الفتنة عليهم بالركوب، وعن اتخاذهم سبيلاً للابتزاز وسلب أموالهم بالحلب[٢].

أقول: وإنما استعمل الإمام تعبير (**ابن اللَّبُون**) ودعا الناس إلى التشبيه به؛ لأن هذا الضرب من الدواب لا يكون قد كمل عمره وقوي ظهره للركوب، فضلاً عن أنه ليس مما يحلب[٣]، لأنه ذكر لاضرع له، فكأن الإمام يريدهم ان يكونوا متسترين عن أهل الفتن، ضعفاء أو كالضعفاء المغمورين بين الناس، لايصلحون أن يستعين بهم الظالمون في الفتنة من خلال توظيفهم في القتل أو الأذى، ولو كان ذلك بأموالهم فضلاً عن أنفسهم. كـ(ابن اللّبون) الذي لا ينتفع بظهره للركوب، ولا بلبنه[٤] فإنه ليس مما يحلب.أقول: وفي الكلام نهي عن أن يكون الإنسان منقاداً لصاحب الفتنة موطئاً له ظهره وإمكاناته المادية ليكون دابة له تحمل أوزاره وتمده بالأموال كما يستمد الحليب من ذات اللبن من الإبل[٥].

(١) ينظر: معارج نهج البلاغة: ٢/ ٢٨٧، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٨/ ٦٦، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٣٩١، والديباج الوضي: ٦/ ٢٧٢٦.

(٢) ينظر: معارج نهج البلاغة: ٢/ ٢٨٧.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٨/ ٦٦، والديباج الوضي: ٦/ ٢٧٢٦.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٨/ ٦٦، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٣٩١، والديباج الوضي: ٦/ ٢٧٢٦، وشرح نهج البلاغة: ١١٤.

(٥) ينظر: معارج نهج البلاغة: ٢/ ٢٨٧، ٢٨٨.

البِكار

البِكْر من الإبل مالم يبزل بعد. فإذا بُزِلِ فهو جمل أو ناقة [١]. والبِكْر من الإبل أيضا هي التي ولدت بطناً واحداً بكراً بولدها الذي تبتكر به[٢]. والبِكر هو أول ولد الناقة[٣]. واستعملت لفظة (البِكَار) بالجمع على (فِعَال) مرة واحدة في نهج البلاغة[٤]. للدلالة على البِكْرُ من الإبل. وذلك في قول أمير المؤمنين (عليه السلام) في مقام توبيخ بعض أصحابه: ((**كَمْ أُدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى الْبِكَارُ الْعَمِدَةُ**...))[٥] والنص خطاب لأصحابه (عليه السلام) الذين تقاعسوا عن النهوض لحرب أهل الشام [٦]. وقد استهل الإمام توبيخه لهم بذكر تفضّله عليهم؛ لأنهم في نظره (كالبِكَار العَمِدَة). و(البِكَار) جمع (بِكْر)، وهو الفتي من الإبل[٧]. و (العَمِدَة) من الإبل الفتية، وهي التي ورم سنامها من عض القتب والحِلس[٨]. وكثرة الدبر وثقل الحمل عليها[٩]. حتى انشدخت أسنمتها من الداخل[١٠]. لقد وظف الإمام (عليه السلام) هذهِ المفردات

(١) ينظر: العين (بكر): ٥/ ٣٦٤.

(٢) ينظر: لسان العرب (بكر): ٤/ ٧٨.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٦٠.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ٦٩: ١٠٧، وقد وردت كلمة الإمام هذهِ في النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٢٩٧، ولسان العرب (عمد): ٣/ ٣٠٥.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٤٦.

(٧) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٢٩٧، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦/ ٨١، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٤٦.

(٨) ينظر: المحكم (عمد): ٢/ ٣٧، والمخصص: م/ ٢: س/ ٧: ١٦٦، ١٦٧.

(٩) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٢٩٧.

(١٠) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦/ ٨١.

(البِكار، والعَمِدَة) في سياقٍ يناسب المقام الذي يتحدث فيه، وذلك أن هؤلاء القوم الذين يخاطبهم الإمام، من الفتوة بمكان، ويفترض أن تكون فيهم المنعة والقوة وحصانة الرأي، فضلاً عن شدة التحمّل، ولكن ما أن وصِفَت هذهِ البكار بلفظ (العَمِدَة) حتى تحولت الدلالة إلى الضعف والهزال وعدم الاحتمال. وهو ما وطأ له الإمام بقوله (كم أُدَارِيكم...)؛ لأن الذي يدارى، أو الذي يكون بحاجة إلى ذلك، ليس إلا الضعيف المنهك الذي لا فائدة ترجى منه، فلا يكون له طاقة أو صبرٌ على تحمل الصعاب. فكأن أصحابه الذين وبخهم، في هذا الحال كالإبل الفتية التي أنهكها كثرة الركوب، والأحمال فتشفق وتحاذر من أن ينالها شيء من الأحمال [١]. في تقاعسهم عن الجهاد (بكاراً عَمِدة) في قلة الصبر والتحمل [٢].

سَقْباً

قال الخليل: ((**السّقْب ولد النّاقة، وأسْقَبَتِ الناقة أي: أكثرت وضعها الذّكر، وهي مِسْقَاب**)) [٣]. ويفصل اللغويون في ذكر هذهِ المفردة، فقد ورد في ترتيب حَمْل النياق، وإنجابها، وإجناس أولادها، أن الناقة إذا وضعت ولدها، فهو (سَلِيْل)، وذلك قبل أن يعرف ذكر هو أم أنثى، فإن كان ذكراً، فهو (سَقْب) وأُمه تسمى مسقباً [٤]. وقد وردت لفظة (سَقْباً) مرة واحدة في نهج البلاغة [٥]؛ للدلالة على ولد الناقة الذكر الذي وضعته تواً، وذلك في مقام التحقير عند رده (عليه السلام) على بعض

---

(١) ينظر: الديباج الوضي: ٢/ ٥٢٦.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٤٦.

(٣) العين (سقب): ٥/ ٨٤، وينظر: المحكم (سقب): ٦/ ٦٤٤.

(٤) ينظر: كفاية المتحفظ في اللغة للطرابلسي: ١/ ٨٤، ولسان العرب (سقب): ١/ ٤٦٨.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢١٦.

من خاطبه بكلمة يستصغر من مثله قولها. فقاله الإمام: ((**لَقَدْ طِرْتَ شَكِيْراً**[١]، **وَهَدَرْتَ سَقْباً**))[٢]. ومراد الإمام من الرد أن المتكلم قد طار وعلا، وهو لم يبلغ بعد ويستحصف، مثله في ذلك مثل الطائر الذي نبت أول ريشه، ولكنه لم يقو بعد على الطيران[٣]، ثم شبه الإمام (عليه السلام) في القسم الثاني من النص ذلك المخاطب بذكر الإبل، وهو ولد الناقة الصغير الذي ولد لتوه. وهو المسمى بـ (السَّقْب) الذي لما يبلغ بعد، لكي يهدر هدير الفحول. فإن الصغير من الإبل لا يهدر إلاّ بعد أن يستفحل كما يذكر السيد الشريف الرضي في شرحه كلمة الإمام السالفة الذكر[٤].

أقول: إن استعمال الإمام مفردة (سَقْب) جاء مناسباً لحال المخاطب الذي هو من الذكور، فكأنه في كلمته هذهِ كفرخ الطير، وولد الناقة الصغير، فالأول لا يرجى منه الطير، فلما يزل ريشه زغباً من صغار الريش الذي لا يتمكن به الطير فيه من الطيران، فضلاً عن أنه في بدء حياته وأولها. والثاني يمثل علامة على أول سنه الذي لايكون فيه الجمل في مرحلة الفحولة. فكما أن الطيران ليس من شأن الشكير، فكذلك الهدير، ليس من شأن السقب[٥].

(١) الشّكيرْ ما اسْتطَرَّ من الشَّعْر ونَبَتَ صغيراً. ينظر: تهذيب اللغة (شكر): ١٠/ ١١.

(٢) نهج البلاغة: قصا / ٤٠٢: ٦٨٣.

(٣) الرأي للسيد الشريف الرضي. وهو في: نهج البلاغة: قصا / ٤٠٢: ٦٨٣.

(٤) ينظر: نهج البلاغة: قصا / ٤٠٢: ٦٨٣، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٢٠ / ٦.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٩٧.

١٥ـ ألفاظ أصوات الإبل ورغائها

جَرْجَرة

أصل الجرجرة الصوت[١]، ومنه قيل للبعير إذا صوّت إنه يجرجر[٢]. وجَرْجَرَةُ البعير تردد هدير الفحل في حِنْجَرَتِه[٣]. وقد وردت لفظتا (جَرْجَرَة) و (جَرْجَرْتُم) مرة واحدة في نهج البلاغة[٤]، للدلالة على صوت البعير الذي يردده في حنجرته عند عَسفِه، وذلك في سياق الذم. الذي يقول فيه ((... **فَمَا يُدْرَكُ بِكُمْ ثَارٌ، وَلاَ يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ**[٥]، **دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الْجَمَلِ الأَسَرّ...**))[٦]. والمقام – هنا – مقام ذم وتوبيخ لمن دعاهم الإمام لنصرة إخوانهم الذين أغار عليهم أصحاب معاوية، ولكنهم تثاقلوا عن دعوته (عليه السلام)، وامتنعوا من أعانة إخوانهم، ولهذا شبههم بـ (الجَمَلِ الأَسَرّ) الذي أصابته علة السّرر، وهي القرحة التي تبدوا في كَركرته، فأخذ يصوت من ذلك هديراً في حنجرته أو شِقْشِقَتِه. وأصل الجَرْرَة – كما ذكر اللغويون – الصّوت، ثم انحصرت هذهِ الدلالة في صوت الماء الذي يصب في الحلق، كأنها تعالج في أَقصاهُ[٧]. ومن ثم اقترنت – فيما يبدو – بصوت حدير الفحل الذين يكون في حنجرته. كأنها علامة على ضجره ومللهِ. ولهذا المعنى استعار الإمام هذهِ المفردة التي تبدو فيها الإيحاء

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (جرر): ١٠/ ٢٥٧، ولسان العرب (جرر): ٤/ ١٣٢.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: المحكم (جرر): ٧/ ٢٠٠.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٨١.

(٥) المرامُ المُطْلب. ينظر: مقاييس اللغة (روم): ٢/ ٤٦٢.

(٦) نهج البلاغة: خ/ ٣٩: ٨٢.

(٧) ينظر: لسان العرب (جرر): ٤/ ١٣٢.

الصوتي واضحاً من الضجر والاضطراب وعدم الرضا، لوصف من دعاهم إلى الخروج لقتال أصحاب معاوية والدفاع عن ثغور المسلمين من هجمات أهل الشام فكأنما أراد (عليه السلام) الإبانة عن كثرة مللهم وقوة تضجرهم من ثقل ما دعاهم الإمام اليه[١] وتبدو فضيلة مفردة (جَرْجرتم) في هذا السياق من خلال الشدة التي تدل عليها في علو الصوت وارتفاعه، ولاسيما في (الجَمَل) من الإبل؛ ولهذا وصفهم الإمام (بالجَمَلَ) من هذهِ الجهة. فكأنهم كالجمل الكثير الاعياء والتعب كلما حمل عليه جَرْجَرَ واضطرب. ويلحظ في المفردة المتقدمة الدلالة على الضعف والوهن، والخوف الذي اتسم به هؤلاء الناس. ولهذا وصفهم الإمام في القسم الثاني من كلامه بالتثاقل، وعدم النهوض لقتال العدو، قائلاً: ((**وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النِّضْوِ الأدْبَرِ**))[٢]. وتثاقلهم هو قعودهم وتململهم من النهوض لقتال الأعداء.

رَغَا

رَغَاء البَعِير والناقة أصواتها[٣]. ورغا البعير إذا صّوت وضج بصوته[٤]. والرُّغاء صوت لذوات الخُفَّ من الدواب [٥]. واستعمل الإمام لفظة (رَغَا) و (تَرْغو) مرة واحدة لكل منهما[٦]؛ للدلالة على الصوت الذي تصدره الجمال. وقد استعمل الإمام هذهِ الدلالة في مقامين؛ **الأول**: دل به على صوت الجمل الذي اتخذته السيدة عائشة (أم المؤمنين) واسطة لها في الحرب التي خرجت بها على أمير

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٢٩٢.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ٣٩: ٨٢.

(٣) ينظر: العين (رغو): ٨/ ٤٤٤.

(٤) ينظر: المحكم (رغو): ٦/ ٥٥، لسان العرب (رغا): ١٤/ ٣٢٩.

(٥) ينظر: لسان العرب (رغا): ١٤/ ٣٢٩.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٩١.

المؤمنين (عليه السلام)، التي سميت بـ(حَرْبِ الجَمَل). التي يقول فيها الإمام ذاماً أهل البصرة: ((**كُنْتُمْ جُنْدَ المَرْأَةِ، وَأَتْبَاعَ البَهِيمَةِ**[١]**، رَغَا فَأَجَبْتُم، وَعُقِرَ**[٢] **فَهَرَبْتُمْ...**))[٣].

وقد صدر الإمام ذمّه لهم بأَن وصفهم بـ (جُنْدِ المرأة) ووصف الرجل بأنه بإطاعة المرأة والعمل بإمرتها لا تقبله الحالة الاجتماعية العربية،ففي ذلك إرغام للرجولة وإذلال للهيبة، فالرجل مقدم عندهم، وهو القائد للمرأة وزاد الإمام في ذمَّهم بجعلهم اتباعاً (للبهيمة) التي كنّى بها عن (الجمل) الذي اتبعه هؤلاء، واستعماله مفردة (البهيمة) مقصود -هنا- تعريضاً بهذه الفئة الت اتبعت هذه الدابة، فصارت مثلها في عدم التمييز والتبصّر؛ فأشبهوا هذه (البهيمة) في عدم التفكر في الامور ومعرفة طريق الحق، وفريق الباطل الذي سلكوا طريقه، حتى صارت هذه الجماعة تابعة لتلك الدابة التي كانت تسوقها وتقودها. وأما المراد بـ (المرأة) فهي (عائشة). ثم يوازن الإمام في كلامه بين حالتين؛ الأولى إجابتهم لصياح البعير، وضَجِيجِه الذي يصدر عنه.

وبهذا صار هؤلاء بمنزلة غير العقلاء لاتباعهم واستجابتهم لرغاء البهيمة التي تناديهم إلى الهلاك، والخروج على إمامهم الذي بايعوه. فأجابوها، ولم يستجيبوا لعقولهم. وهو ما يخالف عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية المعروفة، فالمعروف عند العرب أنهم يُرْغُون إبلهم ونياقهم، أي يحثونها على الرُّغاء؛ ليسمع ابن السبيل رغاءها فيميل اليها[٤]، رغبة في الاهتداء وطلباً للراحة من السفر. وقد يكون أكثر

---

(١) البَهْيَمةُ كل ذات أربع قوائم من دوابِّ البر. ينظر: لسان العرب (بهم): ١٢/ ٥٦.

(٢) العَقْرُ في اللغة العُقْمُ، وعدم الانجاب، وفرسٌ معقور أي: قطعت قوائمه بالسيف. ينظر: لسان العرب (عقر): ٤/ ٥٩١، ٥٩٢.

(٣) نهج البلاغة: خ/ ١٣: ٤١.

(٤) ينظر: العين (رغو): ٨/ ٤٤٤.

ذلك لأجل توطين الضيف للقرى والإكرام[١]. في حين أنهم خالفوا عاداتهم هذه؛ فجعلوا يُرْغُون جمالهم؛ للدلالة على إعلان الحرب والخروج على إمامهم؛ لأنهم أرغوا جملهم وجعلوه ينادي للقتل والقتال، ولم يرغوه للوحدة ونبذ التفرقة. هذا من جهة أصحاب الجمل المتزعمين للأمر.

أما من جهة الذين اتبعوا (البَهِيَمة)، فهؤلاء اختلفت عليهم الأصوات، وجنحوا إلى ما مال منها إلى الحرب فصار اهتداؤهم للشر لا للخير. وثمة فهم آخر تشير إليه لفظة (رَغَا) في النص، يقوي الدلالة على الذم التي قصدها الذم للإمام. فإن (الرُّغاء) الذي يصدره البعير يحمل في دلالته ضرباً من القهر والذل للدابة، فالمعروف أن البعير لا يصدر مثل هذه الأصوات إلاّ عند إرغامه وإذلاله واستكانته أو عندما يحمل عليها[٢].

وإكراه البهائم على ذلك يمثل نوعاً من العُسف بها، وقهرها، وفي هذا دليل على عنت صاحبها وظلمه لها وبهذا يكون (رغاء) البعير علامة على إذلال اتباعه وعسفهم وهو ما يوحي به النص.

ثانياً: أما المقام الثاني، فهو استعمال مفردة (**تَرْغو**)؛ للدلالة على أصوات الأمواج في البحار. وقد شبه الإمام (ﷺ) تلك الأمواج المتلاطمة بِرُغَاءِ الفحول عند هياجها، وذلك في سياق وصف الأَرض ودحوها على الماء: ((**كَبَسَ**[٣]

(١) ينظر: لسان العرب (رغا): ١٤/ ٣٢٩.

(٢) نفسه.

(٣) الكَبْسُ هو طَمُّكَ حُفْرَة بالتُّراب، وكبست النهر والبئر اذا طممتها. ينظر: لسان العرب (كبس): ٦/ ١٩٠.

الأَرْضَ عَلى مَوْر[١] **أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَة**[٢]**، وَلُجَجٍ**[٣] **بِحَارٍ زَاخِرَة**[٤]**، تَلْتَطِمُ**[٥] **أواذِيّ**[٦] **أمْوَاجِهَا... وَتَرْغُو زَبَداً كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا...))**[٧]. والإمام يصور حال الأرض عند دحوها، وامتلاء أَرضها بالمياه، التي عبر عنها (بالبِحَار الذَّاخرة) التي تتلاطم أعالي أمواجها بعضها بالبعض الآخر، فكأنها ترغو وتصيح كفحول الإبل عند هياجها للضراب. وقد جسّد الإمام صورة هذهِ الأمواج بهيئة البعير الهائج، موظفاً لها بعض لوازمه، وهو (الرُّغاء) في إشارة إلى الصوت الهادر من هذه الأمواج الذي صحبها (الزَّبَدُ) وهو رغوة البحر المتلاطم، إذا ثار موجه[٨] بسبب من ارتفاع الموج وشدته هياجه، فجعله الإمام بمنزلة الزبد الذي يظهر على شدقي الجمل عند رُغَائه[٩] وزبد الجمال لعابها الأبيض الذي يظهر على مشافرها عند هياجها[١٠]. ولما كان الإمام يشبه أمواج البحار وتلاطمها بالفحول الهائجة من الإبل، فلهذا استعمل مفردة (زَبَداً)، بوصفها لازمة من لوازم هذه الدواب، مما قوى العلاقة بين طرفي التشبيه، فإن (الزبّد) علامة مشتركة ينتج

(١) المَوْرُ الطريق، والمَوْجُ والسُّرعة. ينظر: لسان العرب (مور): ٥/ ١٨٦.

(٢) الفَحْل الذكر من كل حيوان، واتفحل الأمر، إذا قوي واشتد. ينظر: لسان العرب (فحل): ١١/ ٥١٧.

(٣) اللّجاج التّمَادِي. ينظر: تاج العروس (لجج): ٦/ ١٧٩.

(٤) زَخَرَ البَحْرُ طما وعلا. ينظر: لسان العرب (زخر): ٤/ ٣٢٠.

(٥) التطَمَتِ الأمواجُ ضرب بعضها بعضاً. ينظر: لسان العرب (لطم): ١٢ / ٥٤٤.

(٦) الآذِيّ – بالمد والتشديد – الموج الشديد. ينظر: لسان العرب (أذي): ١٤/ ٢٨، وقد نقل اللغويون هذهِ الكلمة عن الإمام (عليه السلام): ينظر: لسان العرب (أذي): ١٤/ ٢٨.

(٧) نهج البلاغة: خ / ٩١: ١٦١،١٦٠.

(٨) ينظر: تهذيب اللغة (زبد): ١٣/ ١٢٧.

(٩) ينظر: لسان العرب (رغا): ١٤/ ٣٢٩.

(١٠) ينظر: العين (زبد): ٧/ ٣٥٧، وتهذيب اللغة (زبد): ١٣/ ١٢٧.

من رغاء فحول الإبل، وتلاطم امواج البحار وارتفاع أواذيها. وقد أضافت هذه المفردة ضرباً من توكيد الشبه بين الأمواج وفحول الإبل الهائجة، فإن كلاً منها ينتج (زبداً) في هذا الحال، وبخاصة الإبل التي يكثر (الزَّبَدُ) في مشافرها عند اغتلامها وهياجها[١]. وهذا ما يفسر لنا إيثاره (عليه السلام) مفردة (الفُحُول) على غيرها من المفردات الدالة على الأباعر. وذلك إشارة إلى قوة غريزتها وشهوتها للضراب. فإنّه شبه الأمواج بالفحول؛ بجامع الاصطراب والغليان و رغوة الزبد الذي يظهر في فم الفحل من الإبل عند هياجه. ووظف مفردة (ترغو)، وهي من أصوات ذات الخف اشارة إلى تقاذف الزبد منها[٢].

هياجها

هَاجَ الفَحل هَياجاً، هدر وأراد الضّراب[٣]. وجاءت لفظة (هياجها) مرة واحدة في نهج البلاغة[٤]؛ للدلالة على هَيَاج الفحول من الإبل التي تطلب الضراب. وذلك في سياق تشبيه هياج أمواج البحار بهياج فحول الإبل. يقول (عليه السلام): ((**كَبَسَ الارْضَ عَلى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَة، وَلُجج بِحَار زَاخِرَة، تَلْتَطِمُ أواذِيُّ أمْواجِهَا، وَتَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِها، وَتَرْغُو زَبَداً كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا...**))[٥]. كأنّ هذه الأمواج المتلاطمة فحول من الإبل ترغو هياجاً طالبة الضراب.

---

(١) نفسه.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦/ ٣٣٩، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٤٥٩، والديباج الوضي: ٢/ ٧٣٠

(٣) ينظر: المحكم (هيج): ٤/ ٣٦٧، ولسان العرب (هيج): ٢/ ٢٩٥، وتاج العروس (هيج): ٦/ ٢٨٧.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٧٣.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ٩١: ١٦٠، ١٦١.

١٦ـ حنين الإبل وولهها

الحانّة

حَنِين الناقة صوتها إذا اشتاقت إلى ولدها[١]. وقيل: حنينها نزاعها في إثر ولدها حنيناً تطرب فيه بصوت أو بغير صوت[٢]. وأكثر الحنين بالصوت[٣]. فهو الأصل البكاء بالصوت، أو الطرب سواء أكان في حزن أم فرح[٤]. واستعمل الإمام لفظتي (الحَنِين) و (الحَانَّة). فقد وردت المفردة الأولى أربع مرات، في حين جاءت الثانية في موضع واحد من نهج البلاغة[٥]؛ للدلالة على صوت حنين الناقة، وشدة نزاعها على أولادها وأوطانها. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في دعائه بالاستسقاء مصوراً حال النعم في عطشها ولهفتها على أولادها: ((**اللَّهُمَّ قَدِ أنْصَاحَتْ جِبَالُنَا، وَاغْبَرَّتْ أَرْضُنَا، وَهَامَتْ دَوَابُّنَا، وَتَحَيَّرَتْ في مَرَابِضِهَا، وَعَجَّتْ**[٦] **عَجِيجَ الثَّكَالَى**[٧] **عَلَى أولاَدِهَا، وَمَلَّتِ التَّرَدُّدَ في مَرَاتِعِهَا**[٨]**، وَالحَنِينَ إِلَىٰ مَوَارِدِهَا اللَّهُمَّ فَارْحَمْ أَنِينَ الآنَّةِ**[٩]**، وَحَنِينَ الحَانَّةِ اللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا، وَأَنِينَهَا في مَوَالِجِهَا**))[١٠]. يصف الإمام حال الناس وما أصابهم من مَحْل وجفاف؛ بسبب من انقطاع

(١) ينظر: العين (حنن): ٣/ ٢٩.

(٢) ينظر: المحكم (حنن): ٢/ ٥٣٤، ولسان العرب (حنن): ١٣/ ١٢٩.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: المحكم (حنن): ٢/ ٥٣٣، ولسان العرب (حنن): ١٣/ ١٢٩.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٢٦، ١٢٧.

(٦) العجيج الصِياح والجلبة والضجيج. ينظر: لسان العرب (عجيج): ٢/ ٣١٨.

(٧) الثكالى جمع ثكلى وهي المرأة التي فقدت ولدها. ينظر: لسان العرب (ثكل): ١١/ ٨١٣.

(٨) المَرتع هي المراعي المخصبَة. ينظر: لسان العرب (رتع): ٨/ ١١٣.

(٩) الآنّةَ الأَمَةُ التي تِئِنُّ من التعب. ينظر: لسان العرب (أنن): ١٣/ ٢٨.

(١٠) نهج البلاغة: خ/ ١١٥.

الأمطار، ذاكراً انصياخ الجبال، وإغبرار الأرض وهيام الدواب لانقطاع المطر. ثم استهلّ دعاءه بطلب الرحمة من الله تبارك وتعالى؛ لأنين الآنة وحنين الحانة، جامعاً بين مفردتي (الآنةِ) و (الحَانَّةِ) في سياق واحد. فأمّا (الحانّة)، فهي (النّاقَة). وقيل: هي أحد أسمائها[١]. وإنما قيل لها (حَانّة)؛ لأنها تحن عند نزوعها إلى أوطانها، أو عند حنينها إلى ولدها، ويكون حنينها مصحوباً بصوت يظهر شجونها. وألمها من شدة الفراق. وقد وظف الإمام هذه المفردة في هذا السياق؛ لمناسبتها حال الناقة وبقية الدواب التي جرى على أولادها وأوطنها شدة المحل والقحط حتى فزعت وحنت لما فيهم من عطش وقلة غذاء. وهذا الوصف الذي صنعه الإمام (عليه السلام) يوحي بانزل الناقة الحانّة منزلة الأم التي تحنو على أولادها وأهلها. لقد استعمل الإمام التعيين المتقدم بهذِهِ المفردات التي تناسب الحياة السائدة في ذلك العصر وما قبله، إذ ارتبطت صورة (الناقة) عند العرب بالأمومة التي وصفها بعض الباحثين بأنها تمثل الأمومة الصابرة القادرة على الرغبة في استمرار الحياة[٢]. فكأن الإمام (عليه السلام) يريد بهذا التوظيف استدرار نعمة الله تعالى واستنزال قطره بوصف هذِهِ (الحانّة) وحالتها على أولادها الجياع. ومما يعضد ذلك استعمال لفظة (الآنه) التي ذكر اللغويون عدة دلالات لها؛ منها أن (الآنة) هي الشاة[٣]، وقيل: بل الآنة هي الأَمَةُ التي تئن من التعب[٤]. فكأنها تصوّت من وجعها؛ بسبب من كثرة ما تؤديه من عمل. والأَنّانَةُ - أيضاً - المرأة التي مات زوجها فتزوجت غيره.

(١) ينظر: اللطائف في اللغة (معجم أسماء الأشياء)، لأحمد بن مصطفى الدمشقي: ١/ ٨٤

(٢) ينظر: قراءة ثانية لشعرنا القديم، للدكتور مصطفى ناصف: ٩٩، وأنثر بولوجيه الأدب، دراسه الآثار الجانبية على ضوء علم الإنسان، د. قصي الحسين: ٢١٠.

(٣) ينظر: أساس البلاغة (أنن): ١/ ٢٣، ولسان العرب (أنن): ١٣/ ٢٨.

(٤) ينظر: لسان العرب (أنن): ١٣/ ٢٨.

فإذا تذكرت الأول أنّت لمفارقته[١]. وذكره (عليه السلام) لهاتين المفردتين بكل ما تحملانه من دلالات واستعطافه الله تعالى بهذا الضرب من الدواب، يتناسب مع المعنى الذي قصد اليه كأنه يريد القول: إنك - بالله - إن كنت حرمتنا رحمتك وغيثك؛ لسوء أعمال الناس وأفعالهم، فارحم هذه الدواب التي لا ذنب لها[٢]، والتي ضجّت وعجّت من شدة المحل والعطش، حتى أنّت على أولادها وحنّت. وهذا التوجيه يسوغ لنا ابتداء الإمام واستهلال كلامه في هذهِ الخطبة بذكر حال الأنعام ووصف ماجرى عليها من الجدب. ولهذا ورد في الفقه استحباب إخراج البهائم في صلاة الاستسقاء[٣]. وقد أخذ الفقهاء هذا الأمر - كما يبدو - من قول النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): ((**لَوْلا بَهَائِمُ رُتَّعٌ، وَصِبْيَةُ رُضَّعٌ، وَشُيُوخٌ رُكَّعٌ؛ لَصَبَّ عليكم العَذَابَ صَبّاً**))[٤]. علاوة على هذه الفكرة الاسلامية؛ فقد كان من عادة العرب إخراج البهائم والاستسقاء بها في المحل. فكانوا يجتمعون ويجمعون ما يقدمون عليه من بقرٍ ودواب، ويصعدون بها الجبال، ثم يعقدون في أَذنابها أغصان الشجر، ويشعلون فيها النار، ويضجون بالدعاء والتضرع ليسقط المطر، ومن ثم يتركون قطيعهم يهبط إلى السفوح. كأنهم يتفاءلون - بهبوطها - بالسقيا والاستمطار[٥].

(١) ينظر: تاج العروس (أنن): ٣٤/ ١٩٦.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٧/ ٢٠٧.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٧/ ٢٠٧.

(٤) وسائل الشيعة: ١٥/ ٢٩١، ٣١٢، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٧/ ٢٠٧، بالنص نفسه. وقد ورد الحديث في المدونات الحديثية برواية معكوسة، وهي قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ((لولا شبابٌ خُشَّع، وبَهَائِمُ رُتَّعٌ، وَشُيُوخٌ رُكَّعٌ، واطفال رُضّع، لَصَبّ عليكم العَذَابُ صَبّاً)). السنن الكبرى (البيهقي): ٣/ ٣٤٥، ومسند أبي يعلى: ١١/ ٢٨٧، والمعجم الأوسط: ٧/ ١٣٤.

(٥) ينظر: الحيوان: ٤/ ٤٦٦، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٧/ ٢٠٧، وأنثر بولوجيه الأدب: ٣١٦.

أقـول وقـد وردت لفظـة (الحنـين) بالدلالـة المتقدمـة نفسـها في (خ/ ٥٢، ٩١) مـن النهـج.

الوَلَه

الوَلَـهُ الحنين إلى الـشيءِ، وهـو يكـون مـن الحـزن والـسرور[١]. والوَلَـهُ الحـزن أو ذهـاب العقـل مـن الحزن، والحيرة والخوف. مـن فقـد الحبيب[٢]. وناقـة ميلاه، وهـي التي فقـدت ولدهـا، فهـي تلـه إليـه. أي تحـن[٣]. وقيـل: هـي التـي تـربّ بالفحـل، فـإذا فقدتـه ولهـت اليـه[٤]. وكل أنثى فقـدت ولدهـا أوفارقتـه، فهـي والـه[٥].

ولفظتـا (وَلَـهُ) و (الوُلّـه) مـن الفـاظ نهـج البلاغـة، فقـد اسـتعملتها مـرة واحـدة لـكلٍ منهـما[٦]؛ للدلالـة عـلى النـوق التـي تحـن إلى أولادهـا وتفـزع مـن فقدهـم إذا فارقوهـا. ومـن ذلـك قولـه (عليه السلام) في سياق الحديث عـن استنهاض همـم أصحابه بعد ليلـة الهرير[٧] في (صِفّين): ((**أَيْنَ الْقَـوْمُ الَّذِيـنَ دُعُـوا إِلَىَ الإِسْـلاَمِ فَقَبِلُـوهُ؟ وَقَـرَؤوا الْقُـرْآنَ فَأَحْكَمُـوهُ؟ وَهِيجُـوا[٨] إِلى الْجِهَـادِ فَوَلِهُـوا اللِّقَـاحَ[٩] أولاَدَهَـا،**

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (وله): ٦/ ٢٢٢.

(٢) ينظر: المحكم (ولـه): ٤/ ٤٢٥، ولسـان العـرب (ولـه): ١٣/ ٥٦١، والقامـوس المحيـط (ولـه): ١/ ١٦٢١.

(٣) ينظر: لسان العرب (وله): ١٣/ ٥٦١.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (وله): ٦/ ٢٢٢، ولسان العرب (وله): ١٣/ ٥٦١.

(٥) ينظر: لسان العرب (وله): ١٣/ ٥٦١.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٩٦.

(٧) ليلة الهرير هي إحدى ليالي وقعة صفين.

(٨) هـاج الـشيءُ ثـار لِمَشَـقّة أو ضَرَر. وهاجـت الناقـة انبعثـت إلى وطنهـا. ينظـر: لسـان العـرب (هيـج): ٢/ ٣٩٥.

(٩) اللقاح الإبل التي استبان لِقَاحُها، وهو حَمَلُها. ينظر: العين (لقح): ٣/ ٤٧.

وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا...))[١]. والنص تفصيل لوصف أَصحابه الذين ما خالفوا أمر الإسلام وقبلوه بإحكام الرأي، والالتزام بأوامره ونواهيه. بعدما قرأوا القرآن وأحكموا شرائعه، واحلّوا حلاله، وحرموا حرامه. ثم هيجوا وثاروا للجهاد؛ دفاعاً عن الاسلام فولهوا إليه وَلَهَ الناقة الحلوب إلى أولادها وفزعوا اليه فزعها اليهم[٢]، والوَلَه - كما تقدم - الحنين والحزن لفقد حبيبٍ، فكأن وَلَه هؤلاء الذين يذكرهم الإمام إلى الحرب كـ (وَلَه) الناقة اللقاح، وهي الناقة الحلوب القريبة العهد بالنتاج[٣]. وقد استعمل الإمام مفردة (وَلَه) في هذا السياق للدلالة على عدم قدرة الناقة على فراق أولادها، ولاسيما إذا كانت لقاحاً قريبة العهد بالنتاج؛ فيكون حنينها شديداً إلى ولدها. وقد جاء هذا المعنى على جهة تشبيه أصحابه بهذا النوع من الإبل. ووجه الشبه شدة الشوق، والرغبة في الجهاد، وسرعة إجابتهم لدعوته (عليه السلام). وثمة وجه آخر لكلامه (عليه السلام) أعلاه؛ فذكرا أن أصحاب الإمام الذين يتحدث عنهم، قد ولهوا وله اللقاح من الإبل على أولادها، وذلك بأن فرقوا بينها وبين فصيلها لأنهم اتخذوها سبيلاً وواسطة في الحرب والجهاد، ففصلوها عن أولادها على الرغم من كراهة ذلك؛ فليس من عادة العرب ركوب اللقاح أو تفريقها عن أولادها[٤]، ولكنهم خالفوا ذلك لما فيهم من رغبة في الجهاد، ونزوع إلى مجالدة الاعداء. فأجابوا دعوة الإمام اليه[٥]. إن الشرّاح الذين ذكروا هذا المعنى، اعتمدوا على رواية أخرى للنص غير الرواية

(١) نهج البلاغة: خ/ ١٢١: ٢٢٤.

(٢) ينظر: مع نهج البلاغة: ٣١٩.

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٤/ ٢٦٢، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٧/ ٨

(٤) ينظر: الديباج الوضي: ٢/ ٩٩٩.

(٥) ينظر: معارج نهج البلاغة: ١/ ٤٧٦، والديباج الوضي: ٢/ ٩٩٩.

التي وردت في ما جمعه، والرواية هي: ((...**فَوَلَّهُوا اللقّاحَ أولادَهَا**...))[١]. وبها يكون المعنى أنهم عمدوا إلى توليه الإبل الحلوب، وتفريقها عن أولادها، لأنهم جعلوها واسطة لهم يرتقونها في الحرب. وثمة موضع آخر استعمل فيه الإمام لفظة (الوُلَّه) بصيغة الجمع على (فُعَّل) للمبالغة في الحنين الإبل العجال على أولادها وذلك في سياق تشبيه حنين الزهاد، وَوَلَعِهم بالله تبارك تعالى طلباً لثوابه وخشية من عقابه وذلك في (خ/ ٥٢).

العِجَال

العَجول من الإبل الواهة التي فقدت ولدها[٢]. ويقال – على التوسع – أنّ العجول هي الواهة من النساء أيضاً، وذلك لعجلتها في جيئها وذهابها من الجزع[٣]. واستعملت لفظة (العِجَال) مرة واحدة في نهج البلاغة[٤]، للدلالة على الإبل التي فقدت فصلانها، وقد ساق الإمام هذهِ اللفظة في كلامه عن ثواب الزُّهاد، وما يفعلونه من طاعات تقريباً إلى الله تعالى. يقول أمير المؤمنين: ((**فَوَاللهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِينَ الْوُلَّهِ الْعِجَالِ وَدَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ**[٥] **الْحَمَامِ، وَجَأَرْتُمْ**[٦] **جُؤَارَ مُتَبَتِّلِي**[٧] **الرُّهْبَانِ**[٨]**، وَخَرَجْتُمْ إِلَى اللهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ، الْتِمَاسَ الْقُرْبَةِ إِلَيْهِ فِي ارْتِفَاعِ**

(١) نفسه.

(٢) ينظر: العين (عجل): ١/ ٢٢٨، ومقاييس اللغة (عجل): ٤/ ٢٣٩.

(٣) ينظر: المحكم (عجل): ١/ ٣٢٤، وتاج العروس (عجل): ٢٩/ ٢٣٨.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٩٣.

(٥) الهَدِيْلُ صوت الحمام. ينظر: لسان العرب (هدل): ١١/ ٦٩١.

(٦) الجُؤَار هو رفع الصوت مع تَضرُّعٍ واستغاثة. ينظر: لسان العرب (جأر): ٤/ ١٢

(٧) التَبّتّلِ الانقطاع عن الدنيا إلى الله تعالى، والمُتبَتّل العَابِدُ التبارك لكلِ شيءٍ، لإقبَالِهِ على العِبَادة. ينظر: لسان العرب (بتل): ١١/ ٤٢.

(٨) الرُّهْبَان جمع رَاهب، وهو المتعبّد في الصَوْمعة، وهو من النصارى. ينظر: لسان العرب (رهب):

دَرَجَة عِنْدَهُ، أوغُفْرَانِ سِيِّئَة أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ، وَحَفِظَتْهَا رُسُلُهُ، لَكَانَ قَلِيلاً فَيما أَرْجُو لَكُم مِنْ ثَوَابِهِ، وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِه))(١). بعدما فرغ الإمام من ذكر تصرم الدنيا. وتنكر معروفها للناس، والنهي الناس من الانغماس فيها. شرع بتذكير الناس أنهم لو قاموا بكل ما يستطيعون في طاعة الله تبارك وتعالى، والانقطاع إلى عبادته، لما كان ذلك قليلاً في كسب ثوابه جل جلاله. وقد أورد (عليه السلام) لهذا المعنى مفردة (العِجَال) التي تستعمل في الدلالة على النوق العجال التي تفزع بعجالة إلى لقاء أولادها إذا فقدتهم. فكأن الناس مهما فعلوا أو عملوا في طاعة الله من حنين مثل حنين الوَالِهَةِ وعِجَالِ كعجال الإبل التي يضرب بها المثل في شدة اللهفة على فصلانها إذا فقدتهم، فلا تهدأ حينئذٍ، وتبقى عَجولة تجيء وتروح من جزعها (٢). فاستعار الإمام هذهِ المفردة، لما يفعله هؤلاء الناس من وله وعجالٍ إلى ذكر الله تبارك وتعالى، والدعاء اليه بلتضرع والتبتل الذي شبهه الإمام (عليه السلام) بصياح متبتلي الرهبان الذين يشتهرون بشدة تضرعهم ودعائهم(٣).

أقول: إن استعمال الإمام لمفردات دالة على صفات في بعض الحيوانات، من الإبل، والحمام، يراد منه ضرب المثل في شدة الحنين والشوق وعدم الاستقرار في الناقة التي تفقد ولدها، فضلاً عن ضرب المثل برقة الصوت وحزنه في الحمام. فكأن الإمام (عليه السلام) يبلغهم أنهم لو حنوا كما تحن العِجَالُ إلى أولادها وأَخرجتم أنفسكم وجردتموها من حبِّ الأموال والأولاد، وعدلتم بها إلى طاعة الله وحبه لما جازيتم الله تبارك وتعالى على ما يرجى من ثوابه.

١/ ٤٣٧.

(١) نهج البلاغة: خ/ ٥٢: ٩٣.

(٢) ينظر: المحكم (عجل): ١/ ٣٢٤.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣١٦.

١٧ـ مناخ الإبل وعرجها

أنَاخَتْ

النَّـوْخُ إِنَاخَـة الإبـل وبروكهـا[١]. وأَنـاخ الإبـل إذا أَبْرَكهـا[٢]. وأَنَخْـت الدابـة، أبْركتُها لركوبها[٣]. وتَنَوَّخ الفحل الناقة، إذا أبركها للسفاد و الضراب[٤]، واستناخها أبركها، ثـم ضربهـا[٥]. والمُنَـاخ - بالضـم - الموضـع الـذي تنـاخ فيـه الإبـل، وهـو مبركها الـذي تقيم فيـه[٦]. وقد تضمن كلام الإمام علي في نهج البلاغة ورود الفاظ (أناخَتْ) و (مُنَاخ) و (مُنَاخه) و (مِنيْخُون)، فقد استعملت جميعاً مرة واحدة في نهج البلاغة[٧]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على الإقَامةِ ومَقَرِّها.

ومن ذلك قوله (عليه السلام) متحدثاً عن حال العرب قبل بعثه النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): ((**إِنَّ اللهَ سُبحانَه بَعَثَ مُحَمَّداً (صلى الله عليه وآله وسلم) نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ العَرَبِ عَلَى شَرِّ دِين، وَفِي شَرِّ دَار، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجارَة خُشْن[٨]، وَحَيَّات صُمّ[٩]**...))[١٠].

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (نوخ): ٥/ ٣٦٨.

(٢) ينظر: لسان العرب (نوخ): ٣/ ٦٥.

(٣) ينظر: تاج العروس (نوخ): ٧/ ٣٦٢.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (نوخ): ٧/ ٢٣٩، ولسان العرب (نوخ): ٣/ ٦٥.

(٥) نفسه.

(٦) ينظر: تهذيب اللغة (نوخ): ٧/ ٢٣٩، ولسان العرب (نوخ): ٣/ ٦٥.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٦٠.

(٨) الخُشْن الحجارة الغليظة. ينظر: لسان العرب (خشن): ١٣/ ١٤٠.

(٩) أصل الصمم اشداد الأذُنِ، ومن الحيّات ما لايقبل الرُّقْيَة، كأنه قد صُمّ عن سماعها. ينظر: لسان العرب (صمم): ١٢/ ٣٤٢، ٣٤٤.

(١٠) نهج البلاغة: خ/ ٢٦: ٥٩.

والنص في وصف العرب قبل بعثة النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولهذا أراد أن يوازن للمخاطبين بين حالهم قبل البعثة، وبعدها فجعل دارهم (**شَرّ دارٍ**)، إشارة إلى أن إقامتهم في ذلك الوقت ما كانت إلاّ بين الأرض الخشنة الغليظة، وبين الأمم من الحيات الشديدة اللدغ، التي لا تعاذ بشيء من الرقي والتعأويذ. واستعماله (عليه السلام) لفظة (مُنِيْخُوْن)؛ للدلالة على مكان إقامتهم واستقرارهم في تلك الدور فيها إشارة على أنهم لم يفارقوا هذهِ الأماكن، وما تعلموه فيها من عاداتٍ وتقاليد منكرةٍ لا يرتضيها الاسلام، وقد ذكر الإمام منها سفك الدماء، وقطع الأرحام، وعبادة الأصنام المنصوبة بينهم، حتى صارت الآثام جزءاً من حياتهم يعتصيون بها. يقول (عليه السلام): ((... **وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ، وَالآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ**))[١]. فكأن الإمام (عليه السلام) يوميء بكلامه المتقدم أنهم أقاموا هذهِ العادات والأفعال المشينة، كما تقيم الإبل في مناخها الذي تبرك فيه. وتتخذه مقراً لها يشتمل على كل ما يصدر عنها من فضلاتٍ وبعرٍ وأَبوال. فكأنما العرب قبل البعثة كانوا كالإبل المقيمة في مباركها، تحيط بها الأبعار والأبوال، في الإشارة إلى قذر ما يحط بهم من سيئِ الأفكار والتقاليد غير المناسبة للقيم الإسلامية وقد أشار ابن أبي الحديد إلى أن قول الإمام: ((**مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجارَة خُشْن، وَحَيَّات صُمٍّ**)) يحتمل الحقيقة. فإن البوادي التي كان يقيم فيها العرب في الحجاز ونجد وتهامة ذات حياتٍ وحجارة خشن من جبال أو أصنام وغيرها، ووصف الإمام لذلك يظهر ما كان عليه العرب من بؤسٍ وشظف وسوءِ عبادة فأبدلهم الله تعالى ريف الأرض ولين المهاد، فضلاً عن عبادته جل جلاله بدلاً من عبادة الاصنام[٢]. ويجوز أن يكون المعنى على المجاز، فَإِنَاخَتِهِم بين الحيات الصم

(١) نفسه.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٢/ ١٨.

يتضمن إشارة إلى إقامتهم بين الأعداء؛ لأن العرب كانوا يتقاتلون بعضهم مع البعض الآخر يضمر بعضهم للبعض الآخر الخصام[١]، وقد أختار ابن أبي الحديد المعنى المجازي، جاعلاً منه المعنى الأَحسن[٢]. وعندي أن الجمع بين الاحتمالين للنص أولى من التفريط بينهما وتغليب المجاز على الحقيقة، فليس ببعيد أن يكون الإمام (عليه السلام) قد أشار إلى واقع حال العرب على نحو الحقيقة، ومن ثم رمز به إلى سوء هذا الموقع من خلال ذكر مفردات تدل في حقيقتها على قسأوة عيشهم، ومن بعد ذلك تجوّز بها إلى معنى الإقامة على العدأوة والبغضاء فيما بينهم. فجاء السياق – حينذاك – دالاً على الذم والتوبيخ من قسوتهم وغلظتهم[٣]. وقد استعمل الإمام (عليه السلام) لفظة (مُنَاخ) بالدلالة المتقدمة نفسها – أعني الاقامة والمكث في المكان – وذلك في إشارة إلى مستقر الفتنة في (خ/ ٩٣)، والى المقيم في الدنيا وهو زاهد فيها، وراغب عنها إسارة إلى مكان اقامته واستقراره في (ك/ ٤٥).

ثانياً: الدلالة على وَضْعِ الأحمال والأثقال.

وقد استعمل الإمام (عليه السلام) لهذه الدلالة مفردة (أَنَاخَتْ)، في وصف حال الدنيا وما تلقيه من أثقال على الناس. يقول (عليه السلام) في سياق التحذير منها: ((**فَاللهَ اللهَ عِبَادَ اللهِ! فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَن**[٤]**... وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلَازِلِهَا، وَأَنَاخَتْ بِكَلَاكِلِهَا، وَانْصَرَمَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا...**))[٥]. يريد التحذير من الدنيا وإهلاكها للناس، من خلال سوقها لهم على جهة ومحجة تشابه محجة من سبق.

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٢٤٥.

(٤) سَنن الطريق جِهَتُه ومَحَجَّتُه. ينظر: تاج العروس (سنن): ٣٥/ ٢٣٢.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ١٩٠: ٣٥٣.

منهم وذلك بأن تلقى عليهم الثقال والأهوال والمتاعب. وهو ما عبر عنه أمير المؤمنين بـ(أَنَاخَتْ بكلاكلها) مستعملاً لها مفردات خاصة بالإبل، فالنوخ هو إبراك الجمل[(١)]. وإقعاده على الأرض والعرب تنيخ الإبل لأغراضٍ ثلاثة: فإما أن تُنَاخ لغرض إراحتها من التعب بعد طول السفر وثقل الأحمال، أو أن تُناخ لغرض ركوبها فتبرك لذلك الغرض، أو أن تُسْتَنَاخَ للفحل من الإبل للسفاد والضراب، ويكون ذلك بإبراكها ثم ضرابها. قد صور الإمام (عليه السلام) الدنيا بهيئة الجمل الذي أَنَاخَ نفسه ليريحها بعد ثقل أحماله؛ فأوطأ كلكله الأرض ليسحق ما وطأه بصدره. جاعلاً الدنيا شبيهه - في هذا الوجه - بالجمل البارك بصدره في الأرض ساحقاً ما تحته، وهكذا حال الدنيا التي تبرك على الإنسان لتريح نفسها، وتثقل البشر بالهموم والمتاعب والآلام.

تَبْرك

بَرَكَ البعير يَبْرك بروكاً، إذا استناخ[(٢)]. وبَرَكَ البعير بالأرض، ألقى صدره عليها[(٣)]. وهو كلكله الذي يدوك به الشيء تحته[(٤)]. والبُرك الإبل البروك الباركة الكثيرة التي تشرب الماء، ثم تبرك في المعاطن، أو بالفلاة من حر الشمس أو من الشبع[(٥)]. ويقال لهذه المعاطن التي تنيخ فيها الإبل المبارك[(٦)].

---

(١) ينظر: تاج العروس (نوخ): ٧/ ٣٦٢.

(٢) ينظر: لسان العرب (برك): ١٠/ ٣٩٦، وتاج العروس (برك): ٢٧ / ٥٩

(٣) أنفسها.

(٤) ينظر: العين (برك): ٥/ ٣٦٧، وتهذيب اللغة (برك): ١٠/ ١٢٩.

(٥) ينظر: مقاييس اللغة (برك): ١/ ٢٢٨، والمحكم (برك): ٧/ ٢٤.

(٦) ينظر: لسان العرب (برك): ١٠/ ٣٩٧.

وجاءت لفظة (تَبْرك) مرة واحدة في نهج البلاغة[١]؛ للدلالة على ما شبع من الأنعام التي تسرح وترِد، ثم تَبْرُك في المعاطن طلباً للراحة، وذلك في سياق التعجب والانكار الذي ساقه أمير المؤمنين (عليه السلام) لبيان زهده وتقوته وورعه عما لا تستطيبه نفسه من الملذات الدنيوية: ((**أَتَمْتَلِءُ السَّائِمَةُ مِنْ رِعْيِهَا**[٢] **فَتَبْرُكَ؟ وَتَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ**[٣] **مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ؟ وَيَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعَ**[٤]**؟ قَرَّتْ إِذاً عَيْنُهُ إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السِّنِينَ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ، وَالسَّائِمَةِ الْمَرْعِيَّةِ**))[٥]. فلما كان الإمام يتحدث فيه عن زهده وتقواه وورعه، لهذا نفي أن يكون الإنسان مثل الأنعام السائمة التي تملأ بطونها من الكلإِ والعشب والماء فتبرك وتَرْبض في الأرض، لا هم لها سوى إشباع بطنها، فإن الإنسان لم يخلق لهذا الأمر، وغاية خلقه ليس كغاية خلق البهائم المرسلة. وإنما أجرى الإمام (عليه السلام) الحديث على نفسه؛ لأنه لا يطيب له أن يكون كغيره من الناس الذين لا يهمهم شيء في الدنيا سوى الأكل والشراب، والهجوع والسكون. فيكون هذا جل شغلهم وغايتهم في الحياة الدنيا. وبهذا يكون مثلهم وقدوتهم في ذلك البهائم المرسلة التي لا راعي لها.

أقول: وفي استعماله (عليه السلام) مفردة (تَبْرُك) إشارة إلى ما تصنعه الإبل عند امتلاء بطونها وشبعها من الكلإِ والماء، فتسارع - عند ذلك - إلى البُرُوْك والاستناخة ملقية كلكلها على الأرض في معاطنها، قريبة من حياض الماء، أو في مَبَارِكَها

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٥١.

(٢) الرِّعْي – بكسر الرّاء – الكَلَأُ. ينظر: تهذيب اللغة (رعي): ٣/ ١٠٣.

(٣) الرَّبِيْضَةُ هي الغَنَمُ التي تَرْبُض في مَوْضِع إيوائها. ينظر: لسان العرب (ربض): ٧/ ١٤٩.

(٤) الهُجُوع النَّوْم، وقيل: هو النَوْم بالليل خاصة. ينظر: لسان العرب (هجع): ٨/ ٣٦٧.

(٥) نهج البلاغة: ك/ ٤٥: ٥٣٥.

المخصصة لها[١]. رغبةً في الراحة وفراراً من حر الشمس. فكأنها ثبتت وأقامت في هذهِ المواضع. وذلك مأخوذ من معنى (البَرْك) وهو الثبوت في الموضع والإقامة فيه[٢]. وهذهِ الصفة إذا كانت محمودة في الإبل وغيرها من الدواب، فإنها غير مقبولة في الإنسان ألبتة، وروت من الماء، وذلك أنّ الإبل السائمة إذا رعت ورويت من الماء، فإنها تناخ لتراح لغرض إسمانها والإفادة من درها، فتصير من الإبل (البَارِكَة) أو (البَرْكة) - كما يُسَمُّوْنها - وهي التي تدر لبنها عند بَارِكَةٌ؛ بسبب من شبعها وامتلائها؛ فيضطر صاحبها إلى أن يقيمها ويحلبها[٣]. دلالة على بَرَكَتِها ونماء درها. فضلاً عما تفيده هذهِ الإبل في السير الطويل، وتحمل المشاق. في حين أن الإنسان الذي يكون بهذهِ الحالة يعد مذموماً لا قيمة له. ولهذا استعمل الإمام (عليه السلام) صيغة الدعاء بـ (قَرّ العَيْن)، تحسراً واستهزاء على الحال التي يكون عليها الإنسان في حياته. و (قَرّت العَيْن)[٤] هو دعاء ببرود العين وانقطاع بكائها ودمعها. كأن الذي يصبح حاله مثل حال تلك البهائم، يكون خالياً من الشعور والاحساس الذي يمتاز به الإنسان عن الدواب، فلا يتحسر -حينذاك- على حاله، وينقطع بكاؤه مما صار إليه.

العُرْجَة

التُّعْرِيْج حبس المطية في موضع أو مُنَاخٍ يميلهاإليه[٥]. وعَرَجت عليه حبست

---

(١) ينظر: لسان العرب (برك): ١٠/ ٣٩٧.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: المحكم (برك): ٧/ ٢٤.

(٤) نفسه: (قرر): ٦/ ١٢٢.

(٥) ينظر: العين (عرج): ١/ ٢٢٣، ومقاييس اللغة (عرج): ٤/ ٣٠٢.

مطيتي عليه[١]. وقد وردت لفظة (العُرْجَة) مرة واحدة في نهج البلاغة[٢]، للدلالة على حبس الإنسان نفسه والقائها على الدنيا. وذلك في سياق نصحه (عليه السلام) لأصحابه إذ يقول: ((**تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللهُ! فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ، وَأَقِلُّوا الْعُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا**...))[٣]. والخطاب تذكير لهم بأنهم على وشك الرحيل إلى الله جل جلاله، فلابد لهم من التجهز والاستعداد والتزود لهذا اليوم بالأعمال الصالحة. وعدم الركون إلى الدنيا والانخداع بها؛ لأنّها فانية زائلة. فاستعمل الإمام مفردة (العُرْجة) للاشارة إلى حبس الإنسان نفسه، وتعرجه على الدنيا الفانية من خلال ولعه بها وبلذاتها، تشبيهاً لها بالمطية التي يعرج بها في موضعٍ ما، إذ يحبسها صاحبها عنده، ويميلها اليه طلباً للراحة وغيرها، في حين أن هذا التعريج لا يكون مقراً دائماً لها. وكذلك الإنسان الذي أمره الإمام (عليه السلام) بالإقلال من العُرْجَة على الدنيا؛ لأنها ليست مقره الأصيل الدائم.

١٨ـ أخفاف الإبل ومناسمها

خُفّ

الخُف هو مجمع فرسَن البعير والناقة[٤]. وهو مخصوص بالإبل والنعامة؛ فليس في الحيوان شيء له خف إلاّ البعير والنعامة[٥]. وإنما ساووا بين خُفّ النعامة والبعير؛ للتشابه بينهما[٦]. وقد وردت لفظة (خُفّ) بصيغة المفرد والجمع (أخفافها) مرة

(١) ينظر: مقاييس اللغة (عرج): ٤/ ٣٠٢.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٩٨.

(٣) نهج البلاغة: خ/ ٢٠٤: ٤٠٤.

(٤) ينظر: لسان العرب (خفف): ٩/ ٨١.

(٥) ينظر: جمهرة اللغة (خفف): ١/ ١٠٦.

(٦) ينظر: لسان العرب (خفف): ٩/ ٨١.

واحدة في نهج البلاغة[١]، للدلالة على الأذى الذي يصيب الناس من الفتن. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق كلامه على الفتن الذي انجذم فيها حبل الدين: ((... **وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ... وَالنَّاسُ فِي فِتَنٍ انْجَذَمَ[٢] فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ... أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ، وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ، وَقَامَ لِوَاؤُهُ، فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ[٣] بِأَخْفَافِهَا، وَوَطِئَتْهُمْ[٤] بِأَظْلَافِهَا[٥]...**))[٦].

والسياق - هنا - سياق حديث عن الفتن وأذاها للناس وقطعها لحبائل الدين والعلاقات الإنسانية بين بني البشر. فاستعار (عليه السلام) لهذهِ الفتن مفردة (أَخْفَاف) في تركيب الاستعارة المكنية، للدلالة على أدقَّ هذه الفتن للناس وايذائهم بغرز اقدامها الدقيقة فيهم هي فراسن البعير، جاعلاً هذهِ الفتن بمنزلة الدواب، التي تسحق الناس بأقدامها، وقد نوع (عليه السلام) بين هذهِ الدواب، فاستعمل لدوس الإبل لفظ (أَخْفَافها)، جاعلاً منها بهيئة البعير الذي يدوس الاشياء التي يمر بها مسرعاً باخفافه، مثلما وظّف لفظ (الأظلاف)، وهي أظافر البقر وغيرها من الشاء التي تطأ الأرض وما عليها بأقدامها فتحدث الخراب في ما تطؤوه. إن هذا التنوع في الاستعارة من تشبيه الفتن بأنواع مختلفة من أرجل الدواب وأقدامها، يشير إلى تنوع هذهِ الفتن وتنوع أصحابها وحملة راياتها؛ فمنهم من هو بغلظة خُفِّ البعير، وبضخامة جسده إذا هاج وأسرع، فيسحق ما يلاقيه ومن يلاقيه مهما كان، ومنهم

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٤٠.

(٢) الجَذْم القَطْع. ينظر: لسان العرب (جذم): ١٢/ ٨٦.

(٣) الدَّوْسُ شِدَّةُ وَطءِ الشيءِ بالأقدام والحوافر. ينظر: لسان العرب (دوس): ١٦/

(٤) وَطَأَ الشيء يطؤُه إذا داسَهُ. ينظر: لسان العرب (وطأ): ١/ ١٩٥.

(٥) الأظْلَاف جمع ظِلْف، وهو ظفر كل ما اجترَّ من البقر والشاء والظّبي. ينظر: لسان العرب (ظلف): ٩/ ٢٢٩.

(٦) نهج البلاغة: خ/ ٢: ٢٦.

من هو بمنزلة الشَّاء وغيرها التي إذا وطأت الأرض، أغرزت أقدامها الرفيعة الأظلاف فيها. ولو وازنا بين خُف البعير، وظلف الشاء والمعزى، لوجدنا فارقاً كبيراً في الحجم بينهما. والغاية في ذلك التعبير إظهار شدة الأذى الذي تسببه هذهِ الفتن فأخفاف البعير تفيد في الدلالة على انطباع الناس بها وجعلهم بهيئتها، في حين أنّ (الأضلاف) توحي في الدلالة على دقة الأذى وشدّته. وقد استعمل الإمام (عليه السلام) مفردة (خُفٍّ)؛ للدلالة على قدم البعير بل الدلالة على الدابة من الإبل التي لا تعيش أو تنمو في أرض بيت الله الحرام، وذلك في (خ/ ١٩٢).

المَناسِم

المَنْسِم طرف خُفِّ البعير[١]. ومَنْسَما البعير، كالظفرين يقعان في مقدم خُفه، يستبان بهما أثر البعير الضال[٢]. ولكل خُفٍّ من البعير مَنسِمَانِ[٣]. ولفظة (المَنَاسِم) من مفردات نهج البلاغة التي استعملت فيه مرة واحدة[٤]؛ للدلالة على مقدم خُفِّ البعير، الذي وظّفه الإمام (عليه السلام) لتشبيه الدنيا، وذلك في سياق كلامه عنها وما تفعله بالناس؛ إذ يقول الإمام: ((**فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ**[٥]**؟ أو أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ؟ أو أَحْسَنَتْ لَهُمْ صُحْبَةً؟ بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ**[٦] **بَالْفَوَادِحِ**[٧]...

---

(١) ينظر: العين (نسم): ٧/ ٢٧٥، وتهذيب اللغة (نسم): ١٣/ ١٦، ولسان العرب (نسم): ١٢/ ٧٤.

(٢) ينظر: العين (نسم): ٧/ ٢٧٥، وتهذيب اللغة (نسم): ١٣/ ١٦.

(٣) تهذيب اللغة (نسم): ١٣/ ١٦.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: خ/ ١١١: ٢٠٨.

(٥) الفِدْيَة، الفِدَاءِ بالنفس أو بالمالِ وغيره. ينظر: تاج العروس (فدي): ٣٩/ ٣٢٠.

(٦) الرَّهق غِشيانُ الشيءِ، وارهقتهم الطغيان إذا غشيتم. ينظر: لسان العرب (رهق): ١٠/ ١٢٩.

(٧) القَوَادِحُ جمع قَدْح – بفتح فسكون – وهو إكمالٌ وعَفَنٌ في الشَّجر والأسنان. ينظر: تاج العروس (قدح): ٧/ ٤٠.

وَعَفَّرَتْهُمْ لِلْمَنَاخِرَ، وَوَطِئَتْهُمْ بَالْمَنَاسِمِ...))(١). والنص في ذم الدنيا والتنفير منها، ولهذا استهله الإمام بالاستفهام الذي أُخرج لغرض التهكم والاستهزاء، للدلالة على عدم سخاء الدنيا للناس، وإعانتهم بأية معونة أو إحسان، فكل همها ايذاؤهم الذي عبر عنه الإمام بـ (عفرّتهم للمناخر)، فكأنها أذلتهم بإرغام أنوفهم بالتراب. واستعار لها الإمام لفظ (المَنَاسم) تشبيهاً لها بالبعير الذي يطأ ما يلاقيه بأخفافه، أو بمقدم خُفّه، كأنه (عليه السلام) أراد بهذا التعبير إظهار الشدة في إذلال الدنيا للناس وإيذائهم؛ لأن منسم البعير إما أن يدل على خُفِّه، فيكون المراد السحق بالخُفِّ، أو أن يكون المعنى أن الدنيا طبعت إهانتها ووطئها لبني البشر المخدوعين بها على وجوههم حتى بدت آثار مناسمها عليهم، وخلفت ذلك في أشكالهم. مثلما تطبع مناسم البعير على وجه الصحراء الآثار فيعرف منها الجمل الضال. فإن قيل من فعل بالناس هذاهِ الأفعال من إذلالٍ ومرضٍ ومحنٍ. قيل: الدنيا، وذلك من خلال آثار وطئها وعلامات إذلالها.

١٩ـ ما يُعْتمل عليه من الإبل

مطايا

المَطِيّة الدابة التي تَمْطو في سيرها. وتمد(٢). وقد خص اللغويون المَطِيّة بـ (النَّاقة) التي يركب ظهرها (٣). أو البعير الذي يُمْتَطَى ظهره(٤). وقد شاع استعمال لفظة

(١) نهج البلاغة خ/ ١١١: ٢٠٨.

(٢) ينظر: المحكم (مطو): ٩/ ٢٤٨، ولسان العرب (مطا): ١٥/ ٢٨٥، وتاج العروس (مطو): ٣٩/ ٥٤١.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (مطي): ١٤/ ٣٢، والنهاية في غريب الحديث: ٤/ ٤٣٠، وتاج العروس (مطو): ٣٩/ ٥٤١.

(٤) ينظر: تاج العروس (مطو): ٣٩/ ٥٤١.

(مَطِي) في نهج البلاغة بصيغة الجمع والمفرد؛ فقد استعملت لفظة (مَطَايا) بصيغة اسم الجنس الجمعي خمس مرات. ولفظة (المَطِيَّة) بصيغة المفرد أربع مرات مجردة من الضمير، ومرة واحدة مضافة إلى ضمير الغائب[(١)]. ولم يستعمل الإمام (عليه السلام) الألفاظ المتقدمة بدلالتها على الدابة حقيقة، وإنما استعملها بدلالات أخرى. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق الحديث عن (التَّقْوَى): ((**أَلاَ وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ، حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وَأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا، فَأَورَدَتْهُمُ الجَنَّةَ...**))[(٢)]. فشبه التقوى بـ (المطايا) باعتبار كونها مما يتيسر امتطاؤه، ويسهل ركوبه لأصحابه وقادتها من الذين يعرفون (التقوى) وتعرفهم، فليس لأحد أن يكون تقياً إلا إذا كان لديه استعداد ومقدرة لأن تتمكن منه (التقوى)، ويكون فارسها ومن يمتلك زمام قيادها، فتسير بهم إلى الجنة. وذلك كله أشبه بحال من يركب المطية، فتحمله وتنتهي به إلى حيث يريد. ولهذا شبه الإمام التقوى بـ (المطايا) بجامع السهولة والامتداد في السير. أضاف هذه الفكرة الدلالة على الخضوع وعدم الصعوبة، بقرينة لفظة (ذُلُل) التي تدل على تلك المعاني[(٣)]. ساق (عليه السلام) التعبير المتقدم في سياق الحث على التقوى وكونها مما يسهل اعتناقه على الناس، وإنها التي تقود إلى الجنة، في قبالة (الخطايا) التي شبهها بـ (الخَيل الشُّمُس) في قوله: ((**أَلاَ وَإِنَّ الخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُها، وَخُلِعَتْ لُجُمُهَا فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ**))[(٤)]. فجعل مفردة (المِطايا) بإزاء (الخَيْل)، كأنهما ضدان أحدهما نقيض الآخر؛ فضلاً عن استعماله المفردتين بصيغة الجمع في إشارة إلى تعدد أسباب كل منهما وسبله التي تقود اليهما، (فالتقوى) لفظ مفرد

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٢٣.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ١٦: ٤٤.

(٣) ينظر: لسان العرب (ذلل): ١١/ ٢٥٧.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ١٦: ٤٤.

أخبر عنه الإمام بلفظ الجمع (مطايا)، وهو اسم جنس خاص بالجمع، في إشارة منه (عليه السلام) - فيما يبدو - إلى تعدد هذه المطايا التي تمثل وسائط توصل المتقين إلى الله تبارك وتعالى. ومصاديق ذلك متعددة، فمثلما جعل (الخَيْل) الصعاب الجموح وسائط إلى النار. فكذلك (المطايا) التي كنّى بها عن سبل الخير والتقى، بإزاء (الخَيْل) التي دلّت على وسائل الشر المهلكة. أقول: ونظير هذا الاستعمال ما ورد في (ك/ ٣١) الذي استعمل فيه الإمام لفظة (مطِيّته) و (المطيّة) بصيغة المفرد في (خ/ ٧٦، ١٩٨، ك/ ٣١، قصا/ ٣٧١)، في حين وردت لفظة (مطايا) بلفظ الجمع بالدلالة على الواسطة التي تتخذ سبيلاً إلى القرب من الحق جل جلاله، وذلك في (خ/ ١٨٥، ١٩٢، ٢٢٣، ك/ ٣١).

زَوامل

الزَّاملة البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع[١]. وزَمَلت الدابة في عدوها، إذا تحاملت على يديها بغياً ونشاطاً[٢]. والزَّامِل من الدواب الذي يَظْلُع في سيره[٣]. وجاءت لفظة (**زَوَامل**) بصيغة الجمع مرة واحدة في نهج البلاغة[٤]؛ للدلالة على الإبل التي يحمل عليها الطعام والمتاع وذلك في قوله (عليه السلام) الذي يتحدث فيه عن انتقام الله تبارك وتعالى من الأُمويين، الذين يصفهم بـ ((**مَطَايَا الخَطِيئاتِ، وَزَوَامِلُ الآثام**))[٥]. ولفظتا (مَطَايا)، و (زَوَامل)، تدلّان على تشبيههم بالإبل التي يحمل

(١) ينظر: العين (زمل): ٧/ ٣٧١، وتهذيب اللغة (زمل): ١٣/ ١٥٢.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: المحكم (زمل): ٩/ ٥٥، ولسان العرب (زمل): ١١/ ٣٠٩.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٠٢.

(٥) نهج البلاغة: ١٥٨: ٢٧٩.

عليها[١]، فهم مطايا للخطيئات فهم كمن يستمد منهم الذنوب والمعاصي فهم مصدرها وموردها. وقد وظّف (عليه السلام) مفردة (زَوَامل)؛ لاظهار معنى انتقال هذه الآثام من موضعٍ إلى آخر. كما تنتقل الدابة في ارتحالها من مكان لآخر في إشارة انتقال مضرتها وأذاها من محل إلى آخر مع السرعة في هذا الانتقال، ويستفاد ذلك من دلالة مفردة (زَمَلَ) على العدو السريع الذي تتحامل على يديها في دلالة على نشاطها كما يذكر اللغويون[٢]. ولم تخلُ هذهِ المفردة من معنى الانحطاط الذي أكسبها إياه السياق، ففي اللغة أن الزَّامل من الإبل هو البعير الذي في مشيته غمز، كأنه يظلع في سيره[٣]. ويفهم من هذا أن مسيرة الأمويين عرجاء ظالعة؛ لا استقامة فيها فكأن الإمام (عليه السلام) يومئ - بهذا - إلى عدم عدلهم و (شرعية) دولتهم التي أقاموها على الظلم والقتل والإرهاب ولهذا وصفهم بـ (زَوَامل الآثام) إشارة إلى حملهم الذنوب من ظلم الرعية ونهب أموالهم وتشريدهم. وتستعمل لفظة (زُمَال) في لهجة جنوب العراق ووسطه للدلالة على (الحِمَار الأَهْلي)، وهو المسمى بـ (المُطِيِّ) أيضاً. وهو من أرذل الدواب صوتاً وخلقاً. حتى أنهم إذا أرادوا أن يذموا شخصاً شبهوه بـ (الزّمال): من جهة سوء الخلق وعدم الفهم. وهذه المفردة - أعني زوامل - من اشتقاقات مادة (زَمَل). ويذكر المعجميون أن مفردة (زَمَال) تدل على الضعيف الجبان والرذل من الناس[٤]. وهذهِ الدلالات تعزز - عندي - معنى الذم، واجتماع الخصال السيئة في الأمويين، الذي يتضمنه كلام الإمام (عليه السلام).

---

(١) ينظر: مع نهج البلاغة: ١٩٥.

(٢) ينظر: العين (زمل): ٧/ ٣٧١، وتهذيب اللغة (زمل): ١٣/ ١٥٢.

(٣) ينظر: المحكم (زمل): ٩/ ٥٥، ولسان العرب (زمل): ١١/ ٣٠٩.

(٤) ينظر: لسان العرب (زمل): ١١/ ٣١١.

المبحث الثاني
ألفاظ الخَيْل ومتعلقاتها

١ـ اللجام وأدواته

لَجَم

اللِّجَام للدَّابَّة معروف، وهو حَبْل أو عصا يدخل في فمها، ويُلْزَق إلى قفاها[١].

وذُكِر في وصف (اللِّجَام): أنّه الحديدة التي توضع في فم الفرس فحسب، ولكن لَّما كثُر في كلامهم، سموا اللِّجام بِسيُوْره وآلَته لجاماً. ومنه (الشّكِيْمَة)، وهي الحديدة المعترضة في الفَم، و(الفَأس) وهي الحديدة القائمة في الفَمِ، والمِسْحَلُ، وهي حديدة توضع تحت الحَنَك، و (الخُطَّافانِ)، وهما حديدتان مُعْوَّجَتانِ في (المِسْحَل والشّكيمة) من عن يمين وشمال، والفَرَاشتان، وهما حَدِيْدَتَان تُشد بهما أطراف (العِذَارين) و (الحَكَمَة)، وهي حَلَقَةٌ تحيط بالمِرْسَن والحَنَكِ من فِضّةٍ أو حَديد. فهذه هي صورة اللّجام عندهم[٢].

وللغويِّين موقف من عروبة هذه الكلمة، فقد ذهب بعضهم إلى أنها غير عربية، وأنها من الألفاظ الأعجمية الفارسية المعرّبة وفي رأس هؤلاء سيبويه [٣] الذي نفهم من ذكره هذه المفردة في كتابه القول بِعُجْمتِها [٤]. والزبيدي [٥]. في

(١) ينظر: العين (لجم): 6 / 138، والمحكم (لجم): 7/ 452.

(٢) ينظر: تاج العروس (لجم): 33 / 399.

(٣) ينظر: كتاب سيبويه: 3/ 234، ولسان العرب (لجم): 534/ 12.

(٤) ينظر: المعرب: 2/ 242.

(٥) ينظر: تاج العروس (لجم): ٣٣ / ٣٩٩.

حين اكتفى كل من ابن دريد والجواليقي، والفَيّومي (ت٧٧٠ هـ) بالإشارة إلى مواقف اللغويين منها، ذاكرين أنّ منهم مَنْ يقول أنها عربية، وآخرون يرون أنها معرّبة[١]. وأشار صاحب (المعرَّب) أنها بالفارسية (لِغَام)[٢].

أقول: ويبدو من اشتقاقات هذا اللفظ واستعمالاته في اللغة العربية أنه لفظ عربي، وقد رجح هذا الرأي الأستاذ أحمد محمد شاكر معتمداً على تصاريف هذه الكلمة أيضاً[٣]. واستعملت لفظة (أَلْجَم) مرتين في نهج البلاغة. في حين جاءت ألفاظ (أَلْجَمَهُم) و (لِجَامُها) و (لُجُم) و (لُجُمُهَا) و (مُلْجَم) مرة واحدة في النهج[٤]. للدلالة على اللّجَام الذي يستعمل في الخَيْل ليربط به العِنَان، لتكون سهلة القياد، فضلاً عن منعها من الانشغال بالأكل والعَضِّ وغيرها مما يُشْغل الدّابّة عن السَّيْر. وقد استعار الإمام هذه المفردة، ووظّفها في سياقات لتشبيه من وُصِف بها بالدَّابَّة المُلْجمة. ومن ذلك قوله في بيان حال النّاس قبل بعثة النبيّ من الذين أطاعوا الشيطان في الفتن، إذ يقول: ((**أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ، فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ، وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ... فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا، وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا، وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا، فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ... بِأَرْضٍ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ وَجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ**))[٥]. يشير (عليه السلام) إلى أنّ عَالِمَ هذا الزمن مُلْجَم، قد أُسْكت مُرْغماً كَمَن قد وُضع في فمه اللّجام؛ لمنعه من قول الحقّ. ولمّا كان سياق النص يتحدث عن حال الناس في الجاهلية قبل بعثة النبّي الأكرم، فلهذا ناسب أن يكون إلْجَام العالم مراداً به عدم

(١) ينظر: جمهرة اللغة (لجم): 491/ 1، والمعرب: 348، والمصباح المنير: 549/ 2.

(٢) ينظر: المعرّب: 348.

(٣) نفسه. هامش (3).

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: 407.

(٥) نهج البلاغة: خ / 2: 26، 27.

مقدرة مَنْ عَرَف صدق النبي الأكرم، وصدق نبوّته وبعثته والإيمان به التصريح بذلك[١]، كأنه مُلْجم كالجواد الذي يمنع من الحراك والقياد إلا بإلجامه. ونظير هذا الاستعمال ما نظمه الإمام في مقام كبح النَّفْس ومنعها من ارتكاب المعاصي. في تصوير استعار به مفردة (لجِام) مُشَبِّها النّفس بالفَرس التي يُلْجِمها صاحبها منعاً لها من النِّفار، والتّحكم بها بعنَان اللّجام. يقول (عليه السلام):((... **امْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا، وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي الله، وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ الله**))[٢]. ويلحظ أنّه استعمل مفردتي (لجام) و(زِمَام)، مفرقاً بينهما، جاعلاً الأولى وسيلة لمنع النّفْس وكبح جماحها، والثانية وسيلة لقيادها والسير بها إلى الصِّراط المستقيم. ثُم فَسّر هذا التعبير، ذاكراً العِلّة من إلْجامِ النَّفْس وَزَمِّهَا. فقال:((**فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي الله، وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ الله**))[٣].

وقد علّق شُرَّاح النّهج على استعمال الإمام لمفردتي (لجام و زمام)، فذكروا أنه استعار الأولى للزّهد الحقيقي والعِفّة، ووجه المشابهة بينهما كونهما مانعَين للنّفس الأمّارة من جماحها في تَيْه الهوى ومعاصي الله كما يمنع اللّجام الدَّابّة عن الجماح، لأنّ اللّجام أَمْلَكُ لرأس الفَرس، فلهذا خصّ (عليه السلام) المعاصي باللِّجام؛ لما في النفوس من مَحَبَّتها والتَّقَحُّم فيها، وإيثار الشهوات من أجلها، فلابد أن يكون لها زاجر قوي يمنعها، فاستعمل لها لفظ اللِّجام. في حين أنّه استعار لفظ (الزّمام)، لطاعة الله وعبادته بوصفها هي قائدة للنفس الأمارة بالسوء إلى الطاعة والتّذليل؛ لأنّ انجذاب النّفس لها يكون بالترغيب، فلهذا خَصّها بالزِّمام، فيكون قيادها بذلك

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): 1/ 143. ينظر و شرح نهج البلاغة (البحراني): 1/ 8 والديباج الوضي: 194/ 1.

(٢) نهج البلاغة: خ / 237: 452، 453.

(٣) نفسه. 453.

أنسب لِكَفِّها عن التَّوَثُّبِ إلى المعاصي ومنعها من ارتكابها [١].

أقول: وقد وردت ألفاظ (ألْجم)، و (ألْجَمَهم) استعارة لحال الناس يوم القيامة من السكوت ونزول العَرَقِ على وجوههم، فصار كاللّجام الذي يمنعهم من الكلام. وذلك في (خ / ٨٣، ١٠٢). في حين استعملت مفردة (لُجُم) بصيغة الجمع على (فُعُل) للدلالة على أصوات لُجُم الخَيْل وقَعْقعتها كناية عن الاستعداد للحرب، في (خ / ١٢٨)، وجاءت لفظة (لجمها) في استعارة للجام (الخطايا) التي يرتكبها المرء، فكأنما أطلق لها العِنَان بخلع لُجُمها. وجاء ذلك في (خ / ١٢٨) أيضاً.

عِنَان

العِنَان من اللِّجَام، وهو السَّيْر الذي بِيَد الفَارِس، الذي يقوم به رأسُ الفَرَس [٢]، وتمسك به الدَّابَّة [٣]. واستعملت الفاظ (عِنَان)، و (عِنَانِها)، و (أَعْنَان)، و (أعِنَّتها) مرة واحدة لكلٍ منها في نهج البلاغة [٤]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على سَيْر الفَرَس الذي تُمسَكُ به، وتقاد

وقد استعمل الإمام مفردة (عنانها) للإسراع والتّقَدُّم في الفضل والفضيلة على غيره من الصحابة. وذلك في سياق كلامه عن فضائله وتميّزه على غيره؛ إذ يقول (عليه السلام): ((**فَقُمْتُ بِالأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا، وَ تَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا، وَ نَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا** [٥]،

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 4/ 192 والديباج الوضي: 2081/ 4، 2082.

(٢) ينظر: العين (عنن): 1/ 90، و المحكم (عنن):99/ 1.

(٣) ينظر: المحكم (عنن):99/ 1.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: 325.

(٥) التَّعْتَعَةُ العِيُّ بالكلام والتردد. ينظر: لسان العرب (تعع):35/ 8.

وَ مَضَيْتُ بِنُورِ اللهِ حِينَ وَقَفُوا وَ كُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً، وَ أَعْلاَهُمْ فَوْتاً[١]**، فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا...))**[٢]. يشير إلى منزلته بين بقية أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وذلك إشارة إلى الشجاعة والسبق التي يتحلّى بها، يريد أنه قام بأمر الله تبارك وتعالى بين يدي رسوله الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحروب والوقائع الصعبة التي ضعف عنها غيرة وفشل[٣]. والمح بقوله (وَمَضَيْتُ بِنُورِ الله)، إلى فضيلة العلم التي سار بها على نور الله تبارك وتعالى. وقَصد بقوله (أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً، وَ أَعْلاَهُمْ فَوْتاً) الكناية عن رباط جأشه، وثباته في الأمور التي عزم على فعلها دون التفات إلى كثرة الأصوات التي تعد من علامات الفشل والخوف[٤]، فكان في ذلك أخفضهم صوتاً، وأعلاهم سبقاً. كأنه يشير إلى كثرة أفعاله وعُلُوِّ همَّته، وقلّة كلامه؛ لأنّ أفعاله هي التي تتكلم، وذلك بحسب مفهوم (اِعْمَل بِصمت ودَعْ عملك يتكلم). قد استعار (عليه السلام) لفظة (عِنَانِها) التي تعد من لوازم قياد الدَّواب، بوصفه جزءاً من لجام الخَيْل الذي يُمْسَك به الفَارس ليقود به فَرَسه فشبّه فضيلته على غيره بالفَرَس السَّابِق الذي لا يُشَقُّ له غبار. كناية عن سَبْقه وعدم بُلوغ غيره منزلته تلك، فكأنما قوله (طِرْتُ بِعِنَانِها) كناية عن تلك الغَلَبَة التي لا يُقارعه فيها أحد، ففضله كالجواد السَّابق الذي طار صاحبه بعِنَانه. فإرخاء (العِنَان) دليل على إرادة السُّرعة، والسَّبق مع حسن القياد والتحكم بالفرس. ووجه المشابهة بين قوله (طِرْتُ بِعِنَانِها)، وبين فَضْل الإمام هو السرعة والثبات في الاستباق نحو مرضاة الله تبارك وتعالى، ولهذا كانت الفضائل كـ(خيل الرِّهان) التي يُطار بها مع إرخاء عنانها إشارة إلى منحها

(١) الفوت السبق. ينظر: لسان العرب (فوت):69/ 2.

(٢) نهج البلاغة: خ / ٣٧: ٨٠.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني):287/ 2.

(٤) نفسه.

قدراً من السرعة والسبق مع التأكيد على مهارة الفارس في الثبات على ظهرها وإمكان السيطرة عليها ورعايتها من الزلل. ولّما كانت فضائل الإمام أكمل من فضائل غيره وأتم، جعلها، كالفَرَسِ التي لا يُشَقُّ لها غبار دلالة على سرعة تحصيله لها. فحسُنَ أنْ يستعير لذلك (الطيران بعِنَانها) [1]. الذي يحتمل الإشارة إلى الحَزْم والقوّة في المغالَبَةِ، وإدارة الإمور التي يوكلها النبي (صلى الله عليه وآله) إليه من قبيل قيادة المعارك، وغير ذلك مما خصه النبي الأكرم به. فيكون قوله (طِرْتُ بِعِنانِها) نص في تقدّمه عليهم.

ومن نظائر هذا الاستعمال، استعارته (عليه السلام)التعبير (خلعت أعِنَّتها) للدلالة على الاسراع في الحرب والقتال. وذلك في سياق حديث الإمام عن المنافقين الذين ناوؤا النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) وآذوه. وكيف وقفت العرب منه موقفها في حربه وقتاله. يقول (عليه السلام): ((... **وَ نَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ، خَاضَ إِلى رِضْوانِ الله كُلَّ غَمْرَةٍ، وَ تَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ، وَ قَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الْأَدْنَوْنَ، وَ تَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصَوْنَ، وَ خَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعِنَّتَها، وَ ضَرَبَتْ إِلى مُحارَبَتِهِ بُطُونَ رَواحِلِها**...))[2]. والمراد بـ(خَلْع الأعِنَّة). الإسراع إلى حرب النبيِّ؛ لأن المراد بـ (خلع العِنَان)، اطلاق الخيل وعدم صَدِّها عن الجَرْي، فالذي يريد أن تطير دابتّه، يَخْلَع عنَانها، سَيْرها الذي يتحكم به الفارس، فلا يكون ثَمّة مانع لها حينذاك من الاسراع؛ لأن العِنَان هو الذي يمنع الفَرَس من التّوجّه أينما تريد وهو الذي يَعْتَرِض صفحتي عنقها[3]. وبه يُكْبَحُ جماح الدَّابَّة. وذلك كله يكون بيد الفَارِس الذي يمتطي صَهْوَة الفرس، ولهذا أسْند الإمام (عليه السلام)(خَلْع الأعِنَّة) إلى (العَرب)؛ وكنّى بذلك عن مسارعتهم

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني):287/ 2.

(٢) نهج البلاغة: خ/ 194: 385.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (عنن):81/ 1، و لسان العرب (عنن):292/ 13.

إلى حرب النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ لأن أقوى عدو الخيل إذا خلعت أعنتها [١]. فجاء هذا التعبير مناسباً لحال إسراع العرب إلى قتال النبيَّ والتضييق عليه.

ويلحظ أن الإمام (عليه السلام)استعمل لفظة (أعِنَّة) في هذا السياق بصيغة الجمع على (أَفْعِلَة)، وهو من أبنية القِلّة الذي يُرَاد به معنى الكثرة في هذا المقام بحسب ما يبدو، فليس المقصود أنْ العرب خلعت أقلَّ ما عندها من أعنَّة أفراسها لحرب النبّي، فالأمر خلاف ذلك؛ لأنهم استعملوا كل إمكاناتهم في صَدِّه عن الإسلام. وجمعوا القبائل لقتاله، ولهذا أفهم من لفظة (أعِنَّة) إمّا الدلالة على الكثرة، وذلك بنقل الإمام(عليه السلام)هذا البناء من تلك الدلالة إلى الكثرة على سبيل التّوسع في.أو أنه أراد به معنى الضَّعْف وعدم قُوَّة هؤلاءِ العرب الذين وقفوا بوجه النبي، فكأن وقوفهم وإمكاناتهم المادية والعددية التي أعدوها لحربه، ماكانت بقوة الإيمان والحق الذي كان عند الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فاستعمل (عليه السلام)هذا البناء من الجمع لأنه يمثل أدنى العدد[٢]، للدلالة على أدنى الضعف الذي بَلَغَتْهُ العرب عند وقوفها بوجه الرسالة المحمديّة المُسَدَّدَة من الله تبارك وتعالى.

وثمّة مسألة أخرى أشار اليها اللغويون في جمع (أعِنَّة)، فقد ذكروا أنّ جمع (عِنَان) على (أعِنَّة) جمع مستعمل كثير [٣]. وأما غير هذا الجمع، فقد أوضح سيبويه أن(عِنَان) لم يُكَسَّر على غير (أعِنَّة)؛ لأنهم لم يجمعوه على بناء للكثرة كراهية التَّضْعيف الذي فيه؛ إذ كان من كلامهم أن لا يُجَاوِزُوا بناء أدنى العدد فيما هو غير معتل[٤]. وسيبويه هنا لا ينفي أن يكون هناك جمع آخر لمفردة (عِنَان)، وإنما

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني):737/ 3.

(٢) ينظر: كتاب سيبويه:601/ 3.

(٣) ينظر: المحكم (عنن):99/ 1، و لسان العرب (عنن):291/ 13.

(٤) ينظر: كتاب سيبويه:601/ 3، و لسان العرب (عنن):291/ 13.

يريد القول أن بناء (أعِنَّة) أشهر جموع هذا اللفظ مع كونه للقِلّة، وأن بناء (عُنُن) على (فُعُل) الذي للكثرة أقل استعمالاً منه، أو هو بناء نادِرٌ كما ذكر اللغويون [(١)]. ولعل ذلك راجع عنده إلى أن استعمال بناء الكثرة يلزم التضعيف في غير المعتل. ويريد بالمُعْتَل (المُدْغم) كما يذكر[(٢)]. فإن كسرّوه على (فُعُل) لزمهم التضعيف. وكان ذلك أحرى بالادغام في (عُنُن)، مثلما حكى هو عن بعض العرب الذين يقولون في جمع (ذُبَاب) (ذُبّ) [(٣)]، وبناء على ذلك فالقياس أنْ يكون جمع (عُنُن) على (عُنّ) بالإدغام بحسب نظر سيبويه.

ويبدو أن هذه المسألة بحاجة إلى توجيه آخر، خلاصته أن بناء (أَعِنْة) على الرغم من دلالته على القِلّة، فإنه أكثر شيوعاً واستعمالاً من بناء (عُنُن)، الذي يعد نادر الاستعمال كما ذكر ابن سيده[(٤)]. و الحكم قد جاء من تَتَبّع للكلام الذي وردت فيه لفظة (أَعِنّة) مقارنة بـ(عُنُن)، فضلاً عما يلحظ من إيثاره (عليه السلام) لهذا البناء على البناء الخاص بالكثرة. لأفادته معنى القلة والضّعف في العرب عندما قاتلوا النبي (صلى الله عليه وآله)، وهذا الأمر يخلصنا من الإشكال الذي عمد إليه الصرفيون.

وقد وردت مفردة (عِنَان) في استعارة صنعها الإمام (للأمل)، الذي جعله كالفرس الجموح بصاحبه، فيقوده هو وليس راكبه. وذلك على سبيل النصح الذي وجهه للإنسان؛ لئلا يتخذ من هواه وآماله مطية تسير به أنّى تريد. بل عليه العمل والجد لتحقيق مطامحه. وقد جاء ذلك في (قصا / ١٩)

---

(١) ينظر: المحكم (عنن):99/ 1، و لسان العرب (عنن):291/ 13.

(٢) أنفسهما.

(٣) أنفسهما.

(٤) ينظر: المحكم (عنن):99/ 1.

ثانيا: الدلالة على اطراف المراعي

إذ ورد لفظة (أَعْنَان) بصيغة الجمع على (أفْعَال) للدلالة على أطراف المراعي التي يرعى بها الناس نَعَمهم ودوابهم. وذلك في مقام الحديث عن مقاتله العَدُوِّ وَوَطْءِ أرضه. فيقول (عليه السلام): ((**إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ دِرَاكٍ... وَحَتَّى يُرْمَوْا بِالْمَنَاسِرِ تَتْبَعُهَا الْمَنَاسِرُ... وَحَتَّى تَدْعَقَ الْخُيُولُ فِي نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ وَبِأَعْنَانِ مَسَارِبِهِمْ وَمَسَارِحِهِمْ....**))[١]. والمراد بـ(أَعْنَانِ مَسَاربهِمْ)أي أطرافها واقاصيها. ونواحيها [٢]. وأعِنَان الشي مابدا لك منه[٣].

شكِيْمَتُه

الشَّكِيْمَة هي حديدة اللِّجَام التي توضع في فم الفَرَس[٤]. وقد أَشْكم الفَرس يَشْكُمه؛ إذا أدخل الشَّكيْمَة في فمه[٥]. واستعملت هذهِ المفردة مرتين في نهج البلاغة[٦]، للدلالة على معنيين مُتضادَّيْن:

الأول: الدلالة على شِدّة الضّلال، وقوّة الأذى.

وجاءت هذه الدلالة في سياق حَديث الإمام (عليه السلام)عن ملاحم تنطلق من الشام لتصير في الكوفة واصفاً ذلك بقوله (عليه السلام): ((... **لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضِلِّيلٍ**[٧] **قَدْ**

---

(١) نهج البلاغة: خ / 124: 229

(٢) ينظر: العين (عنن): 1/ 90.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: العين (شكم): 5/ 300، وتهذيب اللغة (شكم): 10/ 22.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (شكم): 10/ 22، ولسان العرب (شكم): 12 / 323.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 244.

(٧) الضَّليل بناء على (فعيَّل)، أو على (سِكّير): يدل على من لا يقلع عن الضّلالة. ينظر: العين (ضلل) ٧/ ٩.

نَعَقَ[١] **بِالشَّامِ وَفَحَصَ**[٢] **بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ**[٣]. **فَإِذَا فَغَرَتْ**[٤] **فَاغِرَتُهُ وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ، وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ، عَضَّتِ**[٥]**الْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا**[٦]**...))**[٧]. أراد (عليه السلام) باشتداد الشكيمة الدلالة على شدّة الضَّلال، وقوّة الأذى الذي سَيُسَبِّبُه هذا (الضِّلِّيل) الذي يَنْهَض بالشّام، داعياً أعوانه، ومن هم في رَكْبِهِ ناعقاً كما يَنْعَق الراعي على شائه ونَعَمه، بالزَّجر لقيادها، والسَّيْر بها نحو غايتها، فاستعار الإمام لفظة (نَعَق)؛ للدلالة على قائد الفِتنة وراعيها، وأشار بقوله (فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ) إلى شِدّة نَهمه، ونزوعه إلى القتل والدّمار، وهذه المفردة تحمل الدلالة على الشؤم وما يرافق ذلك من قتل وتدمير. في حين أنّه أومأ بمفردة (شكيمته) إلى معنيين: الأول. هو الشكيمة التي توضع في فم الفَرَس، وهي حديدة يطبق الفَرَس بأسنانه عليها، وقوّتها تدل على قوّة الفَرَس؛ وذلك أن الشكيمة توضع في فَم الفَرَسِ الجموح الذي يتصف بقوة الرأس، فلهذا يحتاج إلى شكيمة قويّة شديدة[٨]. فلهذا تُشَدُّ الشّكِيْمة في فَمِ الخَيْل لغرض السيطرة عليه، وكبح جماحه، وتكون من حديد حتى لا تنفلت عند جذبها، أما الدلالة الثانية؛ فهي مأخوذة من المعنى المتقدم، فإن الاشارة إلى قوة الشكيمة أصبح مقترناً بقوة صاحبها، وشِدّته، وما دام السّياق

---

(١) النعيق دعاء الراعي الشاء، وزجره لها. ينظر: لسان العرب (نعق): 10 / 356.

(٢) الفحص شدة الطلب، وهي أيضاً الحفرة التي هي مجثم القطا. ينظر: لسان العرب (فحص): 7/ 63.

(٣) الكوفان في اللغة الدغل من القصب والخشب، والكوفان الأستدارة. وهو اسم أرض سميت بها الكوفة، وذكر (ياقوت الحموي) أن (كوفان) و (الكوفة) واحد. ينظر: معجم البلدان: 4/ 490.

(٤) فغر فاه فتحه. ينظر: لسان العرب (فغر): 5/ 59.

(٥) العض الشد بالأسنان. ينظر: لسان العرب (عضض): 7/ 188.

(٦) الناب السن التي خلف الرباعية. ينظر: لسان العرب (نيب): 1/ 776.

(٧) نهج البلاغة: خ / 101: 183، 184.

(٨) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 3/ 492.

يتحدث عن (الفِتَن)، و (الضِّلِّيل) الذي يدعو لها، فلهذا جاءت مفردة (شكيمة) بدلالة على شِدَّة الضّلال والأذى الذي يُسَبِّبُهُ هذا (الضِّلِّيل)، علاوة على شِدَّةِ مِرَاسِه وعُسْر انقياده[١].

ثانياً: الدلالة على شِدّة البأس والقُوّة والحَزْم على العَدُوّ.

وهذه الدلالة هي الضِدّ من الدلالة الأولى، ونقِيْضُها وقد وصى بها الإمام (عليه السلام) مالكاً الأشتَر لما ولاّه مِصْرَ؛ إذ يقول (عليه السلام) في مقام المَدْح مُوْمياً إلى أهل مِصْرَ بطاعة عامله عليهم: ((... **وَ قَدْ آثَرْتُكُمْ**[٢] **بِهِ عَلَىٰ نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ، وَ شِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَىٰ عَدُوِّكُمْ**))[٣]. يريد (عليه السلام) الدلالة على شِدّة بأس عامله وقوّته على عدوه، فضلاً عن عِزْة نفسه وأنفته، وحِدّته وقوّة قَلْبِه في ذات الله تبارك وتعالى. مع حَزمه في إدارة الأمور والانتصار من الظُّلْم. وهذه الدلالات جميعاً يُوفّرها المعجم الذي استقاها من مفردة (شكيمة) التي أشرت إلى أنها في الأصل إحدى أدوات لجام الفَرس. ولكنها اتسعت بعد ذلك لتصير دالة على الشدَة في الخَير والشَرّ. معاً على سبيل التضاد.

حَكَمَة

الحَكَمَةُ أداة من أدوات لجام الفَرَس. وهي - كما يذكر اللغويون - تحيط بحَنكيه، وفيها العِذاران، فَتَمْنَعه من الجَري الشديد[٤]. والحَكَمَة جزء من اللِّجام.

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٧/ ٧٨.

(٢) الأثير الرجل المكين المكرم، وآثره أكرمه. ينظر: تاج العروس (أثر): 10 / 19.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (شكم): 10 / 22، والنهاية في غريب الحديث: 2/ 497، ولسان العرب (شكم): 12 / 324.

(٤) ينظر: العين (حنك): 3/ 671، وتهذيب اللغة (حكم): 4/ 71، والمحكم (حكم): 3/ 51.

وحَكَم الفَرس، إذا جعل للِجَامة حَكَمه[١]. وتسمية هذه الأداة مأخوذة من (الحَكَم)، وهو في اللغة المَنْع من الظُلْم[٢].

واستعملت مفردة (حَكَمَة) مرة واحدة في نهج البلاغة[٣] للدلالة على إحكام مَوْجِ الماءِ، ومَنْعِهِ من الأصطِخاب. وذلك في قول الإمام (عليه السلام) في سياق كلامه عن دَحْوِ الأرض وإسكانها هياج الماء:((... **وَسَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ؛ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِهَا... فَأَصْبَحَ - بَعْدَ اصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ - سَاجِياً مَقْهُوراً، وَفِي حَكَمَةِ الذُّلِّ مُنْقَاداً أَسِيراً**))[٤]. فكأن الإمام (عليه السلام) يُشبّه تلاطم البحار وأمواجها، بالدَّابّة الهائجة التي لا يوقف هياجها إلا إحْكَامها باللِّجام وحَكَمتِهِ التي تقيّد فمه وتحيط بحنكَيْه، فتمنعه وتقيده من الجري الشديد السَّريع الذي تكون عاقبته الهلاك. فكأنما أحكم الله تبارك وتعالى الماء المتلاطم، بأمواجه المُصْطَخبة، أحكم ذلك بدَحْو الأرْض التي تَصَدّت لذلك الهياج، وكَعَمَتْه مانعة إيّاه من التّقاذف والاصطخاب. فهي بمنزلة (الحَكَمة) في الفَرَس تمنعها من النّفار والانطلاق بحُرّية. ولهذا عبّر الإمام عن سكوت ذلك الهياج بصيرورة الماء (ذليلاً منقاداً أسيراً) في إشارة إلى ذُلّ الدَّابّة عند وَضع حَكَمة اللِّجَام في فَمها، ومن ثَمّ تَسحبها بالعذار كالأسير.

ولفظة (حَكَمَة) في النص مستعارة من مجالها الدلالي، بوصفها من أدوات لجام الفرس من الدّواب، ولهذا لما صوّر الإمام (عليه السلام) الماء وأمواجه بهيأة الدّابة، اختار لاسكان هذه الدّابة من هياجها بعض أدوات مَنعها من ذلك الهياج، جاعلاً للذل (حَكَمَةً) ينقاد بها الماء ذليلاً من باب إضافة السبب إلى المسبب. كما يذكر

---

(١) ينظر: المحكم (حكم): 51/ 3.

(٢) ينظر: جمهرة اللغة (حكم): 1/ 564، ومقاييس اللغة (حكم): 2/ 91.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: 121.

(٤) نهج البلاغة: خ / 91: 161.

الـشُرَّاح[١].

مِسْحَلِها

المِسْـحَل اللِّجَـام[٢]. وقيـل فَأسُـه[٣]. والمِسْـحَلَان حلقتـانِ إحداهمـا مُدْخَلَـةٌ في الأخـرى عـلى طـرفي شَـكيم الدَّابَّةِ[٤]،وهـي الحديـدة التـي تحـت الجَحْفَلَـة السُّـفْلَى[٥].

ولفظـة (مِسْـحلها) مـن الفـاظ نهـج البلاغـة، فقـد وردت فيـه مـرة واحـدة[٦]، للدلالـة عـلى اللجـام، أو حَلْقَتِـي شـكيم الدَّابَّـة، جاعـلاً مـن هـذهِ المفـردة ودلالتهـا وصفـاً للفِتْنَـةِ. التـي يقـول عنهـا أمـير المؤمنـين (عليه السلام): ((... **تَـدُقُّ أَهْـلَ البَـدْوِ بِمِسْـحَلِهَا وَتَرُضُّـهُـمْ بِكَلْكَلِهَـا**[٧]...))[٨].

والنـصُّ في مقـام بيـان خطـر الفتْنَـة التـي ستصيب العـرب، فأشـار (عليه السلام) إلى خطرهـا بذكـر الآلات التـي تكـون وسـائل لهـذه الفتنـة في الأذى، ومنهـا (المِسْـحَل)، وهـي حَلْقَـة شـكيمة الدَّابَّـة التـي تُقَـاد بهـا، وتكـون - عـادة - وسـيلة لِـدَقِّ الرَّاجِـلِ الـذي يَسْـتَقبل الفـارس في الحـرب، فَتَصْدِمـه الدَّابـة بفَـأس لجامهـا أو حَلْقتـي الشَّـكِيْمَة[٩]. وهـذا

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): 6/ 340، و شرح نهج البلاغة (البحراني): 2/ 459.

(٢) ينظر: المحكم (سحل): 192/ 3.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: العين (سحل): 3/ 140، والمحكم (سحل): 192/ 3.

(٥) ينظر: المحكم (سحل): 192/ 3، ولسان العرب (سحل): 11 / 329.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: 212.

(٧) الكلكل من الفرس ما بين محزمه إلى ما مس الأرض منه إذا ربض وربما استعير لما ليس بجسم. ينظر: لسان العرب (سحل): 11 / 329.

(٨) نهج البلاغة: خ / 151: 264.

(٩) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): 9/ 110.

الوجه من الدلالة يتناسب مع شدّة الأذى الذي يُخِيْف الناس. ولهذا جعل الإمام تعبيره بـ (الدَّقِّ) لهذا (المِسْحَل) مخصوصاً بـ (أَهْلَ البَدْو)، والدَّقّ الرَّضُ والكَسْر والتَّهْشيم[١]. وإنما جعل ذلك لأهل البَدْو، إيماءً بما كانت العرب تخافه، وتَخْشَاه وتؤذى به. أو لأنّ هذه الفئة من الناس تمتاز بالشِّدَّة والقوة والصّلابة، فضلاً عن الشجاعة والبأسِ فإن كانت الفتن تفعل بهم هذا الأمر، فكيف بغيرهم من أهل الحضر والمدن[٢]. والإمام (عليه السلام) ههنا يُجسِّد الفتْنَة، ويجعل منها دابَّة يقودها راكبها - الذي هو صاحب الفتْنَة وقائدها ههنا - فَيَدُقّ أَهْلَ البَدْو خاصّة ويَسْحَقَهم بِمِسْحَلِ الشكيمة. أمّا دلالة هذا الجزء من الشَّكيْمَة، فلاستعماله من (الفارس) في قيادة دابَّته، والتَّصَرّفِ بها، وبه توجّه الدَّابّة أينما يريد راكبها. علأوة على أنّ هذا (المِسْحَل) يعد وسيلة للأذى أيضاً عند الاصطدام به. ولهذا استعاره الإمام - كما يبدو - ونقله من هذا الاستعمال إلى جعله جزءاً مهماً من أجزاء التّحكم (بالفِتْنَةِ)، وواحداً من طرائق الأذى.

ومن الجدير بالذِّكر أيضاً أنّ من الدلالات الأخرى لمفردة (مِسْحَل)، هي الدلالة على (المِبْرَد)، وهو المِنْحَت الذي يُنْحَت به [٣]. فكأن (الفِتْنَة) بحسب الدلالة كالمِبْرد الذي يَنْحَت الناس من أهلِ البَدْو، ويَكْشُطهم بحيث يجعلهم في تَيْهٍ وضَلَال. ويطْبُعهم على حال يناسب ما يريده صاحبها. فمثلما يَصْنَع المِبْرد بالحديد أو الخَشَبِ[٤]، حينما يُنْحَتُ به. فكذلك تنحت الفتْنَة الناس وتجعلهم

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 3/ 619.

(٢) ينظر: الديباج الوضي: 1208/ 3.

(٣) ينظر: لسان العرب (سحل): 11 / 329.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): 9/ 110.

دقاقاً كَدِقَاقِ الخَشَبِ والحديد[1].

ويبدو لي أن هذه الدلالة مقدمة على الدلالة السابقة. ومما يعزز ذلك أن وَصْف الفِتْنَةِ بالإِبْرَادِ والنحت يُقَابل حال (الرَّضِّ) الذي جعله الإمام (بالكَلْكَل)، وهو صَدْر الدَّابة أو البَعِيْر. فكأنها تَكْشط الناس وتَقْشرهم، ومن ثَمْ تَرُضُّهُم وتسحقهم كما يَسْحق البعير الأرض بكَلْكَلِهِ. وفي هذا التعبير ضَرْب من التَّنَوّع الدلالي في استعمال المفردات بين التي تُعَبِّر عن التَّصْيِير والنَّحت، والتي تعبّر عن الطَّحْنِ والسَّحْقِ.

قَعْقَعَة.

القَعْقَعَة حكاية صوت السِّلاح والتُّرسَة[2]. وهي صوت الجلد اليابس أيضاً إذا تَخَشْخَشَت[3].

وجاءت مفردة (قَعْقَعَة) مرة واحدة في نهج البلاغة[4]، للدلالة على صوت (لُجُم) الخَيْل عند تحرّكها. وذلك في قوله (عليه السلام) الذي يُنبِئ فيه عن ملحمة صاحب الزِّنج بالبَصْرة، إذ يقول:((... **كَأَنِّي بِهِ، وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَلَا لَجَبٌ، وَلَا قَعْقَعَةُ لُجُمٍ، وَلَا حَمْحَمَةُ خَيْلٍ**...))[5]. يشير الإمام (عليه السلام) في هذا النّص إلى أنّ خلوٌ هذا الجيش من (الخَيْل) التي تعد وسيلة من وسائل الحرب فجاء الإمام بلفظة (قَعْقَعَة) الدالة على صوت (لُجُم) الخَيْل التي تصدر

---

(١) ينظر: الديباج الوضي: 1208/ 3.

(٢) ينظر: العين (قعع): 1/ 64، والمحكم (قعع): 58/ 1.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (قعع): 1/ 52.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 377.

(٥) نهج البلاغة: خ/ 128: 233، 235.

أصواتاً عند اصطكاك الاسنان بها. وبنفيه (قَعْقَعَةُ اللُّجُم) وهي من لوازم الخيل، فأنه ينفي وجود الخَيْل أيضاً، فنفي اللّازم قرينة على نفي المَلْزُوم أيضاً. وذلك دليل على انعدام الخُيُول في هذا الجيش أيضاً. وقد أشار بعض الشُّرَّاح إلى أنّ المفردة المتقدمة تتضمن حركة الأسلحة وقعقعتها أيضاً[١]. وكأنه يريد القول: إن الزنج لايملكون الاسلحة كذلك؛ لأن المقام الذي يتحدث فيه الإمام مقام نفي. والشارح لم يخرج عن المدلول العام لمفردة (قَعْقَعَة) التي تدل في اللغة على أصوات السِّلاح والتّروس أيضاً[٢]. ولكن يمكن لنا أن نفهم من هذا التعبير أن هؤلاء الزّنج استتروا في حركتهم هذه، وحاولوا أنْ تكون خفيّة لا تظهر أخبارهم قبل أنْ يقوموا بها؛ خشية من إجهاضها، والقضاء عليها وهذا المعنى يناسب النفي من وجود (قَعْقَعَة لُجُم) في جيشهم، وكأن التعبير يراد به معنى الكتمان، والمفاجأة في هذهِ الحركة. على أنّ هذا المعنى لا ينافي المعنى الأول المذكور سلفاً، بل يمكن أن يكون محتملاً إلى جانبه.

٢ـ شماس الخيل

جموح

جَمَح الفرس بصاحبه، إذا ذهب جرياً غالباً، فمضى لوجهه على الامر[٣]. والفَرَس الجَموح هو الذي لا يردّه اللِّجام إذا حمل[٤].

وقد استعمل الإمام (عليه السلام) اشتقاقات متعددة لمفردة (جمح) وهي بحسب

(١) ينظر: الديباج الوضي: 1053/ 3.

(٢) ينظر: غريب الحديث (أبو عبيد): 5/ 3.

(٣) ينظر: العين (جمح):٣/ ٨٨، وتهذيب اللغة (جمح):٤/ ١٠٠.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (جمح):100/ 4، ولسان العرب (جمح):426/ 2.

كثرها على النحو الآتي، لفظة (جمُوح، والجَامِحَة) و (جِمَاحُهم) جاءت في موضعين لكل منها، في حين وردت الفاظ (تَجْمَح)، و(جماح) و (جِمَاحه)، و (الجماحَات) مرة واحدة لكلِ مفردة[1]. ولم ترد هذه المفردات للدلالة على الخَيْل الجَمُوح التي تَجْمح بصاحبها وإنما استعارها الإمام (عليه السلام) من الدلالة المتقدمة إلى معان أخرى ناسب بينها وبين جماح الدَّابّة التي تجري سراعاً دون أن يوقفها اللّجَام كما يذكر اللغويون. ومن ذلك ما وصّى به الإمام ولده الإمام الحسن(عليهما السلام) في قوله:((**وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ**[2])).[3] كأنه يجعل من (اللَّجَاج) مطية تجمح بصاحبها، يريد بذلك الخصومة واختلاط الأصوات وضجيجها، فصورها بهيئة المَطيّة التي تجمح بركابها لتورده المهالك، حتى يصعب عليه السيطرة عليها بعد جماحها.

ومن ذلك أيضاً استعارة مفردة (جِمَاحَهم) لضلال النّفس وإيرادها المهالك المُرديَة؛ إذ يقول في وصف قوم من جُند الكوفة همّوا باللَّحاق بالخوارج، وكانوا على خوف منه[4]. فلما ظعنوا قال (عليه السلام) في ذّمِّهم:((...**فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى، وارْتِكَاسِهِمْ** [5]**فِي الضَّلَالِ وَالعَمَى وَ صَدِّهِمْ عَنِ الْحُقِّ، وَجِمَاحِهِم فِي التِّيهِ**))[6]. أراد:يكفيهم خروجهم من جماعته ضلالاً، وعمى وانقلاب على الاعقاب وصداً عن الحقِّ. وجِماحٍ في التّيهِ. ولفظة (جِمَاحِهِم) تدل على (جِماح) الفَرَس المُسرِع الذي

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 88.

(٢) اللَّجَاجِ واللَّجْلَجَة اختلاط الاصوات والضجيج. ينظر تاج العروس (لجج): 182/ 6.

(٣) نهج البلاغة: خ/ 32: 70.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): 60/ 10.

(٥) نهج البلاغة: خ/ 181: 326، 327.

(٦) الرّكس قلب الشيء على رأسه، وردُّ أوله على آخره والارتكاس الارتداد.ينظر: لسان العرب (ركس):100/ 6

يَغلِب راكبه، فلا يستطيع كبحه. فاستعارها الإمام (عليه السلام) في هذا السِّياق، للدلالة على انحراف هذه المجموعة عنه. وإسراعها إلى الضَّلال بِتركه والانصراف عنه. فكأنهم في هذا الموقف أشبه بالخَيْل الجامحة التي لا سلطان عليها. في كلامه دلالة على نبذ الغلو والافراط في الخروج على الغُلُوِّ والإفراط من فضيلة العَدل إلى رذيلة الإفراط والمغالاة في الجور. والانحراف عن الصّراط المستقيم(١).

وقد استعمل الإمام (عليه السلام) التعبير المتقدم نفسه في وصف إنحراف (قريش)، وذلك في (ك / ٣٦)، في حين أنه أورد مفردات (جِمَاحه، جِمَاح، الجَامِحَة، الجماحات) للدلالة على الاسراع نحو الانحراف والتعنّت والتغلّب والمنازعة، وذلك في (خ / ٩١،٨٣، ١٩١، ١٩٢، ك / ٣١، ك / ٥٣) وذلك كله على سبيل الاستعارة تشبيهاً بالخَيْل الجامحة عن قيادها.

شِمَاس

والشَّمُوس من الدَّواب، هو الذي اذا نُخِسَ(٢)لم يَسْتَقِرّ(٣). وشَمس الفَرَس شِماساً، وذلك إذا شرد وجمح ومنع ظهره نافراً(٤).

وقد جاءت الفاظ (شِماس)، و(شِمَاسِها)، و(شُمُس) مرة واحدة لكلٍ منها في نهج البلاغة(٥)، للدلالة على شِراد الدنيا وعُسِرْها وجماحها على أهل البيت (عليهم السلام). ومن ذلك قوله متحدثاً عن مَنِّ الله تعالى على أهل البَيْت (عليهم السلام) بعد استِضْعَافهم،

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): 6/ 10، وشرح نهج البلاغة (البحراني): 709/ 3.

(٢) النخس تغريز مؤخرة الدابة بعود أو غيره. ينظر: العين (نخس): 200/ 4.

(٣) ينظر: العين (شمس): 230/ 6، وتهذيب اللغة (شمس): 206/ 11.

(٤) ينظر: جمهرة اللغة (شمس): 833/ 2، والمحكم (شمس): 5/ 8، ولسان العرب (شمس): 113/ 6.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 244.

لهم بعد إبائهما وانحرافها عنهم. يقول (عليه السلام): ((**لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا**))(١). يريد: أنّ الآخرة للمتقين، فمهما كانت الدنيا منحرفة عنهم، ومتجافية، فإنها -بالآخرة- ستؤول اليهم، لتعطف عليهم بعد ذلك، وقد شَبّه (عليه السلام) تجافيها عنهم وتنكرّها لهم بالدَّابَّة الشَّمُوس التي تَمْنَع أنْ يركبها أحد، فتكون نفوره صعبة عصيّة غير ذلول، كأنها أبدت عداوتها لهم، فما استقرت لهم على حال. ولهذا جعلها الإمام في هذا النص هي التي (تَعْطِف عليهم)، وليسوا هم الذين يميلون اليها، ويطلبون استقامتها؛ لأنهم نبذوا الدنيا، وأبعدوها عن حاجتهم، وطلبوا الاخرة، وانكبّوا على العبادة والتقوى. ثم شَبّه عطفها بـ (عَطْفَ الضَّرُوسِ)، وهي الناقة السّيئة الخُلُق التي تَعَضّ حالبها، ولكنها مع ذلك تعطف على ولدها، وتميل اليه عطفاً وحُنُوّاً. وقد استعار الإمام (عليه السلام) لفظ (الشّماس) للدنيا؛ لمنعها حقّهم عنهم (٢)، فكأنها في ذلك كالفَرَس التي يمتنع أن تركب.

أقول: وفي كلامه إشارة إلى وعد الله تبارك وتعالى بأنّه سيورث الأرض الإمام المهدي (عليه السلام)، ولهذا احتج الإمام بعد قوله المتقدم بقول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾(٣). وقد وردت ألفاظ (شِمَاس) للدلالة على اضطراب أحوال الناس وتخبطهم وذلك في (خ

---

(١) نهج البلاغة: قصا / 209: 640.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 709/ 3.

(٣) القصص / 5. ومما تجدر الاشارة اليه أنّ الآية دليل يحتج به الشيعة الإمامية على ظهور الإمام المهدي (عليه السلام)، في حين أنّ المعتزلة يتخذونها دليلاً على وجود إمام يملك الأرض ويستولي على الممالك، يخلق في آخر الزمان، كما يذكر ابن أبي الحديد وهم يختلفون مع الإمامية في هذه المسألة. ينظر: شرح نهج البلاغة: (ابن ابي الحديد): 24/ 19.

/ ٣)، في حين جاءت مفردة (شُمُس) بصيغة الجمع على (فُعُل)للدلالة على تشبيه (الخطايا) بالخَيْل الصعبة الركوب على صاحبها في (خ/ ١٦).

الحَرُون

فَرَسٌ حَرُون، إذا لزم المكان فلم يفارقه[١]. وحرنت الدَّابّة، بعد أن وقفت إذا استَدَرَّ جَرْيُها[٢]. وتكون هذه الصّفة في الدواب من ذات الحوافر خاصّة، وهي الفرسُ والحمار والبَغْل. إذ يقال في الفَرَس إنّه حرون إذا وقف بعد اشتداد جَرْيه، فلا يكاد ينقاد بعد ذلك.وجاءت مفردة (الحَرُون) مرة واحدة في نهج البلاغة[٣]، وصفاً للدنيا، وذلك في مقام ذَمِّ الإمام لها في قوله: ((**أَلاَ وَهِيَ المُتَصَدِّيَةُ**[٤] **العَنُونُ، وَالجَامِحَةُ الحَرُونُ**))[٥].وقد استعمل الإمام هذه الأوصاف للدنيا آخذاً إيَّاها من أوصاف الدّواب التي يذكر فيها التَّصَدِّي والتقدّم في السَّيْر، والجموح بصاحبها نحو المهالك. إلى صِفَة (الحِران) التي ذكر اللغويون أنها توصف بها الخَيْل من ذوات الحوافر التي ماتَلْبَث أن تقف فلا تتحرك من مكانها ولا تَبْرَحُه[٦]. فاستعار الإمام (عليه السلام) هذه الصفة من الخَيْل لوَصف الدنيا التي تقف بأصحابها المخدوعين بها، إشارة إلى عدم انقيادها وطاعتها لهم، فإنّهم متى ما أرادوا أن تسير بهم، وقفت وحرنت في مكانها مثل الدَّابة التي لاتكاد تتحرك حتى وأنْ ضُربَت. وهذه

---

(١) ينظر: العين (حرن):٣/ ٢٠٩، وتهذيب اللغة (حرن):٥/ ٨.

(٢) ينظر: لسان العرب (حرن):110/ 13.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٠٨.

(٤) المتَصديَّة هي المتعرِّضَة التي تستشرف القادم ناظرةً اليه. ينظر: المحكم (صدي): 8/ 356، ولسان العرب(صدي):457/ 4.

(٥) نهج البلاغة: قصا/ 209: 640.

(٦) ينظر: غريب الحديث (الحربي): 446/ 2.

من الأوصاف الذميمة في الخَيْل التي يُراد لها إطاعة راكبها والأخذ بأمره، لا أن تقف دون حراك. إنّ اجتماع مفردتي (الجَامِحَة) و (الحَرُون) في سياق واحد يُفهم منه أنّ الدنيا ليست مستقّرة دائمة على حال واحد فَمرّة تجمح بأصحابها، ومرة تحرن. وقد التفت شُرَّاح النّهج إلى هذا المعنى، فذكر ابن أبي الحديد وغيره أن قوله (عليه السلام) (الجَامِحَةُ الحَرُون) تشبيه للدنيا بالدَّابّة ذات الجِماح، وهي التي لايُستطاع ركوبها؛ لأنها تَعْثَر بفارسها وتَغلِبه، وجعلها مع ذلك حَرُوناً، لاتَنْقَاد[١].

العَنُون

العَنُونُ من الدَّوَاب هي التي تُبَارِي في سَيْرها الدَّوَاب، فتقدُمها[٢].

وقد وردت لفظة (العَنُون) مرة واحدة في نهج البلاغة[٣]، وذلك في قوله (عليه السلام) في سياق الحديث عن ذم الدنيا ((... **أَلاَ وَهِيَ الْمُتَصَدِّيَةُ الْعَنُونُ، وَالْجَامِحَةُ الْحَرُونُ**...))؛ للدلالة على معنيين: الأول منهما ناشئة من استعارة هذا الوَصفِ للدنيا، تشبيهاً لها بالعَنون من الدّواب، وهي التي تَقْدم صاحباتها في سَيْرها، فكأنَّ الدنيا – بهذهِ الدلالة – تُبَاري أصحابها الذين تمسكوا بها، فتغالِبهم وتقدمهم ولا تثبت لهم على حال، فَبَعْدَما عرفوا منها الاستقرار لهم، فاذا بها تَنْقَلِبُ عليهم، وتَعْسُفُ حتى تقدمهم فلا يَلْحَقُ بها لاحق وقد أشار الشارح البحراني إلى ما يقرب من هذا المعنى، ذاكراً أن الإمام (عليه السلام) استعار مفردة (العَنُون) وصفاً للدابّة المتقدمة في السَّيْر، وكنّى بها عن لحوق الدنيا، ووجه المشابهة أنّ مُدَّة الحياة الدنيا في

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ابي الحديد): 93/ 14، وشرح نهج البلاغة (البحراني): 135/ 4.

(٢) ينظر: العين (عنن):١/ ٩٠، وتهذيب اللغة (عنن):١/ ٨٢،والمحكم (عنن): ١ / ٩٨، لسان العرب (عنن):١٣/ ٢٩٣،وتاج العروس (عنن):٣٥/ ٤١٣.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 325.

غاية الاسراع، وشِدّة السَّيْر بأهلها إلى الاخرة، فأشْبَهَت بذلك السريعة من الدّواب المتقدّمة في سَيْرها[١]. وثَمّة دلالة أخرى تحتملها مفردة (العَنُون) في هذا السِّيَاق، وهي الدلالة على الاعتراض، من قولهم: عَنَّ لي الرَّجُل، اذا اعترضَ من أحد الجانِبَيْنِ، اليمين أو الشّمال[٢]، فكأنما الدنيا في وصف الإمام لها (بالعَنُون) تعْرُض للإنسان، وتَعنّ له عنوناً، كأنها تُفَاجِئه بظهورها لتخدعه وتَسْتَميْله. وتبدو هذهِ الدلالة ألْيَق بالسِّيَاقِ من الدلالة الأولى المتقدمة، وما يؤيِّد ذلك عندي مفردة (المُتَصَدِّيَة)التي تدل على معنى الاعتراض والظهور أيضاً، فكأنما (التَّصَدِّي، والعَنُون) يلتقيان في جهة الظهور والاعتراض للإنسان. ولهذا اختار بعض الشُّرَّاح أن تكون مفردة (العَنُون) بمعنى الاعتراض، آخذين هذه الدلالة فيما يبدو من ابن الاثير الجزري الذي فَسّر هذه المفردة في قول الإمام (عليه السلام) بالاعتراض من أحد الجانبين للإنسان وأشار إلى أنّ مجيئها بوزن (فَعُول) كان للمبالغة في ذلك[٣]. ونقل عنه الشُّرَّاح هذا المعنى فيما يبدو[٤]. وتنفتح هذه الدلالة لتشير إلى أنّ اعتراض الدنيا يكون بمعنى فِعْلِها كل شيءٍ مكروه خادع للإنسان[٥]، وربما يكون اعتراضها يعني زوالها وزوال ما فيها من الملذّات التي لا تدوم لأحد[٦]. ويمكن أن أزيد على ما تقدم باحتمال أن تكون مفردة (العَنُون) مأخوذة من (العَنَن)، وهو اعتراض الموت للإنسان[٧]، في ذلك إشارة إلى فناء الدنيا، وانقضائها دون أن يأخذ منها المرء

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني):134/ 4، 135.

(٢) ينظر: لسان العرب (عنن):١٣/ ٢٩٠.

(٣) النهاية في غريب الحديث:313/ 13، ولسان العرب (عنن):290/ 13.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ابي الحديد):2/ 21، والديباج الوضي:1966/ 4.

(٥) ينظر: الديباج الوضي:1966/ 4.

(٦) نفسه.

(٧) ينظر: لسان العرب (عنن):290/ 13.

شيئاً. بل ربما يكون المعنى الذي في ثنايا هذه المفردة دالاً على عدم القدرة والفائدة من طرفي الحياة، وهما الإنسان الذي اغْتَرَّ بالدنيا، والدنيا نفسها، فكأن صاحبها أشبه بالعِنّيْن من الرجال، وهو الذي لا يستطيع إتيان النساء[١]. وفي ذلك إشارة إلى عدم الفائدة التي يريد الناس الحصول عليها من الدنيا، مثلما يمكن أن تكون الدنيا كالمرأة العنِينَة، وهي التي لا تشتهي الرِّجال ولا تريدهم[٢].

٣ـ جماعة الخيل.

المَنَاسِر

المَنْسِر – بالفتح – مابين الثلاثين فرساً إلى الاربعين[٣]. وقيل: ما بين المئة إلى المائتين[٤]. وذهب أبو زيد الانصاري (ت ٢١٥هـ) – فيما نقل عنه – إلى أنها مابين الثلاثة إلى العَشَرة[٥].

وجاء مفردة (المَنَاسِر) بصيغة الجمع على (مَفَاعِل) ثلاث مرات في نهج البلاغة، في حين وردت لفظة (مَنْسَر) مرة واحدة في النهج[٦]. للدلالة على القطع من الجيش. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق ذمِّ أصحابه وتوبيخهم: ((... **كُلَّمَا أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ**...))[٧].

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

(٣) غريب الحديث (أبو عبيد): 335/ 3، و لسان العرب (قنب): 1 / 691.

(٤) ينظر: العين (نسر): 243/ 7، و لسان العرب (نسر): 5 / 205.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (نسر): 276/ 12، و لسان العرب (نسر): 5 / 205.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 440.

(٧) نهج البلاغة: خ/ 71: 109. وقد نقلت المدونات اللغوية قول الإمام المتقدم. واحتجّوا باستعماله مفردة (مَنْسر ومنَاسِر). ينظر النهاية في غريب الحديث: 46/ 5، ولسان العرب (نسر): 205/ 5.

أراد: أنه كلما هجم عليكم جمع من أهل الشَّام تراجعتم، وتوكلتم. فاستعمل مفردة (مَنْسِر) وجمعها (مَنَاسر)؛ للدلالة على القطع من جيش الشاميين التي تُطِلُّ عل أصحاب الإمام (عليه السلام) وتهجم على مواضعهم ومَسَالِحِهم. فيذعر هؤلاء الذين ذَمّهم (عليه السلام) منها، ويتراجعون ليغلق كل واحدٍ منهم بابه. فَعَبّر عن ضعف هذهِ الجماعة من أصحابه وتراجعهم عن نُصْرَة الحَقِّ بـ (غَلْق أبوابهم) كناية عن انصرافهم عن مواجهة العدو.

أما استعماله مفردة (مِنْسَر) ففيها إشارة إلى الغطرسة والظلم الذي توحي به هذه الكلمة المأخوذة من قولهم (مِنْسَر الطَّيْر)، وهو مِنْقَارُه[1]. أو هو ماتَسْتَنْسِر به سِبَاع الطَّيْر. وهو في الجوارح بمنزل المنقار في الطَّيْر[2].

ومن دلالات هذه المفردة أفادتها معنى (النَّتف) وبخاصة نَتْف اللّحم. وهو ماتقوم به الجوارح من الطيور التي تتغذى على اللّحم، فإنها تنزل على فرائسها وتنتف لحمها بمناقيرها، فَأمّا المِنْسَر من الجيش، فكأنّه يّصْنَع بما يَمُرّ به كما تصنع الجوارح بفرائسها. ولهذا قيل: إن المِنْسَر من الجيش هو الذي ما مرّ بشيءٍ إلا اقْتَلَعَه ونَسَرَهُ[3]. وهذا المعنى يَنْطَبِقُ على جيش أهل الشَّام الذي ما هجم عليمدينة من مدن الإسلام والأمصار التي تحت إمرة الإمام علي (عليه السلام) إلا خربها وقتل أهلها، فضلاً عن سَرَقَةِ ما فيها من أموال أهلها، وتبدو هذه المسألة واضحة فيما ذكره الإمام (عليه السلام) من هجوم أهل الشام على (الأنبار) بقوله: ((**أَلَّا وإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ القَوْمِ لَيْلًا وَنَهَاراً، وَسِرّاً وَإِعْلَاناً، وَقُلْتُ: اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ،**

(١) ينظر: لسان العرب (نسر):5 / 205.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر:العين (نسر): 243/ 7.

فَـوَاللهِ مَـا غُـزِيَ قَـوْمٌ فِي عُقْـرِ دَارِهِـمْ إِلَّا ذَلُّـوا... وَلَقَـدْ بَلَغَنِـي أَنَّ الرَّجُـلَ مِنْهُـمْ كَانَ يَدْخُـلُ عَـلَى المَـرْأَةِ المُسْـلِمَةِ وَالأخـرى المُعَاهِـدَةِ، فَيَنْتَـزِعُ حِجْلَهَـا، وَقُلُبَهَـا وَقَلَائِدَهَـا مَـا تَمْتَنِـعُ مِنْـهُ إِلَّا بِالِاسْـتِرْجَاعِ وَالِاسْـتِرْحَامِ))[١].

أقـول: ولعـل هـذا المعنـى يُفَسِّر لنـا عِلّـة استعمال الإمـام (عليه السلام) مفـردة (مِنْسَر)، لما فيهـا مـن دلالـة عـلى السَّرِقـة والسَّلْب أيضـاً، وهـو مـا دفـع اللغويـين - فيـما أحسـب - إلى تفسـير لفظـة مِنْسر باللِّص[٢].

وقـد اقتـصر شُرَّاح النهـج عـلى بيـان المعنـى اللغـوي لمفـردة (مِنـسر) ودلالتهـا عـلى القطعـة الجيـش[٣]. وفَسرّهـا بعضهـم بـ (الخَيْل)[٤]. وقـد وردت لفظـة (المَنَاسِر) بالدلالـة المتقدمـة نفسـها أيضـاً، وذلـك في (خ / ١٢٤).

كتيبة

الكتيبـة جماعـة الخَيْـل[٥]. أو هـي جماعـة الخَيـل إذا أغـارت في الحـرب، وهـي مـن المائـة إلى الألـف[٦]. وقيـل: هـي الجماعـة المُسْـتَحِيزة مـن الخَيْـل في حَيِّـز عـلى حِـدَة[٧].

وجـاءت لفظـة (كَتِيْبَـة)، وجمعهـا (كَتَائِـب) بصيغـة (فَعَائِـل) مـرة واحـدة لـكل منهما

---

(١) نهج البلاغة: خ/ 27: 61،62.

(٢) ينظر:العين (نسر): 243/ 7.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): 6 / 81، والديباج الوضي:527/ 2، ومع نهج البلاغة: 336.

(٤) ينظر: معارج نهج البلاغة:1 / 351.

(٥) ينظر: العين (كتب): 342/ 5.

(٦) ينظر: لسان العرب (كتب): 1/ 701.

(٧) ينظر: تهذيب اللغة (كتب): 88/ 1، والمحكم (كتب): 6/ 778.

في نهج البلاغة[١]. للدلالة على جماعة الخَيل التي ترتقيها الجنود، لتكون جيشاً من الخيّالة. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق ذمِّ المتقاعسين عن الجهاد من الذين أجابوه بقولهم: ((**يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إنْ سِرْتَ سِرْنَا مَعَكَ**))[٢]. فقال لهم: ((**مَا بَالُكُمْ لاَ سُدِّدْتُمْ لِرُشْدٍ، وَلَا هُدِيتُمْ لِقَصْدٍ ! أَفِي مِثْلِ هَذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَخْرُجَ ؟ وَإِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَذَوِي بَأْسِكُمْ، وَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ الْجُنْدَ وَالْمِصْرَ، وَبَيْتَ الْمَالِ وَجِبَايَةَ الْأَرْضِ... ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَتِيبَةٍ أَتْبَعُ أُخْرَى**))[٣]. أراد (عليه السلام) أنه في مثل هذا الموقف لا ينبغي له الخروج إلى الحرب والجهاد؛ لأنّ الأمر لا يستدعي خروجه، وإنما يخرج بالجيش رجل ممن يرتضيه هو من الشّجعان وذوي البأس. ودَلّت لفظة (كَتِيبْة) في النّص على القطعة العظيمة من الجيش التي اجمَعت للحرب، وفيها الخيّالة والرَّجّالة. والأصل في (الكتيبة)، كما ظهر من أقوال أهل اللغة، اجتماع الخَيْل قطعاً قطعاً في حَيّز معزول، ثُمّ صارت هذهِ الجماعة عبارة عن الخَيْل التي تستعد للإغارة في الحرب. وقد عدَّها اللغويون من المائة إلى الألف[٤]. واللفظة المتقدمة مأخوذة في اشتقاقها من (الكَتْب)، وهو الاجتماع. يقال: تَكَتَّبَتِ الخَيْل،إذا اجتمعت[٥]. ويُلْمَسُ في هذه المفردة أيضاً الدلالة على التّأهُّب والاستعداد للأمر الكبير العظيم. فيقال: تَكَتَّب الجيش، إذا استعدَّ، وتَحَزَّمَ وجمع عليه ثيابه[٦]. فكأن الإمام يشير إلى أنه من السَّهل أنْ يخرج في كتيبة من الجيش إلى الجهاد،

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: 394.

(٢) نهج البلاغة: خ / 119: 221.

(٣) ينظر: لسان العرب (كتب): 1/ 701.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: لسان العرب (كتب): 1/ 701.

(٦) ينظر: أساس البلاغة (كتب): ١ / ٥٣٥.

ولكن ما قيمة هذا الجيش إذا كان كثير العدد متفرّق القلوب؛ فإنّه: ((**لَا غَنَاءَ فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ مَعَ قِلَّةِ اجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ**))(١). كما يقول الإمام، فضلًا عن أنّه يلمح إلى أنّ خروجه في هذهِ الكتيبة مع هؤلاء القوم المتفرقي القلوب يُشبه وجود القِدْح من السِّهام في الكنانة الفارغة، فإنّ حاله حينذاك حال المنفرد الذي لم يَبْق معه أحد؛ لأنه،حسبما يذكر بعض الشّرّاح، كان قد أنقذ جيشاً من كبار أصحابه لهذه الوقعة، وجَهّز كتيبة اخرى لتعزيزها ورِفْدَها، فناسب قوله هذا الحال التي هو عليها(٢).

واستعمل (عليه السلام) لفظة (كَتَائب) بصيغة الجمع على (فَعَائِل) للدلالة على الكتائب المكونة من الخيالة، وهي القطع الكبيرة من الجيش التي يتلو بعضها بعضاً في المعركة، وذلك في (خ / ١٢٤).

رَعِيلاً

الرَّعِيْل، والرّعْلَة القطعة المتقدمة من جماعة الخَيْل(٣).

واستعمل أمير المؤمنين مفردة (رَعِيْلاً) مرة واحدة في كلامه الوارد في نهج البلاغة(٤)، للدلالة على القطع من الناس الذين يبعثهم الله تبارك وتعالى بعد الموت إلى القيامة للجزاء. وذلك في قوله (عليه السلام): ((**حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ**

(١) نهج البلاغة: خ / 119: 221.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 3/ 551، 552.

(٣) ينظر: العين (رعل): 115/ 2، وتهذيب اللغة (رعل): 203/ 2، و لسان العرب (رعل): 11/ 287.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ١٩٠.

وَتَقَضَّتِ الدُّهُورُ وَأَزِفَ النُّشُورُ[١] **أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ**[٢] **الْقُبُورِ... سِراعاً إِلَى أَمْرِهِ مُهْطِعِينَ**[٣] **إِلَى مَعَادِهِ رَعِيلاً صُمُوتاً**[٤] **قِيَاماً صُفُوفاً...))**[٥] يتحدث الإمام (عليه السلام) في هذا النّص عن البَعْث بعد الموت، وهي المرحلة التي يُسَاق الناس فيها من قبورهم وأضرحتهم إلى القيامة، للحساب والجزاء، ويصوّر (عليه السلام) إخراجهم من ضَرائحهم إلى يوم حِسابهم بهيئة الإسراع، والإهطاع وهي حالة الذِّلّة والمَسْكَنة التي يكون عليها البشر في سَيْرِهم ليوم حِسَابِهم ويشبّه الإمام مَسِيرهم هذا بِسَيْرِ القِطْعَة من (الخَيْل) التي تتقدم جماعتها عند سيرها مُجْتَمِعَةً، وهي التي يُطلق عليها (الرَّعِيْل)، كأنّ الناس يَسِيْرُون إلى جزائهم متقدمين بعضهم البعض الآخر قطعة قطعة، أو جماعة جماعة يتلو بعضهم بعضاً وقد سكتت أَلْسِنَتُهُم. ولهذا وصفهم الإمام (عليه السلام) بـ (صُمُوتاً) إشارة إلى ذلك الصَّمْت الذي يطغى عليهم من هَوْل الموقف. وهو مضمون قوله تبارك وتعالى: ﴿**هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ**﴾[٦]. وإنما شَبّه الإمام بَعْث الناس وإهطاعهم يوم الحساب بـ (الرَّعِيْل) من الخَيْل؛ إشارة إلى سرعة قدومهم على الله جل جلاله فكما يتقدم (الرَّعِيْل)، جماعة الخَيْل كأنه

(١) النشر البعث والإحياء بعد الموت. ينظر: لسان العرب (نشر): 5/ 207.

(٢) الضريح القبر، وإنما سمي ضريحاً لأنه يشق في الأرض. ينظر: لسان العرب (ضرح): ٢/ ٥٢٦.

(٣) المهطع الذي ينظر بذل وخشوع، والإهطاع الإسراع. ينظر: لسان العرب (هطع): 8/ 372.

(٤) الصموت إطالة السكوت. ينظر: لسان العرب (صمت): 2/ 54.

(٥) نهج البلاغة: خ/ 83: 123. وقد أوردت المدونات اللغوية كلمة الإمام التي استعمل فيها مفردة (رعيلاً). ولكن برواية اخرى، نصها: كما نقله ابن الأثير الجذري: ((وفي حديث علي: سراعاً إلى أمره رعيلاً)). بإسقاط قوله: ((مُهْطِعِينَ إلى معاده)). ينظر: النهاية في غريب الحديث: 2/ 235، ولسان العرب (رعل): 11 / 289.

(٦) المرسلات/ 35.

قائدهم الذي يَحِثُّهُم على السَّير والتّقَدّم[١]، فكذلك هم النُّخْبَةَ الذين يبدون في إسراعهم إلى الحساب كالنخبة المسرعة من الخيل إلى تتقدم أخواتها. وإذا أخذنا بالتوجيه الذي يرى أنّ (الرعل) هو الكريم المقدم من فحول النخل[٢]. يكون المعنى انهم يقدمون نحو الحساب شاخصين قائمين صفوفاً كصفوف النخيل التي تصطف في الأرض. وبهذا يكون (عليه السلام) قد اخذ من (الخيل) صفة الأسراع والاقدام دون معرفة ما سيجري لها عند وصولها ومن صفة (الرعل) الخاصة بالنخل حال الوقوف والبروز ولزوم المكان، و(الرَّعل) هو الكريم المُقَدّم من فحول النَّخْل ايضاً. فاختياره هذه المفردة أراد به التتابع في السير ولحاق بعض قطع الخَيْل بعضها البعض الآخر، فضلاً عن سُرعتها في الوفود. ولعل هذا هو وجه الشّبه الذي يمكن استخلاصه من التشبيه الذي عقده الإمام بين (رَعِيل الخَيْل) و(الرَّعيل من الناس) الذين يتقدمون جماعة جماعة، وربّما كان بين كل جماعة منهم مَنْ هو كريم مقدم بينهم في الغنى والشجاعة، ولكنه يُسَاق معهم شأنه شأن غيره من الناس في الإقدام على الله، إذ يتساوى الجميع في هذا الموقف.

أقول: ويُلمس في التعبير المتقدم الدلالة على الذَّم والتّهَكُم بهؤلاء الذين يَفِدُوْن على الله تبارك وتعالى. كأنهم قطع من الدَّواب التي لا تمتنع من القياد. فتجيء صامِتة بكماء. لعلمه (جل جلاله) بأعمالهم وأفعالهم التي ارتكبوها في الحياة الدنيا جمعاً. ومن نافلة القول الإشارة إلى ما ذهب اليه اللغويون من تفسير لمفردة (رَعِيْلاً) في قوله (عليه السلام). فقد ذكر ابن الأثير الجزري أنّ المراد بها: ((ركاباً على الخَيْل))[٣]. وهذه دلالة بعيدة عمّا أراده الإمام؛ لأنّ المفردة المتقدمة أدّت – من

(١) ينظر: تاج العروس (رعل): 29 / 83.

(٢) ينظر: لسان العرب (رعل): ١١ / ٢٨٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٢٣٥، و ينظر: لسان العرب (رعل): ١١ / ٢٨٧.

خلال مقام التشبيه - الدلالة على السّرعة والمتابعة بين القطع المتتابعة من الناس التي شَبّهها الإمام يوم وفودها على الله جل جلاله برعيل الخَيْل. ولم يُرد (عليه السلام) معنى الركوب والامتطاء باتخاذ الخَيْل دواباً لهم كما فَهِم أصحاب الغريب.

مِقْنَب

المِقْنَب زهاء ثلاث مائة من الخَيْل[١]. وقيل: هي الجماعة من الخَيْل مابين الثلاثين إلى الأربعين[٢]. وقد وردت هذه اللفظة في نهج البلاغة مرة واحدة[٣]. دالة على جماعة الخَيْل والفرسان. وذلك في سياق كلام أمير المؤمنين الذي يتحدث فيه عن أصنافِ النّاس. إذ يقول: ((**وَمِنْهُمُ المُصْلِتُ لِسَيْفِهِ، وَالمُعْلِنُ بِشَرِّهِ، وَالمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ، وَرَجِلِهِ**[٤]، **قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ، وَأوبَقَ**[٥] **دِينَهُ، لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ**[٦]، **أو مِقْنَبٍ يَقُودُهُ**...))[٧]. وهذا الكلام الذي يتحدث به الإمام هو عن الصِّنْفِ الثاني من النّاس، وهو لَرَجُلُ الشَّرِّ الذي ما يزال قابضا على سَيْفِهِ، مُعْلِناً بِشَرِّه، ومُجْلِباً بِخَيْلِهِ ورَجِلِهِ. والمُجْلِبُ هو المُتَوَعِّدُ بالشَّرِّ[٨]. سواء أكان مُجْلبا بالفرْسان، أم بالرَّجَّالة الذين هم بمنزلة المُشاة في الجيش. وهو الذي

(١) ينظر: العين (قنب): 178/ 5.

(٢) ينظر: المحكم (قنب): 6 / 449.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 381.

(٤) الرجل هو الراجل، أو الجماعة الراجل. ينظر: العين (قنب): 178/ 5.

(٥) وبق الرجل،أي هلك.ينظر: لسان العرب (وبق): 370/ 10.

(٦) الحطم الكسر، وهو كسر الشيء اليابس خاصة. ينظر: لسان العرب (حطم): 137/ 12 ويريد بالحطام - ههنا - المال والجاه كما يبدو.

(٧) نهج البلاغة: خ / ٣٢: ٧٠.

(٨) ينظر: تاج العروس (جلب): 11 / 63.

يعين على الناس بإجْلَابَه[١]. وهذه المفردة التي ذكرها الإمام (عليه السلام) من الفاظ القرآن الكريم، فقد وردت في قوله تعالى: ﴿... **وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ...**﴾[٢]. وهذا المُجْلب هو الذي هَيّأ نفسه وأعدّها إلى الفساد والإفساد في الأرضِ[٣]. وأهلك دينه من أجل (حُطَام الدنيا)، وهو المال والمَنْصب الذي يُمني نفسه به. وإنما عَبّر الإمام عن (المال) بـ (الحُطَام)؛ لأن (الحُطَام)في الاصل هو ما تكسَّر من كل شيءٍ يَابِسٍ خاصة [٤].فجعله عليه كالحطام الذي إذا تكسر؛ولا يُرْجى منه شيء[٥]، وكذلك المال المجموع من القتل والقتال والسَّلب والطرائق غير المشروعة؛ فإنّه حُطَام لا فائدة منه، سرعان ما يُحْرق صاحبه ويورده النَّار، كما يكون الحُطَامَ من اليَبَسِ سبباً للإحراق والإهلاكِ. وجعل الإمام الأوصاف المتقدمة توطئة لاستعمال (الحطام) الذي يَنْتَهزه الصِّنْف الأول من الناس، وهو (المُصْلِتُ لِسَيْفِه). فإنَّ خصاله المتقدمة لا تكون إلّا لطلب رئاسة أو قيادة يسوم بها الناس خَسْفاً، وسبيله إلى ذلك: (المال = الحُطام)، و(المِقْنَب)، وهي - كما ذُكر في دلالتها اللغوية - الجماعة من الخَيْل، والفُرْسان التي تزيد على الثلاث مئة كما ذكر الخليل[٦]. أو التي تقل عن المِئة فهي بين الثلاثين والاربعين كما يذكر ابن سِيْده[٧].

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): 2/ 140.

(٢) الإسراء / 64

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): 2/ 140.

(٤) ينظر: لسان العرب (حطم):137/ 12.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 2/ 271.

(٦) ينظر: العين (قنب):178/ 5.

(٧) المحكم (قنب): 449/ 6.

وذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه اللفظة - كما يبدو - للدلالة على طلب هذا الصنف من الناس السلطة والزعامة، ولو كان ذلك زعامة جماعة من أهل السَّلْب والنَّهْبِ والغَزو. وأجد في الدلالة اللغوية لهذه المفردة مايسعفني لإثبات هذا المعنى. وذلك أنّ اللغويين لمّا ذكروا أن هذه المفردة تدل على جماعة الخَيْل التي فوق المِئَة أو تحتها، فإنهم أرادوا بذلك الخَيْل وفُرْسانها، ولايكون هذا الجمع إلّا مُتجهزاً لقتَال أو حَرْب، ولهذا زاد بعض اللغويين على دلالة لفظة (مِقْنَب). بأنهم الجماعة من الفرسان الذين يجتمعون للغارة[١]، وبهذه الدلالة يصير المعنى: أن (المُصْلِت لسَيْفه) قد هَيّأ نفسه وأهلك ديْنه، للهَيْمَنَة على المال أو الجَاه، ليَقُوَد مجتمعاً من الفرسان الغُزَاة؛ ليصول بهم ويَجُوْل في الخراب والقتل والإرهاب. وقد تَنَبَّه بعض الشُرَّاح لهذا المعنى، فذكر أن الإمام (عليه السلام) إنما خَصّ هذه الامور التي يمتاز بها (المُصْلِتُ لِسَيْفِهِ)؛ لأنها الأَغْلَب فيما يسعى له أهل الدنيا. وهي المال، أو الرئاسة الدنيوية باقتناءِالخَيْل والنَّعم[٢].

٤ـ جياد الخيل وعتاقها.

جِياد

الجَوادُ في اللغة وَصْفٌ للفرس الجَيّد الكريم العَدْو كما يذكر الخليل[٣]، وجَادَ الفَرَسُ يَجُود جودة، فهو جوادٌ)[٤]..والجَواد الفرس الذَّريع والسِرَّيع البَيِّنِ

(١) ينظر: تاج العروس (قنب): 4 / 82.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 2/ 271.

(٣) ينظر: العين (جيد):٦/ ١٦٩.

(٤) نفسه.

الجـودة[١]. والجَمْـعُ (جِيَـاد)[٢].

وقـد جـاءت لفظـة (جِيَـاد) مرتـين في نهـج البلاغـة[٣]، للدلالـة عـلى الخَيْـل الجيَـاد. ومـن ذلـك قولـه (عليه السلام) في كتـاب أرسـله إلى أهـل البـصرة مُحَـذِّرا ايّاهـم مـن اتبـاع الأمور المُرْدِيَـة، وسـفه الآراء الجائـرة، ومنابذتـه (عليه السلام)، ومخالفتـه بعدمـا مَـنَّ عليهـم بالعَفْـو عـن مُجْرِمهـم، وتـرك مُدْبِرهـم. يقـول (عليه السلام):((**فَـإنْ خَطَـتْ بِكُـمُ الْأُمُـورُ الْمُرْدِيَـةُ، وَسَـفَهُ الْآرَاءِ الْجَائِرَةِ إِلَى مُنَابَذَتِي وَخِلَافِي، فَهَا أَنَا ذَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي، وَرَحَلْتُ رِكَابِي**))[٤]. ويحـذر الإمـام أهـل البـصرة مـن الدخـول في الفاسـد مـن الآراء التـي تـؤدي بهـم إلى مخالفتـه ومنابذتـه، ولهـذا ذكـر لهـم مسـألة (تَقْرِيـب الجيـاد)، و(إرْحَـال الرِّكـاب)، كنايـة عـن استعداده الخـروج اليهـم وقتالهـم[٥]، فجعـل تقريـب (الجِيَـاد)، وهـي كـرام الخَيْـل سـبيلاً إلى التأهـب والاسـتعداد في ركوبهـا بوصفهـا مـن لـوازم القِتـال، وخـصَّ هـذه المفـردة بالاسـتعمال؛ لأنّـه أراد تهديدهـم بالقـوّة التـي يَسْتشـعرونها في أذهانهـم، فوظّـف مفـردة (هـذهِ المفـردة) التـي توحـي بقـوّة عَـدْو خَيْلـه، وسرعـة وصولهـا اليهـم؛ لأنهـا بَيّنـة الجَـوْدَة، سريعـة العَـدْوِ، لاتـكاد تخـذل راكبهـا. فكأنهـا – لِجَوْدهـا وجَوْدَتهـا – تُعطـي فارسـها الـذي يمْتطيهـا مزيـداً مـن العـزم والقـوّة. وهـذا هـو جُوْدُهـا: فالجَـوَادُ مـن الخَيْـل هـو الرّائـع في عَـدْوه[٦].

وقـد وردت لفظـة (الجِيَـاد) في موضـع آخـر مـن نهـج البلاغـة بالدلالـة المتقدمـة

(١) ينظر: مقاييس اللغة (جود): 1/ 493.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 96.

(٤) نهج البلاغة: ك/ 29: 494

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 4/ 249.

(٦) ينظر: تاج العروس (جود): 7 / 528.

نفسها، على سبيل تشبيه النّاس بِجِيَادِ الخَيْل التي تُضَمّر في الميدان لأجل التسابق في الأفعال، والفائز مَنْ سبق إلى الخَيْر منهم. وذلك في (خ / ٨٣).

العِتَاق

العِتَاق الخَيْل الكريمة[١]. وفَرَسٌ عاتِقٌ. أي سابقٌ ناهِض[٢].

واستعمل الإمام (عليه السلام) كلمة (عِتَاق) مرتين في كلامه الوارد في نهج البلاغة[٣]. وصفاً لما يأتي:

أولاً: وصف الخَيْل الكريمة.

وذلك في سياق كلامه (عليه السلام) عن الاتراك وفتنتهم. إذ يقول (عليه السلام): ((... **يَلْبَسُونَ السَّرَقَ وَالدِّيبَاجَ، وَيَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ**...))[٤]. أراد: أنهم يَحْبِسُونَ الخَيْل الكريمة ووصَفَها بـ (العِتَاق) جمع (عَتِيْق)، وهو في اللغة الكريم الرائع من كل شيءٍ[٥]. كأنّه يومئ بهذه الصِّفَة إلى جودة هذهِ الخَيْل وأصالتها. آخذاً ذلك من معنى مفردة (عَتِيْق) التي تدل على القديم المُعْتِق، أو من قولهم لِفَحْل النَّخْل إنّه عَتِيْق[٦].إشارة إلى جودته وهيبته. وفي المفردة إلْمَاح إلى نجابَة هذه الخيول. تشبيهاً لها بالنَّجِيْبَة من الإبِل. وقد ذكر الخليل أنّ الوَصْفَ بـ(العَتِيْقَة) يُراد منه النَّجِيْبَة من النّوق[٧]. فكأن هذا الوصف ينطبق أيضاً في استعمال الإمام له على الخَيْل

(١) ينظر: المصباح المنير (عتق): 392/ 2.

(٢) ينظر: لسان العرب (عتق): 235/ 1، والمغرب: 41/ 2.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 291.

(٤) نهج البلاغة: خ/ 128: 234.

(٥) ينظر: النهاية في غريب الحديث: 179/ 3.

(٦) ينظر: المحكم (عتق): 178/ 11.

(٧) ينظر: العين (عتق): 146/ 1.

التي يعتقها الأتراك. وقد ذكر الشَّارح أبو الحسين يحيى بن حمزة الحسيني أنّ المراد بالعتَاق هي الفَرَس النّاعمة الخلق، الكثيرة السَّبْق[١]. وهذا المعنى لا يبتعد كثيراً عن دلالة مفردة (عِتَاق) الدالة على كرام الخَيْل.

ثانياً: الدلالة على الوجوه الكريمة.

إذ وصف الإمام (عليه السلام) وجوه المؤمنين بـ (العِتَاق) إشارة إلى كرمها، وعلُو شأنها، ولكنها مع ذلك خَضَعَت لله تبارك وتعالى. يقول (عليه السلام): ((**وَعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَ الزَّكَوَاتِ، وَ مُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ، تَسْكِيناً لأَطْرَافِهِمْ، وَ تَخْشِيعاً لأَبْصَارِهِمْ، وَ تَذْلِيلاً لِنُفُوسِهِمْ، وَ تَخْفِيضاً لِقُلُوبِهِمْ، وَ إِذْهَاباً لِلْخُيَلاَءِ عَنْهُمْ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً، وَالْتِصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالأَرْضِ تَصَاغُراً**))[٢]. يجعل الإمام (عليه السلام) العبادات التي فرضها الله تبارك وتعالى على الإنسان حارساً له، كأنها تَقِيه من الزيغ والإنجراف عن الصَّراط المستقيم، فـ (الصلاة والزكاة والصيام) سبيل لِتَسْكِيْن الاطراف، وجعلها ساكنة هادئة غير مائلة إلى ارتكاب المعاصي، فضلاً عن عدّها سبباً في خشوع الابصار، وتذليل النفوس، وإذهاب الخيلاء والكبر عنهم. وكانت سبيل الإمام إلى إظهار معنى التواضع. استعمال لفظ (تعفير) التي تدل في اللغة على (العَفْر)، ظاهر التّراب. وهو كناية عن الإذلال والإرغام[٣].

فلمّا أراد الإشارة إلى تواضع عباد الله المؤمنين وتذللهم لله جل جلاله، استعمل تعفير الوجوه التي وصفها بـ (العِتَاق) علامة على الخضوع وترك الخيلاء تواضعاً

(١) ينظر: الديباج الوضي: 1057/ 3.

(٢) نهج البلاغة: خ / 192: 371.

(٣) ينظر: لسان العرب (عفر): 583/ 4.

لله تعالى. وقد جاءت المفردة المتقدمة لمدح المؤمنين الذين ينهجون هذا النهج في التواضع والتصاغر لله تبارك وتعالى، فوصف وجوههم بـ (العِتَاق) كناية عن رِفعة شأنهم، وعلو منزلتهم وطيب وجوههم وكرامتها عليه. ولكنهم مع ذلك أطاعوا الله وعَفّروا تلك (العِتاق) بالتّراب إذلالاً لها وإعزازاً للحق تبارك وتعالى. وهذا المعنى مناسب لسياق الخطبة التي يتحدث الإمام (عليه السلام) في موضوعها الرئيس عن (ذَمِّ التّكَبُّر والخُيَلاء)، مُتَّخِذاً من (إبْلِيسَ) أنموذجاً للكبر والاستعلاء، بوصفه إماما للمُسْتكبِرين، قد ورد في هذِهِ الخطبة نص آخر يُشْبه قوله (عليه السلام): ((**تَعْفِيرِ عِتَاقِ الوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً**))[١]. إلاّ في بعض الفاظه؛ إذ يقول في الخطبة، وفي مقام نفي التّكبر عن (الأنبياء والأولياء) وبيان تواضعهم: ((**فَأَلْصَقُوا بِالأَرْضِ خُدُودَهُمْ، وَ عَفَّرُوا فِي التُّرابِ وُجُوهَهُمْ**...)). ولّما كان المقام في النّص الأول مقام مدح للمؤمنين، لهذا وصف وجوههم بـ (العِتَاق) إشارة إلى كرامتها ومنزلتها. في حين أنه لما تحدث عن الأنبياء والأولياء وتواضعهم، لم يصف وجوههم بـ (العِتَاق)؛ لأنّه أراد بيان شِدّة ملازمتهم لله تبارك وتعالى، فكأنهم ملتصقون به من خلال طاعاتهم وعباداتهم التي لا تشبهها عبادة. وهذا المعنى تدل عليه مفردة (أَلْصَقُوا) التي تدل في اللغة على الملازمة بين شيئين[٢]. في حين أنه وصف عباد الله المؤمنين بـ (تَعْفِير) الوجوه، وهو وضعها على التُّراب، إشارة إلى شدّة وَلَعِهم وعبادتهم لله جل جلاله، من خلال تعفير وجوههم وإلقائها في التراب حقيقة، وذلك في حال الصّلاة وبقية العبادات، ويحتمل أن يكون التَّعْفِير للوجوه العتاق يدل على كونهم إذَّلة خاشعين لاتسْتَعلي وجوههم على الناس، لأيمانهم أنهم من تراب والى التراب. والدلالة الأولى أَلْيَقُ بالسياق وأدَلّ.

(١) نهج البلاغة: خ / 192: 366.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (لصق): 5/ 249.

أما السّياق الذي يتحدث فيه الإمام عن تواضع الأنبياء والأولياء، فإنه ذكر فيه (خُدُوْدَهم) دون وجوههم جميعاً، ولهذا جعل (الإلصاق) مخصوصاً بها. وهو ما يدفع إلى القول إن التَّعْفير يخص الوجه جميعاً بحسب قول الإمام، في حين أنّ الإلْصَاق يختص بالخدوْد من الوجه، كأنه يومئ إلى تَقْلِيبهم للوجه على الأرْض جهة كل خَدٍّ من خدودهم، ومن ثمّ - يعفرون - وجوههم بالتراب. وقد كانت العناية في هذا النص مخصوصة بمسألة التَّعْفِير، لأنّه (عليه السلام) وصف الأنبياء والأولياء بأنهم خاصَّة الله، وهذه المنزلة لا يبلغها عند الله تعالى احد غيرهم، ولهذا استغنى الإمام عن وصف وجوههم بـ(العِتَاق)، لتقدْم مَدْحهم. فضلاً عن أنْ المراد بلفظة (عِتَاق) ليس الكرامة والنجابة فحسب، وإنما المراد بها (رِقّة الوَجْه ونعومته) أيضاً، وعلى هذا المعنى، فإن وجوه (الأنبياء والأولياء) لا تمتاز بِرِقَّةِ البَشَرَة؛ لأنّهم اصحاب كَدٍّ وعَمَلٍ وعبادة، وهم يَتَمَيَّزون بخشونة الجلد وغلْظَته ولعل هذا هو السبب الذي دعا الإمام (عليه السلام) إلى الاستغناء عن مفردة (عِتَاق) في هذا السِّياق.

٥- أجزاء جسم الخيل.

الحَافِر

الحِافِر في الدّواب بمنزلة القَدَم. ويكون في الخَيْل والبِغَال والحَمِيْر(١). فكما أنّ الكاهل والغَارِب من أجزاء البَعير المشهورة، فكذلك الحَافِر من أجزاء الدواب المتقدمة التي تُعَدّ علامة عليها عند اللغويين(٢).

واستعملت لفظة (الحَافِر) مرتين في نهج البلاغة(٣). للدلالة على حَافر

(١) ينظر: لسان العرب (حفر):206/ 4.

(٢) نفسه

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 114.

الفَرَس، وحَافر بَقيّة الدّواب. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في بيان علّة وَضع الكَعْبَة المُقَدَّسة بأوعَر بقاع الأرض: ((... **فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً**[١]، **ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الْأَرْضِ حَجَراً... بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ**[٢] **وَعُيُونٍ وَشِلَةٍ**[٣]، **وَقُرًى مُنْقَطِعَةٍ لاَ يَزْكُو بِهَا خُفٌّ وَلاَ حَافِرٌ وَلاَ ظِلْفٌ**))[٤]. وقد أراد (عليه السلام) من استعمال مفردات (خُفٍّ)،و (حَافِر)،و(ظِلْف) الدلالة على عدم نماء الدّواب التي تختص بتلك الأجزاء، وإنما عَبّر عنها بمسميات أقدامها؛ من باب التعبير بالجُزْء عن الكُلِّ[٥]. فاستغنى عن ذكر الدّواب بذكر أسماء أقدامها.وهذا الوجه من وجوه البلاغة مجاز مرسل علاقته الجزئية، فإنّه(عليه السلام) ذكر الجزء و أراد به الكل، ذاكراً لفظ (الخُفِّ) الدلالة على (الإبِل) التي تختص بهذِهِ التسمية. في حين دلَّ بـ(الحَافِر) على الخَيْل وما يلحق بها من بقيّة الدواب من ذوات الحافر كالبغال والحَمير[٦]. ويُلْحَظ أنه قد انتقل من تخصيص مفردة (حَافِر) بالخَيْل إلى تعميمها؛ مناسبة للسياق فإن (الحَافِر) أينما أُطْلِقَ فقد أريد به الفَرَس كما يذكر اللغويون[٧]. وإنما سُمِّيت قدم الفَرَس بذلك، لأنها كمن تحْفَر بها الأرض[٨]، فقيل

(١) اشارة إلى قوله تعالى: ﴿**جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ**﴾ المائدة/ 97.

(٢) الدمث السهل اللين الموطئ من الرمل الذي ليس بمتبلد. ينظر: لسان العرب (دمث): 149/ 2.

(٣) العيون جمع عين، وهي ينابيع الماء التي تجري من الارض، والوشلة القليلة الماء.ينظر: لسان العرب (عين):303/ 13،و(وشل):11/ 725. وقد احتج اللغويون بقول الإمام (عليه السلام) المتقدم في مدوناتهم. ينظر:النهاية في غريب الحديث:188/ 5، ولسان العرب (وشل):725/ 11.

(٤) نهج البلاغة: خ/ 192: 368.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني):164/ 4.

(٦) ينظر: لسان العرب (حفر):206/ 4.

(٧) ينظر تهذيب اللغة (حفر): 14/ 5، ومقاييس اللغة (حفر): 85/ 2.

(٨) ينظر: مقاييس اللغة (حفر):2/ 85.

لها حَافِر على التشبيه بالأداة التي تُحْفَرُ بها الارض، أو بالحَافِر الذي هو الإنسان القائم بَحَفْر الأَرْض.

أقول: وتعميم دلالة هذه المفردة واضح كلامه الذي يُراد به أنّ موقع (الكَعْبَة المُقَدَّسة) واقع بأرض وَعِرَة تكتنفها الجبال من كل جانب، وتحتفل أرضها بالرِّمال اللّيِنَة التي يكثر انغماس الأَرْجُل فيها. فضلاً عن عدم صلاحها للنبات، وقِلّة ماء عيونها. فلا تَنمو فيها الدواب عامّة سواء أكانت خَيْلاً، أم غيرهاُ. من الدواب التي تختص أرجلها بالحوافر، وبقية الشّاءِ من ذواتِ الأَظْلَافِ.

خصها بعدم النّماء؛ لأنّ أَسْبَابه مفقودة في هذه المنطقة من عُشْبٍ وماء ومَرْعى[١]. تعتاش عليها تلك الدواب. وربما أراد (عليه السلام) بذكر لفظة (حَافِر) وما شاكله الدلالة على أهمية هذهِ الدواب ومنزلتها عند العرب؛ بوصفها ذات قيمة عندهم، ويتضح ذلك في اعتمادهم على الابل في التّرحال والتّنقُّل، فضلاً عن الافادة من لبنها، وحاجتهم إلى الخَيْل في الحرب وما شابهها؛ فهي وسيلتهم في القتال وغيره، ولهذا كانت (الفَرَس) نَفيسةَ عندهم لايمكنهم التفريط بها إلّا عند الحاجة القصوى، فإنهم لا يبيعونها إلا بالنَّقْد[٢]. علأوة على أن حاجتهم للشاء والنَّعَم من غنمٍ وغيرِها واضحة في الغذاء وصُنع النَّسج. فلهذا أراد الله تبارك وتعالى اختبار قدرتهم في السَّعي اليه بأوعر بُقعة من الأرض مُضَحين بكل ما يملكونه من قُوّة بَدَنهم، ونفائس رواحلهم وخيولهم التي أنفقوا عليها الكثير من الجهد والمال، ليبذلوها في سبيل الله منتِقلين بها من مواضع سُهُول الارض إلى وَعْرها؛ طلباً لرضا الله تبارك وتعالى.

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): 13/ 120.

(٢) ينظر: لسان العرب (حفر):206/ 4.

سَنابك

السُّنْبُك طرف الحافر، وجانباه من قُدمٍ[١]. وهذا اللفظ من الألفاظ المعرّبة عن الفارسية كما يذكر الجواليقي والفيومّي[٢].

واستعمل الإمام (عليه السلام) مفردة (سَنَابك) مرتين في كلامه الوارد في نهج البلاغة[٣]، للدلالة على طرف الحَافِر الخاص بالخَيْل. وقد استعاره الإمام (عليه السلام) للفِتَنِ التي يقول فيها في مقام ذَمِّ مَن أطاع الشيطان من النّاس ((... **أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ، فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ، وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ، وَقَامَ لِوَاؤُهُ فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا، وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا، وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا، فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ...**))[٤].

أقول: استعار الإمام لفظة (سَنَابكهَا) للفِتَن جاعلاً منها كالدَّابة التي تسحق مَنْ تلاقيه، وسَحْقها هذا يكون (بالأَخْفَاف) و (الأظْلَاف)، وإنما جعل دَوْسَها بالأخفاف، وهي أقدام الإبل، لأنها أشَدُّ في طبْعهم وصيرورتهم بشكل يناسب خُف البعير، مع ما في البعير من ثقَل وحجم عظيم، بحيث يؤدي إلى تسوية ما يدوسه بالأرض. فكأن الفتنة قد سَوّتهم وصقلتهم على وفق مايُريده أصحاب الفتن منها، فضلاً عن إذلالهم والاستهانة بهم. ثم استعار الإمام مفردة (أظلاف)، وهي أقدام الشّاء والبَقر التي تمتاز بدقتها وشِدّة أذاها عندما تطأ ما تسحقه. في حين أنه (عليه السلام) استعار لفظ (سَنَابِكِهَا)؛ للدلالة على قيام الفِتن وارتكازها على

---

(١) ينظر: العين (سنبك): 5/ 427، وتهذيب اللغة (سنبك): 10/ 231، و لسان العرب (سنبك): 444/ 10.

(٢) ينظر: المعرب: ٢٢٥، والمصباح المنير: ١/ ٢٦٥

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٢٦.

(٤) نهج البلاغة: خ / ٢: ٢٦، ٢٧.

هـذا الـضَّرب مـن الاقـدام الخاصـة بالخَيْـل مـن الـدواب. وجعلهـا مخصوصـة في هـذا النـص لقيـام الفتَـن؛ مـن بـاب دلالـة الجـزء عـلى الـكل، فـإن (السَّـنَابك) هـي جُـزْء مـن أقـدام الفَـرَس، وهـي واسـطتها للارتـكاز والسَّـيْر، فضـلاً عـن اتصافهـا بالغِلَـظ والحِـدَّة، فـكأن الفـرس حـين تسـير تقطـع كل مـا يلاقيهـا لِحَّـدة أطـراف حوافرهـا. وخـص القيـام (بالسَّـنَابك) إشـارة إلى سُرْعـة نهـوض الفِتـن قوتهـا، فهـي كالفـرس الـذي ينهـض سريعـا مـن بروكـه، وهـو في ذلـك أسرع مـن نهـوض البَعِـير. عـلأوة عـلى الفـارق بينهـما في سرعـة العَـدْو وخفّـة الحركـة. وربـما أراد (عليه السلام) بذكـر (السَّـنَابك)، الإشـارة إلى ركـوب الدّاعـين إلى الفتـن والمُؤَججيْن لهـا. إيـماء إلى افكارهـم الفاسـدة التي يسـحقون بهـا كلَّ شيءٍ يلاقونـه في جولاتهـم في الأراضي والبقـاع لإثـارة الاضطـراب بـين النـاس. هـو مـا توحيـه لفظـة (سَـنَابك) المضافـة إلى ضمـير الغائبـة المؤنثـة، تومـئ هـذه المفـردات إلى التَّنَـوِّع في الافـكار والعقائـد الفاسـدة التـي يحملهـا أهـل الفتَـن، فضـلاً عـن تنـوّع أذهـا وتعـدده، ولهـذا اسـتعملها الإمـام (عليه السلام)لبيـان هـذا التعـدد في المضـار التـي تسـببّها الفتـن وقادتهـا.

وقـد اسـتعمل (عليه السلام) اللفظـة نفسـها - أعنـي (سـنابك) - في موضـع آخـر مـن كلامـه في استعارة لطيفـة جاعـلاً منهـا أقدامـا للشـياطين التـي تَطَـأ المُتَرَدِّد في ظَنّـه الـذي لايَعْقـد العَـزْم في مـا يـراه مـن الأمـور. وذلـك إشـارة إلى السُّرْعَـة في الاذى والوقـوع في المهالـك. وجـاءت هـذه الدلالـة في (قصـا / ٣١).

٦ـ عامة الخيل

خَيْل

الخَيْل جماعة الفَرَس[١]. الخَيْل – كما يذكر اللغويون – معروفة[٢]. وإنما سميت (خَيْلاً) لاختيالها في المَشْي[٣].

وقد استعملت لفظة (خَيل) في نهج البلاغة غير مرة، وكان أكثرها استعمالاً ماجمع على (فَعْل)، إذ وردت لفظة (خَيْل) مع ضمير الغائب خمسة مرات، ومجردة منه ثلاث مرات ومضافة إلى ضمير الخطاب مرة واحدة، بمجموع بلغ أربع مرات. في حين جاءت لفظة (الخُيُول) جمعاً على صيغة (فُعُول) مرة واحدة مجردة من أي ضمير، ومرة مضافة إلى ضمير الغائبين[٤].وقد أمكن حصر الدلالات التي وردت بها الألفاظ المتقدمة في ما يأتي:

أولاً: الدلالة على الخَيْل التي يُجْلَبُ بها الشيطان على الناس.

وذلك بوصفها واسطة من وسائط الهجوم في المعارك وغيرها.وقد خص الإمام (عليه السلام) هذا المعنى بمفردة (خَيل) المجموعة على (فَعْل)، وكانت (خَيْل) الشيطان لها الحظ الأوفر في هذا الاستعمال في تعبيرات الإمام. ومنها قوله (عليه السلام) في سياق التحذي من الشيطان واستيلائه على الناس: ((**فاحْذَرُوا – عِبادَ الله – عَدُوَّ الله أنْ**

(١) ينظر: العين (خيل): 4/ 306، ولسان العرب (خيل): 11 / 231.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (خيل): 2/ 235.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (خيل): 2/ 235، ولسان العرب (خيل): 11 / 231.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 150.

يُعْدِيَكُمْ بِدائِهِ، وَ أنْ يَسْتَفِزَّكُمْ[١] بِنِدائِهِ، وَ أنْ يُجْلِبَ[٢] عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ ورَجِلِهِ))[٣].

والتحذير في هذا السياق شديد، لما يملكه الشيطان من مقدرة في إصابة (عِبادَ اللهِّ) بدائه الذي أراد به الإمام الإشارة إلى تأثير ابليس في الناس. ويجعلهم مثله في الحقد والنميمة وغيرها من الخِصَال التي يمتلكها الشيطان فيورثها اتباعه. وإنما استعمل الإمام لفظة (يَسْتَفِزَّكُمْ)؛ للدلالة على تمكُّنه من السيطرة على الناس ذوي الإيمان الضعيف، فإنّه ما إن يستميلهم بالشهوات الملذات حتى يقوموا اليه سراعاً. وربما كان المعنى أنّه يخرجهم خائفين مذعورين ثُمّ يُجْلِبَ عَلَيْكُم بخيْله ورَجِلِهِ والمراد بلفظ (خَيْلِهِ)، الاشارة إلى وسائله التي يستعملها في الوصول إلى الناس وخداعهم ليكونوا عبيداً له. في حين أن مفردة (رَجله) تفيد الدلالة على الأعوان الذين يُزيّنون السُّوْء للناس. ويحْتمل أنْ تكون المفردة دالة على (الأَعْوَان) أيضاً؛ لأنّهم بمنزلة الخيْل التي يركبها الشيطان ويتخذها واسطة للوصول إلى الناس واستفزازهم. وفي كلا المعنيين، فاللفظة مستعارة من مجالها الدلالي إلى مجال آخر كنى فيه الإمام عن أعوان الشيطان أعوانه الضالين المضلين[٤]. كأنما الشيطان يقود جيشاً مؤلفاً من الخَيَّالة والرجالة، وهم المُشَاة الذين يهجم بهم على العِبَاد الذين اتخذهم مطايا يصول بهم صولاته على الناس، ومما يدعم ذلك المعنى قول الإمام (عليه السلام) في سياق آخر من الخطبة نفسها متحدثاً عن (الأَدْعِيَاءَ) من اتباع ابليس:**((وَلَا تُطِيعُوا الأَدْعِيَاءَ الذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُم، وَخَلَطْتُم بِصِحَّتِكُم مَرَضَهُم... اتَّخَذَهُم إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ، وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ،**

(١) استفزه. أي:أخرجه من داره وأزعجه.ينظر: تاج العروس (فزز): 15 / 271.

(٢) الجلب سوق الشيء من موضع إلى موضع آخر. ينظر: لسان العرب (جلب): 268/ 1.

(٣) نهج البلاغة: خ/ 192: 361.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 4/ 148.

وتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِم...))[١]. ويؤيد هذا أيضاً قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾[٢].

أقول: لقد وظّف الإمام (عليه السلام) مفردتي (خَيْلِهِ)، و(رَجلِهِ) توظيفاً لا يَبْتَعِد عن الاستعمال القرآني لهاتين اللفظتين، بل يمكن القول إنّه (عليه السلام) استعمل النّص القرآني بطريقة تتناسب مع الفكرة التي يريد الاشارة اليها في التحذير من غَلَبة الشيطان على (عِبادَ الله)، وضرورة منع الإنسان لنفسه من اتباعه. يقول الله تبارك وتعالى في مقام التحدي: ﴿**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا**﴾[٣]. وقد ذكر المفسرون أنّ المراد باستفزاز الشيطان خداعه للناس، وايقاعهم في إرادته وطاعته، مع استعارة في قوله تعالى (خَيْلِكَ وَرَجِلِكَ)، كأنما المراد هم فُرْسَانُ الناسِ ورجالاتهم المُتَصرِّفون في البَاطل، فإنهم أَعْوان إبليس[٤]. ويحتمل كلام الإمام (عليه السلام)الدلالة على الحقيقة، والمجاز وأشار إلى ذلك شُرَّاح النهج ومنهم ابن ابي الحديد الذي يقول: ((فإن قلت فهل لإبليس خَيْل تركبها جندهُ. قلت: يجوز أن يكون ذلك و قد فسره قوم بهذا. والصحيح أنه كلام خرج مخرج المثل شبهت حاله في تسلطه على بني آدم بمن يُغِير على قوم بخيله فيستأصلهم...))[٥].

---

(١) نهج البلاغة: خ / 192: 365.

(٢) الحجر / 42-39

(٣) الاسراء / 64

(٤) ينظر: التفسير الكبير: 21/ 5،و المحرر والوجيز: 30 / 470

(٥) شرح نهج البلاغة (ابن ابي الحديد): 14 / 106

وثَمّة مواضع أُخرى وردت فيها مفردة (خَيْل) للدلالة على إِجْلَاب الشيطان على الناس، وذلك في (خ/ ١٩٢،١٠).في حين ساق الإمام لفظة (خَيْل) للدلالة على الخَيْل التي يغار بها في الحرب وذلك في (خ/ ٢٧، ٣٢، ١٢٤).

ثانياً: الخَيْل الشُمُس بدلالة الخطايا.

فشبّه (عليه السلام) في هذا السياق الخطايا بالخيل الصَّعْبَة المَرْكب. إذ يقول في مقام التحذير من ارتكاب الخَطَايا مشيراً إلى سوء عاقبتها:((**أَلاَ وَ إِنَّ الخَطَايَا**[١] **خَيْلٌ شُمُسٌ**[٢] **حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَ خُلِعَتْ، لُجُمُها**[٣]**، فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ**))[٤]. وهو يُنبّه الناس إلى أنّ (الخَطَايَا) والذنوب ليست سَهْلة الارتكاب، فيمكن للمرء الاتيان بالمعصية، ولكنها ستكون كالخَيْل العَصيّة الركوب على مُرْتقيها؛ لاتُمَكِّنَه من ركوبها إلّا بعد جُهْد جَهيد. فَإن رُكِبَت وحُمِلَ عليها فما يلبث راكبها أنْ يُردى في المهالك، لأنها مخلوعة القِياد، فلا يمكن المَسْك بعنانها. وتشبيه الإمام (الخطايا) بـ(الخَيْل الشُّمُس) راجع - فيما يبدو - إلى أن (الخَيْل) الصَّعْبَة الركوب ليست مما يمكن ترويضها أو الاستهانة بركوبها، وهذا ضرب من لطيف الاستعارة[٥]. لأنّه (عليه السلام) استعار لفظة (الخَيْل) للخطايا، جاعلاً منها صورة لما يُرْكب من الدّواب، فكأنما الذُّنوب والمعاصي بمنزلة الخَيْل الصَّعْبَة التي حُملت عليها الأَحْمَال، وهي مخلوعة اللّجام. فكما تتقحم الخَيْل الصعبة الشّموس براكبها المهالك. فكذلك

(١) الخطايا جمع خطيئة، وهي الذنب. ينظر: لسان العرب (خطأ):1/ 67.

(٢) الشموس من الدواب هي الجموع المانعة ظهرها من الركوب. ينظر: لسان العرب (شمس): 6 / 113.

(٣) اللجم جمع لجام، وهو مايوضع في فم الدابة من عنان. ينظر: لسان العرب (لجم): 12 / 534.

(٤) نهج البلاغة: 16/ 44.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 1/ 205.

راكب الخطيئة الذي ركبها على غير هدى بعدما خلع منها لجام أحكام الدين وحدوده. فيكون - بركوبها - قاصداً تَقَحُّم أوديّة الهلاكِ[١].

إن راكب الفَرَسِ الشَّمُوس؛ لاشَكَّ أنّه يريد من ركوبها الظهور بصورة البَطَل القوي الذي لا يمنعه الخوف من ركوب المُرْديَات من الخَيْل، كأنه يريد إظهار براعته وشجاعته للناس، فضلاً عن قدرته على ترويض هذا الضَّرْب من (الخَيْل) وإرغامها على طاعته. وزيادة في البراعة والشجاعة، فالبعض من الناس يحاولون خَلْع لجام الفَرَس ليزيد ذلك في خطورة المُرْتَقِي في الهلاك. من هنا يمكن تصوّر حالة التّكبّر والخُيَلَاء التي يكون عليها هذا النمط من الناس. فكأنه أخذ كِبْرَه وخُيلاءه من (الخَيْل) التي تتمايل في مِشْيتها، وتَزْهو في اختيالها. وهذا الوجه سوّغ لنا اختيار الإمام (عليه السلام) مفردة (خَيْل) في هذا السِّيَاق دون غيرها من الألفاظ الدّالة على بقيّة الدّواب. فكان يمكن أن يستعمل لفظة (الصَّعْبَة) مثلاً الدالة على النّاقة النّفور بدلاً من المفردة المتقدمة. غير أنّ السِّيَاق الذي صنعه أمير المؤمنين كان بحاجة إلى مفردة (خَيْل) أكثر من غيرها؛ لأنها أَمْلَك به؛ لتَّضَمُّنها دلالة الخُيَلاء والتكبّر، وهو ما يناسب المعنى الذي تتضمنه لفظة (خطايا)، فكما أن لفظ (الخَيْل) مأخوذ من الاختيال كما يذكر اللغويون[٢]، والإختيال هو التَّلَوّنُ والتغيّر والعُجْب في المَشي والأفعال[٣]. فكذلك (الخطايا)، فإنها ذنوب متغيّرة ومتلوِّنَة في أنواعها وأشكالها، فإن كانت بمنزلة (الخَيْل الشُّمُس)، المخلوعة اللُّجُم، فإنها

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 1/ 205، وغريب نهج البلاغة: 395. ويلحظ أن صاحب (غريب نهج البلاغة) قد استعان برأي الشيخ البحراني في تحليل كلام الإمام (عليه السلام)،ولكنه لم يخرجه من شرحه.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (خيل): 2/ 235.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (خيل): 2/ 235، والنهاية في غريب الحديث:93/ 2.

(خطايا) عِظام لايكبح جماحها إلّا النار.

فَرَساً

الفَرَسُ واحد الخَيْل، والذكر والأنثى فيه سواء(١). و سمّي الفرس (فرساً)؛ لأنّه مأخوذ من (الفَرْس)؛ وهو دَقّ العُنُق في الأصل(٢). فكأن الفَرَس حين ركضه يَدُقّ الأرض ويَرْكلها بقوائمه(٣).

ومفردة (فَرَساً) من الفاظ نهج البلاغة، التي وردت مرة واحدة(٤). للدلالة على الفَرَس من الخَيْل التي تُسْتُعمل واسطة في الركوب والعَدو على أهل الإسلام. وذلك في قوله (عليه السلام) في وصيته إلى عمّاله على الخراج: ((... **وَلَا تَمَسُّنَّ(٥) مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، مُصَلٍّ وَلَا مُعَاهَدٍ(٦)، إِلاَّ أَنْ تَجِدُوا فَرَساً أو سِلاَحاً يُعْدَى بِهِ عَلَى أَهْلِ الإِسلام...**))(٧). ينهي الإمام في هذا النّص عن أخذ مال أيِّ أحد من الناس، سواء أكان مسلماً أم مُعَاهداً من أهل الذِّمَّة، فَعَبّر عن المسلم بلفظ (مُصَلٍّ) إشارة إلى هذا الركن المهم من أركان الإسلام الذي يعدُّ من علامات المسلم وخصائصه، وأشار بلفظة (مُعَاهَد) إلى غير المسلمين من الذين يسكنون مع المسلمين، ولهم الحقوق وعليهم واجبات يؤدونها إلى المسلمين. ثم أشار الإمام إلى استثناء النَّهْي الموجّه إلى عمّال الخِراج، إلا ما كان يتخذ وسيلة للتعدي على المسلمين، فذكر من ذلك

(١) ينظر: المحكم (فرس): 481/ 8، ولسان العرب (فرس): 6 / 159.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (فرس): 12/ 280، ومقاييس اللغة (فرس): 4/ 485.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (فرس): 4/ 485،واساس البلاغة (فرس):1/ 469.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 347.

(٥) المس اللمس بالأيدي.-ينظر: العين (مس): 7/ 208. وهو في النص بمعنى الأخذ. والاستيلاء على الشيء.

(٦) يريد بالمصلِّ المسلم من الناس، وبالمعاهد غير المسلم من أهل الذمة.

(٧) نهج البلاغة: ك/ 51: 542.

(الفَرَس)، و(السلاح) وهما من وسائل الإجْلَاب والقتل التي يخشى الإمام من توظيفها في العَدْو على أهل الإسلام فذكر لفظة (فَرَساً) في هذا السِّياق إشارة إلى الدَّابة التي يجلب بها على المسلمين، فكأنه يومئ بهذه المفردة إلى استعمال هذه الدَّابة أو غيرها في التهيئة لقتال المسلمين. جاعلاً من (الفرس) و (السلاح) رمزاً للدلالة على وسائل الاجلاب وأدوات الحرب التي تستعمل في المعارك، ولهذا أمر عمّاله بأن يأخذوا هذهِ الدواب والسلاح من أيدي الأعداء، إذا تَيَقَّن أصحاب الخراج من استعمالها في هذا المجال.

٧ـ مضمار الخيل

المِضْمار

المِضْمَار الموضع الذي تُضْمَر فيه الخَيْل[١]. وتَضْمِيرها هو أنْ تُعْلَف قُوْتاً بعد السّمن[٢].

والمِضْمَار هو الوقت الذي تُضْمَر فيه الخيل للسِّباق أو للرّكض إلى العَدو وجمعه مَضَامِير[٣]. وتَضْميرها. في هذا الحال، هو أنْ تُشَدّ عليها سُرُوجُها وتُجَلَّل بالأجِلَّة حتى تَعْرَقَ تَحْتَهَا، فيذهب رهَلُهَا، ويشتدّ لَحمها، ويحمل عليها غِلْمَان خِفاف يُجْرُونها البَرْدين ولا يُعَنِّفون بها، فإذا ضُمِّرَت، واشتدَّت لحومُها وأُمِنَ عليها القَطع عند حُضرها ولم يَقْطَعها الشدّ وذلك في أربعين يوماً، فهذا هو التَّضْمِيْر الذي تعرفه العرب ويسمونه مِضْماراً، وتضميراً[٤].

(١) ينظر: العين (ضمر):41/ 7، وتهذيب اللغة (ضمر):28/ 12.

(٢) ينظر: العين (ضمر):41/ 7، وتهذيب اللغة (ضمر):28/ 12، ولسان العرب (ضمر):491/ 4.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (ضمر):١٢/ ٢٨، ولسان العرب (ضمر):٤/ ٤٩١.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (ضمر):28/ 12، ولسان العرب (ضمر):491/ 4، وتاج العروس (ضمر):12/ 402.

وجاءت لفظة (المِضْمار) أربع مرات في نهج البلاغة، في حين وردت مفردة (مضمارها) مرتين، و (مِضْماره) مرة واحدة واقتصرت لفظة (مَضَامِير) بصيغة الجمع على موضع واحد فحسب[1].

وقد استعملت هذه المفردات باشتقاقاتها المتقدمة، للدلالة على الموضع الذي تُضْمر فيه الخيل تهيئة للسِّباق، على سبيل الاستعارة. فمن ذلك قوله (عليه السلام) في مقام الحثِّ على التّوبَة، والعمل للآخرة:((**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا أَدْبَرَتْ وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَأَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ**[2] **أَلاَ وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ، وَغَداً السِّبَاقَ، وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ، وَالغَايَةُ النَّارُ، أَفَلَا تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ**...))[3]. وكلام الإمام -أعلاه- مما يقدح زناد الاتعاظ و الازدجار كما يقول السيد الشريف الرضي[4]. وقد استعار (عليه السلام) مفردة (المِضْمار) من مجالها الدلالي، وهو الدلالة على الموضع الذي تُضْمر فيه الجِيَاد، إعداداً للسباق، واستعملها في مجال إعداد الإنسان لنفسه، واختبارها للفوز بالجنّة. وقد شرح الشريف الرضي قول الإمام قائلاً: ((إنه لو كان كلام يأخذ بالأعناق إلى الزهد في الدنيا، و يضطر إلى عمل الآخرة لكان هذا الكلام، و كفى به قاطعا لعلائق الآمال، و قادحا زناد الاتعاظ و الازدجار، و من أعجبه قوله (عليه السلام): ((**أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ وَغَداً السِّبَاقَ وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالغَايَةُ النَّارُ**)) فإنَّ فيه، مع فخامة اللفظ، و عظم قدر المعنى، وصادق التمثيل، وواقع التشبيه سراً عجيباً، و معنى لطيفاً لاختلاف المعنيين و لم يقل (السَّبَقَةُ النار) كما

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 270،269.

(٢) الاطلاع الظهور. ينظر: لسان العرب (طلع):235/ 8.

(٣) نهج البلاغة: خ / 28: 64. وقد نقلت المدونات اللغوية المعاجم قول الإمام (عليه السلام) المتقدم.ينظر: لسان العرب (ضمر):492/ 4، وتاج العروس (ضمر):12 / 403.

(٤) نهج البلاغة: خ / 28: 64.

قال: (السَّبَقَةُ الجَنَّةُ)؛ لأنّ الاستباق إنما يكون إلى أمر محبوب و غرض مطلوب و هذه صفة الجنّة، و ليس هذا المعنى موجوداً في النّار. نعوذ بالله منها - فلم يجز أنْ يقول: (السَّبَقَةُ النار) بل قال: (وَالغَايَةُ النَّارُ)؛ لأن الغاية قد يَنتهي إليها من لا يسرّه الانتهاء إليها، ومَنْ يسرّه ذلك، فَصَلُحَ أنْ يُعَبّر بها عن الأمرين معاً...))[١]. وقد نقل شُرَّاح النهج هذا التعليل عن الشريف الرضي، ولا سيما في تقييد (السَّبَقَةُ) بـ (الجَنَّةُ)، و(الغَايَةُ) بـ (النَّارُ)[٢].

أقول: ومفردة (مِضْمار)، في الأصل، مأخوذة من الضّمور وهو الهزال والضّعف[٣]. فكأن الذي يُعدّ خيْلَه للسِّباق يُضمرها ويُجللها بالأجلّة حتى تَعْرق تحتها، فيذهب رهلها ويشتد لحمها ليكون ذلك أنجى لها وأخفّ ثم يُعْلف من أجل قُوْته[٤]. فأنهم يُسمنونه بالعلف، ثُمّ يُرَدُّ إلى القوت في أربعين يوماً، وتسمّى هذهِ المدّة بـ (المِضْمَار)[٥]. وبحسب هذا الوصف، فإنّ الذي يُعدّ نفسه لملاقاة الله تبارك وتعالى ينبغي عليه ان يُعِدّ نفسه للقاء الله بأنْ يَرُوضها بالتقوى والطاعة، والاعمال الصالحة. وقد ناسب هذا المعنى استعمال مفردة (مِضْمَار) و (السَّبَقَةُ)، وهما من المفردات الخاصة بالسِّباق الخاص بالخيْل، إذ شَبّه الإمام بهما حال الإنسان الذي يُراد له السَّبْق إلى الجَنَّة التي خَصّها بالسَّبق دون النّار التي جعل الغاية لها.، مثلما جعل (عليه السلام) ذلك مَنْتَهى لمن لا يرجع عن ذنوبه بالتّوبة والاستغفار، قائلاً:

(١) نهج البلاغة: خ / 28: 64، 65.

(٢) ينظر: معارج نهج البلاغة: 301، والديباج الوضي:1/ 361.

(٣) ينظر: لسان العرب (ضمر):491/ 4.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: لسان العرب (ضمر):491/ 4.

((**أَفَلَا تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ، أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ...**))[١]. فالذي ينصرف عن التوبة، ولايعمد اليها قبل حلول أجله تكون غايته النّار، في حين أن الذي لاذنب له، أمّا الذي يتوب عن ذنوبه، ويُضّمِر نفسه ويروضها للقاء الله، فإنّ الجَنّة مقرّه ومأواه. وقد عَبّر الإمام (عليه السلام) عن هذا الامر بـ (السَّبَقَة)، إشارة إلى الفوز الناتج عن جودة الاستعداد والتأهب، كما يفوز الجواد من الخَيل في السِّباق.

ومن نافلة القول الإشارة إلى احتمال مفردة (المِضْمَار) الرفع،والنَّصب، فأمّا رفعها فعلى أساس أنها خبر (إنَّ) وتكون كلمة (اليوم) أسمها، وأما نصب (المضمار)، فعلى كونه اسماً لإنَّ[٢].وقد وقع الخلاف في جواز الاخبار بالزمان عن الزّمان، لأن مفردة (المِضْمَار) و (اليوم) كلاهما من الفاظ الزّمان، فكلمة (مِضْمَار) تمثل زمناً أو وقتاً، يحدّده اللغويون بالوقت المخصص لتضمير الخَيْل[٣]. ويكون ذلك إخبار الزمان بالزمان، وهذا من المحال كما يذكر الشُّرَّاح[٤]. وقد أشير إلى أنّ هذا المشكل يمكن أنْ يُحلّ إذا كانت دلالة الزمان في مفردة (المِضْمَار) دلالة جزئية مشتملة على حدث، فكأنما الزمان فيه مرتفق بالحَدَث. وهو فِعل التَّضمير والاعداد، وهذا يجوّز الإخبار بالزمان عن الزمان[٥]. وأزيد على ذلك بأنّ لفظة (المِضْمَار) في كلامه (عليه السلام) لا تتضمن الدلالة على الزمان فحسب، وإنما تشتمل أيضاً على معنى الغاية التي يُعَدّ من أجلها (الفَرَس)، أو (الإنسان) إلى السِّبَاق، وهي (الفوز)، وقد أشار اللغويون إلى هذهِ الدلالة في المفردة مع اشتمالها على

(١) نهج البلاغة: خ / 28: 64.

(٢) شرح نهج البلاغة (البحراني):257/ 2.

(٣) ينظر: تاج العروس (ضمر):12 / 403.

(٤) شرح نهج البلاغة (البحراني):257/ 2.

(٥) نفسه.

(الوقت)[١]. وأمّا إذا فَهِمْنَا من مفردة (مِضْمَار) الدلالة على إهزال الخَيْل، واشتداد لحومها، لتقويتها على السِّباق، فكأنها تُضْمرُ السُّرعة والخفّة في العَدو. فذلك الأمر أبعد من الدلالة على الزمان في المفردة، وأقرب إلى الدلالة على الخفّة والاسراع في الجَري، وبهذا يِصحّ الاخبار عن (المِضْمار) بـ (اليَوم).

وقد استعمل الإمام لفظة (مَضَامير) بصيغة الجمع على (مَفَاعِيْل) في قوله الذي يتحدث فيه عن مواضع اختبار الرِّجال، وإمكانتهم في الإدارة والحكم، إذ يقول: ((**الوِلايَاتُ مَضَامِيْرُ الرِّجَالِ**))[٢]. أراد (عليه السلام) (بالولايات) الخُطط والإمارات، وهي مأخوذة من التّوَلّي[٣]، وهي أيضاً السّلطان[٤].

وقد جعل الإمام هذه (الولايات) وما تشتمل عليه من الإمرة، والسلطان على النّاس بمنزلة (مَضَامِير) الخَيْل التي تُعَدّ في الأفْراس للفوز في السِّباق. فاستعار (عليه السلام) مفردة (مَضَامير) للولايات بوصفها مظان امتحان الولاة وظهور جودتهم في الإدارة أو ضَعْفِهم، وتَسَلّطهم على الرعيّة، مثلما يعرف الفرس في المِضْمار[٥]. وقد استعمل (عليه السلام) مفردة (مِضْمَار) للدلالة على موضع الاعداد والاختبار للناس والإسلام، وذلك في (خ / ٨٣ ٢، ١٠٦، ١٥٦). في حين أنه استعملها للدلالة على مدة عمر الإنسان، وذلك في (خ / ٢٤١).

---

(١) ينظر: لسان العرب (ضمر):492/ 4، وتاج العروس (ضمر):12 / 403.

(٢) نهج البلاغة: قصا / 441: 690.

(٣) ينظر: المحكم (ولي): 10 / 458.

(٤) ينظر: لسان العرب (ولي):407/ 15.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): 30/ 4،وشرح نهج البلاغة (البحراني):504/ 5، والديباج الوضي: 3054/ 6.

الحَلْبَة

الحَلْبَة خَيْل تجتمع للسِّباق من كل أوب، ولا تخرج من موضع واحد، ولكن من كلِّ حيٍّ[١]. وقيل: بل هي الدّفْعَة من الخَيْل في الرِّهان خاصة[٢].

وقد استعمل الإمام (عليه السلام) لفظة (الحَلْبَة) ثلاث مرات في نهج البلاغة؛ منها واحدة مضافة إلى ضمير الغائب. في حين استعملت لفظتا (حَلَبات) بصيغة الجمع المؤنث السَّالم، ومفردة (حَلائِب) جمعاً بصيغة الجمع على (فَعَائِل) مرة واحدة[٣]. وذلك للدلالة على مواضع اجتماع الخَيْل للتنافس. وقد أزاح الإمام هذهِ الدلالة، مستعملاً المفردات المتقدمة في دلالات اخرى آخذاً منها دلالتها على الاجتماع ويمكن بيان ذلك فيما يأتي:

أولاً: الدلالة على الاجتماع للمنافسة في الفوز بالجنة.

وقد استعمل (عليه السلام) لهذهِ الدلالة مفردة (حَلْبَة)، في سياق كلامه عن الإسلام في مقام المدح والثناء على الله تبارك وتعالى الذي شرع الإسلام للناس، إذ يقول: **((الْحَمْدُ للهِ الَّذِي شَرَعَ الإِسلام، فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ... فَهُوَأَبْلَجُ[٤] الْمَنَاهِجِ وَأوضَحُ... كَرِيمُ الْمِضْمَارِ، رَفِيعُ الْغَايَةِ، جَامِعُ الْحَلْبَةِ، مُتَنَافِسُ السُّبْقَةِ، شَرِيفُ الْفُرْسَانِ التَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ، وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ، وَالْمَوْتُ غَايَتُهُ، وَالدُّنْيَا مِضْمَارُهُ، وَالقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ، وَالْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ))**[٥]. والنص – كما تقدم – في

---

(١) ينظر: العين (حلب): 3 / 238، وتهذيب اللغة (حلب): 5/ 55، والمحكم (حلب): 3/ 355.

(٢) نفسها.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 121.

(٤) الابلج في اللغة الحسن الواسع الوجه. ينظر:: لسان العرب (بلج): 2/ 215.

(٥) نهج البلاغة: خ / 106 / 192، 193.

مدح دين الإسلام، وحُسن مبادئه وسعة أركانه وشموليته لجميع جوانب الحياة، وقد عبّر الإمام عن ذلك بمفردة (أَبْلَجُ المَنَاهِجِ)، إشارة إلى المعاني المتقدمة ويمكن أن تكون مفردة (أَبْلَج) دالة على أركان الإسلام وأصوله التي يسمّى بها الإنسان مسلماً، ومنها الإقرار والتسليم بالله تعالى والتصديق بشريعته[١]. وقد صوّر الإمام (عليه السلام) بهيئة المَوْضع الذي يُضْمَرُ فيه ويُسْتَعَدّ للسباق وغيره، بخَيْل السباق الكريمة المضمارة[٢]، فاستعار له مفردات (المِضْمَار)، و (الحَلْبَة)، و(السُّبْقَة)، و (الفُرْسَان) وهي مفردات تدل على التّأهّب والإعداد للمنافسة. و(المِضْمَار) هو الموضع الذي تُضَمّر فيه الخيل لغرض السِّباق، وقد أشار بها (عليه السلام) إلى زمان الاعداد والتّهْيئة، وهي الحياة الدّنيا التي جعلها (المِضْمَار) الذي يعد فيها الإنسان نفسه للآخرة، بالتقوى والعمل الصالح، وأمّا مفردة (الحَلْبَة)، فقد استعارها للاجتماع واللّقاء في المنافسة. ناقلاً إياها من دلالتها على جماعة الخَيْل التي تجتمع للسَّبْق إلى دلالة أخرى جديدة، هي اجتماع الناس في موقف القيامة الذي جعله (حَلْبَة الإسلام)؛ لكونه محل الاجتماع إلى حضرة الله تبارك وتعالى[٣]. وأمامفردة (السُّبْقَة)، فقد جعلها غاية الاجتماع ونتيجته، وهي الفوز بالجَنّة. وذلك أنه استعمل المفردات المتقدمة بحسب أسبقية كل واحدة منهما، جاعلاً كل واحدة منهما نتيجة للأخرى، فإنّ الذي يريد الفوز والسُّبْقَة في (الحَلْبَة)، فعليه أنْ يَجِدّ ويجتهد في إعداد خَيْلِه وتَضْمِيْرها، وكذلك من يريد (الجَنَّة) ويرغب اليها، فعليه أنْ يروّض نفسه وَيُرَبِّيهَا على الطاعة لله والتقوى له، ومن ثَمّ يَدْخل في حَلْبَة المنافسة من أجل الفوز بالجَنّةِ. وكلامه(عليه السلام) يُفَسّر بعضه بعضاً - كما يقال -، فإنه لّما قال. إن الإسلام ((**كَرِيمُ**

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 3/ 505.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): 7/ 136.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 3/ 505.

المِضْمارِ،... جَامِعُ الحَلْبَةِ، مُتَنَافِسُ السُّبْقَةِ...))[١]. أبان عن دلالة هذه المفردات بقوله: ((... **الدُّنْيَا مِضْمارُهُ، وَالقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ، وَالجَنَّةُ سُبْقَتُهُ**))[٢]. فالدنيا هي مكان الاستعداد وزمانه، والقيامة هي الحَلْبَة التي يُسارع إليها الإنسان، والجَنّة هي الفوز الذي يناله الخائضون في هذه الحَلْبَات.

وقد استعمل الإمام (عليه السلام) مفردة (حَلْبَات) بجمع التصحيح، للدلالة على(الدنيا) التي كأن الموتى يتفاخرون فيها، وقبل مماتهم، وقد أسماها (عليه السلام) ((**حَلْبَات الفَخْر**))، بوصفها المجتمع الذي يعيش الناس فيه، ويتنافس، فمنهم من يشمخ ويعلوه الكِبْر، ومنهم مَنْ يتخذ التواضع وطاعة الله تبارك وتعالى سبيلاً له. وقد جاءت هذهِ الدلالة في (خ / ٢٢١).

ثانياً: الدلالة على جماعة الخيل المجتمعة للحرب.

وذلك في قوله (عليه السلام) الذي يحثّ فيه على قتال العَدُوِّ إذ يقول: ((**إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ دِرَاكٍ... وَحَتَّى يُرْمَوْا بِالمَنَاسِرِ**[٣] **تَتْبَعُهَا المَنَاسِرُ وَيُرْجَمُوا تتبعها المناسر، وَيُرْجَمُوا بالكَتَائِبِ**[٤]**، تَقْفُوهَا الحَلاَئِبُ...**))[٥].

والنص يُبَيِّنُ أنّه (عليه السلام) مؤمن بعدم تراجع الطّرف الآخر عن موقفه إلّا بالقتال المتتابع المستمر، فذلك هو الذي يَفُت جماعتهم، وعَضُدهم. ولأَجْل تحقيق النّصر على هؤلاء سعى (عليه السلام) - في خطابه لأصحابه - إلى استعمال المفردات الدَّالة على القوّة والاجتماع، من قبيل مفردة (مِنْسَر)، و (كتائب)، و (حَلائب)، وهي ألفاظ

(١) نهج البلاغة: خ / 106 / 192، 193.

(٢) نفسه.

(٣) المنسر - بكسر الميم - قطعة من الجيش تمُرُّ قدام الجيش الكبير. ينظر: لسان العرب (نسر): ٥/ ٢٠٥.

(٤) الكتائب جمع كتيبة، وهي القطعة العظيمة من الجيش. ينظر: لسان العرب (كتب): 1/ 701.

(٥) نهج البلاغة: خ / 124: 229.

موحية بالشِدّة وقُوّة العزيمة في القتال، وقد أشار بلفظة (الكتائب) إلى القطع العظيمة من الجيش[١] التي اجتمعت اصولها بعضها إلى البعض الآخر حتى بَدَت عظمتها.

ولما أراد التعبير عن معنى الاجتماع وعدم الانفراد والقلّة في أصحابه، ذكر أن هذه الكتائب ((**تقْفُوهَا الحَلَائِبُ**))، أي تتلوها (الحَلَائِب) من الخَيْل التي تجتمع من كل أوبٍ للسِّبَاق كما يذكر المعجميون[٢]. غير أنّه (عليه السلام) أزاح هذه الدلالة وأستبدلها بدلالة أخرى هي الاجتماع والاستعداد للحرب. فكأن الحَلائب جماعة الجيش التي قدمت من كل صَوْبٍ للإغاثة والنُّصْرَة في الحرب وغيرها. واختصت – ههنا – بالحرب. والعرب تسمّي القوم القادمين من كلِّ وَجه للحرب وغيرها بـ (الأَحْلَاب)[٣]. يريدون أنهم جاؤوا للإغاثةِ والنُّصْرةِ. فكأنما (الحَلائِب) في نصّ الإمام مفردة تدل على (الكتائب) التي تتقدم لقتال الأعداء، المُغَاثة بالأنصار الذين يؤازرونهم ويدعمونهم في هُجُومهم. ويلحظ أنّه قد وسّع من دلالة مفردة (حَلَائب)، فجعلها دالة على المعونة والنُّصْرَة بعدما كانت تدل أصلا على الخَيْل المجتمعة للسباق.

وقد استعمل الإمام (عليه السلام) مفردات (الحَلْبَة)، و(حلبته)، و (حلبات) للدلالة على مواضع الاعداد والفخر في (خ/ ١٠٤، ١٠٦، ٢٢١، قصا/ ٤٥٥).

(١) ينظر: لسان العرب (كتب): 1 / 701.

(٢) ينظر: العين (حلب): 238/ 3 وتهذيب اللغة (حلب): 55/ 5.

(٣) ينظر: العين (حلب): 3 / 238، وتهذيب اللغة (حلب): 5/ 55.

٨ـ أصوات الخيل

حَمْحَمَة

الحَمْحَمَـةُ صَـوْت الـبِرْذَوْن[١]. وهـو دون الصّـوت العـالي[٢]. وهـو للفَـرَس دون الصَّهيْل[٣]. وقيـل: الحَمْحَمَةُ عرُّ الفَرَسِ حين يقصر في الصَّهيْل، فَيَسْتَعين بِنَفسه[٤]. وأكثر ما تكـون هـذه الحَمْحَمَـة في الخَيْـل عنـد طلـب العَلَـف أو الشَّعيْر كـما يذكر اللغويـون، فكأنهـا حكايـة صَوْتـه إذا طلـب العَلَف[٥].

ووردت لفظـة (حَمْحَمَـة) مـرة واحـدة في نهـج البلاغـة[٦]، للدلالـة عـلى صـوت الخَيْـل. وذلـك في سياق حديثـه عـن مَلْحَمـة صاحـب الزِّنـج بالبَـصرة التـي يومـىء إليهـا الإمـام (عليه السلام) بقولـه[٧]: ((**كَأَنِّي بِـهِ وَقَـدْ سَـارَ بِالجَيْشِ الَّـذِي لاَ يَكُـونُ لَـهُ غُبَـارٌ وَلَا لَجَبٌ**[٨] **وَلاَ قَعْقَعَةُ**[٩] **لُجمٍ**[١٠] **وَلَا حَمْحَمَةُ خَيْـل...**))[١١]. يريـد (عليه السلام): أن انطلاق جيـش صاحـب الزِّنـج إلى البـصرة سـيكون خاليـاً مـن (الخَيْـل) التـي تتخـذ سـبيلاً

---

(١) البرذون الدابة من الخيل التي تكون من غير نتاج الخيل العراب. ينظر: لسان العرب (برذن): ١٣/ ٥١.

(٢) ينظر: العين (حمم): 3/ 35، وتهذيب اللغة (حمم): 4/ 15.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (حمم): 4/ 15، والنهاية في غريب الحديث: 1/ 436..

(٤) ينظر: المحكم (حمم): 2/ 557.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (حمم): 4/ 15، ومقاييس اللغة (حمم): 2/ 24، والمحكم (حمم): 2/ 557.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: 123.

(٧) أشار إلى هذا الوجه السيد الشريف الرضي. ينظر: نهج البلاغة: خ / 128: 234.

(٨) اللجب الجلبة والصياح. ينظر: لسان العرب (لجب):735/ 1.

(٩) القعقعة صوت الشيء عند التحريك. ينظر: لسان العرب (قعع):286/ 8.

(١٠) اللجم جمع لجام، وهو ما تلجم به الدابة. ينظر: لسان العرب (لجم):534/ 12.

(١١) – نهج البلاغة: خ / 128: 234.

للإغارة؛ لأن الزِّنج لم يكونوا أصْحَاب خَيْل[١]، ولهذا كنّى عن ذلك بنفي وجود (قَعْقَعَةُ اللُّجُم)، و (حَمْحَمَةُ الخَيْل)، وهو نفي للأصوات التي تصحَب حركة الجيش الذي يشتمل على (الخَيّالة)، و(الرَّجّالة). فكأن عدم (الحَمْحمة)، إشارة إلى افتقار الجيش إلى الخَيْل مناسبة لحالهم في عدم الاعتياد عليها. و (الحَمْحَمَةُ) من لوازم الخَيْل، فهي أصواتها التي تصدرها عند جوعها وحاجتها إلى الأعْلاف والشعير. وتُسْمَع حَمْحَمَةُ الخَيْل أيضاً عند رؤيتها مَنْ تألفه من النّاس كأصحابها الذين تَسْتَأنِس بهم[٢]. فلما كان هؤلاء الزِّنج ممن لا عَهْدَ لهم بالخَيْل ولا اعتياد عليها، فناسب ذلك عدم وجود صوت لها في جيشهم، فضلاً عن عدم قعقعة اللجم. وقد أشار الإمام (عليه السلام) إلى أنّ جيش الزِّنج هذا يثير الغبَار بأقدامه بدلاً من حَوافر الخَيْل. دلالة على كونهم رَجَّالة مشَاة، ولَيْسُوا خيّالة.

٩ـ صغار الخيل

الفِلْو

الفِلْوُ الجَحْشُ والمُهْر، إذا فُطِمَ[٣]، وهو مأخوذ من الافتلاء. أي الفَطْم[٤].

واستعمل الإمام (عليه السلام) مفردة (الفِلْو) مرة واحدة في كلامه الوارد في نهج البلاغة[٥]. للدلالة على المُهْر الصَّغِير الذي يَرْبو ويَكْبرُ مع شدة العناية به. وذلك في مقام مَدحه (الأنصار) الذين وصفهم بأنهم: ((**رَبَّوُا الإسلام كَمَا يُرَبَّى الفِلْوُ**

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 3/ 566.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (حمم): 4/ 15.

(٣) ينظر: العين (فلو):٨/ ٣٣٣، وتهذيب اللغة (فلو):١٥/ ٢٦٨،و لسان العرب (فلو):١٥/ ١٦٢.

(٤) ينظر: العين (فلو):333/ 8،ولسان العرب (فلو):162/ 15،و تاج العروس (فلو):250/ 39.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: 356.

مَعَ غَنَائِهِمْ[١] ...))[٢]. شَبّه (عليه السلام) نُمُو الإسلام واتساع شأنه، بتربية (المُهْر) الذي ينمو صغيراً حتى يكبر ويُفْطم عن الارضاع. وسمّي المهر (فِلْواً) -بكسر الفاء أو بفتحها مع تشديد الواو-[٣]. باعتبار ما سيكون من الفَطْم، وذلك إذا بلغ السَّنَة من عمره[٤].

ولعله أراد بهذا التشبيه الإشارة إلى بلوغ الإسلام أَشُدَّه، وقَطْعِه شَوْطاً من الثبات والقرار في مكّة. مثلما يَبْلَغ المُهر أشُدّه عند تربيته والعناية به. ووجه الشّبه من ذلك هو شِدّة عناية الانصار بالإسلام وحسن رعايتهم له، يُعْنَى الناس بتربية المُهْر الصغير[٥].

(١) الغناء – بفتح العين والمد – ارتفاع الحاجات. ينظر: تاج العروس (غني):٣٩/ ١٨٨.

(٢) نهج البلاغة: قصا/ 693/ 465.

(٣) ينظر: تاج العروس (غني):188/ 39.

(٤) نفسه

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٧٧.

المبحث الثالث
ألفاظ الأتان والحُمُر

الحِمَار

الحِمَار العيْر الأَهْلِي، والوَحْشِي[١]، وهو النَّهَاق من الدواب ذات الأَرْبَع كما يقول ابن منظور[٢].

وجاءت لفظة (الحِمَار) مفردة، ومجموعة على (حُمُر) بوزن (فُعُل) مرة واحدة في نهج البلاغة[٣]، للدلالة على الدَّابّة المعروفة المستخدمة في التَّنَقُّل. ومن قوله (عليه السلام) في وَصْفِ زُهْدِ النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله): ((**وَلَقَدْ كَانَ (صلى الله عليه وآله) يَأْكُلُ عَلَى الأَرْضِ وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ العَبْدِ وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ وَيَرْكَبُ الحِمَارَ العَارِي**...))[٤] والمقصود بـ (الحِمَارَ العَارِي) أنّه (صلى الله عليه وآله) كان يستعمل في ركوبه الحِمَار الذي لا غِطاءَ عليه من الأغطية التي توضع على ظهر الدّواب إتقاء لشدَّة ظَهْرها، وقساوته. فكأنّ النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) لتواضعه وزهده ماكان يستعمل في تَنَقّله من الدّواب الّاهذا الضَّرْب من الدواب، على حين كان غيره يمتلك الخَيْلَ والبِغَالَ التي توضع على ظهرها أغلى الأغطية والسُروج.

وقد استعمل(عليه السلام)لفظة (حُمُر) جمع (حِمار) أيضاً، وذلك في قوله الذي يتحدث فيه عن الفِتَنِ وما تصنعه بالنّاس: ((**مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ، وَمَنْ سَعَى**

(١) ينظر: العين (حمر):٣/ ٢٢٧، وتهذيب اللغة (حمر):٥/ ٣٦.

(٢) ينظر: لسان العرب (حرن):٤/ ٢١٢.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٢٥.

(٤) نهج البلاغة:خ / ١٦٠: ٢٨٤.

فِيهَا حَطَمَتْهُ. يَتَكَادَمُونَ[١] **فِيهَا تَكَادُمَ الْحُمُرِ فِي الْعَانَةِ**[٢]...))[٣]. يُحذّر الإمام من الفِتَن التي لا تُبْقي ولا تَذَر، فمن حاول الإشراف لها، والنظر إلى دُنُوها قَصَمَتْهُ، وكسرته، ذلك سعى فيها وكان أحد أركانها وأعمدتها، حَطَمَتْهُ في نارها. ويُشَبّه صراع الفِتَن مع النّاس بتكَادُمِ الحُمُر الوحشية فيما بينها عند اجتماعها والتَّكَادُم عض الحَمِير بعضها بعضاً. وحِمار كَدُوم، أي عضُوض[٤]. فكأن اضطراب الناس واختلافهم بسبب الفِتَن، كاضطراب الحُمُر الوحشية في قَطِيعها وجماعتها، يعض بعضها البعض الآخر. وقد استعار (عليه السلام) لفظة (التكادم) بدلالتها المتقدمة، وألبستها دلالة أخرى، هي الدلالة على الشغب والمغالَبة وإثارة الفتنَة[٥]، وهذا الوجه من التصوير يعزز الشَّبه بين الناس و(الحُمُر) المتصارعة فيما بينها، كأن هؤلاء الناس وبسبب من الفتن، لا يَأْلَف بعضهم بعضاً، ولا يأنسون إلى غيرهم، فصاروا حُمُراً وحشيّة، لا تكاد تتآلف فيما بينها، فضلاً عن عدم أُلْفَتِها مع غيرها.

وقد أعان هذا المعنى مفردة (حُمُر)، وهي جمع على زِنَة (فُعُل) للدلالة على الحُمُر الوحْشِيّة، وقد وردت هذه المفردة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿**كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ**﴾[٦]. والمراد بـ(الحُمُر) الحمير الوحشية غير الأهلية[٧]. في حين أنّ القرآن الكريم إذا أراد التعبير عن الحُمُر الأهلية، استعمل لفظة (حَمِيْر) على زِنَة

---

(١) التّكادم العضّ، وتكادم الفرسان، إذا تعاضضا. ينظر: لسان العرب (كدم): ١٢/ ٥٠٩.

(٢) العانة قطيع حمر الوحش. ينظر: المحكم (عون): ٢ / ٣٦٩.

(٣) نهج البلاغة:خ / ١٥١: ٢٦٤.

(٤) ينظر: لسان العرب (كدم):١٢/ ٥٠٩.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦١٨.

(٦) المدثر / ٥٠.

(٧) ينظر: الكشاف: ٤/ ٦٥٧، والتفسير الكبير: ٣/ ١٨٦،و معاني الابنية: ١٣٢.

(فَعِيل)، للدلالة على الحمير الأهلية المألوفة في قوله تعالى: ﴿... **إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾[١].

وقد نهج الإمام (عليه السلام) نَهْج القرآن الكريم، مستعملاً المفردة المتقدمة لتشبيه حال الناس أيّام الفِتَنِ بالحُمُر الوحشية كأنهم يُشْبِهونها في عِضَاضها ونفارها وفي ذلك ذم لهم واستهانة بحالهم، وشهادة عليهم بِقِلّةِ العَقْل الذي لم ينتفعوا به في الخلاص من هذه الفتن.

أتان

الأَتَان العَانة [٢]، وهي الحِمَارة الأُنثى[٣].

وقد وردت لفظة (أتَان) مرة واحدة في نهج البلاغة[٤]، للدلالة على أُنثى الحِمَار التي قَلَّ أكلها. وذلك في سياق كلامه عن زُهده وتقواه، ورغبته عن الدنيا. إذ يقول: ((**فَوَاللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً، وَلَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً**[٥]**، وَلاَ أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً، وَلَا حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْراً، وَلَا أَخَذْتُ مِنْهُ إِلَّا كَقُوتِ أَتَانٍ دَبِرَةٍ...**))[٦]. والمقام الذي يتحدث فيه أمير المؤمنين مقام زُهْدٍ يبين فيه زهده عن هذه الدنيا، وما فيها من ذهب، وغنائم، ولباسٍ، وضياع، وكل هذا تنزه عنه (عليه السلام)، وجانبه إلّا ما أخذه من قوته الذي يقيم به نفسه، وهو (كَقُوتِ أَتَانٍ دَبِرَةٍ)،

(١) لقمان / ١٩

(٢) ينظر: العين (أتن): ٨ / ١٣٧.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (أتن): ١٤/ ٢٣٢، والمحكم (أتن): ٩/ ٥١٢، ولسان العرب (أتن): ١٣ / ٦.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٤٤.

(٥) الوفر المال. ينظر: لسان العرب (وفر): ٥ / ٢٨٧.

(٦) نهج البلاغة: ك / ٤٥: ٥٣٠.

وإنـما شبّهه الإمام بقُوتِ الأَتَـان الدَّبـِرَة، لأن الأَتَـان الدَّبِرَة هـي التي تقرّح ظَهْرُها. والدَّبَرة قَرْحة تصيب الابل والدواب[(١)]. وهـذا القَرْح يصيب ظهر الدواب بسبب من كثرة الاحمال عليها، فيؤدي ذلك إلى عَقْرها عادة[(٢)]. ولهذا قلَّ أكل الدَّابة عند ذاك ويصيبُها الهُزَال. ولهـذا شبّه الإمام (عليه السلام) ما حازه من قُوْت بما تأكله الأتان المَدْبُورة التي تقرّح ظهرها. ويحتمل أنْ يريد (عليه السلام) بذكر قوت الأتان الدَّبِرَة، الإشارة إلى حقارة الزَّاد الذي أخذه منها فضلاً عن قِلَّتِه، وذلك على سَبِيل تشبيه زاده بزاد الأتان المَدْبُورة التي شُغِلَتْ بِأَلَمِهَا، وأوجاعها فَقَلَّ زادها[(٣)]. فكأنّه (عليه السلام) أراد التعبير عن أَلَمِه وخوفه من الله تبارك وتعالى وخشيته منه لو شَغَل نفسه بالدنيا وما فيها من مَلَذَّاتٍ متعلقة الأكل والشرب، فليست هذهِ الغاية التي خُلِقَ من أجلها الإنسان، حسبما يرى أمير المؤمنين، وإنما الغاية هي الطاعة والإخلاص لله تعالى، وإنما الأكل والشرب وما يتعلّق بهما وسيلة لإقامة الجسم وإكسابه القوة للعبادة والزَّهَادة والطاعة.

أقول: وفي الكلمة إيماء منه إلى الناس أنْ اتخذوا هذا النهج، لِتُخْلصوا أنفسكم لله تبارك وتعالى.

العَانة

العَانَةُ القَطِيْع من حُمُر الوَحْش[(٤)]. والعانة الأتان[(٥)]. ولفظة (العَانة) من

---

(١) ينظر: المحكم (دبر): 9 / 314، والقاموس المحيط (دبر): 1 / 499.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٦/ ١٦١.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٣١٣.

(٤) ينظر: العين (عون):٢/ ٢٥٤، وتهذيب اللغة (عون):٣/ ١٢٩،والمحكم (عون):٢/ ٣٦٩.

(٥) ينظر: المحكم (عون):٢/ ٣٦٩.

ألفاظ نهج البلاغة، إذ وردت فيه مرة واحدة[١]. للدلالة على جماعة حُمُر الوحش، وذلك على سبيل تشبيه حال الناس في الفِتَن بقطيع من الحُمُر الوحشية التي يعض بعضها البَعْض الآخر. يقول (عليه السلام) في سياق ذلك: ((**مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ، وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ، يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادُمَ الْحُمُرِ فِي الْعَانَةِ**...))[٢]. فكأن حال هؤلاء الذين يذكرهم الإمام أشبه بحال حُمُر الوحش التي ينفر بعضها من البعض الآخر، حتى أنها تعضَّ بعضها بعضاً في إشارة إلى عداوتها وعدم تآلفها فيما بينها، فضلاً عن عدم ألفتها لغيرها.

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٢٩.

(٢) نهج البلاغة: خ / ١٥١: ٢٦٤.

المبحث الرابع
ألفاظ السُفُن ومتعلقاتها

سَفِينة

السَّفِيْنَة الفُلْك[١] وسُمّيت بذلك؛ لأنهّا تّسْفن وجه الماء، وتُقْشره[٢]. وأصل السَّفْن نحت ظاهر الشيء، ومنه سَفن الجِلْدِ والعُود[٣].وقيل: إنما سميت السَّفِينة سفينة؛ لأنها تَسْفُن على وَجه الأرض. وتَلْتَصق به وتَلْزق[٤].وقد استعملت لفظة (سَفِينة) مرتين في نهج البلاغة، في حين وردت لفظة (سُفُن)، بالجمع على وزن (فُعُل) مرة واحدة فيه[٥]؛ للدلالة على السُّفن المعروفة التي يُقطع بها البحر، وتكون وسيلة من وسائل نقل الإنسان وطريقة من طرائق ركوب البحار. ولكن الإمام وظّف هذه الواسطة بالمفردة المتقدمة؛ لإظهار دلالتين وهما:

الأولى: تشبيه الدنيا بالسَفِيْنَة عندما تَقْصِفها العواصف في البحار.

فَتُرَاه يقول مُحذِّراً من الدُّنْيا والرُّكون إليها:((**أُوصِيكُمْ، عِبَادَ الله بِتَقْوَى الله، وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا... سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ[٦]، وَقَاطِنُهَا بَائِنٌ[٧]، تَمِيد[٨] بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ**

(١) ينظر: المحكم (سفن): ٨/ ٥٢٣.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: تاج العروس (سفن): ٣٥/ ١٩٢.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: 216.

(٦) الظَّاعِنُ السَّائِرُ.ينظر: لسان العرب (ظعن): ١٣/ ٢٧٠.

(٧) البائن المبتعد، وهو من ما كان مبتعداً عن وتره. ينظر: لسان العرب (بَيَنَ): ١٣/ ٦٩.

(٨) مَاد الشيءُ زاغ وتحرّك، ومَادت السفينة اضطربت بسبب من هياج من الامواج.ينظر: لسان

السَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ))(١). فكأنما السَّفينة- هنا - بمنزلة الدُّنيا التي تميد بأهلها، وهم أصحابها الذين رغبوا فيها وركبوها متخذينها مقراً لهم، فما زالوا كذلك حَتّى اضطربت مقصوفة بالعواصف التي صيَّرت ركّابها على غير الحال الذي كانوا فيه من الدِّعَة والاحتفال بما عندهم من ملذات كما كانوا يحسبون. ويبدو أن إيثاره (عليه السلام) لفظة (السَّفِينْة) في هذا السياق على غيرها من الألفاظ الدَّالة على هذهِ الواسطة من وسائط النَّقل مثل مفردة (فُلْك)، يعود - فيما أحسب - إلى أنّه أراد الإبانة عن معنى عدم استطاعة هذه الواسطة الصمود بوجه الريح القواصف التي تُدَمِّر كل شيء مرَّت به، فلا تثبت إزاءها حتى ما يَسفن منها في الأرْض أو يلتزق من سُفن، عند انحسار الموج، وهي بهذا الوجه، تشابه الدنيا التي لاتدوم مهما التزق بها صاحبها وتشبَّث؛ فإنها تدوم على حال، ولا يصفو لها كدرها.

الثانية: توظيف لفظة (سفن) للدلالة على وسيلة الخلاص من الفتن.

واستعمل الإمام لهذه الدلالة مفردة (سُفُن) بصيغة الجمع على (فُعُل) في سياق النّهي عن الفتْنَة وضرورة تجَنُّبها:((**أَيُّهَا النَّاسُ شُقُّوا أَمْوَاجَ الفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ المُنَافَرَةِ...**))(٢).

جعل الإمام الفتن كأَمْواج البحر المُتلاطم الذي لايهدأ له قرار، ثُم يذكر سبِيل الخَلاص من هذه الفتن، فاستعار لها لفظ (الأمواج)(٣)؛ بلحاظ الشبه بين

العرب (ميد): ١٣ / ٤١٢.

(١) نهج البلاغة: خ/ ١٩٦: ٣٩١.

(٢) نفسه: خ / ٥: ٣٥.

(٣) وقد عدّ ابن ابي الحديد هذه الاستعارة التي صنعها الإمام (عليه السلام) من أحسن الاستعارات؛ لأنها تضمنت المناسبة بين المستعار والمستعار منه. ينظر: شرح نهج البلاغة: 206/1.

حركة الفتنَة وقيامها كما تقوم الموجَة المتلاطمة في البحر، ومن ثَمّ جاء باستعارة أخرى؛ لبيان الطريقة التي تكون خلاصاً من هذه الموجة، وهي (سُفُن النجاة)، فكما تكون السفينة سبباً للخلاص من اضطراب البحر وأمواجه المتلاحقة، فكذلك التّمَسّك بـ(سُفُن النجاة) وركوبها، فإنها كالسُّفن أسباب الخلاص من الفتنِ، كالسفن التي تتخذ وسيلة للنجاة في البحر(١).

أقول: لما أراد الإمام التعبير عن وسائل النجاة من الفتنِ وأسبابها، فقد استعمل لفظ (السُّفُن) بصيغة الجمع إيماءً - فيما يبدو - إلى تعدد هذه الطرائق المُنْجِية من ترادف الفتنِ على الناس، ولاشكَّ أنّ عماد هذه السُفُن وصفوتها، هم أهل البيت(عليهم السلام) الذين يُعدون السَّبيل الأوحد للنجاة، ومن خلال الاستعانة بالمأثور النّبوي يبين لنا أنّ الأئمة هم (سفن النجاة) التي أشار إليها الإمام ذلك، فقد ورد عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) أنه قال: ((**مَثَلُ أهلِ بَيْتِي مَثَلُ سَفِيْنَةِ نُوْحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ**))(٢). وبهذا يثبت أنّ (سُفُن النجاة) في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) هم أهل البيت(عليهم السلام)،وفي طليعتهم أمير المؤمنين نفسه، فكأنما يريد أن يقول لهم في ذلك الموقف التزموا كلامي، واسترشدوا بنصحي لكم، وسيروا على نهجي الذي هو نهج الرسول (صلى الله عليه وآله).

جُؤجُؤ

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١/ ٢٠٦. و شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٨٩ والديباج الوضي: ١/ ٢٣٧.

(٢) المستدرك على الصحيحين:٢/ ٣٧٣،وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١/ ٢٠٨.

الجُؤجؤ عِظَام الصَّدر[١]. والجَآجئ مجتمع رؤوس عظام الصَّدْر[٢].

وقد وردت لفظة (جؤجؤ) مرة واحدة في نهج البلاغة [٣]، للدلالة على صدر السفينة، وذلك في سياق ذمِّ أهل البصرة بعد وَقْعة الجمل. يقول أمير المؤمنين: ((**كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ**[٤] **وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ**[٥]... **كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ قَدْ بَعَثَ اللهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا**...)) [٦].والسّياق الذي تكلم به الإمام سياق ذمٍّ وتقريع لأهل البصرة الذين كانوا جُنْداً (للمرأة)، وهي السَّيدة (عائشة أم المؤمنين)، واتباعاً للجمل الذي اتخذته أم المؤمنين دابَّةً لها، فكان هؤلاء يتبعونه وينقادون له، بوصفه دليلاً لهم. فعرض بهم (عليه السلام)؛ لأنهم غُلبوا بطاعتهم (المرأة) واتباعهم للجَمَل، في حين أنّ العكس هو أن تتبع المرأة الرجال في مواقفهم التي تتخذ من عقل راجح، كما أنه من غير المعقول أن يكون الإنسان مقاداً من البهائم لا قائد لها. وهنا وجه التهكم والاستغراب من مواقف هؤلاء القوم الذين يُومئ الإمام اليهم بهذا الخطاب. فإنما حسن توبيخ هؤلاء بكونهم جنداً للمرأة وأعواناً لها؛ لما كان من ذمامة أقوال النساءِ بين العرب وضعف آرائِهِنَّ [٧]. أما تشبيه مسجدهم بـ (جؤجُؤ السَّفيْنَة)، فهو تشبيه بصَدر السفينة ومُقدمها الذي تلتطم به أمواج البحر عندما يرتفع عليها الماء حال غرقها، فلايَبْقَى منها حينذاك جزء بارز

(١) ينظر: لسان العرب (جأجأ):١/ ٤٢، وتاج العروس (جأجأ):١/ ١٦٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث:١/ ٢٣٢، ولسان العرب (جأجأ):١/ ٤٢.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ٧٩.

(٤) يريد بها السيدة عائشة أم المؤمنين التي تزعمت حرب الجمل.

(٥) البهيمة كل ذات أربع قوائم من دواب البر. ينظر: لسان العرب (بهم): ١ / ٥٦.والمراد هنا الجمل.

(٦) نهج البلاغة: خ / ١٣: ٤١.

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني):١/ ١٩٨.

ظاهـر إلاّ جؤجؤهـا، وهـو مقدمهـا وصدرهـا. ويَعْضـد هـذا، الروايـة الأخـرى التـي تـروى لهـذا النَّـص التـي ذكرهـا المصنفـون في غريـب الحديـث والـشُرَّاح، وهـي قولـه (عليه السلام): ((**وَايْـمُ الله، لَتغْرَقَـنَّ بَلْدَتُكُـمْ، حَتَّـى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَسْـجِدِهَا كَجُؤْجُـؤِ سَـفِينَةٍ، أَوْ نَعَامَـةٍ جَاثِمَـةٍ**)) [١]. وفي روايـة أخـرى ((**كَجُؤْجُـؤِ طَـيْرٍ فِي لُجَّـةِ بَحْـرٍ**)) [٢]. وقـد أشـار (عليه السلام) بذكـر صـدر السـفينة أو صـدر الطائـر إلى انمحـاء أثـر المدينـة، فـلا أثـر فيهـا أو طلـل إلا صدرهـا، وهـو ههنـا مسـجدها الجامـع [٣].

أُقـول: وقـد أَلْمَـحَ شُرَّاح النهـج إلى أنّ إخبـاره (عليه السلام) بِغـرق مدينـة البـصرة وبقـاء مسـجدها، أمـر واقـع أو سـيقع مسـتقبلاً [٤]، وذكـر بعضهـم أنهـا غرقـت مرتـين وأن أخبـار ذلـك معروفـة عنـد أهـل البـصرة أنفسـهم [٥].

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ١ / ٢٣٢، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦/ ٣٤٠، ولسان العرب (جأجأ): ١/ ٤٢، ونهج البلاغة: خ / ١٣: ٤١.

(٢) نهج البلاغة: خ / ١٣: ٤١.

(٣) ينظر: الديباج الوضي: ١/ ٢٦٣، ٢٦٤.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١/ ٢٣٦. و شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ٢٠٠ والديباج الوضي: ١/ ٢٦٤.

(٥) أنفسها.

الظواهر اللغوية

استعمل الإمام بناء(فَعَل) الذي وردت عليه مفردات (دَبَر)، و(فَعِل)الذي وردت عليه كلمة (نَقِب)،و(فَاعِل) من أبنية اسم الفاعل من الثلاثي الصحيح الذي سيق على وزنه كلمة (الظَّالع)، و(اللاّغب).وبناء (فَعَاليل) من أبنية جمع الكثرة الذي ورد على مثاله لفظ (حَدَابَير) الذي دلّ على وعثاء الزمن وصعوبة عيشه.و(مَفْعول) المأخوذ من الثلاثي الصحيح في مفردتي (مَهْلُوسة، مَكْسُورة) المختوم بتاء التأنيث. في حين ورد بناء (فَعْلاء) دالاً على العلة والمرض والعيب الذي استعمل على وزنه كلمة (العَشْواء).

استعمال بناء (فِعْل)، وهو من أبنية اسم الجمع لكلمة(إبِل) ومفرده كلمة (جَمَل) أو (بَعْير).

ورد بناء (أَفْعِلَة) من أبنية جمع القلة جمعاً لكلمة (زِمَام) التي جمعها الإمام علي (أَزَّمة)، مثلما استعمل بناء (فِعَال)، وهو من أبنية المفرد المأخوذ من الثلاثي المجرد لكلمة(خِطَام)، وكذلك بناء (أَفُعَال) الذي سيق على مثاله لفظ (أَوْهاق) جمع (وهق).

كما استعملت صيغة (اِسْتَفْعَل) الذي يمثله الفعل (اسْتَوْسَقَتْ) المسند إلى تاء التأنيث،وهو من الأفعال الثلاثية المزيدة بحرفين من أحرف الزيادة، للدلالة على الاجتماع وحسن المسير في القياد. في حين جرى استعمال بناء (تَفَعّل) الدال على التكثير والمبالغة في الفعل لكلمة (تَمّعكّت) المأخوذة من الفعل الثلاثي الصحيح (مَعَك) الذي يدل على تقلب الدواب وتمرّغها في التراب.

وجاء بناء (مَفَاعيل) الذي مثّلته مفردة (المَطَافِيْل)، للدلالة على الإبل المُطْفِلَة

التي معها أولادها، لبيان الكثرة والازدحام.

استعمل الإمام بناء (فُعُل) جمعاً لمفردة (لجَام) التي ساقها على (لُجُم)، فضلاً عن مفردة (الحُمُر) التي وردت جمعاً لكلمة (حِمار)، و(سُفُن) جمعاً لـ(سفينة).

وقوع الترادف الجزئي بين مفردات.

(دَبَر، اللاّغب)، (الظّالع، مَكسُورة) و (الجَرَب، الهُلاس) و (الحانّة، الوُلّه) و (الناب، عود، والهرمة، حدابية)، (الإبل، الجمل،البعير) و (زمام، خشاش، خطام، خزامة) و (اوهاق، مثاني) و (الفَصيل، ابن اللبون، سقباً) و (جَرجَرة رَغا، هَيَاجُها)، (الحانَّة، الوُلَّه) و (جِياد، عِتاق)، (خَيل، فرساً)، (الحِمار، الحُمُر، الأتان، والعانة).

وقوع علاقات جزء بالكل بين مفردات (السنام، كلكل، جران، غارب، وبر، شقشقة، آباط الإبل، أعجاز الإبل)،وكلها مفردات تمثل عضواً من أعضاء بدن البعير. فى جاءت مفردة (الضّرع) كلاً، وجزؤه كلمة(أخلافها). فضلاً عن (الخُفّ) وجزؤه (المناسم).وبين(عَلفها) وكلمة (حَسك السَّعْدَان)، وهو ضرب من النبات الذي تقتات عليه الإبل. و(لجَام، وعِنان)، والعِنان جزء من اللّجام، وكذلك (المِسْحَل) و(الحَكمة) و (الشّكيْمة)، فالمِسْحَل فأس اللّجام، وهما الحلقتان على طرفي الشكيمة، والحَكَمة عذارا الفرس الذين يمنعانه من الجري. و(الحافِر، وسنابك)،فالسُّنبك طرفي الحافر. و(حَدَابِير)،وهي الدابة التي أصابها الضعف وبين كلمتي(الهُزال،و الدّبر). (البهائم والدابّة)، وهما من الفاظ عامة الدواب، ونوع منها هي (الإبل، الجمل، الناقة، البعير، العجماء). (القتب،الأحلاس، الوَضين) وهي من لوازم القتب.

وجود علاقات التقابل الدلالي أو اللفظي بين مفردات (أسْلَسَ) التي تدل

على إرخاء زمام الناقة وعدم إشناقها، وكلمة (أشْنَق) التي تدل على شنق خطام الناقة الصعبّة وعدم إرخائه، تمثيلاً لحال راكب الصعبّة من النوق التي إنْ أشنق زمامها حزم أنفها وآذاها، وإنْ أُسلِس تقحّمت به أودية الهلاك، وتشبيهاً للدنيا بهذا الضرب من النوق. مثلما استعملت كلمتي (الصّعب) ضداً ومقابلاً لكلمة (الذّلول) التي توحي بسهولة الدابة وعدم عسر قيادها. كما وقع التقابل الدلالي بين مفردتي (البكار) و مفردات (دَبَر، النَّضو) و (الظَّالع، الأجرب) و (حدابير، ذات عوار)، (العمدة، العشواء) و (اللاغب، مهلوسة) وبين (رغا، هياجها، هدير) وبين (حَمْحَمة) وهي من الفاظ أصوات الخيل.

وتبين من خلال البحث في هذا الفصل وجود الفاظ معربة، وهي كلمة (لجَام) التي ذكر أنها من الألفاظ لفظة الأعجمية المعرّبة.

الفصل الثاني

إلفاظ طبقات المجتمع ومتعلقاته

جدول دلالي يبيّن شيوع ألفاظ طبقات المجتمع ومتعلقاتها مرتبة بحسب كثرة كل مفردة على الأخرى

الطبقة السفلى (ذوو الحاجة والمسكنة)	الفقير، ذوو الحاجة والمسكنة، ضعيف، المسكين، السَّائل، البأساء، الغارم، أملق، مدفوعاً، أهل الحاجة، أهل الفاقة، سغب، قانعاً، أبن السبيل، الزُمنّى، معتراً، غرثى
أصحاب المهن والحرف	رائد، طبيب، ذوو الصناعات، حائك، ممرضه، المهن، النساج، القين، البنّاء، الحرفة، الخباز، داري، المترفق، نوتيهُ، راقعها، القائف
طبقة الأرامل والنساء	النساء، امرأة، الحامل، حيضهن، الأرملة، تأيمها، ربات الحجال، ضرتان، عقائل، قهرمانة، الكعاب، أملصت، موؤودة
عامة الناس من الرعية	الناس، العرب، العامة، الغريب، السواد، أصناف، الطبقة، بيت مدر، نظير، البدو، رعاع، همج، النمط الاوسط، سوقاً.
طبقة الجند والشرطة	جنود، جيش، حارس، عيون، المقدمة، شرطياً، عريفاً، جحفل، رقباء، طلائعهم، عشاراً
طبقة السادة والأشراف ورؤوس القوم	الأحرار، الحلماء، سيد، الأكياس، لهاميم، يعسوب، كبرائكم، المجداء والنجداء، القرم
طبقة العبيد والموالي والخدم	عبد، العتق، خادمه، الرق، مملوكاً، خولاً، الإماء
طبقة العمال والإداريين والحواشي	عمال، خُزان، كُتابك، بطانة، جباة الخراج، وزير، حاشيتك
طبقة ذوو الرقة في السن والأيتام	النسل، الغلام، الصبي، الطفل، يتيم، ذوي الرقة في السن

طبقة العلماء والفقهاء والحكماء	عالم، الفقيه، القضاة، ترجمان، الحكماء، الخطيب، الشحشح
طبقة الحمقى والمغفلين	أحمق، تغابيت، الخرق، المائق، النوكى
طبقة السحرة والكهان والمقامرون	الساحر، نشرة، الكاهن، المنجم، الياسر
طبقة غير المسلمين من أهل الذمة	أهل الذمة، مُعاهد، أهل الجزية
طبقة الأغنياء والملاّك	الأغنياء، ترف، دهاقين

المبحث الأول

ألفاظ الطبقة السفلى (ذوو الحاجة والمسكنة)

الفقير

الفَقيْرُ نقيض الغِنى[١]، والفقر الحاجة[٢]. الفَقير المكسور فِقار الظهر[٣]، ويبدو أنّ هذا هو الأصل في استعمال لفظة (فقير). فقد ذكر اللغويون أنّ منه اشتق اسم الفقير فكأنه مكسور فِقَار الظّهر من ذُلتِهِ ومسكنته[٤]. وتذكر المدونات المعجّمية أنّ (الفَقيْرَ) هو الذي له ما يأكله من الطعام[٥]. على الرغم من قِلّة ما يَتَيسرّ له من ذلك. والفَقير هو من أصَابته الزَّمانة والحاجة الشديدة[٦].

وقد استعمل الجذر اللغوي (فَقَرَ) باشتقاقات متعددة في نهج البلاغة، بحيث بلغ عددها جميعاً خمساً وأربعين مرّة[٧]. وقد جاءت هذهِ الاشتقاقات بدلالات متعددة في صدارتها الحاجة إلى القُوت. ويمكن إيجاز الدلالات الخاصة بمفردة (فقر) بالآتي:

اولاً: الدلالة على الحاجة إلى المأكل ومتعلقاته.

وهو من أكثر الدلالات شيوعاً في نهج البلاغة، ومن ذلك قول أمير المؤمنين

(١) ينظر: لسان العرب (فقر): ٥/ ٦٠.

(٢) ينظر: العين (فقر): ٥ / ١٥٠.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (فقر): ٤ / ٤٤٣.

(٤) نفسه

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (فقر): ٩ / ١٠٢.

(٦) ينظر: لسان العرب (فقر): ٥/ ٦٠.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٥٥.

(عليه السلام) في سياق كلامه عن فقر أخيه (عقيل) وصبيانه: ((... **وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ**[١] **الشُّعُورِ، غُبْرَ**[٢] **الْأَلْوَانِ، مِنْ فَقْرِهِمْ**...))[٣]. وقد صوّر الإمام في هذا النص حال هؤلاء الصبْية من الجوع والإملاق، حتّى تغيّرت أشكالهم وألوانهم. ومفردة (فَقْرهم) في هذا السياق تخصصت بالأكل دون ما سواه من لوازم الفَقْر الذي ربما أتَّسعت لِتشْمل الحاجة إلى مستلزمات المعيشة ومتعلقاتها من ملبس وغيره.

وقد أشار إلى تأثير الفَقْر في الإنسان حتّى جعله (مَوْتاً أكبر) في قوله: ((**الْفَقْرُ الْمَوْتُ الْأَكْبَرُ**))[٤]. مستعيراً (عليه السلام) لفظ الموت للفَقْر. ووصفه بـ(الأكبر)، لما فيه من انقطاع عن مشتهيات النفس ومادَّتها التي تُعَدّ مادّة الحياة نفسها[٥]. وقد بلغ الأمر عند الإمام (عليه السلام) أن جعل (الفَقْر) وَسيْلة لمنع الفَطِين من إظهار حُجَّته. قوله: ((.... **الفَقْرُ يُخْرِسُ الْفَطِنَ عَنْ حُجَّتِهِ، وَالْمُقِلُّ غَرِيبٌ فِي بَلْدَتِهِ**))[٦]. يُنبّه الإمام على أنّ الفقر تأثيراً عظيماً في النفس، فيقبضها ويمنعها من التفاعل مع الآخرين. وهو ما يُعْجز الفقير ويمنعه من الكلام، وإن كان فطناً. فاستعار لهذه الحالة الناتجة من الفقر لفظة (يُخرس) التي كنّى بها عن عجْز الفقير من المطالبة بحاجته حتّى صار كالعِييِّ[٧]. مؤكداً ذلك بذكر لفظة (المُقِل) التي تدل على (الفقير) أيضاً بقرينة قوله (كالغَرِيبْ)، التي استعارها لوصف المُقل من الناس، وهو الذي لا يملك

(١) الشّعْث هو المُغبر الرّأس، المُنْتَفُ الشَّعْر، وأصل التَّشَعُّث التّفَرّق. ينظر: لسان العرب (شَعث): ٢/ ١٦٠.

(٢) الغُبر والغُبْرَة الترابُ والغُبار. ينظر لسان العرب (غبر): ٥/ ٣.

(٣) نهج البلاغة: خ / ٢٢٤: ٤٣٧.

(٤) نفسه: قصا / ١٦٣: ٦٤٣.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥ / ٤٤٤، ٤٤٥.

(٦) نهج البلاغة: قصا / ٣: ٥٩٩.

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٣٩٢.

حاجاته كلّها. ولعل هذا الوَصف يتناسب مع حال الفقير الذي يبدو غريباً، بسبب من عدم عناية الناس به والتفاتهم اليه، فضلاً عن قلّة أعوانه وإخوانه[١]. ووصف (الفقر) بأنّه (غُرْبة) وارد في نهج البلاغة غير مرّة، من ذلك وقوله (عليه السلام): ((**الْغِنَى فِي الْغُرْبَةِ وَطَنٌ، وَالْفَقْرُ فِي الْوَطَنِ غُرْبَةٌ**))[٢].

ذوو الحاجة والمسكنة

ومما يلاحظ في نهج البلاغة استعمال الإمام تعبير (أهْل المَسْكَنة والفَقْر)، وتعبير (ذوو الحاجة والمَسْكنةِ). أو (أهل الحاجة والمَسْكَنَةِ)، وقد تكرر هذا الاستعمال غير مرة في الإشارة إلى طبقة من الناس الذين أطلق عليهم الإمام تسمية (الطبقة السُّفْلى)[٣]. وحَقُّ هؤلاء الرَّفْدُ والمعونة عند الإمام. والمُهم في هذا الجانب ما استعمله (عليه السلام) في العبارة الأولى (أهل المسكنة) التي عطف عليها لفظة (الفَقْر). ثم قدم في الثانية (ذوو الحاجة) وتلاها بلفظة (المَسْكَنةِ). وللإجابة على ذلك أقول:إن (أهل المسكنة) و (الفقر) أو الفقراء من التعبيرات القرآنية التي وردت في الذّكر الحكيم في سياق توزيع الصدقات الذي يقول فيه الله جل ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[٤]. فجمعت الآية المباركة بين لفظتي (الفُقَراء، والمسَاكين) بعد أن قدمتها معاً على غيرها من ذوي الصدقات ومستحقيها.

(١) نفسه.

(٢) نهج البلاغة: قصا / ٥٦: ٦١٠.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: ك / ٥٣: ٥٥٠، ٥٥١.

(٤) التوبة / ٦٠.

واختلف المفسرون في معنى (الفقير والمسكين)، فذكر البيضاوي (ت٦٨٥ هـ) أنّ الفقير هو من لا مال له ولا كسب. وهو مأخوذ من الفِقار فكأنه أصيبت فقاره. وأما المسكين فهو من له مال أو كسب ولكنه لا يكفيه. وهو مأخوذ من السكون فكأنَّ العجز أسكنهُ[١]. وقد قيل العكس أي أنّ الفقير هو الذي له مال لا يكفيه والمسكين أشد منه فقراً[٢]. أمّا الإمام فقد استعمل للدلالة على (الفقراء) تعبير (ذوو الحاجة)، أو (أهل الحاجة). يقول (عليه السلام) في سياق تصنيفه الرعيّة على طبقات:((.... **وَمِنهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ...**))[٣]. ثم يقول في موضع آخر: ((**ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ....**))[٤]. والحاجة – في اللغة – الفَقْر. والحَوْج الفقر، والمحوج المُعدم[٥].

وذكر الشُراح أنّ قوله (عليه السلام) (أهل الحاجة) يراد بهم أهل الفقر؛ لأنه هو الحامل لهم على احتياجهم إلى الناس[٦]. وقد ذكر أمير المؤمنين عبارة (أهل المسكنة والفقر)، فجعل لفظ (الفقر) متأخراً عن (المَسْكنة). وذلك في سياق كلامه عن فلسفة عبادات (الصلاة والزكاة والصيام)؛ إذ يقول: ((**وَعَنْ ذلِكَ مَا حَرَسَ اللهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ، وَمُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ، تسْكِيناً لأَطْرَافِهِمْ، وَتَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ، وَتَذْلِيلاً لِنُفُوسِهِمْ، وَتَخْفِيضاً لِقُلُوبِهِمْ، وَإِذْهَاباً**

(١) ينظر: تفسير البيضاوي: ٣/ ١٥٣.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي: ٨/ ١٦٧.

(٣) نهج البلاغة: ك / ٥٣: ٥٥٠.

(٤) نفسه: ٥٥١.

(٥) ينظر: لسان العرب (حوج): ٢/ ٢٤٣.

(٦) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ١٥٣١.

لِلْخُيَلاَءِ[(١)] **عَنْهُمْ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً، وَالْتِصَاقِ كَرَائِمِ الْجُوَارِحِ بِالأَرْضِ تَصَاغُراً، وَلُحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلاً، مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الأَرْضِ وَغَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمُسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ))**[(٢)].

والسياق هنا هو- كما يبدو - الذي سوّغ تقديم (أهل المسكنة) على (أهل الفقر)؛ فالإمام يتحدث فيه عن فضل الزكاة ومواطن صرفها فلّما كان السياق لفظة العبادات الثلاث المتقدمة؛ لهذا انتفت العناية بترتيب مستحقي الزكاة، وذكر الإمام أهل (المسكنة والفقر) دون مراعاة سبق كل منهم للصدقات.

ومن نافلة القول أنّ الإمام وصف هذه الطبقة من الناس بالطبقة (السُّفلى)، بيان على سوء حالهم وضعفهم[(٣)]. كأنّ ذلك مأخوذ من (السّفل)، وهو نقيض العلو[(٤)]. ومجيء هذه اللفظة على زنة (فُعْلى) يوحي بشدة ضعف الحال ونزول القدر في هذهِ الفئة من الناس. ولهذا أوصى (عليه السلام) عامله (مالكاً الأشتر) بهذه الطبقة قائلاً: ((**ثُمَّ اللهَ اللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لاَ حِيلَةَ لَهُمْ وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ...**))[(٥)]. ويلحظ شِدة حرص الإمام على هذا الضرب من الناس بسبب من ضعفهم وعدم امتلاكهم ما يسد حاجاتهم. فأعاد توصية (مالك) بهم، مبالغة في العناية بهم، والتعَهُّدِ لأمورهم[(٦)].

وقد استعمل الإمام (عليه السلام) تعبير (ذوو الحاجات) بدلالة أخرى، بعد أن

---

(١) الخيلاء، الكبر والعجب بالنفس. ينظر المحكم (خيل): ٥/ ٢٥٩.

(٢) نهج البلاغة: خ / ١٩٢: ٣٧١.

(٣) ينظر: الديباج الوضي: ٥ / ٢٥٣١.

(٤) ينظر:لسان العرب (سفل): ١١/ ٣٣٧.

(٥) نهج البلاغة: ك / ٥٣: ٥٦٠.

(٦) ينظر: الديباج الوضي: ٥ / ٢٥٧٠.

كانت تدل عنده الفقراء والمحتاجين؛ إذ نقله من هذا المعنى إلى الدلالة على (أهل الظلامات) والمعاملات الإدارية أيضاً. وذلك في قوله الذي ينصح فيه عامله أن يُفرِّغ نفسه للجلوس اليهم وسماع حاجاتهم: ((**وَاجْعلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً، فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لله الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ...**))[١]. و(ذوو الحاجات) هم أصحاب المظالم والشكاوى التي تتعلق بالولاة وغيرهم من رؤوس الدولة من الناس الذين لهم الحق في أن يسمع الولاة مسائلهم وطلباتهم، فأمر (عليه السلام) واليه أن يجلس لهم مجلساً عاماً، يبعد فيه جنده عن الناس؛ ليأخذوا حرّيتهم في الطلب والشكاية. مع وجوب تواضعه لله جل جلاله؛ بإقباله عليهم والإصغاء لهم جميعاً وقضاء حوائجهم[٢].

ثانياً: الدلالة على الافتقار إلى العقل.

وقد جعل الإمام هذا الضرب من (الفقر) بمنزلة الحاجة والافتقار إلى العقل، وقد سماه الإمام (حُمقاً)، في قوله: ((**إِنَّ أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ، وَأَكْبَرَ الْفَقْرِ الْحُمْقُ...**))[٣]. وقد أراد بالفقر – هنا– الحاجة إلى العقل وعدم الاستغناء عنه، لمّا كان (الحُمق) يمثل نقصاً في العقل وعدم تمامه؛ لهذا صار فقراً أو بمنزلته. وقد ورد نظير هذا الاستعمال في (قصا / ٥٤).

ثالثاً: الدلالة على الضعفاء من الناس.

وهو تعبير صَنعَهُ الإمام للدلالة على الفقراء كما يبدو من قوله الذي خاطب فيه بعض عمّاله: ((**وَإِنَّ لَكَ فِي هذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً، وَحَقّاً مَعْلُوماً، وَشُرَكَاءَ**

(١) نهج البلاغة: ك/ ٥٣: ٥٦١.

(٢) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٢٥٧٦.

(٣) نهج البلاغة: قصا / ٣٨: ٦٠٧.

أَهْلَ مَسْكَنَة، وَضَعَفَاءَ ذَوِي فَاقَة...))[١]. والضّعفاء جمع ضَعِيف، وهم الفقراء المعوزين، ويكون الضّعف في الجسد والرأي والعقل[٢]. والضعيف هو ضعيف البدن[٣]. وأمّا لفظة (الفاقة)، فإنها تدل على الحاجة والفقر[٤]. وبهذا يكون الضعفاء وأهل الفاقة هم الفقراء ومن هم بمنزلتهم في الكفاف وعدم كفاية مؤونتهم في العيش. في (ضعفهم) إشارة إلى عدم قوتهم في استحصال الكسب وغيره من لوازم العيش.

رابعاً: الدلالة على الافتقار إلى الناس والحاجة اليهم.

وجاءت هذه الدلالة في سياق كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي يلوم فيه الناس، ويذمهم لما لقيه منهم؛ إذ يقول:((**مَا أَنْتُمْ لي بِثِقَة... وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْن يُمَالُ بِكُمْ، وَلاَ زَوَافِرُ**[٥] **عِزٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ...**))[٦].أراد بهذا الكلام التنبيه على قلة شانهم وانحطاط حالهم، فهم ليسوا أسياداً أو أصحاب عز يعتد به، أو عشيرة منيعة يؤى اليها. فاستعمل لفظة (يُفْتقَر)؛ للدلالة على الاحتياج وعدم رغبته في الحصول على هكذا ضرب من الناس.وذكر الشُرَّاح أن في هذا الكلام دلالة على وصْفهم برذيلة الذُّل والحقارة[٧].

---

(١) نفسه: ك / ٢٦: ٤٨٤، ٤٨٥.

(٢) بنظر: العين (ضعف): ١/ ٢٨١، والمحكم (ضعف): ١/ ٤١١.

(٣) ينظر: لسان العرب (ضعف): ٩/ ٢٠٦.

(٤) نفسه (فوق): ١٠ / ٣١٩.

(٥) الزّوافر في اللغة اضلاع الجنين، وبعيرٌ مزفورٌ، أي شديد تلاحم المفاصل، والزافرة عشيرة الرجل. ينظر: مقاييس اللغة (زفر): ٣/ ١٥، ولسان العرب (زفر): ٤/ ٣٢٥.

(٦) نهج البلاغة: خ / ٣٤: ٧٥.

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢ / ٢٧٩.

خامساً: الدلالة على انكسار ظَهْرِ الإنسان.

وقد استعملت لفظة (فِقْرَتِهِم)، للدلالة على هذا المعنى. وذلك في سياق قوله (عليه السلام) الذي يحذّر فيه الناس من ما نزل بالامم قَبْلهُم، فضلاً عن تحذيره من الْفرقةِ، وضرورة التزام الألفة. يقول (عليه السلام): ((**واحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثُلاَتِ**[١] **بِسُوءِ الْأَفْعَالِ، وَذَمِيمِ الْأَعْمَالِ... فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّةُ بِهِ حَالَهُمْ، وَزَاحَتِ الأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ... وَوَصَلَتِ الْكَرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلَهُم: مِنَ الِاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ، وَاللُّزُومِ لِلأُلْفَةِ، وَالتَّحَاضِّ عَلَيْهَا،... وَاجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ، وَأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ**[٢]**؛ مِنْ تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ، وَتَشَاحُنِ الصُّدُورِ**))[٣]. و(فِقْرَتُهُمْ) جمع (فَقَرة)، وهي واحدة فقرات الظهر وما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العُجْب[٤]. وبها يكون عماد البدن واستقامته. بوصفها الأسس في استقامة ظهر الإنسان وكاهله. ولهذا كُنّي (بِكسْر فقَار الظَّهر) عن عدم تَحَمّل الأمور الشديدة التي يَعْظم أمرها على الناس، ويقال أيضاً: هذا أمر يكسر فقَر الظهر. إذا كان عظيماً لا يقدر عليه.[٥] وقد أشارت المدونات المعجمية إلى أن هذه الدلالة هي التي اشتق منها لفظ (الفَقير) وهو نقيض الغَنيّ، فكأنه لِفقْرِهِ مكسور فقار الظّهْر[٦].

(١) المُثلَةُ – بفتح الميم وضم الثاء – العُقوبَةُ. ينظر: تاج العروس (مثل): ٣٠/ ٣٨٥.

(٢) المُنَّةُ القوة. يقال: ذهب بمُنته، أي بقوته. ينظر: تاج العروس (مثل): ٣٦ / ١٩٥.

(٣) نهج البلاغة: خ / ١٩٢: ٣٧٣.

(٤) ينظر: المحكم (فقر): ٦ / ٣٧٩.

(٥) ينظر: الديباج الوضي: ٤ / ٢٠٢٩.

(٦) ينظر: مقاييس اللغة (فقر): ٤/ ٤٤٣.

ضعيف

الضعف خلافُ القوّة[١]. ويكون الضّعف في العَقْل والرأي والجسد[٢]. والضعيف هو ضعيف البدن[٣]. والضعف في كلام العرب المِثْل[٤].

وقد جاءت اشتقاقات عديدة لمفردة (ضعف) في نهج البلاغة بلغت جميعاً خمساً وثلاثين مرة توزعت بحسب الآتي: لفظة (ضَعْيِف) خمس عشرة مرة، و (ضُعفاء) أربع مرات، و (أضعف) و (أضعفهم)، و (مُستضْعفين) و (ضَعَفَة) مرتان لكلٍ منها، في حين جاءت الفاظ (ضعيفاً) و (ضَعْيفات) و (الاسْتِضعاف) و (مستضعفاً) مرة واحدة لكل منها[٥]؛ للدلالة على ما يأتي:

اولاً: الدلالة على ضعاف الناس:

وفي هذه الدلالة يكون الضعف دالاً على عدم التمكن من التخلص من الظلم والجور. ومنه قول الإمام في سياق كلامه عن فضائل نفسه، وانتصاره للضعفاء من الناس: ((... **الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحُقَّ لَهُ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحُقَّ مَنْهُ**...))[٦]. وفي هذا الكلام ينبه الإمام إلى معنى القوة والضعف، فالقوي المتجبر في نظر الإمام ضعيف ذليل؛ لأنه مُسْتَقوٍ على الضعفاء، فهو ضعيف لاستلابه الحقوق من الناس وتسلطه عليهم. ولا يقصد الإمام بلفظة (ضَعِيف) في هذا السيّاق ضعيف الجسم كما ذكر اللغويون في قولهم إن كلمة

(١) ينظر: العين (ضعف): ١ / ٢٨١، ولسان العرب (ضعف): ٩/ ٢٠٣.

(٢) نفسها.

(٣) ينظر: لسان العرب (ضعف): ٩/ ٢٠٦.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (ضعف):١ / ٥٠٤.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٦٨.

(٦) نهج البلاغة: خ / ٣٧ / ٨٠.

(ضعيف) تستعمل للدلالة على ضعيف البَدَن[١]. وإنما أراد بها عدم القدرة على الغلبة والقهر والتسلط، فضلاً عن الذّلة. وذلك بقرينة مفردة (القوي) التي دلت في هذا السياق على الغَلبة والقهر والجبروت. فالضعيف - هنا - الذي لا يقدر على الظلم والتسلّط.

ومما يعزز ذلك ما ذكره الشارح البحراني في بيان قوله (عليه السلام)؛ فقد أشار إلى أنّ ضُعْف القوي عند الإمام هو قهره بحكم الإمام عليه حتى يستوفي منه حقّ المظلوم[٢].

وثمة مواضع أُخر دَلّت فيها لفظة (ضعيف) على الضعيف غير المتعلّق بالبدن منها (ح / ٣٩، ٤٠، ١٠٩، ك / ٥٣).

ثانياً: الدلالة على ضعف البدن.

ومنه قوله (عليه السلام) في سياق الحديث عن بيعته وما جرى فيها: ((... **ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَّ الإِبِلِ الْهِيمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وِرْدِهَا، حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ، وَسَقَطَ الرِّدَاءُ، وَوُطِىءَ الضَّعِيفُ**...))[٣]. واستعمل الإمام لفظة (الضّعيف) في هذا السياق، إشارة إلى أن تدافع الناس يوم بيعته (عليه السلام)، بالخلافة لم يصمد فيها من كان ضعيف البدن خائر القوى؛ بسبب من كثرة الاجتماع عليه ورغبتهم فيه. ولهذا شبههم في تزاحمهم هذا بتداك الإبل العَطشى يوم ورودها. إشارة إلى شدة ازدحامهم واندفاعهم عليه، فكأنه (عليه السلام)؛ بما عنده من فضائل وعدل؛ كالماء

(١) ينظر: لسان العرب (ضعف): ٩ / ٢٠٦.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٢٨٩.

(٣) نهج البلاغة: خ / ٢٢٩: ٤٤٣، ٤٤٤.

بالنسبة إلى الناس الذي يريدون الارتواء من عدله وانصافه وعلمه[١].

أقول: وليس المراد بقوله (وُطِئَ الضَعْيف) أن يكون المقصود بـ (الضَّعيف) (الحَسَنان) (عليهما السلام) الذين صرّح بذكرهم في نَصّ آخر ذكره السيد الشريف الرضي يتحدث فيه الإمام عن بيعته، وهو قوله (عليه السلام): ((... **فَمَا رَاعَنِي إلاَّ وَالنَّاسُ إليَّ كَعُرْفِ الضَّبُعِ**[٢]**، يَنْثَالُونَ عَليَّ مِنْ كُلِّ جَانِب، حَتَّى لَقَدْ وُطِىءَ الحَسَنَانِ، وَشُقَّ عِطْفَايَ**[٣]**، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الغَنَمِ**...))[٤]. فقد أراد الإمام في هذا النص أن يُبين ما لحقه من أذى هو وولداه (عليهما السلام)؛ بسبب من اجتماع الناس عليه، فذكر شَقّ عطفيه ووطىء الحسنين (عليهما السلام) من التدافع، فناسب ههنا ذكر وطئهما من الناس. علاوة على أن الإمام ابتدأ هذا المقطع من كلامه بقوله (**فما رَاعَنى الاّ**...) والرَّوْع لفظة تدل على الفَزَعِ[٥]. وعلى الرغم من نفيه (عليه السلام) في هذا الفزع عنه فإنَّ اختياره لهذه المفردة يوحي بالحالة النفسية التي كان عليها أمير المؤمنين يوم انثال عليه الناس لايمانه بغدرهم وتخّليهم عنه في الشدائد، ولهذا صرّح في هذا السياق بذكر الناكثين والمارقين والقاسطين[٦]. في حين أنه في الخطبة (٢٢٩)[٧]. التي يصف فيها بيعته بالخلافة عني فيها بذكر اجتماع الناس وفرحهم باختياره أميراً للمؤمنين وخليفة عليهم. ولهذا تضمَّنت الخطبة مفردات دالة على السعادة والبهجة، من قبيل لفظة

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ٦٢.

(٢) عرف الضّبْع، العرف ما ارتفع من الاشياء، وعُرفْ الضّبْع قمة رأسه.

(٣) العِطْف المَنْكبُ، وعطفا الرجل: جانباه عن يمينه وشماله. ينظر: لسان العرب (عطف): ٩/ ٢٥٠.

(٤) نهج البلاغة: خ / ٣: ٣١.

(٥) ينظر لسان العرب (روع): ٨ / ١٣٥.

(٦) ينظر: نهج البلاغة: خ / ٣: ٣١.

(٧) نفسه: ٤٤٣، ٤٤٤.

(سُرور، وابتهج). فضلاً عن استعمال مفردات تدل على سعي الكبير والصغير من الناس إلى بيعته. وهذه الألفاظ التي وردت في هذه الخطبة خاصة بالضّعفاء من الناس الذين لا يملكون القوة في التدافع كالصغّار، والكبار في السَّنّ.

ومن بديع استعمالاته (عليه السلام) في هذا المجال، قوله في بيان فوائد بعض العبادات: **((الصَّلاَةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيّ، وَالْحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيف، وَلِكُلِّ شَيْء زَكَاةٌ، وَزَكَاةُ الْبَدَنِ الصِّيَامُ، وَجِهَادُ الْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ))**[١]. وفي النص إشارات إلى أسرار هذه العبادات التي يذكرها الإمام. فالصلاة قُرْبان لكل تقي. والقُرْبان بالضم ما قُرّب إلى الله عزّ وجلّ[٢]. والصلاة أعظم ما يتقرب به المتقون من العبادات. والحج جهاد في سبيل الله تعالى؛ لما فيه من مَشَقَّة السَّفر ومجاهدة النَّفْسِ الأمّارة بالسُّوء[٣]. وإنما خصّ الإمام (عليه السلام) الضَعِيف بهذه العبادة؛ ترغيباً له وجذباً لأداء هذه العبادة؛ ولأنّ للقويّ جهادٌ آخر مشهور[٤]. وهو المنازلة في القتال. في حين أنّ الحج بمنزلة الجهاد لهؤلاء الضُعفاء، لما فيه من مَشقَّة وتَعب، ولاسيّما في أداء طقوسه من بدء الإحرام إلى السّعي والطواف وغيرها من الأعمال العبادية المخصوصة بالحج. علاوة كبحِ جماح النفس ومغالبة شهواتها ونوازعها. وكلها بمنزلة الجهاد، حتى ذكر الشُرّاح أن الإمام عَنَى بقوله **((الحج جهاد كلَّ ضعيف))**: أنّ من لا يستطيع الجهاد بالسَّيْف ؛ فالحج جهاده[٥]. وقد جاءت لفظة (ضعيف) دالة على ضعف البدن في: (خ / ١٩٢، ك ٣١، ٥٢، ٥٣).

---

(١) نهج البلاغة: قصا / ١٣٦: ٦٢٨.

(٢) ينظر: لسان العرب (قرب): ١/ ٦٦٤.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥ / ٤٣٥.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: الديباج الوضي: ٦/ ٢٨٣٣.

ثالثاً: الدلالة على الفَقير الذي لا يَقوى على تَحْصيل قُوته.

ومن ذلك قول أمير المؤمنين في سياق عهده لبعض عمّاله بخصوص الصدقات: ((.... **وَإِنَّ لَكَ فِي هذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً، وَحَقّاً مَعْلُوماً، وَشُرَكَاءَ أَهْلَ مَسْكَنَة، وَضَعَفَاءَ ذَوِي فَاقَة**...))[1]. يذكر الإمام في هذا السياق طبقات من مستحقي الصّدقات، ومنهم الضُعفاء الذين وَصَفهم بـ(ذوي فاقة) وهذه قرينة على أن المراد بالضعفاء - هنا- هم الفقراء الذي لا يقوون على تحصيل اقواتهم وحاجاتهم. والفاقة - في اللغة- الحاجة والفقر[2]. ومما يتصل بهذهِ الدلالة استعمال الإمام (عليه السلام) مفردة (مُسْتَضْعفاً) و(مُسْتَضْعفيْنَ). وذلك في قوله الذي يَصِفُ فيه بَعْضَ أصْحابه: ((**كَانَ لِي فِيمَا مَضَى أَخٌ فِي اللهِ**[3]**، وَكَانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ، وَكَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ فَلاَ يَشْتَهِي مَا لاَ يَجِدُ وَلاَ يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ، وَكَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً فَإِنْ قَالَ بَذَّ**[4] **الْقَائِلِينَ وَنَقَعَ غَلِيلَ السَّائِلِينَ، وَكَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً! فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثُ غَابٍ**[5]))[6].

وذكر الإمام لفظة (مُسْتَضْعفيْنَ) في موضعين؛ هما قوله: في سياق كلامه عن عاقبة المُستكبرين من الأمم السابقة: ((**فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ وَصَوْلاَتِهِ، وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلاَتِهِ،... وَاسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ لَوَاقِحِ**

(١) نهج البلاغة: ك / ٢٦: ٤٨٤.

(٢) ينظر: لسان العرب (فوق): ١٠ / ٣١٩.

(٣) يُومئ بذلك إلى أبي ذر الغفاري (رضوان الله عليه)، وقيل: بل إلى (عثمان بن مظعون). ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥ / ٤٧٠.

(٤) البذُّ هو السبق والغلبة في القول. ينظر: لسان العرب (بذذ): ٣ / ٤٧٧.

(٥) الغاب.هي الغابة، أو الأجمة التي طالت، ولها اطرافٌ مرتفعة باسقة. ينظر: المحكم (غيب): ٦ / ٢٦.

(٦) نهج البلاغة: قصا / ٢٨٩: ٦٦١.

الْكِبْرِ، كَمَا تَسْتَعِيذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ، فَلَوْ رَخَّصَ اللهُ فِي الْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنبِيَائِهِ وَأَولِيائِهِ، وَلكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ، وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ، فَأَلْصَقُوا بِالأَرْضِ خُدُودَهُمْ، وَعَفَّرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ، وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَكَانُوا قَوْماً مُسْتَضْعَفِينَ، قَدِ اخْتَبَرَهُمُ اللهُ بِالْمَخْمَصَةِ[1]، وَابْتَلاَهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ، وَامْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ، وَمَخَضَهُمْ[2] بِالْمَكَارِهِ، فَلَا تَعْتَبِرُوا الرِّضَا وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ جَهْلاً بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ، وَالْاخْتِبَارِ فِي مَوَاضِعِ الْغِنَى وَالْاِفْتِقَارِ، فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ﴾[3]، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ))[4]. وقد جاءَ في النص لفظة (مُستضْعفاً) مسبوقةً بلفظة (ضَعيفاً). وقد فهم الشُرَّاح من هاتين اللفظتين الدلالة على (الفقير) الذي ينظر اليه بعين الذّلة، فلا يُرى له بين الناس قدراً[5]. ويشهد لهذه الدلالة السياق الذي وردت فيه المفردة؛ فقد أورده الإمام لبيان خصال بعض أصحابه الذين كانت سيماؤهم التواضع والفضيلة. لهذا فإنّ للفظة (مُسْتَضعفاً) دلالتين؛ الأولى بلحاظ الناس الذين يرونهم، فهم عندهم (أذلة فقراء)، والثانية بلحاظ الطاعة لله تبارك وتعالى ولهدي رسوله. وهم في ذلك أعزة على أنفسهم، متواضعون في سمتهم. وهذه الدلالة أولى بالتّقْدمة؛ لمكانة ذلك عند الله جل جلاله ولمناسبتها المعنى العام للنص.

---

(١) المخمصة الجوع وخلاء البطن من الطعام.ينظر: العين (خمص): ٤ / ١٩١.

(٢) المخض مخضُ اللبن واخذ زبده. ينظر: لسان العرب (مخض): ٧ / ٢٢٩.

(٣) المؤمنون / ٥٥-٥٦.

(٤) نهج البلاغة: خ / ١٩٢: ٣٦٦، ٣٦٧.

(٥) ينظر: نهج البلاغة (البحراني): ٥ / ٤٧١، والديباج الوضي: ٦ / ٢٩٤٥.

وقد وردت لفظة (مُسْتضْعفين) بالدلالة نفسها بصيغة الجمع مناسبة للسياق الذي يتكلم فيه الإمام عن (المُسْتِكْبرين)، وما أصابهم من بأس الله. وأشار انه لو أراد أن يُرخّص بالكبر لأحد، لرخّصه لخاصة أنبيائه وأوليائه. ولكنه كرّهه اليهم ورضي لهم التواضع، فكانوا (المُسْتَضْعَفِينَ) الذين اختبرهم الله تعالى بـ(المُسْتكْبريْن). وبهذا تكون مفردة (المستضعفين) نقيضاً لمفردة (المستكْبرين). والمستكبرون هم الذين يمتنعون عن قبول الحق معاندة وتكبّراً[1]. في حين أن (المُسْتَضْعَفِيَن) هم الضِدُّ من هذه الفئة، وقد أبَان أمير المؤمنين (عليه السلام) عن معنى هذه المفردة؛ فذكر ابتلاء الله تعالى للمستضعفين بالجوع والمشَقَّة، والمخاوف والمكاره. وكل هذه الدلالات تجتمع في مفردة (المُسْتَضْعَفِينَ). ومما تجدر الإشارة اليه أن كلتا اللفظتين من الفاظ القرآن الكريم، إذ أصبحتا من المصطلحات القرآنية التي استعملها في وصف فئة من الناس الذين اسماهم بـ(المُسْتَضْعَفِينَ) في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا**﴾[2]. ويحدد القرآن الكريم دلالة (المُسْتَضْعَفِينَ)، فالموضع الأول يراد به – كما يتضح من إجابة هؤلاء الظالمين – استضعافهم من قبل المشركين واذلالهم متفوقين عليهم بالعدد والعُدَّة. وهؤلاء هم ثُلّة ممن تكلموا بالاسلام، واشتركوا مع المشركين في معركة (بدر) وأُصيبوا فيمن أصيب من المشركين؛ فنزلت فيهم الآية كما يذكر المفسرون[3]. ولهذا أنكر القرآن الكريم عليهم فعلتهم ولم يقبل بجوابهم (كنا مستضعفين). اما المَوضع الثاني، فيذكر فيه القرآن انّ المُسْتَضْعَفِينَ الذين استثناهم من الهجرة هم من الرّجال والنساء والوِلدان الذين لا حِيْلَة لهم ولا يهتدون سبيلاً في هؤلاء

(١) ينظر: لسان العرب (كبر): ٥ / ١٢٦.

(٢) النساء / ٩٨.

(٣) ينظر: مجمع البيان لعلوم القرآن: ٣ / ١٩٧.

الخلاص من أهل مكة[١]. فجاء استعماله مفردة (المُسْتَضعفين) مناسباً لبيان عدم القدرة والضعف. ومن دلالة لفظة (ضَعِيف) على الضّعف في القوة ما ورد في (خ / ١١٥، ك / ٢١، ٣١. ٥٣).

رابعاً: الضَّعْف في النساء.

وقد ذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) ضَعْف النَّساء في سياق نَصْيحتهِ لِعَسْكره قَبْلَ لقاءِ العَدُوَّ وبِصِفَّيْن قائلاً لهم: ((... **وَلاَ تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيح، لاَ تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذىً، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ**...))[٢]. ويثبت(عليه السلام) الضعف في النساء، ومن ثَم يُفصّل هذا الضعف ويجعله في (القوى، والأنفس، والعقول) وقد بَيّن الشُرّاح معنى قوله (ضعيفات القوى والأنفس والعقول)؛ فذكروا أن النساء في أصل خِلقتَهنَّ سريعات الانخداع والغضب، وفِيهنَّ فسادُ التَّدْبير وفقدان الشجاعة، كما يذكر ابن أبي الحديد[٣]. فلا قدرة لهن عن مقاومة الرجال وحربهم؛ ولهذا وضع عنهن حكم الجهاد، وصار لسانُهنَّ هو السلاح الذي يقاتلن به. وأمّا ضعف أنفسهن، فَيَعْني عدم صبرهن على البلاء، فيجتهدن في دفعه بما أمكن من السُّباب غير ذلك من القذف. وأمّا ضعف العقول، فيدلّ على عدم قوّة عقولُهنّ في تمييز عدم الفائدة من السّبَاب والشتم كونه رذائل الأخلاق[٤]. وقيل: إن إمارة ضعف عقولهن ما جعله الله تبارك وتعالى شهادة امرأتين بمنزلة شهادة رجل واحد[٥].

(١) نفسه.

(٢) نهج البلاغة: ك / ١٤: ٤٧٢.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٨ / ٣٠ باب ترجمة (عائشة).

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤ / ٢١٣، والديباج الوضي: ٥/ ٢١٦٩.

(٥) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٢١٦٩.

ومن هنا نفهم أنّ مفردة (ضعيف) أو(ضعيفات) الخاصة بجمع المؤنث لا تدل على الضعف البدني فحسب، وإنما يكون الضعف في (الأنفس، والعقول) إضافة إلى (الضعف في القوة) وهو ما ذكره اللغويون أيضاً[١]. ولعلهم أخذوه من قَول الإمام المتقدمة دون أن يُشيروا إلى ذلك ومثل هذا كثير في المعاجم العربية.

المِسْكِيْنُ

السُّكُوْنُ ضدُ الحركة، وسَكَنَ الشيء يَسْكُنُ سُكوناً، إذا ذهبت حركته[٢]. والسَّكَن العيَال وأهل البيت[٣]. والسَّكن الَّرحمة والبركة[٤]. والمسْكيْن الفَقِيْر[٥]، والمَسْكنة الفقر[٦]. و(مِسْكين) بكسر الميم، وفتْحها لغة نادرة حكاها الكسائي عن بني أسدٍ[٧]. وقد ذكر ابن الأثير أن هذه المفردة ومشتقاتها تدل على الخضوع والذَّلَّة وَقلّة المال، والحال السيَّئة[٨].

واختلف اللغويون في معنى (المِسْكين)؛ فذهب بعضهم إلى أنّه الذي أسكنهُ الفقر، وقَلَّلَ حركته[٩]. وهذا الوجه يعني أنّ اشتقاق هذا اللفظ من السُّكون، وهو نقيض الحركة. وذهب فريق آخر من اللغويين إلى أن المسكين هو الذي لا

(١) ينظر: العين (ضعف): ١/ ٢٨١، ولسان العرب (ضعف): ٩ / ٢٠٣.

(٢) ينظر: لسان العرب (سكن): ١٣ / ٢١١.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (سكن): ١٠ / ٣٩.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: تاج العروس (سكن): ١٣ / ٢٠٠.

(٦) ينظر: جمهرة اللغة ٠سكن): ٢ / ٨٥٦.

(٧) نفسه.

(٨) ينظر: النهاية في غريب الحديث والاثر: ٢ / ٣٨٥.

(٩) ينظر: المحكم (سكن): ٦/ ٧٢٠.

شيء عنده يكفي عياله[١]. فهو أسوأ حالًا من الفقير[٢]. وجاءت الفاظ (المَسْكَنة) و (المَسَاكين) و (السَّكيْنة) أربع مرات في نهج البلاغة، في حين وردت لفظة (الاستكانة) ثلاث مرات. ومفردة (المِسْكين) مرتين وكل من (مُسْتكيْنة)، و (مُسْتِكينوْنَ) و (مسْكَنَتُها) مرة واحدة لكلٍ منها[٣]. وبَتَتَبُّع هذه الالفاظ في نهج البلاغة أمكن حصر الدلالات التي سِيْقت لها في الآتي:

اولاً: الدلالة على مَن أذلّه الفقر.

هي من أكثر الدلالات شيوعاً في نهج البلاغة. ومنها قوله (عليه السلام) في سياق لومه بعض عمّاله: ((**أَيُّهَا الْمَعْدُودُ ـ كَانَ ـ عِنْدَنَا مِنْ ذَوِي الأَلْبَابِ، كَيْفَ تُسِيغُ شَرَاباً وَطَعَاماً، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماً، وَتَشْرَبُ حَرَاماً، وَتَبْتَاعُ الإِمَاءَ وَتَنْكِحُ النِّسَاءَ مِنْ مَالِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ، الَّذِينَ أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِمْ هذِهِ الأَمْوَالَ**...))[٤]. وجاء ذكرَ المساكين – هنا– بوصفهم من مستحقي الصَّدقات والفيء. الذين يتحدث الإمام عنهم. والمَساكين على (مفاعِيْل) جمع (مِسْكين)؛ لانّ (مِفعيْلاً) لا يُجْمع إلا على (مَفاعيْل)[٥]. وهاتان الصيغتان تفيدان دوام الفعل من صاحبه. فالاسم إذا كان على مِفْعَال أو مِفْعيْل، فالجْمع على مَفَاعيْل، وهما لِمنْ دامَ منه الفِعْل[٦]. وقيل إنّ (المِسْكين) من السكون، كأن

(١) ينظر: المحكم (سكن): ٦/ ٧٢٠، وتاج العروس (سكن): ٣٥/ ٢٠٠.

(٢) ينظر: تاج العروس (سكن): ٣٥/ ٢٠٠.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢١٨.

(٤) نهج البلاغة: ك/ ٤٥١: ٢٥٢.

(٥) ينظر: ديوان الأدب، للفارأبي: ١/ ٨٣، و ٣١٢. ومعاني الأبنية: ١١٠.

(٦) نفسها.

الفقر أسكَنَه[١]، وهم أجْهَدُ حالًا من الفقير[٢]. وقد اختار الفقهاء هذا الوجه عند تمييزهم بين (الفَقيْر) و (المسْكن)، لمعرفة من هو الأكثر سوءاً من الآخر، فذكروا أنّ المسكين هو الذي ركبته الذّلة عند شدّة الحاجة والسؤال. فيكون - حينذاك - مُسْتحقاً للصَدَقةِ[٣].

وقد التفت الفقهاء إلى مسألة تتعلق بمن كان لديه مال يكفيه،ولكن أذّلهُ شيءٌ آخر غير الفقر. وهذا يسمّى - عندهم - مِسْكيناً أيضاً ولكنه لا يستحق الصدقة[٤].

وقد جعل الإمام (أهل الحَاجة والمَسْكنة) في الطبقة السُّفلى من طبقات المجتمع، وذلك في غير موضع من نهج البلاغة، ولاسيما في عهده إلى عامله (مالكٍ الأشتر). ومن ذلك قوله (عليه السلام): ((.... **وَمِنهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ...**))[٥]. وقوله: ((**ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَىَ مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمُسْكَنَةِ**))[٦]. (المُسْكَنَة) من مفردات القرآن الكريم التي وردت في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ...**﴾[٧].

(١) ينظر: تفسير البيضاوي: ١ / ٣٥٣.

(٢) ينظر: تاج العروس (سكن): ٣٥ / ٢٠٠.

(٣) ينظر: جواهر الكلام، للشيخ محمد حسن: ١٥/ ٣١٥، و ٣١٩.

(٤) نفسه: ١٥/ ٣١٩.

(٥) نهج البلاغة: ك / ٣٥: ٥٥٠.

(٦) نفسه:٥٥١.

(٧) البقرة / ٦١.

وقد ذكر المفسرون أنّ المراد بالذين ضربت عليهم (الُمسْكَنَة) والذلّة هم الفقراء[١]. وقيل: هم ذوو الحاجة[٢]. وذهب آخرون إلى أنهم من فرضت عليهم الجزية[٣]. وبالرجوع إلى الاستعمال العَلَوي لمفردة (المسكنة)، يظهر أنّ الإمام قد أفاد من توظيف القرآن الكريم لهذه الكلمة، فأوردها في كلامه دالة على (المَسَاكِيْن) الذين لا حِيْلة. ومما يدعم هذه الدلالة من قول أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهده (لمالكٍ الأشتر) مؤكداً عليه مراعاة هذه الفئة من الناس قائلاً: ((**ثُمَّ اللهَ اللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لاَ حِيلَةَ لَهُمْ، وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ..**))[٤].فأوصاه بـ(مَنْ لا حيلة لهم، وبالمساكين، وهم من الطبقة السفلى).

وقد ذهب شُرّاح النهج مذهبين في دلالة مفردة (المَسْكَنَةِ) عند الإمام (عليه السلام)؛ فمنهم من أشار إلى أنها تدل على أشدّ الفَقْر[٥]. في حين رأى بعضهم الآخر أنها تدل على خمول القَدْر ورِكّة الهِمَّة[٦]. أقول ويمكن لهذين الوجهين أن يعزّزا دلالة لفظة (المَسْكَنة) على (المسَاكين) الذين لا حيْلة لهم في الحصول على ما يمنع عنهم الذّلة والخضوع والمسألة. وقد وردت الدلالة نفسها في نهج البلاغة في المواضع الاتية (خ / ١٩٢ ٢، ك / ٢٢٦ ٢، ك٥٣ ٢). باستعمال ألفاظ (المَسْكَنَةِ). و(مَسَاكين). فضلاً عن مجيئها بدلالة الالفاظ (الاستكانة)، و (مُستَكِيْنون) و (مُسْتكِنة) في كل من (خ / ٨٣، ٩١، ١٥٣، ١٨٦، ١٩٢).

(١) نفسه: ٥٥.
(٢) ينظر: الجامع لاحكام القرآن، للقرطبي: ١/ ٤٣٠.
(٣) ينظر: الدر المنشور في التفسير المأثور، للسيوطي: ١ / ١٧٨.
(٤) نهج البلاغة: ك / ٥٣: ٥٦٠.
(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي حديد):١٧ / ٣٨.
(٦) ينظر:الديباج الوضي: ٥ / ٢٥٣١.

ثانياً: الدلالة على الهدوء والوقار.

وتحققت هذه الدلالة باستعمال لفظة (السَّكْينة) التي وردت غير مرة في نهج البلاغة، فضلاً عن ورودها في القرآن الكريم، فهي من المفردات التي استعملها الباري جل جلاله في قوله تبارك وتعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ**...﴾[١]. وقد ذكر المفسرون أنّ (السَّكْينة) مأخوذة من (السُّكُون). والمعنى: أنّ الله أنزل في قلوبهم السّكون والطمأنينة[٢]. وقيل: وإنما يقال له (سِكْينة) إذا سكن عن الميْل إلى الشهوات[٣]. جوّز بعضهم أن تكون الرّحمة والوقار[٤]. وذهب الزمخشري إلى أنّ المسكين هو الدائم السكون إلى الناس؛ لأنه لا يملك شيئاً، وأنما قيل له (مِسْكين) مبالغة في شِدة سكونه، كما قيل للدائم السّكر مِسْكِير[٥]. أما في نهج البلاغة، فقد وردت هذه اللفظة في مواضع متعددة، منها قوله (عليه السلام) في سياق وصيّة كتبها إلى بعض عمّاله الذين استعملهم على الصَّدقات يقول فيه: ((.. **فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِّ فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ، ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ**...))[٦]. وفي النص إشارات تعليمية، وطرائق تأديب لعماله الذين يرسلهم إلى الناس. منها أنه أمرهم بالنزول إلى مياه القبيلة؛ لأنّ من عادة العرب أن تكون مياههم بعيدة عن بيوتهم فلا تخالطها[٧]

(١) الفتح / ٤.

(٢) ينظر: الكشاف: ٤ / ٣٣٦.

(٣) ينظر: روح المعاني، للآلوسي: ٢٦/ ٩٢.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: الكشاف: ١ / ٢٤٤، ومعاني الابنية: ٦٤.

(٦) نهج البلاغة: ك / ٢٥: ٤٨١.

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة: (البحراني): ٤/ ٢٢٩٦.

في مراعاة إلى التنكّب عن بيوتاتهم ومجانبة الاطلاع على نسائهم وأعراضهم، فضلاً عما في ذلك من الإراحة للعامل ولدابته. ولّما كان الرّفق بالرعية من أهم مطالب الله جل جلالة، لما في ذلك من استلزم الالفة واجتماع القلوب، لهذا أكد (عليه السلام) على عاملة الرَّفق بالرعية والشفقة عليهم(١)، فاستعمل لهذا المعنى الفاظاً تدل على حسن الخلق مثل كلمتي (السَّكينةِ) و(الوَقَار)، دلالة على الهدوء والوقار فيهم، حتى لا يُزعجهم، وليكون ذلك أقرب إلى تقرير خواطرهم وتَسْكين نفوسهم(٢).

ومفردة (السَّكْينة) وَصف مشتق على زِنةِ (فَعْيلة). ويذكر اللغويون أن هذا الضرب من الوصف إذا لحَقْتهُ تاء التأنيث تحول من الوصفية إلى الاسمية(٣)، فلا تكون اللفظة - حينذاك- دالة على (المَسْكون)، وإنما تصير بمعنى الذي أتخذ (السَّكِينة) سبيلاً وخُلُقاً. مثل (الذَّبيح، والذَّبيحة) التي فرّق بينها اللغويون، فذكروا أن (الذَّبيْحة) ليست كـ(الذّبيْح)؛ فالذّبيْح ما ذُبِح، والذَّبيْحة، ما أُعدَ للذَّبْح. (٤) فكأن الذي لزمته (السّكينة)، صارت فيه صفة لازمة، وجزءاً من أوصافه وخلقه. ويبدو هذا المعنى مناسباً لدلالة هذه اللفظة في السياقات التي وردت فيها نهج البلاغة، ومنها: (ح / ٦٦، ٩١، ٢٢٢).

(١) نفسه.

(٢) ينظر: الديباج الوضي: ٥ / ٢٢١٢.

(٣) ينظر: شرح الشافية، للرضي: ٢/ ١٤٢، ١٤٣، ومعاني الابنية: ٦٤.

(٤) ينظر كتاب سيبويه: ٢/ ٢١٣، وأدب الكاتب، لابن قتيبة: ٢٢٨، ومعاني الابنية: ٦٤: ٦٥.

السائل

السَّائل الفقير[١]. والسائل الطالب أيضاً[٢]. وقيل: إن السائل هو المسكين[٣]. وقد استعمل الإمام (عليه السلام) لفظة (المسألة) ست مرات في نهج البلاغة، في حين انه استعمل لفظة (السّؤال)، و (السَّائلين) أربع مرات لكل منها. ولفظة (السائل) بصيغة اسم الفاعل المحلّى بـ(ال) ثلاث مرات، وجمعها (السَّائلون) مرة واحدة[٤]، وذلك للدلالة على الطلب والاستجداء. فمن ذلك استعماله (عليه السلام) لفظة (السّؤال) للدلالة على الاستعطاء، في سياق حديثه عن ما يُقطر ماء الوجه عند الإنسان: ((**مَاءُ وَجْهِكَ جَامِدٌ يُقْطِرُهُ السُّؤَالُ، فَانْظُرْ عِنْدَ مَنْ تُقْطِرُه.**))[٥]. فاستعار (ماء الوَجه) للحياء الذي يذهب من وَجه السَّائل بسؤاله، ولهذا أشار إلى ضرورة السؤال موجهاً إلى الناس من أهل المروءة والكرم والمعروف. وتوحي مفردة (السّؤال) -هنا - بأنّ طلب أيّ شيءٍ واستعطاءه يكون مقروناً بالذّلّة والحياء والشَّدةِ في السؤال، وهذا ملمح نفسي توحي به هذه المفردة، وذلك بسبب من ارتباط (السؤال) بكرامة الإنسان ومنزلته؛ فلا يكون الإنسان (سائلاً) أو بمنزلة السَّائل؛ إلاّ إذا مرّت به الشّدائد العظيمة[٦]. ولهذا قال الباري جل جلاله ﴿**وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ**﴾[٧]. والسائل - هنا- هو المحتاج. والأمر بعدم النَّهْر، إشارة إلى

(١) ينظر: العين (سأل): ٧ / ٣٠١، ولسان العرب (سأل): ١١/ ٣١٩.

(٢) ينظر: لسان العرب (سأل): ١١ / ٣١٩.

(٣) نفسه (سكن): ١١٣ / ٢١٦.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٠٧، ٢٠٨.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (بحراني): ٥/ ٤٨٢، والديباج الوضي: ٦/ ٢٩٧٨.

(٦) ينظر: الديباج الوضي: ٦ / ٢٩٧٨.

(٧) الضحى / ١٠.

ضرورة الـرّدِ الجميـل عليـه، إمّـا بعَطـاء أو بقـول حَسَـن[١].

و(السَّـائلون) طبقـة مـن طبقـات المجتمـع التـي ذكرهـا أمير المؤمنين في قولتـه التي يدعـو فيهـا عـلى مـن لم يـوف السَّـائلين حقهـم: إذ يقـول (عليه السلام): ((**وَبُؤْسى لِمَنْ خَصْمُهُ عِنْدَ اللهِ الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ وَالسَّائِلُونَ وَالْمَدْفُوعُونَ وَالْغَارِمُون وَابْنُ السَّبِيلِ**))[٢]. وقد جعـل الإمـام (السَّـائلون) في المرتبـة الثالثـة بعـد الفقـراء والمسـاكين مـن حيـث حاجتهـم وعـدم كفايتهـم ونـزر مـا يملكـون. ونظير هـذه الدلالـة وردت في (خ/ ٩١، ٩٣).

البأساء

رَجُلٌ بُؤْس شُجَاع[٣]. والبائِس الرجل الـذي نزلـت بـه بَليَّةٌ أو عـدمٌ.[٤] والبُـؤس الشَّـدَّة والفَقْـر، والبَائِـس المُبْتَـلي[٥]. والبُؤسـى خـلاف النُّعْمـى[٦]. والبأسـاء الجـوع والـضّراء في الأمـوال والانفس[٧]. وقـد وردت الفـاظ (البـأس) سـبع مـرات في نهـج البلاغـة، وحظيـت لفظتـا (البؤسـى) (بؤسـاً) بموضعـين، في حـين جـاءت الفـاظ (بَأسُـكم) و (بأْسُـه)، و (البأسَـاء)، و (بؤْسـه)، (والمُبْتَئِـس) مـرة واحـدة لـكل منهـا[٨]. وذلـك للدلالـة عـلى مـا يـأتي:

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٥ / ٤٩٥.

(٢) نهج البلاغة: ك / ٢٦: ٤٨٥.

(٣) ينظر: العين (بَأسَ): ٧ / ٣١٦، والمحكم (بأس): ٨ / ٥٦٢.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: المحكم (بأس): ٨/ ٥٦٢.

(٦) ينظر: تاج العروس (بأس): ١٥/ ٤٣٢.

(٧) ينظر: المحكم (بأس): ٨/ ٥٦٢، ولسان العرب (بأس): ٦/ ٢١.

(٨) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٦.

اولاً: الدلالة على القتال والحرب.

وهـذه الدلالـة مـن اكثـر الـدلالات شـيوعاً في اسـتعمال هـذه الالفـاظ في نهـج البلاغـة. ومـن ذلـك قـول امير المؤمنين (عليه السلام) في سياق وصف شجاعة رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأتّقاءِ المسلمين به يوم اشتداد الحرب.: ((**كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ**(صلى الله عليه وآله وسلم)، **فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ.**))[١] وقـد شرح السيد الشريـف الـرضي كلام الإمـام (عليه السلام) بقولـه: ((ومعنى ذلـك: أنـه إذا عَظُـم الخـوف مـن العـدو، واشـتد عِضَـاضُ الحـربِ، فَـزِعَ المسـلمون إلى قتـال رسـول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسـه، فيُنـزِل الله تعـالى النـصر عليهـم، ويأمنـون مما كانـوا يخافونـه بمكانـه. وقولـه (عليه السلام): (إِذَا احمّر البـأس) كنايـة عـن اشـتداد الأمـر، وقـد قيـل في ذلـك أقـوال أحسَـنها: أنـه شـبّه حمـي الحـرب بالنـار التـي تجمـع الحـرارة والحمـرة بفعلِهـا ولونهـا. وممّـا يقـوي ذلـك قـول الرسـول(صلى الله عليه وآله وسلم)، وقـد رأى مُجْتَلَـدَ[٢] النـاس يـوم حُنيـن، وهـي حـرب هـوازنَ[٣]: ((**الآن حَمِيَ الوَطِيسُ**))[٤] فالوطيـسُ: مسـتوقَدُ النـار، فشـبه رسـول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) مـا اسـتحرّ مـن جـلاد القـوم باحتـدامِ النـار وشـدةِ التهابها))[٥].وقـد أعـاد شرُّاح نهـج البلاغـة كلام

(١) نهج البلاغة: غ / ٩: ٦٥٤.

(٢) جَلَدَه رمى به إلى الأرض، وتجالد القوم بالسيوف واجتلدوا، والمجتلد موضع الجلاد، وهو الضرب بالسيوف. ينظر: لسان العرب (جلد): ٣/ ١٢٥.

(٣) وتسمّى بحرب (هوزان)، وهي إحدى القبائل العربية التي اجتمعت لقتال النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بعدما فتح الله سبحانه على نبيه مكة. فاجتمعت هذه القبيلة ومن تحالف معها، وساروا إلى وادي (حنين) لقتال النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) سنة (٨) هجرية. وفيها قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أنْ رأى مُجْتَلَدَ القوم: ((الان حَمِيَ الوطيسُ)). ينظر: السيرة النبوية، (ابن هشام): ٥ / ١١٣.

(٤) مسند احمد بن حنبل: ١ / ٢٠٧، والسيرة النبوية،(ابن هشام): ٥ / ١١٣، والمجازات النبوية: ٥٩.

(٥) نهج البلاغة: غ / ٩: ٦٥٤، والمجازات النبوية: ٥٩.

الشريف الرضي عند شرحهم قول أمير المؤمنين[١] ((... إذا احْمَرَّ البَأْسُ...)). وزاد بعضهم أن قوله (احْمَرَّ البَأْس)، كناية عن شدَّة الأمر في الحرب مع ملاحظة شبهه بالنار المُوْقدة[٢]. أقول: وللإمام نص شبيه بقوله المتقدم مع اختلاف في بعض الفاظه، ورد في سياق كلامه (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتقديمه أهل بيته في القتال الشديد. يقول فيه الإمام: ((**وكان رسول الله(صلى الله عليه وآله) إذَا احْمَرَّ الْبَأْس، وَأَحْجَمَ النَّاسُ، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَى بِهِمْ أَصَحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَالأَسِنَّةِ...**))[٣]. و(احْمَرَّ الْبَأْس) كناية عن اشتداد القتال وحرّه وقيام الحرب على ساقها[٤]، كما يبدو المعنى من السياق الذي انتظمت فيه هاتان اللفظتان. ومثل هذه الدلالة وردت في (خ/ ١١٨، و ك / ١٢، ك / ٢٨).

ثانياً: الدلالة على الشدة والصعوبة والفقر في الحياة.

وتجيء هذه الدلالة بالمرتبة الثانية بعد الدلالة على شدة الحرب والقتال. وهذا المعنى يختلف عن دلالة الشدة في الحرب في أنها لا تختص بالقتال والحرب، وإنما بالشدة في الحياة وما يتعلق بها. وقد جعل الإمام (عليه السلام) هذا المعنى علامة على صنف من أصناف الناس الذين يتكون منهم المجتمع، وهم من الطبقة السُفْلى، فأسماهم (عليه السلام) بـ(أهْل البُؤسى). وذلك في قوله موصياً عامله على مصر: ((**ثُمَّ اللهَ اللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لاَ حِيلَةَ لَهُمْ وَالْمَسَاكِين وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى...**))[٥]. والْبُؤسى هم ذوو البُؤس الذين ارتحل عنهم

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥ / ٥١٤، والديباج الوضي: ٦/ ٢٩٢٠.

(٢) نفسها.

(٣) نهج البلاغة: ك / ٩: ٤٦٦.

(٤) ينظر: الديباج الوضي: ٥ / ٢١٣٨.

(٥) نهج البلاغة: ك / ٥٣: ٥٦٠.

النَّعيم ونزل بهم شظف العيش. وبهذا يكون (أهل الْبُؤسى) أضعف حالاً من المساكين والمحتاجين؛ ومن الفقراء أيضاً. ولهذا لا أرى صواب من ذهب إلى أنّ (الْبُؤْسَى) هي شدة الفقر[١]. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق الحديث عن الزهد في الدنيا: ((**عِبادَ الله أُوصِيكُمْ بِالرَّفْضِ لِهذِهِ الدُّنْيا التَّارِكَةِ لَكُمْ... وَلاَ تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا، وَلاَ تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَبُؤْسِهَا، فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاعٍ...**))[٢] وقد جمع الإمام في هذا النص لفظتي (ضرّاء) و (بؤس).فأما (الضَّرَّاء)، فمأخوذة من الضر، وهو في اللغة ضدُّ النَّفْع، والضَّرَّاء نقيض السَّراء كما يقول اللغويون[٣]، و الضَّرَّاء النقص في الأموال والأنفس[٤]. وأما البُّؤس، فهو الشَّدَّة والفَقر كما تذكر المدونات المعجمية[٥]. إن دلالة المفردتين في استعمال الإمام لها يخالف الدلالة المعجمية التي ذكرها اللغويون، فمفردة (ضَرَّائها) في قوله توحي بالدلالة على السوء وعدم الرّاحة في الدنيا، بكل ما يجيء فيها من علل ومتاعب وآلام، يَتَضررُ بسببها الإنسان، وأمّا كلمة (بؤسها) فتدل على الشدة وضعف الحال. أمّا أيُّ اللفظتين أكثر دلالة على الشدة، فيبدو لي أن العلاقة بينهما علاقة عام بخاص، (فالبؤس) أخص من (الضَّر)، لأنّ البؤس الشدة وضعف الحال، وهو ضرب من تسلط الدنيا وتمكنها من إضعاف حال الإنسان. ومما تجدر الاشارة اليه أن هاتين المفردتين قد وردتا في القرآن الكريم، وذلك قي قوله تعالى: ﴿... **وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ**

(١) نفسه: هامش (٧).

(٢) نفسه: خ/ ٩٩: ١٨٠.

(٣) ينظر: المحكم (ضرر): ٨/ ١٤٩.

(٤) نفسه.

(٥) المحكم (بأس): ٨/ ٥٦٢.

هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[١]. وفسرت البأساء بالفقر والفاقة، والضَرَّاء بالمرض ومصائب البَدَن.[٢] وثمة دلالات اخرى مشابهة للدلالة المتقدمة في كلام الإمام (عليه السلام) وردت في (خ/ ١١٤، ١١٥، ك/ ٤٥، ك٥٣).

ثالثاً: الدلالة على بأس الله تبارك وتعالى:

وَبأسُهُ جل جلاله صَوْلاتهُ ووقائعه بالأمم المُستكبرة. يقول أمير المؤمنين في سياق الاعتبار بالماضين: ((**فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ وَصَوْلاَتِهِ، وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلاَتِهِ**[٣]...))[٤]. وبأس الله هو عذابه ونقماته[٥]. ويبدو أنّ الإمام (عليه السلام) أراد بيان وسيلة هذا البأس من خلال ذكره مفردات (صَوْلاتهِ) و(قائعه) و (مَثُلاته) التي تدل على سطوة الله على عباده وغلبته عليهم، وقهرهم بالوقائع التي أوقعها بهم وأنزلها بساحاتهم على مرّ التأريخ وما أوْقعه الله بهم من عُقُوْبات[٦]. وهناك دلالات أخرى شبيهة بهذه الدلالة وردت في (خ/ ١٩٢).

رابعاً: الدلالة على القوة والحزم في الرأي العسكري.

وقد وردت هذه الدلالة في سياق خطاب امير المؤمنين (عليه السلام) الناس وقد

---

(١) البقرة/ ١٧٧.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ١/ ٢٤٤.

(٣) صَالَ يَصُوْل صَوْلًا. سَطَا وَحَمل على غيره وقَهَره. ينظر: تاج العروس (صول): ٢٩/ ٣٣٥ وصَوْلات الله تبارك وتعالى، سطوته على عباده وغلبته عليهم وقهرهم.

(٤) المَثُلات من الفاظ القرآن الكريم، قال تعالى: ((... وقدْ خلت منْ قبله المثلات)) الرعد/ ٦. والمثلات جمع (مثله) وهي العقوبة. فكأن من عوقب صار مثلاً. ينظر لسان العرب (مثل): ١١/ ٦١٥.

(٥) نهج البلاغة: ١٩٢: ٣٦٦

(٦) . ينظر الديباج الوضي: ٤/ ١٩٩٩.

دعاهم إلى الجهاد، فطلبوا ان يخرج معهم، فقال لهم مُعنِّفاً: ((**مَا بَالُكُمْ! لاَ سُدِّدْتُمْ لِرُشْد! وَلاَ هُدِيتُمْ لَقَصْد! أَفِي مِثْلِ هذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَخْرُجَ؟ إِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَذَوِي بَأْسِكُمْ، وَلاَ يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ الْجُنْدَ، وَالْمِصْرَ، وَبَيْتَ الْمَالِ، وَجِبَايَةَ الأَرْضِ...**))(١). والسياق – هنا– سياقُ يبين فيه الإمام أنْ ليس كل جهاد وحرب يوجب خروجه اليها، وإنما يجوز أنْ يخرج إليها رجل يرْتضيه الإمام من شجعان القوم، يكون قوياً وحازماً في اتخاذ القرارات التي تتطلبها المعركة. ولهذا الإمام مفردة (شُجْعان)؛ للدلالة على الشجاعة في الحرب، ومن ثَمّ أورد لفظة (ذوي بَأْسِكُم)؛ للدلالة على القوة في الحزم وإدارة المعركة بحسب ما يبدو؛ لأنّ المعركة والجهاد يحتاجان إلى أمرين؛ الأول شجاعة القائد. وهو الأهم والأولى بالتَّقْدمةِ، فلهذا جعله (عليه السلام) في صدارة خصال من يرتضيه من هؤلاء القادة. والثاني (البأْسُ) الذي يمثل عندي القسيم لخُصْلة الشجاعة وعلى الرغم من دلالة هذه الكلمة على الحرب والشجاعة كما تتذكر المدونات المعجميّة(٢). فإننا يمكن أن نفهم من تعبير الإمام (ذوي بَأْسكُم) الدلالة على حصافة الرأي في الحرب خاصة. وهذا معنى جديد ينفرد به الإمام (عليه السلام) ولم تذكره المتون المعجمية. ومما يعزز هذا الوجه ما ذكره أبو الحسين يحيى بن حمزة الحسيني في معنى قوله (ذوي بأسكم) قائلاً: ((أن يكون صاحبَ تَجْربة في الحروب الشديدة ممن قَدْ حَنكتْه التَّجاربُ فيها...))(٣). ومثل هذه الخصال هي التي تمكّن الرجال الأشداء من أنْ يحلّوا محَلَّ الإمام (عليه السلام) في قيادة الجيش للحرب أو الجهاد. فضلاً عن ذلك فإننا نريد على المَتْن المعجمي أن مفردة (بَأْس) التي خَصّها اللغويون بالدلالة على

(١) نهج البلاغة: خ/ ١١٩: ٢٢١.

(٢) ينظر: العين (بأس): ٧/ ٣١٦، والمحكم (بأس): ٨/ ٥٦٢.

(٣) الديباج الوضي: ٢/ ٩٨٣.

الشجاعة والشِدّة [١]، تدل على شجاعة الرأي وحصافته في الحرب أيضاً.

خامساً: الدلالة على ما بعد الموت من الحساب والعذاب.

وجاءت هذه الدلالة في سياق كلامه (عليه السلام) الذي يتحدث فيه عن الدنيا وادبارها. يقول الإمام: ((**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ، وَآذَنَتْ بِوَدَاع، وَإِنَّ الاْخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَأَشْرَفَتْ بِاطِّلاَع، أَلاَ وَإِنَّ اليَوْمَ المِضْمارَ، وَغَداً السِّبَاقَ، وَالسَّبَقَةُ الجَنَّةُ، وَالغَايَةُ النَّارُ؛ أَفَلاَ تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ أَلاَ عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ أَلاَ وَإِنَّكُمْ في أَيَّامِ أَمَل مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ**...)) [٢]. واستعمل الإمام مفردة (بُؤْسه)؛ للدلالة على الموت والحساب، وهو يوم العرض على الله تبارك وتعالى الذي تزلف فيه الجنة للمتقين، وتُبرَّز الجحيم للغاوين كما يقول تبارك وتعالى: ﴿**وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ**﴾ [٣]. ولهذا وطّأ الإمام لـ(يوم بُؤْس الناس) بالتَّوْبة، إشارة إلى أنغماسهم بالذنوب التي يحتاج المرء أن يكفّر عنها قبل موته؛ لتكون مقدمة للاعمال الصالحة، وحتّى يتجنب الإنسان (يوم بُؤْسِه) الذي هو إشارة إلى ما بعد الموت من العذاب [٤].

سادساً: الدلالة على الدعاءِ بالبُؤْسِ.

وقد استعمل الإمام في هذا الضرب من الدلالة لفظة (بؤس) للدعاءِ (بالبُؤْسِ) على من كل خصمه عند الله الفقراء والمساكين والسائلين. يقول (عليه السلام) مخاطباً بعض عمّاله على الصدقات: ((...**وَإِنَّ لَكَ في هذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً،**

---

(١) ينظر: لسان العرب (بأس): ٦/ ٢١.

(٢) نهج البلاغة: خ / ٢٨: ٦٤.

(٣) الشعراء / ٩١.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٢٥٨.

وَحَقّاً مَعْلُوماً، وَشُرَكَاءَ أَهْلَ مَسْكَنَة، وَضَعَفَاءَ ذَوِي فَاقَة،إِنَّا مُوَفُّوكَ حَقَّكَ، فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ، وَإِلاَّ تَفْعَلْ فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبُؤْساً لِمَنْ خَصْمُهُ عِنْدَ اللهِ الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ وَالسَّائِلُونَ...))(١). ولما كان من عظيم أمر الصدقة ووجوبها، وضرورة أمانة القائمين عليها ووجوب اخلاصهم لله تبارك وتعالى في تحصيلها، نلاحظ تشديد الإمام (عليه السلام) على عامله الذي بعثه لجمع الصدقات، وتقديمه أضعاف مستحقيّها ممن هم أضعف حالاً على القائمين عليها، وأمره (عليه السلام) بأن يوفي هذا الرجل حق هذه الطبقة من الناس، ولهذا ذكر له انّ عدم اعطائهم حقوقهم سيؤول به إلى كثرة الخصوم يوم القيامة، فضلاً عن وقوعه في مرتع الخيانة. ولذلك دَعَا (عليه السلام) على هذا النوع من الناس بـ(البُؤسَى)، وهي شدة الفاقة والانتقال من حالة (النعيم) إلى الحال البائسة التي سيكون عليها الإنسان إذا لم يؤد الحقوق الشرعية إلى أهلها. وهذا الدعاء من أشد الأدعية على (القائمين) بأمر الصدقات؛ لاسيما جهة تأثيره في نفوسهم؛ لأنهم كثيراً ما اختلطوا بين الناس ولمسوا حال الفقراء والمستحقين للصدقات، وشدة بؤسهم. فكيف يتصورون حالتهم إذا صاروا مثلهم في البؤْس وشدْة الفتك. ولم يقتصر الدعاء (بالبُؤْس)، بتوظيف كلمة (بُؤْس) لهذا المعنى عند الإمام (عليه السلام) على هذه الفئة من الناس، وإنما وجدنا سياقاً آخر وفئة أخرى من الناس دعا الإمام عليهم بهذا التعبير وذلك قوله، وقد مرَّ بَقتلى الخوارج يوم النّهروان(٢): ((**بُؤْساً لَكُمْ، لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ**

---

(١) نهج البلاغة: ك / ٢٦: ٤٨٤، ٤٨٥.

(٢) وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي. حدّها الأعلى متصل ببغداد، وكانت بها وقعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مع الخوارج، وفيها نهر يسمى (نَهْروانا) وهي مفردة معرّبة من الفارسية، أصلها (جُورن) ومعناها: (إنْ قلّ ماؤه عطش أهله، وإن كثر غِرقوا). ينظر: معجم البلدان، الياقوت الحموي: ٥ / ٣٢٥.

غَرَّكُمْ...))[١]. ويلحظ انّ الدعاء (بالبُؤْس) - ههنا- هو للقتلى. ويبدو أنّ المراد به بُؤْسُهم في الآخرة، وذلك بأنْ ينالوا غضب الله تبارك وتعالى وسخطه؛ بسبب من اتباعهم الشيطان المُضّل الامّارة بالسُّوْء. وهو ما ذكره الإمام (عليه السلام) في اجابته من قال له: ((**مَن غرّهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: الشَّيْطَانُ المُضِلُّ، وَالأَنْفُسُ الأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ، غَرَّتْهُمْ بالأَمَانِيِّ، وَفَسَحَتْ لَهُمْ فِي المَعَاصِي، وَعَدَتْهُمُ الإِظْهَارَ، فَاقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّارَ.**))[٢]. وقد ذهب شرُّاح النهج مذْهبينْ في دلالة لفظة (بؤْساً) الواردة في كلام امير المؤمنين (عليه السلام)؛ فمنهم من رأى أنّ (البُؤْس) هو الشَّدّة [٣]. ومنهم من وجد فيها معنى الدعاء بالعذاب[٤].

الغارم

الغُرْم الدَّيْن، ورجل غارم عليه ديْن[٥]. والغَريم الذي له الدَّيْن، والذي عليه الدّيْن أيضاً [٦]، والجمع (غُرَمَاء)[٧]. والغارم الذي يلتزم ما ضمنه وتكفّل به[٨].

وقد وردت لفظتا (الغَارم)، و (الغارِمُون) في نهج البلاغة مرة واحدة لكلٍ منهما[٩]، للدلالة على من عليه الدَّيْن، وهو المُسّمى في المُصْطلح الاقتصادي

(١) نهج البلاغة: قصا / ٣٢٣: ٦٦٧.

(٢) نهج البلاغة: قصا / ٣٢٣.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني) ٩: ٥/ ٤٧٨.

(٤) ينظر: معارج نهج البلاغة: ٢ / ٨٧٦، والديباج الوضي: ٦ / ٢٩٦٤.

(٥) ينظر: المحكم (عزم): ٥ / ٥١٩، ولسان العرب (غرم): ١٢/ ٤٣٦.

(٦) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٢٦٣.

(٧) ينظر: المحكم (غرم): ٥/ ٥١٩.

(٨) ينظر النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٢٦٣.

(٩) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٣٦.

(المَدِيْنُ). وذلك في قول أمير المؤمنين (عليه السلام): ((**فَمَنْ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ، وَلْيَفُكَّ بِهِ الأَسِيرَ وَالْعَانِيَ**[١]، **وَلْيُعْطِ مَنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغَارِمَ**))[٢]. والغارم المَدين الذي عليه دَين[٣]. وقيل بل هو من لحقه غرم من نائبة أصابته[٤]. ولا يبعد أن يكون صاحب النّائبة من الغارمين الذين أصابتهم ضائقة أو نقص في الأموال، فأضطرّه الحال إلى الاستدانة أو الاقتراض. ونظير هذا المعنى سيقت له لفظة (الغارِمُوْن) بالجمع؛ للدلالة على إحدى الطبقات المُسْتَحَقة للصدقات والعطاء في الإسلام وهم المديْنون، وذلك في (ك/ ٢٦).

أملق

الإمْلاقُ كثرة إنفاق المال وتَبذْيرهُ حتّى يُورّث حاجةً[٥]. وامْلَقَ الرّجُلُ أي افْتَقَر[٦] و الإمْلاقُ الافْتقار[٧]. واصل الإمْلاق عند اللغويين الإنْفاق ثم صار الفقر تابعاً له، وذلك باستعمال لفظ السبب في موضع المُسبّب حتّى صار به أشهر[٨]. والإمْلاق الإفساد أيضاً[٩]. والمَلَق الودّ واللّطْيف الشديد، وهو أيضاً الترَفّق والمُداراة[١٠]. ولفظة (أملق)، و (أمْلَقْتُم) و (مَلَقٌ) من الفاظ نهج البلاغة؛

(١) العاني الأسير الخاضع الذليل. ينظر لسان العرب (عنا): ١٥ / ١٠٢.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ١٤٢: ٢٥٠.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥٩٣.

(٤) ينظر: الديباج الوضي: ٣/ ١١٣٧.

(٥) ينظر: لسان العرب (ملق): ١٠ / ٣٤٨.

(٦) ينظر: تهذيب اللغة (ملق): ٩/ ١٤٩.

(٧) ينظر: لسان العرب (ملق): ١٠/ ٣٤٨.

(٨) نفسه.

(٩) ينظر: لسان العرب (ملق): ١٠/ ٣٤٨، وتاج العروس (ملق): ٢٦/ ٤٠٦.

(١٠) نفسه: ١٠/ ٣٤٧.

فقد وردت كل مفردة منها مرة واحدة فيه[١]. وبالدلالات الاتية:

اولاً: الدلالة على شدة الفقْر وحِدَّته.

وجاءت هذه الدلالة في سياق كلام امير المؤمنين (عليه السلام) عن عقيل ابن ابي طالب وتَشَظف عيْنيه، إذ يقول الإمام في ذلك: ((**وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَماحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ، غُبْرَ الأَلْوَانِ، مِنْ فَقْرِهِمْ**..))[٢]. وتبدو دلالة مفردة (أملق) واضحة في الاشارة إلى شِدّة فقر (عقيلٍ بن أبي طالب)، وسوء حالته في العيش هو وعائلته، والقرائن على هذا المعنى ظاهرة في السياق، كمفردة (استماحني) التي توحي بطلب العَطَاءِ والمنح[٣]، وهي تحمل دلالة نفسية تشير إلى ضَعْف حال صاحبها وقلْة مؤونته. فضلاً عن تعابير أخرى مثل: (شُعْث الُّشعُورِ)، (غُبْرِ الألوان) و(فَقْرهم) التي بَيَّنَ بها الإمام سوء حالتهم ذاكراً انّ سبب ذلك راجع إلى (فَقْرهم). وثمة إشارات عند بعض الشُرَّاح في تعْليقه على مفردات هذا النص. من قبيل ما ذكره عن معنى لفظة (اسْتَماحني) التي وَجّهها بدلالة الاستعطاء؛ لكثرة الإمْلاق والحاجة، علاوة على دلالة مفردة (أمْلق) نفسها التي دلت الافتقار والحاجة، ومن ثَمّ بيان ما أصاب صبيان (عقيل بن أبي طالب) من سوء فإنّ الجوع إذا كَثُر في الإنسان غيّر لونه وحاله[٤].

أقول: وقد استعمل القرآن الكريم لفظة (الإمْلاَق) دالة على شدّة الفقر والفاقة. وذلك في قوله تعالى ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَّ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُّ عَلَى**

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٢٤.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ٢٢٤: ٢٣٧.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ٥٣.

(٤) ينظر الديباج الوضي: ٤/ ١٨١١، ١٨١٢.

بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[١]. وفسرها المفسرون الإملاق بالفَقْر، وهي عندهم لفظة (أرْمَلَ)، وهو الذي لم يَبْق له شيء إلاّ الرَّمل، و(أترب) الذي لم يَبْق له إلا التراب، وكذلك (المُمِلق)، وهو الذي لم يَبْق له إلاّ المَلْق وهي الحجارة السود ومفردها مَلَقة[٢]، كما يذكر ابن عطية الغرناطي[٣]. يريدون أنّ المُمِلق هو الذي افتقر ولم يبق له أي شيء يقتات عليه فهو في شدة الفقر والعسر، من غذاء أو مال وغيرها من لوازم العيش. وقد فسّر الخطيب الاسكافي (ت ٤٢٠هـ) ذلك بانقطاع المال و الزاد[٤]. وهما أساس العيش في الحياة.

ثانياً: الدلالة على شدة الافتقار إلى رضا الله تبارك وتعالى والحاجة اليه بوصفه مُدرّ النِعم.

وقد ساق الإمام (عليه السلام) هذا المعنى من خلال كلمة تحدث فيها عن (إمْلاق) الناس، وطريقة معالجة هذا الإملاق. إذ يقول: ((**إذا أمْلَقْتُم، فَتَاجِروا الله بالصَّدَقَةِ**))[٥]. ويفهم من ورود كلمة (أمْلَقْتُم) في هذا السياق دلالتين؛ الأولى: أن المراد بالإملاق ابتداء هو شِدة الفقر والحاجة إلى الامور التي تتطلبها الحياة من مأكل وملبس وغير ذلك. والثانية الافتقار الشديد والحاجة إلى رضا الله

---

(١) الانعام / ١٥١، وينظر الاسراء / ٣١.

(٢) اقول: ولم أعثر على هذه الدلالة في المعاجم العربية، الّا أن الازهري ذكر أنهم يقولون: ((للحصاة الملساء اللينة مَلَقة، وجمعها ملقات)) ونقله بعده المعجمون: ينظر: تهذيب اللغة (ملق): ٩/ ١٤٩، ومقاييس اللغة (ملق): ٥/ ٣٥١، ولسان العرب (ملق): ١٠/ ٣٤٧.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢/ ٣٦١.

(٤) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، لأبي عبد الله محمد بن الخطيب الاسكافي: ٧٤.

(٥) نهج البلاغة: قصا / ٢٥٨: ٦٤٨.

تبارك وتعالى؛ فإمّا المعنى الأول، فقرينته مفردة (أمْلقْتم) نفسها الدالة على الفقر والحاجة. وأما المعنى الثاني، فدّلت عليه لفظتا (تَاجروا) و (الصّدقة) فالمتاجرة هي عملية البَيْع والشراء التي تكون بين طرفين[1]. (والصَّدَقة) مفردة اسلاميّة شائعة تدل على ما يُعْطيه الإنسان في ذات الله للفقراء والمساكين[2]. وهي مشتقة من الصَدْق[3]، فالمُتَصدَّق هو الذي يكون صادقاً في عطائه للفقراء والمساكين. ولهذا مدح الله المُتَصدَّقيْن والمُتَصدقات بجميع أصنافهم سواء أكانوا أغنياء أم فقراء، ومدح قبلهم الصادقين قائلاً: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[4]. وبحسب هذا المنهج القرآني جعل الإمام (الصَدَقة) التي يدفعها (المُمْلِقون) بمنزلة التجارة مع الله تبارك وتعالى؛ تَرْغيباً لهم وتَعويضاً عمّا أنفقوه، وهم أولى باسْتجلاب الرزق من غيرهم، عن طريق الصّدقة؛ لاستشعار صِدقهم ورّقَتّهم على غيرهم؛ لأنهم على حال واحد[5]. وبهذا صارت لفظتا (تَاجَرُوا) و (الصَّدَقة) قرينة مفردة (أمْلَقْتم) إلى الدلالة على الحاجة والافتقار إلى كسب رضَا الله واسْتنزال رزقْه ونعمه. وهو المعنى الثاني الذي يوحي به النَّص.

(١) ينظر: لسان العرب (تجر): ٤/ ٨٩.

(٢) ينظر لسان العرب (صدق): ١٠ / ١٩٦، والتطور الدلالي بين لغة الشعر والقرآن الكريم. عودة خليل ابو عودة: ٢٦١.

(٣) ينظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر والقرآن الكريم: ٢١٦.

(٤) الاحزاب / ٣٥.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٦٣.

ثالثاً: الدلالة على التَّمَلُّق:

والتَّمَلُّق ضَرْب من شدّة التَّوَدُّد والتَّلطُّف إلى الآخرين رغبةً في التقرب اليهم. يقول الإمام (عليه السلام): ((**الثَّنَاءُ بِأَكْثَرَ مِنَ الاسْتِحْقَاقِ مَلَقٌ، وَالتَّقْصِيرُ عَنِ الاسْتِحْقَاقِ عِيٌّ و حَسَدٌ.**))[١].

(والمَلَق) عند الإمام ضرب من التَّطرُّف والاكثار من الثناء والمّدْح على الآخر. كما أنّ التَّقْصير عن الاستحقاق تطرّف أيضاً؛ لأنه يِسْتَلْزم عدم منح الآخر حقه من المودة. وذلك إما عِيٌّ وعدم إفصاح بالثناء، أو حسد يوجب سُقْما للمَوَدَّة كما يذكر الإمام (عليه السلام) في قوله: ((**حَسَدُ الصُّديقِ من سُقْم المَوَدَّة**))[٢]. لأن الحسد يكون مصحوباً بتمني زوالِ نِعْمةِ المحْسُوْد[٣]. في حين أن (المَلَقُ) هو الإكثار من التودُّدِ واللُّطْف والمبالغة فيهما للمُثْنى عليه. فإنْ جاوز الحدَّ وأصبح مقتصراً على القول باللسان، صار كذباً ومبالغةً[٤]. في الود لعدم إيمان (المتملق) بالثناء الذي يقوله، وبهذا يصير (التَّمَلُقُ) نوعاً من (النِّفَاقِ)؛ لاشتراكها في التَّستُّر وعدم إظهار الشعور الحقيقي الذي ينطوي عليه نفس كل من واحد منهما. فإن المنافق هو من ستر كفره وأظهر إيمانه[٥]. وكذلك المُتَمَلُّق الذي يُظْهر مَدْحه وثناءه الشّدِيدينِ، ويسر في قَلْبه الكُرْه والحقد لمن يمدحه.

---

(١) نهج البلاغة: قصا / ٣٤٧: ٦٧٠.

(٢) نفسه: قصا / ٢١٨: ٦٤٢.

(٣) ينظر الديباج الوضي: ٦/ ٢٩٧٨.

(٤) المصدر السابق، ٦/ ٢٩٧٨.

(٥) ينظر: لسان العرب (نفق): ١٠/ ٣٥٩، والتطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم: ٢٦٦.

مَدْفوعاً

أصل الدفع -في اللغة- تنحية الشيء[١]. والدّفْع الإزالة بقوة[٢]. وتدافع القوم، أي دفع بعضهم بعضاً. والمُدَفَّع الرجل المَحْقور الذي لا يُقرى إنْ ضاف، ولا يُجْدى إن اجتدى[٣]. والمُدَفَّع الفَقيرْ؛ لأنّ الناس تدفعه عند سؤاله من شخصٍ إلى آخر[٤].

وقد استعملت الفاظ (مَدْفوعاً) و (المُدَفَّع)، و (المَدْفعُون) مرة واحدة لكل منهما[٥]. للدلالة على الابعاد والإزالة والمَنع بقوة. وفي صدارة هذه الدلالة قول أمير المؤمنين (عليه السلام) متحدثاً عن غصب حقّه، ودَفْعه عنه: ((**فَوَاللهِ مَا زِلتُ مَدْفُوعاً عَنْ حَقِّي، مُسْتَأْثَراً عَلَيَّ، مُنْذُ قَبَضَ اللهُ تعالى نَبِيَّهُ (صلى الله عليه وآله) حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هذَا**))[٦]. وتتضمن مفردة (مَدْفُوعاً) معنى الابعاد والمنع من أخذ الحَقَّ، ولهذا استعمل (عليه السلام) صيغة (مَفْعول)، لاظهار المبالغة بدفعه عن حقّه، ولبيان معنى الاستمرار عن حَقّه، وهذا من المعاني التي تدل عليها صيغة مَفْعُول[٧].

وقد استعمل الإمام (عليه السلام) لفظة (المَدْفُعْون) بصيغة الجمع على زنة (مَفْعُول) أيضاً؛ للدلالة على المستضعفين من الفقراء الذين يَدْفعهم الناس ويمنعونهم عند سؤالهم من العَطاء. فكل يدفعهم عن نفسه. وذلك في قوله (عليه السلام) الذي

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (دفع): ٢/ ٢٨٨.

(٢) ينظر: لسان العرب (دفع): ٨/ ٨٧.

(٣) ينظر تهذيب اللغة (دفع):٢/ ١٣٤..

(٤) نفسه: ٢ / ٢٨٨.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٥٧.

(٦) نهج البلاغة: خ / ٦: ٣٧..

(٧) ينظر: معاني الأبنية: ٦٠.

يتحدث فيه عن أكل حقوق مُستحقّي الصَّدقات: ((**وَبُؤْساً لِمَنْ خَصْمُهُ عِنْدَ اللهِ الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ وَالسَّائِلُونَ وَالْمَدْفُوعُونَ وَالْغَارِمُ وَابْنُ السَّبِيلِ**))[١]. وتحمل مفردة (المَدْفُوعُون) الدلالة على الفقر. ولكنها تتسع لتكون دالة على المدفوعين المبعدين من الاستعطاء والكدْية كما يبدو، فكأنهم (كالمُدَفَّعِ) الذي إنْ نزل ضَيفاً على أحد لا يُقرى، وإن اجتَدَى لا يُجْدَى كما يذكر اللغويون في دلالة مفردة (المُدَّفَّعِ)[٢].

أقول: ولما كانت هذه اللفظة تحمل الدلالة على الفقر، لذلك آثر بعض الشُّرَّاح أن تكون لفظة (المَّدْفوعون) دالة على الفقراء[٣]. وقيل: بل هم فقراءُ الغُزاة، وإنما سُمّوا مدفوعين لفقرهم[٤]. ونقل ابن أبي الحديد أنّ (المدفوعين) هم الحجيج المنقطع بهم، وإنما سُمّوا (مُدْفوعين)؛ لأنهم دُفِعوا عن إتمامِ حجهم، أو دفعوا عن العَود إلى أهلهم[٥]. وذهب الشارح البحراني إلى أنّ الإمام ربّما أراد بـ(المَّدْفوعين) (العَامِلِيْنَ) عليها، وسمّاهم مَدْفوعين باعتبار أنهم يُدَفَعُوْن لجباية الصدقات، فإذا أتوا إلى من لا زكاة عليه دَفَعَهُم عن نفسه، استعمل لهم هذا الوصف لكونه وصف ذُلٍّ وانقهار، ولأنه (عليه السلام) في سياق الأمر بالشَّفَقَة عليهم[٦]. ويمكن أنّ يكون المراد بالمدفوعين الفقراء من السائلين؛ لكونهم يُدْفعون عند السؤال[٧]. وهذا الوجه من الدلالة ألْيقُ بالسَّياق، وبه تكون لفظة (المدفوعين) مرتبطة بمفردة (السائلين) بعلاقة الترادف الجزئي، فكأنما لفظة (المَدْفوعين) تفيد الدلالة على السائل الذي

(١) نهج البلاغة: ك / ٢٦: ٤٨٥.

(٢) ينظر تهذيب اللغة (دفع): ٢/ ١٤٣.

(٣) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٢٢٢٦.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٥/ ١٦١.

(٥) نفسه.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ٢٣٣.

(٧) نفسه.

يُدْفَع عن سؤاله بسبب من إلحاحه الشديد في الطلب والاستعطاء.

أهل الحاجة

قال ابن فارس: ((الحاء والواو والجيم أصل واحدٌ، وهو الاضطرار إلى الشيء))[١]. والحاجة الفقر[٢]، والحَوْج الطَلَبُ[٣]، والحَوْج بالضم الفَقْر، وقد حاجَ الرجل واحتاج إذا افتقر[٤].

وقد فرّق اللغويون بين (الحَاجة) و(الفَقْر)، فالحاجة القصور عن بلوغ المطلوب. يقال الثوب يحتاج إلى خُرْقة. في حين أن الفقر خلاف الغنى، والفرق بين النقص والحاجة، أنّ النقص سبب للحاجة. والنقص أعم منها؛ لاستعماله في المحتاج وغيره[٥]. وقيل: بل الحاجة أعمُّ من الفقر[٦].

وقد وردت لفظة (الحاجة) غير مرة في نهج البلاغة وباشتقاقات متعددة فجاءت مفردة (الحاجة) تسعاً وعشرين مرة، ولفظة (أحْوَج) خمس مرات، ولفظة (حاجتك) اربع مرات، و (الحَاجَات) ثلاث مرات. في حين استعملت الفاظ (حَاجَاتهم)، و(الحَوائج) مرتين، والفاظ (حاجَتَين) و (حوائِجهم) و (حَاجَاتهم) مرة واحدة لكل منها[٧]، وذلك للدلالة على ما يأتي:

---

(١) مقاييس اللغة (حوج): ٢/ ١١٤.

(٢) ينظر: لسان العرب (حوج): ٢ / ٤٢، وتاج العروس (حوج): ٥/ ٤٩٥.

(٣) ينظر: تاج العروس (حوج): ٥ / ٤٩٤

(٤) نفسه: ٥/ ٤٩٥.

(٥) ينظر: تاج العروس (حوج): ٥/ ٤٩٥.

(٦) نفسه.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٢٧.

أولاً: الدلالة على البُغية والمأربة أو الطلب.

وهـذا المعنـى العـام لمفـردة (حاجـة)؛ لأنهـا تـدل في أصلهـا عـلى المأرَبَـة كـما يذكـر اللغويـون[١]. ومنـه قـول امـير المؤمنـين (عليه السلام) في سـياق كلامـه عـن بيعـة مـروان بـن الحكـم بعدمـا أُسر (يـوم الجَمَـل)؛ فقيـل لـه: يُبايِعُـكَ يـا أمـير المؤمنـين ؟: فقـال: ((**أَفَلَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمانَ؟ لاَ حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ! إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ، لَوْ بَايَعَنِي بِيَدِهِ لَغَدَرَ بِسُبَّتِهِ**[٢]...))[٣]. والسياق - هنـا- سياق ذمَّ لمـروان بـن الحكـم؛ ولهـذا نفـى (عليه السلام) أن تكـون بـه حاجـة لبيعـة هـذا الشـخص مستعملاً في ذلـك (لا) النافيـة للجنس. والمعنى: أن لا حاجة أو مأربة لأمير المؤمنين البَتَّة ببيعة مروان. مشيراً في ذلـك إلى غَـدره في بيعتـه لـه بعـد مقتـل (عثـمان بـن عفّـان). ولهـذا جعـل كـفّ مـروان كّفـاً يهوديـة في إشـارة إلى غـدره؛ فمـن شـأن اليهـود الخُبـث والمكـر والغـدر[٤]. وكنّـى عـن مَوضـع غـدر هـذا الرجـل بـ(سُبَّته) وذلـك إشـارة منـه إلى الغَـدْر الخَفّـي الـذي يُخْفيـه مـروان ويسـتتر بـه كـما يُخفـي المـرء سُبَّته، والسّبه الأسُـتْ الـذي يُحْـرص عـلى سَتْره[٥]. وذكـر (عليه السلام) (سُبَّة مـروان) إهانـةً لـه؛ لانّ الغـدر مـن أقبـح الرذائـل[٦]. مثلـما يكـون الأُسْـت أقبـح المواضـع مـن الإنسـان وهـذهِ الأمـور التـي تتوافـر في (مـروان) تجعـل منـه امـراً مذمومـاً، فـلا حاجـة لأمـير المؤمنين بـه وببيعتـه. ونظـير هـذه الدلالـة. مـا ورد في: (خ/ ٨٣، ٩١، ١٠٣، ١٠٨، ١٥٣، ١٥٤،/ ١٦٣، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٦،

(١) ينظر: لسان العرب (حوج): ٢/ ٢٤٢.

(٢) السَّبْت في اللغة الأَسْتُ. ينظر: تاج العروس (سبب): ٣/ ٣٤.

(٣) نهج البلاغة: خ / ٧٣: ١١٣.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٥٥.

(٥) ينظر: نهج البلاغة (عبده(: ١/ ١١٢. هامش (٣).

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٥٥.

١٨٩، ١٩١، ٢٠٩ ك / ٢١، ٣١ ٢، ٥٣ ٣ / قصا / ٧٧، ١٠١، ١٢٧، ٢٥٧، ٢٦٩، ٣٠٢، ٣٠٨، ٣٦١ ٢، ٣٢٧).

ثانياً: الحاجة بمعنى الفَقْر.

وفي هذه الدلالة تتخصص لفظة (الحاجة) وباشتقاقاتها العديدة بالدلالة على الفقر، حتى انّ استعملها الإمام في التنبيه على إحدى طبقات المجتمع، وهم (ذوو الحاجة وأهلها). ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق تقسيم المجتمع على طبقات في عهده (لمالك الأشتر): ((**وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لاَ يَصْلُحُ بَعْضُهَا إلاَّ بِبَعْض، وَلاَ غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْض... وَمِنهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ..**))[1]. وقوله: ((**ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ...**))[2] و(الحَاجة) في هذين السياقين هي الفقر، وإنما أضافها إلى كلمة (أهل) إشارة إلى المَخْصوص بهذه الصفة من فئات المجتمع. ومن متابعة (آية الصدقات) التي ذكرها القرآن الكريم، نلحظ خلوها من ذكر (أهل الحاجة). فالآية تقول: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[3]. فلم تذكر الآية المتقدمة من (ذوي الحاجة) ويبدو أن الإمام (عليه السلام) انما ذكر هذه الطبقة من المحتاجين الذين صَنَّفهم في صدارة الطبقة السُّفلى، بسبب من حاجاتهم الشديدة وفقر حالهم، فقدّمَهم على (ذوي المَسْكَنَة)، وهم من المخصوصين بالصدقات في الآية المباركة التي قَسَّمَت الحقوق الشرعية على تلك الفئات من المحتاجين ولعل ذلك يرجع إلى أنّ (ذوي الحاجة) هم أشد عوزاً وفقراً من (ذو

(١) نهج البلاغة: ك / ٥٣: ٥٥٠.

(٢) نفسه: ٥٥١.

(٣) التوبة / ٦٠.

المسكنة) أو (المساكين) وكأن المصطلح الذي استعمله الإمام في وصفهم يوحي بتفردهم بهذهِ الصفة، فأهل الحاجة هم الموصوفون بالفقر والمسكنة. ومما يعزز ذلك أنه (عليه السلام) أوصى بهم مالكاً الأشتر مشدداً عليه أن يتعهدهم ويعنى بهم مُعَدَّداً معهم جُمْلَةً ممن هم بمنزلتهم في الفقر. قائلاً: ((**ثُمَّ اللهَ اللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لاَ حِيلَةَ لَهُمْ وَالْمَسَاكِينِ وَالْـمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى**...))[1]. ومما وردت فيه لفظة (الحَاجة) باشتقاقات متعددة دالة على الفقر في المواضع الآتية: (ح / ١٩٣، ك / ٣١، ٥١، ٥٣ ٣، ٦٧، قصا / ٣، ٦٦، ٢٢٧، ٣٦١)).

ثالثاً: وربما دَلّتْ لفظة الحاجة على القِلّة في نهج البلاغة. وهو معنى لم يُشر اليه المعجميون. ومن ذلك قول امير المؤمنين في سياق كلامه عن الدنيا وفنائها: ((.... **ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا، لاَ لِسَأَم دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَتَدْبِيرِهَا، وَلاَ لِرَاحَة وَاصِلَة إِلَيْهِ، وَلاَ لِثِقَلِ شَيْء مِنْهَا عَلَيْهِ. لاَ يُمِلُّهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوَهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا، لكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ، وَأمسَكَهَا بِأَمْرِهِ، وَأَتْقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ. ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَة مِنْهُ إِلَيْهَا، وَلاَ اسْتِعَانَة بَشَيْء مِنْهَا عَلَيْهَا، وَلاَ لاِنْصِرَاف مِنْ حَال وَحْشَة إِلَى حَالِ اسْتِئْنَاس، وَلاَ مِنْ حَالِ جَهْل وَعَمىً إِلَى حَالِ عِلْم وَالْتِمَاس، وَلاَ مِنْ فَقْر وَحَاجَة إِلَى غِنىً وَكَثْرَة**...))[2]. وبجمع الأضداد في هذا السياق، نلاحظ أن الإمام (عليه السلام) أوضح دلالة مفردة (الفقر) بذكر ما هو ضدّها ونقيضها، وهو لفظ (الغِنَى)، فبين دلالة كلمة (الحاجة) بذكر نقيضها، وهي لفظة (كَثْرَة) فكأنما (الحاجة) عنده في هذا السياق هي (القِلّة).

(١) نهج البلاغة: ك / ٥٣: ٥٦٠.

(٢) نفسه: خ / ١٨٦: ٣٤٧.

أهل الفاقة

الفاقة الحاجة والفَقْر[١]. وافتاق الرجل اذا افتَقَر، والمُفْتاق المحتاج[٢]. واقتصر الخليل في دلالة لفظة (فاقة) على معنى الحاجة دون أنْ يقرنها بالفقر[٣]. وقد وردت لفظة (الفَاقة) في نهج البلاغة ثلاث عشرة مرة، في حين جاءت لفظة (فاقَتُه)، و(فَاقتها)، و(فاقتُهُم) مرة واحدة لكل منها[٤]. وتدور دلالات هذه الألفاظ على معنى الحاجة والفَقر. ومنه قوله (عليه السلام) في سياق حمد الله والثناء عليه: ((**أَحْمَدُهُ اسْتِتْماماً لِنِعْمَتِهِ، وَاسْتِسْلاَماً لِعِزَّتِهِ، واسْتِعْصَاماً مِنْ مَعْصِيَتِهِ، وَأَسْتَعِينُهُ فَاقَةً إِلى كِفَايَتِهِ، إِنَّهُ لاَ يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ، وَلا يَئِلُ مَنْ عَادَاهُ، وَلا يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ...**))[٥]. والسياق - هنا- قرينة - على أن المقصود بلفظة (فَاقة) هو (الفَقْر). بقرينة قوله (لا يفتقر من كَنّاه). وربما يتسع معنى (الفاقة)؛ ليكون دالاً على الحاجة إلى رضا الله وطاعته، ولهذا ذهب بعض شُرَّاح النهج إلى تفسير لفظة (الفاقة) هنا بالحاجة[٦]. وقد وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) بعض طبقات المجتمع من الفقراء بـ(أهل الفاقة) أو (ذوي الفاقة) في قوله: ((... **وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيُوَافِيكَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ إِيَّاهُ، وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ...**))[٧]. يطلب الإمام من ولده العناية بأهل الفاقة، وهم

(١) ينظر: لسان العرب (فوق): ١٠/ ٣١٩.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: العين (فوق): ٥/ ٢٢٥.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٥٩.

(٥) نهج البلاغة: خ / ٢: ٢٥.

(٦) ينظر: معارج نهج البلاغة: ١/ ٢٢٢.

(٧) ينظر: نهج البلاغة: ك / ٣١: ٥٠٣، ٥٠٤.

الفقراء الذي لا يمتلكون قوتهم، ويعانون شَظَفَ العيش. ولهذا طلب إليه الإمام مداراة هؤلاء داعياً إلى الإكثار من تزويدهم بما يقدر عليه من لوازم المعيشة. وهذا من أساليب الإمام (عليه السلام) في وجوب إنفاق المال في الصدقات والبِرّ لمن يحتاجه من أهل الفاقة. لأنّ ذلك يمثل قرضاً كما يقول تعالى: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[١].

أقول: إنّ (أهل الفاقة) يمثلون طبقة من ضعاف الناس الذين يُعتبر عليهم الحصول على قوتهم، ولهذا فإن الإمام وصف (الضعفاء) من المجتمع وهم ضعيفو الحال، بأنهم (ذوو فاقة) إشارة وتنبيهاً إلى أن الفاقة أكثر إمعاناً في رِقةِ الحال وعدم تمكن أهل الفاقة من الحصول على عيشهم. وذلك في قوله (عليه السلام): ((**وَإِنَّ لَكَ فِي هـٰذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً، وَحَقّاً مَعْلُوماً، وَشُرَكَاءَ أَهْلَ مَسْكَنَة، وَضَعَفَاءَ ذَوِي فَاقَة**))[٢]. وقد دلّت لفظة (الفاقة) على الحاجة او الفقر في مواضع أخرى من النهج منها: (خ/ ٨٣، ٩١[٣] / ١٧٦، ١٩٣، ٢٢٢، ك/ ٦٧، قصا/ ١٠٨، ٣٦٧، ٣٧١، ٣٨٨).

سَغب

قال ابن فارس: ((السين والغين والباء أصل واحد يدل على الجُوع، فالمسبغة المجاعة...))[٣]. والسَّغَب الجوع، والسَّاغِب الجائع[٤]. وقد وردت لفظة (سَغب)

---

(١) البقرة/ ٢٤٥.

(٢) نهج البلاغة: ك/ ٢٦: ٤٨٤.

(٣) مقاييس اللغة (سغب): ٣/ ٧٨.

(٤) ينظر: العين (سغب): ٤ / ٣٨٠، وتهذيب اللغة (سغب): ٨/ ٧١.

في نهج البلاغة مرتين[١]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على سِلْب الحقوق وهَضْمها.

وقد كنّى الإمام (عليه السلام) بمفردة (سَغَب) عن هذا المعنى. وذلك في سياق حديثه عن ارجاع حَقّ الخلافة اليه. بقوله: ((**أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوْلاَ حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلاَّ يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ**[٢] **ظَالِمٍ، وَلا سَغَبِ مَظْلُوم، لَأَلقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِها**...))[٣] وقد استعمل الإمام لفظة (سَغَب) – ههنا – مضافة إلى مفردة (مَظْلوم). والأصل أن مفردة (سَغَب) تفيد الدلالة على الجوع الشّديد القوي الذي يُصيب الإنسان. وقد وضع الإمام بإزائه تعبير (كِظّة ظالمٍ). والكِظّة البِطْنة وامتلاء البطن بالطعام والشراب حتى لا يكاد صاحبها أن يتنفس معها[٤]. وفي ذلك إشارة إلى أنه (عليه السلام) لا يَقرُّ على شَبَعِ الظالمين وتَعَنتهم بالأكل والشرب والغنى. في حين يكون المظلوم سغباً جائعاً لا يجد قُوْته وطعامه الذي يعيش به. فيكون مُجتهداً تعباً من شدّة ذلك. وقد أومأ اللغويون إلى أنّ (السَّغَب) لا يكون إلاّ الجوع مع التَّعَب[٥]. فكلاهما منحصر في مفردة (سَغَب).

وأما المعنى الذي تشير إليه اللفظة، فهو أنّ العلماء لا يصبرون على امتلاء بَطن الظالم وكظّته وأكله الأموال الحرام، فضلاً عن عدم صبرهم على سَغَب

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢١٥.

(٢) الكظة البطنة وامتلاء البطن بالطعام والشراب حتى لا يطيق منها النفَّس: ينظر لسان العرب (كظظ) ٧/ ٤٥٧.

(٣) نهج البلاغة: خ / ٣: ٣٢.

(٤) ينظر: لسان العرب (كظظ): ١٧ / ٤٥٧.

(٥) ينظر: جمهرة اللغة (سغب): ١ / ٣٣٨ ومقاييس اللغة (سغب): ٣/ ٧٨.

المظلوم وجوعه؛ بسبب من سلب الظالمين لأموال الفقراء والمعوزين. وهو ما يهز الأعطاف ويحّرك الدواعي عند العلماء وأئمة الدين في إنكار ذلك على الظلمة. كما كان ذلك من الإمام (عليه السلام)[١]. وهذا هو الوجه الأول الذي مالَ إليه بعض الشّرُاح في بيان قول الإمام. أما الوجه الثاني، فهو ما ذهب إليه الشارح البحراني من أن الإمام كنّى بمفردة (سَغَب) عن قُوّة ظَلامتهِ[٢]، وما تعرض إليه من إجحاف من الذين استولوا على حقّه في الخلافة وما أوقعوه عليه من ظُلم واعتداء. كأن الإمام يشير إلى أن هؤلاء القوم قد هضموا حقّ الإمام والتهموه كما يِلْتَهم الجائع السَّاغِب الطعام، اسْتئثاراً منهم ونهباً لُتراثهِ (عليه السلام).ولولا أنَّ الإمام متعلق بميثاق الله تبارك وتعالى الذي أخذه الله تبارك وتعالى على العلماء والأئمة في أن لا يصبروا على الطغيان وظلم الظالمين وجوع الفقراء؛ لترك الأمر وأهمله وضرب عنه صفحاً. وقد كنّى (عليه السلام) عن ذلك الترك بقوله ((**لالْقِيْتُ حَبْلَها على غارِبها**)). والغارب من الجَمل مقدم سنامه[٣]. وإلقاء الحبل على الغاربِ ((كناية عجيبة عن تركِ الأمر وإهماله))[٤].

ثانياً: الدلالة على الجوع المصحوب بالتعب والضّنِك.

وقد جاءت هذه الدلالة في قول أمير المؤمنين الذي يتحدث فيه عن ما تُخَلّفُهُ الدنيا للإنسان الذي يَخْضَعُ لها، يقول (عليه السلام): ((... **فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنكُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا، وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا، حِينَ ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الأَبَدِ.هَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلاَّ السَّغَبَ**

(١) ينظر: الديباج الوضي: ١/ ٢٢٤، ٢٢٥.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٨٤.

(٣) ينظر لسان العرب (غرب): ١/ ٦٤٤.

(٤) الديباج الوضي: ١/ ٢٢٥.

أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلاَّ الضَّنْكَ...))[١]. والسَّغب الجوْع المصحوب بالتَّعب والمجْهدة. ومما يعزز هذه الدلالة ويقومها مجيء لفظة (الضَّنك) وهو الضَّيْقُ والشَّدَّةُ[٢] وتوصف به (المَعِيْشةُ). يقول تبارك وتعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾[٣]. ولفظة (السَّغب) من الألفاظ القرآنية التي استعملها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ**﴾[٤]. والمَسبْغَةُ الجوعُ العام[٥].وفي تعبير الإمام (عليه السلام): ((**هل زَوَّدَتْهُم إلّا السَّغَب**))، وهو الجوع القاطع لأفئدتهم، فما كان زادهم إلاّ الجوعُ[٦].

أقول: إنّ لفظتي (الَّسغب) و (الضّنك) توحيان - هنا- بالدلالة على الجوع والافتقار إلى الطعام، وكذلك الجُوع والافتقار إلى كل شيء في حياتهم، فلا يقتصر (السَّغب) في كلام الإمام على الجوع المادي. وإنما يَتَّسِع ليشمل الجوع المعنوي - إذا صحّ القول- مثل الافتقار إلى العلم والمعرفة مثلاً، وكذلك مفردة (الفتك) التي تشير إلى الدلالة على ضْيق المعيشة بعاَّمتها سواء ما تعلّق منها بالمأكل والمشرب، أو ما تعلّق بشؤون الحياة الأخرى.

قانعاً

القَناعة الرَّضا بالقَسم[٧]، والقَنُوع المُتَذَلّل للمَسْألَةِ[٨]. والقانِع في الأصْلِ

---

(١) نهج البلاغة: خ / ١١١.: ٢٠٨.

(٢) ينظر: لسان العرب (ضنك): ١٠ / ٤٦٢.

(٣) طه / ١٢٤.

(٤) البلد / ١٤، ١٥.

(٥) ينظر المحرر الوجيز: ٥/ ٤٨٥.

(٦) ينظر: الديباج الوضي: ٢/ ٩١٨.

(٧) ينظر: العين (قنع): ١/ ١٧٠.

(٨) ينظر: العين (قنع): ١/ ١٧٠، ولسان العرب (قنع): ٨/ ٢٩٧.

السَّائل[١]، وسُمّي بذلك؛ لأنه من القنوع وهو الرضا بما أعْطي قَلَّ أو كَثُرَ، فلا يُرَّده[٢]. وبهذا يكون معنى لفظة (قانع) راجعة إلى الرَّضا أيضاً. والقانِعُ هو الراضي باليسير من العطاءِ[٣].

وقد وردت لفظتنا و(قانِعاً) و (قانِعَةً) مرة واحدة في نهج البلاغة لكلٍ منهما[٤]؛ للدلالة على القانع الذي يقنع بالعطاء دونما سخطٍ. وقد استعملت لفظة (قَانِعاً) في كلام أمير المؤمنين بالدلالة المتقدمة، وذلك في قوله (عليه السلام): ((**ثُمَّ اللهَ اللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لاَ حِيلَةَ لَهُمْ وَالْمَسَاكِينِ وَالْـمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى، فَإِنَّ فِي هذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرّاً...**))[٥]. ولفظة (قانع) من الفاظ القرآن الكريم التي جاءت في قوله تعالى ﴿... **فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ**...﴾[٦] وقد فَسَرَّ أئمة أهل البيت (عليهم السلام) هذه المفردة الواردة في القرآن الكريم. فعَن الإمام الباقر (عليه السلام) انه قال: في تفسير قوله تعالى المتقدم: ((**القَانِعُ الذي يَقْنعُ بما أعطيْتَه ولا يَسْخَط ولا يَكْلَح**[٧]**، ولا يَلْوي شَدْقَهُ**[٨]))[٩]. وقيل ((هو الذي يَسْال فَيَرْضى بما أُعْطِيَ))[١٠]. ومال أغلب المفسرين إلى هذه الدلالة

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٤/ ١١٤. ولسان العرب (قنع): ٨/ ٢٩٨.

(٢) نفسهما.

(٣) ينظر: لسان العرب (قنع): ٨/ ٢٩٨.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٨٢.

(٥) نهج البلاغة: ك / ٥٣: ٥٦٠.

(٦) الحج / ٣٦.

(٧) الكَلْح تكَشر في عُبوسٍ: ينظر لسان العرب (كلح): ٢/ ٥٧٤.

(٨) الشّدْق جانب الفم. ينظر: لسان العرب (شدق): ١٠/ ١٧٢.

(٩) وسائل الشيعة: ١٤/ ١٦٢، ١٧١، وجواهر الكلام: ١٩/ ١٥٤.

والحديث في مجمع البيان بزيادة لفظة (غضباً). ينظر: مجمع البيان: ٧ / ١٦٦.

(١٠) الحديث منسوب إلى الإمام الصادق كما يذكر صاحب. مجمع البيان: ٧ / ١٦٦.

أيضاً[١]. إنّ دلالة لفظة (القانع) في القرآن هي نفسها الواردة في كلام الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة؛ فقد وظّف الإمام هذه اللفظة ليدلل على هذا النوع من الناس الذين يصنفون ضمن الطبقة السُّفْلى.

ابن السبيل

السَّبيْل الطريق وما وضح منه[٢]. وسبيل الله طريق الهدى الذي دعا الله اليه في القرآن الكريم[٣]. وهو قوله تعالى ﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ**﴾[٤]. وقيل: بل هو كل ما أمرَ به من الخَيْرِ؛ لأنه من الطَّرُقِ إلى الله[٥].

وقد أشار اللغويون إلى أنّ لفظة (السَّبيل) تستعمل في (الجهاد) أكثر لأنه الطريق الذي يُقَاتَل فيه على عَقد الدَّين[٦]. وأبن السَّبيْل في اللغة هو ابن الطَّريْق[٧]. وهو مَنْ قُطِع عليه الطريق[٨]. وقيل: هو المُسَافر الكثير السَّفر، وإنما سّمي ابناً لها لملازمته إيّاها[٩]. وابن السبيَّل هو الفَقير أيضاً[١٠].

---

(١) ينظر: مجمع البيان: ٧/ ١٦٦.

(٢) ينظر: المحكم (سبل): ٨/ ٥٠٦، والقاموس المحيط (سبل): ١/ ١٣٠٨.

(٣) ينظر: المحكم (سبل): ٨/ ٥٠٦.

(٤) الأعراف/ ١٤٦.

(٥) ينظر: المحكم (سبل): ٨/ ٥٠٦.

(٦) نفسه.

(٧) ينظر: المحكم (سبل) ٨/ ٥٠٦.

(٨) نفسه.

(٩) ينظر: تاج العروس (سبل): ٩/ ١٦١.

(١٠) نفسه.

وقد ورد تعبير (ابن السَّبيل) في كلام الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة مرة واحدة[١]. وبدلالة الدعاء بالبُؤسى لمن كان خَصْمه عند الله مسْتحقوا الصَّدَقَة: ((**وَبُؤْساً لِمَنْ خَصْمُهُ عِنْدَ الله الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ وَالسَّائِلُونَ وَالْمَدْفُوعُونَ وَالْغَارِمُ وَابْنُ السَّبِيلِ**))[٢]. و(ابن السبيل) المسافر الذي انقطع به سَفره، فَيسْتحق العطاء من الصدقة حتى وأن كان غنياً في بلده[٣]. وقد علّل الشارح البحراني إيراد الإمام (عليه السلام) لتعبير (ابن السبيل) في هذا السّياق قائلاً إنّ ذلك راجع إلى إظهار وجوب الشّفّقّة عليه والرَّحْمة له[٤]. واستعمال الإمام (عليه السلام) لكلمة (ابن السّبيْل) مُتسق مع الاستعمال القرآني لهذه الضرب من الناس الذين انقطعت بهم السُبُّل في سفرهم وقَلّتْ مؤونتهم. ولهذا أكد الذكر الحكيم شمولهم بالصَّدقة. قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ الله وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ الله وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[٥].

الزَّمْنى

الزَّمانة العَاهَة[٦]. وهي التي تصيب الإنسان فَتُقْعده[٧]. والزَّمِن ذو الزَّمانة[٨]. وقيل: إن الزّمانة هي اسم جنس للبلايا التي يصاب بها الإنسان[٩]. فهي العِلل

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢١٠.

(٢) نهج البلاغة: ك / ٢٦: ٤٨٥.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤ / ٢٣٢، والديباج الوضي: ٥ / ٢٢٢٦.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ٢٣٢.

(٥) التوبة / ٦٠.

(٦) ينظر: لسان العرب (زمن): ١٣ / ١٩٩. وتاج العروس (زمن): ٣٥/ ١٣٥.

(٧) ينظر: مقاييس اللغة (زمن): ٣/ ٢٣.

(٨) ينظر تهذيب اللغة (زمن): ١٣/ ١٥٩.

(٩) ينظر: لسان العرب (زمن): ١٣ / ١٩٩.

والأمراض الدائمة التي تصيب الناس[١]. وربما تكون آفة من الآفات التي تصيب الحيوانات[٢].

ولفظة (الزّمنّى) من ألفاظ نهج البلاغة التي وردت فيه مرة واحدة[٣]، للدلالة على ذوي العَاهَات والعَلَل الدائمة التي تَمْنعهم من الاكتساب. وذلك في قول أمير المؤمنين الذي يوصي فيه عامله بتعهد الذين لا حِيْلَة لهم من الطبقة السُّفلى، إذ يقول: ((**ثُمَّ اللهَ اللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لاَ حِيلَةَ لَهُمْ وَالْمَسَاكِينِ وَالْـمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى**...))[٤]. وَالزَّمْنَى - هنا- جمع زَمِينْ، وهو المصاب بعاهة أو عِلّة تكون سبباً لفقره ومنعه من الاكتساب. ولهذا أمر عامله (مالكاً الأشتر) بأن يُخَصِّص لهم قِسْماً من بيت المال، وقسماً من غَلاّت أراضي الغنيمة. وذلك إعانةً لهم ورعايةً لحقِّهم، ليكفيهم ذلك سوءَ الحال والمنقصة التي هم فيها.

مُعْتَراً

الُمْعتر الفَقيرُ[٥]. وقيل بل هو المتعرَّض للمعروف من غير أنْ يَسأل[٦]. وهذه المفردة مأخوذة فيما يبدو من قولهم: اعترّه واعتَرَّ به، إذا أتاه فطلب معروفه[٧].

وقد وردت هذه المفردة في نهج البلاغة مرة واحدة[٨]، دالة على الفقير الذي

(١) ينظر: المعجم الوسيط (زمن): ١/ ٤٠١.

(٢) ينظر: لسان العرب (زمن): ١٣ / ١٩٩.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٠٢.

(٤) نهج البلاغة: ك / ٥٣: ٥٦٠.

(٥) ينظر: لسان العرب (عرب): ٤/ ٥٥٧.

(٦) نفسه

(٧) نفسه

(٨) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٩٨.

يتعرّض مادّاً يَدَهُ دَوْنَ أنْ يَسْأل. وذكرت هذه المفردة في سياق كلام الإمام عن الطبقة السفلى التي امر عامله على مصر أن يعنى بها ويتعهد أهلها بقوله: ((**ثُمَّ اللهَ اللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لاَ حِيلَةَ لَهُمْ وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى، فإنَّ فِي هذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرّا...**))(١). وقد ذكرت لفظة (القانع والمُعْتَر) في القرآن الكريم، وذلك في سياق قوله تعالى الذي يُبين فيه حكم (البُدْن) من الإبل السَّمِنَة. ومن يَسْتحقُّ الإطعام منها. يقول تبارك وتعالى: ﴿**وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾(٢). وقد اختلف في دلالة لفظة (المُعْتّر)، فقد ذهب الإمام أبو عبد الله الصّادق (عليه السلام) إلى أنّ ((المُعْتّر هو المارّ بِك لِتُطْعِمَه))(٣).

وروى الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) عن الإمام الصادق (عليه السلام) أيضاً أنّ المُعْتّر هو ((المادُّ يَدَهُ لِتُطْعِمَهُ)) (٤). وبهذا يكون المُعْترّ هو الذي ((**يعتري رَحْلَكَ مِمَّنْ لا يَسْأل**))(٥). ونقل عن ابن عباس في معنى (المُعْترّ) بأنّه الذي يعتري الأبواب(٦). ويفهم من هذا الكلام أنّ هذا النوع من الفقراء هم الذين يعترضون للطعام وغيره بغير سؤال(٧). ومن خلال هذا العرض لآراء الأئمة في دلالة لفظة (المُعْترّ)

(١) نهج البلاغة: ك / ٥٣: ٥٦٠، وقد نقل اللغويون جزءاً من قول الإمام، ومنهم ابن الأثير الذي قال: ((وفي حديث علي (عليه السلام): ((فإنّ فيهم قانعاً ومعتراً)) النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٢٠٥.

(٢) الحج / ٣٦.

(٣) وسائل الشيعة: ١٤ / ١٦٢، ١٧١، وجواهر الكلام: ١٩/ ١٥٤.

(٤) مجمع البيان لعلوم القرآن: ٧/ ١٦٦.

(٥) نفسه.

(٦) ينظر: مجمع البيان لعلوم القرآن: ٧/ ١٦٦.

(٧) ينظر: الكشاف: ٣/ ١٦٠.

في القرآن الكريم، يمكن أن نفسر دلالة المفردة نفسها في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة، فنقول أنّ (المُعْتَرّ) هو الذي يَعْرض للنّاس دون أنْ يسألهم كما ذكر ذلك شُرَّاح نهج البلاغة(١).

غَرْثى

الغَرْثُ الجُوْعُ كم يفهم من كلام الخليل(٢). وذهب بعض اللغويين إلى أنّ الغَرْث هو أيْسَرُ الجُوْعِ(٣). وقال بعضهم بل هو شدَّتُهُ(٤). في حين ذكر آخرون أنّ الغَرْث يدل على الجوع عَامّة(٥). وقد جاءت لفظة (غَرْثى) في نهج البلاغة مرة واحدة(٦)، وصْفاً للبُطُون الجَائعة. وذلك في سياق كلامه الذي يتحدث فيه عن عزّة نَفْسه، وعدم غلبة الهوى عليه، ومواساته الفقراء في عيْشهم، إذ يقول: ((**وَلَوْ شِئْتُ لاَهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ، إِلَى مُصَفَّى هذَا الْعَسَلِ، وَلُبَابِ هذَا الْقَمْحِ... وَلكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ ـ وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوِ بِالْيَمَامَةِ مَنْ لاَطَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلاَ عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ ـ أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى وَأَكْبَادٌ حَرَّى**))(٧). وأشار بـ(البُطُوْن الغَرْثى) إلى الجياع والفقراء من

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٧ / ٨٦، والديباج الوضي: ٥/ ٢٥٧١، ونهج البلاغة (عبده): ٣/ ٤٧٠ هامش (٤).

(٢) ينظر: العين (غرث): ٤ / ٤٠٠، ومقاييس اللغة (غرث): ٤ / ٤٢٢.

(٣) ينظر المحكم (غرث): ٥/ ٤٨٢.

(٤) ينظر: المحكم (غرث): ٥ / ٤٨٢، ولسان العرب (غرث): ٢ / ١٧٢.

(٥) ينظر: لسان العرب (غرث): ٢/ ١٧٢.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٣٤.

(٧) نهج البلاغة: ك / ٤٥: ٥٣١، وقد نقل اللغويون هذا الكلام عن الإمام (عليه السلام). وقال ابن منظور: ((ومنه حديث علي (عليه السلام): أبيتُ مبطاناً وحولي بطون غرثى)). لسان العرب (بطن): 53/ 13.

الناس الذين بلغ بهم الكفاف حداً. وإنما استعمل لفظة (بُطون) من باب دلالة الجزء على الكَلَّ؛ (فالبطن الجائعة) تدل على جوع الإنسان وشظف عيشه. ولهذا وصفها بـ(الغَرْثى)، للدلالة شدَّة الجوع. وقد عقد (عليه السلام) موازنة بين لفظة (مِبْطاناً)، وبين لفظة (بَطَون) التي وصفها بـ(غَرْثى). والمِبْطانُ في اللغة الكثير الأكل العظيم البَطْن[1]. فاستعملها الإمام للدلالة على كثرة الأكل والشبع، فضلًا عن تضمنها معنى الترف والنعيم.

(١) ينظر: لسان العرب (بطن): ١٣/ ٥٣.

المبحث الثاني
طبقة أصحاب المهن وذوي الصناعات

رائد

الرائد هو الذي يرسل ليرود الكلأ والمنزل ويطلبه بعدما ينظر ويختار أفضل ذلك من النُّجعة وتتبع مساقط الغيث[١]. وفي أمثال العرب: ((لا يَكْذِب الرّائِد أهْلَه))[٢].وذكر الزمخشري في بيان دلالة مفردة (الرائد) أنه الذي يوجهه قومه أمامهم لارتياد الكلأ، فلا يكذبهم؛ لأنّ النفع مشترك بينه وبينهم[٣].

وقد استعمل الإمام لفظة (رَائِد) أربع مرات في نهج البلاغة، في حين أورد المفردة نفسها مضافاً اليها تاء المؤنثة (رَائِدة) مرة واحدة[٤]، للدلالة على مايأتي:

أولا: الرائد السَّامِع للاخبار الوارد بحق أهل البيت (عليهم السلام)، فكأنه الرائد الذي يجلب أخبار الغيث والكلأ.

يقول الإمام في سياق كلامه عن الأئمة من أهل البيت، حيث يُبَيّن قربهم من النبي (صلى الله عليه وآله) واختصاصهم به، مخاطباً السامعين بقوله: ((**فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمنِ، إنْ نَطَقُوا صَدَقُوا، وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا. فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ، وَلْيُحْضِرْ عَقْلَهُ**...))[٥]. ويريد بـ (فليصدق رائدٌ أهْلهُ): أنّ السَّامع لهذا الخبر، وهو الرائد الذي لابُدَّ أن يؤوب إلى أهله وقومه، فعليه أن يصدقهم الخبر، وليَحرص

(١) ينظر: العين (رأد): ٨/ ٦٣، والنهاية في غريب الحديث: ٢/ ٢٧٥، ولسان العرب (رود): ٣/ ١٨٧.

(٢) مجمع الأمثال: ٢/ ٢٣٣، وجمهرة الأمثال: ١/ ٤٧٤، والمستقصى في أمثال العرب: ٢/ ٢٧٤.

(٣) ينظر: المستقصى في أمثال العرب: ٢/ ٢٧٤.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٩٧ ؟

(٥) نهج البلاغة: خ/ ١٥٤.

على أن لا يكذبهم في ذكره منزلة آل البيت (عليهم السلام) وفضائلهم واختصاصهم بالنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله). وذكره(عليه السلام) هذه الفضائل لنفسه وأهل بيته جاء جذباً إلى سماع قوله ودعوته إلى الله تبارك وتعالى، ولذلك أعقب قوله بالمثل الذي يقول: ((**فليَصْدُق رَائِد أهْلَهُ**)). وأشار به إلى أنّ من يحضرنا طلباً لنا، فليصدق من يعنيه ذلك، ويذكر له أننا أهل الحق وينأبيع العلوم والحكمة والأدِلّاء إلى الله تبارك وتعالى[1]. كأنّه يشبّه ناقل هذا الخبر بـ(الرّائد) الذي يرود الماء والكلأ في البوادي، متقدماً قومه في ذلك، ابتغاء إرشادهم وهدايتهم إلى مساقط الغيث ومواطن النّجعة؛ سعياً منه إلى إنقاذهم من الجدب والقحط والخروج بهم من هذه الهلكة إلى مواطن الرواء والنّماء والنعم، وذلك بصدقهم خبر هذه المواطن التي تنقذهم من الجوع والعطش. فجعل الإمام سامع كلامه المتقدم بمنزلة (الرائد)، مشبّهاً نفسه وأهل البيت (عليهم السلام) بالعُشب والماء والكلأ الذي يطلبه الرّائد لقومه. والجامع في ذلك هو الإغاثة والنّماء ورفع الهلاك عن الناس بالأئمة (عليهم السلام).

وقد أكد (عليه السلام) على قضية (الصِدْق) عند (الرّائد)، وأمر به كأنّه يُوجب على السّامع عدم إغفال هذه المسألة والتصريح بها، أو إبعادها عن مصداقها الحقيقي. ونظير هذه الدلالة ما أورده الإمام متحدثاً عن الفتن بقوله: ((**أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ الْمَذَاهِبُ، وَتَتِيهُ بِكُمُ الْغَيَاهِبُ، وَتَخْدَعُكُمُ الْكَوَاذِبُ؟ وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ، وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ فَلِكُلِّ أَجَل كِتَابٌ... فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ، وَأَحْضِرُوهُ قُلُوبَكُمْ، واسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ، وَلْيَجْمَعْ شَمْلَهُ، وَلْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ...**))[2]. ويتضمّن هذا النص مفردة (رائد) التي جاءت للدلالة على السامع

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦٣٣.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ١٠٨: ١٩٧.

الذي أوجب عليه الإمام أن يصدق مع غيره عندما ينقل لهم مواعظ الإمام وتحذيراته طلباً لنجاته. وقد وظف (عليه السلام) عبارة المَثل المعروف، وصاغه صياغة أخرى، مؤكداً على مفردة (لِيَصْدُق) المقترنة بـ (لام) الأمر في كلا الموضعين المتقدمين، دفعاً نحو تحقيق المعنى الذي يؤدي هذا الكلام. فضلاً عن أنّ السياقين الوارد فيهما هذا التعبير هما من الأهمية بمكان، فالأول في فضل أهل البيت (عليهم السلام) وبيان منزلتهم، والثاني في قضية مهمة تخص الأمة الإسلامية ووحدتها، ولهذا أمرهم الإمام بأن يستمعوا من (ربّانِيِّكم). يقصد بذلك نفسه؛ لأنّه الرَّبَّاني العالم بالله المنقطع اليه في العبادة[1]. كما قال تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ**﴾[2]. والرباني المنسوبُ إلى الرَّب، وهو الله تبارك وتعالى[3]. فهو المطيع لله القريب منه. وقد روي عنه(عليه السلام) قوله: ((**أَنَا رَبَّانِيّ هذهِ الأُمة**))[4]. ووصف نفسه بهذه الصفة يدل على أمر عظيم يوطّىء له في هذه المقولة، بطلبه إلى السّامعين أن يحضروه قلوبهم في الاستماع ويتركون الغفلة، لئلاّ يشغلهم شيء عن فهم مغزى كلامه، وأن يحضروا أذهانهم حتى لا يكونوا غافلين عن سماع خطابه. ويبدو أنّ هذه القرائن هي التي دفعت الشارح البحراني إلى تفسير مفردة (رائد) في هذا السياق بـ (الفِكْر)، ذاكراً أنّ الإمام استعارها للفكر، و ((وَجه المثل أنّ الرائد لمّا كان هو الذي يبعثه القَوْم لطلبِ الكلأ والماء، أشبه الفكر في كونه مبعوثاً من قبل النفس في طلب مَرْعاها وماء حياتها من العلوم

(١) ينظر: الديباح الوضي: ٢/ ٨٦٢.

(٢) آل عمران / ٧٩.

(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (رب): ١/ ٣٧٦.

(٤) نفسه.

وسائر الكمالات، فكنّى به عنه... كأنه (عليه السلام) قال فلْتَصْدُق أفكارهم، ومتخيلاتكم نفوسكم...))(١). أقول: وهذه الدلالة ضعيفة، وبعيدة عن ما يتطلبه المقام من إبلاغ، فمع أنّ المطلوب الذي دعا اليه الإمام هو إعمال الفكر والأذهان استعداد لما سيقوله. فإنّ (رائد) الإنسان الحاضر السامع لقوله، هو لسانه السامع للخبر عن الإمام، ولهذا ضَعُف هذا الوجه الذي ذهب اليه الشارح البحراني آنفاً الذي يبدو أنّه أحس بضعف هذه الدلالة وعدم مناسبتها السياق، فاستدرك عليه وجهاً آخر. فاحتمل أن يكون المراد بـ(الرّائد) أشخاص من حضر عنده، فإنَّ كلاً منهم له أهل أو قبيلة يرجع اليها، فأمرهم بأن يصدقوا فيما يخبروا به عنه على الوجه الذي ينبغي، ونصح أقوامهم بالدعوة اليه كما يرجع من يطلب الكلأ والماء إلى أهله، فيبشّرهم بوجدان ذلك ويحملهم على الارتحال إلى مواطنها(٢)، حرصاً منه على حياتهم ورغبته منه في هدايتهم إلى أسباب الحياة والنّماء وحسن العيش بتوافر سبله التي تؤدي بهم إلى مجانية الهلاك.

ثانياً: الدلالة على السعي للرزق، وطلبه:

وقد تميزت هذه الدلالة في كلامه (عليه السلام) من كونها اختصت (بالقلوب) التي جعلها (عليه السلام) رائدة لأرزاقها. وذلك في سياق كلامه عن النّعَم الذي يقول فيه: **((جَعَلَ لَكُمْ أَسْماعاً لِتَعِيَ مَا عَنَاهَا، وَأَبْصَاراً لِتَجْلُوَ عَنْ عَشَاهَا، وَأَشْلاءً جَامِعَةً لِأَعْضَائِهَا، مُلائِمَةً لِأَحْنَائِهَا... بِأَبْدَان قَائِمَة بِأَرْفَاقِهَ، وَقُلُوب رائِدَة لِأَرْزَاقِهَا، فِي مُجَلِّلاَتِ نِعَمِهِ، وَمُوجِبَاتِ مِنَنِهِ...))**(٣). ويلحظ في تعبيره بـ (قلوب رائدة) سِعَة

---

(١) شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥١٣.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني) ٣/ ٥١٤.

(٣) نهج البلاغة: خ / ٨٣: ١٢٧.

في دلالـة مفـردة (رائدة)،فإنهـا لم تقتـصر في هـذا النـص عـلى (الرائـد) الـذي يذهـب مُرْحلاً بحثاً عـن الـكلأ، وإنـما صـارت القلـوب (رائـدة) أيضـاً، لارتيـاد أرزاقهـا التـي بهـا قـوام حياتهـا، وإصـلاح معادهـا(١). وبهـذا تكـون لفظـة (رائـدة) - هنـا - دالـة عـلى السّـعي مـن أجـل الـرزق، وهـو الـرزق الـذي يسـتحصله المـرء مـن عملـه العبـادي بـكل تفاصيلـه، ولعـل منـه الـرزق المتـأتي مـن العمل(الدنيـوي)، وهـو العمـل الـذي يـؤدي إلى كسـب القـوت والطعـام الحـلال. فتكـون القلـوب طالبـة لارزاقهـا مـن الأماكـن التـي قدرهـا الله تعـالى لهـا(٢).

ثالثاً: الدلالة على المتتبع لمساقط الغيث والكلأ.

وهـو المُسـمّى بـ(الرّائـد) عنـد العـرب. وقـد وردت هـذه الدلالـة في نهـج البلاغـة في سـياق كلامـه(عليه السلام) مـع بعـض العـرب الذيـن أرسـله قومـه مـن أهـل البـصرة إلى الإمـام لّمـا قـرب منهـم، ليعلمـوا حقيقـة الحـال مـع أصحـاب الجمـل، فقـال الرجـل: ((**إني رسـول قـوم، ولا أحـدِث حدثـاً حتـى أرجـع إليهـم**))(٣) فحاججـه الإمـام قائـلًا: ((**أَرَأَيْـتَ لَـوْ أَنَّ الَّذِيـنَ وَرَاءَكَ بَعَثُـوكَ رَائِـداً تَبْتَغِـي لَهُـمْ مَسَـاقِطَ الْغَيْـثِ، فَرَجَعْـتَ إِلَيْهِـمْ وَأَخْبَرْتَهُـمْ عَـنِ الْـكَلأَ وَالْمَـاءِ، فَخَالَفُـوا إِلَى الْمَعَاطِـشِ وَالْـمَجَادِبِ، مَـا كُنْـتَ صَانِعـاً؟ قـال: كُنْـتُ تَارِكَهُـمْ وَمُخَالِفَهُـمْ إِلَى الْكَلاَءِ وَالْمَـاءِ. فَقَـالَ لَـهُ (عليه السلام): فَامْـدُدْ إِذن يَـدَكَ**))(٤). **فَقَـالَ الرَّجُـلُ: فَـوَ اللهِ مَـا اسْـتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَنِـعَ عِنْـدَ قِيَـامِ الْحُجَّـةِ عَـلَيَّ، فَبَايَعْتُـهُ(عليه السلام)**))(٥).

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٨٥.
(٢) ينظر: الديباج الوضي: ٢/ ٥٨٨.
(٣) نهج البلاغة: خ/ ١٧٠: ٣٠٧، ٣٠٨، وينظر: تفاصيل ذلك في:(تاريخ الرسل والملوك): ٤/ ٤٩١، ونهـج البلاغـة (عبـده): ٢/ ٢٧١.
(٤) نهج البلاغة: خ/ ١٧٠: ٣٠٧، ٣٠٨.
(٥) نفسه.

يشبّه الإمام حال هذا الرجل بحال (الرائد) الذي يتبّع مساقط العشب والماء، ومن ثَمّ يرجع إلى قومه ليخبرهم عن وجدانه لها. فهذا المخاطب سفير قومه، ورائد أهله لتتبع حال الإمام مع أصحاب الجمل. وقد أبان له الإمام الموقف، والزمه بيعته بالحجة والدليل - متخذا أسلوب التمثيل سبيلاً لهداية المخاطب وإقناعه بانّه (عليه السلام) على الحق. من خلال ضربه المثل بـ(الرائد) الذي يبعثه قومه إلى تتبّع مواطن العُشب والماء. والأصل في هذا التمثيل هو حالة المخاطب في وجدانه للماء والكلأ بوصفه متتبعاً لهما[١]، تشبيهاً له (بالرائد) الذي يرود في طلب مواطن النّجعة وغيرها من أسباب الحياة التي يطلبها الرُّحّل من الناس، لما توفره لهم من لوازم البقاء والعيش لهم ولدوابهم. فأمّا ما وجده هذا الرّجل الذي بعثه قومه إلى الإمام، فهو العلم والحكمة والفضائل والهداية عنده (عليه السلام)، وهي أمور أُرشد اليها المخاطب عند حوار الإمام معه، فكأنها - في هذا السياق - بمنزلة (الماء والكلأ) في الصحراء المقفرة الخالية من أسباب الحياة.

رابعاً: الرائد هو الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد جعل الإمام النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) (رائداً) عن اللهّ تبارك وتعالى. يخبر عمّا أنباه الله تبارك وتعالى به. وجاءت هذه الدلالة في سياق وصيته لولده الإمام الحسن (عليهما السلام) التي يقول فيها: ((**وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَداً لَمْ يُنْبِىءْ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ نَبِيُّنَا (صلى الله عليه وآله وسلم) فَارْضَ بِهِ رَائِداً، وَإِلَى النَّجَاةِ قَائِدَاً...**))[٢]. فالنبي- بحسب قول الإمام- رائد إلى الناس عن الله جل جلاله، وقائد إلى النجاة. وقد استعار للنبي لفظ (الرائد) باعتبار أنّه قد اختبر ما في الآخرة من الثواب المقيم والسعادة الباقية،

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦٧٧.

(٢) نهج البلاغة: ك/ ٣١: ٥٠١.

وبشَّر به أمته، كما يُبَشِّر الرائد أهله بوجود الماء والكلأ بعد ارتياده لهما فضلا عن كونه (صلوات الله عليه) أخرج الناس من هلاك الكفر والجاهلية إلى نُجْعة الإغاثة والرحمة بالإسلام(١).

طبيب

الطبِّ – في اللغة – السِّحر(٢). والمطبُوب المسْحُور(٣). والطّب الرِّفق أيضاً، وهو علاج الجسم والنفس(٤). وقد وردت لفظة (الأطباء) بصيغة الجمع على(أَفْعِلاء) ثلاث مرات في نهج البلاغة، مرتان منها محلاة بـ(ال)، ومرّة واحدة مجردة منها. في حين جاءت لفظتا (طِبيب) بصيغة الاسم، و(طبِّه) بصيغة المصدر المضاف اليه ضمير الغائب مرة واحدة لكل منها(٥). وذلك للدلالة على ما يأتي:

اولاً: الدلالة على الأطباء الذين يعالجون المرضى.

وجاءت هذه الدلالة في سياق كلامه (عليه السلام) عن فزع المرضى الذي ينزل بهم مرض الموت، وما يعمدون إليه من الأخذ بنصائح الأطباء ومشورتهم. يقول الإمام: ((**فَفَزِعَ إِلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ الأطباء مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ**(٦)**، وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ، فَلَمْ يُطْفِىءْ بِبَارِدٍ إِلاَّ ثَوَّرَ حَرَارَةً... حَتَّى فَتَرَ مُعَلِّلُهُ، وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ، وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ...**))(٧). فالذي تنزل به علة المرض، وتبدو عليه علامات الحرارة

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٢٦٦.

(٢) ينظر: العين (طب): ٧/ ٤٠٧.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: المحكم (طبيب): ٩/ ١٣٤، ولسان العرب (طبب): ١/ ٥٥٣.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٧٢.

(٦) القَارّ البارد. والقُرّ البرَد. ينظر: لسان العرب (قرر): ٥/ ٨٢.

(٧) نهج البلاغة: خ/ ٢٢١: ٤٣٠.

وغيرها. ما يلبث أن يفزع إلى تسكين ما هاج به من علل، مستعملاً البارد من الماء وغيره لتهدئة حرارته وخفضها. وقد استعمل الإمام لفظة (الأطباء) في هذا السياق بدلالتها على المترفّقين الذين يعالجون المرضى، سواء أكانت العلل في أبدانهم أم في نفوسهم. كأنّه(عليه السلام) لمّا أرد بيان الحالة التي يبدو عليها المريض الذي نزلت به عِلة الموت، فلا بُد أن يعمد إلى الاستعانة بمشورة الأطباء. فجاءت هذه المفردة المتقدمة حاملة الدلالة على الحذق بأمور الطب والمهارة فيها. فالطبيب في اللغة هو الحاذق الماهر بعمله[١]، والعرب تسمي كل حاذق في عمله طبيباً[٢]، لما يملكه الطبيب من الحذق والإبداع في صنعته. والسياق الذي يتحدث فيه الإمام سياق يبيّن سوء حالة المريض بعلّة الموت التي لا مناص منها، والتي يعجز الجميع عن دفعها عمن نزلت به، حتى الحُذّاق من الأطباء والممرضين، فجاء استعمال مفردة (الأطباء) لبيان عجز هؤلاء عن مداواة من نزلت به علة الموت، مع ما يملكه هؤلاء من إمكانات في علاج المرضى وإبرائهم، فضلاً عمّن يعينهم من الممرِّضين. وكان مناسباً للسياق أن أورد الإمام اللفظة المتقدمة بصيغة الجمع مبالغة في تبكيت هؤلاء الأطباء الذين إذا اجتمعوا أو بذلوا ما عندهم من حذق، فإنّهم لن يدفعوا الموت عن الناس.

ثانيا: وقد وظّف الإمام مفردة(طبيْب) بصيغة المفرد في سياق الحديث علاج أمراض النفس وجوارحها، واصفاً النبيَّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بـ(الطيب) الذي يتتبّع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة في الناس. يقول: ((**طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَأَمْضى مَوَاسِمَهُ، يَضَعُ من ذلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، مِنْ قُلُوب عُمْي، وَآذَان صُمٍّ،**

(١) ينظر: لسان العرب (طيب): ١/ ٥٥٣.

(٢) نفسه: ١/ ٥٤٤.

وَأَلْسِنَةَ بُكْم، مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ، وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَة...))(١). أرد بذكره مفردة (طبيب) وصف النبي الأكرم أو وصف نفسه بالحذق والمهارة في علاج علل النفس وأدوائها، فضلاً عن علاج أمراض الجهل الجوارح التي يصاب بها الإنسان؛ فتعود عليه برذائل الأخلاق. فيكون بحاجة إلى طبيب ماهر يعالجه من هذه العلل التي لا تشبه بقية الأمراض الخاصة بالبدن، فهي أمراض مخصوصة بانحراف الإنسان وخروجه عن الطريق المستقيم. ولهذا جعل (عليه السلام) هذا النوع من الأطباء (دوّاراً) بطبِّه، فهو الذي يتتبَّع المرضى ويؤُمّهم وليس العكس. فالطبيب الدّوار أكثر عناية وتجربة وخبرة في معرفة العلل وأدوائها، فضلاً عن كون هذا النوع الأطباء يكون أكثر حذقاً ورعاية للمرضى؛ لأنه هو الذي يبحث عنهم ويتتبّع وجودهم، على العكس من الأطباء الذين يقصدهم المرضى في أماكن عملهم. وبحسب هذا الوجه يكون الطبيب المتتبّع المرضى، طبيب إصلاح ورعاية، غايته إصلاح الناس وتنقية نفوسهم مما شابها من سوء الأخلاق.

وجاء استعماله اللفظة المتقدمة بصيغة المفرد مناسباً لدلالة التفرّد التي يتصف بها النبي الأكرم والإمام (عليهما السلام) في تخصصهم بهذا النوع من طبِّ النفوس.

وقد جاءت لفظة (أطباء) دالة على ملل أطباء النفس وجزعهم من علاج جهل الناس وانحرافهم عن سواء السبيل وذلك في (خ/ ١٢١).

ذوو الصناعات

الصّناعة حرفة الصّانع وعمله الصَّنعة(٢). والصُّنّاع هم الذين يعملون بأيديهم(٣). وقد استعمل الإمام لفظة (الصّناعات) جمعاً مؤنثاً ثلاث مرات في نهج

(١) نهج البلاغة: خ / ١٠٨: ١٩٦.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (صنع): ٢/ ٢٤، ولسان العرب (صنع): ٨/ ٢٠٩.

(٣) ينظر: العين (صنع): ١/ ٣٠٤، وتهذيب اللغة (صنع): ٢/ ٢٤.

البلاغة، مضافة إلى كلمتي (ذوي)، و(أهل)[(١)]، للدلالة على أصحاب الصناعات من الحرفيّين الذين يستعملون أيديهم وسيلة في صناعة الأشياء التي يعملونها، ومن ثَمّ يبيعونها ليرزقوا من ثمنها. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق وصيّته لعامله على مصر (مالك الأشتر): ((**ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ، وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْرا... فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ**))[(٢)]. والمراد بذوي الصناعات – هنا– الحرفيون من الصُنّاع الذين يعملون بأيديهم، مثل السَّراجِين والحاكة والحّدادين وغيرهم من الذين يرفدون المجتمع بنتاجاتهم التي يحتاج الناس اليها. وقد جعل الإمام هؤلاء الحرفيين في طبقة واحدة مع التجّار عند تقسيمه الرعية على طبقات، في عهده الى(مالك الاشتر)،إذ يقول: ((**وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لاَ يَصْلُحُ بَعْضُهَا إلاَّ بِبَعْض... وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ،...**))[(٣)]. وهم يشكّلون مع التّجار جزءاً هاما في المجتمع، لما يملكونه من مهارة وحذق في توظيف أيديهم لصناعة أشياء تنتجها أفكارهم. وبهذا يتميزون عمن سواهم من الناس، لاحترافهم مهناً لا يستطيع غيرهم القيام بها. ومن هنا ورد في المدونات المعجميّة تعريفهم الصّانع بأنّه الحاذق، والماهر في عمله[(٤)]. ووصفوا المرأة بأنها صَنَاع؛ لمهارتها في العمل باليدين[(٥)]. ويلمح في قوله(عليه السلام) أنّه يجعل (التّجار وذوي الصّناعات) طبقة واحدة يكمل بعضهم بعضاً. كأن التّاجر لما كان يقوم بتسويق البضائع واستيرادها، ويكون وسيطاً في عملية البيع بين(المادة) والرعية وهم الطرف المستهلك لهذه

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٦١.

(٢) نهج البلاغة: ك/ ٥٣: ٥٥٩.

(٣) نفسه: ك/ ٥٣: ٥٥٠.

(٤) ينظر: تذهيب اللغة (صنع)، ولسان العرب (صنع): ٨/ ٢٠٩٦.

(٥) ينظر: لسان العرب (صنع): ٨/ ٢٠٩.

المواد، فكذلك الصّنّاع الذين يقومون بعمل النساجة وغيرها، فإنهم ينتجون هذه السِّلع ويعملون على بيعها للمنتفعين بها، معتمدين - في صناعاتهم هذه - على المواد الأولية التي يجيء بها التّجّار من البلدان المختلفة. وبهذا يظهر التكامل بين فئتي (التّجار وأصحاب الصناعات).

حَائِك

حاك الثوب يحُوكُه حَوْكاً وحياكة. أي نسجهُ[١]. والحَيْك النَّسْج[٢]. والحِياكَة هي الحرفة، والحائك هو الذي يحوكُ الثَّوب وينسجه[٣].

وجاءت لفظة (حَائِك) في نهج البلاغة مرتين[٤]؛ فقد استعملها الإمام في ذمه (الأشعث بن قَيْس)[٥]،لمّا اعترض بكلامه على الإمام قائلًا:((يا أمير المؤمنين هذه عليكَ لا لك))[٦]. فخفض اليه الإمام بصره قائلًا له: **((ومَا يُدْرِيكَ مَا عَليَّ ممَّا لِي؟ عَلَيْكَ لَعْنَةُ الله وَلَعْنَةُ اللاَّعِنِينَ! حَائِكٌ ابْنُ حَائِك! مُنَافِقٌ ابْنُ كُافِر! وَالله لَقَدْ أَسَرَكَ الكُفْرُ مَرَّةً وَالاسْلامُ أُخْرَى...))**[٧]. وفي دلالة مفردة (حائك) المتقدمة في

(١) ينظر: تهذيب اللغة (حوك): ٥/ ٨٣.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: لسان العرب (حوك): ١٠/ ٤١٨.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٢٨. وقد ورد في (المعجم المفهرس) أن هذه اللفظة وردت (مرة واحدة)، والصواب أنها جاءت مرتين.

(٥) هو الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة الكندي.واسمه (معدي كرب)، وكان أشعث الرأس، فغلب عليه ذلك. وتذكر كتب السير انّ له صحبة ورواية.وقد أصيبت عينه يوم (اليرموك).وكان من كبار أمراء الإمام علي(عليه السلام)في (صِفّين). وقد تزوج (فروة بنت أبي قحافة).و مات الأشعث سنة (42هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: 2/ 37، والإصابة في تمييز الصحابة: 1/ 87.

(٦) نهج البلاغة: خ / ١٩: ٤٩، وينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد):١/ ٢٦٩.

(٧) نهج البلاغة: خ / ١٩: ٤٩.

النص أقوال ذكرها شُرَّاح نهج البلاغة أذكرها فيما يأتي:

أولاً: الدلالة على المهنة والحرفة التي كان يعمل بها.

وهذه الدلالة تجنح بمفردة (حَائِك) إلى المعنى المعجمي الذي تذكره المدونات المعجمية، فالحائك هو الذي يَحْتَرِف نسج الثياب وصناعتها. وقد ذكر الشُّرّاح أنّ الإمام إنما وصفه بهذا الوصف؛ لأنّه كان يمتهن نَسْج البُرُود، المسمّاة (بُرُود اليمن)، وكان أبوه من قبل ذلك نسّاجاً أيضاً[١]. وأمّا وجه العَلَاقة بين هذه المهنة وبين سخط الإمام على الأشعث وتعييره بها، فذلك راجع إلى أن أخلاق أصحاب هذه الحِرفة خَسِيسة دنيئة، فصار كل مَن يمتهنها يتمثل بهذه الشمائل. وقد ذكر الشُرَّاح أنّ من أبرز أخلاق الحوكة هو الكذب[٢]. ونقل الشارح البيهقي عن بعض العلماء ذكره انحطاط مهنة الحياكة وخِّستها، وأن من يمتهنها يكون ضعيف العقل[٣]. وإنما يعيرّ الإنسان إذا كان ذو حرفة دنيئة مذمومة[٤]. ودناءة الحرفة دليل على نقصان العقل وعدم التفكّر[٥]. وقد عضّد الشرُّاح هذه الفكرة بما روي في كتب السير من أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) دفع غَزْلاً إلى حائك لينسج له ثوباً، فتأخر الحائك عنه، وأخلف مع النبي الأكرم وعوداً كثيرة. فكان النبي (صلى الله عليه وآله) يأتيه ويقول له: ردّوا علينا ثوبنا حتى نتجمل به، وبقي الأمر على حاله حتى توفي النبي[٦]. أقول: ويبدو أنّ دناءة هذه الحرفة راجع إلى اشتغال الناس الذين

---

(١) ينظر: معارج نهج البلاغة: ١/ ٢٥٧، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١/ ٧٤.

(٢) نفسهما.

(٣) نفسهما.

(٤) ينظر: معارج نهج البلاغة: ١/ ٢٧٦.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ٢٢٠.

(٦) ينظر: معارج نهج البلاغة: ١/ ٥٧٦٨، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ٢٢٠.

يتّصفون بالكذب والخسّة والدناءة بهذه المهنة. ويحتمل أنّ ذم الإمام للأشعث ووصفه بهذه الصفة، يمكن أن يكون راجعاً إلى عمله أو اشتغال بعض أسرته بحياكة المنسوجات التي حرّم الإسلام ارتداءها كالقَزّ والحرير[١].

ثانياً: الدلالة على التَّحَيُّك، وهو ضرب من المشي:

وهذه الدلالة محتملة في السياق المتقدم، كأنّ الإمام يصفه بالتَّحَيّك في المشي. يريد ذلك تعاليه وأنفته وتكبّره؛ و(التَّحَّيك) ضرب من المشي فيه تبختر. وقيل: بل هي مشية يحرّك فيها الماشي إليته[٢] علامة على عظيم بدنه وكثرة لحمه[٣]، وقد أفاد الشّراح من هذه المسألة، فذكروا أنّ الإمام إنّما عبّر بهذه الصِّفة ذماً لهيأة الأشعث، وذلك باستعارة مليحة تدل على سوء خلقه[٤]، فهذا النوع من المشي مذموم في الرجال محمود في النساء[٥].

ثالثاً: الدلالة على حياكة الكلام ونسجه.

وتحتمل مفردة (حائك) الدلالة على حياكة الكلام ونسجه، تشبيها لذلك بحياكة الثياب ونسجها. كأنه (عليه السلام) يشير بذلك إلى سوء مواقف الأشعث معه (عليه السلام)، ومع النبي من قبل. فقد كان هذا الرجل معدوداً من المنافقين في أصحاب الإمام، كما كان (عبد الله بن أبي سلول) في أصحاب النبي[٦]. وواضح ما يقوم به (المنافق) من نسج الكلام وتزويقه أمام الناس، وإظهار ما هو بخلافه عند

---

(١) ينظر: معارج نهج البلاغة: ١/ ٥٧٥.

(٢) ينظر: الفائق: ١/ ٣٤٥.

(٣) ينظر: العين (حيك): ٣/ ٢٥٧.

(٤) ينظر: معارج نهج البلاغة: ١/ ٢٧٥.

(٥) ينظر: لسان العرب (حيك): ١٠/ ٤١٨.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١ / ٢٧٣.

انصرافه عنهم. فلهذا يوصف المنافق بانّه نـمّام يحوك الكلام، فضلاً عن نقله بين الناس ليدخل البغضاء بينهم[١]. وقد صّرح الإمام بوصفه بالنفاق في قوله المتقدم.

نخلص من إيجاز هذه الدلالات إلى أنّ لفظة (حائك) التي ذكرها الإمام صفة ذميمة من صفات الأشعث بن قيس، وقد وظفها(عليه السلام)، للدلالة على نقصان العقل والافتقار إلى الحكمة عند هذا الرجل،فضلاً عن عدم تبصّره بالأمور ووضع الأشياء في مواضعها، وتأكيداً لعدم أهليته الاعتراض على الإمام؛ فهو كمن تخالفت عليه خيوط النسج عند من يريد حياكتها، فصارت مظنّة لنقصان العقل،لأن ذهن الحائك متوجه في وقته كله إلى صنْعَته وخيوطه المتفرقة و ما يتبع ذلك من حركة يديه ورجليه، ولهذا لا يكون ملتفتاً إلى ما حوله. فصار الأشعث بهذا الوصف - شبيهاً بالحائك في ضعف عقله وقلّة إدراكه للأمور[٢]. وليس ببعيد أن يكون الأشعث حائكاً يحترف النّساجه، ومنها نسيج البرُود والحرير، وهما من الألبسة المحرّمة في الإسلام. ولعل ما ذكر في بعض المدونات التاريخية من أنه كان كِنْدِياً بالولاء، وأن أباه كان فارسياً اسكافياً[٣]. يؤيد هذه الرؤية، ولاسيّما أنّ قول الإمام الذي وصف فيه الأشعث يحتفل بكثير من الصفات الرذيلة التي اتّصف بها هذا الشخص، ومنها صفة (النّفاق) و (الكفر) التي وصف بها أبوه. وليس ببعيد-بعد ذلك- أن يكون محترفاً لأيّة مهنة رذيلة تناسب مكانته وشخصيته غير الإسلامية. فضلاً عن ذلك، فالمؤرخون يذكرون أن مهنة الحياكة مشهورة في بلاد اليمن، حتى أنّ أهلها كانوا يُعيّرون بها[٤]. وثمّة قولة مأثورة في شأنهم منقولة عن

(١) نفسه.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ٢٢٠.

(٣) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٧/ ١٩٧٠.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦/ ٥٣.

بعض العرب، يذم فيها أهل اليمن: ((**ما أقول في قومٍ ليس فيهم الاّ حائك بُرْدٍ أو دابغ جِلْدٍ، او سائس قِرْدٍ**...))[1]. ومما يزيد في ذم هذا الرجل هو شياع الغدر فيه وفي أسرته، حتى قيل: إن أعرف الناس بالغدر(آل الأشعث بن قيس بن معد يكرب). فالغدر إرث فيهم انتقل معهم إلى الإسلام[2]. فضلًا عن كونهم معروفون ببيع الرقيق في الجاهلية أيضاً؛ حتّى ذكرت الروايات التاريخية أنّ الأشعث خاصم (أهل نجران) إلى الخليفة (عمر بن الخطاب) في رقابهم، وكان قد استعبدهم في الجاهلية، فلما أسلموا أبوا عليه ذلك[3]. وهذا يدل على سوء معاملته الناس واستعبادهم، فضلا عن الاتجار بهم.

ممرضه

التّمريض حسن القيام على المريض[4]. والممرّض من يقوم بشؤون المرضى ويقضى حاجاتهم العلاجية وغيرها بحسب إرشاد الطبيب[5].

وقد استعمل(عليه السلام) مفردتي (مَرَّضْتَ) بصيغة الفعل الماضي المسند إلى تاء المخاطب، ومفردة (ممرِّضةُ) بصيغة اسم الفاعل المضاف اليه ضمير الغائب المفرد مرة واحدة لكل لفظة[6]، للدلالة على القيام على المريض وقضاء شؤونه المتعلقة بالعلاج وغيره. ومن ذلك قوله(عليه السلام) في سياق ذمِّ المخدوعين بالدنيا الذَّامِّين لها، بعدما سمِع رجلاً يذمّ الدنيا: ((**أَيُّهَا الذَّامُّ للدُّنْيَا، الْمُغْتَرُّ بِغُرُرِهَا، الْـمَخْدُوعُ**

(١) نفسه.

(٢) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٧/ ٤٠٤.

(٣) نفسه: ١٤/ ١٤٢.

(٤) ينظر: العين: (مرض): ٧/ ٤٠، وتهذيب اللغة (مرض): ١٢/ ٢٦.

(٥) ينظر: المعجم الوسيط: ٢/ ٨٦٤.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٢٠، ٤٢١.

بِأَبَاطِيلِهَا! أَتَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَذُمُّهَا؟... مَتَى اسْتَهْوَتْكَ، أَمْ مَتى غَرَّتْكَ؟ أَبِمَصَارِعِ آبَائِكَ مِنَ الْبِلَى، أَمْ بِمَضَاجِعِ أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ الثَّرَى؟... كَمْ عَلَّلْتَ بِكَفَّيْكَ، وَكَمْ مَرَّضْتَ بِيَدَيْكَ! تَبْغِي لَهُمُ الشِّفَاءَ، وَتَسْتَوْصِفُ لَهُمُ الأطباء غَدَاة لايُغْنِي عَنْهُم دوَاؤُك، ولايُجْدِي عَلَيْهِم بُكَاؤكَ...))[1]. والنص وصف لحال المخدوع بالدنيا المغترين بها. ولهذا فإنّه (عليه السلام) ينعى على هذا النوع من الناس استهواؤهم بالدنيا وانشغالهم بها؛ بسبب من ميلهم إلى الدنيا وانشغاله بملذاتها، وليس السبب في ذلك بالدنيا، وإنما يرجع ذلك إلى جنوح الإنسان وميله إلى الغرور والانخداع بها، متجاوزاً ما فيها من عبر واعتبار وما تقدمه لهم من مصارع الآباء ومضاجع الأمهات في الثرى، فضلاً عما فيها من علل وأسقام تعرض للمرء وتنهك بدنه وتسقم روحه. وهذه الأمور يلمسها الإنسان عياناً، ولهذا ذكّر الإمام المخاطب بمن سهر عليه وعلّله ومَرّضه بيديه، طلباً لشفائه ليزول عنه المرض والعِلّة. ولكن ذلك لم يكن مجدياً لهؤلاء المرضى الذين تستوصف لهم الأطباء والمترفّقة، حتى يبلغ بهم الجهد في الوقوف على راحة المرضى وتهيأة لوازم إبرائهم من علاج مادي ومعنوي أشار إليه الإمام بلفظة (عَلّل) التي تفيد الدلالة على تسلية المريض ومداراته نفسياً. وذلك بشحذ همته وإعانته على تحمّل المرض وتجاوزه. كما يُعلّل الصّادي أو الجائع بسقيه الماء أو إعطائه الطعام[2]. ويفهم من كلامه (عليه السلام) أنّ قيام المُمَرِّض على إعانة المريض ورفده بالدواء الذي يصفه الأطباء له، يمثل وسائل للشفاء، وليست أصلاً له، فربما لا تغنِ هذا الأمور عن المريض شيئاً، إذا حانت منّيته أودنا أجله فلا نفع -حينئذ- بالدّواء والأطباء والممرضين. وقد استعمل الإمام مفردة (مُمرِّضة) بالدلالة المتقدمة نفسها في(خ/ ٢١٢).

(١) نهج البلاغة: قصا/ ١٣١: ٦٢٥، ٦٢٦.

(٢) ينظر: لسان العرب (علل): ١١/ ٤٦٨.

المِهَن

المِهَنة الخِدْمة[١]. وهي الخِدامة في العَمل[٢]. ووردت لفظتا (مِهْنتهم)، و(المِهَن) مرة واحدة لكل منهما في نهج البلاغة[٣]، للدلالة على امتهان الصَّنْعة واحترافها، واتخاذها عملاً وسبيلاً للكسب الحلال. وجاءت هذه الدلالة في سياق كلامه(عليه السلام) على الغوغاء وصفتهم، والمنفعة من افتراقهم، مثلما ينتفع الناس من رجوع ذوي (المِهَنِ) إلى أعمالهم. يقول الإمام: ((**يَرْجِعُ أَصْحَابُ الْمِهَنِ إِلَى مِهَنتِهِمْ، فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ، كَرُجُوعِ الْبَنَّاءِ إِلَى بِنَائِهِ...**))[٤]. ويلحظ من النص أنّه (عليه السلام) استعمال مفردة (المِهَن) بصيغة الجمع على زِنَة (فِعل). مشيراً إلى الدلالة على المهنة التي يمْتهن المرء فيها نفسه الذي يتخذ من تلك الأعمال التي ذكرها الإمام (عليه السلام) سبيلاً لرزقه، وهي التي تسمّى (بالمِهَنِ)،كأنّ العاملَ فيها قد امتَهَن نفسه وجوارحه فيها[٥]، فصار عبداً وخادماً لِمن يَطلب منه عمل البناء، أو نسْج الثياب.فضلاً عن أنّ لفظة (مِهْنَتِهم) بهذه الصيغة توحي بدلالة احتراف الصَّنْعة والقدرة على انجازها بدقة ومهارة.وهو ما ناسب الدلالة المعجمية لمفردة (مِهْنة)، التي تعني الحرفة في المعجم العربي.أقول: وثمة رواية أخرى للفظة المتقدمة جاءت فيها بصيغة (الجمع) (مِهَنِهم)[٦]. والرواية الأولى شائعة مثبتةٌ عند ابن أبي الحديد،

(١) ينظر: العين (مهن): ٤/ ٦١، وتهذيب اللغة (مهن): ٢/ ٣٤٢

(٢) ينظر: العين (مهن): ٤/ ٦١، ولسان العرب (مهن): ١٣٦/ ٤٢٤.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٢٨.

(٤) نهج البلاغة: قصا / ١٩٩: ٦٣٩.

(٥) ينظر: الديباج الوضي: ٦/ ٢٨٧٨.

(٦) نفسه.

والعلاّمة البحراني، والشيخ محمد عبده، والدكتور صبحي الصالح[١].

النَّسَّاج

النَّسَّاج في اللغة هو الحائك، الذي حِرْفته النَّساجة[٢] والنَّسْيج هو نسج الثياب وصناعتها، وأصله في اللغة هو ضمّ الشيء إلى الشيء[٣].

أما اسم الصّنعة في هذا الضرب من المهن، فهو النّساجة، في حين أن مكان العمل فيها هو المَنسَج بفتح السين وكسرها[٤]. وقد وردت لفظتا: (النَّسَّاج)، و(مَنْسَجِهِ) مرة واحدة لكل منهما في نهج البلاغة[٥]. فأمَّا (النَّسَّاج)، فقد دلَّت على الحائك الذي يقوم بنسيج الثياب وصناعتها، في حين جاءت لفظة (مَنْسجة)، للدلالة على محل عمله ومكانه. وقد ذكرها(عليه السلام) في سياق كلامه عن صفة الغوغاء ومضرَّةِ اجتماعهم، ومنفعة تفرّقهم، إذ يقول: ((**هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا ضَرُّوا، وَإِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا**)).**فقيل: قد علمنا مضرة اجتماعهم، فما منفعة افتراقهم؟. فقال: يَرْجِعُ أَصْحَابُ الْمِهَنِ إِلَى مِهَنِهِمْ، فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ، كَرُجُوعِ الْبَنَّاءِ إِلَى بِنَائِهِ، وَالنَّسَّاجِ إِلَى مَنْسَجِهِ، وَالْخَبَّازِ إِلَى مَخْبَزِهِ**))[٦].أراد (عليه السلام) أن رجوع هذه الفئة من ذوي المهن إلى مكان عملهم أمر ينفع به الناس، بسبب من إنجاز هؤلاء ما تكفّلوا به من أعمال، من نسج الصوف وصناعة اللباس وغير ذلك من الأعمال والصناعات

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٢٠/ ١٤٨، وشرح نهج البلاغة(البحراني): ٥/ ٤٥٠، ونهج البلاغة (عبده): ٤/ ٥٤٣، ونهج البلاغة: ٦٣٩.

(٢) ينظر: العين (نسيج): ٦/ ٥٥، ولسان العرب (نسج): ٢/ ٣٧٦.

(٣) ينظر: لسان العرب (نسج): ٢/ ٣٧٦.

(٤) ينظر: العين (نسج): ٦/ ٥٥.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٤٠.

(٦) نهج البلاغة: قصا / ١٩٩: ٦٣٩.

التي تنجز في حال رجوعهم إلى أعمالهم، فانصرافهم يبعد أثرهم السلبي في المجتمع ويجلب المنفعة إلى الناس واليهم في وقت واحد.

القَيْن

القَيْن الحَدّاد[١]، وكل عامل بالحديد، فهو قَينْ[٢]. وقد وردت لفظة (القَيْن) مرتين في نهج البلاغة[٣] دالة على الحَدَّاد الذي يعمل في صناعة الحديد وشحذا النِّصال. وقد انتظمت هذه اللفظة في سياقين مختلفين في نهج البلاغة؛ الأول منها يتحدث الإمام فيه عن الذين يعدون أنفسهم للعلم والحكمة وتعلُّم القرآن وتفسيره أثناء الملاحم والفتن يقول(عليه السلام): ((**ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ، وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ**...))[٤].والشّحذ يعني أن هذه الأذهان والعقول مستعدة بكل جوارحها لتقبل تلك المعارف الإلهية والعلوم القرآنية. ولّما أراد الإمام (عليه السلام) الإبانة عن قيمة هذا (الشّحْذ) وأثره في ذهن المتلقين، شبّهه بشحذ الحّداد نصل السَّيف، وبقية الآلات المستعملة في القطع والضرب كالسكاكين والسهام والرّماح التي يكون طرفها جارحاً قاتلاً. مع ملاحظة أن عناية الحداد بشحذ النّصال يمثل كشفاً لمهارته،وتتطّلب منه الدقة في عمله، لتكون الأداة الجارحة ماضية قوية. وهذا هو وجه المناسبة التي أراد الإمام إظهارها في كلامه عن (شَحذ) الملكات العلمية لهذه النخبة من (القوم) الذين اختارهم الله تبارك وتعالى لحمل هذه المعارف، مؤثراً إياهم على غيرهم؛ لما

(١) ينظر: العين (قين): ٥/ ٢١٩، وتهذيب اللغة (قين): ٩/ ٢٣٧.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (قين): ٩/ ٢٤٣، ولسان العرب (قين): ١٣/ ٣٥٠.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٩١.

(٤) نهج البلاغة: خ / ١٥٠: ٢٦٠.

فيهم من الاستعداد لتلقيها وحملها وتعلمها للناس. فليس كل الناس مشمولون بهذا الضرب من القرب إلى الله تعالى والمهارة في تلقي هذا (الشّحذ) الذي يتحدث عنه الإمام، فالمخصوصون به هم صفوة ينتخبهم الله تبارك وتعالى، لما فيهم من المهارات الفَذّة التي لا تتوافر في غيرهم، فكما أنّ الحداد لا يشحذ أيّة حديدة لديه لصنع نصالاً حادّة منها، وإنما ينتخب ما كان قوياً لائقاً لشحذ طرفه وإحكامه حتى يكون حاد القطع وفصلاً في حسم الأمور. فكذلك الأمر في شحذ النفوس لتلقي العلوم القرآنية وإحكامها. وأستطيع القول إنّ المراد بهؤلاء القوم أهل البيت(عليهم السلام) الذين يمثلون الصفوة المنتخبة من الله تبارك وتعالى لتلقي هذه العلوم وإحكام أسرارها، مع إطلاعهم على مصاديق القرآن الكريم وتفسيره الصائب الذي أراده الله جل جلاله. وأمّا السياق الثاني الذي جاءت فيه المفردة المتقدمة، فهو الذي يتحدث فيه عن السيدة (عائشة) التي تزعّمت حَرب الجمل: ((**وَأَمَّا فُلاَنَةُ، فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ، وَضِغْنٌ غَلاَ فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ، وَلَوْ دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ، لَمْ تَفْعَلْ...**))[1]. فكنّى عنها باللفظ المتقدم مجانباً بذلك التصريح باسمها؛ لأنّه كاف يتحدث عن موقفها منه وما تضمره تجاهه، موجّهاً كلامه نحو (الحِقد) الكامن في نفسها. ومن ثَمّ عرّج على وصف هذا (الضِّغْن) الذي أضمرته في قلبها مشبهّاً إيّاه بـ(غليان مِرْجَل القَيْن)، مضيفاً كلمة (القيْن) إلى الأداة التي يتخذها وسيلة لصهر الحديد أو الماء، إذ تكون درجة حرارة هذا النوع من المراجل عالية. بحيث يسمع لغليانها صوت وأزير. وذلك كله بفعل ما يصنعه (القَيْن) الذي يعمد إلى إثارة النار تحت هذا القِدر، ورفع درجتها بما يضيفه إليه من حطب أو غيره مما يوقد به؛ ليرفع من حرارته. فهذه القدور تحتاج

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ١٤٦.

إلى حرارة أعلى من سائر المراجل الأخرى، فاستعمل الإمام المفردة المتقدمة لبيان شِدّة وَقِيد الحقد في قلب السيّدة عائشة عليه[١]. وكأنّه يشير -بهذا التعبير- إلى أن هناك من يُشجِّع هذا الحقد في قلبها ويؤجّجه عليه؛ محاولة لصنع فتنة جديدة يكون وقودها الناس سعياً منهم إلى تحقيق مطامحهم ورغباتهم في إزاحة الإمام عن كرسي الخلافة، وإثارة الاضطرابات عليه؛ ليتسنّى الهيمنة على الحكم. ولهذا أُحسُّ في كلامه (عليه السلام) إشارة إلى (طلحة والزبير) اللّذين نكثا بيعته، واخرجا حرمة رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((**كَمَا تُجَرُّ الأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ، فَحَبَسَا نِسَاءَ هُمَا فِي بُيُوتِهِمَا، وَأَبْرَزَا حَبِيس**[٢] **رَسُولِ اللهِ**(صلى الله عليه وآله) **لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا، فِي جَيْش مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلاَّ وَقَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ**...))[٣].على حدِّ قول الإمام. وقد جاءت مفردة (القَيْنْ) في هذا السياق مناسبة للمعنى الذي قصد إليه؛ لأنّ إخراج زوج النبي الأكرم، وجعلها قائداً للجيش الذي خرج على الإمام في وقعة (الجمل)، يمثل انتهاكاً لحرمتها؛ لأنّها مأمور بالقرار في بيتها وملازمته بنص القرآن الكريم الذي يقول: ﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ**...﴾[٤]. فضلًا عما ورد في ذلك من أحاديث للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) الذي نقل عنه قوله

(١) ينظر: الديباج الوضي: ٣/ ١٢٦١.

(٢) الحبس ضد التخلية. والحبس الامساك، وهو (فَعِيل) بمعنى (مَفْعُول) أو (فَاعِل)، فهو المحبوس أو الحابس الذي يحبس من أن يسير مع الركبان. ينظر: لسان العرب (حبس): ٦/ ٤٦، ٤٤.

(٣) نهج البلاغة: خ / ١٧٢: ٣١٠.

(٤) الأحزاب / ٣٢، ٣٣.

مخاطباً نساءه: ((**كيف بإحداكُنَّ تَنبحُ عَلَيْها كِلاَبُ الحَوْأب**[١]))[٢]. ولهذا أُثر عنها قولها؛ لّما سمعت نُباح كلاب (الحَوْأب)، وقد سألت عن هذا الموضع، فقيل لها: إنّه (الحَوْأب). فقالت: ((**رُدُّوْنِي رُدُّوْنِي، سمَعْتُ رسول الله يقول: كيف بإحداكُنّ إذا نبحتْ عليها كِلابُ الحَوْأب**))[٣]. ولكنها استجابت لرأي من أخرجها حاثّاً إياها على المسير إلى البصرة، بدعوى أنها خرجت للإصلاح بين المسلمين[٤]. وقيل: إنّهم غالطوها وحلفوا لها أنّه ليس بالحَوْأب[٥]. وإغراؤهم لها بالمسير ضرب من أفعال العبيد الذي غلب عليهم الامتهان والوضاعة؛ فالعرب تسمي العبد قيناً[٦]، لما يقوم به من أعمال وضيعة كالخدمة في البيوت وغيرها مما يشبه صنعة القَيْن العامل في الحدادة والقَيْر، فيعرض له من الأوساخ والقذر ما يجعله أسود الوجه واليدين من أثر صنعته. فوصف القين بأنّه عبد هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالملاحظ أنّ عمل القَيْن مرتبط بصناعة الحديد وتطويعه وتسويته،وهو ما أفاد منه الإمام في توظيف هذه المفردة، ليوحي بها على ما قام به كل من (طلحة

---

(١) الحَوْأب – بفتح وسكون وهمزة مفتوحة – الوادي الواسع.وهو موضع في طريق البصرة من مياه أبي بكر بن كلاب من العرب.وهو من المياه الإعداد القديمة الموجودة في الجاهلية.وقيل: بل هو موضع بئر في طريق البصرة. ينظر: معجم البلدان: ٢/ ٣١٤.

(٢) مسند أحمد: ٦/ ٥٢، وصحيح ابن حبّان: ١٥/ ١٢٦، والمستدرك على الصحيحين: ٣/ ١٢٩٦، ومسند أبي يعلى: ٨/ ٢٨٢.

(٣) مسند أبي يلعى:٨/ ٢٨٢. وفي بعض كتب الحديث أنها قالت: ((ما أظنني إلّا راجعة...)) ينظر: مسند أحمد: ٦/ ٥٢.

(٤) والقائل هو(الزّبير). وقيل: بل طلحة والزّبير: ينظر: المستدرك على الصحيحين: ٣/ ١٢٩، والمصنّف في الأحاديث والأخبار،لابن أبي شيبة: ٧/ ٥٣٦.

(٥) ينظر: معجم البلدان: ٢/ ٣١٤.

(٦) ينظر: لسان العرب (قين): ١٣ / ٣٥١.

والزّبير) من تهيئة لوازم الفتنة واشعال فتيلها في معركة (الجمل)، متخذين الحِيْلَة والكذب سبيلاً لهما في إغراء السيد (عائشة) وغيرها من الناس في ضرورة الطلب بثأر الخليفة (عثمان بن عفّان) مرة، وفي أنّ خروجها يمثل صلاحاً لذات بين المسلمين، ساعين بذلك إلى إفساد الأمّة وإشاعة القتل فيها، كما يفعل (القَيْن) ذلك عند تردده في البوادي متنقلاً في مياه العرب، فيكسد عمله حتى يقول لأهل الماء إني راحل عنكم صباحاً، وهو كاذب في ذلك؛ محاولة منه خداع الناس وإغراءً لهم في استعماله. حتى قالوا في أمثالهم المعروفة: ((**إذا سمِعْت بِسُرى القَيْن، فَاعْلم أنه مُصْبِح**))[1]. يضرب مثلًا في شيوع الكذب عند بعض الناس[2].

وبهذا يكون الإمام قد وسَع من دلالة مفردة (القَيْن)، متنقلاً من دلالتها على عمل الحدادة إلى الدلالة على صناعة الفتن وإثارتها، فضلاً عن احتراف الكذب وإشاعة الحقد في قلوب الناس. فاكتسبت المفردة - بهذا الوصف - نوعاً من الانحطاط الدلالي؛ لارتباطها بالأفعال والتصرفات السّيئة. وهو ما يفسّر لنا قوله (عليه السلام) في وصف السيدة (عائشة) أنها: ((**أدْركها رأي النّساء**))[3]. يريد بذلك ما يلازم رأي النساء من ضعف وعدم اتساع أو بعد نظر في استشراف الأحداث ونتائجها؛ لاعتمادها في ذلك على عاطفتها. وقوله المتقدم يفسر لنا هيمنة الصحابيين (طلحة والزبير) على أحداث الخروج على الإمام (عليه السلام) ونكث بيعته، ومن ثَمّ التأليب عليه بإخراج زوجة رسول الله زعيماً للجيش الذي قاتله الإمام في البصرة.

(١) مجمع الأمثال: ١/ ٤١، وجمهرة الأمثال: ١/ ٢٣، والمستقصى في أمثال العرب: ١/ ١٢٤، ولسان العرب (قين): ١٣/ ٣٥١.

(٢) نفسها.

(٣) وذلك شبيه بقوله موصياً الإمام الحسن (عليه السلام) بعدم مشاورة النساء قائلًا: ((وَإِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ، فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْن...)). نهج البلاغة / ٣١: ٥١٣.

البنّاء

البنّاء مدبِّر البُنيان وصانعه[١]. وقد وردت مفردة (البنّاء) بوزن (فعّال) محلاة بـ(ال) مرة واحدة في نهج البلاغة [٢]، للدلالة على العامل في صنع البناء وتدبيره، وذلك في قوله الذي يتحدث فيه عن مضرّة اجتماع الغوغاء من الناس الذين لا نفع إلا في تفرّقهم. يقول(عليه السلام): ((**هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا ضَرُّوا، وَإِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا. فقيل: قد علمنا مضرة اجتماعهم، فما منفعة افتراقهم؟ فقال: يَرْجِعُ أَصْحَابُ الْمِهَنِ إِلَى مِهَنِهِمْ، فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ، كَرُجُوعِ الْبَنَّاءِ إِلَى بِنَائِهِ، وَالنَّسَّاجِ إِلَى مَنْسَجِهِ**...))[٣]. يعقد الإمام ضرباً من التشبيه بين تفرّق (الغَوْغاء) وتفرّق أصحاب المهن، مشبّهاً الأول بالثاني من جهة أنّ تفرّقهم يؤدي إلى تقليل مضرّة خطرهم واجتماعهم؛ لأنّهم أينما اجتمعوا أدّى ذلك إلى إظهار كثرتهم، وهو ما يؤدي إلى زرع الخوف في النفوس منهم؛ كأنهم في ذلك كالجراد حين يخف للطيران فتراه كثيراً منتشراً. فضلاً عمّا يسببّه اجتماعهم من جلبة وصوت مزعج، لكثرة لغطهم وصياحهم. فأمّا تفرّقهم وتشتت شملهم، فهو مدعاة إلى تقليلهم في أعين النّاس، وتهوين لشرّهم وجلبتهم. فكأن ذلك علامة على منفعتهم. ويحتمل أن يراد بمنفعة تفرّقهم عودتهم إلى أماكن علمهم؛ على أساس أن لكل واحد منهم عملاً من الأعمال التي تدرّ عليهم الرِّزق، و تشغلهم عن غيرهم من الناس الذين ينالون بعضاً من هذه المنافع بطريق غير مباشر، من خلال تفرّق هؤلاء وانشغالهم بأعمالهم. وقد أتى الإمام على ذكر أصحاب المهن جاعلاً في صدارتهم (البَنّاء) الذي يقوم على صناعة البناء وتدبير أمره، في إشارة إلى فائدة هذا النوع من الأيدي العاملة

(١) ينظر: تاج العروس (بني): ٣٧/ ٢٣٤.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٦٦.

(٣) نهج البلاغة: قصا / ١٩٩: ٦٣٩.

التي تسهم في أعمار البلد وتطوره، فكما يبني البنّاء البناء ويقوم أمره، فهو يجلب بذلك النّفع إلى الناس من خلال توفير المسكن أو المأوى لهم. وقوله (عليه السلام) يوحي بأنّ رجوع هؤلاء يمثل إتماماً للعمل الذي تكفّلوا به، فقوله: ((**كَرُجُوعِ الْبَنَّاءِ إِلَى بِنَائِهِ**)) يدل على أنّ هذا النوع من أصحاب المهن يداومون في أعمالهم التي تتميز بالبطيء في الإنجاز، لأنّ التسرّع في انجازها يؤدي إلى انهيار العمل وعدم جودته، بخلاف الحال التي يكون عليها (الغوغاء)، الذين ينمازون بالعجلة والتسرّع في الشَرِّ وغيرها من الخصال السيّئة التي يتخذونها سبيلاً لهم في حياتهم.

الحِرفَة

الحِرْفة عند اللغويين هي المكسب أو الطُّعْمة[(١)]. وذكر بعض اللغويين أنها الصّناعة وجِهة الكَسب[(٢)]. والحرْفة مأخوذة من الاحتراف وهو الاكتساب. يقال: هو يحرف لعياله ويحترف، أي يكتسبُ[(٣)]. والمحْترِف - في اللغة - الصِّانع. والحرفة صنعته وضيْعَته أيضاً[(٤)]. وجاءت لفظة (الحِرْفَة) في نهج البلاغة مرة واحدة[(٥)]، دالة على الحرمان وضيْق الرزق وذلك في سياق وصايا الإمام للامام الحسن (عليه السلام) التي يقول فيها: ((... **وَمَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ، وَالْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُور**...))[(٦)]. والمراد بقوله:(وَالْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ...) أنّ المرء الْمُقَتَّر عليه رزقه، أو الذي حُرِف عنه الرزق ومال عنه ويكون عفيفاً عمّا حرّم

---

(١) ينظر: جمهرة اللغة (حرف): ١/ ٢٦٢.

(٢) ينظر: المحكم (حرف): ٣/ ٣٠٧.

(٣) ينظر: لسان العرب (حرف): ٩/ ٤١.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٠٧.

(٦) نهج البلاغة: ك/ ٣١: ٥٠٩.

الله تعالى، فذلك خير له من الغنيِّ الذي يكون فاجراً لا يأبه لما حرّمه الله، سواء أكانت هذه المُحرِّمات أموالاً أم غيرها.

وفي هذه الوصية تنبيه منه (عليه السلام) على وجوب الصبر في ضيق الرزق والحرمان، إذا كان مع فضيْلة العِفَّة، فذلك أولى من طلب الغنِى الذي يستلزم الفجور[١]. والمقصود بالحرفة - هنا- الحرمان ونقص الحظِّ من الرزق[٢]. فقد استعمل الإمام المفردة المتقدمة الدالة على الصّنعة والمهنة الخاصة بالكسب، للدلالة على انحراف الرزق وقلته، وهو ما يستلزم الحرمان والفقر، في مقابل (الغِنىَ) الذي يعَدّ نقيضاً لهذه الحال وضداً لها. في حين أنّ اللغويين ينصون على أنّ ضِيق الرزق والحرمان تستعمل فيه مفردة (مُحَارَف)، (وحُوْرِف)، ومعناها المحروم الذي شُدِّدَ عليه في رزقه، فهو كمن أمِيل برزقه عنه[٣]. وقيل: بل هو الذي إذا طلب الرزق لا يُرزق، وهو المُقدّر عليه رِزّقه[٤].أو هو الذي لا يسعى لرزقه وكسبه[٥]. ولم أجد من اللغويين من أشار إلى أنّ مفردة (حرْفَة) تُدل على الحِرمان في الرزق، ولهم في ذلك تعليقات تدل على هذا المعنى، كذكرهم - مثلاً - أن الحَرف الحرمان[٦]. وبهذا يكون استعمال الإمام لمفردة (حِرفة) بالدلالة المتقدمة علامة من علامات التطور الدلالي لها، فقد نقلها من الدلالة على الصناعة والكسب إلى الدلالة على الحرمان والضيق الرزق.

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٢٨١.

(٢) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٢٣٤٢.

(٣) ينظر: العين (حرف): ٣/ ٢١١، ولسان العرب (حرف): خ / ٣٤.

(٤) ينظر: لسان العرب (حرف): ٩/ ٤٣.

(٥) نفسه.

(٦) ينظر: المحكم (حرف): ٣/ ٣٢٧.

الخبّاز

الخبّـاز هـو الـذي يعالـج الدقيـق بالمـاء. وذلـك بعجنـه و ضربـه باليد،ومـن ثـّمّ خبـزه في ملّـة أو تنّـور[١]. وتسـمى هـذه المهنـة بالخَبـازة، ومكانهـا المَخبْـز[٢]. وقـد استعملت لفظة (الخَبّاز) مرة واحدة في نهج البلاغة[٣]، للدلالة على الخباز الذي يمتهن الخِبازة. وذلك في قوله (عليه السلام) في سياق حديثه عن صفة السّفلة من الناس وأوباشهم: ((**هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا غَلَبُوا، وَإِذَا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرَفُوا**))[٤]. وذكر السيد الشريف رواية أخرى لهذا النص، وهي قوله (عليه السلام): ((**وقيل: بل قال: هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا ضَرُّوا، وَإِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا. فقيل: قد علمنا مضرة اجتماعهم، فما منفعة افتراقهم؟ فقال: يَرْجِعُ أَصْحَابُ الْمِهَنِ إِلَى مِهَنِهِمْ، فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ، كَرُجُوعِ الْبَنَّاءِ إِلَى بِنَائِهِ، وَالنَّسَّاجِ إِلَى مَنْسَجِهِ، وَالْخَبَّازِ إِلَى مَخْبَزِهِ.**))[٥]. ويعقد الإمام في إجابته سؤال السائل - موازنة على نحو التشبيه بين اجتماع هذه الفئة من الناس وتفرّقهم، فاجتماعهم يؤدي إلى غلبة الأذى والضرر في المجتمع؛ لما فيه من البلاء والفتنة. كأنّ وجودهم في مكان ما يؤدي إلى المشاكل التي يحدثونها فيما بينهم، فضلاً عما يسببونه للناس من مشاكل أيضاً، وفي حين أنّ تفرّقهم يقود إلى إبعاد أذاهم عن الناس. مثلما يكون افتراق أصحاب المهن وانصرافهم إلى حرفهم منفعة للناس وفائدة؛ لأنهم السبب الذي ينتفع به الناس لما يقدمه أصحاب المهن من منافع تتعلق بصناعة البناء والعمران، ونسيج الألبسة وغيرها من الثياب، فضلاً

---

(١) ينظر: العين (خبز): ٤/ ٢١١، ولسان العرب (خبز): ٥/ ٣٤٤.

(٢) نفسهما.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٣٣.

(٤) ينظر: الديباج الوضي: ٦/ ٢٨٧٧، ونهج البلاغة: قصا / ١٩٩: ٦٣٩.

(٥) نهج البلاغة: قصا / ١٩٩: ٦٣٩.

عن عجل الخبز والغذاء وما يتعلق بهما. إن اجتماع هذا النوع من الناس، إنما يكون مصحوباً باللهو واللعب والمضرّة، فضلاً عن أنه يؤدي إلى إظهار كثرتهم وسوادهم، لأنهم - كما يقول (عليه السلام) - في موضع آخر من النّهج: ((**بوُجُوه لاَ تُرى إلاَّ عِنْدَ كُلِّ سَوْأَة**))[١]. فإنهم ليسوا أهلًا للستر والحلم، وإنما هم أصحاب سوء، فليس تجمعهم كتجمع أصحاب المهن والحرف الذين سخرّوا أنفسهم لخدمة الناس وتقديم المنافع لهم، فتعلّق لهم الرّزق والخير والنّماء، تحقيقاً لمبدأ (**العمل عبادة**). ولهذا نلحظ في كلام الإمام ضرباً من المدح والثناء على هذه المهن وأصحابها، ومنها مهنة (الخبّاز) التي توحي بالدلالة على صناعة الغذاء وعمل أرغفة الخبز، فضلاً عن تعامل صاحبها مع نعم الله تبارك وتعالى من أنواع الحبوب كـ(الحِنطة، والقَمْح، والشّعير).

دَارِي

الدَّارِيّ هو الذي لا يطلِب معاشاً ولا يبرح مكانه[٢]. فهو المُكتفي في عيْشه. أو هو رَبّ النَعم، وسُميّ بذلك؛ لأنّه مقيم في داره لا بث فيها، فَنُسِب اليها[٣]. والدَّارِيّ العَطَّار أيضاً، وهو المنسوب إلى بلْدة (دَارِيْن)، و هي فرضة بالبحرين فيها سوق كان يحمل اليها المسْك من الهند[٤]. وقد ذكر الأصمعي أنّ كسرى هو الذي أسماها بـ(دَارِين)،ومعناه: البلدة أو القرية العتيقة. وذلك أنّه سأل عنها فلم يجد من يخبره عنها، فقال: دَارين. أي عتيقة[٥]. ويفهم من هذا الكلام أنّ

(١) نفسه: قصا / ٢٠: ٦٣٩.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (درى): ٤/ ٤٦٩.

(٣) ينظر: ولسان العرب (دوى): ٤/ ٢٩٥.

(٤) ينظر: معجم البلدان: ٢/ ٤٣٢.

(٥) ينظر: المعرب: ١٩٥.

هذه الكلمة من الألفاظ الفارسية المعرّية التي دخلت لغة العرب، واستعملوها اسماً لهذه القرية من بلاد البحرين. وقد ارتضى الجواليقي أعجمية هذه اللفظة، فذكرها مع الألفاظ المعرّبة في كتابه(١). والدَّاريُّ -أيضاً- الملّاح الذي يلي شراع السفينة وإدارته(٢). وتبدو هذه الدلالة مأخوذة من (المداورة)، وهي - كما يذكر الزَّبيدي - كالمعالجة في الأمور(٣) ومعنى هذا أن الدّاري هو المعنى بإدارة أمور السّفينة ومداراتها، أي معالجتها بفطنة وحكمه ليضمن مسيرها في البحر بأمانٍ.

وجاءت لفظة (دَارِيّ) في نهج البلاغة مرة واحدة(٤). في سياق كلامه (عليه السلام) عن عجيب خِلْقَهِ الطاووس، مستدلاً بذلك على عظيم خلق الله جلَّ جلاله. يقول (عليه السلام): **((وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً الطَّاوُوسُ، الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيل، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيد، بِجَنَاح أَشْرَجَ قَصَبَهُ... إِذَا دَرَجَ إِلَى الأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ، وَسَمَا بِهِ مُطِلاًّ عَلَى رَأْسِهِ كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ...))**(٥).

وقد اختلف الشُرَّاح في دلالة مفردة (دَارِيّ) في كلام الإمام (عليه السلام) ويمكن إجمال دلالتها فيما يأتي:

أولاً: دلالتها على (الشِّراع الدُارِيّ).

وهو ضرب من الأشرِعة المنسوبة إلى بلدة (دَارِيْن) بالبحرين(٦)، وقد كانت هذه (الفُرْضَةُ) مختصة - فيما يبدو - بالاشتغال بأَشْرِعة السُّفن وقلاعها؛ إذ كانت

(١) نفسه.

(٢) ينظر: لسان العرب (دور): ٤/ ٢٩٥، وتاج العروس(دور): ١/ ٢٨٤٣.

(٣) ينظر: تاج العروس (دور): ١/ ٢٨٤٣.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٦٤.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ١٦٥: ٢٩٥.

(٦) ينظر: معارج نهج البلاغة: ١/ ٥٨٠، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦٦٦، ٦٦٧.

تؤخذ منها هذه الأجزاء الخاصة بالمراكب والسفن كما يذكر بعض الشُرّاح[١].

ثانياً: دلالتها على جالب العِطْر والمِسْك من مدينة (دَارِين).

وهذه الدلالة مأخوذة أيضا من اختصاص تلك البلدة بالطِيْب الذي يحمل إليها من الهند[٢]. ولعل هذا الأمر هو الذي دفع الشارح ابن أبي الحديد إلى عدّ مفردة (دَارِيّ) دالة على من كانت مهْنته جَلْب العِطْر من(دَارِيْن)[٣].

ثالثاً: الدلالة على (الملاّح) الذي يمتهن العمل في السُفُن وإدارتها.

وهذه الدلالة مأخوذة من المعنى المعجمي لهذه الكلمة، وقد أشرت اليها فيما تقدّم.

وأما الموقف من ترجيح تلك الدلالات، فيبدو لي أنّ جنوح بعض الشُرُّاحِ اليها، كان بسبب من السياق التاريخي، وهو اختصاص تلك البلدة بالأشْرعة والقِلاَع، وإرْسَالها إلى بقية المدن والأمصار. ولعل هذا الأمر هو الذي دفع الشارح البحراني الذي يُعَدّ من أبناء البحرين، وهو يعرف - كما يبدو - بأنواع التجارة التي تمارس في بلدة (دَارِيْن) وغيرها من فُرَض بَلده. والأمر نفسه يصْدُق على الدلالة الخاصة (بجالب العِطْر والمِسْك)؛ لأنّهم ذكروا اشتغال تلك البلدة بتجارة الطِيب. وهو معني يجئ بالمرتبة الثانية بعد المعنيين المتقدمين. وثَمَّة أمر آخر دفع الشُرَّاح إلى اختيار الدلالة الأولى، وهو (التركيب النحوي)؛ فإنّ دلالة الاضافة بين (قِلْعُ) و (دَارِيِّ) هو الذي انتج معنى: (الشِّراع المصنوع أو المنسوب في صناعته إلى (دَارِيْن)؛إذ توحي الإضافة المتقدمة بنسبة القلاع إلى بلدة (دَارِين)

(١) ينظر: الديباج الوضي: ٣/ ١٣٦٥.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٣/ ١٩٣.

(٣) نفسه.

المعروفة. ومما يقوي ذلك، السياق التاريخي الذي ذكرته آنفاً، فضلاً عمّا ذكره البحراني من أنّ الإمام إنما خصّ هذه البلدة بالذكر؛ لأنها كانت المرْسى القديم في زمانه (عليه السلام)،عندما كانت بلدة معمورة[١]. مشيراً إلى أنها الآن – يقصد في عصره هو، في القرن السابع الهجري – بلدة أثريّة لا عمارة فيها ولا سكنى[٢].

أمّا الدلالة الثانية، فيبدو أنها بعيدة عن المعنى العام للنص، فلو قدّرنا معنى الإضافة في قوله (قِلْعُ دَارِيّ) بـ(شِراع جالب العِطْر من دَارِين)، أو بغيره من التقديرات القريبة؛ لظهر لنا بُعد المعنى الذي أعتقد أن الإمام قصد أن يصورّه من خلال الموازنة بين صورة شراع السفينة الذي يُحركُه النُّوتي، وبين حركة الطاووس الذي ينشر جناحه ويرفعه بسموٍ فوق رأسه كأنّه (قِلْعُ دَارِيّ عَنَجُهُ نونيّهُ...).أمّا الدلالة الثالثة، وهي دلالة لفظة (دَاري) على الملاّح الذي يُدْير المركب أو السفينة، فيبدو أنها تناسب السياق، وتركيب الإضافة في(قِلعُ دَاريٍّ)،الذي يمكن تقديره بـ(شراع مَلاّحٍ عَنَجُهُ نُوْنيُّه...). فإن كانت مفردة(دَارِي) تدل على (المَلاّح) الذي يلي شراع السفينة وإدارته، ويعالج هذا (القِلْع) ويدور به حيثما جرت الريح، لأجل ضمان جريانها في البحر بأمانٍ. أقول: فإن كان (الدارِيّ) هو الملاّح، كما يقول المعجميون، فهذِهِ دلالة عامة؛ لأنّ الملاّحة مِهنة تطلق على الكثير من الأشخاص الذين يؤدون عملاً هاماً في المراكب والسفن. ولهذا خَصَّ اللغويون دلالة لفظة (مَلاّح) بأنه النّوتِيّ، أو صَاحِب السفينة الذي يتعهد أمرها أمروجريانها في الماء المِلْح[٣]. ومن هذا الكلام أُرجِّح أنّ المراد من مفردة (دَارِيّ) هو الملاّح الذي يتعهد أمر السفينة وجريانها في الماء. واعتقد أنّ الإمام (عليه السلام) جعل مفردة (دَارِي)

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦٦٧.

(٢) نفسه.

(٣) لسان العرب (ملح): ٢/ ٢٩٩.

دالة على الذي يُدبر دَفة السفينة ويحركها بالاتجاهات كلها مجاراة للريح. ومن ثَمّ يجيء دور (النّوتي) الذي يساعد (الدّاري) في عمله وذلك بتوجيه الأشرعة حيثما جرت الريح. ولهذا قال الإمام ((**قِلْعُ دَارِيّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ...**)). أي: جذبه النّوتيّ، وهو الذي يتمايل مع الشراع الذي تحركه الريح.

ويمكن أن يكون (الدَّارِيُّ) هو الذي يُمْسَك حبل الشِّراع عند اشتداد الريح لئلا ينكسر، وهذا العمل يشترك في أدائه النَّوَّات أيضاً.

المتَرَفّق

المُتَرَفّق المُتَطَبِّب[١]. وهو الطبيب[٢]. وقد استعمل الإمام هذه المفردة مرة واحدة في كلامه الوارد في نهج البلاغة[٣]، للدلالة على المتكسّب بعمله وجهد بدنه وجاء هذا الاستعمال في سياق وصيته (عليه السلام) لعامله (مالك الأشتر) يوصيه فيها: ((**بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ، وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً: الْمُقِيمِ مِنْهُمْ، وَالْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ، وَالْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ...**))[٤]. ويلحظ أنّ الإمام قد استعمل مفردة (المُتَرَفّق) في سياق يخص طبقة التّجار وأصحاب الصناعات. وبهذا نقل المفردة المتقدمة من دلالتها المعجمية، وهي الدلالة على المتطبِّب الذي يترفق ببدنه على مرضاه ساعياً إلى الرفق بهم. فتجاوز(عليه السلام) هذه الدلالة، وضرب عنها صفحاً ومنحها دلالة جديدة،هي الدلالة على العامل الذي يبذل جهده وينهك بدنه في العمل؛ لأجل كسب رزقه وتحصيل قوته. ولم يذكر المعجميون هذه الدلالة التي انفرد بها الإمام.

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (رفق): ٩/ ١٠١.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٩٢.

(٤) نهج البلاغة: ك/ ٥٣: ٥٥٩.

ويبدو أنّ إغفال المعجميين للدلالة المتقدمة راجع إلى عدم استقرائهم كلام الإمام الذي ضرب عنه المعجميون صفحاً ولم يطّلعوا الاّ على جزء يسير منه.أقول: ومما يدعم الدلالة المتقدمة ما ذكره الشُّرَّاح من أن المراد بـ(المُتَرفق ببدنه)،هم أرباب الصناعات، والذين يؤجّرون أنفسهم للمنافع العظيمة من الرعاية أو حفظ الموال وغير ذلك مما يتطلب جهداً بدنياً وقوّة[١]. ومما يؤكد هذا المعنى ويدعمه الرواية التي نقلها الشارح ابن أبي الحديد في قول الإمام(المُتَرَفّق بِبَدَنِه). فقد روي(بيَدِهِ) بدلاً من(ببَدَنه)[٢]، كأن (الترّفق) يناسب العمل وبذل الجهد باليد والانتفاع بها، فأكثر أعمال المحترفين وذوي الصناعات تكون بأيديهم[٣].

نوتيه

النُّوتي في اللغة الملاّح الذي يُدبّر السفينة في البحر[٤]. ويبدو أنّ هذا المعنى مأخوذ من دلالة مادة (نَوَت) على التمايل من النُّعَاس. يقال: نَات يَنُوت، وذلك إذا تمايل من النُّعَاس والضَّعْف. والنّوْتيّ هو الذي يُمِيل السّفينة من جانب إلى جانب[٥]، كأنّه يُميْلها كما يتمايل الضعيف أو الناعِس. و(النّوتِي) كلمة شاميّة يتكلم بها أهل الشّام[٦]. وقد استعملت لفظة(نُوْتِيّه) في نهج البلاغة مرة واحدة[٧]. دالة على الملاّح الذي يقود السفينة في البحر بجذب أشرعتها وتوجيهها حيثما جرت

(١) ينتظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٧/ ٦٥، والديباج الوضي: ٥/ ٢٥٦٥.

(٢) أنفسهما.

(٣) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٢٥٦٥.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (نوت): ١٤/ ٢٣٢، ولسان العرب (نوت): ٢/ ١٠١.

(٥) ينظر: لسان العرب (نوت): ٢/ ١٠١.

(٦) نفسه.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٦٠.

الريح، وهو - بهذا - يدبِّر أمر السفينة. يقول (عليه السلام) في سياق وصفه الطاووس: **((وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً الطَّاوُوسُ،... نَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيد، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ، وَذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ. إِذَا دَرَجَ إِلَى الأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ، وَسَمَا بِهِ مُطِلاًّ عَلَى رَأْسِهِ كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ))**[1]. وقد فسرّ السيد الشريف الرضي النُّوْتي بالملاّح[2]. فالنوتي يقوم بجذب شراع السفينة ويعطفه؛ كيما يسرِّع السفينة أو يقلل من جريانها بحسب اتجاه الريح.وفي تعبيره (عليه السلام) إشارة إلى تحكّم (الطاووس) بأنثاه، ومحاولة جذبها إليه بنشر جناحه مثلما ينشر النوتي جناح السفينة عندما يريد الإبحار بها، فضلاً عن مقدرته من التحكم بها بوساطة تحريكه حسبما تتجه الريح، فلهذا شبّه الإمام حركة جناح الطاووس ورفعه إلى فوق رأسه إيماء منه لأنثاه بدرْجه إليها، لتستجيب له.

راقعها

التّرقِيع ضرب من العمل المختص بإصلاح الثياب، ويكون ذلك أن بترقيع المواضع التي أنهجت من تلك الثياب[3]. ويطلق على القائم بهذا العمل (رَاقِع)[4]. والرَّاقع هو الذي يرقع الثوب، والأديم بالرِّقاع. ورقّعه. أي الحْم خرقهُ[5].

وقد استعمل الإمام علي مفردة (راقِعِها) مرة واحدة في نهج البلاغة[6]،

---

(١) نهج البلاغة: خ/ ١٦٥: ٢٩٥، وقد ورد النص في النهاية في غريب الحديث: ٥/ ١٢٢٨.

(٢) نفسه: ٣٠١. وقد ذهب أكثر الشرّاح إلى تفسير مفردة (النوتي) بـ(الملاح). ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ٢٠٦.

(٣) ينظر: الصحاح (رقع): ١/ ٢٦٥.

(٤) ينظر: العين (رقع): ١/ ١٥٧.

(٥) ينظر: لسان العرب (رقع): ٨/ ١٣١.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٩٣.

للدلالة على رَاقِع المَدَارع والثياب، وهي مهنة يتخذها نفر من المشتغلين بالحرف اليدوية. وقد ذكر الإمام هذه اللفظة في سياق كلامه عن زهده وتقواه، الذي يقول فيه: ((**واللهِ لَقَدْ رَقّعْتُ مدْرعَتي هذهِ حتّى اسْتَحْيَيْتُ مِن رَاقِعِهَا...**))[1].

القَائِف

القَائِف هو الذي يقتفي الآثار ويعرفها[2]. وقد وردت لفظة (القَائِف) بوزن (فَاعِل) مرة واحدة في نهج البلاغة[3]، للدلالة على المتتبّع للأثر. وذلك في سياق كلامه (عليه السلام) عن الفتن والملاحم ومن يدركها من أهل البيت (عليهم السلام)، فيكون فيها سراجاً منيراً لا يمكن تتبع أثره:((... **أَلاَ وَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاج مُنِير، وَيَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ، لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقاً**[4]**، وَيُعْتِقَ رِقّاً، وَيَصْدَعَ شَعْباً**[5]**، وَيَشْعَبَ صَدْعاً، فِي سُتْرَة عَنِ النَّاسِ لاَ يُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثَرَهُ وَلَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ**))[6]. والنص كما يبدو - خاص بالحديث عن الإمام المهدي (عليه السلام). وهو ما اختاره الشارح ابن أبي الحديد[7]. فاستعمل الإمام له لفظ (السرِّاج)، للدلالة على كمالات نفسه (عليه السلام) وتفريقه بين الحق والباطل؛ لأنّ الفتن التي تحصل في زمنه لا توقع له شبهة، ولا تؤثر في عقيدته، فضلاً عما يقوم به من إصلاح في

(١) نهج البلاغة: خ / ١٦٠: ٢٨٥.

(٢) ينظر: العين (قفو): ٥/ ١٥٢، وتهذيب اللغة (قفو): ٩/ ٢٤٩.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٨٣.

(٤) الرِّبق الحبْل الذي يربط به. ينظر: لسان العرب (ربق): ١٠/ ١١٢.

(٥) الشعْب الجمع والتفريق والاصلاح والإفساد. وهو من ألفاظ التضاد الدالة على الشيء وضدّه. ينظر: لسان العرب (شعب): ١/ ٤٩٧.

(٦) نهج البلاغة: خ/ ١٥٠: ٢٦١.

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ٩٨، ومنهاج البراعة: ٩/ ١٢٩.

المجتمع، فيحل ما انعقد فيه من إشكالات وشُبَه تكون في الناس، ويلم شعت ما أنشعب من أمور الدين والناس[١]. وقد عبرّ الإمام عن استتار المهدي (عليه السلام) بمفردة (سُتْرة). والمراد بها الدلالة على احتجابه عن الناس وخفائه عليهم. ولّما أراد الإمام الإشارة إلى عدم معرفة الناس والظالمين الإمام المهدي من أهل البيت، استعمل مفردة (القَائِف) الدالة على العارف بالآثار المتتبّع لها. كأنّه يشير بذلك إلى أنّ أكثر الناس فطنة وتتبعاً في هذا المجال يعجز عن التعّرف على الإمام، أو حتى يعرف نسبه؛ لأنّ (القَائِف) هو الذي يعرف شبه الرّجل وأخيه[٢]. ولكن الإمام غيرّ من دلالة هذه المفردة، ونفى -عن هذا الضرب من الناس- الفراسة والمعرفة الخاصّة بتتبّع آثار المهدي من آل البيت (عليهم السلام). إلاّ من أراد الله جل جلاله اطلاعه على ذلك. ويحتمل أن يكون المراد بلفظة (القَائِف) الدلالة على الجواسيس من عيون السلطة الحاكمة التي كانت تتبّع الإمام المهدي (عليه السلام) في محاولة للقضاء عليه. وبهذا يكون الإمام علي قد وسّع من دلالة اللفظة المتقدمة ونلقها من مجالها الدلالي المعروف إلى مجال آخر مخصوص بالجانب الأمني الإخباري، فتنحط بذلك دلالتها؛ لارتباطها بمجال السّعي والوشاية بالأئمة.وفي مقابل ذلك تتضمن المفردة الدلالة على عدم معرفة الناس بأحوال الأئمة (عليهم السلام)، والتبصُّر بمواقفهم واقتفاء نهجهم في الإيمان بالله تبارك وتعالى، والوصول إلى درجتهم التي وصلوا اليها عند الله من خلال التقوى والطاعة وتهذيب النفس، فضلاً عن جهل الناس بهم وبحقهم في قيادة الأمة الإسلامية، فما زالوا مغمورين في الناس تعرف أشخاصهم ولا تعرف حقوقهم ومنزلتهم حق المعرفة بين الناس[٣].

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦١٢.

(٢) ينظر: المحكم (ستر): ٨/ ٤٦٥.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦١٢.

المبحث الثالث

ألفاظ طبقة النساء و الأرامل

النساء

النّساء في اللغة جمع امرأة[١]، وهي من الألفاظ التي ليس بلها واحد من لفظها[٢].

وقد وردت لفظة (النساء) في نهج البلاغة عشرين مرة[٣]. بصور متعددة دلت جميعا على المرأة، غير أنّ الإمام (عليه السلام) فرق - في استعماله لهذهِ اللفظة- بين (النساء) اللواتي بهنَّ ضَرّب من ذميم الخِصَال، وبين (النساء) اللواتي هن خير النساء. وهذه الأخيرة تنفرد بها واحدة من النساء فحسب، وهي السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) كما سيجيء ذكره. فأمّا (ذمُّ النساء) عند الإمام في نهج البلاغة، فكثير شائع، ومن ذلك قوله في (ذَمِّ النساء) بعد فراغه من (حرب الجَمَل): ((**مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الإِيمَانِ، نَوَاقِصُ الْحُظُوظِ، نَوَاقِصُ الْعُقُولِ: فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلاةِ وَالصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ، وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ مِنْهُنّ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ، وَأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الأَنْصَافِ مِنْ مَوارِيثِ الرِّجَالِ؛ فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ، وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَر...**))[٤]. فقد وظّف (عليه السلام) مفردة (النساء) في هذا السياق دون لفظة أخرى تدل عليهِنّ كلفظة (نِسْوَة) مثلاً؛ بسبب من شيوع لفظة (النساء) وكثرتها في

(١) ينظر: تاج العروس (نسو): ٤٠/ ٦٩.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٤٠.

(٤) نهج البلاغة: ح / ٨٠: ١١٨.

الاستعمال فيما يبدو فضلاً عن أنّ هذه المفردة تمثل لفظ الجمع لكلمة(امرأة) كما يذكر اللغويون[١]. فاستغنى (عليه السلام) بها عن غيرها من الألفاظ، ولكنه لمّا أراد التعبير عن التثنية في لفظ (النساء) عدل إلى مفرده (امْرَأَتَيْنِ) وذلك في حديثه عن (شهادة النساء)؛ لأنها ألْيق بالتعبير المراد، فضلاً عن أن القرآن الكريم استعمل الكلمة المتقدمة في التثنية دون غيرها من الألفاظ الدالة على المرأة. لهذا مالَ أمير المؤمنين - كما يبدو - إلى محاكاة القرآن في استعمال لفظ (امْرَأَتَيْن)؛ ليناسب الحديث عن حظ المرأة من الميراث الذي ورد في القرآن الكريم[٢].ويبدو أنه أراد بيان أنّ الخصال المذمومة التي يذكرها في قوله شائعة في النساء، وشيوعها هذا يعني غَلَبَها على المرأة، حتى أصبحت من الصفات التي تتصف بها أكثر(النساء)، وقد أشار اللغويون أنّ لفظ (النِّساء) يستعمل للجمع الكثير. فإنهم يقولون (نِسْوُة)، فإنْ أريدت الكثرة، قيل (نِسَاء)[٣]. وبالرجوع إلى قول الإمام في المرأة، فإنّه وصفها بأوصاف أشار إليها القرآن الكريم، من حيث الأحكام الخاصة بطبيعة المرأة أيّام (حَيْضها) و (نفَاسِها) وكذلك عن حكم (شهادتها)، وحقها من الميراث مقارنة بالرُّجُل. إن شرح موقف (عليه السلام) من المرأة، وما ورد بشأنها من كلام في نهج البلاغة بشأن المرأة لا يعني أنّ أمير المؤمنين حاقد على المرأة أو على النساء كما ذكر الدكتور إبراهيم السَّامرائي الذي ذهب إلى ذلك قائلا: ((كأنَّ رأي الإمام علي في (المرأة) ونيلِه من مكانتها يتأتي قبل كل شيءٍ مما جرى له في حرب الجمل، وما

---

(١) ينظر: تاج العروس (نسو): ٤٠/ ٦٩.

(٢) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ القصص/ ٢٣.

(٣) ينظر: تاج العروس (نسو): ٤٠/ ٦٩.

كان لعائشة من دور بارز فيها... فقد عمّت كراهية علي للنساء عامّة...))[١]. فإنّ الدكتور إبراهيم السَّامرائي لم يفهم موقف الإمام من (المرأة)، بل إنه لم يقرأ ذلك قراءة موضوعية ليخرج بنتائج لهذا الرأي الذي تكلم به أمير المؤمنين عن النساء بصورة خاصة وعامّة؛ فالإمام لا يتناها إليه الحقد والكُرْه الذي يكون في نفوس الناس عامّة، ولو كان الأمر كذلك لجاز ذلك على النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) الذي له أقوال في (ذمِّ النساء)[٢]. وهل يكِنّ النبي (صلى الله عليه وآله) عداءً وكرهاً للمرأة عامّة، لما مّر به من مَوْقف (حَمَّالَة الحَطَب)[٣] معه مثلًا؟. وهل يكون موقفه هذا عامّاً بحيث يشمل جميع النساء حتى المعصومات منْهُن ؟ إن موقف النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، ومن بعده موقف الإمام علي من النساء هو موقف القرآن نفسه الذي أشار إلى بعض خصال النساء وطبائعهنّ، فذكر منهن من كانت رمزاً للخير مثل زوجة (فرعون)، ومن كانت رمزاً للشر والفتنة، مثل زوجة (نوح) (عليه السلام)، وزوجة (لُوْط)(عليه السلام)، وهُنَّ من أزواج الأنبياء[٤].أمّا كون الإمام قد نال من المرأة ومكانتها بسبب من

(١) مع نهج البلاغة: ١٧، ١٨.

(٢) من ذلك – مثلًا قوله (صلى الله عليه وآله): ((أُريتُ النَّارَ، فَإذا أكْثَرُ أَهْلِها النِّساءُ يكْفُرونَ بالله ؟ قال: يكْفُرونَ العشير، و يكْفُرونَ الإحْسَانَ لو أحْسَنْتَ إلى إحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثم رَأتْ منْكَ شيْئاً. قالت ما رَأيْتُ مِنكَ خَيْراً قطُّ)). صحيح البخاري: ١/ ١٩.

(٣) وهي (أُمُّ جميل) أخت أبي سفيان بن حرب، التي كانت تحمل الأوزار بمعادات الرسول (صلى الله عليه وآله) هي وزوجها، إذ كانا يقومان بإيذاء النبي، وإلقاء حُزُمِ الشّوك والحَسَكِ في طريقه، فإنها كانت تلقيه ليلاً في طريق رسول الله (صلى الله عليه وآله). فسّماها القرآن الكريم (حَمَّالَةُ الحَطَبِ) في قوله تعالى: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ**﴾ المسد / ١-٥، وينظر: تفسير البيضاوي: ٥/ ٥٤٥، والتفسير الكبير: ٣٢/ ١٥٧.

(٤) وقد سرد القرن الكريم قَصص أولئك الأنبياء (عليهم السلام) مع أزواجهم. في غير موضع من الذكر المبارك.

موقف أمِّ المؤمنين (عائشة) معه في (حرب الجَمَل)؛ فهذا لا يعني معادة الإمام لها، وهو الذي يُوصى أصحابه في الحروب بأن لا يُهيْجُوا النسَاء بأذى حتى وإن شَتمن أعراض جُنْده؛ لأنّ ذلك خلاف الرأفه والرحمة. وذلك قوله (عليه السلام): **((ولاَ تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذىً، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ، إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفِهْرِ أَوِ الْهِرَاوَةِ فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ))**[(١)].

فيكون موقف الإمام من السيِّدة (عائشة) هو موقف القرآن الكريم نفسه الذي أمر نساء النبّيّ بأنْ يقرن في بيوتهن، لأنهُّن لَسْن كأَحد من النِّساء. يقول تعالى: ﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[(٢)]. فلهذا آثر الإمام النهج القرآني في التعامل مع السيدة(عائشة)؛ لأنها(أم المؤمنين)، وليست امرأة عادية، ولو كان غيرها فعل ذلك من نساء النبي لكان موقفه منها مثل موقفه معها ولعلّه المح بذكر لفظ (النِّساء) في قولته- السالفة الذكر- إلى الآية القرآنية المباركة المتقدمة فيكون هذا التوظيف لمفردة (النساء) من باب الإشارة إلى ما أراده القرآن الكريم من حفظ لنساء النّبِي وصون لهن. وما جاء فيهن من أحكام.

---

(١) نهج البلاغة: ك / ١٤: ٤٧٢.

(٢) الأحزاب: ٣٣، وينظر: الآية / ٣٠ من السورة نفسها.

ورغبة عن الاطالة في هذه المسألة، وشرح موقف الإمام من (النساء) في نهج البلاغة، فقد تكفَّلَتْ الدكتورة نجوى صالح الجواد، بدراسة هذه القضية وتفاصيلها بقراءة خاصة بالمرأة في نهج البلاغة، من خلال استعراض تأريخي لمكانة المرأة في الإسلام فكر الإمام علي (عليه السلام) بشكل واف شاف يغنينا عن التوسع في هذا الأمر[١]. أمّا المواضع التي وردت فيها لفظة (النساء) في سياق الذَّمِّ في نهج البلاغة، فهي (خ/ ١٥٣، ١٥٦، ك / ٣١). وقد جعل الإمام (عليه السلام) السيِّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) رمزاً لخَير النِّساء، وذلك في سياق موازنته بين ذرّية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين آل أبي سفيان. يقول الإمام: ((... **وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينِ وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ**...))[٢]. و النص يظهر الموازنة بين خير نساء العالمين، وهي السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وبين (أُمِّ جميل) أخت أبي سُفْيَان وزوجة أبي لهبٍ التي كانت تضع الشوك والحسك في طريق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فشتان بين هذه وتلك.

امرأة

المرأة - في اللغة - تأنيث امرئ كما يذكر اللغويون[٣]. وقد استعملت اللفظة المتقدمة في نهج البلاغة ست عشرة مرة[٤]، مراداً بها المرأة وهي نقيض الرِّجل وضِدّه في اللفظ والمعنى. ومن استعمال هذهِ المفردة في نهج البلاغة قوله (عليه السلام) في سياق ذَمِّ غيْرَة المرأة:((**غَيْرَةُ الْمَرْأَةِ كُفْرٌ، وَغَيْرَةُ الرَّجُلِ إِيمَانٌ**))[٥].

(١) ينظر: تفصيل ذلك في: المرأة في نهج البلاغة: ١٨٣ وما بعدها.

(٢) نهج البلاغة: ك / ٢٨: ٤٩٠.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (مرأ): ١٥/ ٢٠٥، ومقاييس اللغة (مرأ): ٥/ ٣١٥، ولسان العرب (مرأ): ١/ ١٥٦.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٢٠.

(٥) نهج البلاغة: قصا / ١٢٤: ٦٢٤.

والنص موازنة بين غَيْرَتَيْن، الأولى غيرة المرأة، والثانية غَيْرة الرّجل. وقد جعل (عليه السلام) غَيْرة المرأة كُفْراً؛لأنّ الغَيْرَة قد تؤدي بها إلى استعمال السِّحر مثلا وهو كُفْرٌ[1]، وربما قادها التضجُّر والقلق إلى أنْ نَسَخَّط وتشم وتتلفظ بالفاظٍ تكون كفراً[2].

وذهب الشارح البحراني إلى أنّ علّة وصف الإمام لغيرة المرأة بالكفر، راجع إلى أنها تُحرّم ما أحلّ الله عزّ وجلّ للرجل من الزواج بأخرى غير امرأته الأولى، وهذا التحريم لما أحلّه الله تعالى لا محالة من الكفر، في حين أن غَيْرَة الرجل على زوجته تستلزم سخطه لما سخط الله عليه من اشتراك رجلين في امرأة واحدة، والسخط لما سخط عليه الله موافق لمرضاته جل جلاله[3].

إنّ قول الإمام (عليه السلام) في غَيْرة المرأة راجع إلى طبيعة المرأة نفسها، وهي الطبيعة التي جُبِلت عليها من كونها تحب أن تستأثر بزوجها، وتمنع امرأة غيرها أن تشاركها فيه، على الرغم من أن ذلك مُحلل في الشّرْع. وهذهِ الفكرة ارتكز عليها ابن أبي الحديد في تَفرقَته بين (الرُّجل والمرأة) في هذا المجال، فجعل الفارق بينهما راجع إلى (العَقْل والتماسك)، فالرُّجل - عنده - أَعْقَل وأشدُّ تماسكاً من المرأة، ولهذا كانت غيْرته في موضعها، وصارت بذلك واجبة عليه، اعتماداً على قاعدة وجوب النهي عن المنكر، في حين أن المرأة أنقص عقلاً وأقل صُبراً؛ ولهذا صارت غيرتها وَهم وباطل. ولهذا سّماها الإمام (كفراً) لمشاركتها الكفر في القُبح، فأجرى عليها اسمه[4]. وهذا الوجه الذي ذهب إليه الشارح مقبول، مع ما يحمله من

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (أبن ابي الحديد): ١٨/ ٢٥٠.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٢٩.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ابي الحديد): ١٨/ ٢٥٠.

دلالة على نقصان العقل في النساء وقلة الصبر فيهن. وقد ورد استعمال لفظ (المرأة) بالدلالة المتقدمة في (خ/ ١٣، ٢٧، ٧١، ٨٠، ٩٧، ك/ ١٤، ٣١، قصا/ ٦١، ١٣٦، ٢٣٤، ٢٣٨).

أنثى

الأُنثى خلاف الذّكر من كُلِّ شيء[١] والجمع إناث[٢].

وقد وردت لفظة (الأُنثى) ثلاث مرات في نهج البلاغة، في حين وردت لفظتا (أُنثاه)، و (الإناث) مرة واحدة[٣] واستعملت هذه الألفاظ للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على الإناث من النساء.

ومن ذلك قوله (عليه السلام) متحدِّثاً عن علم الله تبارك وتعالى بقوله: ((... **فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ**...))[٤]. والنص بيان لاستئثار الله جل جلاله بعلمه بما في الأرحام من ذكر أو أنْثى من الأجناس، والنص خاص ببني الإنسان. ومثله ما ورد في (خ/ ١٨٢، قصا / ٩٣).

ثانياً: الدلالة على أنثى الطاووس.

واستعمل الإمام هذه الدلالة في سياق حديثه على طريقة نَشْرِ الطاووس جناحه وذَيله حين درجه إلى أُنْثَاهُ. ((... **وَذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ. إِذَا دَرَجَ**[٥] **إِلَى الأُنْثَى**

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (إنث): ١٥/ ١٠٦، ولسان العرب (أنث): ٢/ ١١٢.

(٢) ينظر: لسان العرب (أنث): ٢/ ١١٢.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لإلفاظ نهج البلاغة: ٣٩.

(٤) نهج البلاغة: خ /١٢٨: ٢٣٥.

(٥) دَرَجَ أي: مشّى ومضى اليها. ينظر: لسان العرب (د. ج): ٢/ ٢٢٦.

نَشَرَهُ[١] **مِنْ طَيِّهِ**[٢] **...))**[٣].

والنص وَصْفٌ لنشر الطّاووس الذّكَر جناحه وذنَبه عندما يمضي إلى أُنْثاه محاولة منه لإغوائها، وإغراءً لها. ونظير هذه الدلالة المفردة (أنثاه) جاءت في (خ/ ١٦٥) أيضاً.

الحامل

الحَمْل - بالفتح - ما يُحْمَل في البِطْنِ من الأولادِ في جميع الحيوان[٤]. ومنه حَمل المرأة بولدها[٥].

قال تعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ...**﴾[٦].

وجاءت لفظة (الحامل) مرتين في نهج البلاغة في حين استعملت لقطة (حُمَلتْ) مرة واحدة فقط[٧]. كلاهما للدلالة على حَمَلِ المرأة الجَنْيَن في بطْنِها. يقول الإمام (عليه السلام) في سياق أهل العراقِ بالمرأةِ الحامِلِ التي تتُمّ حَمْلَها، ثُمَّ تُسْقطهُ: ((**أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ العِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الحَامِلِ، حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ..**))[٨].

---

(١) النَّشْر، بالسكون، الريح الطيّبة أصلًا، ثم صار دالًا بَسْط الشيء. ينظر: لسان العرب (نشر): ٥: ٢٠٨

(٢) الطَّيّ خلاف النَّشْر: وهو الهيئة التي يطوى عليها الشيء. ينظر: لسان العرب (طوي): ١٥/ ١٨.

(٣) نهج البلاغة: خ / ١٦٥: ٢٩٥.

(٤) ينظر: لسان العرب (حمل): ١١/ ١٧٨.

(٥) نفسه

(٦) لقمان / ١٤، وينظر: الاحقاف / ١٥.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ البلاغة: ١٢٦.

(٨) نهج البلاغة: خ/ ٧١٠: ١٠٩.

وتشبيه الإمام (عليه السلام) لهؤلاء القوم بالمرأة الحامل، إشارة إلى ظفرهم يوم معركة (صفِّين) على جيش معاوية، ولكنهم لمّا تراءت لهم المصاحف على رماح الأمويين، ودعوتهم إلى التحكيم، فظهرت على أهل العراق الفُتْرة، واستبدلوا الفتح والنُّصْر بالدعة والرّكون إلى الخديعة التي صنعها معاوية، فشبههم الإمام بالمرأة التي تظهر عليها علائم الحَمْل بالولد، فتصير حاملاً. وتلْبث هذه الحامل مترقّبة لإتمام حَمْلها، حتى تبلغ مرحلة الولادة، فتسقط ولدها عن عمد[١]، وهو ما أطلق عليه الإمام (عليه السلام) **(أَمْلَصَتْ)** والإملاَصِ في اللغة هو القاءُ المرأة الحامل ولَدها سقاطاً لغَيْرِ تَمامٍ[٢]. والدلالة نفسها التي سيقت لها لفظة (حامل) جاءت في (ك/ ٢٤).

حيضهن

الحَيْض معروف[٣]، وهو خروج الدّم الأحمر من المرأة في أيام معلومة[٤]. وقد ذكر اللغويون انّه سمّي (حيضاً)؛ من قولهم (حَاضَ السَّيْلُ) إذا فاضَ[٥]. والحَيْضُ هو سَيْلُ الدَّمِ من المرأة[٦] هو الدُّم نفسه[٧].

ولفظة (حَيْضِهِنَّ) من مفردات نهج البلاغة، التي استعملها الإمام (عليه السلام) مرة واحدة[٨]، للدلالة على الأيّام التي تقعد فيها المرأة عن الصلاة والصيام؛

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦/ ١٠١.

(٢) ينظر: لسان العرب (ملص): ٧/ ٩٤.

(٣) ينظر: العين (حيض): ٣/ ٢٦١، ولسان العرب (حيض): ٧/ ١٤٢.

(٤) ينظر: مقاييس اللغة (حيض): ٢/ ١٢٤.

(٥) ينظر: لسان العرب (حيض): ٧/ ١٢٤، وتاج العروس (حيض): ١٨/ ٣١٢.

(٦) ينظر: القاموس المحيط (حيض): ٨٢٦.

(٧) ينظر: المحكم (حيض): ٣/ ٤١٧.

(٨) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٣٠.

بسبب من رؤيتها الدّم فيها. وقد جعل أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه الظاهرة علة في نَقص إيمان النساء. إذ يقول في سياق ذمّهن: ((**مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الْإِيمَانِ، نَوَاقِصُ الْحُظُوظِ، نَوَاقِصُ الْعُقُولِ: فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ**...))[1]. لمّا كانت الصلاة والصيام من كمال الإيمان ومتمماته، لهذا كان العقود عنها وعدم أدائها من نقصان إيمان الإنسان ولهذا كانت النساء ناقصات الإيمان من هذا الوجه[2]، بسبب من عدم أدائِهنَّ تينك العبادتين في أيّام حَيْضِهنَّ. وإنما رَفعُت الشريعة التكليف عن النساء أيّام الحيْض لأنّهُنَّ يكُنَّ في حالةِ مُسْتَقْذَرَةٍ، لا يتأهَلْنَ معها للوقوف بين يدي الله تبارك وتعالى[3]. ولهذا أسماه القرآن الكريم (أَذىً)، وأمر باعتزال النساء في تلك الايّام. يقول تبارك وتعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ**...﴾[4].وقد ذكر المفسرون أن أهل الجاهلية كانوا إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها، ولم يشاربُوها ولم يجالِسُوها على فراشٍ ولم يساكنُوها، وكان اليهود يفعلون ذلك أيضاً، فلّما نزلت الآية المباركة المتقدمة أعلمهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنّهم إنما أُمروا باعتزال مجامعتهن وليس تركُهنّ أو إخراجهن من البيوت[5]. وإمّا أثر الحَيْض على النساء في الصوم، وعلّة إفطار المرأة عند رؤيتها الدّم، فقد ذكر أنّ (الحَيْض) يزيد في ضَعْفِ المرأة علاوة على ضَعْفها بدنها عند الصوم[6]،

(١) نهج البلاغة: خ/ ٨٠: ١١٨.
(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٦٨.
(٣) نفسه.
(٤) البقرة/ ٢٢٢.
(٥) ينظر: الكشاف: ٢٩٢١، ٢٩٣.
(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٦٨.

فلهذا أُمرت النساء في الإسلام بترك الصلاة والصيام، واجتناب دخول المساجد، ومسِّ المصحف الشريف مُدّة حَيْضها(١)، فضلا عن أحكام أخرى ذكرها الفقهاء في مدوناتهم الفقهيّة.

الأرملة

أصل الأَرْملُ والأرْمَلة في اللغة الفقيْر الذي لا يقْدر على شيء رجلاً كان أو امرأة(٢). والأَرامِلُ المساكيْنُ من النساء والرجال(٣).

ويبدو أنّ هذه الدلالة مأخوذة من قلّة سقوط المطَرِ على الأرض، مما يؤدي إلى المحْلِ. فالعرب تقول: عامٌ ارْملٌ، وسنةٌ رَمْلاءُ، اذا كان قليل المَطَرِ(٤) ثُمّ قيل للمرأة التي لا زوجَ لها أَرْملة، كما يقولون للرجل الذي لا امرأة له أَرْمل(٥). والعرب لا تقول للمرأة المؤسَرة التي لا زوج لها أَرْملة(٦). لأنها غنية مكتفية. وصارت لفظة (الأرْملة) تطلق على المرأة التي مات عنها زوْجُها(٧)، وقد سُميِّتْ بذلك؛ ((لذهاب زادها وفقْد كاسبها، ومن كان عيشها صالحاً به. من قول العرب: أرْمَلَ القَوْم... إذا ذهب زادهم))(٨) وبحسب هذا الكلام، فإنه لا يقال للرجل الذي ماتت زوجته (أَرْمل)؛ لأنّ الرجلُ لا يذهب زاده بموت امرأته، لأنّه قَيِّم عليها،

---

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٦/ ٥٤.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (رمل): ١٥ / ١٤٨، ولسان العرب (رمل): ١١/ ٢٩٦.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (رمل): ١٥/ ١٤٨، والمحكم (رمل): ١٠/ ٢٥٨.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (رمل): ١٥/ ١٤٨، ولسان العرب (رمل): ١١/ ٢٩٦.

(٦) نفسهما.

(٧) ينظر: لسان العرب (رمل): ١١/ ٢٩٧، وتاج العروس (رمل): ٢٩/ ١٠٢.

(٨) لسان العرب (رمل): ١١/ ٢٩٧.

وتلزمه إعالتها ومُؤنتها[١].

أقول: وردت لفظة (الأَرْمُلة) مجموعة على (أرامِل) في نهج البلاغة مرة واحدة لكل منها[٢]؛ للدلالة على الآتي:

أولاً: الدلالة على المرأة الفقيرة المحتاجة:

وتظهر هذه الدلالة في سياق توبيخ الإمام (عليه السلام) لبعض عمّاله الذي أستأثر وأسرف وتكبر. يقول: ((**فَدَعِ الإِسْرَافَ مُقْتَصِداً وَاذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَداً، وَأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ، وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ... أَتَرْجُوا أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ! وَتَطْمَعُ ـ وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ[٣] فِي النَّعِيمِ، تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَالأَرْمَلَةَ ـ أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ؟...**))[٤].

والنص نهي للمخاطب عن الإسراف، ودعوة إلى الاقتصاد وتجنُّب البَذْخ، والتمرّغ في النعيم والترف، ومنع ذلك عن (الضُّعيف والأرْملة)، وهذان الصِّنْفَان من الناس هم أشد حاجة إلى الإعانة والإعْطَاءِ، لأنهما فقدا المعيل. (فالضعيف) هو غير القادر على إدارك حاجته وإعانة نفسه لضَعْف قوته الجسدية، أو لضَعْف عَقله[٥]. وهذا ان الوجهان يَصْدُقان على الإنسان المريض العليل الذي أُنهك بدنه، كما يصدقان على الشيخ الفاني الذي أُبلى جسده من العمل والتُّعب. فضلاً عن كونه يوحي بالدلالة على الأطفال من الأيتام الذين لا معيْل لهم أو راع. وأما

---

(١) نفسه.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٩٥.

(٣) المُتَمَرِّغُ المتَغَلّبُ: ينظر: لسان العرب (مرغ): ٨/ ٤٥٠.

(٤) نهج البلاغة: ك/ ٢١٠: ٤٨٧.

(٥) ينظر: لسان العرب (ضعف): ٩/ ٢٠٣.

لقسط (الأرْمَلة) في النّص؛ فإنه يدل على المرأة التي فقدت المُعيْل أيضاً. فلَيْس لها أحد يقوم بحاجتها والإنفاق عليها.

أقول: ولعل دلالة لفظة (أَرْمُلة) في هذا النص على المرأة الفقيرة المحتاجة أنسب للمعنى العام وللسياق من دلالتها على المرأة التي مات عنها زوجها وقيِّمُها الذي يعيلها ويكفيها، وذلك بقرينة مفردة (الضَّعف التي تفيد في دلالتها العامّة العجز، وعدم القدرة على قضاء الحوائج.

ثانياً: الدلالة على الزوجات اللواتي مات عنهن أزواجهن

واستعملت هذه الدلالة في سياق الذَّمِّ والتوبيخ الذي وجَّهَهُ أمير المؤمنين (عليه السلام) لبعض عمّاله، الذي يقول فيه: ((**فَلَمَّا أَمْكَنَتْكَ الشِّدَّةُ فِي خِيَانَةِ الأُمَّةِ، أَسْرَعْتَ الْكَرَّةَ**[١]، **وَعَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ، وَاخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ الْمَصُونَةِ**[٢] **لِأَرَامِلِهِمْ وَأَيْتَامِهِمْ...**))[٣]. أراد (عليه السلام) أنّ المخاطب سارع إلى خيانة الأمّة التي استأمنته على شؤونها، ولكنه أُسرع معتاداً إلى الخيانة واختطاف ما قدر عليه من الأموال المحفوظة (للأرامل) من نساء الأُمّة اللواتي فقدْنَ أزواجهن في الجهاد أو غيره و(الأيتام) الذين مات عنهم آباؤهم في القتال وغيره.

تأيُّمها

الأيِّم المرأة التي مات زَوْجُها، ولمّا تزل تَصْلُح للأزواج؛ لأنَّ فيها سؤرة من شباب[٤]. وقيل: بل هي التي لا زوج لها بكْراً كانت أو ثَيِّباً[٥]. ويُوْصفُ الرَّجل

(١) الكُرة الرجوع على الشيء، والكَرةّ الإعادة. ينظر: لسان العرب (كرر): ٥/ ١٣٥.

(٢) الصّوْن الوقاية. ينظر: لسان العرب (سون): ١٣/ ٢٥٠.

(٣) نهج البلاغة: ك / ٤١: ٥٢٤.

(٤) ينظر: العين (أيم): ٨/ ٤٢٥، ولسان العرب (أيم): ١٢/ ٤٠.

(٥) ينظر: المحكم (أيم): ١٠/ ٥٨٤.

بأنّه أيّمٌ، وهو الذي لا امرأة له[١].

وقد وردت لفظة (تأيُّمُها) في نهج البلاغة مرة واحدة[٢].وصفاً للمرأة التي مات عنها زوجها. وذلك في سياق ذَمِّ الإمام (عليه السلام) لأهل العراق، الذين يقول فيهم: ((**أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ، حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ، وَمَاتَ قَيِّمُهَا[٣]، وَطَالَ تَأَيُّمُهَا، وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا**))[٤]. و(الأيِّم) في قول الإمام هنا- هي التي مكثت طويلاً بغير زوج[٥]، وقد ساق الإمام هذه المفردة في مقام الذُّم تشبيهاً لهؤلاء بالمرأة الحامل التي أسقطت جنينها بعدما أَتمَّت ومات قَيِّمُها، وهو زوجها، فبقيت مُعَطَّلَة عن الزواج.

رَبّات الحِجَال

الرُّب الله تبارك وتعالى[٦]. ولا يقال (الرُّبُّ) بالألف واللّام إلّا لله جل جلاله[٧]. وكُل منْ مَلك شيئاً فهو رَبُّه[٨]. وذلك على سبيل المجاز. والحِجَال جمع حَجْلّه، وهي حَجْلَة العروس[٩]. وهي بَيْت مِثْل القُبة يزَيَّن بالثّياب والأسرة والسّتور، ويكون له أزرار كبار[١٠].

(١) ينظر: المحكم (أيم): ١٠/ ٥٨٤، ولسان العرب (أيم): ١٢/ ٤٠

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٥.

(٣) قَيِّم المرأة، زوجها. ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٤١/ ١٣٥.

(٤) نهج البلاغة: خ / ٧١: ١٠٩.

(٥) ينظر: الديباج الوضي: ٢/ ٥٣١.

(٦) ينظر: تهذيب اللغة (ربب): ١٥/ ١٢٨.

(٧) نفسه.

(٨) نفسه.

(٩) ينظر: العين (حجل): ٣/ ٧٨، ومقاييس اللغة (حجل): ٢/ ١٤٠.

(١٠) ينظر: لسان العرب (حجل): ١١/ ١٤٤.

واستعمل أمير المؤمنين تعبير (رَبَّاتِ الحِجَال) مرة واحدة [١]؛ للدلالة على النساء على سبيل التشبيه بِهِنَّ، وذلك في سياق الذَمِّ، إذ يقول (عليه السلام): ((**يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلاَ رِجَالَ! حُلُومُ [٢] الأطْفَالِ، وَعُقُولُ رَبّاتِ الحِجَالِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً ـ وَاللهِ ـ جَرَّتْ نَدَماً**...))[٣]. وينفي (عليه السلام) عن هؤلاء صفة الّرجولة، بل شَبَّهَهم بالرِّجال جِسْماً وخَلْقاً، في حين أنّه شّبّه أَنَاتهم وتفكُّرهم بأناةِ الأطفال، ووجه الشُّبه التسُّرّع والتُّقلُّب في الرأي وعدم الثبات على وَجْه أو خيار كما الاطفال الذين لا ثبات لهم على شيء؛ لأنّ ملكة البلوغ والرشاد والوعي غير مكتملة فيهم. لهذا نراهم يسارعون إلى الغضب بعدما كانوا راضين في شأنٍ ما يُقرحهم[٤]. وقد جعل الإمام لفظة (الحُلُوم) مختصة بعقول الأطفال وفكرهم، لارتباطها بالتغاير وعدم الاستقرار، في حين جعل عقولهم بمنزلة عقول النساء اللواتي كنّى عْنُهن الإمام ببعض لوازمهن، وهي (الحِجَال). أراد أنّ لهم عقولاً كعقول ربّات القبب من النساء اللواتي يشتهرن بضعْفِ العقل وغَلبة العاطفة عليهن. ولهذا قيل: قل ما أرادت امرأة أن تحتجّ لنفسها إلا كانت حجتها عليها[٥].

أقول: وفي هذا الكلام مغالطة؛ لأنّ الإمام (عليه السلام) ربّما أراد بهذا الوصف لهم بيان حالتهم التي كانوا يرْكنُون إليها من حيث الرَّغْبة في الدِّعة والسَّكْينة، وعدم الميْلِ إلى القِتال والدفاع عن الأعراض، علاوة على خوفهم من القتْل، شأنهم في ذلك

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٧٨.

(٢) الحلم الأناةُ والعقْل، وجمعه حُلُوم وأحلام. ينظر: المحكم _ (حلم): ٣/ ٣٦٤.

(٣) نهج البلاغة: خ / ٢٧: ٦٣. وقد نقل السُّهّيْلي كلام الإمام المتقدم براوية (يا طغام الأحلام) بدلًا من (حُلوم الأطفال) ينظر: الرُّوض الأنف: ١/ ٣١٥.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٢٥٤، والديباج الوضي: ١/ ٣٥٥.

(٥) ينظر: الديباج الوضي: ١/ ٣٥٥.

شأن النساء اللواتي يَمِلْنَ، بحسب طبيعتهنّ، إلى الدِّعُة والراحة والقرار في البيوت والقباب المزينة بالستور والزخارف كما العروس. وقد وضع عْنهن القتال ولهذا استعمل أمير المؤمنين (عليه السلام) للدلالة على هذا المعنى لفظ (ربّات) إشارة إلى كونهن يملكن البيوت باستارها وجلائل زينتها؛ فالمرأة ((**ريحانة وليست بِقهْرَمانة**))[1]. كما يقول أمير المؤمنين (عليه السلام).

ضُرّتان

الضُّرَّتانِ امرأتانِ لرجُل واحد[2] ضرَّة لصاحبتها[3].

وقد جاءت لفظة (ضُرّتان) في نهج البلاغة مرة واحدة[4]، للدلالة على النَّقِيْض والضِّد الذي تفيده هذهِ المفردة بين (الدُّنيا والآخرة). يقول (عليه السلام) في سياق كلامه على الدنيا والآخرة: ((... **إِنَّ الدُّنْيَا وَالاْخِرَةَ عَدُوَّانِ مُتَفَاوِتَانِ، وَسَبِيلاَنِ مُخْتَلِفَانِ، فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَتَوَلاَّهَا أَبْغَضَ الاْخِرَةَ وَعَادَاهَا، وَهُمَا بِمَنْزِلَةِ الْمُشْرِقِ وَالْمُغْرِبِ، وَمَاش بَيْنَهُمَا، كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ وَاحِد بَعُدَ مِنَ الاْخَرِ، وَهُمَا بَعْدُ ضَرَّتَانِ!**))[5]. يتحدث الإمام في هذا النص عن أنّ (الدنيا) و(الآخرة) نقيضان، إذ عبّر عنهما بكونهما (عَدُوَّان) و (طريقان) مختلفان لا يلْتقيان، فمن أحبّ الدنيا، فلابُدَّ أنه يبغض الآخرة ويعاديها. ثم ختم قولتُه بوصفهما بأنهما (ضُرَّتَان). يُريد: أنّه من الصعوبة بمكان أن يجمع بين الدنيا والآخرة، كما أنّه من العسير أن يجمع المرء بين زوجتين

(١) نهج البلاغة: ك / ٣١: ٥١٣.

(٢) ينظر: العين (ضرر): ٧/ ٧، والمحكم (ضرر): ٨/ ١٥٠.

(٣) ينظر: المحكم (ضرر): ٨/ ١٥٠.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٦٧.

(٥) نهج البلاغة: قصا / ١٠٣: ٦١٨.

ضرتين ويكون عادلاً فيهما، فالعدالة والمساواة بينهما أمر عَسيْر[١]. وكذلك الحال في الجمع بين (الدنيا والآخرة)، فلا يستطيع الإنسان أن يجمع بينهما ولو حرص على ذلك، لتناقضهما وعدم إمكان جعل عمل الدنيا مقدمة للآخرة، فإنّ عمل الدنيا يشوبه الكثير من الأمور غير الموافقة للشرع، فضلاً عن أن انصراف الإنسان إلى العناية بالأهل والأولاد وابتعاده عن طاعة الله وعبادته منصرفاً إلى طاعة الهوى والشهوات، وهذه كلها من لوازم الدنيا، ونقائض الآخرة. ولذلك استعار الإمام لفظ (ضُرَّتان) للدنيا والآخرة، وإنزالهما منزلة الزوجتين اللتين في ذمَّة رَجلٍ واحدٍ لا يستطيع أن يعدل بينهما وإن حرص على ذلك فشهوات الدنيا تضرّ بقوانين الآخرة التي اوجبها الله تبارك وتعالى للوصول إلى مرضاته.

عقائـل

العَقيْلة المرأة المَخدَّرة المحبوسة في بيْتها[٢]. وعقيلة القَوْم سيّدتهم، وهي المرأة الكريمة النفيسة في بيتها[٣] وهذهِ الدلالة مأخوذة - فيما يبدو من الحَبْس، وذلك لعظمة الشيء المحبوس. ولهذا سمّي العقل عقلاً؛ لأنّه يَحبس الإنسان عن ذميم القول والفعل ويَعْقله[٤].

واستعمل الإمام علي لفظة (عَقَائل) في نهج البلاغة مرة واحدة[٥] بصيغة الجمع على (فَعَائِل)، للدلالة على سيادة النبُّي ونفاسة أَخلاَقه. وذلك في قوله (عليه السلام)

---

(١) وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله: ﴿**وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ**...﴾النساء / ١٢٩.

(٢) ينظر: العين (عقل): ١٥٩١، ولسان العربل (عقل): ١١/ ٤٦٣.

(٣) ينظر: لسان العرب (عقل): ١١/ ٤٦٣.

(٤) ينظر: مقاييس اللغة (عقل): ٤/ ٦٩.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣١٣.

الذي يُثْني فيه على الله تبارك وتعالى ويُمَجِّده، ومن ثُمّ يعطف بالثَّناء على النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)؛ إذ يقول: ((**وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهِ إلاَّ اللهُ غَيْرَ مَعْدُول**[١] **بِهِ، وَلَا مَشْكُوك فِيهِ، وَلاَ مَكْفُور دِينُهُ، وَلاَ مَجْحُود تَكْوِينُهُ، شَهَادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ، وَصَفَتْ دِخْلَتُهُ، وَخَلَصَ يَقِينُهُ، وَثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ.وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الْـمُجْتَبَى مِنْ خَلاَئِقِهِ، وَالْمُعْتَامُ**[٢] **لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ، وَالْـمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ**[٣]**، وَالْمُصْطَفَى لِكَرَائِمِ رِسَالاَتِهِ...**))[٤]. والسياق الذي وردت فيه لفظة (عَقَائِل) سياق مدح للنبي (صلى الله عليه وآله)، لهذا وصفه (عليه السلام)بعدِّة صفات متفرِّدة في اللفظ والمعنى، فجعله (الْمُعْتَام) أي المختار لشرح حقائق الرسالة النبويِّة، وأصل هذا اللفظ مأخوذ من (العَيْمة)، وهي في اللغة خِيارُ المال والمَتَاع[٥]. فالرسول بحسب ما تدل عليه هذه المفردة من صَفوة الناس الذين اختارهم الله تبارك وتعالى واعتامهم لشرح رسالته السماوية.

أمّا قوله ((**الْـمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ**))، فالعقائل أصلاً هي كرائم النساء، والعقيلة من النساء المخدرة المحبوسة في بيتها، وإنما تُخَدّر المرأة في بيتها لكرامتها ونفاسة شأنها، فتحبس نفسها صيانة لها وتعظيماً لشأنها.ولجلالة هذا المعنى وعلوه، اختار (عليه السلام) – فيما أحسب– لفظة (عَقَائِل) لهذا السياق وبصيغة الجمع؛ لبيان علو شأن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) رفعة أخلاقه ونفاستها فكأنها بمنزلة العقيلة المخدّرة الكريمة التي لا تجاريها نفاسة أخرى. ويمكن أنْ يكون المعنى أيضاً

---

(١) العَدْلُ والعَدِيْلُ. السَّواء والنظير والمثيل. ينظر: لسان العرب (عدل): ١١/ ٤٣٢.

(٢) الْمُعْتَامُ المختار. ينظر: لسان العرب (عيم): ١٢/ ٤٣٣.

(٣) نقل اللغويون هذه القَوْلة عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، ومن هؤلاء (ابن منظور) في لسان العرب (عقل): 463/ 11، ومادة (عيم): 12 / 433.

(٤) نهج البلاغة: خ / ١٧٨: ٣٢٢.

(٥) ينظر: لسان العرب (عيم): ١٢/ ٤٣٣.

مأخوذ من سيادته (ﷺ) على غيره من بني البشر، وذلك من قولهم (عقيلة القوم) أي سَيِّدتهم. أو بوصفه دُرَّة من دُرر الأخلاق الصّافية على سبيل التشبيه (بعقائل البحر)، وهي درره الصَّافية الكبيرة[١]. وقد ذكر الشارح البحراني أنّ قول الإمام (**الْـمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ**) يراد به نفائس الكمالات النفسانية التي يتمتع بها النبي (ﷺ) ومكارم الأخلاق[٢]. وهذا المعنى مقبول وراجح يضاف إلى الدلالات التي ذكرتها سلفاً.

قَهْرَمَانَة

((القَهْرَمَان هو الُمسَيْطر الحفيظ على ما تحت يده))[٣]. فهو كالخازن أو الوكيل الذي يقوم بأمور الرَّجل التي توكل إليه[٤]. وقيل: بل هو من أمناء الملك وخاصَّته[٥]. وتذكر المدونات اللغوية أنّ هذا للفظ من الألفاظ غير العربية فهو عندهم فارسي معرّب، ومن الذين أشاروا إلى ذلك سيبويه (ت ١٨٠هـ) في سياق كلامه على تغيير الألفاظ غير العربية، لتناسب الأحكام اللغوية العربية[٦]. والأزهري (ت٣٧٠هـ)[٧]. وقد ذكر ابن بَرَّي (ت٥٨٢هـ) أنّ أصل كلمة (قَهْرَمَان) هو (قَرَمَان)، وقد زيدت فيه الهاء ليكون ملائماً للألفاظ العربية[٨].

---

(١) نفسه:(عقل): ١١/ ١٦٣

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٧٠٣.

(٣) العين (قهرم): ٤/ ١١١، وينظر: لسان العرب (قهرم): ١٢/ ٤٩٦.

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٤/ ١٢٩.

(٥) ينظر: تاج العروس (قهرم):٣٣/ ٣٢٢.

(٦) ينظر: كتاب سيبويه: ٤/ ٣٠٤، ولسان العرب (قهرم): ١٢/ ٤٩٦.

(٧) ينظر: تهذيب اللغة (قهرم): ٦/ ٢٦٧.

(٨) ينظر: في التعريب والمعرّب (حاشية ابن بَرّي على المعرّب للجواليقي)، لابن برّي: ١/ ٢٣.

واستعمل الإمام لفظة (قَهْرَمَانة) بصيغة المؤنث وصفاً للمرأة مرة واحدة في نهج البلاغة[١]. وذلك في سياق وصِّيته للإمام الحَسَن (عليه السلام) متحدثاً فيها عن المرأة وحُكم ما تملكه. يقول (عليه السلام): ((**وَلاَ تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ، وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَة...**))[٢]. ينصح الإمام ولده الإمام الحسن (عليه السلام) أن لا يدخل المرأة في التّدبير أو المَشورة؛ لأنّها تصلح أن تكون بمنزلة الريحان في النظارة والطَّيْب، وليست آمرةً تأمر فتطاع؛ فأنّها ليست وكيلاً في المال، ولا وزيراً في الرأي[٣]. إن نهي الإمام عن تمليك المرأة ما جاوز نفسها سببه منعها من التُّسلط والتَّجّبر، وهذا خلاف ما امرت به من السُّتْر[٤]. لهذا استعمل الإمام هذا الضرب من التعبير لوضع المرأة في موضعها الصحيح الذي أقرّه لها الإسلام. ولبيان ذلك استعار لها لفظ (الرَّيحانة) للإشارة إلى كونها بمنزلة الطيب وللدلالة على كونها محلاً للغضارة والطِّيْب وحُسْن الخلق.

أما نفي وصفها بكونها (قَهْرمانة)، فهو إبعاد لها عن أن تكون نافياً أنْ تكون بمنزلة (القَهْرمان)، وهو الحاكم أو الوكيل الذي يقوم بالأمور وتدبيرها. فإنها لا تصلح أن تصير أَمينة على تلك الأعمال، وغيرها بسبب من طبيعتها وتكوينها الذي جلبها الله عليه. ولا يعني هذا الانتقاص من منزلة المرأة في نظر الإمام (عليه السلام)؛ فأغلب هذه الإعمال التي نهى الإمام أنْ تُسند إلى المرأة تتطلب المشقُّة والتّفّرغ الكامل لها، في حين أنها خلقت لتدبير الأمور المتعلقة بإدارة البيت وشؤون الأطفال لصناعة مجتمع القيم الإسلامية النبيلة.

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٨٢.

(٢) نهج البلاغة: ك / ٣١: ٥١٣.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ابي الحديد): ١٦/ ٩٦.

(٤) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٢٣٨١.

وربّما قصد أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: (لَيْسَت بَقْهَرَمانة) الدلالة على أنّ المرأة قاصرة على أداء مثل تلك الأمور وادارتها. وتبدو هذه الدلالة ما استدركه الزَّبيدي من دلالة في مفردة (قَهْرَم) في اللغة، ذاكراً أنّ (القَهْرم) هو القَصِيْر من الرِّجال[١]. وبتوظيف هذه الدلالة والاستعانة بها في بيان لفظة (قهْرمانَة)، نخرج بنتيجة مؤداها أنّ (القّصِيْر) هو الذي لا يمكنه أن ينال الشيء المرتفع، واذا تعّدى ذلك من الأمور الحقيقية إلى المسائل المجازية، فالقَصير هو الذي يُقَصر عن تحقيق ما يبغيه أو يريده من أعمال. وهكذا هي المرأة، فإنها لا تصل إلى الحد الذي يبلغه الرجال في تحملّ المَشاقّ.

الكِعَاب

الكُعْبُ - بالضم - الثُّدْي النَّاهِد[٢]، والكَعَاب بالفتح - المرأة حين يبدو ثَدْيُها للنُهُوْدِ. وجارية كَعَاب، أي بكْرٌ[٣]. والكُعُوب - بالضم - نهُود الثّدْيَيْنْ وارتفاعها، وهو من خواص النساء[٤].

وقد وردت لفظة (الكِعَاب) في نهج البلاغة مرة واحدة[٥]. وقد فَسرّ بعض الشُرَّاح لفظة (الكَعَاب) في كلام الإمام بالمرأة الناعمة الحسناء[٦] دالة على الجارية التي نهد ثديها، إشارة إلى بلوغها وكونها في أوائل بكرها، ودلالة على كونهن أحرار غير مستعبدات. يقول الإمام (عليه السلام) في سياق وَصْف بيعته بالخلافة، مصوراً سرور

(١) ينظر: تاج العروس (قهرم): ٣٣/ ٣٢٣

(٢) ينظر: تاج العروس (كعب): ٤/ ١٥١.

(٣) ينظر: لسان العرب (كعب): ١/ ٧١٩، وتاج العروس (كعب): ٤١/ ١٥١.

(٤) ينظر: تاج العروس (كعب): ٤/ ١٥١.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٠٠.

(٦) ينظر: الديباج الوضي: ٤/ ١٨٣٤.

النَّاس بهذه البيعَة: ((وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا، ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَّ الإبِلِ الْهِيمِ لَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وِرْدِهَا، حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ، وَسَقَطَ الرِّدَاءُ، وَوُطِىءَ الضَّعِيفُ، وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنِ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ، وَهَدَجَ[١] إِلَيْهَا الْكَبِيرُ، وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ، وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكِعَابُ))[٢].

لقد فضل الإمام (عليه السلام) أمرين؛ الأول يتعلق بانصرافه من البَيْعة ورغبته عنها، وعبّر عن ذلك بقوله (كَفَفْتُها)، و (قُبضْتُها)، اشارة إلى رغبتهم فيه، ورغبته عنها. أمّا الأمر الثاني، فهو سرور الناس ببيعتهم له (عليه السلام) مشيراً إلى أصناف الناس، ومستوى سرور كل واحدٍ منهم بدءاً من الصّغير وانتهاءً بالعَليل المريض، فضلاً عن آنكشاف الجواري الكِعَاب اللواتي تَنَاسَيْنَ حجَابَهُنَّ وتَسَاهَلْنَ في سَتْرِ وجْوهِنَّ بعدما سَمِعْنَ ببيعُةِ الإمام (عليه السلام).

وفي ذلك المعنى إشارة إلى ما وقعن فيه من العجَلة وسرعة التّهيّؤ لبيعته (عليه السلام) فرحاً بها، وسعياً إليها. وفي لفظة (حَسَرت) دليل على أنّ مفردة (الكَعَاب) لا تَدُل على الجارية العامِلة في البُيوتِ، أو الخادمة، فحسب وإنما هي الفتاة الحُرّة الجميلة التي بلغت لتوها.

أَملَصت

أمْلَصَت المرأة، أي رَمت ولدها وأسْقطته لغير تمام[٣]. وتوصف الناقة بهذه الصفة أيضاً[٤]. وأصل المَلْصِ في اللغة الزَّلَق، وكل ما زلق من اليَد أو غيرها،

(١) الهَدْجُ والهدجان مَشيْ رويْد في ضَعْفٍ، وهي مشْية الشيخ. ينظر: لسان العرب (هدج): ٢/ ٣٨٧.

(٢) نهج البلاغة: خ / ٢٢٩: ٤٣٣، ٤٤٤.

(٣) ينظر: العين(ملص): ٧/ ١٣١، ولسان العرب (ملص): ٧/ ٩٤.

(٤) نفسهما.

فقد ملَص[١].

وقد وردت لفظة (أَمْلَصَتْ) في نهج البلاغة مرة واحدة[٢]، دالة على المرأة التي أسقطت جَنينها وأزلقته، بعدما أتمت حملها. وجاءت هذه الدلالة في سياق قوله (عليه السلام) الذي يذم فيه أهل العراق ويُوبِّخهم على تـرْكِ القتال، والنصر يكاد يتم على أهل الشام: ((**أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ**[٣]**، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ، حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ، وَمَاتَ قَيِّمُهَا...**))[٤]. وقد ذكر شرَّاح النهج أنّ (أَمْلَصَتْ) في هذا النص تعني أَسْقَطَتْ ولدها[٥].

وقد ساق الإمام (عليه السلام) هذا التعبير مختاراً له هذه المفردة؛ توبيخاً لأهل العراق مشبهاً إياهم بالمرأة الحامل التي اسقطت جنينها بعدما أتمَّت. وقد تنبّه الشُّرَّاح إلى وجه الشُّبه بين هؤلاء القوم، والحامل المملص التي جعلها الإمام مُشبَّهاً به في هذا السياق، فشبّه (عليه السلام) استعدادهم للحرب بالحَمْل، ومشارفتهم على الظُّفَر باعدائهم من أهل الشام وبزوغ دلائل الفتح لهم بإتمام الحامل لشهور حملها رجوعهم عن عَدُّوهم بعد طمعهم بالظفر عليه و(إمْلاصُهُم) – ههنا – يُعدُّ أمراً غير طبيعي أو معتادٍ كما يظهر من كلام الإمام فهو خارج عن القبول؛ لأنّ النّكوص بعد الفتح، والجنوح إلى السِّلْم والإجابة إلى التحكيم أمر فيه ريبة، وهم بهذه الصفة يشبهون (المرأة) التي تعْمدُ إلى إلقاء حَمْلها بسقْطة أو ضربة أو عارضٍ ما، فيكون ذلك

(١) ينظر: لسان العرب (ملص): ٧/ ٩٧.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٢٤.

(٣) يقصد الإمام (بالعراق) – هنا – أهل الكوفة والبصرة. ينظر: الديباج الوضي: ٢/ ٥٣١.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ٧١: ١٠٩.

(٥) ينظر: معارج نهج البلاغة: ١/ ٣٥٢، وشرح نهج البلاغة (ابن ابي الحديد): ٦/ ١٠١.

خلافاً للمعتادِ من حفاظ الام على صحتها وصحة جنينها أيام الحمْل[1]. وزاد (عليه السلام) من مكانة التشبيه بين هذين الطرفين أن جعلهم بمنزلة المرأة التي مات زوْجها الذي عبّر عنه بـ (القَيمِّ)، وهو (الزوج) في اللغة[2]. إشارة إلى فقدانهم القرابات القريبة منهم في هذه الحرب وهذه التضحيات تتطلب منهم المضي قدماً في الجهاد، لا أن تجعلهم أذِلة منسحبين، فيتسلط العدو عليهم؛ ويصبحون كالمرأة التي لا زوج لها بعدما فقدت ولدها، فصارت محطَّ العَجز والضعف والذِّلّة[3].

مَوْؤُودة

المَوْؤدة اسم مفْعُول من الفعْل وَأدَ[4] وأصل الواْدِ هو إثْقالُ شِيٍ بشِيٍ[5]. ومنه قيل للموؤدة مَوؤودة؛ لأنها تدفن حَيَّة، فهي مُثْقَلَة بالتراب الذي يعْلُوها[6]. وقد كانت العرب تدفن بناتها وهنّ أحياء؛ خَوْف العار والإمْلاقِ[7].

واستعمل الإمام (عليه السلام) لفظة (مَوْؤدَة) في كلامه الوارد في نهج البلاغة مرة واحدة[8]، دالة على البنات المُوْؤدة اللواتي كُنّ يُدفنَّ أحياء، وذلك في سياق كلامه على الحياة الجاهلية وإطباق الجهْل فيها قبل بعثة رسُوْل الله (صلى الله عليه وآله وسلم).:((... **فَالأَحْوَالُ**

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ابي الحديد): ٦/ ١٠١، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٤٩.

(٢) ينظر: المحكم (قوم): ٦/ ٥٩٢.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٤٩.

(٤) ينظر: العين (وأد): ٨/ ٩٧.

(٥) ينظر: مقاييس اللغة (وأد): ٦/ ٧٨.

(٦) نفسه.

(٧) ينظر: تهذيب الأسماء واللغات، لُمحيي الدين النووي: ٣/ ٣٦٢.

(٨) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٧٤.

مُضْطَرِبَةٌ، وَالأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ، فِي بَلاَءِ أَزْلٍ[١]**، وأَطْبَاقِ جَهْلٍ! مِنْ بَنَاتٍ مَوْءُودَةٍ، وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ، وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ، وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ**[٢]))[٣]. يفصّل الإمام الكلام في أحوال الناس قبل بعثة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وما هم فيه من ضيق وشدة وجهْل، ثمَّ يذكر (وَأْدِ البنَات)، وهي ظاهرة اجتماعية كانت تمثِّل ضرباً من الجَهْلِ كما يقول (عليه السلام)، فإنهم كانوا يئدُون بناتهم دفعا للعار والإمْلاق، حتى إنَّهم كانوا يأنَفُونَ من البنات إذا ولدن لهم[٤]. وقد فصلت المدونات التأريخية ظاهرة (الوأد) التي كانت تشيع في الجاهلية، وأرجعوها إلى القبائل التي كانت تشيع فيهم هذه الظاهرة[٥]. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الظاهرة معرّضاً بمن كان يقوم بها قائلاً: ﴿**وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ**﴾[٦]. وقد نهى القرآن الكريم عن قتل الأولاد لأيّ سبب كان، حتى وإن كان ذلك (خَشْية الإملاق) والفقر. إذ يقول تبارك وتعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا**﴾[٧].

---

(١) الأزْل الضِّيْقُ والشَّدّة، وأصل الأزل الحَبْسُ. ينظر: لسان العرب (أزل): ١١/ ١٣.

(٢) الشَنّ الصَّبُّ. من قولهم (شَنَّ الماء على الشرّاب). أي صَبَّهُ، و (شَنَّ الغارة عليهم) شَنّاً، أي صَبَّها وبثّها من كل وجه. ينظر: تاج العروس (شنن): ٣٥ / ٢٩٠.

(٣) نهج البلاغة: خ / ١٩٢: ٣٧٥.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ١٧٦.

(٥) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٩/ ٩١. وقد فصل الدكتور جواد علي القول في هذه الظاهرة وردّها إلى القبائل التي كانت تشيع فيهم، مبيّناً أسبابها ودوافعها في البيئة الجاهلية.

(٦) التكوير / ٨، ٩.

(٧) الإسراء / ٣١.

المبحث الرابع
الألفاظ المتعلقة بعامة الناس من الرعية

الناس

الإِنْس - بالكسر - البشر[١]. والأَنَسُ - بالفتح - الجماعة الكثيرة من الناس[٢]. وآنس الشيء علمه[٣]. وقيل: إنما سُمِّي الإنسان إنساناً من النِّسيانِ؛ لأنّه عُهِد اليه فَنَسِى، فهو على زِنَة (أَفْعِلَان)[٤]. وقيل: بل هو (إِنْسِيَان) على (فِعْلِيَان) من الأُنْسِ والأُلْف[٥]. و هذا هو الصواب في اشتقاقه كما يذكر اللغويون[٦].

وقد شاع استعمال مفردة (النَّاس) في نهج البلاغة؛ إذ وردت مائتين وثمان وعشرين مرة[٧]، للدلالة على البشر أو الجماعة التي يتكون منها المجتمع، وهذه هي الدلالة العامة لهذه الكلمة، وعند انتظامها في السياقات التي صنعها(عليه السلام)، فإنها تدل على معان أخر، منها الدلالة على أهل البيت (عليهم السلام)، ومن ذلك في قول أمير المؤمنين الذي يتحدث فيه عن علاقة أهل البيت بالقرآن في حادثة التحكيم: ((... **فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ الله، فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ، وَإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ**

(١) ينظر: تاج العروس (أنس): 15/ 408.

(٢) نفسه

(٣) نفسه

(٤) ينظر: لسان العرب (أنس):11/ 6، وتاج العروس (أنس): 15/ 408.

(٥) أنفسهما.

(٦) أنفسهما.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 462 – 464.

رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله)، **فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ وَأَوْلَاهُمْ بِهَا))**[١]. فليست كلمة (النّاس) في هذا السياق تعني العامّة من الرعية، وإنما هم نَمَط خاص منهم، وهم أهل البيت(عليهم السلام)، وخص الإمام هذه اللفظة بقرينة الضمير المنفصل (نَحّن)، ولفظة (أَوْلَاهُم)، وهي قرآئن تصرف مفردة (الناس) في النص المتقدم إلى الدلالة على عترة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله). ومن نظير هذه الدلالة ما ورد في (خ / ٧٤، ١٧٣) في إشارة إلى أحقية الإمام بالخلافة والجدارة بها. وكذلك ما ورد عنه (عليه السلام) من الإشارة إلى (أهل الذِّكر) الذين يمكن تَصنِيفهم مع ما دلت عليه لفظة (الناس) على أهل البيت. وذلك ما ورد في (خ / ٢٢٢).أما ما وردت به اللفظة من الدلالة على (عامّة الناس)، وهم الرعيّة جميعاً الذين يشكل (الناس) الأساس فيهم، فذلك كثير (النهج العلَوي)، ومنه قوله (عليه السلام) في سياق كلامه عن (الإمامة): **((وَلَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتِ الإمامةُ لَا تَنْعَقِدُ حَتَّى يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ، فَمَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ، وَلَكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا، ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ...))**[٢]. و(عَامَّةَ النَّاسِ) إشارة إلى الناس جميعاً؛ لأن الإمامة تنحصر في اجتماع من شهد البيعة من الناس، والإمام(عليه السلام) يرد- في هذا النص -على من يدَّعِي حضور عامة الناس للبيعة وانعقاد الإمامة بهم، والمراد بـ(عَامَّةُ النَّاسِ) الناس بطبقاتهم جميعا من الخاصة والعامة. ويرى الإمام أن اجتماع الناس جميعا متعذّر، و البيعة تكون في عنق من شهدها منهم.وقد بيّن الشارح البحراني ذلك مشيراً إلى أن (الإجماعَ) في انعقاد الإمامة لا يعتبر فيه دخول جميع الناس حتّى العَوام منهم، فلو كان ذلك شرطاً؛ لأدّى إلى أن لا ينعقد إجماع قَط، ولم تَصبح إمامَةُ أحد؛ لتعذّر اجتماع المسلمين بأَسرهم من أطراف الأرض جميعاً. فالمعتبر في

(١) نهج البلاغة: خ / 125: 230.

(٢) نفسه: خ / ١٧٣: ٣١٢.

الاجتماع اتفاق أهل الحل والعَقد من أمّة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهم العلماء الذين كانوا مجتمعين حين البيعة، فليس لأحد بعد ذلك أن يرجع، ولا لمن دونهم من العوام ومن غاب أن يختار[١].

أقول: ومن دلالة كلمة (الناس) على عامّة الرعية كثير في النهج، ولكثرته نورد مواضع منه مما جاء في (خ / ١٧٦، ١٨٣، ١٩٢، ك / ٣١، ٤٠)[٢].

أصناف الناس عند الإمام (عليه السلام).

والناس عند الإمام ثلاثة أصناف، كما ورد في بعض كلماته في نهج البلاغة. يقول (عليه السلام): ((**النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ، أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ...**))[٣]. وهؤلاء الثلاثة (العالم، والمتعلّم، والهَمج) ينقسمون بحسب منزلتهم ومراتبهم،فالصنف الأول هم طليعة الناس نخبتهم، وهم العلماء الرَّبّانيون المُتَأَلِّهون الذين يعرفون الله حقّ المعرفة. وفي صدارتهم أهل البيت (عليهم السلام) وإمامهم في ذلك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، والإمام علي (عليه السلام)،الذي يقول مخاطباً الناس عن فتنة بني أميّة: ((**أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ الْمَذَاهِبُ، وَتَتِيهُ بِكُمُ الْغَيَاهِبُ، وَتَخْدَعُكُمُ الْكَوَاذِبُ، وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ، وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ؟، فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٍ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ كِتَابٍ، فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ، وَأَحْضِرُوهُ قُلُوبَكُمْ، وَاسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ...**))[٤]. و(الرَّبَّانِيِّ) هو العالم الرَّاسخ في العِلم والدِّين، الرفيع الدرجة في

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني):3/ 686.

(٢) ينظر في ذلك: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: 462 – 464.

(٣) نهج البلاغة: قصا / 147: 629، وقد نقل قول الإمام أعلاه الزبيدي في (تاج العروس) (ربب): 2/ 461.

(٤) نهج البلاغة: خ / 108: 197.

العلم، وهو المُتَأَلِّه العارف بالله تعالى[١]. ويشير بذلك (رَبَّانِيِّكُمْ) إلى نفسه؛ فهو العالم بالله المنقطع اليه في العبادة، الذي تمكَّنَت المعرفة فيه فصار (رَبَّانِياً) كما أمر الله تبارك وتعالى في قوله: ﴿**مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ**﴾[٢]. أما القسم الثاني،فهم المتعَلِّمون الذين يتخذون العلم سبيلًا للنجاة. والصنف الثالث هم أدنى الناس، وهم العامة من الهَمج الرعاع الذين تتيه بهم المذاهب ويميلون حيثما مالَت الرِّيح.

الرعيّة

الرَّعِيّة العامّة[٣]. ويقال للقومِ رَعِيَّةٌ، وهم العَامّةُ[٤]. وتجمع هذه اللفظة على (رَعَايَا)[٥]. وقد جاءت لفظة (الرَّعِيّةُ) خمساً وعشرين مرة في نهج البلاغة، ولفظة (رَعِيّتِكَ) ثمان مرات، ولفظة (رَعِيّتُه) ثلاث مرات، (ورَعِيَّتِي) مرتين، في حين جاءت لفظة (الرَّعايا) بالجمع مرة واحدة[٦]، للدلالة على العَامّة من الناس الذين تحكمهم الولاة. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق وصيته لبعض عمّاله في أن يرأف برعيّته: ((**وَاخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ...**))[٧].

والرّعيّة -ههنا- هم طبقة العامّة من الناسِ الذين يخضعون لسلطَة الوالي،

(١) ينظر: تاج العروس (ربب): 2/ 461.

(٢) آل عمران / ٧٩.

(٣) ينظر: لسان العرب (رعي): 14/ 327.

(٤) ينظر: تاج العروس (رعي): 38/ 163.

(٥) نفسه.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: 190.

(٧) نهج البلاغة: ك/ 46: 537.

ولهذا فالسياق يدفع باتجاه مراعاتهم و بسط الوجه لهم، وقد كنّى (عليه السلام) بخفض جناح عن التّواضع[١]، وببسط الوجه عن لقائهم بالبشاشة والسرور، و بلين الجانب عن التساهل و التشديد عليهم[٢]. أقول: ويحتفل نهج البلاغة بوصايا كثيرة للإمام (عليه السلام) في ضرورة مراعاة (الرَّعِيَّة) والعناية بهم، ويشيع هذا الأمر عند أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهده لـ(مالك الاشتر)، الذي حظي بجمهور كبير من الوصايا على حفظ الرعية والاحسان اليهم. ومن ذلك قوله (عليه السلام) مُحذِّراً: ((**وَإِيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ**...))[٣]. وسياق التحذير –هنا– يبينّ عناية الإمام بالرعيّة وأهميّة مراعاتها والاحسان لهم دونما تفضل من الوالي. ونظير هذا الكثير في النهج العَلَوي. ومما يلفت النظر في استعمال لفظة (رَعِيَّة) ما صنعه الإمام من تقسيمها على طبقات لبيان منزلة كل طبقة من طبقات الرعية، وبهذا تتحول هذه المفردة عند الإمام إلى دلالة أخرى غير دلالتها على (عامّة الناس)، مكتسبة معناها من منزلة الفئة التي يضعها الإمام(عليه السلام) فيها. وأوّل تقسيم حظيت به الرّعِيّة عند الإمام هو جعلها صنفين، وذلك في قوله الذي يوصي فيه عامله الرّحمة للرعية:((**وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ، إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ؛ يَفْرُطُ**[٤] **مِنْهُمُ الزَّلَلُ**[٥]**، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ**...))[٦]. وقد أدّت

---

(١) وهو تضمين للمعنى القرآني في قوله تعالى: ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ**... ﴾ الإسراء/ ٢٤.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 5/ 322.

(٣) نهج البلاغة: ك/ 53: 568.

(٤) الفَرْط السَّبْق والتَّقدّم. ينظر: لسان العرب (فرط): 7/ 366.

(٥) الزَّلَلُ الخطأُ والذَّنْبُ. ينظر: لسان العرب (زلل): 11/ 306.

(٦) نهج البلاغة: ك/ 53: 545.

لفظة (الرعيّة) في هذا النص الدلالة على ضربين من الناس؛ الأول هم الأخوة في الدِّين، سواء كانوا من عامّة الناس أو خاصتهم،إذ تجمعهم الأخوة في الدين، وهذا هو المعيار في بيان علاقة الناس ببعضهم البعض الاخر بحسب مفهوم الإمام. وأما القسم الثاني، فهم (النظير في الخَلْق)، وهم الناس من غير المسلمين من الديانات الأخرى التي لا تنتمي الي الدين الذي عليه الإنسان، وهؤلاء من الرعيّة التي تكون تحت حكم هذا الوالي أو غيره، ويكون فيهم الخاص والعام. ولكن هذا التقسم ينمحي وينتهي تحت عنوان (الرعية) التي تضمنت هذين الصِّنفين الّذين ذهب اليهما الإمام(عليه السلام) في تقسيمه. ونحو هذا الاستعمال ما جاء في (حديث الطبقات)، وهو السياق الذي قسّم فيه أمير المؤمنين (الرعيّة) - بما تحمله هذه المفردة من دلالة - على طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض. إذ يقول (عليه السلام): ((**وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ، وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ**...))[1]. وشرع الإمام بعد هذا بسَنِّ هذا القانون الاجتماعي إلى تفصِيل طبقات الرَّعِيّة، فَأوصلها إلى سبع طبقات، أَولها طبقة (جُنُود الله)، وآخرها (الطبقة السُّفْلَى). ولكل هذه الطبقات تقسيم داخلي فرعي يشتمل على من يدخل فيها من الناس. وهؤلاء جميعاً يطلَق عليهم (الرعيّة) وكلٌ بحسب منزلته ومكانته في الترتيب الذي وضعه الإمام(عليه السلام).أقول: وقد وردت لفظة (رعية) وباشتقاقات متعددة دالة على النّاس بعَامّة في (خ / ٩٧، ٢١٦ ٢، ك / ٥، ك / ١٠، ٤٦، ٥٠، ٥٣ ٢٠، قصا / ٢٦١ ٢).

(١) نهج البلاغة: ك / 53: 550.

العرب

العرب جِيل من الناس معروف، وهم خلاف العجم[١]. والأعاريب جماعة من العرب[٢]. وتنقسم العرب عند المعجميين على قسمين؛ العرب العَارِبَة، وهم العرب الصَّرِيح[٣]، الخُلَّص منهم[٤]. ويقال لهم عَرَبَاء أيضاً[٥]. وهؤلاء تسع قبائل، كما يذكر، وهم من وِلد إرمَ بنِ سَامِ بنِ نُوح، وهي: عادٌ وثَمُود، وأُمَيْم وعَبِيْل، وطَسم، وجَدِيْس، وعِمْلِيْق، وجُرْهم ووَبَار ومنهم تعلّم إسماعيل (عليه السلام) العربية[٦]. أما القسم الثاني، فهم العرب المُسْتَعربة أو المُتَعَرِّبَة[٧]، وهم الذين دخلوا في العرب فاستَعَربوا وتعرّبُوا[٨]، فهم ليسوا بِخُلَّص وإنما دخلاء[٩]. وهؤلاء هم بَنُو إسْمَاعيل وَلَد مَعدٍّ بن عَدْنَان بنِ أُدَد[١٠].

والعربي منسوب إلى العرب، وإن لم يكن بدوياً[١١]. وذلك أنَّ نسبه في العرب ثابت وإن لم يكن فصيحاً[١٢]. والأعرَاب جمع (أَعرابي)، وهم سكّان البادية

(١) ينظر: لسان العرب (عرب): 1/ 586.

(٢) ينظر: العين (عرب): 2/ 128.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: لسان العرب (عرب): 1/ 586.

(٥) نفسه.

(٦) نفسه.

(٧) نفسه.

(٨) ينظر: العين (عرب): 2/ 128.

(٩) ينظر: لسان العرب (عرب): 1/ 586، و تاج العروس (عرب): 3/ 333.

(١٠) ينظر: تاج العروس (عرب): 3/ 333.

(١١) ينظر: لسان العرب (عرب): 1/ 586.

(١٢) ينظر: تاج العروس (عرب): 3/ 333.

خاصة[١]. والأعرابي البَدوي[٢]، وهو من كان بدوياً صاحب نَجْعة و انْتِواء للكلأ وتتبَّع لمساقط الغيث سواء أكان من العَرب، أو من مواليهم[٣]. ويفرِّق اللغويون بين (الأعرابي) و(العربي)، ذاكرين خصائص كل واحد من هؤلاء، فمن نزل البادية، أو جاور البَادِين، وظَعن بِظَعنهم وانتَوى بِانتوائهم، فهو أَعرَابي. ومن نزل بلاد الرِّيف واسْتَوطن المدن والقُرى العربية وغيرها ممن ينتمي إلى العرب، فهو عربي، وإن لم يكن فصيحا[٤]. وتجمع لفظة أعرابي على (أفْعَال)، و(أفاعِيْل)، فيقال: أعْرَاب، وأَعَارِيْب[٥].

وقد وردت لفظة (العرب) ثمان عشرة مرة في نهج البلاغة، ولفظة (أَعْرَاب) مرتين، في حين جاءت ألفاظ (الأَعْرَابِي، وأَعْراباً، وأَعْرَابِكُم) مرة واحدة فحسب[٦]. للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على الذين سكنوا الحواضر والمدن.

ومن ذلك قول أمير المؤمنين مخاطباً أهل الكوفة في سياق شحذ هممهم للخروج معه إلى حرب الجمل: ((**مِنْ عَبْدِ الله عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ جَبْهَةِ الْأَنْصَارِ وَسَنَامِ الْعَرَبِ...**))[٧]. وإنما وصفهم بهذه الصفات مدحا وثناء عليهم ووصفهم بـ(جبهة الأنصار)، والجبهة في الشيء موضع الكرامة منه، وهي

---

(١) نفسه.

(٢) ينظر: لسان العرب (عرب): 1/ 586.

(٣) ينظر: لسان العرب (عرب): 1/ 586.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 297.

(٧) نهج البلاغة: ك / 1: 459.

في الإنسـان موضـع سـجوده[١].

وألمح بقوله (سَنَامِ الْعَرَبِ) إلى علو منزلتهم بين العرب، وذلك أنّ السَّنَام هو ما علا من الجَمَل، وهو أعلى ظهره، وهو خيار ما في البعِير[٢]. ويرمز الإمام- بهذا الوصف- إلى علو كعب أهل الكوفة وتفضيلهم على سائر العرب.

وقد ذكر شُرَّاح النهج أنّ إيراد لفظ (الجَبهة)، و(السَّنَام) في هذا السياق جاء على سبيل المدح والثناء لأهل الكوفة[٣].وأراد الإمام بالعرب - هنا - العرب عامّة، ولاسيّما خِيارهم. ومثل الدلالة المتقدمة في استعمال لفظة (العَرب) ما جاء في (خ / ١٠٧، ١٠٤ / ١٢٤، ١٤٦ ³، ١٥١، ١٩٢²، ١٩٤، ك / ١٧ ²، ٤٥، ٦٢).

ثانياً: الدلالة على الأجلاف من الناس، وهم البُداةُ الذين لمّا نزل فيهم بقايا الجاهلية.

ومن ذلك قول الإمام(عليه السلام) متحدثاً عن بعض عمّاله الذي قسّم فَيء المسلمين بين قومه، قائلاً: ((**بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ، فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلَهَكَ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ أَنَّكَ تَقْسِمُ فَيْءَ[٤] الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَازَتْهُ رِمَاحُهُم وَخُيُولُهُم، وَأُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ فِيمَنِ اعْتَامَكَ[٥] مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ؛ لَئِنْ**

(١) ينظر: لسان العرب (جبه): 13/ 483.

(٢) ينظر: لسان العرب (شمم): 12/ 306.

(٣) ينظر: الديباج الوضي: 2102/ 5.

(٤) الفَيءُ الغنيمةُ والخِراج. ينظر: العين (فَيَءَ): 8/ 407.

(٥) أَعْتَمَ الناسُ اذا دخلوا في العتمة، واعتامك أي جاءك وحل بك. ينظر: لسان العرب (عتم): 12/ 381. وأما اذا كانت المفردة مأخوذة من (العَيْم)، وهو خيرة المتاع، بل هو الخيار من كل شيء. ينظر: لسان العرب(عيم): 12/ 433. فالمعنى أنهم فضلوك عل غيرك.

كَانَ ذَلِكَ حَقّاً لَتَجِدَنَّ لَكَ عَلَيَّ هَوَاناً...))[١]. وتوظيفه (عليه السلام) لمفردة (أعْرَاب) وإضافتها إلى كلمة (قَوْمِك) إشارة إلى استئثار هؤلاء بالفيء والغنائم التي حازها المسلمون، ولهذا أصبحت مسألة إعطاء هذا العامل الغنائم لأعراب قومه يمثل خروجاً عن القانون الإسلامي في توزيع الحقوق والغنائم على مُستَحقِّيها. ولعل هذا هو السبب الذي دعا الإمام إلى استعمال لفظة (أَعراب) التي توحي بالعودة إلى الجاهلية وإيثار القَرابة في توزيع الحقوق والغنائم، بعدما منع الإسلام ذلك، ووضع أحكاما لتوزيع هذه الغنائم. وإلاّ كان يمكن للإمام (عليه السلام) استعمال مفردة أخرى بدلاً من هذه اللفظة، كأن تكون لفظة (عرب قَومك) أو (أهل قومك). ولكن هذه الألفاظ - بحسب ما يبدو - لا تناسب السياق الذي تليق به لفظة (أَعْرَاب) دون من غيرها؛ لأنها تفيد الدلالة على الغلظة والقسوة فضلا عن الاستئثار في توزيع الغنائم، مع الإشارة إلى موضع سكن هؤلاء في البوادي ومواطن النجعة والكلأ، ولهذا فهم يعتامون صاحبهم ويراجعونه ليحصلوا منه على الفَيء والغنائم. ولهذا فسّر بعض الشُّرَّاح دلالة مفردة (أعراب قومك) بأنهم أجلَافهم وأهل الغَباوة منهم[٢].

أقول: إنّ استعمال أمير المؤمنين لمفردة (أَعْراب) جاء مُتَسقاً مع الدلالة القرآنية لهذه الكلمة - فيما أحسب - وذلك في قوله تعالى شأنه: ﴿**الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[٣]. فالذين اعتاموا عامل الإمام - كما يبدو من السياق - كانوا أَجدر ألاّ يعلموا حدود الله، لأنهم آثروا أنفسهم وآثرهم صاحبهم بفَيء المسلمين. وقد دَأب (عليه السلام) على وَصْف أمثال

(١) نهج البلاغة: ك/ ٤٣: ٥٢٧.

(٢) ينظر: الديباج الوضي: 2435/ 5.

(٣) التوبة / 97.

هؤلاءِ (بالأعراب) إلماحاً إلى تحمله اللفظة من انحطاط دلالي؛ لارتباطها بالبداوة والغلظة والعصبية. وهذه قِيم جاهلية يرفضها الإسلام. ولهذا صار (العربي) إذا وصف بأنه (أعرابي) مغاضباً. في حين أن (الأعرابي) إذا قيل له (يا عربِي) هشَّ وَبشّ وفَرح[١]. وهذا دليل على رقي دلالة مفردة (عَرَبِي)، وانحطاط دلالة لفظة (أَعْرابي)، فضلا عن كونهما نقيضتان وضدان في الدلالة، على الرغم مما صدر من العرب بحقّ أمير المؤمنين من أفعال وصلت حدَّ الأفعال والتصرفات الجاهلية، ولهذا وصف (عليه السلام) العُصاة من الناس (بالأَعرابيّة) قائلاً: ((**وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الهِجْرَةِ أَعْرَاباً، وَبَعْدَ المُوَالَاةِ أَحْزَاباً، مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ، تَقُولُونَ: النَّارَ، وَلَا العَارَ، كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا الإِسْلَامَ عَلَى وَجْهِهِ انْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ وَنَقْضاً لِمِيثَاقِهِ الَّذِي وَضَعَهُ اللهُ لَكُمْ**...))[٢]. والسياق واضح في أنّ المقصودين بخطابه (عليه السلام) هم مُحرِّفوا الإسلامِ الذين يريدون أن يُكفِئوا الإسلام على وجهه، ويُنقضون ميثاقه. ولهذا وَطَّأ الإمام لهذه الفكرة بوصف هؤلاء العصاة بـ(الأعراب)، ذاكراً تعبير (بعد الهجرة)، إشارة إلى أنهم عادوا إلى جاهليتهم الأولى بعدما استقر الإسلام واشتدَّ عُوده. ولتوكيد هذا المعنى صدّر أمير المؤمنين (عليه السلام) لَوم هؤلاء بقوله: ((**أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ، وَثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ**...))[٣]. وإنما تَضمّن هذا الكلام مفردة (ثَلَمْتُم) تعبيرا عن كسرهم أحكام الإسلام والإخلال بها بأحكام الجاهلية، ومخالفتهم لكثير من أحكامه[٤]. وبالعودة إلى وصف أمير

(١) ينظر: لسان العرب (عرب): 1/ 586.

(٢) نهج البلاغة: خ / 192: 376.

(٣) نهج البلاغة: خ / 192: 376.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 4/ 177.

المؤمنين لهؤلاء بـ(الأعراب) فهذا الوصف - كما يقول الشارح البحراني - يمثل أنْقَص رُتبة من المهاجرين وأهل المدن؛ لجفائهم وقَسوتهم وبُعدهم عن الفضائل النفسيّة[١]. علماً أن الأعراب ليسوا جميعا بهذه الحالة، فمنهم من يؤمن بالله واليوم الآخر. كما يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[٢]. ولكن الغالب عليهم هي الصِّفة المذمومة كما يبدو. أقول: والدلالة التي حملتها لفظة (أعْراب) نفسها وردت في (خ / ١٠٧، ١٦٨، ٢١٠).

العامّة

العَامَّةُ خلاف الخاصة[٣]. وسُمِّيت العَامّة عامّةً؛ لأنها تَعُمّ جميع البشر[٤]. والعَمُّ الجماعة، والخَلْقُ الكثير[٥]. والعَامَّة اسم للجمع وليس يجمع عند اللغويين[٦]. والعامَّة القيامة؛ لأنها تَعُمّ الناس بالموت[٧]. وشاعت لفظة (العَامّة) في نهج البلاغة حتى استعملت أربع عشرة مرة، وجاءت لفظة (العَامِّ) ثلاث مرات، ولفظة (عامّاً) مرتين، في حين وردت ألفاظ (عَمَّمْتَ)، و(العَوام)، و(عَوَامّها) مرة واحدة[٨]، للدلالة على ما يأتي:

---

(١) نفسه.

(٢) التوبة / 99.

(٣) ينظر: المحكم (عمم): 108 / 1، ولسان العرب (عمم): 426/ 12.

(٤) أنفسهما.

(٥) أنفسهما.

(٦) ينظر: لسان العرب (عمم): 426/ 12.

(٧) نفسه.

(٨) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٢٤.

أولاً: الدلالة على العَامَّة من الناس.

وهم النّاس قَلِيلو الشأن بالنسبة إلى غيرهم من المقربِين من الولاة أو الخلَفاء فهم الرَّعِيّة الذين تَسوسهم الولاةُ ويقعون تحت حكمهم. وقد شاعت هذه الدلالة في غير مَوْضعٍ من نهج البلاغة، ولا سيّما في عهد أمير المؤمنين إلى واليه على مصر (مالك الأشتر) الذي تضمن وصايا متعددة في مراعاة عامة الناس،منها قوله (عليه السلام): ((**وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَا الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَا الْعَامَّةِ**))(١). والنص يُلزِم الولاة الموازنة وعدم الميل إلى طرف من الناس على حساب طرف آخر، مع ضرورة مراعاة العَامّة، وعدم تفضيل خاصة الوالي عليهم؛ لأنّ سخط العامّة يؤدي إلى الإجحاف بالخاصَّة. ورِضَا العَامّة مقدّم على سخط الخاصَّة. فالواجب على الولاة العناية بالعَامّة واجابتهم إلى مسائلهم وهذا الأمر لا يحقق معنى التفريط بحقوق الخاصة؛ لأنّهم القلّة الذين يرغبون الهيمنة على السلطة وما يتعلق بها من مغانم وتقدمة. ولهذا آثر الإمام تقديم العامّة على هؤلاء، لأن سخطَ القلّة مغتفر مع رِضا العَامّة جميعاً، فالعامة: ((**عِمَادُ الدِّينِ، وَجِمَاعُ**(٢) **الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ**(٣) **لَهُمْ وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ**))(٤). يُبَينّ (عليه السلام) في هذا النص العلة التي من أَجلِها ينبغي العناية (بالعَامَّة)، لأنّهم عماد الدين، وإنما جعلهم (عِماداً) دلالة على كونهم الأَسُّ الذي يرتكز عليه

---

(١) نهج البلاغة: ك / 53: 547.

(٢) الجِماَع – بالكسر – جماعة الناس. ينظر: لسان العرب (جمع): ٨/ ٥٣

(٣) صَغَا إلى الشيء مال اليه، وصَغَا الرجل اذا مال أحد شَقّيه. ينظر: لسان العرب (صغا):١٤/ ٤٦١.

(٤) نهج البلاغة: ك / ٥٣: ٥٤٧.

الدِّين بِعامَّة، فهم كعمود الخيمة الذي يقيمها ويرفع من منزلتها، فلا قيمة لها بدونه، ومِن ثَمّ فهم جماعة الإسلام وجمهوره. وفي هذا التعبير إيماء من الإمام إلى أنّهم ركيزة الإسلام وعُدّته إذا عَدَا عليه عاد، فأمر واليه أن يكون صِغوه لهم. ولعل مجيء مفردة (صِغوه) في هذا النص منح السياق ضرباً من الدلالة الصوتية التي أضفتها هذه الكلمة المبدوءة بصوت (الصاد)، وهو من أصوات الصَّفِير التي تلفت السَّمع بسبب من جرسها الصوتي،فهي من الأصوات المجهورة المستعلية ذات الصفير[1].أما دلالة مفردة (صِغوه)؛ فهي الميل وإحناء النَّفسِ للاستماع إلى العامَّة، وفي ظلال المعنى الذي تحمله هذه الكلمة ما يومِئ إلى ضرورة أنَّ يكون الوالي مائلا بكل جوارحه إلى هؤلاء الناس لسماع حوائجهم للعمل على تحقيقها. ولا يخفي ما في إحناء الجسد إلى جهة شخص ما وتقريب الأذن من فَمه من دلالة على العناية به والاهتمام بأمره.وقد جاءت لفظة (العَامّة) (العَوام) و (عوامهّا) دالة على الناس العوام الذين يمثلون الرعيّة. ذلك في (خ/ ١٢٧، ١٧٣، ك/ ٥٣٥، ٥٤، ٥٨، ٦٩، قصا/ ٢٥٢).

ثانياً: الدلالة على أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

إذ يقول (عليه السلام) في وصف النبي الأكرم: ((**بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْإِنْبَاءِ وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ، خَصَّصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاكَ، وَعَمَّمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَوَاءً...**))[2].

وقد قابل الإمام بين لفظتي (خَصَّصْتَ)،و(عَمَّمْتَ)، فالأولى سيقت للدلالة على اختصاص النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) بآل البيت وقربه منهم من جهة القرابة القريبة ومن

(١) ينظر:كتاب سيبويه:٤/ ٤٨١،وسر صناعة الإعراب:١/ ٥١.

(٢) نهج البلاغة: خ / 451:235.

جهة ارتباطهم به في كونه نبيهم المبعوث من بين ظهرانيهم،وهو بهذا صار مسليا لهم عمن سواه، مثلما كانت مصيبته مسلية لهم عما سواها من المصائب. وأمّا مفردة (عَمَّمت)، فإنها تدل على تواضعه (صلى الله عليه وآله) وعدم افتراقه عن الناس عامهم وخاصهم،فقد كان فيهم كأحدهم لايميز نفسه عنهم،على الرغم من اختصاصه بالنبوة، فضلا عن أنه صار رمزا لاجتماع الناس وائتلافهم، بحيث اجتمعت فيه الناس جميعا من شتى البقاع، فصان قطبا لتآزرهم تحالفهم،مزيلا بذلك الفوارق الاجتماعية والطبقية بينهم.

الغريب

الغُربة النَّوى والبُعد[١]. وهي النزوح عن الوطن والاغترابُ[٢].ورجل غرِيب، أي بعيد عن وطنه[٣]. وقد جاءت لفظة (الغُرْبَة) ثمان مرات في نهج البلاغة. في حين وردت لفظة (الغريب) مرتين، وألفاظ (غُرْبَتِهِ) (غَرِيْباً)، و(مُغْتَرِب) مرة واحدة لكلٍ منهما[٤]، وذلك للدلالة على ما يأتي:

الدلالة على النَّوى والبُعد عن الوطن.

واستعملت لهذه الدلالة مفردة (غُربة)، وذلك في قوله (عليه السلام) الذي يتحدث فيه عن الموتى وغربتهم: ((... **فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِياً، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْماً... جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ، وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ... اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْناً، وَبِالسَّعَةِ ضِيقاً**

---

(١) ينظر: لسان العرب (غرب): 639 /1.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: لسان العرب (غرب): ١/ ٦٣٩.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٣٤.

وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً...))[١]. والنص يبين حال الموتى وتجاورهم دون قُريب يُؤْنس وحشتهم، فإنهم اختاروا الغربَة على لقاء الأهل والأحبّة. و(الغربَةُ) في النص إشارة إلى انضواء أجسادهم في القبور وابتعادهم عن الأحبه بعد نوى وفَقد لقاء. وقد جعل الإمام (الفَقْر في الوطن) بمنزلة (الغُرْبّة)، وذلك في قوله (عليه السلام): ((**الْغِنَى فِي الْغُرْبَةِ وَطَنٌ وَالْفَقْرُ فِي الْوَطَنِ غُرْبَةٌ**))[٢]. ويُنزل الإمام الغِنى - هنا - مَنزلَة الوَطن، ولكنه يعكس الأمر، فيجعل من الفقر غربة، وذلك كله رَهن بوجود المرء في وطنه. فإن كان المرء فَقِيراً في وطنه، فهذه هي الغُربة عند الإمام (عليه السلام)، وإن كان الغنى في الغُرْبَة، فذلك يُعَدُّ وطناً بحسب رؤية الإمام؛ لأنّ شِحّة المال في الوطن مدعاة إلى فَقْد الأعوان والأنصار، وضيق ذات اليد يؤدي إلى ابتعاد الناس عن الفقير وتجنبه، في حين أنّ كثرة المال في غُرْبَة المرء عن وطنه تؤنسه وتبعد عنه أثر الغربة [٣]. وتأثير الغِنَى المرتبط بالغربة في هذا النص يمثل نوعاً من استقرار الإنسان واستئناسه بأمواله لِيسلو بها عن غربته الحقيقية في بلد غير بلده.

ويلاحظ أنّ الإمام (عليه السلام) يجعل ظاهرة الغربة فقرا في غير موضع من النهج، ومن ذلك قوله: ((**...الْمُقِلُّ غَرِيبٌ فِي بَلْدَتِهِ**))[٤]، وقوله: ((**فَقْدُ الأَحِبَّةِ غُرْبَةٌ**))[٥]. والمُقِلّ هو الفقير كما يذكر اللغويون[٦]، فلهذا صار الفقر وقلة المال عند الإنسان غربة [٧].

---

(١) نهج البلاغة: خ / ١١١: ٢٠٩.

(٢) نهج البلاغة: قصا / ٥٦: ٦١٠.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٠٩.

(٤) نهج البلاغة: قصا / ٣: ٥٩٩.

(٥) نفسه: قصا / ٦٥: ٦١١.

(٦) ينظر: لسان العرب(قلل):١١/ ٥٦٤.

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٣٩٢.

كما أنفقد الأَحبّة بِموتهم أو سفرهم وارتحالهم يمثل غُربة لأصحابهم وليس لهم؛ لأن هؤلاء الباقين سيبقون دونما أخلاّء يُؤنسونهم ويُبعدون عنهم وحشة الفِراق. ولهذا استعار الإمام لفظ (الغُربة) لفقد الأَحِبّة، باعتبار ما يلزمها من الوحشة وعدم الأُنْسِ، وما يصاحب ذلك من أَلم بِفقدهم[١]. ومن دلالة لفظ (الغُربة) على البُعْد والنّوى ما ورد في: ((خ / ٨٣، ١٥٧، ٢٢٧، ك / ٣١، قصا / ٣٠)).

السَّوَاد

سَّواد النّاس عامّتهم، وهم الجمهور الأعظم[٢]. يقال: رأيت سَواد القَوم، أي مُعظمهم[٣]. والسَّوَاد الأعظم العدد الكثير من المسلمين الذين يجتمعون على طاعة الإمام[٤].

وقد وردت لفظة (السَّوَاد) في نهج البلاغة ثماني مرات، ثنتان منها بدلالة السَّواد من الناس، وهم عامّتهم من الجمهور الأعظم. والعدد الكثير الذين يجتمعون على شيء حقاً كان أو باطلاً. ومن ذلك قول أمير المؤمنين (عليه السلام) في سياق حَثِّ جُنده على قتال أهل الشام بِصفِّين: ((... **وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ، الله وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ الله** (صلى الله عليه وآله وسلم)**، فَعَاوِدُوا الكَرَّ، وَاسْتَحْيُوا مِنَ الفَرِّ... وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ... فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ**[٥]))[٦]. والسياق – هنا – سياق حثّ ودَفع إلى قتال معاوية وأصحابه. ولهذا احتفل النص بالفاظ (الكَرَّ)،

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني):٥/ ٤١٠، والديباج الوضي:٦/ ٢٧٦٦.

(٢) تاج العروس (سود): ٨/ ٢٢٨.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) الكسر جانب البيت، أو ما انحدر من جانبيه. ينظر لسان العرب (كسر): ٥/ ١٤١.

(٦) نهج البلاغة:خ/ ٦٦: ١٠٥.

و البعد عن (الفِرار) وقتال هذا الجمع الذي التفّ حول من خرجوا على الإمام. وقد عبر عنهم (عليه السلام) بـ(السَّوَادِ الْأَعْظَمِ) في إشارة إلى كثرة جمعهم وكونهم من عوامِ الناس الذين تمكَّن منهم معاوية بالخداع والتضليل. ولمعادلة كفّة أصحابه وشحذ عزيمتهم وإعطائهم دفعاً وإيماناً، ذكرهم (عليه السلام) بأنهم مع (ابنِ عَمِّ رسول اللهّ) في إشارة إلى نفسه وإيماء إلى قُربه من النبي الأكرم، فإنّ الحَقّ مع النبيّ وآله، في حين أن الطرف الثاني يفتقر إلى هذه الصلة من القرابة مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ فمعاوية بن أبي سفيان لا يمتلك مثل هذه الصلة القريبة مكن رسول الله، فضلا عما فيه من غمز وسوء سابقة في بدء الإسلام، فعمد الإمام إلى إغراء أصحابه ودفعهم باتجاه الموضع الذي يلبث فيه معاوية وأصحابه بقوله:((الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ)) إشارة إلى كونهم محل الفساد الذي هو مظنّة إبليس[1]. ومن دلالة (السَّواد الأَعظم) على الجمهور الذي اجتمع على الباطل، إلى دلالته على الجماعة التي تجتمع على شيء ليس من الباطل، وقد جاءت هذه الدلالة في سياق كلامه (عليه السلام) على ضرورة الاجتماع ونبذ الفُرْقَة: ((... **وَالْزَمُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ الله مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ**...))[2]. والسواد الأعظم هو الجماهير من الناس المجتمعون على حال مؤكداً أهمية هذا الاجتماع بذكر أنّ يد اللهّ مع الجماعة، وذلك أنّ الاجتماع أَمنع من أن ينال العدوّ من هؤلاء المجتَمِعين[3]. ثُمّ حذَّر (عليه السلام) من الفُرْقَةَ والشذوذ خارج الجمع عن طريق الاستبداد بالرأي[4]، أو الاستئثار بالمصلحة الخاصة التي تخرج المرء عن حِزْبَه وجمعه وتوجهه من العام إلى الخاص.

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٤٢.

(٢) نهج البلاغة: خ / ١٢٧ :٢٣٣.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥٦٥.

(٤) نفسه.

أَصْنَاف

الصِّنف النَّوع، والضَّرب من الشيء[١]. والصِّنْف طائفة من كلِّ شيء[٢]، فكل ضَرب من الأشياء صنف على حدَة[٣]. وقد وردت لفظة (أَصْنَاف) ثلاث مرات في نهج البلاغة، ولفظتا (الصِّنْف) و (صِنْفان) مرتين، في حين جاءت مفردة (الصِّنْفَيْنِ) مرة واحدة فحسب[٤].وقد ارتبطت هذه المفردات بتقسيم الإمام لطبقات الرعية والمجتمع في نهج البلاغة، فكثيراً ما استعملها(عليه السلام) في تفصيل أنواع الطبقات في المجتمع، وبيان طوائف الناس وأصنافهم.ولهذا كانت دلالة هذه المفردات تسير نحو معنى (النوع أو الطائفة) من الناس. ومن وذلك قوله (عليه السلام) في سياق تقسيمه الناس على أربعة أَصناف: ((**وَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ؛ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةُ نَفْسِهِ...وَمِنْهُمُ الْمُصْلِتُ لِسَيْفِهِ وَالْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ..وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ...وَمِنْهُمْ مَنْ أَبْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُؤُلَةُ**[٥] **نَفْسِهِ، وَانْقِطَاعُ سَبَبِهِ...**))[٦].وهذهِ المقولة توجِّه الناس وتجعلهم أنواعاً، والأصناف - هنا - تدل على الأنواع، فالنوع الأول هم مُريدو الدنيا القادرون عليها، الذين أطلقوا العِنان لشهواتهم، فلا يمتنعون عن الفساد. والنوع الثاني هم المُصلتون لسيوفهم متخذين الشَّر والظُّلم والقهر سبيلا للتسلط على الناس، أما النوع الثالث، فهم غير القادرين على الدنيا من الذين يطلبونها من خلال

(١) ينظر: لسان العرب (صنف): ٩/ ١٩٨.

(٢) ينظر: العين (صنف)::٧/ ١٣٢.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٦١.

(٥) الضئيل الصغير الحقير. وضأل شخصه. أي صغر. ينظر: لسان العرب (ضأل): ١١/ ٣٨٨.

(٦) نهج البلاغة: خ / ٣٢: ٦٩، ٧٠.

تفريطهم بالآخرة، ولا يطلبون الآخرة بعمل الدنيا. وهم الذين اتخذوا ستر الله ذريعة إلى المعصية[١]. أما النوع الرابع، فهم القاصرون عن الدنيا غير المؤهلين للملك والإمارة، لأنهم قَعدت بهم ضَؤُولة أنفسهم وحقارة شأنهم عن ذلك. أقول: ونظير دلالة (الصّنْف) على النَوْع وردت في (خ / ٩١، ١٢٧، ك / ١٥٣).

الطبقة

أصل الطَّبَق غِطَاء كل شيء[٢]. وطَبَقَات الناس مَراتِبهم[٣]. وهي أصناف مختلفة[٤]. والطبقة الحال[٥]. وقد استعمل الإمام (عليه السلام) لفظة (الطبقة) ثلاث مرات في نهج البلاغة، ولفظتا (طبقات، وطبقاتهم) مرة واحدة لكل منهما[٦]. وقد دَلَّت هذهِ الألفاظ جميعاً على المرتبة والمنزلة التي تقسم عليها فئات المجتمع، الاّ أنّ الإمام(عليه السلام) استعمل لفظة (الطَّبَقة) للإشارة إلى فئَة الفقراء وحالهم. وقد شاع هذا الاستعمال في عهده إلى (مالك الأشْتَر) في سياق وصيته له بمراعاة الفقراء والمعوزين. إذ يقول (عليه السلام) في سياق ذكره آخر طبقة من طبقات المجتمع: ((**ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ**...))[٧]. وأراد (عليه السلام) بالطبقة - هنا - الفئة أو المرتبة الخاصة بالفقراء ولضعفاء من الرعية.

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ٢٧٢.

(٢) ينظر: لسان العرب (طبق):١٠ / ٢٠٩.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: العين (طبق): ٥/ ١٠٨، و لسان العرب (طبق):١٠ / ٢٠٩.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٧٢. وقد وهم صاحب المعجم المفهرس فجعل لفظة (الطبقة) واردة (٤) مرات. وهي في الأصل(٣) مرات.

(٧) نهج البلاغة: ك / ٥٣: ٥٥١.

ونظير ذلك ما جاء في (ك / ٥٣) أيضاً إذ استعملت لفظة (الطبقة) بصيغة المفرد للدلالة على المعنى المتقدم.

وأما لفظة (طَبَقات) بصيغة الجمع، فقد خصصها الإمام للدلالة على مراتب الناس، فقال في سياق تقسيم الرعية على مراتب: ((**وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ، وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ...**))[١]. ولفظ (طبقات) -هنا- عام لا يختص بفئة من هذه الطبقات، وإنما هو إشارة إلى تعدد فئات الرعية ومنازلهم من حيث المنزلة الإدارية، أو من حيث الغنى والفقر. ونظير هذهِ الدلالة جاء في (ك / ٢٨).

بَيت مَدر

المَدَر – في اللغة – قِطَع الطين اليَابس[٢]. وقيل: هو الطين العلك الذي لا رملَ فيه، واحدته مَدَرة[٣]. والمَدر تَطيينك وجه الحَوض بالطِين الحُرِّ، لِئلا ينشف[٤]. والمَدَرة هي القرية المبنيّة بالطِّين واللَّبِن[٥]، ويقال للمدينة الضخمة الكبير مَدَرَة أيضاً[٦].

ومفردات (مَدَر) و(مدراً) و(مَدَرَة) من ألفاظ نهج البلاغة التي استعملت فيه أربع مرات بالاشتقاقات المتقدمة جميعاً[٧]، للدلالة على ما يأتي:

---

(١) نفسه.

(٢) ينظر: العين (مدر): ٨/ ٣٨، ولسان العرب (مدر): ٥/ ١٦٢.

(٣) ينظر: لسان العرب (مدر): ٥/ ١٦٢.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (مدر): ١٤/ ٨٦.

(٥) نفسه.

(٦) نفسه.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤١٩.

أولاً: الدالة على حجارة الطين اليابسة.

وقد استعمل أمير المؤمنين هذه الدلالة غير مرة. منها قوله (عليه السلام) في سياق حديثه عن القَبْر الذي يقول فيه: ((... **وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ**[١]**، تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا، وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا؛ لَأَضْغَطَهَا الحَجَرُ وَالمَدَرُ**...))[٢]. يشير (عليه السلام) إلى نهاية النفس البشريّة، وإن مكانها في الآخر إلى جَدَث مظلم لو زِيد في حَفْره ووُسِّع في مساحته، لَضغطت الحجارة اليابسة الجسد، وفي ذلك إلماح إلى ضغطة القَبر وما يحدث فيه من أهوال. فاستعمل الإمام(عليه السلام) لفظتا (الحجر، والمَدَر)، للدلالة على وسيلة الضغط إشارة إلى ضيق مُتَّسع القَبر وفُرْجته. وقد وردت لفظة (مَدَر) دالة على الحجارة من الطين في (خ / ١٩٢، ولفظة (مَدَرَة) في (ك/ ٤٥).

ثانياً: الدلالة على القرى المبنيّة من الطِيْن.

وجاءت هذه الدلالة في سياق كلامه (عليه السلام) على ظلم بني أمية ودولتهم: ((... **فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ، وَلَا وَبَرٍ إِلَّا وَأَدْخَلَهُ الظَّلَمَةُ تَرْحَةً**[٣]**، وَأَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً**...))[٤]. يُومِيء (عليه السلام) بهذا الكلام إلى دولة بني أميّة وظلمهم، وكيف يَعمُّ هذا الظلم كل الناس من حَضَر وبَدو، موظفا لفظة (مَدَر) إلى القرى أو البيوت المصنوعة من الطِّين. في إشارة إلى ما سيقع على أهلها من ظلم وعُسف، معبّراً بالمفردة المتقدمة عن لحاق هذا الأذى الحواضر والمدن ومن استوطنها، في حين أنّه عبّر عن أهل البوادي بذكر مفردة (وَبَر) التي تشير إلى أولئك الذين يسكنون

(١) الجدث القبر. ينظر: لسان العرب (جدث): ٢/ ١٢٨.

(٢) نهج البلاغة: ك / ٤٥ : ٥٣١.

(٣) الترحة نقيض الفرح، وترحه أحزنه، ينظر: لسان العرب (ترح): ٢/ ٤١٧.

(٤) نهج البلاغة: خ / ١٥٨ : ٢٧٨، وثمة موضع آخر شبيه بهذا النص ورد في (خ / ٩٨).

الصحارى من البداة.

نظير

النَّظِيْرُ المِثْلُ في كلِّ شيءٍ، وفلان نظيرك اي مِثْلُكَ؛ لأنّه إذا نظر اليهما الناظِرُ رآهما سواءً[١]. وقيل: هي الشَّبه في الأشكال والأخلاق والأفعال والأقوال[٢]. وتجمع هذهِ اللفظة عند اللغويين على (فَعَائِل) فيقولون في جمعها (نظائِر)[٣]. وقد استعمل أمير المؤمنين لفظتا (نظير)، و(نظائر) مرتين لكل منهما في نهج البلاغة[٤]، للدلالة على مايأتي:

أولاً: الدلالة على الشبيه أو المثيل في الخَلْق.

وقد وظف الإمام لهذا الدلالة عبارة (نَظِير لَك فِي الخَلْقِ)، وذلك في سياق تَصنِيف الإمام الناس على صنفين: ((**وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ، إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الخَلْقِ...**))[٥]. و(النظير) هو المثيل أو الشبيه في الخَلقِ من حيث تشابه أجزاء الجسم وكمال الصَّنعة الإلهية. وقد أَومأ الإمام(عليه السلام) بهذا التعبير إلى أن الصّنْفَ الثاني من الناس هم الذين لا تَربطهم مع المخاطب علاقة الأخوّة في الدِّين، وإنما الرابط بينهما هو المشابهة في الخلق والاشتراك في كون الخالق والرب لهما معاً هو الله جل جلاله الذي أنشأ الخلقِ إنشاء. ويُلمح

(١) ينظر: لسان العرب (نظر): ٥/ ٢١٩.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ٤٤٦.

(٥) نهج البلاغة: ك/ ٥٣: ٥٤٥.

في مفردة (نَظِير) – هنا – معنى الشّبه في التصرفات والأفعال والأقوال[١]. وهي علامات على ما يصدر من الأنسان من حركات بجوارحه ومواقف وكلامه.

ثانياً: الدلالة على نَفْي الشبيه والنظير.

وهذه الدلالة مخصوصة بالله تبارك وتعالى الذي لا نظير له. يقول الإمام(عليه السلام) في سياق توحيد الله تعالى، وهيمنته على كلِّ شيء: ((**خَضَعَتِ الْأَشْيَاءُ لَهُ، وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ، لَا تَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعَ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرِّهِ، وَلَا كُفْءَ لَهُ فَيُكَافِئَهُ وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيُسَاوِيَهُ...**))[٢].ولما كان السياق سياق توحيد وتنزيه لله تعالى وخضوع الأشياء له، لهذا استعمل الإمام (لا) النافية للجنس لنفي جِنّسِ النظير للخالق سبحانه، ويلحظ في مفردة (نَظِير) – هنا – دلالتها على (المُسَاوي). وهي دلالة تُفهم من مجاورة لفظ (نظير) لمفردة (يُسَاوِيه). وهما في سياق النَّفي معاً.

أقول: إن هذا النص جزء من خُطبة تامّة في (التوحيد) وتنزيه الله سبحانه عمّا لا يليق به. ولهذا صرح الإمام غير مرّة بأن الله تبارك وتعالى: ((**بِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ، وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ...**))[٣]. ونَفْي الضِد والقَرِين دليل على عدم وجود النَّظِير له سبحانه، فكل هذه الألفاظ تقع في دائرة صفات السَّلْب.وهي الصفات التي تلب عن الحق تبارك وتعالى ما لايليق به من أوصاف، وتثبت له نقائضها. ومثل هذه الدلالة لمفردة (نظير) المنفية ما جاء في (خ / ١).

---

(١) ينظر: لسان العرب (نظر): ٥/ ٢١٩.

(٢) نهج البلاغة: خ / ١٨٦: ٣٤٦.

(٣) نفسه: خ / ١٨٦: ٣٤٣.

ثالثاً: الدلالة على سُوء النَّظِير وقِلَّة شَأنه.

وفي هذه الدلالة تتحول لفظة (النظائر) اليمفردة مُنحَطّة الدلالة، بسبب من استعمالها في سياق الموازنة بين الإمام وغيره من النماذج التي يسبقها الإمام في الإسلام والشرف ورفعة المنزلة والقرابة القريبة من النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)،فضلا عما ورد فيه من نصوص في كونه وصي النبي ووارثه في الإمامة والخلافة،وهذه هي العلة في تعجّبه في أن يُقرن إلى هذه النظائر من الناس الذين لم يسمهم،وإنما اكتفى بالإشارة اليهم بمفردة (النّظائر) التي استعملها في قوله (عليه السلام): ((**فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ المِحْنَةِ، حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ، فَيَا للهَِّ وَلِلشُّورَى ؟ مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هذِهِ النَّظَائِرِ...**))[1]. وقوله: ((**مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ**)). استفهام غرضه التَّعجُّب والإنكار لما وقع عليه من ظلم وعسف وغصب لحقه بعد وفاة النبي. ولهذا استغرب لما صار اليه من مقارنة مع هذه النظائر من(لجنة الشورى) الذين شَكَّلوا بأمر من الخليفة (أبي بكر)؛ ليكون الإمام واحداً منهم بشروط شَرَطُوها عليه. ويبدو لي أن مفردة (النّظائر) في هذا السياق لا تدل على(المِثْل أو الشَّبِيْه) بمعنى المشابهة التّامة في الأفعال والأخلاق والتصرفات، فضلاً عن الأشكال. كما يذكر اللغويون في دلالتها المعجمية[2]،لأن أفعال الإمام وأخلاقه وتصرفاته تختلف عن أفعال أولئك القوم وأخلاقهم وتصرفاتهم من وجهة نظره (عليه السلام). ولهذا استعمل هذه المفردة من باب التّهَكُّم و التَّعجُّب،كأنه يقصد من ذلك: أهذهِ هي نظائري وأمثلتي التي أُقْرَن اليها، فليس ثَمّة شبه بيني وبينهم.أقول: إن

---

(١) نفسه: خ / ٣: ٣٠.

(٢) ينظر: لسان العرب (نظر): ٥/ ٢١٩.

مقارنتهم الإمام مع هذه النظائر يمثل قياساً مع الفارِقِ. ويبين هذا الفارِقِ من خلال الاطلّاع على خِصال الإمام وأفعاله ومواقفه منذ بدء الرسالة الإسلامية إلى يوم استشهاده مرورا بحادثة (السقيفة) و(الشُّورَى)التي رفضها الإمام وأنكرها، لَمَا صدر من النبي أنّ الوَصِيَّ من بعده هو الإمام علي (عليه السلام)[١]. ولكنه حين قُرِن إلى هذهِ الامثلة لم يعترض رعاية للإسلام والمسلمين، حَتَّى سلّطت هذه الجماعة آراءها وصرفوا الخلافة عن الإمام وآثروا بها غيره[٢].

البَدْو

البَدْو خِلَاف الحَضَر[٣]؛ لأنّهم في بِراز من الأرض، وليسوا في قُرى تَسترهم أبنيتها[٤]. والبادية اسم للأرض التي لا حضر فيها، أي لا محلّة دائمة فيها، فإذا خرج الناس من الحضر إلى المراعي والصحاري قيل بدو[٥].

وقد وردت لفظتا (بَادِيها) و(البَدْو) في نهج البلاغة؛ إذ استعملت اللفظة الأولى مرتين، في حين جاءت المفردة الثانية مرة واحدة[٦]، للدلالة على البوادي من الأرض التي لا حضر فيها التي يسكنها البَدو. ومن ذلك ما ورد في عهد

(١) ومن ذلك قوله (صلى الله عليه وآله): ((أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى)). ينظر: صحيح البخاري: ٣/ ١٣٥٩، والسنن الكبرى، للنسائي: ٥/ ٤٤، والمعجم الكبير، للطبراني: ١٩ / ٢٩١، وفضائل الصحابة، لأحمد بن حنبل: ٢/ ٦٣٣، ومسند أحمد بن حنبل: ١/ ١٧٤. ووسائل الشيعة: ١١/ ٢٦، ٤٦. وغير ذلك من النصوص الخاصة بمنزلة الإمام بوصفه الخليفة بعد النبي.

(٢) ينظر: الديباج الوضي: ١/ ٢١٦.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (بدو):١/ ٢١٢، والمحكم (بدو): ٩ / ٤٤٢.

(٤) أنفسها.

(٥) ينظر: العين (بدو): ٨/ ٨٣.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٩.

كتبه بين أهل اليمن وربيعةَ يقول فيه: ((**هَذَا مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْيَمَنِ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا، وَرَبِيعَةُ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا، أَنَّهُمْ عَلَى كِتَابِ اللهِ يَدْعُونَ إِلَيْهِ...**))[١]. ومفردة (بَادِيهَا) - هنا - تدل على من اتخذ البادية سكنا له[٢]، وهي الأماكن البارزة من الأرضِ. والدلالة نفسها وردت في (خ / ١٥١).

رَعَاع

الرّعاع الأحداث[٣]. ورَعَاع الناس سِقَاطهم وسَفَلَتُهُم[٤] وهم الضعفاء الذين إذا فَزِعوا طاروا[٥]. والرَّعرعة اضطراب الماء الصّافي الرقيق على وَجْهِ الأرضِ[٦]. ومنه قيل: غلام رَعْرع أو تَرَعْرع على التشبيه بالماء؛ لأنه يترعرع ويكبر كما يترعرع الموج ويمتد[٧].

وقد وردت لفظة (رَعَاع) في نهج البلاغة مرة واحدة[٨]، دالة على السّفلة من الناس والسقطة المضطربون. وذلك في قول أمير المؤمنين الذي يُصَنّف فيه الناس ثلاثة أصناف: ((**النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ، أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ...**))[٩]. والرِّعَاع هم سَفلَة الناس وطغَاهم

---

(١) نهج البلاغة: ك / ٧٣: ٥٩٣.

(٢) ينظر: الديباج الوضي: ٥ / ٢٧٠٧.

(٣) ينظر: لسان العرب (رعع): ٨/ ١٢٨.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

(٦) ينظر: لسان العرب (رعع): ٨/ ١٢٨.

(٧) نفسه.

(٨) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٩٠.

(٩) نهج البلاغة: قصا / ١٤٧: ٦٢٨.

وسَقَطتهم[١]. وقيل: بل هم صِغَار الناس وأحَداثهم، وإنما استعمل (عليه السلام) هذه المفردة كناية عن أنّ هذا الضَّرب من صغار السِّن هم مظَنّة الجَهل[٢].

هَمج

الهَمْج كلّ دود ينفَقىء عن ذباب أو بَعُوض[٣]. والهمج ذُباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغَنم والحمِير وأعينها[٤]. وهو أيضاً صغار الدواب[٥]. وأصل الهمج في كلام العرب البعوض، واحدته هَمْجَة[٦].

وقد وردت لفظة (هَمج) في نهج البلاغة مرة واحدة[٧]. دالة على رذائل الناس ورعاعهم. يقول (عليه السلام) في سياق تصنيف الناس وبيان أنواعهم: ((**النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ، أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ**...))[٨]. والناس عند الإمام (عليه السلام) ثلاثة أصْنَاف ثالثها الهَمَج، وهم أشباه الناس الذين لا عقول لهم ولا مروءة.فكأنهم البعوض الذي اذا جاع هَمَج وجه الغَنَمِ والحمير لجوعه، ولسوء مُتَّبعه. وذكر شُرَّاح نهج البلاغة أنّ الإمام (عليه السلام) إنما عبّر عن هذهِ الفئة من الناس بـ(الهَمج) باعتبار حقارتهم ودناءة موضعهم،

---

(١) ينظر: لسان العرب (رعع): ٨/ ١٢٨ والديباج الوضي: ٦/ ٨٣٩.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٤٣٨ والديباج الوضي: ٦/ ٨٣٩.

(٣) ينظر: العين (همج): ٣/ ٣٩٦.

(٤) ينظر: لسان العرب (همج): ٢/ ٣٩٢.

(٥) نفسه.

(٦) نفسه.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٧٠.

(٨) نهج البلاغة: قصا / ١٤٧. وقد نقل ابن الاثير قولة الإمام (عليه السلام) برواية اخرى هي:((وسَائِر النّاسِ هَمج رَعَاع)). ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥ / ٢٧٢.

فاستعار لهم هذهِ المفردة لإظهار هذا المعنى[١].

ومما يعزز هذا المعنى وصفه (عليه السلام) لهم (بالرَّعاع) و (اتباع كل ناعقِ) لأنّهم جهّال؛ ملاحظة لشبههم بالغنم والدواب في الغَفْلَةِ والغباوة[٢].

النَّمَط الأوسط

النَّمَط الجماعة من الناس الذين أمرهم واحد[٣]. وأصل (النَّمط) في اللغة الطريقة، أو الضّرب والنوع والمذهب[٤]. وذكر اللغويون أن (النّمط) عند العرب هو الزوج من ضروب الثياب المُصبغة، فإنهم لا يكادون يقولون (نَمَط) إلاّ لما كان ذا لون من حمرة أو خضرة أو صفرة، فأما البياض فلا يقال له نَمَط[٥].وَسَط الشيء ما بين طَرَفِيه، وأوسط الشيء أفضله[٦].

وقد استعمل أمير المؤمنين(عليه السلام) تعبير (النَّمَط الأَوْسَط) في نهج البلاغة مرة واحدة[٧].دالًا به على نوع من الناس والجماعة الذين لم يُفرِّطوا في حبِّ الإمام، فيكونوا مغالِين فيه، ولم يكونوا مُفَرِّطِين في عدائه وبُغضه، فَيُغَالوا في ذلك إلى غير الحقّ. يقول (عليه السلام): ((**وَسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الحُبُّ إِلَى غَيْرِ الحَقِّ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ البُغْضُ إِلَى غَيْرِ الحَقِّ، وَخَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالًا**

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٦/ ٤٣٨.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: لسان العرب (نمط): ٧/ ٤١٧.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: لسان العرب (نمط): ٧/ ٤١٧.

(٦) نفسه.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٩٠.

النَّمَطُ الأَوْسَطُ فَالْزَمُوهُ...))[١]. (والنَّمَط الأَوْسَط) هم النُّخبة الذين يمدحهم الإمام في النص، وهم الجمهور غير المُفرِّط، ولهذا وصفهم بـ(خَيْرالنَّاسِ). وإنما دلت لفظة (النَّمَط) -هنا- على النَّوْع، وهي خبر لكلمة (خَيْر)، ووصفها الإمام بـ (الأَوْسَط).أي الذي يقع في مركز النقيضين (الإفراط في الحب، والإفراط في البُغض). وقد ذكر الشُرَّاح أن قول الإمام (النَّمَطُ الأَوْسَط) يُراد به الجماعة الذين أمرهم واحد[٢]. وقيل بل هم الطريقة من الطرائق[٣]. ويفهم من ذلك أن هؤلاء هم أصحاب الإمام الذين اجتمعوا على حبَه وائتلفت قلوبهم عليه،فهم في ذلك على طريقة ومذهب واحد.

سُوقاً

السُّوَقَةُ أَوساط النّاسِ كما يقول الخليل[٤].وَهُم خلاف المَلِك، وهم الرَّعِيّة التي تَسُوسها المُلوك[٥]، ويذكر الأزهري عِلّة تَسمِيتَهم بـ (السُّوقَة) قائلا: ((**لأنَّ المُلُوك يَسُوسُونهم؛ فينساقُون لَهم**))[٦]. ويبدو أنّ المعنى مأخوذ من قولهم (تَسَاوَقَت الإبل تَسَاوقاً) إذا تتابعت، فهي مُتقاودة متساوقَة[٧]. ونجد ابن فارس يذكر في معجمه

(١) نهج البلاغة: خ / ١٢٧: ٢٣٢، ٢٣٣. وقد روى ابن الأثير وابن منظور كلام الإمام هذا مع تغيير في بعض الفاظه. يقول ابن منظور: ((وروي عن عليّ كرَّم اللهّ وجهه أنه قال:((خير هذه الأُمة النَّمَطُ الأَوسطُ يَلْحَقُ بهم التالي ويرجع إليهم الغالي)). ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥ / ١١٨، و لسان العرب (نمط): ٧/ ٤١٧.

(٢) ينظر: الديباج الوضي: ٣/ ١٠٤٣.

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث والاثر: ٥ / ١١٨.

(٤) ينظر: العين (سوق):٥/ ١٩١.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (سوق):٩/ ١٨٤.

(٦) نفسه.

(٧) ينظر: لسان العرب (سوق):١٠/ ١٦٦.

أن (السين والواو القاف) أصل يدل على حَدو الشيءِ وسوقه [١].

وقد ردت لفظة (سَوْقاً) مرة واحدة في نهج البلاغة[٢]، للدلالة على (السُوَق) وهم ذوو المراتب المتواضعة من الناس كالعبيد والموالي وغيرهم. وقد استعمل الإمام اللفظة المتقدمة في حديثه عن الموت

الذي يَأْخُذ كل الناس قائلا: ((... **الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ**[٣] **الْعِزِّ، وَحَلَبَاتُ**[٤] **الْفَخْرِ، مُلُوكاً وَسُوَقاً، سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ**[٥] **سَبِيلاً سُلِّطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ**...))[٦]. والسياق -هنا- بيان لأخذ الموت كل أنسان مهما كانت منزلَته ومكانته، وانْسِجَاماً مع هذا المعنى أورد الإمام (عليه السلام) مفردتي (مُلُوكاً، وَسوَقاً)، وهما لفظتان من الأضداد التي تتقابل فيها المعاني، فكلاً منهما يدل على معنى. فالملوك هم أصحاب العز وحلَبّات الفخر كما يعبّر عنهم الإمام. في حين أن (السُّوَقة)هم عامة الناس وأَوساطهم وهم الرَّعِيّة الذين يعِيشون في المجتمع[٧].

أقول: وقد أضاف الإمام (عليه السلام) دلالة جديدة لهذه لمفردة في النص المتقدم،

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (سوق):٣/ ١١٧.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٣٠.

(٣) المَقام مَوضِع القَدمين،والمقام والمُقَامَةُ الموضع الذي يُقام فيه. ينظر: لسان العرب(قوم):١٢/ ٤٩٨.

(٤) الحَلَبَةُ هي الدَّفْعَةُ من الخَيْلِ في الرِّهان خاصة. مُفْرَدها (حَلْبَة) بالتسكين وهي تجمع للسباق من كل أوْب، وتجمع على (حلائب).ينظر: لسان العرب (خبط):١/ ٣٣٢.

(٥) أصل البَرْزَخ الحاجز بين الشيئَيْنِ.والبرزخ في المعنى الديني مابين الدنيا والآخرة قبل الحشر من وقت الموت إلى البعث،فمن مات دخل في البرزخ.ينظر: لسان العرب (برزخ):٣/ ٨.

(٦) نهج البلاغة: خ / ٢٢١: ٤٢٦.

(٧) ينظر: العين (سوق):٥/ ١٩١، و تهذيب اللغة (سوق):٩/ ١٨٤.

فجعلها تدل على كل شخص لا يملك مرتبة (الملوك) فضلاً عن عدم دلالتها على (الأئمة المعصومين) أو غيرهم من (العلماء) مثلاً؛ لأنهم لَيسوا من طَبقة (السوقَة) التي تدل عند إطلاقها على من تَسوقُه الملوك لتحقيق غايتها،فينساقون حيثما يَسوقهم هؤلاء[١]. وهذا المعنى لا يَنطبق على الأنبياء، والأئمة المعصومين، ومن هم بمنزلتهم. لأنهم يعيشون بين الناس دون الخضوع (للملوك) وما يصدرونه من أوامر وغيرها.

(١) ينظر: تهذيب اللغة (سوق):٩/ ١٨٤.

المبحث الخامس
ألفاظ الجُند والشرطة

جنود

الجُنـد معـروف، وهـو كل صنـف مـن الخَلْـقِ(١). وقـد غلـب هـذا اللفـظ - كـما يبـدو- عـلى العسـكر والجيش؛ إذ يقـال لهـم جُنْـد كـما يفهـم مـن أقـوال اللغويـين(٢). والجُنـدُ في الأصـل هـم الأعـوان والأنصـار، ومـا تجمّـع منهـم(٣).

وقد استعمل الإمام الجذر اللغوي (جَنَدَ) باشتقاقات متعددة، إذ استعمل لفظة (جُنُود) بصيغة الجمع على (فُعُول) أربع عشرة مرة، ثلاث منها مضافة إلى ضمير الغائب (جُنُوده)، وثلاث أُخر منصوبة (جُنُوداً)، وثنتان مضافة إلى كان الخطاب (جُنُودك)، واستعمل (عليه السلام) مفردة (جُنْد) بصيغة الجمع على (فُعْل) أيضاً إحدى عشرة مرة، ثلاث منها محلاة بـ(أل)، وثنتان مجردة منها، وثلاث أضيفت فيها اللفظة إلى ضمير الغائب (جُنْدُه)، واثنتان مضافة إلى ضمير الخطاب (جُنْدُك)، في حين جاءت اللفظة منصوبة في موضع واحد فحسب. واستعمل الإمام لفظتي (أَجْنَادِي) جمعاً على وزن (أفْعَال) مضافة إلى (ياء المتكلم)، ولفظة (جُنَيْد) بوزن التصغير (فُعَيْل) مرة واحدة فحسب(٤). وقد وردت هذه المفردات في نهج البلاغة، للدلالة على ما يأتي:

---

(١) ينظر: العين (جند): ٦/ ٨٦، وتهذيب اللغة (جند): ١٠/ ٣٤٨.

(٢) ينظر: العين (جند): ٦/ ٨٦، والمحكم (جند): ٧/ ٣٣٣، وتاج العروس (جند): ٧/ ٥٢٤

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (جند): ١/ ٤٨٥، ولسان العرب (جند): ٣/ ١٣٢.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٩١.

أوّلاً: الدلالة على الجيش والعسكر.

وقد جعل (عليه السلام) (الجُنْد) في الطبقة الأولى من طبقات المجتمع الذي قسّمه في عهده (لمالك الأشتر) على طبقات، قائلاً: ((**وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لاَ يَصْلُحُ بَعْضُهَا إلاَّ بِبَعْض، وَلاَ غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْض: فَمِنْهَا جُنُودُ الله، مِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ**...))[١]. وإنّما أضاف (الجنود) إلى لفظ الجلالة (الله) في هذا السِّياق، تشريفاً لهم ورفعاً لمنزلتهم، فهم عساكر الإسلام الذين يحققون له العِزّة والمَنَعَة من الاعداء، وهم الذين يوقعون في نفوس الأعداء الخيفة والمهابة من دولة الإسلام[٢]. ويبدو أنّ هذهِ الأسباب هي التي جعلت الإمام (عليه السلام) يقدّم هذه الفئة من المجتمع على سائر طبقاته الأخرى. وقد بيّن الإمام وظيفة (الجنود) وأهميتهم في الدولة الإسلامية بأربعة أمور، منها أنّهم (حُصُون الرّعيّة). و(الحُصُون) – في اللغة جمع – (حِصْن) وهو كل موضع حَصِين لا يوصل إلى ما فيه[٣]، كأنّ هؤلاء الجنود بمنزلة الحصن الذي تحتمي به الرعيّة، فلا يصل إليها الأذى؛ لأنّها تكون محفوظة بفضل هؤلاء الجند. وقد ذكر الشارح البحراني أنّ لفظ (حُصُون) في النص مستعار لهؤلاء الجنود، لإضفاء الدلالة على الحفظ والحماية التي يقدّمها هؤلاء للرعية، كأنّهم الحصن الذي يحيط بالناس[٤]. وأمّا الوصف الثاني فهو (زَيْنُ الوُلاة). والزَّين خلاف الشَّيْن[٥]، وهو – في هذا المقام – يدل على حُسن هؤلاء الجنود في أداء واجباتهم الموكلة إليهم في حفظ الدولة، وأمنها، فضلاً عن

(١) نهج البلاغة: ك/ ٥٣: ٥٥٠.

(٢) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٢٥٢٦.

(٣) ينظر: العين (حصن): ٣/ ١١٨.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٣٤٤.

(٥) ينظر: لسان العرب (زين): ١٣/ ٢٠١.

كونهم أحد الأسس المهمة التي يستند إليها الولاة في تنفيذ الأوامر؛ فإنّ الوالي بلا جُند يكون كواحد من الرَّعيّة لا يُبَالى به، ولا يُطاع له أمر بشرط أن يكون الوالي من ولاة العَدل، وليس من الظالمين. وأمّا وصفهم بـ(عِزّ الدِّين)، فذلك لأنّهم المَنَعَة التي يَعُزّ بها الإسلام، وتقام أحكامه شرائعه، وبهذا يتحقق الأمن في البلد؛ فهم الذين يُهَيّئون الأسباب لاستقرار الدولة وإرساء الأمان في طرائقها وأمصارها. وختم الإمامهذه الأوصاف، بذكر أنّ الرَّعيّة لا تقوم إلاّ بهذه الطبقة التي تلزم الحاجة إليها في إقامة شؤونهم وتحقيق حاجتهم. وصفوة الأمر أنه (عليه السلام) إنّما وصف هذه الطبقة بتلك الأوصاف ليؤكد المراد بهم (جنود الحق) وليس مطلق الجنود الذين يعملون في خدمة أمراء الجور والتسلط وهذا الأمر يمكن أن يفسّر لنا تعبير. الإمام بـ(جنود الله)؛ إذ يلمس في هذه الإضافة ضرب من طاعة هؤلاء الجنود لله تبارك وتعالى في أوامره ونواهيه، فضلاً عمّا قدّمت سابقاً من دلالة التشريف الحاصلة من إضافة مفردة (جنود) إلى لفظ الجلالة. أقول: وقد وردت الدلالة المتقدمة في مواضيع أُخر من النهج هي (خ / ١٣، ١١٩، ك / ٥١، ٥٣).

الفارق بين لفظتي (جُنْد)، و(جُنُود) في نهج البلاغة:

من خلال متابعة هاتين اللفظتين في كلام الإمام في نهج البلاغة، أظهر الاستقراء كثرة استعمالها معاً؛ وقد أردت بيان الفارق الدلالي بين تينك اللفظتين في أقوال الإمام؛ لإظهار مزيّة كل واحدة منهما في التعبير العَلَوي، فاللغويون يرون أنّ لفظة(جُنْد)تدل على كُلِّ صنْف من الخَلق[١] وهي لفظ مفرد وجمعها (جُنُود)[٢]. و(جُنْد) لفظ على (فُعْل)، وهو معدود من أبنية المفرد عند النحويين، يجمع على

(١) ينظر: العين (جند): ٦/ ٨٦، وتهذيب اللغة (جند): ٣/ ٤٧٩، وشرح ابن عقيل: ٢ / ٤٦٦.

(٢) نفسهما.

(فُعُول)، فيقال: جُنْد، وجُنُود[١]. وذكر سيبويه أنّ الجمع فيه يكون على بناء أدنى العدد على (أَفْعَال)، فيقال: جُنْد أَجْنَاد[٢]. وأردف بأنهّم رُبّما تجاوزوا هذا الوجه، فجمعوه على (فُعُول) لإرادة الكثرة، فقالوا: جُنْد جُنُود[٣]. كأنّه يشير إلى جواز جمع (جُنْد) على (أَفْعَال) و(فُعُول). ويبدو أنّ اللفظ المتقدم هو من الألفاظ التي تُسمى(اسم الجمع)[٤]، وهو مفرد في لفظه جمع في معناه[٥]. وقد لاحظت أنّ الإمام(عليه السلام) يستعمل لفظ (جُنْد) متى ما أراد التعبير عن معنيين لا ثالث لهما:

أولهما: الدلالة على التفرّد:

وأعني به أن يكون لفظ (جُنْد) مُشعراً بالقِلة والانفراد الذي يحتاج معه إلى تحقق الإعانة والمساعدة، ومن ذلك قوله(عليه السلام) مخاطباً الخليفة (عمر بن الخطاب)، وقد استشاره في الشخوص لقتال الفُرس بنفسه: ((**إِنَّ هـذَا الأَمْـرَ لَمْ يَكُـنْ نَـصْرُهُ وَلاَ خِذْلاَنُهُ بِكَثْرَة وَلاَ بِقِلَّة، وَهُوَ دِينُ اللهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ، وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ، وَطَلَعَ حَيْثُ طَلَعَ، وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُود مِنَ اللهِ، وَاللهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ، وَنَاصِرٌ جُنْدَهُ**...))[٦]، فاستعمل(عليه السلام) لفظة (جُنْده) مرتين، دلّ بالأولى على الإسلام الذي جعله بمنزلة (الجُنْد) الذي يُعَدّ للقتال والتهيئة لأمر ما، ولهذا أخبر عنه بلفظتي (بالإعداد، والإمداد). يعني أعدّ له الوقت الملائم لإظهاره وانطلاقه إلى

---

(١) ينظر: شرح ابن عقيل: ٢/ ٤٦٦.

(٢) ينظر: كتاب سيبويه: ٣/ ٥٧٦.

(٣) ينظر: كتاب سيبويه: ٣/ ٥٧٦.

(٤) وهو الاسم الواقع على الجمع، الدال عليه دون أن يكون له واحد يكَسرِّ عليه، نحو: سَفَر، وخَدَم، ورَكْب، ينظر: المفصل في صنعة الإعراب؛ للزمخشري: ١/ ٢٤٤.

(٥) ينظر: مع نهج البلاغة: ١١٤.

(٦) نهج البلاغة: خ/ ١٤٦: ٢٥٥.

مجتمع الجهل والظلام، وأمدّه بالأسباب التي هيأت له دخول الناس فيه ليصل إلى ما وصل إليه. وأمّا مفردة (جُنْده) الثانية، فقد جاءت بمعنى الجيش والأعوان الذين دخلوا في الإسلام وصاروا جنداً له. وإنّما لم يستعمل الإمام لفظة (جُنُود) بدلاً من المفردة المتقدمة؛ لأنّ المقام الذي يتحدث فيه الإمام مقام إعزاز ورَفع هِمم المسلمين في مواجهة العدو، فناسب ذلك إيراد تلك المفردة التي توحي بالقِلة والحاجة إلى المعونة الإلهية للوقوف بوجه الأعداء، ولهذا ذكر الإمام تعبير ((**وَاللهُ... نَاصِرُ جُنْدَهُ**))، فلولا الحاجة إلى هذا الضرب من المَدَد في نفوس (الجُنْد) لما عبّر بهذا التعبير. وقد ورد مثل هذا المعنى في (نهج البلاغة) مواضع عِدّة باستعمال مفردة (جُنْد)، هي (خ / ١١٩، ١٩٠، ١٩١، ك / ٥١، ٥٣، ٦١).

ثانيهما: الدلالة على الذَّمِّ والتَّحقير:

ومن ذلك قوله(عليه السلام) في سياق ذمِّ أهل البصرة: ((**كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ، وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ...**))[١]. فجعلهم (جُنْداً) للمرأة. والمراد بها السيّدة (عائشة) أم المؤمنين، وذمّ هؤلاء؛ بسبب من إتباعهم لها في (وقعة الجَمَل). وتبين دلالة الذمّ في لفظة (جُنْد) من إضافتها إلى مفردة (المرأة)، فقد أضفت عليها معنى الوَهن والضّعف وعدم استبانة الحقِّ؛ كأنّ هؤلاء (الجُنْد) - بسبب من ضَعْفهم - استعانوا بمن هو أضعف منهم قوّة ومَنَعة من النساء لقتال الإمام. والمراد - ههنا- الضعف البدني الجسدي، فضلاً عن ضَعف العقول وعدم إدراكها. ولهذا وصفهم بأنهم (أتباع البهيمة) تحقيراً لهم وتهكماً بهم.

وثمة استعمال آخر وظف فيه الإمام مفردة (جُنَيْد) بصيغة التصغير؛ للدلالة على المعنى المتقدّم، وذلك في سياق ذم أصحابه وتثاقلهم عن الوقوف بوجه معاوية

(١) نفسه: خ / ١٣: ٤١.

وأصحابه، إذ يقول: ((**مُنِيتُ**[١] **بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ وَلا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ،... أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخاً**[٢]**، وَأُنادِيكُمْ مُتَغَوِّثاً**[٣]**، فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا... فَمَا يُدْرَكُ بِكُمْ ثَارٌ، وَلاَ يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ... ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ ﴿... كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾**[٤]))[٥]. أراد أنّ استجابة هؤلاء له لقتال الأعداء الأمويين لم يكن بالمستوى المطلوب، من حيث العدد والسُّرعة في الإجابة، ولهذا أشار إلى من خرج إليه من أصحابه مجيباً، ووصفه بـ(الجُنَيْد) تصغير (جُنْدِي)؛ للدلالة على ضآلة من خرج لنصرته، وقلّة شأنه من حيث القوّة والقدرة على ردِّ العدو. ثمّ عَزّز الإمام هذا المعنى بذكر صفة (مُتَذَائِب) التي بَيّن السيد الشريف الرضي دلالتها بقوله: ((قوله (عليه السلام)(مُتَذَائِب)، أي مضطرب، من قولهم تَذاءبت الرِّيح، أي: اضطرب هبوبها، ومنه سُمّي الذِّئب ذِئْباً؛ لاضطراب مشيته))[٦]. ولم يخرج اللغويون[٧]، وشُرّاح نهج البلاغة[٨] عن هذه الدلالة التي ذكرها الشريف الرّضي. حتّى أنّ بعضهم أعادوا نصّ كلامه. والظاهر أنّ الإمام(عليه السلام) يريد من

(١) منيتُ بكذا إذا ابتليت به، ينظر: لسان العرب (مني): ١٥/ ٢٩٤.

(٢) المستصرخ المستغيث، ينظر: لسان العرب (صرخ): ٣/ ٣٣.

(٣) الغوث والاستغاثة طلب الفرج، ينظر: لسان العرب (غوث): ٢/ ١٧٤.

(٤) الأنفال / ٦.

(٥) نهج البلاغة: خ / ٤٩: ٨١، ٨٢، وقد أوردت المدونات اللغوية قول الإمام: ((ثم خرج إلّي منكم جُنيد متذائب ضعيف))، ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/ ١٥١، ولسان العرب (ذأب): ١/ ٣٧٨، وتاج العروس(ذأب): ٢/ ٤١٣.

(٦) نهج البلاغة: خ / ٣٩: ٨٢.

(٧) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/ ١٥١، ولسان العرب (ذأب): ١/ ٣٧٨، وتاج العروس (ذأب): ٢/ ٤١٣، ومجمع البحرين: ٢/ ٨١.

(٨) ينظر: معارج نهج البلاغة: ١/ ٣٢١، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٢/ ٢٣٦ و وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٢٩٢ و والديباج الوضي: ١/ ٤٢٤، ومع نهج البلاغة: ١١٤.

استعمال لفظة (مُتَذَائِب) الدلالة على الخوف والفزع أيضاً، فضلاً عن الدلالة السابقة؛ فقد ذكر اللغويون أنّ (المُتَذَائِب) هو الفَزِع الخائف من أي شيءٍ، وذلك من قولهم (ذَئِبَ الرَّجُل)، إذا فَزِعَ من الذِّئب[١]. ولهذا ختم الإمام (عليه السلام) كلامه بقوله تعالى: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾[٢]، وهذا تمام الآية التي اقتطع الإمام منها قوله تبارك وتعالى: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾[٣]، لبيان شِدّة فزع أصحابه ورُعبهم، وهم يُسار بهم إلى القتال. مستشهداً بالآية الشريفة التي ناسبت الموقف الذي يتحدث فيه أمير المؤمنين (عليه السلام)، فهي في ذمِّ الذين جادلوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما دعاهم إلى قتال المشركين (ببدر)، بعد أن خرج كُفّار قريش لنجدة قافلتهم التي يقودها (أبو سفيان وعمرو بن العاص) وهي قادمة من الشّام. فلمّا دعا النبي الناس إلى النَّفِير على المشركين، اختاروا الخروج إلى تلقي (العِيْر) وما فيها من تجارة، طالبين الحصول على الغنائم ومعرضين عن لقاء المشركين. فغضب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتغيّر وجهه كما يذكر المفسرون[٤]. وأمّا جدالهم له، فهو قولهم للنبي الأكرم إنهم لم يكونوا مستعدين للقتال: غير متأهبين له[٥]، وهو ما يشهد بكراهتهم لدعوة النبي لهم إلى القتال. فجاء النص المبارك بذمِّهم، وتشبيه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم، عندما يُسار بهم إلى الظفر والغنيمة، بحال من يساق صَاغِراً إلى الموت[٦].

---

(١) ينظر: المحكم (ذأب): ١٠/ ١٠١، ولسان العرب (ذأب): ١/ ٣٧٨.

(٢) الانفال/ ٦.

(٣) الانفال/ ٦.

(٤) ينظر: الكشاف: ٢/ ١٨٧، والمحرر الوجيز: ٢/ ٥٠٢، والتفسير الكبير: ١٥/ ١٠١.

(٥) نفسها.

(٦) ينظر: الكشاف: ٢/ ١٨٩، والمحرر الوجيز: ٢/ ٥٠٢.

أقول: وهذا الموقف شبيه بموقف أصحاب الإمام لّما دعاهم إلى الوقوف بوجه أعدائهم من الأمويين، فيجيبونه بالقعود والتَّضَجُّر من دعوته، فضلاً عن إظهار الضعف والفزع من الأعداء. ويحتمل أن يكون وصف الإمام لمن خرج منهم بـ(الجُنَيْد المُتَذئب) إشارة إلى قلّة شأن من خرج مُلبِّياً نداءه إلى القتال على وجلٍ وتثاقل منه، فكأنّما استجاب له صَعَاليك المجتمع فحسب، وهم الفئة المذمومة غير المحمودة فيه. وهذه الدلالة مستوحاة – عندي – من مفردة (ذُؤبان)، إحدى اشتقاقات لفظة (ذِئْب). و(الذُؤْبَان) في اللغة هم لصوص العرب وصَعَاليكهم[1]. كأنّ هؤلاء أشبه بالصعاليك المضطربون الذين يمثلون الضآلة والحقارة وقلة الشأن. وربما تضمنت مفردة (متذائب) الدلالة على الخُبْث والدَّهاء، كأنّه (عليه السلام) أراد تشبيههم (بالذّئب) من هذه الجهة. ولأنّهم – فضلاً عن ضَعفِهم وخوفهم المصحوب باضطرابهم – يساعدون بموقفهم هذا في انتصار الأمويين من أتباع معاوية على دولة الإمام (عليه السلام)، وإلاّ كيف يمكن تفسير إيثارهم الدّعة والميل إلى القعود عن المواجهة، بغير المكر والخديعة أيضاً، ولولا هذه الدلالات التي تتسع لهم المفردة السالفة الذكر، لما آثر الإمام استعمالها على بقية الألفاظ فيما أحسب.

ونظير هذه الدلالة ما تحدث به الإمام(عليه السلام) من استعانة (إبليس) (بالأدعياء)، وانضوائهم تحت لوائه؛ ليصول بهم على النّاس و فضلاً عن حديثه عن (الغضب) وعدّه جُنْداً من جنود إبليس، وذلك في (خ / ١٩٢، ك / ٦٩).

إنّ الاستعمالات الدلالية السابقة تقترب في مضمونها من التوظيف القرآني للفظة (جُنْد) التي وردت في الذكر المبارك غير مرة، فقد استعمل القرآن الكريم هذه المفردة في مقام الذَم والاستهزاء؛ للدلالة على الضَّعف والانكسار، ومن

(١) ينظر: المحكم (ذأب): ١٠/ ١٠٠، ولسان العرب (ذأب):

ذلك قوله تعالى: ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ [(١)]. وقد ذكر المفسرون، ومنهم الزمخشري أنّ المراد بـ(الجُند) هم الجيش من الكُفار المتحزِّبين على رسول الله، والله وعد نبيه بأنّ هؤلاء سيهزمون عمّا قريب و فلا تبال بما يقولون، ولا تكترث لما يهزؤون به[(٢)]. والخطاب في الآية للنبي (ﷺ) كما يبدو. ونظير ذلك أيضاً قوله تعالى شأنه: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ...﴾[(٣)].

ثانياً: الدلالة على الأعوان والأنصار:

وتتضح هذه الدلالة من خلال إضافة لفظة (جُنُود) التي استعملها أمير المؤمنين لهذا المعنى إلى ما بعدها، وتغلب إضافة المفردة المتقدمة إلى كلمة(إبليس). ومن ذلك قوله(عليه السلام) في سياق التحذير من الغَضَب: ((...**وَاحْذَرِ الْغَضَبَ، فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ**))[(٤)]. فقد جعل الإمام (الغَضَب) جُنْد من جُنود إبليس، وذلك إشارة إلى ما تهيجه هذه الخَصلة في النفوس من الاندفاع إلى القتل، وإيقاع الأذى بالآخرين بسبب من الغضب، مثلما يهيج الجُنْدي في المعركة على أقرانه. فالغضب أصل الظُّلم والإفساد في كل أمر صالح، وهو إحدى القوّتين اللّتين لم يُخلق أضّر منهما على الإنسان، وهما الغَضَب والشّهوة. وتعبير الإمام المتقدم كان بلحاظ هذه الأمور علاوة على أنّه استعمل مفردة (جُنْد) للدلالة

---

(١) ص/ ١١، وفي الآية المباركة نكتة بلاغية، فقد وحّد القرآن الكريم النّعت، وهو لفظة(مَهْزُوم) اتساقاً مع لفظة (جُنْد) التي وردت في الآية بصيغة المفرد، وهذا ما يعزز من دلالته على الضعف والانكسار، ينظر: مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي: ٢/ ٦٢٤ و ولسان العرب (جند): ٣/ ١٣٢.

(٢) ينظر: الكشاف: ٤/ ٧٧.

(٣) الملك / ٢٠، وينظر: مريم / ٧٥،ويس / ٢٨، ٧٥، والدخان / ٢٤.

(٤) نهج البلاغة: ك / ٦٩: ٥٨٩.

المفرد، والمعنى أنّ (الغضب) واحد من جُنُود متعددين لإبليس، فجاءت صيغة (فُعْل) متضمّنة معنى كلمة (أَحَد) أو(واحد). وعزز الإمام ذلك باستعمال صيغة (فُعُول) في السياق نفسه؛ للدلالة على تعدد جنود إبليس وكثرتهم، ولكنّه لّما قصد الإبانة عن قُوّة صفة (الغَضَب)، وسطوة الإنسان حينما تتملكه هذه الخصلة، وصف مفردة (جُند) بـ(عظيم) مبالغة في شِدّة هذا الضرب من (الجُند) وهياجه، وجاءت لفظة (جُنود) مضافة إلى ضمير الغائب على (إبليس) وذلك في (خ/ ١٩٢)،وثمّة مواضع أُخر استعملت فيها لفظة (جنود) دالة على (الأعوان)، وذلك (خ/ ١١، ١٨٢، ١٩١).

ثالثاً: الدلالة على مصر وبَلْدَتهم:

إذ وَصَفها الإمام(عليه السلام) بـ(الأَجْنَاد)، وذلك في عهده إلى (محمد بن أبي بَكر)[1] حين قَلّده مصر؛ إذ يقول: ((**وَاعْلَمْ - يَا مُحَمَّدُ بْنَ أَبِي بَكْر - أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي أَهْلَ مِصْرَ...**))[2]. وقد استعمل (عليه السلام) في هذا السياق مفردة (أَجْنَاد) التي يذكر اللغويون أنّها جمع (جُنْد)[3]، وهي بوزن (أَفْعَال)، وليس المراد بها في هذا النص الدلالة على (الجُنْد)، والعَسْكر أو الجيش فحسب، وإنّما تبتعد

(١) هو محمد بن أبي بكر، وأمّه أسماء بنت عُميس الخثعمية، وولدته في طريق المدينة إلى مكة في حجّة الوداع، نشأ محمد في حِجر الإمام علي (عليه السلام) الذي تَزوَج أَمّه، وشهد مع الإمام (الجمل) و(صفين)، ثم أرسله أميراً إلى مصر سنة (٣٧ هـ)، وأرسل إليه معاوية جيشاً بقيادة عمرو بن العاص، فقاتلهم محمد حتى انهزم جيشه، وقتلوه سنة(٣٨ هـ)، وكان الإمام يحبّه كثيراً ويثني عليه، لفضله وعبادته واجتهاده، ولما بلغ السيدة عائشة قتله حزنت عليه جداً، وكان له ولد اسمه (القاسم)، ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر: ٦/ ٢٤٥، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي: ١/ ١٠٦ - ١٠٨.

(٢) نهج البلاغة: ك/ ٢٧: ٤٨٦.

(٣) ينظر: كتاب سيبويه: ٣/ ٥٧٦.

اللفظة لتصير دالة، على (المِصْر) أو البلد أيضاً كأن المراد هو الجمع بين تينك الدلالتين معاً على أساس أن (مِصْر) كانت من البلدان الشديدة الولاء للإمام، فعبّر (عليه السلام) عن قوتها وشِدّة صلابة أهلها ووقوفهم بوجه الأمويين وغيرهم، بقوله (أعْظَم أَجْنادي)، آخذاً - ذلك فيما يبدو- من (الجَنَد)، وهو الأرض الغليظة ذات الحجارة[1]. لما يظهر في هذه البلدة من المنعة والصلابة، وليس ما اختاره بعض الباحثين من أنّ مفردة (أَجْنَاد) في قول الإمام تدل على (الجُنُود) الذين يمتهنون القتال، فاستعمل(عليه السلام) بناء جمع القلة لتمييزهم ورفع منزلتهم دون سواهم[2]، وهذا القول، وإن كان محتملًا، ولكنّه بعيد عمّا قصد إليه الإمام في سياق كلامه؛ لأنّ المقام الذي يتحدث فيه مقام تنصيب وتولية غرضه فيه وصف (مِصْر) (لمحمد بن أبي بكر)، وهو عامله الجديد عليها، فليس المراد إخباره عن قلة الجُنْد فيها أو كثرتهم، بقدر ما يريد أن يبيّن له مكانة هذا (البلد)، وموقعه بالنسبة إلى الإمام، ومما يؤكد شّدة عناية (عليه السلام) بهذا (المِصْر) إضافته لفظة (أجناد) إلى (ياء) التكلّم، لإظهار معنى قربها وقرب أهلها منه، وهذا ما يفسر استعمال الإمام لصيغة (أَفْعَال) جمعاً لهذا اللفظ، فهذا البناء يستعمل في الدلالة على أدنى العدد[3]، وهو ما يوحي بتفرد هذا البلد وخصوصية قربه من الإمام، فضلًا عن قلة الأمصار التي تكون قريبة من نفسه وقلبه (عليه السلام). ولعله استعمل لفظ (أَجْنَاد) بإزاء ما يسمى في كتب البلدان بـ(أَجْنَاد الشّام)، وهي خمس كُور في بلاد الشّام؛ (فلسطين، وجُند الأردن، ودمَشْق، وحِمْص، وقِنَّسْرِين)[4]. والتَّسمية بـ(الأجناد)

(١) ينظر: مقاييس اللغة (جند): ١/ ٤٨٥.

(٢) ينظر: رسائل الإمام علي في نهج البلاغة (دراسة لغوية)، رملة خضير مظلوم: ٢٤٤، ٢٤٥.

(٣) ينظر: كتاب سيبويه: ٣/ ٥٧٦.

(٤) ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي: ١/ ١٠٣.

مأخوذة - فيما يبدو - من معنى التَّجمُّع؛ فكل واحدة من هذه الأجناد، هي مجموعة من الكور التي كانوا يَقبِضون عطاءهم فيها[١]، فلمّا كانت هذه (الأجناد) تحت سيطرة معاوية الذي جعلوها جزءاً من أملاكه، لهذا أحسب أنّه(عليه السلام) أراد جعل مِصر أحد أهم (أجْنَاده) التي تقف بوجه الأمويين، التي تمثل المعسكر المضاد الذي يقف قبالة (أجناد) معاوية بن أبي سفيان، ولاسيما أنّ (مِصْر) بلدة بعيدة عن العراق، وهي بحاجة إلى ضَرب من التعضيد وشَدِّة أزر أهلها؛ للوقوف بوجه الأمويين، ولأجل أمدادهم بهذه العزيمة من الجانبين النفسي والمعنوي، عزز الإمام من وجودها صامدة بتسميتها بـ(أّجنادي)، وأرسل إليها أحد أبرز قادة جيشه وأشدّهم صلابة، وهو (محمد بن أبي بكر) و فضلاً عن (مالك الأشتر) الذي تولى إمارتها من قبَل الإمام(عليه السلام) سنة(٣٧هـ)، ولكنّه استشهد قبل أن يدخلها كما تذكر المدونات التاريخية[٢].

جيش

الجيش - كما يقول الخليل - ((جُند يَسِيرون لحرب وَغيْرها))[٣]. وأصل اللفظ مأخوذ من الثوران والغليان كما يذكر ابن فارس (ت ٣٩٢هـ)[٤]، ومنه قوله جاشت نفسه، كأنّما غَلَت واضطربت[٥].وسمّي الجيش بذلك؛ لاجتياشه، فهو جماعة تَجيْش[٦]. واستعملت لفظة (جَيْش) في نهج البلاغة غير مرة؛

(١) نفسه.

(٢) ينظر: تقريب التهذيب: ١/ ١٥٦، والكاشف: ٢/ ٢٣٤.

(٣) العين (جيش): ٦/ ١٥٨.

(٤) ينظر: مقاييس اللغة (جيش): ١/ ٤٩٩.

(٥) ينظر: نفسه، ولسان العرب (جيش): ٦/ ٢٧٧.

(٦) ينظر: مقاييس اللغة (جيش): ١/ ٤٩٩.

فقد جاءت محلاة بـ(أل) ست مرات، ومجردة منها مرتين، ومنصوبة دون (أل) التعريف مرة واحدة، في حين وردت جمعاً على زنة (فُعُول) (جُيُوش) مرة واحدة أيضاً[١]. وقد استعملت المفردات المتقدمة جميعاً للدلالة على الجُنْد الذين يسيرون إلى الحرب. ومن ذلك قول الإمام(عليه السلام) في ذكر ما فعله جيشه الذي أنفذه إلى بعض الأعداء: ((**فَسَرَّحْتُ[٢] إِلَيْهِ جَيْشاً كَثِيفاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذلِكَ شَمَّرَ هَارِباً**...))[٣]، أراد: فأرسلت إليه جيشاً من المسلمين كثيف العدد، وقوي العقيدة، فلهذا تهيّأ مجِدّاً للهرب، بعدما رأى قوتهم وشِدّة باسهم. وقد جاءت لفظة (جيش) وبقية مشتقاتها بالدلالة المتقدمة نفسها، وذلك في (خ / ١٠٢، ١٢٨، ١٧٢، ١٨٢، ك/ ٦٠، ٦١).

حارس

الحِراسة الحفظ[٤]. والحارس هو المؤتمن على حفظ شيء لا يُؤمَن من أن يخون فيه[٥]. والحَرَس هم خدم السّلطان المرتَّبُون لحفظه وحراسته[٦].

وقد استعمل الإمام(عليه السلام) لفظة (حَارِس) بصيغة المفرد على وزن (فَاعِل) ثلاث مرات، في حين وردت لفظة (أَحْرَاسك) بصيغة الجمع على وزن (أفْعَال) مضافة إلى كاف الخطاب مرة واحدة فحسب[٧]، للدلالة على ما يأتي:

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٩٨.

(٢) التَّسِرْيْحُ الإرْسَال، ينظر لسان العرب (سرح): ٢/ ٤٧٩.

(٣) نهج البلاغة: ك / ٣٦: ٥١٨.

(٤) ينظر: لسان العرب(حرس): ٦/ ٤٨، وتاج العروس(حرس): ١٥/ ٥٣١.

(٥) نفسهما.

(٦) ينظر: لسان العرب (حرس): ٦/ ٤٨.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٠٧.

أوّلاً: الدلالة على أعوان الوالي:

وقد استعمل (عليه السلام) للدلالة على ذلك مفردة (أَحْراس)، في وصيّته لـ(مالك الأشتر) لّما ولاّه مِصر؛ إذ يقول: ((**وَاجْعلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً...،وَتُقعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ...**))(١)، وإنّما أمره(عليه السلام) بأنْ يجلس للناس مجلساً عامّاً؛ لعلمه أنّه لابّد من أن يكون في حاجات النّاس ما تضيق به صدور أعوانه، والنُّوابُ عنه، ولهذا أمر أن يباشرها بنفسه(٢)، فضلًا عن ضرورة سماع مشاكل الرّعيّة وهمومها منهم مباشرة، بشكل لا يكون لأعوان الوالي واحراسه دور في ذلك؛ فلهذا طلب(عليه السلام) أنْ يقعدهم عن الناس، حرصاً على عدم إخافتهم، أو الرّهبة منهم، فَيَعْيي المتكلم عن إبلاغ حاجته. وقد أورد الإمام مفردة(أَحْراسك) على بناء (أَفْعَال) جمعاً للقلّة عند اللغويين(٣). ويبدو أنّ ذلك جاء مناسباً لمقام النُّصح والتوجيه الذي كان الإمام يوصي به أصحابه وعمّاله من عدم الإفراط في استخدام الأعوان والخدم ومظاهر البذخ والترف، فناسب هذا المعنى إيراده للمفردة المتقدمة بالدلالة على القلّة، كأنّه يطلب إلى(مالك الأشتر) أن تكون أحراسه بالقدر الذي يمكنّه من خدمة الناس والوقوف على قضاء حوائجهم، بحيث أنّها تحفظه من الأعداء المتربصين به دون أنْ تمنع الناس عنه. أقول: واللغويون يرون أنّ مفردة (حِرَاسة وأَحْراس) وغيرها من اشتقاقات هذه المادة اللغوية، مأخوذة من (الحَرْس) وهو في اللغة الدَّهر، أو الوقْت منه(٤). ولهذا سمّي الحارس حارساً؛ لأنّه يَحْرُس الليل

---

(١) نهج البلاغة: ك/ ٥٣: ٥٦١، ٥٦٢.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي حديد): ١٧/ ٦٨.

(٣) ينظر: الخصائص: ١/ ٢٦٧، ٢/ ٤١.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (حرس): ٤/ ١٧٣.

كُلّه، فصارت هذه صناعته[١]، فضلًا عن أنّ مهمته في صَرَف الآفات والأذى عما وُكّل به من حفظ[٢]. ومن هذا الوصف الذي تقدم يمكن أنْ نفهم أنّ (أَحْراس) الولاة هم الموكلون بحفظهم والسَّهر على حمايتهم، ومنع الأذى عنهم، ولهذا صاروا من أعوانهم وخاصَّتهم، فهم أخصُّ من (الجُنْد) و(الشُّرطة). وقد استعمل الإمام(عليه السلام) لفظة(حَارِس) بالدلالة على الحافظ للأموال في(خ/ ١١٦).

ثانياً: الدلالة على حراسة(الجُوْدِ والأَجل) للإنسان:

وقد جعل الإمام(عليه السلام) كلاً من(الجُوْد) و(الأجل) بمنزلة (الحَرَس) للإنسان. وذلك على سبيل إنزالهما منزلة من يعقل. يقول (عليه السلام) في بيان أهمية (الجُوْد) للإنسان:((**الجُودُ حَارِسُ الأَعْراضِ**))[٣]. والجُوْد السَّخاء والكرم[٤]. وقد جعله الإمام حارساً لـ(اعراض) هي حَسَبه الإنسان ونفسه وخليقته المحمودة، وما يمدح به ويُذَمّ[٥]. ولمّا كان الإنسان مجبولًا على حفظ نفسه وحسبه ومكارمه من السَّبِّ والقَذْف، فقد جعل الإمام (الجُود) حارساً يقي الأعراض من السَّبِّ والاستهانة؛ فضلاً عن أنّ هذه الخصلة تحمي المرء نفسه من الرّجوع إلى البُخْل والإمساك عن المعروف. وقد ذكر بعض شُرَّاح النَّهج أنّها تمنعه من الزَّلل والوقوع في الزيغ والفساد[٦]، كما أنّ الكرم وبذل اليد يحفظ الإنسان من الفقر. ومن ذلك قوله

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري: ٧٣.

(٢) نفسه.

(٣) نهج البلاغة: قصا / ٢١١: ٦٤١.

(٤) ينظر: لسان العرب (جود): ٣/ ١٥٣، ١٣٦.

(٥) نفسه(عرض): ٧/ ١٧٠.

(٦) ينظر: الديباج الوضي: ٦/ ٢٨٨٥.

(عليه السلام): ((**كَفَى بِالأَجَلِ حَارِساً**))(١)، فاستعار (عليه السلام) لفظة (حارساً) لـ (الأجل)(٢)؛ لأنّ الأجل بمنزلة الحارس للإنسان من الموت حتى يبلغ يومه الذي قُدّر له، فكأنّه بمنزلة الرقيب الذي يرعى الإنسان حتى يصل إلى يوم موته. وإنّما جعل (عليه السلام)حارساً؛ لأنهما يشتركان في الحفظ والحماية التي يمنحها (الحارس) للموكل بحراسته.

عيون

العَيْن في اللغة لفظ مشترك، فالعين هي العين النّاظِرة الباصرة، وعين الماء، وعين الركبة، وعين السّحاب، وعين الشمس، والمال العتيد(٣). ومن ذلك – أيضاً – العين بمعنى الجاسوس الذي يُبعث ليتجَسّس الخبر، وتسمية العرب (ذا العَيْنَتَين)(٤).

وقد وردت هذه الدلالة في استعمال الإمام(عليه السلام) لمفردات (عَيْنِي، والعُيُون، وعُيُونك، وعُيُونهم). ومن تلك الاستعمالات قوله(عليه السلام) في سياق نُصح عامله على (مِصْر) (مالك الأشتر) في إرشاده كيفية توليه (عمّاله) على البلدان وغيرها: ((**ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ، فَاستعملهُمُ اخْتِبَاراً، وَلاَ تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وأَثَرَةً... ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ، وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالوَفَاءِ عَلَيْهِمْ...**))(٥). والنص توجيه لعامله بأن يتابع أمور من نصبهم حكّاماً ومنحهم سلطة، موجباً عليه أن يكون

(١) نهج البلاغة: قصا/ ٣٠٦، ٦٦٣.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني):٤٧٤.

(٣) ينظر: العين (عين): ٢/ ٢٥٤.

(٤) نفسه.

(٥) نهج البلاغة: ك / ٥٣: ٥٥٥، ٥٥٦.

اختيارهم تحت عنوان (الاختبار) لمعرفة أمكانتهم وقدراتهم في تسيير الأمور، فضلاً عن الاطلاع على أمانتهم وحفظهم الرعيّة وعدم الجور عليها، مع امتناع أن يكون للمحاباة والأثرة أثر في تنصيب هؤلاء. فطلب إليه أنْ يراقبهم من خلال بعث (العُيُون))، وهم الرُّقباء من الرّصد الذين يأتونه بأخبار عمّاله على تلك البلدان والأقاليم. بشرط أن يكون هؤلاء (الرّقباء) من (أهل الصّدق والوفاء)، وهاتان الخصلتان هما عماد (الرقيب) المخلص في عمله؛ فإنْ كان المُخْبر كاذباً، أصبح الأمر كمن يريد التَّربُّص بالآخرين للإيقاع بهم، وإنْ كان أصحاب هذه المهنة صادقين وأوفياء، كان ذلك أكثر منعة وجدارة في ضبط تصرفات عمّاله. ومنعهم من خيانة الأمانة التي ائتمِنُوا عليها، ولهذا طلب الإمام من (مالكٍ) أن يكتفي بأخبار (عُيُونه) شاهداً على من خانه من هؤلاء، في قوله(عليه السلام): ((**وَتَحَفَّظْ مِنَ الأَعْوَانِ، فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَة اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ، اكْتَفَيْتَ بِذلِكَ شَاهِداً، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ...**))[1].

وكان من عناية أمير المؤمنين(عليه السلام): بهذه الفئة من (الرّقباء)[2]، اتخاذ جمهرة منهم لمتابعة أخبار العدو الذي كان يتربّص بدولة الإمام في محاولة لبثّ الفتن، وإذكاء الاضطرابات فيها. ومن ذلك قوله في كتاب وجَّهه إلى عامله على (مكة)

(١) نهج البلاغة: ك/ ٥٣: ٥٥٦.

(٢) ولعل من نافلة القول الإشارة إلى بعض مظاهر هذه العناية، إذ يتضح للقاريء المتأمل (النهج البلاغة) كثرة استعماله(عليه السلام) الفعل (بَلَغني)، (عَرَفتُ)، وتعبير (فيما رُقِّي إليَّ)؛ للدلالة على وصول الأخبار إليه من عيونه مع عنايته بتتبعها، وهو ما يظهر اهتمامه(عليه السلام) بـ(الحس الأمني). وقد نقلت المدونات التأريخية من عناية الإمام (بالرّصد) و (الرّقباء)، و (طلائع الجيش) الشيء الكثير. ولعل كتبه الواردة في نهج البلاغة خير مصداق لذلك. ينظر: وقعة صفّين، لنصر بن مزاحم: ١٢٣، والمنهج الأمني في نهج البلاغة، محمد صادق الهاشمي: ٣٧-٤٠، وأسس بناء الدولة في فكر الإمام علي (عليه السلام)، علي سعد تومان: ١٣٠.

يحذره فيه من (أهل الشام): ((**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ عَيْنِي بِالْمُغْرِبِ كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي أَنَّهُ وُجِّهَ إِلَى الْمَوْسِمِ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، الْعُمْيِ الْقُلُوبِ، الصُّمِّ الأَسْمَاعِ، الْكُمْهِ الأَبْصَارِ، الَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ**...))[١]. ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الإمام(عليه السلام) استعمل مفردة (عَيْن) وجمعها (عُيُون) بوزن (فُعُول) للدلالة على الرّقباء من المخبرين الذين يتسمون (بالصدق والوفاء)، وهذا البناء استعمله الإمام لم يرد في القرآن الكريم إلاّ للدلالة على (عيون الماء)[٢]. ومن ذلك قوله تعالى شأنه: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**﴾[٣]. وقد وردت لفظة (عيونهم) بصيغة الجمع مضافة إلى ضمير الغائبين بالدلالة المتقدمة نفسها، وذلك في (ك/ ١١).

المقدّمة

مقدّم كل شيء نقيض مؤخره[٤] والمقدّمة الناصية والجبهة[٥].

وقد وردت لفظتا (المقدّمة)، و(مقدّمتي) في نهج البلاغة، إذ جاءت اللفظة الأولى مرتين، في حين وردت الثانية في موضع واحد[٦]، للدلالة على مقدّمة الجيش، وذلك لأداء دلالتين:

الأولى: استعمل لها مفردة (مُقَدّمة)؛ وذلك في سياق توجيه جيشٍ أرسله لقتال

---

(١) نهج البلاغة (: ك/ ٣٣: ٥١٥.

(٢) ينظر: معاني الأبنية: ١٤٠.

(٣) الحجر: ٤٥.

(٤) ينظر: المحكم (قدم): ٦/ ٣٢٤، ولسان العرب (قدم): ١٢/ ٤٦٩.

(٥) نفسهما.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٦٧.

العدو؛ إذ يقول: ((**وَاعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَومِ عُيُونُهُمْ، وَعُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلائِعُهُمْ**))[١]. والنص تحذير وتوجيه من العّدوّ، يذكر الإمام فيه أنّ (مقدّمة) جيش العدو هم رقَباؤهم، وعيُونهم التي تستطلع أنباء أصحابه، فأخبر عن لفظ (المقَدِّمة) بكلمة (عُيُونهم)، في إشارة إلى أنّهم الفرقة الخاصة بجمع الأخبار والاستطلاع. ومن ثَمَّ فسّر تركيب الإضافة (عُيُون المقدّمة) وأُخبر عنه بمفردة (طلائعهم)،كأنّه يومي: إلى أنّ (الطلائع) هم عيون الجيش ورصده؛ الذين يَرْقبون أخبار الأعداء[٢].

وربّما تضمّنت لفظة (مقدمة) الدلالة على الفرقة المتقدمة من الجيش على سائر فرقه الأخرى من (الميمنة والميسرة والقلب والسّاقة)؛ إذ يقال للفرقة المتقدمة على هذه الكتائب (مقدمة الجيش)[٣].وقد تضمن ذلك مجيْ لفظة (مُقَدّمتي) مضافة إلى (ياء) المتكلّم التي تعود إلى الإمام(عليه السلام)، وذلك في قوله الذي يتحدث فيه عن تقسيمه الجيش الذي خرج به إلى (صِفّين):((... أَمّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتِي، وَأَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هذَا الْمِلْطَاطِ[٤]، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي...)). أراد بلفظة (مُقّدّمتي) أوّل ما يتقدم من الجيش الذي بعثه(عليه السلام)،فهو صدر الجيش[٥]. وإنّما أضاف اللفظة المتقدمة إلى (ياء المتكلّم) إشارة إلى كونه هو الذي بعثهم وأنّه هو الذي يُحكم تقسيمهم بحسب الحاجة إلى ذلك دون غيره، وهذا ما يُفهم منه جدارته (عليه السلام) بفنون الحرب والقتال، وطرائق تقسيم كتائب الجيش وفرقه.

(١) نهج البلاغة: ك / ١١: ٤٧٠.

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٣/ ١٣٣، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٥/ ٦٨.

(٣) ينظر: لسان العرب (خمس): ٦/ ٧٠.

(٤) الملطاط في اللغة ساحل البحر،وخصّه بعض اللغويين بشاطئ الفرات،ينظر:غريب الحديث (ابن قتيبة):٢/ ٢٢٧.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٣/ ١٥٧.

شرطياً

الشُّرطَة، هم الخيار من كل شيء[١]. وسمّوا بذلك لانهم النخبة من جند السلطان الذي؛ رَتَّبَهُم وقدّمهم على غيرهم من الجند[٢]. وقيل الشرّط العلامة، ومنه أشراط السَّاعة علاماتها[٣]. ومنه سمّي الشرطة بذلك لأنهّم جعلوا لأنفسهم علامات يُعرفون بها[٤]. وذهب الخطابي(ت٣٨٨هـ) إلى أنّ الشرطة هم جزء من الجيش،وسمّوا بذلك لتقدّمهم أمام الجيش في الحروب[٥].كأنّه يومئ إلى أنّ هذه الفئة من الجُند قد أشرطت نفسها وقدّمتها قُدّام الجيش في القتال. وهذا مأخوذ من لفظة (أَشراط)، وهي ابتداء أوّل كل شيء[٦].

وجاءت لفظتا (شُرْطياً) مفردة منصوبة، و(شُرْطك) جمعاً مضافاً إلى كاف الخطاب مرة واحدة في نهج البلاغة[٧]، للدلالة على أعوان الحاكمين الذين يقفون على حمايته،مع حفظ الأمن والنظام. وغالباً ما يكون هؤلاء يداً عند الحكام يستعملونهم في أمورهم، وهم رَهْن بهم؛ فإن كان الحاكم صالحاً صلحت أعوانه وشُرَطه؛ لأنّه سيؤمن اختيار من كان صالحاً منهم لحفظ الأمن وإرساء الأمان في البلد. ولهذا أوصى (عليه السلام) عامله على (مِصْر) أنْ يُقْعد (شُرَطه) عن ذوي الحاجات من الرعية؛ ليتكلموا في حوائجهم من غير تَعْتعة أو عِي. يقول: ((**وَاجْعلْ لِذَوِي**

(١) ينظر: العين (شرط): ٦/ ٢٣٥.

(٢) ينظر: نفسه، وغريب الحديث (الخطابي): ٢/ ٢٥٢.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (شرط): ٣/ ٢٦٠.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (شرط): ١١/ ٢١٢، ومقاييس اللغة(شرط): ٣/ ٣٦٠.

(٥) ينظر: غريب الحديث (الخطابي): ٢/ ٢١٢.

(٦) ينظر: تهذيب اللغة (شرط): ١١/ ٢١٢.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٣٨.

الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً، فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ للهِ الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَعْتِعٍ))[١]. أن انصراف الشرطة وقعودهم يمنح الناس من ذوي الحاجات الطلاقة في الكلام وبث شكواهم إلى الوالي، حتى يسمع منهم دونما خوف منهم من أعوانه وأحراسه الموكلين بحمايته، وشُرَطِه الذين هم أعوانه الذين يستعين بهم على فرض الأمن، كما يُفهم من أقوال أهل اللغة[٢].

أقول: ولمّا كان (الشُّرْطَة) من الأعوان الطائعين للولاة والظَلَمة من السّلاطين، لهذا ورد ذمّهم بعدم قبول دُعائهم على لسان النبي داوود(عليه السلام) بحسب ما ينقله الإمام في قوله الذي يخاطب فيه بعض أصحابه: ((... **إِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَامَ فِي مِثْلِ هذِهِ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: إِنَّهَا سَاعَةٌ لاَ يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ إِلاَّ اسْتُجِيبَ لَهُ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ عَشَّاراً**[٣] **أَوْ عَرِيفاً**[٤]**أَوْ شُرْطِيّاً...**))[٥]. فالذين استثناهم النّص من قبول دُعائهم كان بسبب من ملازمتهم المعصية التي تحجب نفوسهم عن قبول رحمه الله تبارك وتعالى، فضلاً عن كون بعضهم - ومنهم الشَّرطة- يعملون في الغالب أعواناً للظَلَمة[٦].

(١) نهج البلاغة: ك/ ٥٣: ٥٦١، ٥٦٢.

(٢) ينظر: المصباح المنير: ١/ ٣٠٩.

(٣) العَشّار هو آخذ العُشر من الأموال.ينظر: العين (عشر): ١/ ٢٤٥.

(٤) العَرِيْف القيّم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس، ويعرِّف الأمراء بأحوال الناس، ينظر: تاج العروس(عرف): ٢٤/ ١٤٥.

(٥) ينظر: نهج البلاغة: قصا/ ١٠٤: ٦١٨.

(٦) شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٢٢، والديباج الوضي: ٦/ ٢٧٩٤.

عَرِيفاً

العريف القَيِّم بأمر قَوْمٍ عُرف عليهم[١] وهو رئيسهم الذي يَعْرِف أمورهم[٢].

وقد استعمل الإمام(عليه السلام) لفظتي (عَريفاً)، بصيغة المفرد و(عُرَفاؤه) جمعاً على وزن (فُعَلاَء) مرة واحدة لكل منهما في كلامه الوارد في نهج البلاغة[٣]،للدلالة على ما يأتي:

أوّلاً: الدلالة على العريف الذي يُعَرِّف النّاس للظالمين:

وقد جاء هذا الاستعمال في قوله(عليه السلام) الذي يذكر فيه كلام النبيّ داوود (عليه السلام) في ذِكر مَنْ يُسْتَجابُ دُعاؤه: ((...**إِنَّهَا سَاعَةٌ لاَ يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ إِلاَّ اسْتُجِيبَ لَهُ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ عَشَّاراً أَوْ عَرِيفاً أَوْ شُرْطِيّاً**...))[٤]، ومفردة (عَرِيفاً) من الألفاظ ذات الدلالة العالية التي تتميز ببعدها عن الانحطاط الدّلالي، فهي مأخوذة من الدلالة على المعرفة والعرفان، والسّكون والطمأنينة كما يذكر ابن فارس، وهذه المعاني تبعد هذه اللفظة من أنْ تكون مذمومة، وتضفي عليها دلالة طيِّبة، فمن ذلك أخذت لفظة(العَريف) التي تدل على القَيِّم بأمور القوم. وتولي شؤونهم[٥]. كأنهّم سكنوا إليه واطمأنّوا، فصار قَيّماً عليهم ويتولى أمورهم، ويتعرّف منه الأمراء أحوال الناس[٦]. غير أنّ هذه المفردة أصابها انحطاط في دلالتها، وذلك أنّ الإمام استعملها في سياق ضمّها مع مفردات أخرى تدل على الاشتغال عند السّلاطين

(١) ينظر: العين (عرف): ٢/ ١٢١.

(٢) ينظر: القاموس المحيط (عرف): ١/ ١٠٨١.

(٣) ينظر:المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٠١.

(٤) ينظر: نهج البلاغة: قصا / ١٠٤: ٦١٨، ٦١٩.

(٥) ينظر: مقاييس اللغة (عرف): ٤/ ٢٨١.

(٦) ينظر: العين (عرف): ٢/ ١٢١، ومقاييس اللغة (عرف):٤/ ٢٨٢.

الذين يسُلطونهم على النّاس كما يفهم من النصّ المتقدّم، فأوحت اللفظة (المتقدمة) بالدلالة على شدّة ولاء أصحاب هذه المهنة لرؤسائهم؛ وهو ما يسوّغ استثناء هذا الضرب من الناس الذين يتولّون هذه الأعمال من قبول الدُّعاء، فانّ انتقالهم بعملهم من إعانة الناس ومساعدتهم ومتابعة شؤونهم وأمر سياستهم وتعريف الحكام بها، إلى التكفل بإعانة الحكام على الرعية وتعريف المعارض منهم إلى السلطة لهؤلاء السلاطين. وقد وجدتُ ما يؤيد ذلك عند الدكتور جواد علي الذي ذكر أنّ (العريف) كان من خواص الملوك الذين كان لهم (عُرَفاء) هم بمثابة عيونهم على القبائل[١]، وأنّ هذا المنصب كان نوعاً من الزعامة والرئاسة في القبيلة والجماعات من الناس؛ لأنّ الذي يتولاه يكون والياً على أمورهم[٢]. وقد وردت نصوص نبويّة كثيرة في ذمّ (العريف)؛ منها قوله (صلى الله عليه وآله): ((**ألآ ومَنْ تَوَلَّى عَرافة قَوْمٍ أَتى يَوْمَ القِيامَةِ ويَدَاهُ مَغْلُولَتان إلى عُنُقِهِ، فإنْ قامَ فِيهم بأمْرِ الله عزَّ وجلَّ أطلقه اللهُ، وإنْ كانَ ظالماً هَوى به في نارِ جَهَنّم وبِئْسَ المَصِيْر**))[٣]، وهذا تحذير من التصدّر للرئاسة لما فيها من الفتنة، ولاسيما إذا لم تُعط حَقَها من المعاملة بالعَدْل، وبذل النَّفس في خدمة الرعيّة.

---

(١) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي: ٩/ ٢٩٣.

(٢) نفسه. وقد شاع توظيف الحكام والأمراء (للعرفاء) في القبائل والاستعانة بهم في متابعة الناس والرقابة على مناوئيهم، حتى صاروا يأخذون عطاءهم من الحكام مقابل تزويدهم بالأخبار عن الناس. ويبدو أنّ هذه اللفظة تقابل مفردة (المختار) في الوقت الحاضر، والمختار هو الذي يتولّى أمور الحيِّ أو(المحلة) التي يسكن فيها، فضلاً عن أن هذا المنصب يعد من المناصب والرتب العسكرية أيضاً.

(٣) مَنْ لا يحضره الفقيه: ١٦/ ١٩، وثمّةَ أحاديث أُخر احتفلت بها المدونات الحديثة، منها على سبيل المثال ما ورد في مسند أبي يعلى؛ لأبي يعلى الموصلي: ٣/ ٥٧.

ثانياً: الدلالة على سيادة الأئمة(عليهم السلام) على الخَلْق:

واستعمل أمير المؤمنين(عليه السلام) لهذه الدلالة لفظة (عُرفاؤه)، وذلك في مقام بيان منزلة الأئمة من أهل البيت(عليهم السلام)، إذ يقول: ((**وَإِنَّمَا الأَئِمَّةُ قُوَّامُ الله عَلَى خَلْقِهِ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلاَ يَدْخُلُ النَّارَ إِلاَّ مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ**))[١]. ولفظة (العُرَفاءُ) – ههنا – تدل على رئاسة أئمة أهل البيت على الخّلْق؛ لأنّهم قُوَّام الله عليهم. والقوَّام هم المُصْلِحون المحافظون على حدود الله[٢]. ويذكر اللغويون أنّ لفظة (عُرَفَاء) جمع (عَرِيف)، وهي فَعِيْل بمعنى (فَاعِل)[٣]. يشير بذلك إلى أنّ المراد بالعَرِيف هو العارف بالأمور. وبحسب هذا الوجه تكون اللفظة المتقدمة دالة مَعْرِفَة أهل البيت(عليهم السلام) بالنّاس واطلاعهم على خفاياهم، ولهذا ربط الإمام دخول الناس الجنّة بمعرفتهم بالأئمة ومعرفة الأئمة لهم. وهذ النوع من (المَعْرفة) لا يقتصر على المعرفة من حيث التعارف الحاصل بين الناس العاديين، وإنّما هو ضرب من معرفة الأئمة لاخلاص هؤلاء لله تبارك وتعالى، وعملهم بأحكامه وأوامره ونواهيه. فـ(الآئمة)هم. المعرِّفون الذين يُعرف برضاهم على الناس قبول أعمالهم وعباداتهم،فصار إنكارهم لغير المؤمنين بمنزلة انكار الله تبارك وتعالى لهؤلاء، وهذا الأمر مرتبط بتَعَلّق الأئمة المعصومين(عليهم السلام) بالله جلّ جلاله وبالقرآن الكريم، فإنّ (العُرَفاء) عند الله عزّ وجلّ هم (حَمَلَة القُرآن)، وهم الرؤساء على النّاس في الدنيا وفي الآخرة. وقد ورد في الحديث: ((**حَمَلَةُ القُرآن عُرَفَاءُ أَهْلِ الجَنّةِ يومَ القِيَامَةِ**))[٤]، و(العُرفاء) في الحديث هم رؤساء

---

(١) نهج البلاغة: خ / ١٥٢: ٢٦٧.

(٢) ينظر: لسان العرب (قوم): ١٢/ ٤٩٧.

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٢١٨، ولسان العرب (عرف): ٩/ ٢٣٩.

(٤) المعجم الكبير، للطبراني: ٣/ ١٣٢، والسنن الكبرى، للدارمي: ٢/ ٥٦١.

أهل الجنّة كما فسّره اللغويون[١].

أقول: إنّ مفردة (عُرَفَاء) في قول الإمام(عليهم السلام)والحديث المتقدم. ويمكن أن تحتمل المفردة المتقدمة الدلالة على شِدّة الارتباط بالله تبارك وتعالى، بحيث صار (العُرَفاء) في القولين السابقين بهذه المنزلة من الرئاسة، والقيادة لأهل الجنّة عند الله تعالى؛ فهم العارفون بالله تعالى وهم أولياؤه.، وهذه أعلى مرتبة من مراتب (العِرْفان) الذي يُعَدّ أعظم درجات العِلم بـ(واجب الوجود)[٢]، وهو الله جلّ جلاله. وتحتمل اللفظة ايضاً دلالات أخرى بوسعها أنْ تمنح النص ضرباً من التوسّع في المعنى، ومن تلك الدلالات أن يكون (العُرَفاء) هم الصابرون، وهذه من الدلالات المعجمية للمفردة المتقدمة، فالعَارف هو الصابر والصّبور[٣]. كأنّه لِقُربه من الله تعالى، وشِدّة معرفته به، صبر على المِحن والشدائد الدينوية حُبّاً بالله وخضوعاً له. وكذلك أئمة أهل البيت(عليهم السلام)الذين صَبَروا في غير موطن من مواطن البلاء التي مرّت بهم.

وصفوة الأمر، فالملاحظ لاستعمال الإمام (عليه السلام) لمفردتي (عَرِيفاً) و (عُرَفاؤه) أنّ اللفظة الأولى قد أصابها الانحطاط الدلالي؛ لارتباطها بالسّطوة على الناس، والإعانة عليهم. في حين ارتفعت المفردة الثانية، واكتسبت حظها من الرُّقي، لأنّه وصف بها الأئمة(عليهم السلام) ورفعة منزلتهم على النّاس.

---

(١) ينظر: تاج العروس (عرف): ٢٤/ ١٤٥.

(٢) ينظر: كتاب الكليات، لأبي البقاء الكفوي: ١/ ٦١٢.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (عرف): ٢/ ٢٠٧.

جَحْفَل

الجَحْفَل الجيش الكثير العظيم[١]. ولا يكون كذلك إلّا إذا كان فيه خَيْل[٢]. واستعملت المفردة المتقدمة مرة واحدة في نهج البلاغة[٣]؛ للدلالة على الجيش العظيم من المهاجرين والأنصار والتابعين، وذلك في قول أمير المؤمنين(عليه السلام) الذي يتوعّد فيه معاوية ويحذّره قائلاً: ((**وَأَنَا مُرْقِلٌ**[٤] **نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، شَدِيد زِحَامُهُمْ، سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ**[٥]...))[٦].

أراد (عليه السلام) الإنذار والوعيد لمعاوية، فاستعمل مفردة (جَحْفَل)؛ للدلالة على الجمع العظيم من المهاجرين والأنصار والتابعين الذين اجتمعوا معه(عليه السلام) في جيش كبير لقتال معاوية وأصحابه من أهل الشّام وإنّما ذكر (المهاجرين والأنصار والتابعين) تخصيصاً لهذا الجَحْفَل من الجماعات التي كان لها السَّبق والفضل في الإسلام، فإنّهم انتظموا معه(عليه السلام)، وساروا في ركابه عارفين بفضله عليهم وتقدّمه فيهم، في مقابل من اجتمع مع معاوية من رعاع أهل الشام وغواتهم. وتناسب مع ذلك استعماله لمفردات (زُحَامِهُم)، و(قَتَامُهُم) أيضاً، فالزّحام لفظ يدل على الكثرة في العدد، مما يؤدي إلى أن يَزْدحم القَوْم بعضهم البعض الآخر[٧]. وهذا العدد الكبير المزدحم يؤدي إلى هياج القَتَام وسطوعه. والقتام ضرب من الغبار كريه الرائحة فكأنّه (عليه السلام) التعبير عن سعة هذا (الجحفل) الذي يقوده وشَدّة

---

(١) ينظر: العين (جحفل): ٣/ ٣٢٨، ومقاييس اللغة (جحفل): ١/ ٥٠٩.

(٢) ينظر: لسان العرب (جحفل): ١١/ ١٠٢.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٨٠.

(٤) الإرقال ضرب من المشي السريع، ينظر: مقاييس اللغة (رقل): ٢/ ٤٢٥.

(٥) القَتَم ريح ذات غبار كريهة، ينظر: لسان العرب (قتم): ١٢/ ٤٦١.

(٦) نهج البلاغة: ك/ ٢٨: ٤٩٣.

(٧) ينظر: تهذيب اللغة (زحم): ٤/ ٢١٩.

بأسه، بذكر التّزاحم الذي فيه وهياج الغبار عند تحركه، وذلك كناية عن عظيم عديدة وعُدَّته، ولاسيما أنّه(عليه السلام) استعمل مفردة(مُرْقِل) التي تفيد الدلالة على سُرعة هذا الجيش العظيم الذي يُفْترضُ أنْ يكون بطيء الحركة؛ لكثرة زحامه، ولكنه (عليه السلام)أضفى على السياق معنى السُّرعة، باستعمال هذه المفردة المتقدمة؛ لتحقيق الدلالة على الرّهبة في الوعيد الذي أرسله إلى معاوية، فضلاً عن ذلك فإنّه يمكن الإفادة من الدلالات الأخرى لمفردة (جَحْفَل) في انفتاح دلالة النص، فيمكن أن تكون هذهِ المفردة دالة على عظيم قَدْر النّاس الذين انتظموا في هذا الجيش مع الإمام، وعلو منزلتهم بين الأقوام. وهذه الدلالة تعضد استعماله(عليه السلام) لمفردات (المُهاجرين والأنصار) وهي فيما توحيه من دلالة على أصالة هؤلاء وشدة ارتباطهم بالإسلام.

رُقَباء

الرَّقِيْب الحَارِس الذي يشرف على مَرقبة؛ ليحرس القوم[1].

وقد وردت مفردة (رُقَباء) جمعاً لـ (رَقِيْب) مرة واحدة في نهج البلاغة[2]؛ للدلالة على الحرس الذين يحرسون الجيش. وذلك في وصيّة الإمام (عليه السلام) لجيشه الذي أرسله لقتال الأعداء؛ إذ يُوصيهم بقوله: ((**واجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صَيَاصِي[3] الْجِبَالِ، وَمَنَاكِبِ[4] الْهِضَابِ[5]، ئَلَّا يَأْتِيَكُمُ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانِ مَخَافَة**

(١) ينظر: العين (رقب): ٥/ ١٥٤، وتهذيب اللغة (رقب): ٩/ ١١٢.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٩٣.

(٣) الصّياصي هي الحصون التي يتحصّن بها العدو، ينظر: لسان العرب (صيا): ١٤/ ٤٧٤.

(٤) أصل النّكب، الابتعاد والعدول عن الشيء، ومناكب الهضاب ما بَعُد منها، ينظر: لسان العرب (نكب): ١/ ٧٧٠.

(٥) الهَضَبَة مفرد (هضاب)، وهي كل جبل خُلِقَ من صخرة صلبة، وقيل: الهضبة هي الجبل المنبسط الطويل المتنع المفرد الذي لا يكون إلاّ في حُمُر الجبال، ينظر: لسان العرب (هضب): ١/ ٧٨٤.

أَوْ أَمْـن))[١]. يرشد (عليه السلام) جيشه بأن يكون لهم (رُقَباء)، ومن الأحراس الذين يشرفون على الطُّرق، ليحرسوا جماعتهم خشية أن يَنوشهم العَدُوّ من مأمَنهم؛ ولهذا أوصى قادة جيشه بأن يكون هؤلاء (الرّقباء) في أعلي الجبال. ومَنَاكِب الهضاب. يريد بذلك القدرة التي توفرها هذه (المَراقب) للرقيب في الإطّلاع والمراقبة؛ فتكون أعالي الجبال حُصُوناً منيعة لهم تَقيهم الأذى، ورؤية الأعداء لهم. وتسمّى هذه المواضع التي يتخذها الحرس بـ (الرَّبِيئَة).

أقول: وتتضمن مفردة (رُقباء)، الدلالة على طليعة الجيش؛ إذ تتفق كلتا اللفظتين في الدلالة على المراقبة واستطلاع العَدوِّ، وتوفير الحماية لقطع الجيش. وقد ذكر اللغويون أنّ من الدلالات التي تفيدها مفردة(رَقِيب)،هو(طليعة الجيش)[٢]. وهذا الامر يدفع إلى القول إنّ بين لفظتي (رُقباء) و(طليعة) ضرب من الترادف الجزئي؛ لاشتراكهما في الدلالة على مراقبة العَدوّ ومتابعته.

طَلائِعُهم

الطَّلِيْعَة والطَّلاَئِع الجماعات في السَّرِيّة الذين يُبْعَثون لِيُطالِعوا العَدوّ ويأتون بأخباره[٣]. وهم كالجواسيس الذين يَرْقبون العَدو[٤]. وقد جاءت لفظة (طلائِعهم) في كلام الإمام الوارد في نهج البلاغة بصيغة الجمع على (فَعَائل) مرة واحدة[٥]؛ للدلالة على عُيون مُقدّمة القوم في الحرب. وذلك في سياق وصيّته التي أوصى بها

(١) نهج البلاغة: ك / ١١: ٤٧٠.

(٢) ينظر: لسان العرب (رقب): ١/ ٤٢٥.

(٣) ينظر: العين (طلع): ٢/ ١٢، وتهذيب اللغة (طلع): ٢/ ١٠١.

(٤) ينظر: لسان العرب (طلع): ٨/ ٢٣٧.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٧٦.

جيشاً بعثه إلى العدوِّ يقول فيها: ((**وَاعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ**[١] **الْقَومِ عُيُونُهُمْ، وَعُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلائِعُهُمْ**))[٢]. وكلام الإمام نصح وإرشاد لجيشه الذي أرسله لقتال العدو. وهو يؤكد - في قوله - على أهمية (الطّلائع) الذين تكون مهمتهم في معرفة أحوال العَدوِّ، ورَصْد تحركاته. ولهذا أشار (عليه السلام) إلى أنّ (الطلائع) هم عُيُون الجيش[٣]؛ لأنّهم عيون المقدمة من الجيش، والمُقَدِّمة هي عيون الجيش. فصارت (الطَلائع) هي الجزء المهم من الجيش.

وفي النص إشارة إلى أن لا يُفتّ في عضد جيشه، وأنْ لا يستهينوا بالعَدوِّ إذا ما رأوا مقدمة طلائعه القليلة؛ لأنّ هؤلاء هم الجواسيس والرُّقباء الذين يتصدرون الجيش على قلّة عددهم، وإنّ رؤيتهم تشعر بهجوم العَدو[٤].

أقول: ولفظ (الطَّلائع). مأخوذة من الظهور والبروز[٥]. كأنّ تقدمهم الجيش يوحي بظهورهم عليه وسَبْقهم له في أداء الواجب الموكل إليهم. ويمكن أن تكون هذه المفردة مأخوذة من (الإطلاع) على الشيء والعلم به[٦]، أو من (التطّلع) وهو النظر المصحوب بالاختباء[٧]. وهذا الأخير هو الأقرب إلى اشتقاق هذه المفردة؛ لأنّ مهمة (الطّلائع) في الجيش هي الرقابة واستعلام حركات الأعداء.

---

(١) مُقدِّمة الجيش، أوّله الذين يتقدمونه، ينظر لسان العرب (قدم): ١٢/ ٤٦٨.

(٢) نهج البلاغة: ك / ١١: ٤٧٠.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٥ / ٦٨.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ٢١٠.

(٥) ينظر: مقاييس اللغة (طلع): ٣/ ٤١٩.

(٦) ينظر: لسان العرب (طلع): ٨/ ٢٣٧.

(٧) نفسه.

عَشّاراً

العَشّار هو من يأخذ العُشر من أموال الناس[١]، واستعملت المفردة المتقدمة مرة واحدة في نهج البلاغة دالة على الجّابي الذي يأخذ العُشر من أموال الناس، وذلك في قول الإمام (عليه السلام): ((...**إِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَامَ فِي مِثْلِ هٰذِهِ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: إِنَّهَا سَاعَةٌ لاَ يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ إِلاَّ اسْتُجِيبَ لَهُ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ عَشَّاراً أَوْ عَرِيفاً**))[٢]. والعشّار الجابي الذي ياخذ الموال من الناس على السِّلع التي يبيعونها[٣]. فإنّه يَقبض العُشر عنها بأمر من الحُكّام. وخصّ بعض الشّرّاح المراد بهذه اللفظة في كلام الإمام بالذي يقبض عُشر المال من المارّة في الطريق، أو الذي يقبض عُشر مال الطارئ في البلد بأمر من الظالمين[٤]. و(العَشّار) عند اللغويين هو (المَكَّاسُ) أو (الماكِس) الذي يتخذ من الجباية وسيلة له. والمكْس الجباية والضريبة[٥]. وقد كانت هذه الضريبة تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق في الجاهلية، وذلك بقبض عُشر ثمنها منهم، ويشمل ذلك كل ربح أو واردٍ يناله الإنسان[٦].

أقول: واستثناء (العَشّار) من قبول الدعاء في النص المتقدم راجع -فيما يبدو- إلى الظلم الذي يسببّه صاحب هذه الوظيفة للرعية الذين يقوم بالجباية منهم، وربما أكرههم على أعطائه العُشر من أموالهم لهؤلاء العَشّارين[٧]. وقد ورد

---

(١) ينظر: العين (عشر): ١/ ٢٤٥، ومقاييس اللغة (عشر): ٤/ ٣٢٤.

(٢) نهج البلاغة: قصا: ١٠٤، ٦١٨، ٦١٩.

(٣) ينظر: المعجم الوسيط: ٢/ ٦٠٢.

(٤) ينظر: الديباج الوضي: ٦/ ٢٧٩٣.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (مكس): ١٠/ ٥٤، ولسان العرب (مكس): ١٤/ ١٦١.

(٦) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٩/ ٣٠٧ و٣٠٨، ٣٠٨، و١٤/ ١٦١.

(٧) نفسه.

الحديث في ذمِّم هذهِ الفئة من الجُباة، وتحريم الجنّة عليهم في الحديث: ((**لا يَدْخُل الجَنّة صَاحِبُ مَكْس**))[١]. وقد قيل في تفسيره: إن صاحب المكس هو العشّار[٢].

(١) مسند أحمد بن: ٤/ ١٤٣، والسّنن الكبرى:١/ ٤٨٢.

(٢) نفسهما.

المبحث السادس
ألفاظ طبقة السادة والأشراف ورؤوس القوم

الأحرار

الحُرُّ خلاف العبد [(١)].

واستعلمت مفردات (الأحْرَار) بصيغة الجمع على (أَفْعَال) أربع مرات في نهج البلاغة، ومفردة (حرّ) مرتين.في حين وردت لفظتا (حُرًا)،و(أحْرَارُكم) مضافة إلى ضمير جماعة المخاطبين مرة واحدة لكل منهما[(٢)]،للدلالة على الحُرّ من الناس غير المرتهن لغيره، أو لهوى نفسه،أو للشيطان. ومن ذاك قوله (عليه السلام) في سياق بيان أنماط العِبَادة والعُبّاد: ((**إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ شُكْراً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الأَحْرَارِ**))[(٣)]،والإمام يفصّل العبادة والعُبّاد مع بيان غاية كل ضرب منهما. فلّما كانت عبادة الله تبارك وتعالى تكون شكراً مخصوصاً له على نعمه التي أسبغها على العباد؛ فقد وضعها الإمام في المقام الذي وضعت له أصلاً[(٤)]. في حين أنّ عبادة الخوف، وهي عبادة العبيد التي يمارسها الناس خوفاً ورهبة من الله تبارك وتعالى، فهي عبادة خشية وتجنب الأذى عن النّفس، فكما أنّ (العبد) يؤدي أعماله خوفًا من سَيّده وليس حُبا به،أوردّاً لفضله عليه، فكذلك عبادة الله خوفاً من

(١) ينظر: جمهرة اللغة (حرر): ١/ ٩٦.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٠٧.

(٣) نهج البلاغة: قصا / ٢٣٧: ٦٤٥.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٩/ ٦٢.

عذابه.وكذلك عبادة (المعاوضة)[١]، وهي العبادة القائمة على أساس استدرار نِعم الله تبارك وتعالى؛رغبة في زيادتها. وهو ما يمثّل ضربا من ضرب من التجارة والمعوضة بين طرفين. وجاء استعماله مفردة (الأحرار)، للدلالة على عدم خضوع هذا النمط من الناس إلى شعور(الخوف، والرّهبة، والخضوع) لغيره الاّ الله جل جلاله، ومع ذلك كله، بالإمام قصد بالمفردة المتقدمة الدلالة على عبادة البارئ حق عبادة شكراً لأنعُمه وعطاءاته التي يسبغها على الناس جميعاً،والتي لا يعرف قدرها الاّ الإنسان الحر الذي لم يجعل نفسه طعمة لغيره ولم يسخرها إلى طاعة الشيطان. وهذا النمط من الناس هو الموصوف بكونه حُرّاً،والذي يكون مهيّأ لأداء عبادة الأحرار التي يتحدث عنها أمير المؤمنين.

وقد وردت الفاظ (حُر)، و(حُرّاً)، و(الأحْرَار) و(أحرارُكم) بالدلالة على عدم الخضوع لكل شيءٍ الا الله جل جلاله. وذلك في (قصا / ٣٣٦، ٤٥٦، ك/ ٣١، خ/ ٩٧، ١٢٥، قصا / ٤١٣، خ/ ١٢٩).

الحلماء

الحِلْم الأناة[٢]، والتثبت في الأمور[٣]. وقد وردت لفظة (الحَلِيم) وصفًا مفرداً على (فَعْيل) ثلاث مرات في نهج البلاغة. في حين جاءت مفردة (حُلَمَاء) بصيغة الجمع على (فُعَلاء) ثلاث مرات أيضاً، منها مرة واحدة محلاة بـ (ال). واستعملت لفظة (حَلِيْما) مفرداً منصوباً مرة واحدة، ومثلها لفظة(حَلِيمهم) المتصل بها ضمير

(١) هذا المصطلح من مصطلحات الشارح ابن أبي الحديد. ينظر: شرح نهج البلاغة: ١٩/ ٦٢.

(٢) ينظر: العين (حلم): ٣ / ٢٤٦.

(٣) ينظر: لسان العرب (حلم): ١٢/ ١٤٦.

الغائب التي وردت مرة واحدة أيضا[١]، للدلالة على أصحاب الأناة المتثبتين في الأمور من العقلاء وذوي الكياسة. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في وصف المتَّقين: ((**وَأَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ، قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ...**))[٢]. فقدّم صفة (الحِلْم) على (العِلْم)، لأنّ (الحِلْم) صفة جامعة لكثير من الصفات التي تتكامل فيها النفس الإنسانية. فالحِلْم العَقْل[٣]، وليس للمرء أن يكون عالمًا، أو بَرًّا تقيّاً، دون أن يكون ذا عقل راجح يحكم ملكاته وطبائعه. ولهذا قدّم الإمام صفة (الحِلم) على غيرها، كأنّه يشير إلى تقدمها على بقية القيم التي يسعى الإنسان إلى تحصيلها عملية كانت أو خلقية. فضلاً عمّا في (الحِلم) من ضبط للنفس والطّبع عن هيجان الغضب[٤]، ومجاوزة الحد في عدم التثبت في إصدار الأحكام. وهذه الخصال لا تتوافر في الناس جميعاً إلاّ الذين انتخبهم الله تبارك وتعالى ليكونوا بهذا الأوصاف من الحكمة والعقل وحسن التدبير. ولهذا وصف الله تبارك وتعالى نفسه بـ (الحِليم) غيره مرة في القرآن الكريم. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾[٥]. فجعل صفتي الغفران والحلم إزاء تحذ تحذيرهم من عقابه. وقد وردت الفاظ (حَلِيْم) و (حَلِيْمًا) و (حَلِيْمُهم) وجمعها (حُلماء) بالدلالة المتقدمة نفسها في نهج البلاغة في (ك/ ٣٩، ٧٤ قصا / ٢٠٦، ٣٦٩) و (خ/ ١١١، ١٩٢).

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٢٣.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ١٩٣: ٣٨٢.

(٣) ينظر: القاموس المحيط (حلم): ١/ ١٤١٦.

(٤) ينظر: تاج العروس (حلم): ٣١/ ٥٢٧.

(٥) البقرة / ٢٣٥.

سَيِّد

السَّـيِّد الحليـم[١]. وقيـل: إنـما سـمّي سـيّداً؛ لأن النـاس يلتجئـون إلى سـواده[٢]، ولفظة(السيِّد) مأخـوذة مـن الفعـل سـادَ يسـود، وهـو لفـظ مشـترك يطلـق عـلى الـرَّب، والمالـك والشريـف، و الفاضـل والكريـم والحليـم، والمحتمـل أذى قومـه، وهـو الرئيس والمقدّم والـزوج أيضـاً[٣].

وقـد أورد الإمـام (عليه السلام) مفـردة (سـيّد) أربـع مـرات في نهـج البلاغـة، مرتـان منهـا أضيفـت اللفظـة إلى ضمـير الغائـب (سـيِّده)، في حـين اسـتعملت لفظـة (سـيِّدا) بصيغـة التثنيـة مـرة واحـدة. أمّـا الفـاظ الجمـع الخاصـة بكلمـة (سـيّد) فعـلى ضربـين، إذ اسـتعملت لفظـة (السَّـادات) جمـع مؤنـث سـالما، وجـاءت الكلمـة نفسـها مضافـة إلى ضمـير جماعـة المخاطبين(سَـادَاتِكم)،ووردت لفظـة (السَّـادة) اسـماً للجمـع مـرة واحـدة في نهـج البلاغـة[٤]، للدلالـة عـلى مـا يـأتي:

أولاً: الدلالة على الشرف والسيادة والكرم والحلم في الدنيا والآخرة.

وقـد اختصـت هـذه الدلالـة برسـول الله (صلى الله عليه وآله)والحسـن والحسـين(عليهما السلام)، وحمـزة سيد الشـهداء.وهذا النـوع مـن السـيّادة مرتبـط أشـدّ الارتبـاط بسيادة النّسـب والخلق الكريـم معـاً. ومـن ذلـك وصفـه (عليه السلام) لرسـول الله بأنّـه (سـيد عِبَـاد الله) في قولـه:((... **وَأَشْـهَدُ أَنَّ مُحَمَّـداً عَبْـدُهُ وَرَسُـولُهُ، وَسَـيِّدُ عِبَـادِهِ**))[٥]، والسيادة - هنـا- هـي الـشرف

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (سود): ٣/ ١١٤.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: لسان العرب (سود): ٣/ ٢٢٨.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٢٩.

(٥) نهج البلاغة: خ ٢١٤: ٤١٥.

والسؤدد، والفضل في طاعته لله جل جلاله، فهو سيد كل عباد الله. وشبيه بهذه الدلالة قوله في شأن ولديه (الحسنين) (عليهما السلام) بأنهما: ((**سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**))[1]. وذلك في مقام الموازنة بين عائلة رسول الله، وبين الأمويين. وأصل هذا الكلام قول رسول الله المتقدم الذي احتج به الإمام (عليه السلام) على معاوية[2]. والمراد من قوله (سيَّدا)، الدلالة على سيادتهما على شباب(أهل الجنّة)، فضلاً ونسباً وشرفاً، علاوة على كونهما سيّدان في الدنيا بكل ما تفيده مفردة (سيّد) من دلالة على السؤود والكرامة والفضل، والحلم والشرف. والرئاسة والتقدمة على الناس. ونظير هذه الدلالة ما ورد في (ك/ ٢٨) من استعمال تعبير (سيد الشهداء)، للدلالة على(الحمزة بن عبد المطلب).واستعملت لفظة (سادات) جمع مؤنث سالم بالدلالة على الشرف والسؤود في (خ/ ٤٤).

ثانياً: الدلالة على السادات الكبراء الزعماء:

وفي هذه الدلالة تنحط مفردة (سَيِّد) و(سَادات) لتصير مرادفة للكِبر والجبروت الذي يتميز به هذا الضرب من ذوي السيادة في القبيلة وغيرها. ولهذا حذّر(عليه السلام) من طاعة هذا النوع من الناس في سياق النصح والإرشاد بقوله: ((**أَلاَ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ! الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ...**))[3].ويلحظ شِدَّة توكيد الإمام في تحذير الناس من طاعة هؤلاء في المعاصي، ومسايرتهم في الظلم والطغيان والعُسف الذي يستعملونه في معاملة

(١) نفسه: ك/ ٢٨: ٤٩٠.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ٣/ ٦٤، وفضائل الصحابة: ٢/ ٧٧١، والسنن الكبرى، لابن ماجه: ١/ ٤٤، وسنن الترمذي: ٥/ ٦٥٦، والمعجم الأوسط: ١/ ١١٧، والمعجم الكبير: ٣/ ٣٩. و ١٩/ ٢٩٢، ومسند أبي يعلى:٢/ ٣٩٥.

(٣) نهج البلاغة: خ/ ١٩٢: ٣٦٥.

رعاياهم؛ لأنّ هؤلاء إنما تكبرّوا على حَسَبهم بالابتعاد عن أصلهم الذي خُلقوا منه، وزادوا من ذلك بأنْ ترفّعوا فوق نسبهم الذي ينتسبون اليه، حتى أنهم تكبّروا على خالقهم وغالبوه في آلآئة.

ونظير هذه الدلالة، ما ورد في (خ/ ٩٨، ١١٣) التي استعمل فيها الإمام مفردة (سيّده).

الأكياس

الكَيْس العَقل. والكَيِّس العاقل[١]. وقد وردت لفظة (الَأكْيَاس) جمعاً على (أفْعَال) خمس مرات في نهج البلاغة، منها مرة واحدة أضيف إليها ضمير الغائبة (أكْيَاسها). في حين وردت لفظة (كَيْساً) بصيغة المصدر مرة واحدة فحسب[٢]، لدلالة على العقلاء الحكماء من ذوي الفطنة والذكاء. و من ذلك قوله(عليه السلام) في سياق وصف الفتنة وأهوالها التي:((**يَهْرُبُ مِنْهَا الأكْيَاسُ، وَيُدَبِّرُهَا الأرْجَاسُ...**))[٣]. يريد أنها لِشدّتها وأذاها بحق الناس يَفِر منها ذوي الحكمة والعقل والفطنة إلى حيث المأمن والملاذ، ملتجئين - بسكينة ووقار - إلى الحِلم والتَّبصُّر حتى تستبين لهم الأمور، وتنكشف لهم الحقائق، ليكونوا في ذلك ((**كَابْنِ اللَّبُونِ، لاَ ظَهْرٌ فَيُرْكَبَ، وَلاَ ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ**))[٤]. كما يقول الإمام في تحذيره من الفتن وبيان كيفية الخروج من الوقوع في ميدانها. ومن براعة التعبير، استعماله (عليه السلام) مفردة (الأرجَاس) في قوله سالف الذكر - بوصفها ضِداً لمفردة (الأكيْاس) التي أوردها بصيغة الجمع على (أفْعَال) مع المفردة المتقدمة. والأرْجاس -في اللغة- هم الأقذار والأنجاس

(١) ينظر: تهذيب اللغة (كيس): ١٠/ ١٧٢.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٠٥.

(٣) نهج البلاغة: خ / ١٥١: ٢٦٥.

(٤) نفسه: قصا / ١: ٥٩٩.

من الناس الذين يتمثل فيهم الشرّ[١]. كأنّ هؤلاء هم قادة الفتنة وأقطابها الذين يسعون في تدبيرها. والمراد – هنا– الفاسقون الذين أسرفوا في فِسقهم فصاروا كأنّهم النجاسة نفسها من سوئهم وفسادهم ورذيلتهم[٢].

أما استعماله مفردة (أكيَاس) جمعاً على (أفْعَال)،فيحتمل دلالتين؛ الأولى الدلالة التي يتضمنها بناء (أفْعَال) نفسه من حيث العدد، فهو من أبنية أدنى العدد حسبما هو معروف. وهذه الدلالة توحي بقلة هذا النوع من العقلاء الحكماء الذين يحسنون التصرف أيّام الفتن هذا من جهة. أمّا من جهة صوغه، فالصرفيون يرون أنّ الأصل في جمع(كيّس) هو (كَيِّسُون) بالواو والنون؛لأنّه من(فَيْعِل) (كَيِّس)، وما كان على هذا الوزن فالأكثر فيه الجمع بالواو والنون. ولو كان هذا اللفظ من (فَعْل) لكان التكسير فيه أكثر[٣]. وظاهر هذا الكلام أنهم جمعوا (كيِّس) على (أكْياس)؛ لأنّهم أحسّوا فيه دلالة اسم الفاعل الذي يفيد الدوام والثبات في الوصف، فضلاً عن الدلالة على النسب، كقولهم لذي الدّرع دارع، ولذي النِشاب ناشِب[٤]. وبحسب هذا الكلام فإن لفظة (الأكياس) تفيد الدلالة على ذوي الكياسة من الناس، وهم المنسوبون إلى الكياسة والحكمة والفِطنة. وهو ما يجعلها متضمنة الإيحاء بأن الكيّس من الناس هو الذي يحمل بين جنبيه ملامح العقل وحسن التّبصّر بالأمور،فكأنّه مصدر الكياسة ومنشؤها الذي تؤخذ عنه. وقد وردت مفردة (الأكياس)، و(أكياسها) و (كيْساً) بالدلالة المتقدمة نفسها في (خ/ ١٨٦، ٤١، ك/ ٣٠، قصا / ١٤٥، ٣٣١).

---

(١) ينظر: لسان العرب (رجس): ٦/ ٩٤.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ١١١.

(٣) ينظر: كتاب سيبويه: ٣/ ٦٤٢.

(٤) ينظر: معاني الأبنية: ٤٦، وما بعدها.

لهَامِيْم

اللَّهامِيْم جمع (لُهْمُوم)، وهي الإبلُ إذا كانت غزاراً سراعاً كثيرة المَشْي[١]. وفَرَس لهْم جواد سابقٌ يجري أمام الخَيْل كأنّه يلتهم الأرض من شِدّة جرية[٢]. وجاءت لفظة (لهَامِيم) جمعاً على (فَعَالِيْل) مرتين في نهج البلاغة[٣]، وذلك في مقام العتاب واللّوم، عند حثَّ أصحابه على القتال في بعض أيّام (صِفِّيْن) إذ يقول (عليه السلام): ((**وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ[٤] وَانْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ، تَحُوزُكُمُ الْجُفَاةُ الطَّغَامُ، وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ، وَيَآفِيخُ[٥] الشَّرَّفِ، وَالْأَنْفُ الْمُقَدَّمُ**...))[٦]. يعاتب الإمام بعض أقطاب جيشه بعدما رأى تراجعهم في بعض وقائع (صِفيّن)، مُذكّراً إياهم بأنهم يُقاتلون أوغاد النّاس من أعراب أهل الشّام الذين ينمازون بالطُّغيان والعصبيّة وعدم الوعي والتميز بين الحقِّ والباطل. ويَعطف الإمام – في كلامه – على تذكير أصحابه بمنزلتهم ومكانتهم بإزاء هؤلاء (الجُفَاة الطَّغَام)، فاستعار لوصفهم مفردة (لهَامِيم) التي تدل على الإبل السِّراع الكثيرة المَشي. كما تدل على الفَرَس الجواد الذي يتقدّم بقية الخيل في جرْيه،كأنه يلتهم الأرض من سرعته[٧]. فجاء وصف الإمام لهم بكونهم (لهامِيْم) دالًا على تقدّمهم وسبقهم؛ فضلاً عن كونهم من أجواد الناس وكِرَامِهم. فاللّهْموم هو

(١) ينظر: تهذيب اللغة (لهم): ٦/ ١٦٩، والمحكم (لهم): ٤/ ٣٣٠، وأساس البلاغة: (لهم): ١/ ٥٧٧.

(٢) ينظر: العين (لهم): ٤/ ٥٧، ومقاييس اللغة (لهم): ٥/ ٢١٧، والمحكم (لهم): ٤/ ٣٢٩.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤١٣.

(٤) جَالَ في الحرب جَوْله، إذا طاف. ينظر: لسان العرب (جول): ١١/ ١٣٠.

(٥) أصل اليافوخ هو ملتقى عظم مقدّم الرأس، وعظم مؤخره، وهو الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل. ينظر: لسان العرب (أفخ):٣/ ٥.

(٦) نهج البلاغة: خ/ ١٠٧: ١٩٤.

(٧) ينظر: العين (لهم): ٤/ ٥٧، والمحكم (لهم): ٤/ ٣٢٩.

الجواد من النّاس أيضاً كما فَسّر اللغويون هذه المفردة في كلامه (عليه السلام) الذي نقله المصنَّفون في الغريب والمعاجم. فقد ذكر ابن الأثير الجزري أنّ مفردة(هَامِيم) في قوله: ((**وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ**))[١]. هي جمع (لُهْمُوم)، وهو الجواد من الناس والخيْل[٢]. وقد اتفق شرّاح النهج مع اللغويين في هذا المعنى، حتّى أنهم نقلوا النص المتقدم نفسه الذي فَسّر به ابن الأثير الجزري مفردة (لهاميم). وهو ما يبدو في مقولة الشارح

البيْهقي الأنصاري[٣]، وابن أبي الحديد[٤]، و البحراني[٥] وبعض المحدثين[٦]. في حين انفرد صاحب الديباج الوضي بذكر المعنى العام الذي يراد من هذه المفردة، ذاكراً أنّها تدل على أهل الرئاسة والجود[٧].وتعقيبًا على ذلك أقول: إن مفردة (لهاميم) مفردة موحية بالفرادة، ولاسيما في بنائها الصرفي، فهي على زِنة (فَعَالِيْل) الذي يختص بجمع الأبنية الخماسية،حتى أنّه عدَّ ((فَعَاعِيْل،وفَعَاعِل أكثر وأعْرَف من فَعَالِل وفَعَالِيْل))[٨]. وهذا يعني أن فرادة (فَعَالِيْل) توحي بتميّزه وغرابته المفردات التي تساق على وزنه عند مجيئه في نص معين. وحكم جمع الأسماء الواردة على هذا البناء حذف حرفها الخامس منها إلاّ إذا كان هذا الحرف

(١) ورد هذا المقطع من قوله (عليه السلام) في:النهاية في غريب الحديث: ٤/ ٢٨٤،ولسان العرب(لهم): ١٢ / ٥٥٥، و(أفخ): ٣/ ٥.

(٢) نفسها.

(٣) ينظر: معارج نعج البلاغة: ١/ ٤٥٢.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٧/ ١٤٠.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥٠٨.

(٦) ينظر: مع نهج البلاغة: ١٤٠.

(٧) ينظر: الديباج الوضي: ٢/ ٨٥٢.

(٨) كتاب سيبويه: ٣/ ٤٣٢، وينظر: ٤/ ٢٩٤.

من حروف المَدِّ، فلا يحذف حينذاك[١]. ولّما كان مفرد (لَهَامِيم) هو (لُهْمُوم)، ورابع حروفه - وهو الواو- من أحرف المُدِّ، لهذا بقي هذا اللفظ على حاله عند الجمع، فقيل: (لهامِيْم). أقول: ويمكن أن تتّسع دلالة هذه المفردة المتقدمة؛ لتُضفي على السياق دلالات أخرى، من قبيل الدلالة على السَّعة وكثرة العَطَاء[٢]، فضلاً عن العَظَمة وعُلّو الهِمّة. ومما عزّز هذه المعاني ورود مفردات أخرى في هذا النص، وهنها لفظة (يآفيْخ) التي أضافها (عليه السلام) إلى مفردة (الشّرف). واليآفيخ -في اللغة- أعالي الدماغ وقمته، فاستعملها الإمام وصفا لهؤلاء المخاطبين إشارة إلى علوّ شأنهم ورفعة منزلتهم و شرفهم، فهم كقمَّة الرأس من الجسد، ولعله (عليه السلام) يريد بذلك كونهم أصحاب حكمة وتدبير، لأنّ وصفهم (باليآفيخ) يعد علامة على حكمتهم وتبصّرهم،لما في الرأس من دلالة على العقل والحكمة بوصفه محلاً موضعاً للعَقْل والتفكير الذي يمثل قيمة الإنسان وعلامته الفارقة الذي ينماز بها عن الحيوان، فمن خالف العقل والحكمة فلا شك يكون موضع لومٍ وعتاب، وهذا المعنى مما يليق بالسياق والمقام الذي يتحدث فيه الإمام مستعملاً المفردات المتقدمة لإبراز هذه المعاني الحسية.وجاءت مفردة (لهَاميم) في موضع آخر من نهج البلاغة بالدلالة المتقدمة نفسها، ولعله السياق نفسه الذي يمكن أن يكون قد أعاده السيد الشريف الرضي في موضع آخر من نهج الإمام، فلا تختلف الفاظه عن الفاظ النص المتقدم سلفًا، وهو في (خ/ ١٢٤).

---

(١) ينظر: شرح ابن عقيل: ٤/ ١٣٥.

(٢) ينظر: لسان العرب (لهم): ١٢/ ٥٥٥.

يَعْسوب

اليَعْسوب فحل النّحل وسيّدها وأميرها[١]، وقد استعمل أمير المؤمنين مفردة (يَعْسُوب) مرتين في نهج البلاغة، في حين جاءت كلمة (يَعْاسِيب) بصيغة الجمع على (فَعَالِيْل) مرة واحدة[٢]، للدلالة على سيّد القوم وزعيمهم وفحلهم الشجاع.

ومن ذلك قوله (عليه السلام) في وصف نفسه، جاعلاً منها بإزاء (المال) الذي عدّه زعيمًا للفُجّار. إذ يقول: ((**أَنـا يَعْسُـوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمـالُ يَعْسُـوبُ الْفُجَّـارِ**))[٣]. وقد شرح السيد الشريف الرضي كلام الإمام بقوله: ((ومعنى ذلك أنّ المؤمنين يتبعونني، والفُجّار يتبعون المال كما يتبع النحل يعسوبها وهو رئيسها))[٤]. ويتضمن النص إشارات متعددة؛ منها أنّ الإمرة والقيادة تكون على نوعين: إمرة مؤمنة عادلة قائدها سيّد المؤمنين وزعيمهم المقدّم وقرمهم الفرد الذي لا يجارى في الحق. وإمرة فاجرة يقودها الفُجّار من ذوي الأموال والثراء الذين يشترون بأموالهم الناس باغرائهم لشراء دينهم وعقيدتهم. وأصل النص المتقدم قول لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بحق الإمام (عليه السلام) كما أشار إلى ذلك الشارح ابن أبي الحديد[٥]. فقد ورد أنّه قال له: ((**أنْت يَعْسُوب الدِّين**))[٦]، وقال له في حديث آخر: ((**أنت**

(١) ينظر: العين (عسب): ١/ ٣٤٢، وتهذيب اللغة (عسب): ٢/ ٦٨، والمحكم (عسب): ١/ ٥٠٣.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٠٣.

(٣) نهج البلاغة: قصا/ ٣١٦: ٦٦٥. وقد نقلت المدونات اللغوية قول الإمام المتقدم. ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٥/ ٢٩٧، ولسان العرب (عسب): ١/ ٦٠٠.، وتاج العروس (عسب): ٣/ ٣٦٩.

(٤) نهج البلاغة: قصا/ ٣١٦: ٦٦٥. وقد نقلت المدونات اللغوية قول الإمام المتقدم. ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٥/ ٢٩٧، ولسان العرب (عسب): ١/ ٦٠٠.، وتاج العروس (عسب): ٣/ ٣٦٩.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٩/ ١٨٣.

(٦) نفسه.

يَعْسُوب المُؤمِنِين))[١]، فجعله (صلى الله عليه وآله وسلم) رئيس المؤمنين وسيّدهم، في إشارة إلى اتباعهم له، أو جعل الدين يتبعه أثره حيثما سلك كما يتبع النّحل يَعْسوبه[٢]. والوارد في المدونات الخاصة بالحديث النبوي أنّ النبيَّ أخذ بيد علي قائلاً: ((**هذا أول مَّنْ آمن بي، وهو أوّل من يصافحني يوْم القيامةِ. وهذا الصدِّيق الأكبرُ، وهذا فارُوقُ هذه الأمُة يَفْرق بيْن الحقِّ والباطلِ، وهذا يَعْسُوبُ المؤمنين، والمالُ يَعْسُوبُ الظالم**))[٣].

أقول: وتحتمل مفردة (يَعسُوب) الخاصة به (عليه السلام) الدلالة على سبقه إلى الإسلام ومبادرته اليه، فضلاً عن كونه سيد الناس وفحلهم المقدّم. فاستعار اللفظ المتقدم إشارة إلى فحولته ورئاسته في المؤمنين، آخذاً ذلك من عدة أمور تطلق عليها لفظة (يَعْسُوب)، وفي طليعتها ذكر النحل الذي شاع استعمال اللفظة المتقدمة في الدلالة عليه. ومن ثّمّ قيل لكل رئيس يعسوب كما يذكر اللغويون[٤]. ويأتي ذلك من عدة جهات يتميز بها ذكر (النَّحل)، وأولها أنّه يبكر بُكوراً في غُدُوِّة إلى العمل، فتتبعه النحل إلى أعمالها[٥]. ومن شِدّة تعّلق النحل بيعسوبها وملازمتها له أنها تنهض بنهوضة وتقع بوقوعه؛ وذلك لاقتدار الذكر منها على الإناث، ولما في طباعها من حبٍّ لذكورها حسبما يذكر الجاحظ(ت٢٥٥هـ)[٦]. حتى قيل إنه لو لم تتأمّر فحول النحل على إناثها، لكانت – لحبها للفحول –

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

(٣) المعجم الكبير: ٦/ ٢٦٩، ومجمع الزوائد، للهيثمي: ٩/ ١٠٢، وكنز العمال، للمتقي الهندي: ١١/ ٢٧٧. ومصادر نهج البلاغة وأسانيده: ٤/ ٢٤٦.

(٤) ينظر: لسان العرب (عسب): ١/ ٥٩٩.

(٥) ينظر: الحيوان: ٥/ ٤١٧.

(٦) نفسه: ٥/ ٤١٩، ٤٢٠.

تغدو بغدوها وتروح برواحها(١).وتحتمل مفردة (يعسوب) في كلامه(ﷺ) دلالات أخرى، منها أن يكون المراد بها الغُرَّة التي في وجه الفرس التي تظهر مستطيلة في صدارة وجهه و تنقطع عند أعلى المنخرين منه(٢). وتوحي هذه الغرّة بالزّهو والارتفاع وعلو الشأن، فضلاً عن الثبات والملازمة أيضاً. وهو ما يظهر في دلالة (عَسيْب) مقلوب (يَعْسُوب) التي سُمِّي بها جبل معروف بعالية نَجْدٍ(٣). وهو الذي يقول فيه امرىء القيس(٤) :

أجَارَتَنا إنَّ المزار قريبُ وإنّي مقيمٌ ما أَقامَ عَسِيْبُ

وقد وردت لفظة (يَعسُوب) في موضع آخر من نهج البلاغة يتحدث فيه الإمام عن غيبة الإمام المهدي (ﷺ)، وذلك في (غ/ ١) و بالدلالة المتقدمة نفسها(٥).فضلًا عن مفردة (يعاسِيْب) بصيغة الجمع التي استعملت في الدلالة على زعماء القبائل ورؤسائها.وذلك في (خ/ ١٩٢).

---

(١) نفسه.

(٢) ينظر: المحكم (عسب): ١/ ٥٠٣.

(٣) ينظر: تاج العروس (عسب): ٣/ ٣٦٩.

(٤) ديوانه: ٣٥٧، وتاج العروس (عسب): ٣/ ٣٦٩.

(٥) وقد نقلت المدونات الخاصة بغريب الحديث وكتب اللغة قول الإمام هذا، ومنها: غريب الحديث(أبوعبيد): ١/ ١٨٥، ٣/ ٤٤٠، والنهاية في غريب الحديث: ٣/ ٢٣٤، ولسان العرب (عسب): ١/ ٦٠٠، وتاج العروس (عسب): ٣/ ٣٧٠، وقد فصَّل الباحث الدكتور عبد الكريم السعداوي القول في هذا الحديث، مبيّناً الاحتمالات الدلالية لمفردة (يَعسُوب)،ولكنه لم يراعِ أقوال المصنفات الخاصة بـ(الحيوان) في إظهار مزّية (يَعسُوب) النحل على بقية (النحّل)، حتى أنّه ذهب إلى إضعاف أراء اللغويون في كون(اليعسوب) هو ذكر النحل وفحلها، وأشار إلى أن الحالة السائدة في مجتمع (النحل) هو سيادة (الملكة الأنثى) على الجانب الذكوري، وربّما غاب عنه ما ذكره (الجاحظ) في كتابه (الحيوان) حول التفاف النحل من الإناث على(يَعَاسِيبها) مراعاة منها لزعامته وفحولته.

كُبَرائكم

الكُبراء جمع (كَبِير)، وهو لفظ يدل على الكبر والعظمة[١]. وهو مأخوذ - كما يبدو - من الكِبر، وهو الرفعة فيها الشرف والمنزلة العالية في العشيرة والأسلاف،حسبما يذكر الخليل[٢].

وقد استعمل الإمام (عليه السلام) مفردة (كُبرائكم) بصيغة الجمع (فُعَلاَء) مضافاً اليها ضمير جماعة المخاطبين مرة واحدة في كلامه الوارد في نهج البلاغة [٣]، للدلالة على ذوي الكبر والمنزلة في القبيلة والمجتمع من المتجبرِّين المتكبرين. وذلك في قوله الذي يحذّر فيه من طاعة هذا النوع من الناس الذين تكبروا على قيم الله تبارك وتعالى، وصاروا دعائم للفتنة.يقول (عليه السلام): ((**أَلاَ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ! الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وَأَلْقَوُا الْهَجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ، وَجَاحَدُوا اللهَ مَا صَنَعَ بِهِمْ، مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ، وَمُغَالَبَةً لِالائِهِ، فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ...**))[٤].وهذان الصنفان من الناس،وهم (السّادات والكُبراء) غالباً ما يكونوا من ذوي العلو والتكبّر والسيادة على الناس، ولكن هذه (السّيادة) جنحت بهم نحو التسلّط والتعالي على غيرهم، بل حتى على الله جل جلاله - كما يذكر الإمام - ولهذا نسبوا أفعالهم القبيحة المستهجنة اليه جل جلاله ذاهبين إلى أن أعمالهم هذه ليست منهم، وإنما هي من الله، وذلك لكي يبرِّؤا أنفسهم من القبائح التي لا تناسب منزلتهم وكبرتهم بحسب أدعائهم

(١) ينظر: العين (كبر): ٥/ ٣٦١.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٩٣.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ١٩٢: ٣٦٥.

جاحدين النّعم التي أنزلها الله تعالى عليهم. ولهذا علل الإمام تحذيره من طاعة هذا النوع من الناس بكونهم أساس العصبيّة، والدعائم التي تقوم بها أركان الفتنة، فضلاً عمّا فيهم من تفاخر بأنسابهم وقيمهم الجاهلية. أقول: وقد استعمل (عليه السلام) مفردة (كُبَرائِكم) بوزن (فُعَلاء) في هذا السياق، دون غيرها من الألفاظ القريبة في اشتقاقها من المفردة المتقدمة مثل كلمة (كَبار) أو(كُبّار) وغيرها؛ لأنّه أراد- فيما يبدو- الدلالة على سجية الكِبر والتسلط والطغيان التي يتحلّى بها هذا الضرب من الناس المعدودين من فئة السّادات و رؤوس القوم، كأنّه قصد الإبانة عن ثبات هذه الخصال والغرائز في نفوسهم، في حين أنّ بقيّة المفردات مثل (كِبار) التي تجمع على وزن (فِعَال) أو (فُعّال) لا تبدو فيها هذه الدلالة[١].

ويبدو الأثر القرآني واضحاً في تعبير الإمام المتقدم، وذلك أنّه نسج كلامه على غرار قوله تعالى: ﴿لُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾[٢]. الذي آثر القرآن استعمال مفردة (كُبراء) على غيرها من لألفاظ، لما فيها من دلالة على رؤوس الضّلال والفتن، والطغيان والاستكبار. كأنّ هؤلاء الذين لقّنوا الناس الكفر والشّر وزيّنوه لهم[٣]، فأضلّوهم السبيل إلى الله تبارك وتعالى.

المُجداء والنّجداء

المُجداء جمع مَجِيد، وهو الواسع الشّرف، المفضال ذي الخير الكثير[٤]. والنَّجداء جمع نَجِيْد، وهو الشجاع الماضي فيما يعجز عنه غيره[٥]. وقد استعمل الإمام

(١) ينظر: معاني الأبنية: ١٦٧.

(٢) الأحزاب / ٦٧.

(٣) ينظر: الكشاف: ٣/ ٥٧٢، وروح المعاني: ٢٢/ ٩٣.

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٤/ ٢٩٨.

(٥) ينظر: لسان العرب (نجد): ٣/ ٤١٧.

لفظتي (المُجداء والنّجدَاء) مرة واحدة في سياق واحد في نهج البلاغة[١]، للدلالة على ذوي الشرف والفضل والخير الكثير، فضلاً عن الشجاعة والمُضِيِّ عند أهل البيوتات الصّالحة من العرب. وذلك في قوله (عليه السلام) الذي ينصح فيه المتعصبين بأنْ يكون تعصبهم لمكارم الخصال ومحاسن الأخلاق: ((**فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ، فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُهُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ، وَمَحَامِدِ الأَفْعَالِ، وَمَحَاسِنِ الأُمُورِ، الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجَدَاءُ وَالنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَيَعَاسِيبِ الْقَبَائِلِ**...))[٢]. وفي النص حثّ من الإمام على ضرورة أن تكون صفة (العصبية) مخصوصة بالقيم الصالحة دون الطالحة منها، لأنّ هذه الصفة شائعة في نفوس العرب، وهي غالبة فيهم، حتى كانت العصبية فيهم تنتهي بهم إلى القتال وإشاعة الحروب الطاحنة فيما بينهم. ولهذا عمد(عليه السلام) إلى تطويع هذه الصفة فيهم،وتوجيهها من الجانب السلبي إلى الإيجابي؛ ترغيباً لهم على جعل تعصبهم لمكارم الأخلاق، فجاء بلفظتي (مُجداء) و (نُجداء)، وهما من أبنية الجمع على (فُعَلاء) الدالة على جمع الخصال والصفات التي تبدو كالغريزة في صاحبها[٣]، مشيرًا إلى أنّ تفاضل بيوتات العرب لابد أن يكون في هذا الضرب من الخصال الدالة على الفضل وكثرة الخير في الناس، فضلاً عن الشجاعة وشدة البأس وسرعة النّجدة، والمسارعة إلى إجابة الناس وإعانتهم في الخير فجمع (عليه السلام) باستعمال المفردتين بين الدلالة على الشرف والمجد والدلالة على الشجاعة وحسن البأس.

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤١٨، ٤٣٥.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ١٩٢: ٣/ ٣٧٢. وقد نقلت المدونات اللغوية قول الإمام المتقدم. ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٥/ ١٨، ولسان العرب (مجد): ٣/ ٤١٨.

(٣) ينظر: معاني الأبنية: ١٦٧.

القِرْم

القِرم الفحل المُصعّب[١]. والمُقرم هو البعير المكرّم الذي لا يحمل عليه؛ ولا يُذلّل، وإنما يودع للفحولة[٢]. واستعملت لفظة (القِرْم) في كلام الإمام في نهج البلاغة مرة واحدة[٣]، للدلالة على الفحل المُسوّد من الرِّجال، وذلك في قوله (عليه السلام) الذي يذم به (عمرو بن العاص) قائلاً: ((**فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِر وَآمِر هُوَ! مَا لَمْ تَأْخُذِ السُّيُوفُ مَآخِذَهَا، فَإِذَا كَانَ ذلِكَ كَانَ أَكْبَرُ مَكيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقَرْمَ سُبَّتَهُ**[٤]))[٥]. يريد: وصف (عمرو بن العاص) بالعار والذّلّة. وذلك معروف عنه فيما روته المدونات التأريخية من أنّه قال في (صِفّين):((**والله لو علمت أني أموت الف موته، لبارزت علياً في أول ما ألقاه... فلما بارزه طعنه علي فصرعه وأتقاه عمرو بعورته، فانصرف علي عنه**))[٦]. فعد ذلك من مكارمه وسؤدده التي ضرب بها المثل كما يقول الشارح ابن أبي الحديد[٧]. وإلى ذلك أشار الإمام في قوله: ((...**أَنْ يَمْنَحَ الْقِرْمَ سُبَّتَهُ**)). يعني: أنه استنجد بعورته وأُسته بعدما تمكّن منه. وبهذا يكون إيراد لفظة (القِرم) وصفاً لنفسه. وهذه المفردة - في هذا السياق - تدل على السيّد الرئيس من الرجال، وهو الإمام - هنا - الذي شبّه نفسه بالمقرّم من الإبل، لعظيم شأنه وكرمه في الناس[٨]. فضلًا عن ذلك، فالمفردة تتضمن دلالات

(١) ينظر: العين (قرم): ٥/ ١٥٨.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (قرم): ١٩/ ١٢٠.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٧١.

(٤) السُّبَّة الأست. والعار أيضاً. ينظر: المحكم (سبب): ٨/ ٤٢٣.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ٨٤: ١٣٧.

(٦) وقعة صفين: ٤٢٤، ومعارج نهج البلاغة: ١/ ٣٨٧، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦/ ٢٤٥، والديباج الوضي: ٢/ ٦٢٦، ٦٢٧.

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦/ ٢٤٥.

(٨) ينظر: تهذيب اللغة (قرم): ٩/ ١٢٠.

أخرى، منها الدلالة على التّقْدمة والمعرفة بتجارب الأمور.

أقول: وثمّة رواية أخرى للمفردة المتقدمة نقلتها بعض شروح نهج البلاغة، بإيراد لفظة (القَوم) بدلاً من (القِرم) في السياق المتقدم[1]. وفي مقام الترجيح بين هاتين الروايتين، فالظاهر أن لفظة (القِرْم) أملك بالسياق وأنسب من لفظة (القَوم)، لمناسبتها الحادثة التأريخية التي أوردتها المصنفات التأريخية في (صِفيِّن)، فضلاً عن مناسبة مفردة (القرِم) لحال أمير المؤمنين الذي يعد المقدّم بين القوم في الشجاعة والصبّر وحسن القيادة في الحروب وغيرها، ولهذا ردّ المصنفّون في (غريب الحديث) واللغويون رواية (القَوْم)، مشيرين إلى عدم إفادتها المعنى الذي تفيده مفردة(القِرم)، وأنها بالرَّاء أولى، والمراد بذلك: الرجل المقَدّم في المعرفة وتجارب الأمور[2]. وكذلك السيد الكريم من الرجال،وهي مأخوذة من الفحل من الإبل الذي يُكرم ولا يُمتهن، لفضله في الضّراب[3]. ومما يعزز ذلك لديّ أنّ المصنفات الخاصة بغريب الحديث، وبعض المعجمات نقلت حديثًا عن الإمام علي نفسه يمكن أن يفيد في تعزيز رواية كلمة (القرم) وإيثارها على (القَوْم) مع تعزيز دلالتها على سؤدده وكرامته وفضله، وهو قوله (عليه السلام) مفتخراً بنفسه: ((**أَنَا أَبُو حَسَن القِرم**))[4]. وفي رواية ابن الجوزي: ((**أنا القِرم**))[5].

(١) وقد آثر هذه الرواية ابن أبي الحديد في شرحه: ٦/ ٢٢٠، وأبي يحيى الحسيني في الديباح الوضي: ٢/ ٦٢٦، والميرزا الخوئي في منهاج البراعة: ٦/ ٦٥. في حين أن إيراد لفظة (القرْم) جاء عند كل من الشارح البحراني في شرحه: ٢/ ٣٩٧، والشيخ محمد عبده في شرحه: ١/ ١٣٢، والسيد عبد الزهراء الحسيني في مصادر نهج البلاغة وأسانيده: ٢/ ١١٢. فضلاً عن صبحي الصالح الذي أثبت النص المتقدم من ضبطه.

(٢) ينظر: غريب الحديث (الخطابي): ٢/ ١٩٣، وتاج العروس (قرم): ٣٣/ ٢٥٢.

(٣) ينظر: غريب الحديث (الخطابي): ٢/ ١٩٣.

(٤) ينظر: غريب الحديث (الخطابي): ٢/ ١٩٣، والنهاية في غريب الحديث: ٤/ ٤٩، ولسان العرب (قرم): ١٢/ ٤٧٣، وتاج العروس (قرم): ٣٣/ ٢٥٢.

(٥) ينظر: غريب الحديث (ابن الجوزي): ٢/ ٢٣٨.

المبحث السابع
طبقة العبيد والموالي الخدم

عَبد

قال ابن فارس: ((العين والباء والدّال أصلان صحيحان كأنّهما مُتضادان والأول من ذينك الأصلين يدل على لِين وذُلّ، والآخر على شِدّة وغِلظ. فالأوّل العَبْد وهو المملوك...))[١]. والعَبد هو ((الإنسانُ حُرّاً أو رقيقاً))[٢].

وقد ورد الجذر اللغوي (عبد) في نهج البلاغة بكثرة، فبلغت مرات وروده مائتان وخمس عشرة مرة[٣]. وقد أمكن من خلال تتبع تلك المواضع حصر الدلالات التي سيق إليها هذا اللفظ فيما يأتي:

أوّلاً: الدلالة على العبودية لله تبارك وتعالى.

ويشمل هذا المعنى اللفظة التي رُكِّبت مع لفظ الجلالة (الله) (عبد الله). وقد شاع هذا المعنى في نهج البلاغة بكثرة بحيث صار مجموع التعبير المتقدم مائة وثمانون مرة[٤]. وشيوع هذه الدلالة يؤكد أنّ العبودية لا تكون إلّا له جل جلاله. ومن تلك المواضيع قول الإمام (عليه السلام)، الذي يتحدث فيه عن استعباد الله تبارك وتعالى للعباد بما فيهم الأرباب والعُظماء: ((**الْحَمْدُ لله الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَة، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَة، خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ،وَاسْتَعْبَدَ الْأَرْبَابَ**

(١) مقاييس اللغة (عبد): ٤/ ٢٠٥.

(٢) العين (عبد): ٢/ ٤٨.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٧٨ – ٢٨٩.

(٤) نفسه.

بِعِزَّتِهِ، وَسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ...))(١). يشير (عليه السلام) إلى أنّ الله تبارك وتعالى (اسْتَعْبَدَ الأَرْبَابَ بِعِزَّتِه)، فجعلهم خاضعين الخضوع كله له، وصيرهم في جانب الحاجة والإفتقار إليه(٢). ونلحظ أن الإمام كثيرا ما وصف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنّه(عبدُ الله)،على سبيل الشهادة بوحدانية الله تعالى، والشهادة للنبي الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) بأنّه (عبد الله).و هذا النوع من التعبير يجيء دائماً في سياق إقراره(عليه السلام) بتوحيد الله، ومدح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). يقول(عليه السلام): ((**الْحَمْدُ للهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً...**))(٣). ومن هذا الاستعمال ما ورد في (خ / ٢، ٣٥، ٨٣، ١١٤، ١٥١، ١٧٨، ١٨٥، ١٩٠، ١٩١، ١٩٤، ١٩٥، ٢١٤).

أمّا وصف الإمام نفسه بأنّه (عبد الله)، فقد شاع كثيراً في صدارة كتبه ورسائله وعهوده التي يُرسلها إلى أعدائه وأمراء بلاده. ومنها كتابه إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة، الذي يقول فيه: ((**مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ، جَبْهَةِ الأَنْصَارِ وَسَنَامِ الْعَرَبِ...**))(٤). وهذا التعبير بوصف الإمام بأنّه (عبد الله) توكيد للعبودية التي أعطاها الإمام حقها، ومنحها معناها الحقيقي دون الاكتفاء بالدلالة اللفظية، فكان هو والنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) مملوكون لله تبارك وتعالى، فعبدوه شكراً لنعمه وأداء لطاعته، وكانت عبادتهم له عبادة الأحرار وليست عبادة التجار. فكأن الإمام (عليه السلام) يذكر لفظ (عبد الله) بعد اسمه يريد تذكير

---

(١) نهج البلاغة: خ / ١٨٣: ٣٣٣.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٧١٨ـ ٧١٩.

(٣) نهج البلاغة: خ / ١٠٠: ١٨١.

(٤) نهج البلاغة: ك / ١: ٤٥٩.

عمّاله وولاته والناس بأنّه مع كونه أميرهم، لكنّه عبد لله تبارك وتعالى. وذلك أمر تأديبي لهم اختص به الإمام دون غيره كما يبدو. ومن ذلك في قوله الذي يصف فيه أنواع العِبادة والعابدين: ((**إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ شُكْراً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الأَحْرَارِ**))[١]. ومن ذكر الإمام صفة(عبد الله) لنفسه ما ورد في:(ك/ ٢٤، ٣٨، ٥٠، ٥١،٥٣، ٦٠، ٦٣، ٧٥).

ثانياً: الدلالة على العبيد المملوكين.

وهم الذين يعملون بخدمة مَواليهم، ويمثلون إحدى طبقات المجتمع. وقد جاء ذكرهم في نهج البلاغة سبعا وعشرين مرة للدلالة على(العَبيْد). ومن ذلك قول أمير المؤمنين(عليه السلام) في سياق ذمِّ أهل الشّام: ((**جُفَاةٌ طَغَامٌ،عَبِيدٌ أَقْزَامٌ**))[٢]. وذلك أنّهم جفاةٌ غِلاظ القلوب من القسوة وأصل ذلك من قولهم: جَفَا ثّوبه إذا غَلظ[٣]. وأمّا الطغام، فهم أوغاد الناس وحمقاهم[٤]. ثمّ وصفهم بأنّهم (عَبيدٌ أقزام). وقد اختلف الشُّراح في دلالة مفردة (عبيد) في هذا السياق، فذهب البحراني إلى أنّه وصفهم بذلك إمّا لأنّهم عبيد الدنيا وأهلها؛ أو لأنّ منهم عبيداً فعلا[٥]. في حين ذهب شارح آخر إلى أنّ لفظة (عبيد) لا تدل على جريان الرِّق والعبودية الحقيقية عليهم وإنّما هي كناية عن ذلك؛ لأنّ العرب تُكّنى عن شِرار الناس

---

(١) نفسه: قصا / ٢٣٧.

(٢) نفسه: خ / ٢٣٨ وينظر: النهاية في غريب الحديث: ٤/ ٥٩.

(٣) ينظر: تاج العروس (جفو): ٣٧/ ٣٦ والمحكم(قزم): ٦/ ٢٦٢.

(٤) ينظر: العين (طغم): ٤/ ٣٨٩ ولسان العرب (طغم): ١٢/ ٣٦٨.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ١٩٣

بالعبيد من الذين لا حسب لهم ولا خُلُق يَردّهم عن اللؤم والقبح[١]. واستدل على هذا الوجه بِحال هؤلاء القوم الذين خاطبهم الإمام بهذا الخطاب[٢]، فهم ليسوا من الرَقيق والموالي، وإنّما هم من الأحرار. ويميل الباحث إلى الجمع بين الرأيين في بيان دلالة مفردة (عَبيد) التي استعملها الإمام وصفا لأسياد هؤلاء الذين وجّهوهم هذه الوجهة حتّى تمكّنت العبودية منهم، فصاروا عبيدَ الدّنيا وعبيد كبرائهم من الطُغاة يطيعونهم على المنكر دون المعروف. ويمكن تلمُّس هذا المعنى من دلالة الألفاظ المجاورة لمفردة (عَبيد)، ومنها كلمة (أقْزَام). والقَزَم -في اللغة- الدنئ اللئيم الصغير الجُثّة[٣]. ومفردة (أقزام) لا تدل على القزم الصغير الجُثّة، وإنّما تخرج إلى الدلالة على حقارة هؤلاء ودناءتهم. وحَسبي أنّ الإمام(عليه السلام) أراد بذكرها تصغير قدر أهل الشّام وضآلة شأنهم، وهذا المعنى ويعزِّز دلالة لفظة(عَبيد)على الامتهان والخِسّة والدناءة والطاعة العمياء التي بّذلها الشّاميّون للأمويين.

وقد لاحظتُ في نهج البلاغة أنّ الإمام (عليه السلام) متى أراد الدلالة على معنى الاستعباد والذِّلة والخضوع التّام، فإنّه يَعمَد إلى استعمال لفظة (عبيد) جمعاً على زنة (فَعِيْل)، سواء أكان ذلك متعلقاً بخضوع العبْد لله تبارك وتعالى،وهي (العبودية) الكبرى،أم كان الأمر متعلقاً باستعباد الناس وإخضاعهم إلى سلطة الحُكّام المتسلطين. ولبيان طبيعة هذا الاستعمال وتأثير دلالة اللفظة وصيغتها الصرفية على السياق. نذكر قوله (عليه السلام) الذي يتحدث فيه عن الخضوع والتذلُّل لله تبارك وتعالى، وأنّ الناس جميعاً مملوكون لله وهو في صدارتهم. يقول: ((فَلاَ

(١) ينظر: الديباج الوضي: ٤/ ٢٠٨٣.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر العين (قزم): ٥/ ٩٣ أولسان العرب (قزم): ١٢/ ٤٧٧.

تَكُفُّوا عَنْ مَقَال بِحَقّ، أَوْ مَشُورَة بِعَدْل، فَإنَّما أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لاَ رَبَّ غَيْرُهُ، يَمْلِكُ مِنَّا مَا لاَ نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا...))[١]. ولمّا أراد وصف نفسه وبقية الناس بالخضوع لله تبارك وتعالى، اتخذ من مفردة (عبيد) سبيلاً لذلك، فجاء بها بصيغة الجمع على (فَعِيل)؛ لتحقيق معنى الخضوع، ولبيان أنّ النّاس جميعاً (عَبيْد) لله. ويلحظ أنّ استعماله مفردة (عَبيْد) بوزن (فَعِيْل) يظهر نوعاً من التفرّد في الصياغة، لتكون فارقة في السياقات التي نظمها لهذا الغرض الدلالي – أعني إظهار تمام الخضوع والعبودية لله – فضلاً عن الطاعة له، ولاسيّما إذا عرفنا أنّ مجيء بناء (فَعِيْلٍ) للجمع يُعدّ عزيزاً عند اللغويين،الذين وقع بينهم خلاف في عدّ هذا البناء من أبنية الجمع أو لا؛ فمنهم من جعله جمعاً،ومنهم من ذهب إلى عدِّه اسماً للجمع أوشبَّهوه –في ذلك– بلفظة (حَجِيج)[٢].

أقول: إنّ الخلاف في عدِّ (فَعِيْل) جمعاً أو اسم جمع يمثل أيضاً ضرباً من التفرّد في صياغة اللفظة. وبحسب ذلك أيضاً تتحقق فكرة استعمال كلمة(عَبِيد) في مجال التملك الإلهي(للعباد)، على الرغم من أنّ بعض اللغويين جعلوه خاصاً بالملكية للناس، فذكروا أنّ مفردة (عَبد) و(عِباد) مختصتان بالله تبارك وتعالى، في حين أنَّ (عَبِيْد) مختصة بالمملوكين. ولهذا يُقال: هذا عَبْد من عِباد الله وهؤلاء عَبِيْد ممالك[٣].ومن نظائر هذا الاستعمال لفظة (عَبِيْد) مختصة بالله تعالى ما ورد في (خ / ١٧٨ ق / ٢٣٧).

أمّا ما جاء في استعمال لفظة (عَبِيْد) مختصة بالعبيد المملوكين للناس، فقوله

(١) نهج البلاغة: خ / ٢١٦: ٤٢١.

(٢) ينظر: تاج العروس (عبد): ٨/ ٣٢٧.

(٣) ينظر: العين (عبد): ٢/ ٤٨.

(عليه السلام) في سياق كلامه على (الفَرَاعِنَة) الذين اتخذوا النّاس عبيداً: ((**وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ، كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمحِيصِ وَالْبَلاَءِ؟ أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلاَئِقِ أَعْبَاءً، وَأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلاَءً...؟! اتَّخَذَتْهُمُ الْفَرَاعِنَةُ عَبِيداً فَسَامُوهُم سُوءَ الْعَذَابِ،...، فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ وَقَهْرِ الْغَلَبَةِ...**))(١). وتدلّ لفظة (عَبيداً) -هنا - على الاستعباد والامتهان، فضلاً عن الذلِّ والقَهر. وهذه من المعاني التي ذكرها الإمام في النص نفسه، وذلك كله بقرينة كلمة(الفَرَاعِنة) الواردة في النص، التي لا تَخفى إشارتها إلى التسلط والجَبروت والطغيان حتى إنّها صارت رمزاً لذلك. وحسبُنا بالقرآن الكريم الذي استعمل كلمة (فِرْعَون) للدلالة على الطواغيت الظالمين الذين يستعبدون الناس، ويسومهم سوء العذاب. يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾(٢). وقد ذكر المفسرون أنّ قوله (شيعاً) يعني أنّه جعل أهلها فرقاً يشايعونه على ما يريد ويطيعونه، فلا يملك أحدٌ منهم أن يلوي عُنقه(٣). وهذا الكلام يؤكد أنّهم كانوا عبيداً عنده.

وقد استعملت لفظة (عبيد) بدلالة المملوكين المهانين في مواضع أُخر من نهج البلاغة هي (خ/ ٤٤أ ح / ٩٧أ ١٦٠).

عِبْدَان

استعملت هذه اللفظة مرة واحدة في نهج البلاغة(٤)، وهي من ألفاظ الجموع

---

(١) نهج البلاغة: خ / ١٩٢: ٣٧٣.

(٢) القصص / ٤.

(٣) ينظر: الكشاف: ٣/ ٣٩٦.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٨٩.

لكلمة (عَبْد)[١]، الذي يجمع عدّة جموع، منها (فِعْلان) بكسر العين وضَمّها، فيقال: (عِبْدان) و (عُبْدان) كما يفهم من كلام سيبويه[٢]. والقياس في تكسير ما كان على وزن (فَعْل) في اللغة هو الجمع على (فُعْلان) بالضم، نحو (بَطْنٌ) التي تُجمع على (بُطْنان). ومنه كذلك (عَبْدٌ) التي تجمع على (عُبْدان) بالضمِّ أيضاً[٣]. وكان القياس في جمع (عَبْد) أنْ يجمع على (عِبَاد) لأنّ (فَعْلاً) سواء أكان اسماً أم وصفاً، فتكسيره يكون على (فِعَال)[٤].

وقد استعمل الإمام (عليه السلام) لفظة (عِبْدان) جمعاً بوزن (فِعلان)، وذلك في قوله الذي يردّ فيه على من طالبه بمعاقبة من أجلب على الخليفة (عثمان بن عفان)، فخاطبهم قائلاً: ((**يَا إِخْوَتَاهُ! إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ، وَلكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّة وَالْقَوْمُ الُمجْلبُونَ عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ، يَمْلِكُونَنَا وَلاَ نَمْلِكُهُمْ! وهَاهُمْ هؤُلاَءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانِكُمْ، وَالْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ، وَهُمْ خِلاَلَكُمْ يَسُومُونَكُمْ مَا شَاؤُوا...**))[٥]. لقد وظّف أمير المؤمنين هذه الكلمة بهذا البناء على الرغم من كونها من الصفات، والأصل في الصفات أن لا تكسّر لمشابهتها الأفعال، فيلحق بأواخرها ما يلحق اواخر الأفعال في الجمع من الواو والنون والألف والتاء. غير أنه (عليه السلام) جاء بمفردة (عِبْدَان) على البناء المتقدم؛ للدلالة على ثبوت الوصف في هؤلاء الذين ثاروا على الخليفة (عثمان)، فهذا البناء يبتعد بالمفردة التي صيغت على وزنه من الدلالة على الحدث ويقترب بها إلى الإسمية، فالحدث فيه يعني

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٣/ ١٦٩.

(٢) ينظر: كتاب سيبويه: ٣/ ٥٧١، ٦٢٨.

(٣) ينظر: المهذب في علم التصريف، د. هاشم طه شلاش وصاحبه: ١٩٥.

(٤) نفسه.

(٥) نهج البلاغة: خ / ١٦٨: ٣٠٥.

التجدد والاستمرار وعدم الثبات وهذه من خصائص الأفعال،في حين أن الإسمية تعني الثبوت في ملازمة الصفة لموصوفها،وهو ما أراد النص تحقيقه فيما أحسب، كأن الإمام أراد أن يقول لهم: أنّ أراذل القوم ومملوكيهم هم المهيمنون على الأمر، وهم الذين كانوا القطب الذي ألتفت إليه أعرابهم. ونلمس في مفردة (عُبْدان) الدلالة على الاستبداد بالرأي وعدم الطاعة، فإنّ هؤلاء ثاروا دون الأخذ برأي أسيادهم. ولهذا وصف الإمام هذا الأمر بأنّه (أمرُ الجاهلية) قائلاً:((**وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَة عَلَى شَيء، تُرِيدُونَهُ؟! إنَّ هذَا الأَمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّة...**))[1]. ولا يخفى ما في النص من ألفاظ تعزز دلالة لفظة (عُبْدانكم) على الإهانة والابتذال،و سيطرة هذه الطبقة في توليّها أمر الخليفة (عثمان) وقتله، مستعينين (بالأعْراب) الذين هم أشدّ كفراً ونفاقاً كما يذكر القرآن الكريم الذي يقول في وصفهم: ﴿**اشْتَرَوْا بِآيَاتِ الله ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[2]. ووصفهم أيضاً بالمنافقين في قوله: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ**﴾[3].

ولهذه المعاني التي دلّت عليها مفردتا (عِبْدَانِكم) و(أَعْرَابُكم)، فقد وصف الإمام هذه الحادث بأنّه أمر جاهلية، في إشارة منه أنّ هذا الأمر هو نزاع قبلي أكثر من كونه خلاف في سبيل الإسلام؛بسبب من سيادة النّفس (الأعرابي) الاستعبادي الجاهلي، من عدم الرحمة والعطف وشيوع القتل وإباحة الدماء على أيدي هذه الفئات في الجاهلية. ومن خلال الاستعانة بالتاريخ الذي وصف لنا حادثة مقتل الخليفة (عثمان بن عفان)، يتبيّن أنّ أكثر أهل المدينة كانوا من المجلبين عليه،

---

(١) نفسه.

(٢) التوبة:٩/ .

(٣) التوبة / ١٠١.

ومعهم من أهل البصرة والكوفة خلف عظيم جاؤا من بلدانهم لذلك[١]، وانظمّ إليهم أجلاف البادية وعبْدانٌ المدينة وأعرابها الخلطاء من الذين يقطنون حولها، وكانوا في غاية من شِدّة الشوكة عند اجتماعهم، وثاروا ثورة واحدة[٢]. وبهذا صح وصفه (عليه السلام) لهؤلاء بأنهم (عِبدان).

العِتق

العتْق خلاف الرِّق، وهو الحريّة، وكذلك العَتاقة والعَتاقة بالفتح[٣]. ورَجُل عَتِيق وامرأةٌ عتيقة، إذا عُتيقا من الرِّقّ فصارا حُرَّين[٤]. وامرأة عتيقة، أي جميلة كريمة أوجارية عاتِقٌ، شابة في أوّل إدراكها[٥]. وكل ناقة نُعتت في الشعر بأنّها (عتيقة) فإنّها نجيبة[٦]. وعَتَق الفرس إذا سَبَق الخيل[٧].

واستعملت لفظتا (العِتْق) و(العِتَاق) مرتين في نهج البلاغة. في حين جاءت ألفاظ: (يُعْتِق)، و(أعْتَقها)، و(أعتَقكُم)، و(عَتِيْقَة) مرة واحدة، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على تحرير العبيد وإطلاقهم من الرِّق.

وهو أكثر الدلالات شيوعاً بالنسبة إلى بقية الدلالات الأخرى. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق وصيته التي فصل فيها أحكام (إمائه): ((**وَمَنْ كَانَ مِنْ**

(١) ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير: ٧/ ١٧٣ – ١٧٤ وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦٧٤.

(٢) ينظر: في ذلك الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣/ ٥٨ وما بعدها، والبداية والنهاية: ٧/ ١٧٣ – ١٧٤ وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦٧٤.

(٣) ينظر: لسان العرب (عتق): ١/ ٢٣٤.

(٤) ينظر: العين (عتق): ١/ ١٤٦ وتهذيب اللغة (عتق): ١/ ١٤٢.

(٥) ينظر: العين (عتق): ١/ ١٤٦ والمحكم (عتق): ١/ ١٧٨.

(٦) ينظر: العين (عتق): ١/ ١٤٦.

(٧) ينظر: تهذيب اللغة (عتق): ١/ ١٤٢.

إِمَائِي - اللاَّتِي أَطُوفُ[١] **عَلَيْهِنَّ - لَهَا وَلَدٌ، أَوْهِيَ حَامِلٌ، فَتُمْسَكُ عَلَىَ وَلَدِهَا وَهِيَ مِنْ حَظِّهِ، فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا وَهِيَ حَيَّةٌ فَهِيَ عَتِيقَةٌ، قَدْ أَفْرَجَ عَنْهَا الرِّقُّ، وَحَرَّرَهَا الْعِتْقُ))**[٢]. والملاحظ في هذا النص استعماله مفردة (عَتيْقة) و(العِتْق) في سياق يبينّ فيه حكماً شرعياً يخص مُلكه من (إمائه)، فخصّ كلمة (عَتِيْقة) بالأَمَة التي لها ولد، أو هي حامل. فإن مات ولدها وهي حيّة، فهي (عَتيقةٌ) أي: مُحرّرة لا سبيل لأحد عليها[٣]. وذلك بعد بعد موت سيّدها. وعنى (عليه السلام) بلفظة (عَتِيقة) الدلالة على كمال تحررها وعدم تملّكها من أحد من بعده. كما توحي هذه المفردة بالدلالة على الكرامة واكتساب الحرية والتخلّص من الخضوع إلى الغير. ويستفاد هذا المعنى من وصف المرأة الكريمة بأنّها (عَتيقة)[٤]، يُراد بذلك نجابتها وكرامتها في الناس، كأنّه قصد بذلك رجوعها إلى حال الحرية وعدم الاستعباد، ولهذا عزّز الإمام من دلالة تلك المفردة بذكر قوله: ((**قَدْ أَفْرَجَ عَنْهَا الرِّقُّ، وَحَرَّرَهَا الْعِتْق**))

---

(١) أصل الطواف في اللغة هو الاستدارة والمجيء من النواحي؛ ينظر: لسان العرب (طوف): ٩/ ٢٢٥. وقد كَنّى (عليه السلام) بالطوّاف عن وطيءِ نسائه وغشيانهنّ وهو من غريب الكناية وبديعها. ينظر: الديباج الوضي: 2208/ 5، 2209.

(٢) نهج البلاغة: ك / ٢٤: ٤٨١.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ٢٢٧. وههنا حكم شرعي يشير إليه الإمام (عليه السلام) يتعلق (بالأَمَة) المملوكة وحالها بعد وفاة سيّدها وفي حياته وبتفصيل يتعلق بحملها وولادتها، وقد ذكر بعض الشُّراح أنّ الرأي الذي عليه أكابر أهل البيت (عليهم السلام) وجماهير العلماء أنّ من استولد جارية فولدت ولداً تاماً أو يظهر فيه الخَلْقة فإنّها تُعتق بموته، ولا يجوز بيعها قبل موته، وهذا هو رأي أمير المؤمنين، ثم حكي عنه بعد ذلك جواز بيعها في حال حياة السيد. وهو قول قديم للشافعي، وظاهر كلام الإمام في النص المتقدم في النهج يخالف هذه الأقاويل، فقضاؤه بكون أم الولد الحي محسوبة في حظ ولدها في الإرث، أمّا مَن مات ولدها من إمائه بعد موته، وهي حية، فهي حرة عتيقة لا سبيل لاحد عليها. ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 228/ 4، والديباج الوضي: 2209/ 5.

(٤) ينظر: العين (عتق): ١/ ١٤٢.

مؤكدا - فيما يبدو- معنى كلمة (عَتيِقة). ولعلّه استعمل هذه المفردة بصيغة (فَعِيْل)؛ لأجل إكتساب هذا النوع من الإماء صفة التحرر والإطلاق من ملك اليمين،فتصير الأمَة عتيقة.وصار الوصف بهذه الصيغة كالسجية فيها[١]. فكأنّ بناء (فَعِيلة) يتحول إلى معنى(مَفْعُول).والمراد:(مُعْتَقة).

وثَمّة نكتة لغوية في قوله: ((قَدْ أَفْرَجَ عَنْهَا الرِّقُّ، وَحَرَّرَهَا الْعِتْقُ))، فقد جعل الإمام (الرَّقّ والعتق)(فاعلَين) في النص، كأنهّما هما اللذان أُفرجا عن (الأمَة) وحرّراها بالعتق، لأنّ الرِّق هو استملاك العبيد، والعِتق هو التحرر وزوال العبودية، وهما بمنزلة القَيد والرهن في العبيد عامة.

أقول: ونظير هذه الدلالة في كلمة (عَتيقة)ما ورد في (خ/ ١٥).

ثانياً: الدلالة على التحرر من ذلّ الدنيا وطاعة الشيطان.

وهو بمنزلة الدلالة المتقدمة من حيث شيوعه، ومنه قوله(عليه السلام) في سياق يُبيّن فيه حُسن معاملته لرعيته: ((**وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارَكُمْ، وَأَحَطْتُ بِجُهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ، وَأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رَبَقِ الذُّلِّ، وَحَلَقِ الضَّيْمِ، شُكْراً مِنِّي لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ**...))[٢]. أراد بقوله (أعتَقْتُكم) أي حرّرتكم من الذلّ وحَلَق الضيم. وذلك كناية عن حمايتهم من أعدائهم الذين أحاطوا بهم وطوّقوهم بحلقة من الذُّل. وقد أشار إلى هذا المعنى الشارح البحراني رحمه الله[٣]. وأمّا (عِتْقُهم)، فكان من حبائل الذُل وعُقده. وهو ما عَبّر عنه الإمام بلفظة(رِبَق)، وهو- بالكسر- الحبل والحَلْقة

(١) ينظر: معاني الأبنية: ١١٧.

(٢) نهج البلاغة: خ / ١٥٩: ٢٧٩.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦٤٨.

التي تُشدّ بها الغَنَم الصغار، لمنعها من رضاعة أمّها[1]. ومن الدلالة المعجمية لهذه المفردة، نفهم ما أفادته كلمة (أعْتَقْتكم) التي أشار بها إلى فَكّ قيودهم وتخليصهم من عُقد الارتهان والاستعباد للطواغيت الذين استعبدوهم. ومن ذلك أيضاً قوله(عليه السلام) في سياق وصف الدنيا وأنواع الناس فيها: ((**الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ إِلى دَارِ مَقَرٍّ، وَالنَّاسُ فِيهَا رَجُلاَنِ: رَجُلٌ بَاعَ نَفْسَهُ فَأَوْبَقَهَا**[2]**، وَرَجُلٌ ابْتَاعَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا**))[3]. والمراد: أنّ مَن باع نفسه للدنيا وانغمس في لذاتها، فقد أهلك نفسه. وأمّا مَن اشترى نفسه ورغب عن الدنيا، فقد أعتقها وحرّرها من ذل الدنيا وهوانها وذلّ ما فيها. وعبّر عن التساهل والانقياد إلى الأهواء بالبيع؛ لأنّ هذا النوع من الناس قد جعل هذه الملذات ثمناً لنفسه، في حين أنّ كفَّ النفس عن تلك المسائل يكون بمنزلة شرائها وتداركها عن الوقوع في الهلاك[4]. فاستعار لفظ (البَيع) لبائع النفس، ولفظ (الابتياع) لشرائها وإنقاذها من الهلكة[5]، فصار اللفظان -هنا- بمنزلة المتضادين في الدلالة، وأضحى الأخير منهما سبيلاً إلى العِتق والتّحرّر. وقد استعملت لفظة(عِتْق) بالدلالة المتقدمة في(خ / ٢٣٠).

ثالثاً: الدلالة على كرام الخيل ونجائبها.

وجاءت هذه الدلالة مرة واحدة في سياق كلامه الذي يصف فيه الأتراك، وذلك في قوله: ((**كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْماً... يَلْبَسُونَ السَّرَقَ وَالدِّيبَاجَ، وَيَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ**

---

(١) ينظر: لسان العرب (ربق): ١٠/ ١١٢.

(٢) الوَبَق: الهلاك. وأوبَقَ الله أهلكه. والموبقات الذنوب المهلكات. ينظر: لسان العرب (وبق): ١٠/ ٣٧٠.

(٣) نهج البلاغة: قصا / ١٣٣: ٦٢٧.

(٤) ينظر: الديباج الوضي: ٦/ ٢٨٣٠.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٣٤.

الْعِتَاقَ...))[١]. فوصف (عليه السلام) خيل هؤلاء بـ(العِتاق) جمع (عَتِيق)، وهي كرام الخيل والنجائب منها[٢].والعرب تقول: فرس عَتِيْق: أي رائع كريم بيِّن العِتْق[٣].وتقول أيضا: هو على أكْرم تَاجِرة. يريدون: على أكْرَم خَيل عِتَاق[٤]. وقد أشار(عليه السلام) بهذه الكلمة إلى حبس هؤلاء القوم (الخيل العِتاق) ويمنعونها عن غيرهم؛ لأجل ركوبها والقتال عليها، ويستفاد هذا المعنى من القرينة اللفظية،وهي كلمة(يعتَقِبون) والعَقْب الشدُّ، وعقبه يَعْقِبه خاف أن يَزيغَ منه فَشَدّه[٥]. ومن هذا يتضح المعنى الذي قصد إليه الإمام من أنّ هؤلاء يشُدون تلك الخيل الكرائم القوية الكثيرة السِّبق ويحبسونها عليهم ويمنعون غيرهم منها،إشارة إلى انفرادهم بها واقتصارها عليها.

خادِمُه

الخِدْمَة في اللغة الامْتِهَان. وخَدَمَه. أي: مَهَنَه[٦]. وأصل هذه اللفظة – فيما يبدو – مأخوذٌ من (الخَدَمَة)، وهو السَّير الغَليظ المُحكم الذي يكون كالحلقة يُشَدّ في رسغ البعير تربَط إليه سرائح نعل البَعير. ومنه قيل للخَلْخَال خَدَمة[٧]. وتسمّى السَّاق خَدَمة أيضاً حَملاً لها على الخَلْخَال؛ لكونها مَوضِعه ومكانه الذي يكون فيه[٨]. والخادِم الجاريَة[٩]. وهذا اللفظ يقع على المذكر والمؤنث معا، فيقال:

(١) نهج البلاغة: خ / ١٢٨: ٢٣٤.

(٢) ينظر: تاج العروس (عتق): ٢٦/ ١٢٢.

(٣) ينظر: لسان العرب (عتق): ١٠/ ٢٣٥.

(٤) ينظر: القاموس المحيط (عتق): ١/ ٤٥٤.

(٥) ينظر: لسان العرب (عقب): ١/ ٦٢٣.

(٦) ينظر: تاج العروس (خدم): ٣٢/ ٥٥.

(٧) ينظر: العين (خدم): ٤/ ٢٣٥.

(٨) ينظر: المحكم (خدم): ٥/ ١٤٧.

(٩) ينظر: لسان العرب (خدم): ١٢/ ١٦٦.

الخادِم هو الذي يَخدم غُلاماً كان أو جارية. وربّما قيل (خادِمَة)، وهي عربية فصيحة[١]. وتجمع هذه الكلمة على (فُعَّال)، و(فَعَل). فيقال: خُدَّام وخَدَم[٢]. وقيل: إنّ (الخَدَم) اسم للجمع[٣].

وقد جاء الجذر اللغوي (خَدَم) في نهج البلاغة ست مرات[٤]، فقد استعمل الإمام(عليه السلام) مفردات: (خَدَمَتهم)، و(خادِمُهُ)، و(خَدَماً)، و(خَدَمِك) و (خِدْمَتك) و(يَخْتَدمها)،للدلالة على ما يأتي.

أوّلاً: الدلالة على الخَدَم.

وهو الموالي الذين يَخْدمون في بيوت أسيادهم وهذا لمعنى أكثر استعمالاً في النهج. ومنه قول الإمام في سياق وصيته إلى ولده الحَسن(عليه السلام) يوصيه فيها بتوزيع الخَدَم على أعمالهم،إذ يقول: ((**وَاجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَان مِنْ خَدَمِكَ عَمَلاً تَأْخُذُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَلاَّ يَتَوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ...**))[٥]. وهذه الوصية بيّنة في ضرورة تقسيم الأعمال وتوزيعها على الخدم، حتّى لا يتواكل بعضهم على البعض الآخر في أداء هذه الأعمال، بسبب من كثرة الأعمال،أو تعدد الخدم في البيت، ولاسيما إذا كان (المَخْدُوم) من ذوي المنزلة والرفعة. وهذه إشارة إلى ضرورة تنظيم أعمال المهن بعامّة، وأعمال الخدم خاصة، فضلاً عن ما في النص من إشارة إلى عدم الإكثار من الموالي في البيت الواحد والاقتصار على الضروري منهم في أداء الأعمال التي تصل حدَّ المشقّة والعُسر أحياناً. ولا يخفى أنّ قَولَة الإمام المتقدمة لا تخصّ الإمام

(١) ينظر: لسان العرب (خدم): ١٢/ ١٦٦.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٣٣.

(٥) نهج البلاغة: ك/ ٣١: ٥١٢.

الحسن فحسب، بل إنها تشمل الأمة جميعا، ولعلّ تركيز الإمام على هذه القضية كان بسبب من شيوع ظاهرة الخِدْمة في البيوت، فضلاً عن زيادة عدد الموالي الذين يمتهنون هذا النوع من الأعمال. فقصد (عليه السلام) تحقيق (الحِكْمة المنزلية)[1] في تقسيم الأعمال؛ ليكون مبدأ المؤاخذة والمحاسبة في ترك العمل و المكلف به الخادم أو العامل والتهاون فيهما سارياً معمولاً به، عملاً بمبدأ الثواب والعقاب في المجالات العملية والبيتية وغير ذلك من جوانب الحياة. وقد استعمل الإمام في هذا المقطع لفظتا (خَدَمِك وخِدْمَتِك)، محققاً بذلك ضرباً من التناسق الصوتي واتساقِ النغم مع الفارق الدلالي بين اللفظتين، فالأولى تدل على الخدم القائمين بالعمل، في حين أن الثانية تدل على المهنة أو الطاعة التي يؤديها هؤلاء الخَدَم. ومثل هذه الدلالة في استعمال كلمة (خَدَم) ما جاء في (خ / ١٠٩).

ثانياً: الدلالة على اتخاذ الجوارح التي خلقها الله تعالى للإنسان خدماً له.

وقد ورد ذلك على قسمين:

أ- استعمال لفظة (يخْتَدِمُها)، للدلالة على عامّة الجوارح المخلوقة في البَدَن التي يسعى بها الإنسان ويجعلها بمنزلة الخَدَم عنده. يقول في سياق كلامه على كيفية خَلْق الإنسان: ((**ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الأَرْضِ وَسَهْلِهَا، وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا، تُرْبَةً سَنَّهَا بالمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ، وَلاَطَهَا بِالبَلَّةِ[2] حَتَّى لَزَبَتْ[3]، فَجَبَلَ مِنْها صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاء وَوُصُول، وَأَعْضَاء وَفُصُول: أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ، لِوَقْت مَعْدُود، وَأجَل مَعْلُوم، ثُمَّ نَفَخَ فِيها مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ إِنْساناً**

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٢٩٢.

(٢) البَلُّ في اللغة النَّدى والنّداوة. ينظر: لسان العرب (بلل): ١١/ ٦٤.

(٣) لَزُب الشيء يَلزُب لزوباً. إذا دخل بعضه في بعض، ولزُب الطين يَلزُب لصق وصلب. وقد نقلت المعجمات قول الإمام المتقدم الذي استعملت فيه لفظة (لَزُبَت). ينظر: لسان العرب (لزب): ١/ ٧٣٨.

ذَا أَذْهَـان يُجيلُهَـا، وَفِكَـر يَتَـصَرَّفُ بِهَـا، وَجَـوَارِحَ يَخْتَدِمُهَـا...))[١]. أقـول: و صـاغ الإمـام الفعـل (يَخْتَـدم) بـوزن (افتعَـل) وذلـك لتحقيـق معنـى (الإتخـاذ)، وهـو مـن أشـهر المعـاني التـي تفيدهـا صيغـة (أفْتعَـل) المزيـدة بحرفـين[٢]. ويُعـدّ استعماله الفعـل (يَخْتَـدم) اسـتعمالاً متفـرداً أحيـا بـه (عليه السلام) فعـلاً قـلَّ اسـتعماله في العربيـة الفصحـى، ولاسـيّما المعـاصرة حتـى تمنّـى الدكتـور إبراهيـم السـامرائي العـودة إلى اسـتعماله قائـلاً: ((وكـم بِنـا حاجـة إلى هـذا الفعـل في العربيـة المعـاصرة))[٣]. ويفهـم مـن هـذا الـكلام تفـرّد الفعـل (يَخْتَـدِم) ونجابتـه مـن حيـث الاشـتقاق والدلالـة عـلى الاتخـاذ، فقـد قصـد بـه الإمـام الدلالـة عـلى اتخـاذ النـاس تلـك الجـوارح التـي خلقهـا الله تبـارك وتعـالى لهـم خدمـاً لهـم يسـتعملونها في تحقيـق غاياتهـم ومآربهـم. مـع الإشـارة إلى أنهـا تُطيـع الإنسـان وتنقـاد إليـه مـن غـير مخالفـة[٤]. وبهـذا يتحقـق معنـى المطاوعـة أيضـاً في صيغـة (افتعَـل) التـي سـيقت عـلى وزنهـا مفـردة (يَخْتَدم)،فاجتمعـت في هـذه الصيغـة دلالتـا (الاتخـاذ، والمطاوعـة) معـاً، وهمـا مـن المعـاني التـي ذكرهـا الصرفيـون لهـذا النـوع مـن الأبنيـة[٥]، عـلى أنهـّم لم يذكـروا اجتماعهـما معـاً في صيغـة (افْتعَـل)؛ فلـم تـدل هـذه الصيغـة عـلى الاتخـاذ والمطاوعـة في وقـت واحـد. حتّـى أنّ فـرّق اللغويـون بـين المعنيـين بوسـاطة ظاهـرة (التعـدي واللـزوم)، فذكـر ابـن السِّـراج (ت٣١٦ هـ) أنّ (افْتعَـل) إذا جـاء في معنـى(المطاوعـة) فـلا يكـون مُتعديـاً، والأجـود في مجيئـه للاتخـاذ

(١) نهج البلاغة: خ / ١/ ٢١٠: ٢١.

(٢) ينظر: الأصول في النحو: ٣/ ١٢٦ أوشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٢/ ٦٠١.

(٣) ينظر: مع نهج البلاغة: ١٤٨.

(٤) ينظر: الديباج الوضي: ١/ ١٤٧.

(٥) ينظر: الأصول في النحو: ٣/ ١٢٦.

أن يقع متعدياً على غير معنى (الإنْفِعَال)، نحو (احتَبَسْتُه) أي: اتَخَذْتُه حَبِيسَاً[١].

أقول: إنّ (الاتّخاذ) في (افْتَعَل) يتطلب مطاوعة المُتَّخذ ومسايرة المتَّخِذ في فعله، ولاسيّما إذا كان الاتخاذ معنوياً، من قبيل عبارة الإمام:((... **وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا**)) التي تدل على تصوير الجوارح بأنّها خدَم للإنسان. ولهذا فَسَّر الشارح البيْهقي الأنصاري هذا الاستعمال(العَلَوي) بقوله: ((**يأمُرَهَا بِأنْ تَخْدُمَهُ**))[٢]. يريد:أنّه يأمر الجوارح بِخِدمته.

ب – أمّا الاستعمال الثاني في مجال خِدمة الجوارح؛ فقد ورد على لسان أمير المؤمنين في شان النبي عيسى(عليه السلام) الذي اتّخذ يديه خدماً،إذ يقول: ((**وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ(عليه السلام)، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ، وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ، وَسِرَاجُهُ بَاللَّيْلِ الْقَمَرَ، وَظِلاَلُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَلاَ وَلَدٌ يَحْزُنُهُ، وَلاَ مَالٌ يَلْفِتُهُ، وَلاَ طَمَعٌ يُذِلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجْلاَهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ!**))[٣].

إنّ ظاهرة توظيف الجوارح، ولاسيّما (الرجلين واليدين) عند النبي عيسى (عليه السلام) تبدو ظاهرة مميزة؛ فإنها تظهر دأبه على الاستعانة بنفسه لقضاء حوائجه ولهذا ميّزه الإمام (عليه السلام) بهذه الصفة عند ذكره خصائص هذا النبي باتخاذ رجليه دابّة له، ويديه خادماً، إشارة إلى أنّ الرجل عنده بمنزلة الدّابة التي يتنقل عليها، فأنّ اليد هي الخادم المطيع له في صنع ما يريد، وذلك كلّه – كما يذكر الشارح البحراني – على سبيل استعارة لفظة (الدّابة للرجلين والخادم لليدين) ووجه ذلك

(١) نفسه.

(٢) معارج نهج البلاغة: ١/ ١٩٧.

(٣) نهج البلاغة: خ/ ١٦٠: ٢٨٣.

قيام انتفاعه برجليه ويديه كقيامه بالانتفاع بالدّابة والخادم[١].

أقول: وثمّة مفارقة دلالية في قوله (عليه السلام) المتقدم فإنّ لفظتي (دابتة و خادمه) ألفاظ مفردة، في حين أنّ (رجلاه و يداه) ألفاظٌ مُثنّاة ؟ وجاز - هنا - الإخبار بالمثنى عن المفرد، لبيان كثرة اعتماده على هاتين الجارحتين فيما أحسب، ولقيامهما مقام (الدّابة أو الخادم) مبالغة في توطينها له وتصرّفه بهما.

الرّق

الرِّقة ضد الغلظ[٢]. وأرَقَّ الشيّء ورَققَه جعله رقيقاً[٣]. وعيِشٌ رَقيق:أي ناعم[٤]. والرَّقَق الضّعْف. والرَّقيق العبد المرقوق والأمَةُ الرَقِيق والرقِيقَة[٥]. واسترقَّ المملوك فَرَقَّ، إذا أُدْخل في الرِّقِّ[٦]. ويبدو أنّ هذا المعنى مأخوذ من رِقّة الجلد، وهو ضَعْفه بعد الغلظة والجفاء[٧]. وتجمع كلمة (رِقّ) على (أرقّاء)، و على (رَقِيْق) وهو اسم للجمع[٨].

وقد ورد الجذر اللغوي (رقّ) في نهج البلاغة إحدى عشرة مرة[٩]. فقد استعملت لفظة (الرِّقة) ثلاث مرات، ولفظتا (رَقَّ) و(الرِّقُ) مرتين لكل منهما.

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦٥٣.

(٢) ينظر: المحكم (رق): ٦/ ١٢٦.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه: ١٢٨.

(٦) نفسه.

(٧) نفسه.

(٨) ينظر: المحكم (رقق): ٦/ ١٢٨.

(٩) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٩٣.

في حين جاءت ألفاظ (رِقّاً، ويَرِقَّا، والرَّقيق، وأَرَقَّ) مرة واحدة لكل منها،وذلك للدلالة على ما يأتي:

أوّلاً: الدلالة على الرِّقة والعطف والحنان.

وقد وردت هذه الدلالة في سياق كلام أمير المؤمنين(عليه السلام) عن تنزيه الله جل جلاله، وقد أورد الإمام هذا المعنى مرتين كلتاهما في حق البارئ عز وجل واصفاً إيّاه بما استحقه من جليل الوصف ومنزهاً له عما يشتبه على الناس. إذ يقول: ((...**لاَ تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ، وَلكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ، قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرُ مُلاَمِس، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرُ مُبَايِن، مُتَكَلِّمٌ بِلاَ رَوِيَّة، مُرِيدٌ بِلاَ هِمَّة، صَانِعٌ لاَ بِجَارِحَة، لَطِيفٌ لاَ يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ، كَبِيرٌ لاَ يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ، بَصِيرٌ لاَ يُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ، رَحِيمٌ لاَ يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ...**))[1]. فالله تبارك وتعالى (رَحِيمٌ)، ولم تأتِ رحمته هذه من الرِّقةِ أو العاطفة والحنان التي ينماز بها البشر[2]، وإنّما هو رَحيم فوق الرقة التي لا يجاريه أحد فيها.وإنما جعله (عليه السلام) غير موصوف بالرقة؛لأن في الرّقة ضرب من العبودية، فالرقيق العبد، والرِّقة الضعف أيضا، وهذه الأوصاف لاتليق بالخالق تبارك وتعالى؛ فهو سيد العالمين ومالك العبيد والعباد جميعا. وشبيهٌ بهذه الدلالة ما ورد في (خ/ ١٨٦).

ثانياً: الدلالة على رِقّة الجلد.

وقد ورد هذا المعنى في دلالتين ذكرهما أمير المؤمنين في نهج البلاغة هما:

أ- رِقَّة جِلد الإنسان، وذلك في قوله(عليه السلام) متحدثاً رِقّة هذا الضرب من الجلود، وقلة صبره على النار: ((**وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى**

(١) نهج البلاغة: خ / ١٧٩: ٣٢٤.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٧٠٦.

النَّارِ، فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ...))[١]. وقد وصف الإمام جلد الإنسان (بالرَّقيق)، متخذاً من صيغة (فَعِيْل) بناء لتأدية هذا المعنى، بحيث أكسب هذا الوصف دلالة الثُّبوت والاستمرار، فضلاً عن معنى اللزوم[٢]. وهذا يعني أنّ جلد الإنسان تلازمه الرِّقة مدة الحياة إلى المات، فإذا انتقل الإنسان إلى عالم الآخرة وحل يوم الحساب، فليس لجلده الناعم التّرف صبر على العذاب الذي أعده الله تبارك وتعالى للمذنبين.

ب - رَقّة جناح طائر الخفّاش، وقد وصفَه الإمام (عليه السلام) بقوله: ((... **وَجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيَرَانِ،... غَيْرَ ذَوَاتِ رِيش وَلاَ قَصَب، إِلاَّ أَنَّكَ تَرَى مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلاَماً، لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا، وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلاَ**))[٣]. وهذا موضعٌ عجيب من الوصف لهذا الطير المعدود من طيور الليل، والذي يتّخذ النهار سكناً له والليل معاشاً، مستعيناً بأجنحة لمّا تصل إلى حدِّ الرِّقة الكاملة، فتكون عُرضة للشَقِّ والاختراق، ولم تغلظ فتُثقل الخفافيش وتمنعها من الطيران والاهتداء إلى سُبل عيشها وقرارها.

وقد كانت سَبيل الإمام لتحقيق دلالة التوسط بين الرِّقة والغلظة هذه استعماله الأداة (لمّا) الظرفية الجازمة التي تركّبت مع الفعل (يَرِق) في قوله، للدلالة على عدم تحقق رقّة جلد هذين الجناحين، اللذين جعلهما حالة وسطاً بين هذا وذاك. وقد أشار النحويون إلى أنّ (لمّا) إذا دخلت على الفعل المضارع دلّت على أنّ المنفي بها متوقع الثبوت[٤]. في حين أنّ الإمام (عليه السلام) جعل المنفي بهذه الأداة بمنزلة المتحقق الثبوت والوقوع، وهذا بيّن من السياق الذي انتظمت

(١) نهج البلاغة: خ / ١٨٣: ٣٣٥-٣٣٦.

(٢) ينظر: شرح الكافية في النحو، للرضي الاسترا باذي: ٢/ ٢٢٧، ومعاني الأبنية: ٧٤.

(٣) نهج البلاغة: خ / ١٥٥: ٢٧٢.

(٤) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٣٦٨.

فيه (لمّا). وهذا ضرب من تطور دلالة الحروف واتساعها التفتوا إليه ولعلّهم لم يطّلعوا على كلام الإمام(عليه السلام) وغيره من الأحاديث النبوية، لإبعادهم إيّاها من دائرة الاحتجاج اللغوي كما معروف.

ج - رِقَّة الشَّجر وأغصَانه. وقد ذكرها (عليه السلام) في سياق موازنته بين (الشجرة البرّية) والأعشاب الغضّة الناعمة، ضارباً إيّاها مثلاً على صلابة عوده وقوة شكيمته وعزمه. إذ يقول: ((**أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلاَ أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ... وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: إِذَا كَانَ هذَا قُوتُ ابْنِ أَبِي طَالِب، فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الْأَقْرَانِ وَمُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ. أَلاَ وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً، وَالرَّوَائِعَ الْخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُوداً...**))(١). ويتخذ الإمام من هذه الطريقة في النظم سبيلاً إلى الموازنة بينه وبين مناويئه، فالتمثيل بالشجرة البَرّية، وقياس نفسه عليها في القوة والصلابة وقلة الغذاء وجشوبة المطعم، كما تكون الشجرة البَرّية التي تنماز بصلابة أجزائها وغلظة عودها. وأمّا تمثيل خصومه وأقرانه بالروائع والنّعم ولين المطعم، فهو مدعاة إلى رِقّة جُلودهم ولينها، وقلّة الصّبر على المنازلة، والميل إلى الدِّعة والرفاهية. وهذا كلّه يدل على ضعفهم وعدم قدرتهم الصمود بوجه الإمام. ومثل هذا المعنى - أعني الدلالة على الضعف وعدم القوة - ورد في (خ / ٢٠٢، و ك / ٥٣).

ثالثاً: الدلالة على العَبِيْد والخدم.

وتنقسم هذه الدلالة أيضاً على قسمين:

أ- الأوّل منهما يتعلق بفكاك (الرِّق) وعِتْقِهم من تسلّط عليهم واستخدمهم بامتهان. وقد ورد هذا المعنى في سياق كلامه (عليه السلام) عن الملاحم، ووصف أهل

(١) نهج البلاغة: ك / ٤٥: ٥٣٢.

الظلال والفتن،ومن ثَمّ يذكر أثر أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في تخليص الناس وإنقاذهم من هذه الفتن. يقول أمير المؤمنين: ((**يَا قَوْمِ، هذَا إِبَّانُ وُرُودِ كُلِّ مَوْعُود، وَدُنُوٍّ مِنْ طَلْعَةِ مَا لاَ تَعْرِفُونَ، أَلاَ وَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاج مُنِير، وَيَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ، لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقاً، وَيُعْتِقَ رِقّاً...**))[١]. وثمّة إشارة في النص إلى مكانة الأئمة(عليهم السلام) في إدراكهم الفتن وتأثيرهم في جلائها ورفع غياهبها. ولعل قوله (مَن أدركها مِنّا) نص صريح على أنّ المراد بـ(مِنّا) هم الأئمة (عليهم السلام). ويبدو أنّ السِّياق – هنا – ما عاد يطلب من لفظة (رِقّا) أن تكون دالّة على (العَبِيْد) أو (الخَدَم)، فلّما كان الإمام يتحدث في النص عن الملاحم والفتن، وهي ظروف وأوضاع تطلب تغيير العقائد ونشر الشُبهات والعقائد الفاسدة بين الناس، فيتلقفها البُسطاء من الناس ويتخذونها منهجاً وفكراً لهم،لهذا صارت المفردة المتقدمة دالة على من أصبح عبداً ورِقاً لتلك الشُّبهات والفتن، فكأنّ هذه الأفكار استرَقَتهُم واعتقلتهم فصاروا عبيداً لها ولقادة الفتن. ولّما كان جلاء الفتن ورفعها عن المجتمع من أهم وظائف الأئمة (عليهم السلام)؛ لهذا استعمل(عليه السلام) تعبير:((**يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاج مُنِير، وَيَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ**))، ليؤكد أنّهم نور يُجلى فيه العمى عن البصر و البصيرة ليعرف الناس الحق من الباطل، لكون الأئمة الذين يُوضحون للناس قيمة الأفكار الحقَّة والعقائد الصحيحة؛ فيحُلّون عُقدَ الرِّقِ من رقاب الناس؛ ويُعْتقونهم من رِقِّ الأفكار الفاسدة واستعباد الظالمين من زعماء الفتنة.واستعماله للفعلين(يحُلَّ) و(يُعْتِق) يمثل قرينة على إطلاق الناس من قيود تلك الشبهات؛ فاستعمل (يَحُلَّ) لفكِّ (الرِّبق) والرِّقُ في اللغة هو ضربٌ من الحِبال التي تُشَدُّ فيها حَلْقَةٌ لربط صغار الغنم لمنعها من رِضاع أُمَهاتِها[٢].

---

(١) نفسه: خ / ١٥٠: ٢٦١.

(٢) ينظر: لسان العرب (ريق): ١٠/ ١١٢.

وبتوظيف هذا المعنى ومحاولة بيان دلالة (يَحلُّ) لهذا الضّرب من الحبال التي تدلُّ في هذا السياق على الشُبهات والأفكار الفاسدة؛ فكأنّها تُقيّد ضعاف النفوس بها؛ وتمنعهم من الارتباط بمن يَفُكّ عنهم مثل هذه الأفكار التي طَوّقهم بها الضالون. وهنا يتضح معنى حَلِّ مثل هذا النوع من (الرِّق). وأمّا استعماله لكلمة (يُعتِق)، فظاهر دلالتها هو (تحرير الرَّقيق) من الاستعباد والامتهان عند أسيادهم الذين يسومونهم الخسْف. و(العِتْق) -في اللغة- هو الحريّة وفكّ قيد العبيد وتحريرهم من الخدمة[1]. وتوظيف الإمام لهذه المفردة جاء مناسباً لكلمة (رِقّاً) التي بعدها. وقد تحصّل من هذا التركيب دلالة أبعد من معنى (عِتْق العبيد)، فالظاهر أنّ المراد بذلك هو فكّ رقاب الناس من سيطرة تلك الشبُهات واستيلائها عليهم، وجلاء هذه الأمور بوجود الأئمة(عليهم السلام) يمثل تحريراً ممن استرقّهم الفكر المنحرف والعقائد الفاسدة. وقد اتفقّ على هذا المعنى جُل شُرّاح نهج البلاغة[2].وقد جاءت لفظة(الرِّق)أيضاً بالدلالة على المعنى المتقدم في(خ/ ١٥٠) أيضاً.

ب - أمّا المعنى الثاني الذي وردت فيه لفظة (رِقّ)، فهو سياق وصيّة له في حكم إمائه وتفصيل أحوالهن في حياته وبعد وفاته. يقول الإمام(عليه السلام): ((**وَمَنْ كَانَ مِنْ إِمَائِي ـ اللاَّتِي أَطُوفُ عَلَيْهِنَّ ـ لَهَا وَلَدٌ، أَوْهِيَ حَامِلٌ، فَتُمْسَكُ عَلَى وَلَدِهَا وَهِيَ مِنْ حَظِّهِ، فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا وَهِيَ حَيَّةٌ فَهِيَ عَتِيقَةٌ،قَدْ أَفْرَجَ عَنْهَا الرِّقُّ، وَحَرَّرَهَا الْعِتْقُ**))[3]. أراد بقوله (أَفْرَجَ عَنْهَا الرِّقُّ) تحريرها من العبودية،فتكون أَمَة حُرة لا يدَ لأحد عليها، ولهذا جعَل الإمام الرِّقَّ هو (المُحَرِّر)؛ فأنزلَه منزلة الفاعل رعاية

(١) نفسه (عتق): ١٠/ ٢٣٤.

(٢) ينظر: معارج نهج البلاغة: ١/ ٥٢٣، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦١٢، والديباج الوضي: ٣/ ١١٩٥.

(٣) نهج البلاغة: ك/ ٢٤: ٤٨١.

لتحقق معنى العِتْق والتحرير. ولعلّه أراد مُراعاة دلالة لفظة (رِقّ) على الضّعف وعدم تَمكّن المرأة العَتيقة من أن تملك زمام نفسها، لارتباطها بسيدَها الذي يَملك أمرها، فلهذا جعل من مُفردة (الرِّق) فاعلاً لإعطائها نوعاً من (الهيمنة) في النّص. فجاءت لفظة (الرِّق) متعاضدة مع مفردة (عَتيْقَة)، التي يُفهم من استعمالها بهذا النوع من النظم أنّ المُعْتِق لها هو الرِّق الذي صار مُعتقاً للعبيد.

رابعاً: الدلالة على الطمع وذُلِّه.

وقد سِيق هذا المعنى في كلام (عليه السلام) الذي يتحدث فيه عن الطمع ورِقّه قائلاً: ((**الطَّمَعُ رِقٌّ مُؤَبَّدٌ**))[1]. فاستعار الإمام لفظ (الرِّق) للطّمع، على اعتبار ما يستلزمه من الذلّة والخضوع للطمع؛ فإنّ الطَّامع دائم العبودية لما يطمع فيه؛ وهو كذلك عندما يكون رِقّاً[2]. وفي التعليق على ذلك أقول: إنّ تعبير أمير المؤمنين عن الطَّمع بأنّه (رِقُ مُؤَبّد) إشارة إلى ضعف الطّامع وهوانه، فضلاً عن استعباده مما طمع فيه من مالٍ أو جاهٍ أو غيرها من ملذات الحياة. وبهذا يكون الطّامع مُستعبَداً ذليلاً لا يمكن إطلاقه وتحريره من ذُلِّ طَمَعه وهوانه.

خامساً: الدلالة على الحياء من الله تبارك وتعالى.

وجاء هذا المعنى في سياق وصيّته (عليه السلام) بتقوى الله تبارك وتعالى. يقول: ((**اتَّقِ اللهَ بَعْضَ التُّقَى وَإِنْ قَلَّ، وَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ سِتْراً وَإِنْ رَقَّ**))[3]. ويُفهم من هذا السياق أنّ بعض التقوى الله تمنح الإنسان نوعاً من الحياء من الله جل جلاله، ولهذا ربط الإمام بين (التقوى) وبين ضرب السِّتر بين الإنسان وبين الله، ليس

(١) نهج البلاغة: قصا / ١٨٠: ٦٣٦.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٤٧؛ والديباج الوضي: ٦/ ٢٨٦٨.

(٣) نهج البلاغة: قصا / ٢٤٢: ٦٤٦.

على جهة الفصل والابتعاد عن الحق تبارك وتعالى، وإنّما من ستر النفس والحياء مما ترتكب النفوس والجوارح من ذنوب وقبائح. أمّا كون هذا السِّتر رقيقاً، فهو كناية عن التستّر والكف الضعيف عن المعصية[١].

مملوكاً

المَلِك هو الله جلّ جلاله وهو ملكَ المُلوك[٢]. والمِلْك- بالكسر- مَا مَلَكت اليد من مال وخَوَل[٣].والمَلَكَة مِلْك العَبْد[٤].والمَمْلُوك العَبْدُ[٥].والعرب تفرَّق بين العَبْد المملوك الذي مُلِك عن طريق السَّبي،ولم يُملَك أبواه من قبله،وهذا يُسمّى عندهم (عبد مَمْلَكة). فإمّا العَبْد القِنّ، فهو الذي مُلِك هو وأبواه[٦].وقيل: بل المَمْلَكة من العَبيْد، هم الذين يُغلب عليهم، فيُسْتَعبَدوا وهم أحرار[٧].

وقد ورد ألفاظ (مَلَكَهُ)،و(مَمْلُوكاً) و(مَمْلُوك) و(مملوكون)، بواقع مرة واحدة لكلٍ مفردة من هذه المفردات في نهج البلاغة [٨]،وذلك للدلالة على ما يأتي:

أوّلاً:الدلالة على أنّ جميع العبيد هم مملوكون للّه تعالى.

وجاء ذلك في سياق كلامه (عليه السلام) على أنّ الراعي والرعيّة هم عبيد مملوكون لربِّ العِزّة. يقول(عليه السلام): ((... **فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لاَ رَبَّ غَيْرُهُ،**

(١) ينظر: الديباج الوضي: ٦/ ٢٩٠٠.

(٢) ينظر: العين (ملك): ٥/ ٣٨٠.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (ملك): ١٠/ ١٤٩.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: العين (ملك): ٥/ ٣٨٠أولسان العرب (ملك): ١٠/ ٤٩٣.

(٦) ينظر: تهذيب اللغة (ملك): ١٠/ ١٥٠.

(٧) نفسه.

(٨) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٢٥.

يَمْلِكُ مِنَّا مَا لاَ نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا...))[١]. ويلحظ في النص استعماله أسلوب القصر بـ(إنّما) والضمائر المؤكدة لتأكيد امتلاكه تبارك وتعالى للناس. والمعنى نفسه متحقق في (خ / ٦٥، ٢١٥).

ثانياً: الدلالة على كلّ ما يملكه الإنسان من ذنوب.

وقد جعل الإمام الخروج من هذه المسألة (تَقوى) الله سبحانه وتعالى، فقال (عليه السلام): ((**فَإِنَّ تَقْوَى اللهِ مِفْتَاحُ سَدَاد، وَذَخِيرَةُ مَعَاد، وَعِتْقٌ مِنْ كلِّ مَلَكَة، وَنَجَاةٌ مِنْ كلِّ هَلَكَة، بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ، وَيَنْجُوا الْهَارِبُ، وَتُنَالُ الرَّغَائِبُ**))[٢]. وقد استعار الإمام لفظ (العِتْق) لخلاص النَّفس من استيلاء الشيطان عليها كخلاص العَبد من استيلاء سَيِّده عليه، وذلك كلّه لا يكون إلاّ بالتّقوى التي تعد عِتْقاً من المَلَكَة[٣]. والمَلَكَة هي مِلْك العَبْدِ وجعله مغلوباً على أمرهِ مُستَعبَداً غير حُرٍّ[٤]. وقد وضع الإمام علاجا لهذه الحال،وذلك عن طريق (التقوى) التي صارت منجاة وعِتْقاً من كُلِّ مَلَكَة توحي بِهوان صاحبها.

خَوْلاً

الخَوْل ما أعطَاك الله من العبيد. وخَوْل فلان عبيده الذين اتخذهم ذُلاًّ وقهراً[٥]. والخَوَل جمع (خَوْلّي)، وهو الرَّاعي الحَسن القيام على الغَنَم والمَال[٦]. يقال: تَخَوَّل

---

(١) نهج البلاغة: خ / ٢١٦: ٤٢١.

(٢) نفسه: خ / ٢٦٠: ٤٤٤.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ٦٣.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (ملك): ١٠/ ١٥٠.

(٥) ينظر: العين (خول): ٤/ ٣٠٥.

(٦) ينظر: المحكم (خول): ٥/ ٣٠١.

الرَّجـل: أي نتعَهَّدَه[١]. وذكـر ابـن منظـور أنّ (الخَـول) اسـم يقـع عـلى العَبْـد والأَمَـة وغيرهـم مـن الحاشية والجمع والمذكر والمؤنث في ذلـك سـواء[٢]. والخَـوَل هـم حَشَـم الرجـل وأتباعه[٣]. ويفرّق اللغويـون بـين (العَبيْـد) و(الخَـول)؛ فالخَـوَل هـم المختصـون بالأنـاس مـن جهـة الخِدمَـة والمهنـة، وهـي لا تقتضي المُلـك كـما تقتضيـه العبوديـة. في حين أن العبيد هـم المملوكـون أيضـاً. ولهـذا لا يقـال: الخلْقُ خَـوْل الله[٤]، وإنّـما يقـال: عبيـده، لأنّـه يملكهـم.

وقـد وردت لفظـة (خَـوَلاً) في نهـج البلاغـة مـرة واحـدة[٥]، للدلالـة عـلى العَبيْـد الذيـن يتحكـم بهـم أسـيادُهم، فيجعلونهـم مَلْـكاً لهـم يسـتَرقُونهم بامتهـان وذلّـة. وجـاء هـذا المعنـى في سـياق كلام أمير المؤمنين(عليه السلام) عـن خشـيته مـن أن يَـلي أمـر هـذه الأمّـة السّـفهاء والفجّـار: ((**وَإِنِّي إِلَى لِقَـاءِ اللهِ لَمُشْـتَاقٌ، وَلَحِسْـنِ ثَوَابِـهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ، وَلكِنَّنِـي آسَـى أَنْ يَلِيَ أَمْـرَ هـذِهِ الأُمَّـةِ سُـفَهَاؤُهَا وَفُجَّارُهَـا، فَيَتَّخِـذُوا مَـالَ اللهِ دُوَلاً**[٦]**، وَعِبَـادَهُ خَـوَلاً، وَالصَّالِحِينَ حَرْبـاً، وَالْفَاسِـقِينَ حِزْبـاً، فَـإِنَّ مِنْهُـمُ الَّـذِي قَـدْ شَرِبَ فِيكُـمُ الْحَـرَامَ، وَجُلِـدَ حَـدّاً فِي الإِسْـلاَمِ...**))[٧]. أقول: والنـصّ في وصـف حزنـه مـن أن يـلي أمر هـذه الأمّـة المسـلمة مثل بني أميّـة الذيـن ذكرهـم بأوصافهـم مـن بشربهـم الخمر

(١) نفسه.

(٢) ينظر: لسان العرب (خول): ١١/ ٢٢٤.

(٣) نفسه: ١١/ ٢٢٥.

(٤) الفرق: ١/ ٢٤٤.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٤٨.

(٦) الـدّوْل العقبـة في المـال، والدُّولـة بالفـم في المـال وهـو تداولـه بـين النـاس، ينظـر: لسـان العـرب(دول): ١١/ ٢٥٢

(٧) نهج البلاغة: ك/ ٦٢: ٥٧٨.

في الإسلام وإقامة الحدود عليهم[١]. ومن ثمّ ذكر تداولهم مال الله بينهم مرة لهذا وأخرى لذاك، فضلاً عن اتخاذهم عباد الله خَدَماً لهم وعبيداً[٢].

وقد ذكر الشُّرّاح أنّ قوله: (...فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللهِ دُوَلاً، وَعِبَادَهُ خَوَلاً...) إشارة إلى حديث أبي ذرِ الغفاري الذي رواه عن رسول الله (ﷺ) والذي نصه: ((**إذا بَلَغَ بَنُو العاص ثلاثِينَ رَجُلاً، واتَّخذوا مالَ الله دُوَلاً، وعَبِيدةُ خَوَلاً، ودِيْنَ الله دَخَلاً، ثُمّ يُرِيحُ الله العِبَادَ منهم**))[٣]. وبهذا تكون مفردة (خَوَلًا) بدلالتها هذه من الألفاظ النبوية التي أخذها الإمام (عليه السلام) مما سمعه عن النبي الأكرم (ﷺ) وضمّنها كلامه بالدلالة نفسها، فيتحقق ما أخبَرَ به النبي الأكرم (ﷺ). أقول: ولم تكن دلالة مفردة (خَوَلاً) التي استعملت في النص بصيغة الجَمع تميل إلى ما ذهب إليه اللغويون من أنّها تدل على العَبيد أو الحواشي الذين يختصون بالناس خدمةً لهم دون أن يمتلكهم هؤلاء الناس، وإنّما أُتسعت في لغة الإمام لتدل على الامتهان والإخضاع والامتلاك حتّى صار عباد الله بمنزلة العبيد الرِّق عند الأمويين.

الإماء

الأمَة المرأة ذات العُبُودِيّة. وتَأَيَّمَتِ المرأة، إذا اتُّخذت أمَة[٤]. وقد يقال (تأمَّت) أن

---

(١) وقد ذكرت المدونات التاريخية أنّ من هؤلاء المغيرة بن شعبة وعتبة بن أبي سفيان، ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ابي الحديد): ٦/ ١٢٥، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٣٧٠، والديباج الوضي: ٥/ ٢٦٤٦، ٢٦٤٧.

(٢) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٢٦٤٤.

(٣) والحديث مروي بعدة الفاظ، وهو في المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري: ٤/ ٥٢٧، ((إذا بَلَغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً، اتخذوا مال الله دُوَلاً، ودين الله دغلاً وعباده خَوَلاً))، ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد: ٦/ ١٢٥، والديباج الوضي: ٥/ ٢٦٤٤.

(٤) نفسه: ٤٣٢.

صـارت أُمَـة وهـو الصـواب[١]. والأمَـة المملوكـة وجَمْعُهـا (أمَـوَات، وإمَـاءٌ، وآمٍ، وأُمْـوَانٌ)[٢].

واستعملت لفظة (الإماء) ثلاث مرات في نهج البلاغة، في حين وردت لفظة (الأَمَـة) مرتـين. جـاءت كل مـن لفظـة (إمَائـي)؛ و(إمَاءَكـم) مـرة واحدة[٣]،للدلالـة عـلى المـرأة المُتخـذة عَبَـدة. ومـن ذلـك قولـه(عليه السلام) في سياق النّهـي عـن حـبِّ الدنيـا والبـكاء عـلى مـا فـات منهـا:((**أَلاَ وَإِنَّ هـذِهِ الدُّنْيَـا الَّتِـي أَصْبَحْتُـمْ تَتَمَنَّوْنَهَـا وَتَرْغَبُـونَ فِيهَـا... لَيْسَـتْ بِدَارِكُـمْ، وَلاَ مَنْزِلِكُـمُ الَّـذِي خُلِقْتُـمْ لَـهُ... فَدَعُـوا غُرُورَهَـا لِتَحْذِيرِهَـا، وَأَطْمَاعَهَـا لِتَخْوِيفِهَـا... وَانْصَرِفُـوا بِقُلُوبِكُـمْ عَنْهَـا، وَلاَ يَخِنَّـنَّ[٤] أَحَدُكُـمْ خَنِيـنَ الْأَمَـةِ عَلَـى مَـا زُوِيَ عَنْـهُ مِنْهَـا**))[٥].ويظهـر مـن دأبـه في التنفـير مـن الدنيـا بيِّنـاً في هـذا المقطـع مـن خـلال دعوتـه في النـص المتقـدم إلى الزُّهـد الخالـص فيهـا، دون عـودة و حنـين إلى مـا زوي مـن محاسـنها وزخارفهـا. ولهـذا اسـتعمل الإمـام كلمـة (خَنِـينَ الأمَـة)، وهـو بكاؤهـا للدلالـة عـلى طلـب الدنيـا و والحسرة عـلى مـا ضـاع منهـا.و(الأمَـة) - هنـا - هـي المـرأة المملوكـة، وإنّـما خـصّ (خنينهـا) بالذِكـر والتشـبيه؛ لأنّـه صفـة لازمـة لهـا، فأكثـر مـا يُسـمع (الخَنـين) مـن الإمَـاء؛ لأنّ مـن عادتهـا أن تُـضرب وتـؤذى مـن أسيادها، فَيكْثـر - عنـد ذاك - بُكاؤهـا المَصحـوب بهـذا الصـوت[٦].ومـن نافلـة القـول

(١) نفسه.

(٢) ينظر: المحكم (أمَوَ): ١٠/ ٥٨٥.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٩.

(٤) الخَنِيُن ضربٌ مـن بـكاء النسـاء وتـردده حتّـى يخـرج مـن الأنـف؛ ويصـير غُنّـة؛ وهـو دون الإنتحـاب؛ ينظـر: لسـان العرب(خنـن): ١٣/ ١٤٢.

(٥) نهـج البلاغـة: خ / ١٧٣: ٣١٢؛ ٣١٣. أقـول: وقـد روي في بعـض شروح نهـج البلاغـة (حَنِيَنْ الأمَـة) بالحـاء غـير المعجمية و وهـو توَقَـان النفس وتشـوقها؛ ينظـر: الديبـاج الـوضي: ٣/ ١٤٣٥.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦٨٧.

الإشارة إلى ما ذكره الدكتور إبراهيم السامرائي عن لفظة (خَنين) التي تُعدّ من المصادر الدالة على الأصوات كالأنين والحنين، ولكن الصوت في (الخَنين) يكون مشوباً بما يحمل من تأثير الأنف عند صدوره، حتّى قيل في الألسن الدارجة: (فلانٌ أخَنٌّ). أي: أنّه يخرج صوته من أنفه[1]. ولعل هذه المسألة - أقصد الوصف بأنّه أخنّ - من العلل في أداء الأصوات ونطقها، فهو -كما يبدو- من العيوب النطقية التي ترافق أداء الأصوات، ومن ثَمَّ اقترن بصوت البكاء الصادر من (الإماء) حتّى صِرنَ يُعْرَفن به، لأنها تصدر عند بكائها صوتا من أنفها يشبه صوت الخاء المضطربة غير الخالصة، وأضحى بعد ذلك أثراً من آثار انحطاط المفردة، لاقترانه بهذه الفئة من النّساء من ذوات الرتبة البائسة، فضلاً عن كونه يمثل عيباً صوتياً أدائياً.

أقول: وثمّة مواضع أُخر في نهج البلاغة استعملت فيها لفظة (أَمَة) واشتقاقاتها الأخرى بالدلالة المتقدمة نفسها، وذلك في (خ / ١٥، ١٠٦، ١٧٢، ك / ٢٤، ٤١، قصا / ١٠٢).

(١) ينظر: مع نهج البلاغة: ١٥٥.

المبحث الثامن
طبقة العَمال والإداريين والحواشي

عمّال

العامل هو الذي يتقلّد عملاً ما[١]. وهو المتوليّ عملًا من أعمال السلطان[٢]. والعمّال السُّعاة الذين يأخذون الصدقات من أصحابها[٣].

وقد استعمل الإمام لفظة (عمّال) بصيغة الجمع على (فُعّال) ثلاث مرات في نهج البلاغة، في حين استعملت المفردة نفسها مضافا إليها ضمير الخطاب (عمّالك) ثلاث مرات أيضاً. وجاءت ألفاظ (عَامِلي، وعُمّالي، وعاملاً وعمّالها) مرة واحدة فحسب[٤]، للدلالة على عمّال البلاد ومتوليّ إدارتها وموظّفيها والقائمين على جباية الواردات المالية للدولة. وهذه الدلالة شائعة في نهج البلاغة، وقد أوردها الإمام في سياقات تتعلّق بإدارة البلدان والأمصار التابعة لحكومته. ومن ذلك قوله مرشداً عامله على (مِصْر) (مالكا الأشتر) إلى طرائق اختيار (العمّال) وتوليتهم مهامّهم. إذ يقول: ((**ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ، فَاستعملهُمُ اخْتِبَاراً، وَلاَ تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وأَثَرَةً، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجُوْرِ وَالْخِيَانَةِ...**))[٥].ومفردة (عمّال) - هنا- تدل على العمّال الذين يقوم الحاكم بتوليتهم أعمالاً من أعمال الدولة. ولهذا اشرط الإمام أن يكون استعمالهم على سبيل الاختبار، لأجل إظهار مدى كفاءتهم

(١) ينظر: تهذيب اللغة (عمل): ٢/ ٢٥٥.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (عمل): ٢/ ٢٥٥، ولسان العرب (عمل): ١١/ ٤٧٤.

(٣) أنفسهما.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٢٤.

(٥) نهج البلاغة: ك/ ٥٣: ٥٥٥.

وحرصهم في أداء أعمالهم - مطالباً عامله بتجنّب (المُحاباة) و (الأثرة) في توظيفهم. وعلل ذلك بما تشتمل عليه النفوس من الجور والخيانة. وتزيد هذه الأمور في النفس في حالة تولّي الإنسان للحكم أو الإدارة، فتظهر عليه صفات الظلم والتسلّط على الرّعية وغيرهم ممن يكونون بأمرة هذا العامل، فضلاً عمّا تنزع إليه نفسه من الخيانة والميل إلى الاستئثار بالأموال والأراضي وغيرها من مغريات الحكم. ولهذا شرط (عليه السلام) على (مالك الأشتر) أن يتحرَّ عمّن يريد تعيينهم عمّالاً في المهام التي يتختارها لهم جاعلاً: ((**أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ، مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ**))[1] في صدارة من يتوخّاهم الوالي لهذه المواقع الإدارية؛ لأنهّم ((**أَكْرَمُ أَخْلَاقاً، وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً، وَأَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافاً، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظَراً.**))[2]. فأهل التجربة والحياء من ذوي البيوتات الصّالحة والقدم في الإسلام يمتلكون من كرامته الاخلاق وصحّة الأغراض وقلّة الطّمع والبعد في النظر في عواقب الأمور ونتائجها. ولهذا يكونون أكثر استعداداً ورجاحة عقل وحكمة في الإدارة. ولأجل منع هؤلاء (العمّال) من الخيانة، وطماح النفس الأمّارة بالسّوء، ولغرض متابعتهم في أداء أعمالهم والنظر في حرصهم على مصالح الرعية ومصالح البلد وحُسن القيام عليها. وضع الإمام عاملين لإحكام الرَّقابة على هذه الطبقة من طبقات المجتمع؛ الأول منهما إسباغ الرزق عليهم استصلاحاً لأنفسهم، ومنعاً لهم عن تناول ما تحت أيديهم من أمانة، وليكون حجّة عليهم في حالة مخالفتهم أوامر الحاكم في ثلمهم ما ائتُمنوا عليه. والثاني متعلّق بالرّقابة عليهم في أداء أعمالهم، وذلك ببعث (العُيون) والرّقباء من أهل الصِّدق والوفاء عليهم؛ حَدْوة لهم لي استعمال الأمانة والحرص على شؤون الرعية. يقول (عليه السلام) في ذلك:

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

((ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الأَرْزَاقَ، فَإِنَّ ذلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلاَحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنىً لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ، وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالوَفَاءِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ عَلَى استعمال الأَمَانَةِ، وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ))(١). وقد ذهب بعض الشرّاح إلى أن مفردة (عمّال) في قول الإمام، مخصوصة بالدلالة على عمّال السّواد والصدقات والوقف والمصالح (٢). في حين أن المفردة المتقدمة تحمل دلالة أوسع مما قدّمه هذا الشّارح؛ لأنّه (عليه السلام) يتحدث عن العمّال من الإداريين الذي يقومون على مصالح الرعيّة والرّفق بهم، وهذا المعنى أوسع من أن تخصص مفردة (عمّال) بالقائمين على شؤون الخراج وجبايته فحسب. وليس ببعيد أن يتضمن عمل هؤلاء الناس نوعاً من الإشراف على الأمور المالية والحسبيّة؛ لأنها جزء من أعمالهم الواسعة التي منها الإشراف على شؤون الخراج وعمّاله القائمين عليه. ولهذا استعمل الإمام لفظة (عامِلي) وجمعها (عُمّالي) مضيفاً اليهما (ياء) المتكلّم، للدلالة على الولاة الذين عيّنهم الإمام في إدارة بعض الأمصار التابعة لحكومته في البصرة وخصّ بهما هاتين المفردتين، وأفرد عنها – زيادة في تخصيص دلالتها – تعبير (خُزّان بيت المال) الدال على القائمين على الأمور المالية الحسابية. يقول (عليه السلام) في سياق كلامه عمّا فعله أصحاب (الجمل) بالبصرة: **((فَقَدِمُوا عَلَى عُمَّالِي، وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدَيَّ، وَعَلى أَهْلِ مِصْر، كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَى بَيْعَتِي، فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ، وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ، وَوَثَبُوا عَلى شِيعَتِي، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْرا))**(٣). فاستعمل مفردة (عامِلي) كأنّه يشير إلى كون هذا العامل منسوب

(١) نهج البلاغة: ك/ ٥٣: ٥٥٦.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٧/ ٥٤.

(٣) نهج البلاغة: خ/ ١٧٢: ٣١١.

اليه؛ لأنّه يمثله في إدارة هذا البلد ومتابعة شؤونه ومصالح الناس فيه، فضلاً عن ولاء هذا العامل ومن معه للإمام وطاعته له،ولهذا وثب عليه أصحاب (الجمل)، وغدروا به وبمن معه من حكومته، فقتلوهم صبرًا وغدرًا. ولّما أراد الإمام التعبير عن مهارة الذين ولاّهم إدارة مدينة البصرة، وقوّة عزمهم في إدارة شؤون البلد والرعيّة، استعمل في وصفهم بناء (فُعَّال) الذي يتضمن الدلالة على الجمع، فضلاً عن التكثير والمبالغة في القيام بالفعل[١]. وهو ما أوحت به لفظة (عُمّالي) في قوله: ((**فَقَدِمُوا عَلَى عُـمَّالِي، وَخُـزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي في يَدَيَّ، وَعَلى أَهْلِ مِصْر، كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَى بَيْعَتِي، فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ، وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ، وَوَثَبُوا عَلى شِيعَتِي، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْراً...**))[٢].التي يشير بها إلى كون هؤلاء العّمال من الجدارة في الحرص والإخلاص في أداء ما وُكِّلوا به من أعمال، حتى كأنّهم آلة في القيام بتلك الأعمال؛ لشدّة تفانيهم في خدمة الناس وحفظ الأمانة. ومع ذلك كلّه وثب عليهم أصحاب (الجمل) قتلاً وتشريداً وإيذاء، يريد بذلك الإشارة إلى صفة الغدر والقتل والتدمير في هذه الفئة الظالمة. وقد ناسب استعمال لفظة (عُمّال) على هذا البناء، مجيئه بمفردة (خُزّان) جمعًا على (فُعّال) أيضاً، وهو ما حقق ضربًا من التّجانس الصّوتي بين اللفظتين. وقد استعملت الإمام مفردات (عمّال، وعمّالك، وعمّالها) بالدلالة المتقدمة نفسها، وذلك في (ك/ ٦٠، ٥٣، خ/ ١٣٨).

خُزّان

خَزْن الشّيء إحرازه في خزانة[٣]. والخِزانة الموضع الذي يُخزن فيه الشيء[٤].

(١) ينظر: معاني الأبنية: ١٤٨.

(٢) نهج البلاغة: خ / ٢١٨: ٤٢٣.

(٣) ينظر: العين (خزن): ٤/ ٢٠٩، وتهذيب اللغة (خزن): ٧/ ٩٥.

(٤) نفسهما.

والخزانة - أيضاً - عمل الخازن[١]. واستعملت اشتقاقات مفردة (خَزن) بكثرة في نهج البلاغة، فقد وردت لفظة (خُزَّان) على (فُعَّال) خمس مرات، منها موضع واحدة أضف إلى المفردة ضمير الغائب (خُزَّانه) في حين ورد لفظة (خازِن) بصيغة (فاعل) ثلاث مرات ومن ثمّ جاءت لفظة (الخَزَنَة) جمعًا على (فَعَلَة) مرة واحدة[٢]،وذلك للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على خُزَّان بيت مال المسلمين:

وهم الموظفون القائمون على حفظ أموال المسلمين، وخزنها كأنهم بمنزلة مسؤولي المال، أو مديري المصارف، او المحاسبين في العصر الحاضر؛ إذ يشرفون على إدارة (بيوت الأموال) التي تتضمن واردات الدولة ونفقاتها فضلاً عمّا تتضمنه من عطاءات تدفع للمسلمين وموظفي الدولة. وسمّي القائم على هذه المهنة (خازنًا)، لكونه يقوم بخزن هذه الأموال وحفظها. وقد استعمل الإمام (عليه السلام) لفظة (خُزاَّن)، للدلالة على موظفي بيت مال المسلمين في قوله الذي يتحدث فيه عن عمّال الخراج في وصيّته لهم بإنصاف الناس والصّبر لحوائجهم قائلاً: ((**فَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَاصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ، فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ، وَوُكَلاَءُ الأُمَّةِ، وَسُفَرَاءُ الأَئِمَّةِ**...))[٣]. ويلحظ في قوله استعمال لفظة (خُزَّان) بصيغة الجمع على (فُعَّال)، وهذا البناء من أبنية جمع الكثرة الذي يتضمن المبالغة في القيام بالفعل كما يذكر الدارسون[٤]. والملاحظ أنه (عليه السلام) آثر هذه البناء من الجمع، مناسبة لسياق المدح والوصية الذي يتكلم فيه، فإنّه لّما أراد التأكيد على مكانة هؤلاء (العمّال)،

(١) نفسها.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٣٦.

(٣) نهج البلاغة: ك / ٥١: ٥٤٢.

(٤) ينظر: معاني الأبنية: ١٤٨.

ومنزلتهم الإدارية في حفظ أموال (الرعية)، وصيانتها من الخلل والسرقة وغير ذلك من عورات الأموال ونقصها بالغ في وصف هؤلاء بلفظ (خُزَّان)، فهذا البناء لا يرد إلاّ عند إرادة التكثير والمبالغة في القيام بالفعل. فلا يُراد به التكثير في العدد، وإنما المراد التكثير في الفعل، فلا يقال لمن حفظ سورة من القرآن - مثلاً -: إنّه من الحُفّاظ، وإن زاد عددهم على الألف[١]. إنما يستعمل هذا البناء لمن بالغ في الحفظ وأكثر منه، حتى ذلك صار كأنّه صنعه له. وهو ما يفسر لنا استعمال الإمام لفظة (خُزّان) في السياقات التي يريد منها الدلالة على شِدّة الحفظ والحرص، فثلاث من هذه المواضع خصّها بالحديث عن (خُزَّان) بيت المال الذين يعملون في حكومته، في إشارة إلى كونهم أمناء مبالغين في حفظ الأموال التي بعهدتهم، فتحدث عنهم وعن اعتداء أصحاب (الجمل) على هؤلاء (الخُزَّان)، وعلى بيت مال المسلمين في تلك البقاع حتى قتلوهم صَبْرًا وغدرًا كما يقول (عليه السلام)، في إشارة إلى شِدّة أمانتهم. يقول: ((... **أَعْطَانِي الطَّاعَةَ، وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ، طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَه، فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِي بِهَا وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا، فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْراً، وَطَائِفَةً غَدْراً ...**))[٢]. كأنّه (عليه السلام) استعمل لفظة (خُزَّان) في هذا النص، لتضمنه الموازنة بين حال الأعداء الذين لاهمَّ لهم سوى القتل والنّهب، وبين حال عمّاله وخُزَّان أموال المسلمين الذين ضحّوا بأنفسهم في سبيل حفظ الأمانة وصيانتها، فناسب ذلك وصفهم ببناء (فُعَّال) الذي يفيد مبالغتهم في الحفظ والقيام على أمر الأموال. وقد نقل الإمام هذا البناء، الذي يُعَدّ من أبنية جمع الكثرة، من هذه الدلالة إلى الدلالة على القلّة، ويفهم ذلك من النصوص المتقدمة التي تضمنت الإشارة من الإمام إلى أنّ هؤلاء (الخُزّان) الذين يعملون عنده لا يُشبهون

(١) ينظر: معاني الأبنية: ١٤٩.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ١٧٢. وينظر: خ/ ٢١٨: ٤٢٣.

كل الخُزاّن الحفظة للأموال الذين يعملون بإمرة غيره. فهم من الورع والتقوى بمكان بحيث لا تنازعهم نفوسهم الاّ إلى صيانة الأمانة. فكأنّه أطلق عليهم هذا الوصف، لدأبهم واجتهادهم وتميّزهم في حفظ الأموال. وهو ما يفسّر لنا وصفهم بأنهم (وكلاء الأمة وسفراء الأئمة).والوكيل هو الذي يتوكل بالأمر ويضمن القيام به، فتلجأ إليه الناس وتعتمد عليه في أمورها[1]. وهذه الدلالة تعين في الكشف عن اعتماده (عليه السلام) على هؤلاء وإسناده أمر تدبير الحسابات اليهم لثقته بهم. أما كونهم (سُفراء الأئمة)، فالسَّفير- في اللغة- الكاتب الذي يُبيّن الشيء ويوضحه [2]. وإضافة اللفظ إلى مفردة (الأئمة) من باب إضافة التشريف والنسبة اليهم، كأنهم يوضحون ما التبس من أمور الحساب والإدارة للناس، وهم المعتمدون الرّوّاد الذين ينُوبُون عن (الأئمة) في رعاية المصالح المالية للناس في البلدان. ويلحظ في قوله إضافة مفردة (الرَّعِيّة) إلى (خُزَّان). وهذا التركيب يحتمل أمرين؛ فإمّا أن يكون المراد من ذلك الدلالة على كون هؤلاء (الخُزّان) هم حفظة (الرعيّة) بكل ما تملكه هذه الرعية من حقوق (مادية) كانت أو (إدارية)، فعبّر عن ذلك بتركيب الإضافة، أو أن يكون كلامه (عليه السلام) على حذف مضاف تقديره (خُزَّان أموال الرّعية، أوخُزّان بيت مالِ الرّعية)، حتى يتناسب تعبيره بلفظ (خُزّان) مع ما بعده. ويبدو لي أنّ المعنى الأول أليق بالسياق من تقدير المحذوف في النص. وقد وردت لفظتا (خُزّان) و (خُزَّانه) بالدلالة نفسها في (قصا / ١٤٧، ك/ ٥) ومثلها في الدلالة مفردة (خازِن) بوزن (فَاعِل) في (ك/ ٣١، قصا/ ١٩٢).

ثانياً: الدلالة على خزنة العلم، وهم أهل البيت (عليهم السلام)

---

(١) ينظر: لسان العرب (وكل): ١١/ ٧٣٤.

(٢) نفسه: (سفر): ٤/ ٣٧٠.

ولّما أراد الإمام التعبير عن مكانة أهل البيت ومنزلتهم من جهة قربهم من الله تبارك والنبي الأكرم (ﷺ) واستئثارهم بهذه الخصائص، استعمل لوصفهم مفردة (خَزَنَة) جمعًا على (فَعَلَة)، وهذا البناء من أبنية جمع الكثرة الخاص بجمع الصفات[١]. يقول(عليه السلام) في سياق مدح أهل البيت (عليهم السلام) وذكر فضائلهم: ((**نَحْنُ الشِّعَارُ وَالأَصْحَابُ، وَالْخَزَنَةُ وَالأبْوَابُ...**))[٢] ويحدد الإمام في هذا النص جملة مما يختص به هو وآل البيت، فاستعمل لفظة (الشِّعار) إشارة إلى قربهم وملازمتهم للنبي الأكرم، كما يلازم (الشِّعار) من الألبسة البدن. ثم وصفهم (بالأصْحاب)، للدلالة على شدة صحبتهم النبيّ ومرافقتهم له، تحقيقًا لمعنى الصُّحْبة الذي شَرعه المسلمون، ووضعوه ميزانًا لبيان القُرب والبعد من النبي[٣]. ثم وصفهم بـ(الخَزَنة) مشيرًا بهذه المفردة الواردة على هذا البناء من الجمع، إلى اختصاصهم بكونهم (خَزَنَة) علم النبي. مستعملا بناء (فَعَلَة)، الذي يوحي بالدلالة على انتسابهم إلى النبي، واختصاصهم بهذه الصّفة دون غيرهم. وفي بيان خصائص بناء (فَعَلَة) الذي استعمله الإمام، يذكر الدارسون أنّ (فَعَلَة) بناء يختص بالعقلاء، وأنّ (التاء) فيه حَوّلته من جمع الأوصاف إلى الدلالة على (الاسمية)، ما أضفى عليه معنى الثبات والتجرّد من الحدث، فإنّه خلو من الحركة والتكثير (المبالغة)، فلفظة (صَاغَة) – مثلاً – تدل على هذا الصِّنف من الناس الذين انتسبوا إلى هذه المهنة واتخذوها

---

(١) ويطّرد هذا البناء في كل وصف مفرد لمذكر عاقل على وزن (فَاعِل) صحيح اللّام. مثل كاتِب وجمعه كتبة. ينظر: معاني الأبنية: ١٥.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ١٥٤: ٢٧٠.

(٣) ويعرّف المسلمون (الصحابي) بأنه مَن رأى رسول الله (ﷺ) في حال إسلام، وإنْ لم تطل صحبته له، أو لم يَرْو عنه شيئًا. وقيل إنه مَن طالت مجالسته على طريق التّبع له، والأخذ عنه. ينظر: المقنع في علوم الحديث، لسراج الدين الانصاري: ٤/ ٤٩١.

حرفة لهم[١]. وأمّا الفارق بين هذا البناء وبناء (فُعَّال) الذي استعمله الإمام جمعاً لمفردة (خُزّان) في سياقات الحِرص على حفظ الأموال وحست القيام عليها، فيذكر اللغويون أنّ (فُعّالاً) يتضمن المبالغة والتكثير، بخلاف بناء (فَعَلَة) الذي يفيد الدلالة على الانتساب والاختصاص بالشيء[٢]. ويبدو هذا الكلام مقبولًا، لولا إشارته إلى تجرّد بناء (فَعَلَة) من التكثير، فهذه الفكرة ربما تكون صادقة في استعمالات أخرى لهذا البناء، غير أنها في قوله (عليه السلام) تتضمن أمرين،فضلا عمّا ذكره الدارسون المحدثون من مميزات لهذا البناء؛ فالأمر الأول تضمنه الدلالة على المبالغة والتكثير؛ فكون الإمام وأئمة أهل البيت هم (الخَزَنة)، فذلك يتضمن التكثير والتشديد في قيامهم على هذا الأمر من كونهم خَزَنة المعارف، أو خَزَنة أبواب الجنّة. وبهذا يكون أمير المؤمنين قد وَسّع من دلالات هذه البناء، ومنحه ضربًا من المبالغة والتكثير؛ فضلاً عن دلالة التشريف التي اكتسبها من السياق. أما الأمر الثاني؛ فهو صلاح هذا البناء للدلالة على (القِلّة) في الجمع دون الكثرة التي صنفه اللغويون ضمن أبنيتها. ولاسيّما إذا تصورنا أنّ المراد (بالقِلّة) – هنا – الدلالة على عدم اختصاص أيّة جماعة غير الإمام (عليه السلام) وأهل بيت النبي بكونهم (خَزَنة)، فيكون هؤلاء كلهم بمنزلة الفئة الواحدة، مقابل جمع آخر يدّعي أصحابه أنهم المخصوصون بهذه الأمور التي يذكرها الإمام في كلامه، وهي (القَرابة، والصّحابة، والخَزَنة...)، وما يدعم هذا الوجه لديّ استعماله مفردة (خَزَنة) محلاة بـ(ال)، التي أضفت عليها دلالة العَهْد بين طرفي الخطاب (المتكلم، والسامع). وبناء على هذا الوجه أستطيع القول إن الإمام (عليه السلام) يومئ باستعماله بناء(فَعَلَة) وصفًا لنفسه ولآل البيت إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ**

---

(١) ينظر: معاني الأبنية: ١٥١.

(٢) نفسه.

زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[١]. ولعل من أهم مصاديق (خَزَنة) (الجنة والنار)،هم أهل البيت (عليهم السلام) ومن قبلهم النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله)، وهو ما يفهم من قول الإمام: ((**نَحْنُ الشِّعَارُ وَالأَصْحَابُ، وَالْخَزَنَةُ وَالأَبْوَابُ...**))[٢] كأنّما (الخَزَنة) المحلاة بـ (ال)تدل على معهود معروف عند السامعين مصداقه ما ورد في القرآن الكريم من كونهم (خَزَنة الجنّة والنار)؛ بوصفهم أقرب الناس إلى الله تبارك وتعالى والى نبيه(صلوات الله عليهم) كما كان النبي خازنًا لعلم الله تبارك وتعالى[٣]. فليس ببعيد أن يكون الإمام خازنًا لعلم النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، ومصداقًا من مصاديق خزنة الجنة والنار؛ لكونه – كما في الأخبار – قسيم الجنّة والنار[٤]، إشارة إلى أنّ

(١) الزمر / ٧١ – ٧٣.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ١٥٤: ٢٧٠.

(٣) يقول الإمام (عليه السلام)في مدح النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله): ((فهو أمينك المأمون،وخازن علمك المخزون...)). نهج البلاغة:خ/ ١١١:٧٣ .وعلم الله الذي كان النبي (خازناً له)هو علمه الذي لايقدر على حمله غيره من الخلق،إلاّ من ارتضى من رسول.وهو المشار إليه بقوله تبارك وتعالى: ((عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد الاّمن ارتضى من رسول...)).الجن/ ٢٧ .ينظر:منهاج البراعة:٥/ ١٥٩ .

(٤) ينظر: غريب الحديث (ابن قتيبة): ٢/ ١٥٠، والفائق: ٣/ ١٩٥، والنهاية في غريب الحديث: ٤/ ١١، والتبيان في تفسير القرآن (للطوسي): ٤/ ٤١١. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٧/ ٢١١. وقد شرح(ابن قتيبة) الحديث ذاكراً أنّ الناس في ذلك فريقان؛ فريق مع الإمام فهم على هدى وفريق على ضلال. فنصف في الجنة معه، ونصف في النار. ينظر: غريب الحديث (ابن قتيبة):٢/ ١٥٠، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ١٢٨ – ١٣٥، الذي عقد فصلاً من نظائر هذا الحديث في فضائل الإمام (عليه السلام)، فضلاً عما ورد من ذلك عن الأئمة (عليهم السلام) في كونهم ((ولاة أمر الله، وخَزَنَةُ علم

مَن جاء يوم القيامة مواليًا له ولأهل البيت دخل الجنة. ويذكر شُرَّاح النهج أنّ الإمام استعار لفظ (الخَزَنة) له ولأهل البيت على جهة المشابهة في تصرّفهم بمنع العلم وإعطائه، أو منع الله الجنّة بسبب عدم حبهم، وإعطائها لمن أحبّهم، كما يفعل الخازن ذلك[1]. ويمكن أن يكون وصفه لهم بـ(الخَزَنة) إشارة إلى أنّه تعالى إئتمنهم على كنوز رحمته وعلومه، لأنهم أهل للأمانة، فضلاً عن كونهم شدة حرصهم في طاعة الله تبارك وتعالى، فيأتمرون بأمره ويطيعون له. ﴿**لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾[2]. أقول: وقد وردت لفظة (خَازِن) على (فَاعِل) للدلالة على منْ يقوم بأمر الإحزار والحفظ، وذلك في (ك/ ٣١، قصا ١٩٢).

كتّابك

الكتبة الاكتتاب في الفرض والرزق[3] والكُتّاب اسم المكتب الذي يُعلّم فيه الصبيان[4]. والكتابة من تكون صناعته الكتابة، كالصياغة والخياطة [5]. والكُتّاب جمع كاتب[6]. وقد استعمل الإمام لفظة (كُتاب) بصيغة الجمع على (فُعَّال) مضافا اليها ضمير الخطاب (كُتّابك) ثلاث مرات، في حين أنّه استعملها مرتين محلاة بـ(ال) (الكُتّاب)[7]، للدلالة على موظفي الكتابة القائمين على الدواين ومحرري

الله...)). ومنهاج البراعة: ٩/ ٢٠٨.

(١) شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦٣٢.

(٢) الأنبياء / ٢٧.

(٣) ينظر: العين (كتب): ٥/ ٣٤٢.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (كتب): ١/ ٨٧.

(٥) نفسه.

(٦) نفسه.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٩٤.

الرسائل والكتب من الأمراء إلى غيرهم. وقد جعلهم (عليه السلام) في الطبقة الثانية من طبقات الإداريين في المجتمع في عهده إلى (مالك الأشتر) بقوله: ((**وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لاَ يَصْلُحُ بَعْضُهَا إلاَّ بِبَعْض، وَلاَ غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْض: فَمِنْهَا جُنُودُ اللهِ،مِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ...**))[١] ويقسم الإمام (الكُتّاب) على قسمين؛ كُتّاب العَامّة. وهم المختصون بكتابة العقود والمواثيق المتعلقة بالزراعة والتجارة وبقية الصناعات والبيعات[٢]. أمّا كتاب الخاصة، فالمراد بهم – فيما يبدو- كُتاب من الذين يتولون الأمور الخاصة بالدّولة، ولاسيما أسرارها التي لا ينبغي إطلاع أحد عليها إلاّ المسؤولين عنها، فضلاً عن كتابة العقود والمعاهدات والحقوق وبقية المراسلات[٣]. وقد فصّل (عليه السلام) القول في شرائط هؤلاء(الكُتّاب)،وخصالهم ومقاماتهم، فضلاً عن طرائق اختيارهم والتعامل معهم. فقال مخاطباً عامله (الأشتر): ((**ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ، فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ، وَاخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُودِ صَالِحِ الأَخْلاَقِ مِمَّنْ لاَ تُبْطِرُهُ الْكَرَامَةُ، فَيَجْتَرِىءَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلاَف لَكَ بِحَضْرَةِ مَلاَ، وَلاَ تُقَصِّرُ بِهِ الْغَفْلَةُ عَنْ إِيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ، وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوابِ عَنْكَ، وَفِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ، وَلاَ يُضعِفُ عَقْداً اعْتَقَدَهُ لَكَ، وَلاَ يَعْجِزُ عَنْ إِطْلاَقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ، وَلاَ يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفسِهِ فِي الأُمُورِ...**))[٤]. وقبل الشروع ببيان أركان هذا النص وما فيه من شرائط شرطها الإمام أقول: إنّ هؤلاء(الكُتّاب) هم الذين يتولون أمر حضرة الدولة، ويكتبون المراسلات من الحاكم إلى عمّالة

(١) نهج البلاغة: ك/ ٥٣: ٥٥٠.

(٢) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٢٥٢٦.

(٣) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٢٥٢٦، ومنهاج البراعة: ٢٠/ ١٧٥

(٤) نهج البلاغة: ك / ٥٣: ٥٥٨.

وأمرائه. ويرجع اليهم أمر ديوان الدولة ومعاقد تدبيره[١]. ويذكر الشارح ابن أبي الحديد أنّ المراد بـ (الكُتّاب) في كلام أمير المؤمنين هم الذين يُطلق عليه في اصطلاح إدارة الدولة (الوزراء)؛ فهم أصحاب تدبير حضرة الوالي، والذين ينوبون عنه في أموره، وتصل إليهم مكاتبات العمّال، وتصدر عنهم الأجوبة بعد عرضها على (الأمير)، فضلاً عن متابعتهم شؤون العمّال، واستدراك أمورهم والهيمنة عليهم[٢]. ويطلق على صاحب هذه الوظيفة (كاتب الكُتّاب) أو (الكاتب المُطْلَق)[٣]. ويذكر أنّ هؤلاء هم كُتّاب الدواوين الموكل اليهم حفظ حقوق الدولة، وكل ما يتعلّق بها[٤]. أقول: والظاهر أنّ منصب (الكُتّاب) هذا لا يُراد منه في كلام الإمام الوزير أو الوزارة، مع كون هذا المنصب هو من المناصب المميزة في الدولة. فالوزير، وإن كان يشتغل بالكتابة وإنشاء الكتب المهمة في بعض الأزمنة التي مرّت بها الدولة الإسلامية، فذلك مما لا يصح الاحتجاج به في (الكاتب) هو(الوزير) نفسه[٥]. فضلًا عن أنّ فكرة الإمام (عليه السلام) في إدارة الدولة تختلف عن المنهج الذي اتبعه غيره من الخلفاء؛ لأنّه ينطلق من فكرة (الإمامة) و(الولاية) في إدارة الأمة الإسلامية. وهذه الفكرة تقوم على أسس منها أن يكون قائد الدولة (إماماً معصومًا) منصوصا عليه من النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، علاوة على أن يكون وزيره وخواص مساعديه ممن هم بمنزلته ومنزلة الأئمة،إن لم يكونوا منهم.

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٧/ ٦٠.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٧/ ٦٢، ومنهاج البراعة: ٢٠/ ٢٢٦، والراعي والرّعية، لتوفيق الفكيكي: ٢١٤.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: الأحكام السلطانية: ١/ ٢٢٦٥.

(٥) ينظر: منهاج البراعة: ٢٠/ ٢٢٦.

وحسبي في دعم هذا الوجه، وزارته (عليه السلام) ومؤازرته النبي الأكرم يوم دعا قريشًا إلى أن يسمعوا لعلي ويطيعوه[1]، فضلًا عن كونه كان كاتب النبيّ الذي يكتب ما يمليه عليه النبي من كتب خاصة وعامّة وعهود ومواثيق بين النبي وبقية الناس كما تذكر كتب السيرة والتأريخ[2]. وما يمكن إضافته إلى ذلك، اتخاذه (عليه السلام) كاتبًا خاصًا به يكتب له ما يخص الدولة ومتعلقاتها وعدّوا منهم (سعيد بن نمران الهمداني، وعبيد الله بن أبي رافع). أقول: وهذه القرائن تدل على أنّ منصب (الكتّاب) يختلف عن منصب(الوزير)،ولعلهما يشتركان في الاطلاع على الأسرار الخاصة بمكاتيب الدولة وخطاب العمّال والأوامر الصادرة إلى الولاة في الأمصار، والأمور العسكرية. ويمكنني القول إنّ مفردة(الكُتّاب) في كلام الإمام هم بمنزلة (السكرتير) في هذا الوقت، أو ما يسمى الآن بـ(مدير المكتب) الخاص برئيس الدولة، أو بالمحافظ المؤتمن على إدارة البلد الذي يحكمه،والذي يكون مسؤولاً عن جماعة من ذوي المهام الإدارية المختصة بكل شؤون البلد من أمور سياسية واقتصادية أو اجتماعية و عسكرية. ومما يعزز ذلك لديّ حديثه (عليه السلام) عن الوزراء الذين لم يختر لهم أيّة تسمية أخرى سوى هذا المصطلح. ولهذا صنّف الإمام (الكتّاب) إلى (كُتّاب العَامّة والخاصة)، إشارة إلى اختصاص كل واحد

(١) ينظر:تاريخ الطبري:٣/ ٥٣٣.

(٢) من ذلك كتابته العهد الذي كتبه بين النبي (صلى الله عليه وآله) وبين (سهيل بن عمرو) من قريش المسمى(بصلح الحديبية). ومنها كتابته موادعة النبي (صلى الله عليه وآله) مع يهود المدينة. وبين المهاجرين والأنصار والمسلمين من قريش على الرغم من عدم تصريح المدونات الخاصة بالسيرة النبوية باسم الكاتب،والظاهر أنّه الإمام(عليه السلام). ينظر في ذلك: السيرة النبوية (ابن هشام): ٤/ ٢٨٤، ٣/ ٣٠، وتاريخ الطبري: ٢/ ١٢٢، ١٢٣، والبداية والنهاية، لابن كثير: ٤/ ١٦٨، ١٦٩، ومنهاج البراعة: ٢٠/ ٢٢٤، ٢٢٥. وقد عقد المؤرخ الطبري مبحثاً في (تأريخه) عن أسماء من كتب النبي (صلى الله عليه وآله) جعل في صدارتهم أمير المؤمنين علياً(عليه السلام) بوصفه كاتباً للوحي. ينظر: تاريخ الطبري: ٣/ ٥٣٣.

منهم بعمل يختلف عن غيره. أقول: وبالعودة إلى قوله في شأن طبقة (الكُتَاب)، فالنص ينقسم على أقسام ثلاثة؛ الأول منها في شأن الخِصال التي ينبغي أن تتوافر في هؤلاء (الكتاب)، إذ شرط الإمام أن يكون الكاتب من خير الناس، و أحفظهم للسّر،و من الذين لا تُطغيه الكرامة ولا تصيّره جريئا على رئيسه في حضرة ملأ أو غيره،وأن لا يكون مقصّراً بسبب من غفلته،و مجيدًا في أداء عمله الذي لا يضعف في توليه، وأن لا يكون جاهلاً بقدر نفسه في الأمور التي يؤديها، فضلاً عن أن يكون حسن الأثر في العامّة، ومعروفاً بين الناس بالأمانة. وهذه الشروط تتلاءم مع دلالة مفردة(كُتّاب) التي أخذت من(الكَتْب)،وهو الحرز والربط. يقال كَتَبت السّقاء، إذا ربطته بإحكام[1]. كأن هؤلاء كالكَتَب في شِدة حفظ الأمانة والسرّ. أمّا القسم الثاني، فهو في شأن طرائق اختيار هؤلاء (الكتّاب) بالنسبة للوالي، فقد شرط الإمام أن لا يُعتمد في اختيارهم على فراسة الوالي وقوّة ظنّة، أو الرّكون إلى الثقة؛ لأنّ من الناس من يتعرف لفراسات الولاة، بحسن التصّنع والخدمة،في حين أنهم لا يملكون من النصح والأمانة شيئًا. وقد جعل (عليه السلام) (الاختبار بحسن الولاية) سبيلاً إلى تعيين (الكُتّاب).وذلك في قوله: ((**ثُمَّ لاَ يَكُنِ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِك**[2] **وَاسْتِنَامَتِكَ**[3] **وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ، فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلاَةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ، لَيْسَ وَرَاءَ ذلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ، وَلكِنِ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وَلُوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ، فَاعْمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثَراً، وَأَعْرَفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهاً**...))[4]. أما القسم الثالث من أقسام النّص، فهو خاص

(١) ينظر: تهذيب اللغة (كتب): ١٠/ ٨٨.

(٢) الفراسة الحذف بالأشياء. ينظر: لسان العرب (فرس): ٦/ ١٦٠.

(٣) الاستنامة طلب السكون والهجوع والسُّبات. ينظر: لسان العرب (نوم): ١٢/ ٥٩٦.

(٤) نهج البلاغة: ك/ ٥٣: ٥٥٨، ٥٥٩.

بتقسيم هؤلاء الكتاب، وتوزيعهم بحسب مهامهم، فمنهم من يكون مختصًا بالرسائل ذات المرتبة العالية من السّريّة التي تتضمن أسرار الخطط العسكرية أو المدنية وغيرها، ومنهم من يتولّى الكتابة إلى الأطراف والأعداء وآخر لأجوبة عمّال السّواد ومراسلتهم، ومنهم من يكون مختصًا بحضرة الوالي وخاصة وحاشيته [١]. وأمر (عليه السلام) أن يكون على كل واحد من هؤلاء (رأساً) يتولى إدارة شؤونها لغرض تنظيم الأمور وعدم تشتتها.

بطانة

بطانة الرجل وليجته من القوم الذين يداخلهم ويُداخلونه[٢]. وقيل: هم الدُّخلاء الذين ينبسط إليهم، ويستبطنون اليه مؤانسين له[٣]. وقد استعمل الإمام مفردة (بطِانة) ثلاث مرات واحدة منها محلاة بـ (ال)، في حين أورد مفردة (بِطانتّي) مضافاً اليها (ياء المتكلم) مرة واحدة في كلامه الوارد في نهج البلاغة[٤]، للدلالة على الوليجة المقرّبة من الأمراء والحُكّام. ومن ذلك قوله(عليه السلام) في وصف الصالحين من أصحابه: ((**أَنْتُمُ الأنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ، وَالإِخْوَانُ في الدِّينِ... وَالْبِطَانَةُ دُونَ النَّاسِ، بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدْبِرَ، وَأَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ، فَأَعِينُوني بِمُنَاصَحَة خَلِيَّة مِنَ الْغِشِّ...**))[٥]. والنص مدح لأصحابه المخلصين المقرّبين، ولهذا استعمل لهم مفردة (البطِانَة) التي أرادتها الدلالة قربهم منه؛ لأنّه وليجته وخاصته من أصحاب سِرّه فَأمّا عدّهم بطانته دون للناس، فليس ذلك من باب التفرقة بين الرعية وعدم

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٧/ ٦١.

(٢) ينظر: العين (بطن): ٧/ ٤٤٠.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (بطن): ١٣/ ٢٥١.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٥٥.

(٥) نهج البلاغة: خ / ١١٨: ٢٢٠.

العدل بينهم، وإنما من جهة تمييز هؤلاء عن بقية الناس لمكانتهم في نصرة الحقِّ، وإخوّتهم في الدين، وكونهم اليد الضاربة مع الإمام (عليه السلام) في ضرب المدبرين وحسن معاملة المقلبين عليه، ولهذا طلب مناصحتهم الخليّة من الغش والرَّيب. وذلك إشارة إلى قربهم منه وكونهم مواضع أسراره. وقد استعمل الإمام المفردة نفسها دالة على بعض بطانته من عمّالة في مقام ذمِّته وتذكيره بقربه منه بعدما خان أمانته التي إئتمنه عليها الإمام وذلك في (ك / ٤١) كما استعمل اللفظة نفسها بالدلالة المتقدمة في (ك / ٥٣).

جُباة الخراج

الجباية هي الجمع والتحصيل والاستيفاء[١]. والخراج هو ما يُحصّل من غلّة العين المبتاعة، وهي ضريبة أو جزية تؤخذ كل سنة من الفلاحين وغيرهم. وتؤخذ من البلاد التي افتتحها المسلمون صلحاً[٢]. وقد استعمل الإمام لفظة (جباية) ثلاث مرات في نهج البلاغة. في حين وردت لفظة (جُبَاة) بصيغة الجمع على (فُعَال) مضافة إلى كلمة (الخراج) مرة واحدة[٣]، للدلالة على ما يخرج من تحصيل وجمع من غِلّة الأراضي للدولة الإسلامية التي يقودها(عليه السلام)، مستعملاً في ذلك مفردة(جباة) الدلالة على الموظفين القائمين على هذا الضرب من الجمع. ومن ذلك قوله في سياق كتابه إلى العمال القائمين على (جباية الخراج) يذكر فيه أنّه سيَّر جيشاً وهو بين ظهره، وأنّه قد أوصاه بكفِّ الأذى عن الخراج وأصحابه، وأنه يبرأ إليهم من معرّة هذا الجيش وأذاه بعد ذلك. يقول (عليه السلام):((**مِنْ عَبْدِ الله**

(١) ينظر: العين (جبي): ٦/ ١٩٢.

(٢) ينظر: لسان العرب (خرج): ٢/ ٢٥٢.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٨٠.

عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ مَرَّ بِهِ الْجَيْشُ مِنْ جُبَاةِ الْخَرَاجِ وَعُمَّالِ الْبِلَادِ. أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ سَيَّرْتُ جُنُوداً هِيَ مَارَّةٌ بِكُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَقَدْ أَوْصَيْتُهُمْ بِمَا يَجِبُ للهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِّ الأَذَى، وَصَرْفِ الشَّذَى، وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وَإِلَى ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ، إِلاَّ مِنْ جَوْعَةِ الْمُضْطَرِّ ... فَنَكِّلُوا مَنْ تَنَاوَلَ مِنْهُمْ شَيْئاً ظُلْماً عَنْ ظُلْمِهِمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَ سُفَهَائِكُمْ عَنْ مُضَادَّتِهِمْ...))[1]. والنص في أنّ هذا الجيش المار لابد من أن يطأ – عند مروره- بالأراضي الخراجية التي يتولى (الجبُاة) جمع غلاتها وتحصيل خراجها، ولابد لهذا الجيش من أن يسِيء بعض أفراده إلى هؤلاء ويزاحم عملهم، فبعث(عليه السلام) كتاباً إلى (الجُباة) القائمين على هذه الأموال يخبرهم فيه بتحذير هذا الجيش من الإساءة ويطلب منهم كفَّ سفهائهم عنه.

وزير

الوزير الذي يستوزره الملك، فيستعين برأيه. كما يقول الخليل[2]. واستعمل الإمام (عليه السلام) مفردات (وزيراً) مرتين في نهج البلاغة، ولفظة (وزير)، وجمعها (وزرائك) مضافا إليها كاف الخطاب مرة واحدة لكل منهما[3]، وذلك للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على كونه (عليه السلام) وزيرًا للنبيِّ وللأمة.

وقد ذكر الإمام (عليه السلام) مفردة (وَزِيْر) بهذه الدلالة، ناقلاً إيّاها من كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) بحقه في سياق بيان فضله وشجاعته، وملازمته النبي وسبقه إلى الإسلام: **((... وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله) وَخَدِيجَةَ وَأَنَا**

(١) نهج البلاغة: ك/ ٦٠: ٥٧٥.

(٢) ينظر: العين (وزر): ٧/ ٣٨٠.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٨٢.

ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ. وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ[١] **الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ(صلى الله عليه وآله) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا هذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: «هذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلاَّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيّ، وَلكِنَّكَ وَزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ**[٢]**))**[٣]. ولفظ (وَزِيْر) يدل في هذا النص على مؤازرة الإمام النبيّ، وإعانته على أداء الرسالة وأعبائها. وثَمّة اشتقاقان لهذا اللفظ، فهو أما أنْ يكون مشتقاً من الجبل أو الحصن الذي يلجأ إليه[٤]. أو أنه مشتق من الحمل الثقيل[٥].كأنّ الإمام (عليه السلام) بالنسبة إلى النبي الأكرم بمنزلة المعين والحِصن المنبع الذي يُلجأ إليه في تحمل أعباء الرسالة الإسلامية وحملها الثقيل؛ فهو الوصي والخليفة الذي يعتمد على رأيه في الأمور ويلجأ إليه في الشدائد. ولهذا ورد في القرآن الكريم في دعاء النبيّ (موسى) قوله تعالى: ﴿**وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي**﴾[٦]. وقد ذكر المفسرون أنّه (عليه السلام) طلب مؤازراً يعينه على تدبير أموره ومساعيه، فجاء بلفظ (الوزير) الدال على المعين القائم بوَزَر

---

(١) الرّنّة الصيحة الحزينة. وقيل بل هي الصياح عند البكاء. ينظر: لسان العرب (رنن): ١٣/ ١٨٧.

(٢) يبدو أن هذا الحديث من الأخبار التي أخبر بها النبي (صلى الله عليه وآله) الإمام عليًا (عليه السلام)، وقد نقل الطبري المؤرخ في حديثه عن نزول قوله تعالى: ﴿**وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ**﴾ (الشعراء / ١٤) خبر (وزارة الإمام) للنبي عند قوله (صلى الله عليه وآله): ((وقد أمرني الله أنْ أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر،على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي. فأحجم القوم... وقلتُ أنا: يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي، ثم قال: إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا...)). تاريخ الطبري: ١/ ٥٤٢، ٥٤٣، وشرح نهج البلاغة (ابن ابي الحديد): ١٣/ ١٥٧، ١٥٨.

(٣) نهج البلاغة: خ/ ١٩٢: ٣٨٧.

(٤) ينظر: العين (وزر): ٧/ ٣٨٠، ومقاييس اللغة (وزر): ٦/ ١٠٨.

(٥) ينظر: العين (وزر): ٧/ ٣٨٠، ولسان العرب (وزر): ٥/ ٢٨٣.

(٦) طه / ٢٩-٣٠.

الأمور ونقلها[١]. وتبدو هذه المسألة من خصائص الأنبياء،فقد سأله (موسى) الله تبارك وتعالى (وزيراً) له، وكذلك النبي الأكرم محمد (ﷺ)، إدراكاً منهم الحاجة إلى ضرورة اختيار الشخص المناسب للإعانة في الأمور جميعًا ومنها أمور الرسالة وتبليغ الدين مع مخالصة الود للوزير من المزايا العظيمة في هذه الأمور[٢]، ولها أجاب الله تبارك وتعالى دعوة التبيين (موسى) و(محمد).

أقول: وقد كرر الإمام استعمال لفظة (وزير) في (نهج البلاغة) لّما أراده الناس على البيعه بعد مقتل الخليفة (عثمان بن عفان)، فذكر لهم أنّه لهم (وزير)خبر من كونه أمير وذلك في (خ/ ٩٢).

ثانياً: الدلالة على وزراء الأمراء والولاة

وقد استعمل الإمام لهذه الدلالة لفظتي (وزيراً) بصيغة المفرد وجمعها (وزراء) في عهده إلى (مالك الأشتر) ناهياً إيّاه باتخاذ (وزراء الأشرار) بطانة له، إذ يقول: ((**إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الآثَامِ، فَلاَ يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الأَثَمَةِ، وَإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ...**))[٣]. ولفظة (وزير) و (وزرائك) في هذا السياق تدل على النصب الإداري المعروف الذي يسنده الخلفاء والولاة إلى بعض الشخصيات التي يختارونها، ليكونوا أعواناً لهم في أداء أعمالهم وحفظه لهم

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٤/ ٤٢. والتفسير الكبير: ٢٢/ ٤٣. وقد نقل (فخر الدين الرازي) رواية عن النبي الأكرم (ﷺ) في(حادثة تصدّق الإمام بخاتمه)،فقال النبي: ((اللهم إنّ أخي موسى سألك،فقال: ((ربِّ اشرح لي صدري)) إلى قوله: ((وأشركه في أمري))... اللهم وأنا محمد نبيّك وصفيّك فاشرح لي صدري، ويسّر لي أمري، وأجعل لي وزيراً من أهلي عليًا أشدد به ظهري...)). التفسير الكبير: ١٢/ ٢٣.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٢٢/ ٤٣.

(٣) نهج البلاغة: ك / ٥٣: ٤٥٨، ٤٥٩.

على أسرارهم وأسرار الدولة. وقد عرّف (الماوردي ت ٤٥٠هـ) الوزارة والوزير بقوله: ((وهو أنْ يستوزر الإمام مَنْ يفوّض إليه تدبير الأمور برأيه، وإمضاءها باجتهاده))[١]. وقد وسّع الإمام من مصطلح (وزير) فجعله غير مقتصر على الإدارة، والإعانة في الحكم، وإنما جعلها شاملة لمنصب الاستشارة، بشرط أنْ لا يكون هؤلاء من أعوان الظالمين، ولا من الآثمين، فيكون هؤلاء أخفّ مؤونه ومعونة، وأعطف على الوالي وعلى البلد من تلك النماذج السيئة من (الوزراء) يقول الإمام مشيراً إلى الخلف الصالح لهؤلاء: **((وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَآثَامِهِمْ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ، وَلاَ آثِماً عَلَى إِثْمِهِ، أُولئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَؤُونَةً، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً، وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفاً، وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً، فَاتَّخِذْ أُولئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلاَتِكَ[٢]، ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ، وَأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللهُ لِأَوْلِيَائِهِ...))**[٣].

حاشيتك

الحاشية القوم والأهل والخاصة من المقرّبين[٤]. واستعملت مفردة (حاشيتك) مضافا إليها ضمير الخطاب مرة واحدة في نهج البلاغة[٥]، للدلالة على خاصة الرجل من أعوانه والمقربين منه. وذلك في سياق النصح والإرشاد لعامله (مالك

---

(١) الأحكام السلطانية والولايات الدينية: ١/ ٢٣.

(٢) حفلاتك جمع حفل، وهو الاجتماع. ينظر: لسان العرب (حفل): ١١/ ١٥٦.

(٣) نهج البلاغة: ك/ ٥٣: ٥٤٩.

(٤) ينظر: لسان العرب (حشا): ١٤/ ١٨١، والمصباح المنير: ١/ ١٣٨.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١١٢.

الاشتر)، إذ يقول له: ((**وَلاَ تُقْطِعَنَّ**[١] **لِاحَد مِنْ حَاشِيتِكَ وَحَامَّتِكَ قَطِيعَةً**))[٢]. وكلامه (عليه السلام) نهي عن اقتطاع الولاة الأراضي والأملاك الخاصة بالدولة أو بالناس من الرعية وتمليكها إلى القرابات من الحواشي الذين يتخذهم الوالي أعواناً له. وقد استعمل الإمام مفردة (حاشية بدلالة منحطة - هنا - كأنه يشر إلى كونه فَضْل لا يعتمد عليه في أمور الدولة لقربهم من الوالي وهذه المفردة أصلها في اللغة مأخوذ من حاشية الثوب وجانبيه[٣].

(١) القطيعة ما يملك من أراضٍ وغيرها، وجمعها قطائع. ينظر: لسان العرب (قطع): ٨/ ٢٨١.

(٢) نهج البلاغة: ك/ ٥٣: ٥٦٤.

(٣) ينظر: المصباح المنير: ١/ ١٣٨.

المبحث التاسع

ألفاظ طبقة ذوي الرقة في السِّن والأيتام

النسل

النَّسْلُ الوَلَد[١]؛ لأنّه ينْسل من والدته[٢]. والنَّسْل الذُّرِّية[٣]. وتنَاسَلَ القوم، أي ولد بعْضهم من بعض، وكثر أولادهم[٤]. وأصل النَّسْل هو خروج الشيء من الشيء، وسقوطه منه[٥].

وقد وردت لفظة (النّسْل) مرتين في نهج البلاغة، في حين جاءت مفردات (يتناسلُون،نسْلُه، وتناسُل) مرة واحدة لكلٍ منها[٦].

أمّا الدلالات التي سيقت لها هذه المفردات، فهي كما يأتي:

أولاً: الدلالة على الأولاد والذريّة.

ومن ذلك قول أمير المؤمنين (عليه السلام) في سياق الطلب إلى بعض أصحابه بأن يمْلكوا الإمام الحسن (عليه السلام) لّما تسَرَّع إلى الحرب في بعض أيام (صِفِّين): ((**امْلِكُوا**[٧]

(١) ينظر: العين (نسل): ٧/ ٢٥٦.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (نسل): ٥/ ٤٢٠.

(٣) ينظر: لسان العرب (نسل): ١١/ ٦٦٠.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: العين (نسل): ٧/ ٢٥٧.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٤٠.

(٧) أمْلكوا من الملْك، وهو الاستيلاء. ينظر: لسان العرب (ملك): ١٥/ ٤٩٣.

عنِّي هـذَا الْغُـلاَمَ لاَ يَهُـدَّنِي[١]**، فَإِنَّنِي أَنْفَسُ**[٢] **بِهذَيْـنِ - يَعْنِي الْحَسَـنَ وَالْحُسَـيْنَ (عليهما السلام). عَلَى الْمَوْتِ، لِئَلاَّ يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم)**))[٣]. وقوله هذا من أعلى الكلام وأفصحه، ولاسيما تعْبيره: ((**امْلِكُوا عنِّي هـذَا الْغُـلاَمَ**))، بحسب قول الشريف الرضي الذي وصفه الوصف المتقدم[٤]. والإمام كان يتكلم في مقام الحرص على ولده الحسن (عليه السلام)، لمّا رآه يتسرّع إلى الحرب، ولهذا طلب إلى صحبه أنْ (يملكوه عنه) أي يمنعوه، ويحجروا عليه كما يحجر المالِك على مملوكه حرصاً عليه[٥]. ووجه علوا هذا التعبير وفصاحته أنّه لمّا كان في لفظة (امْلِكوا) معنى البعد، وأنه (عليه السلام) أعقب المفردة المتقدمة بحرف الجر (عن) للتعبير عن إبعاده عنه دون أن يملكونه من أمير المؤمنين على حدِّ تعبير الشارح ابن أبي الحديد[٦]. ثم عَبرّ عن حالته بعده – فيما لو لم يُمتَع الإمام الحسن عن الحرب – بلفظة (يهُدّني) التي تدل على الانكسار والهَدْم الشديد فضلاً عن تضمن كلامه لفظة (أُنَفَسُ) التي تفيد الدلالة على نفاسه ولديه الإمامين (الحسن والحسين) (عليهما السلام)، فضلاً حرصه عليهما وشحتِّه بهما على الأذى والقتل محافظة منه على نسْلِ رسول الله. وجاء استعماله لفظة (نَسْل) لبيان كونها مصدر لذرية الرسول وانهما الامتداد الطبيعي له، ومنهما يكون خلف النبي وذريته، فجعل عدم انقطاع نسل النبي عِلة للحرص عليهما؛

(١) الهدّ الْهَدْم الشديد. ينظر: العين (هد): ٣/ ٣٤٧.

(٢) أنْفَسُ من النفاسة، وهي تضمن معينن؛ الضّن بالشيء والبخل به، وكونه نفسياً غالباً. بنظر: العين (نفس): ٧/ ٢٧١.

(٣) نهج البلاغة: خ / ٢٠٧: ٤٠٧.

(٤) نفسه: ٤٠٤.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١١/ ٢٢.

(٦) نفسه.

لكونهما من النفاسه بمكان، فهما ولدَ رسول الله (صلى الله عليه وآله)[١]. أما مفردة (نَسْل) فالمراد بها الدلالة على الذُّرِّيّة الخاصة برسول الله (صلى الله عليه وآله). وقد وردت الفاظ (النَّسْل) و(نَسْله) و(تَنَاسل) للدلالة على الأولاد في (قصا / ٢٥٢،خ/ ١، ٩١).

ثانياً: الدلالة على التَّزَاوج المُسبِّب لتكوين الأولاد

واستعمل الإمام لهذه الدلالة مفردة (يتَنَاسلون) بصيغة الفعل المضارع المسند إلى ضمير الجمع. وذلك في سياق الوصّية بالاعتبار بالأمم الماضية، إذ يقول: ((**وَاعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُم مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ: قَدْ تَزَايَلَتْ**[٢] **أَوْصَالُهُمْ، وَزَالَتْ أَسْمَاعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ، وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ، وَانْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ؛ فَبُدِّلُوا بِقُرْبِ الأَوْلاَدِ فَقْدَهَا، وَبِصُحْبَةِ الأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَها. لاَ يَتَفَاخَرُونَ، وَلاَ يَتَنَاصَرُونَ، وَلاَ يَتَنَاسَلُونَ..**))[٣].

فجعل (عليه السلام) مفردة (لا يتفاخرون) بإزاء تعبير (ذهب شَرفهم وعِزّهم)؛ لأنّ الفخر لا يكون إلاّ بالانساب التي تضفي على الانسان شرفاً وعِزّاً، علاوة على كونه رهن بالسؤود وحسن الافعال والكرم. كما أنّه جعل (لا يتناسَلُون) بإزاء قوله: (**فَبُدِّلُوا بِقُرْبِ الأَوْلاَدِ فَقْدَهَا، وَبِصُحْبَةِ الأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا**)؛ لارتباط اللفظة

(١) وقد عقد الشارح ابن أبي الحديد. بحثاً – في شرحه قول الإمام (عليه السلام) المتقدم – في أنّ (الحسن والحسين) ولدا رسول الله. واحتج بقوله تعالى: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ**﴾(آل عمران / ٦١)، وقوله تعالى: ﴿**وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ (الأنعام / ٨٤). وانتهى إلى أنّ اللغويين لم يختلفوا في أنّ ولد البنات يعدّون من نسل الرّجل، علاوة على جواز أنْ يقال لابن البنت (ابن) على جهة الحقيقة، والحقيقة العُرفية، فضلاً عن المجاز. ينظر: شرح نهج البلاغة: ١١/ ٢٣، ٢٤.

(٢) تزايلتْ تفرّقت. ينظر: لسان العرب (زيل): ١١/ ٣١٦.

(٣) نهج البلاغة: خ / ١٦١: ٢٨٧.

المتقدمة بالذّرية التي تنتج من الزواج. كأنه (عليه السلام) يشير إلى أن (الذّريّة) ناشئة من علاقات الزواج بين الناس الذين يتناسلون ليخرج منهم الأولاد.

الغلام

الغلام هو الذي طرّ شاربه[١]. وقد وردت لفظة (الغُلام) محلاة بـ (ال) أربع مرات في نهج البلاغة، في حين جاءت اللفظة نفسها مجردة من (ال) مرة واحدة هي ومفردة (المُغْتلمة)[٢]، وذلك للدلالة على مايأتي:

اولاً: الدلالة على الإمام الحسن (عليه السلام):

وقد أشار إليه الإمام في سياق طلبه لأصحابه بمنع ولده الإمام الحسن من التسرّع إلى الحرب؛ حرصاً عليه وخوفاً من فقده. فوصفه بـ(الغلام) قائلاً: ((**امْلِكُوا عنّي هذَا الْغُلاَمَ لاَ يَهُدَّنِي، فَإِنَّنِي أَنْفَسُ بِهذَيْنِ ـ يَعْنِي الحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ(عليهما السلام) عَلَى الْمَوْتِ، لِئَلاَّ يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللهِ**(صلى الله عليه وآله)))[٣].

وصفه (الغُلام)؛ للدلالة على كونه في مرحلة الاشتداد والبلوغ؛ إذ تبدو عليه سيماء الرّجولة والفحولة. ولهذا ذكر اللغويون أن (الغُلام) هو مَن طرَّ شَاربه. كأنهم جعلوا ظهور الشعر في شارب الانسان علامة على بلوغه أشدّه، فضلاً عما يوحيه ذلك من الدلالة على الوصول إلى مرحلة الشهوة والهيج للضِّراب التي لم يُرد أمير المؤمنين (عليه السلام) بذكر مفردة (الغلام) العناية بها من جهة كونها شهوة غالبة على الإمام كما يحصل عند من هم في هذه المرحلة من العمر، وإنما أشار

---

(١) ينظر: العين (غلم): ٤/ ٤٢٢، وتهذيب اللغة (غلم): ٨/ ١٣٥.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ البلاغة: ٣٣٩.

(٣) نهج البلاغة: خ / ٢٠٧: ٤٠٧.

اليها من جهة كونها علامة من علامات الفحولة والبلوغ وثمّة دلالة أخرى للفظة المتقدمة التي استعملها الإمام محلاة بـ (ال) لتخصيص الإمام الحسن بهذا الوصف دون غيره من الغلمان فيكون معهوداً معروفاً بينه وبين أصحابه. وهي الإيحاء (بتجاوز الحدّ) في المضي إلى القتال، رغبة في إحقاق الحقّ ومحاولة منه (عليه السلام) إلى الشهادة في سبيل الله. وهذه الدلالة تتضمنها المفردة المتقدمة التي تدل في معناها العام على مجاوزة القدر في الشّهوة بحسب أقوال اللغويون[1]. فكأن الإمام أمير المؤمنين وظّف تلك المفردة لبيان حرص ولده الإمام الحسن على قتال (الفئة الباغية) في (صنَّفين)، طلباً للشهادة ومسارعة اليها، فضلاً عن هياجه في نصرة أبيه علي (عليه السلام) الذي يمثل الاسلام.

وعلى النقيض من ذلك، استعمل الإمام لفظة (غُلام) مضافة إلى كلمة (ثقيْف)؛ للدلالة على (الحجّاج الثقفي) الذي أخبر عن تسلّطه على الناس قائلاً: (**أَمَا وَاللهِ، لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامُ ثَقِيف الذَّيَّالُ**[2] **المَيَّالُ**[3]...))[4]. وقد صدّر الإمام إخباره بالقسم، توكيداً لكلامه الذي يُعَدّ من قبيل الإخبار بما سيقع مستقبلاً. أمّا إيراده لفظة (غُلام)، فذلك للدلالة على شِدّة شهوة هذا الشخص إلى القتل والجور على الناس كأن الإمام أراد أنّ فيه من الاضطراب والهياج والجور بشكل بلغ فيه أقصى الدرجات في الظلم والعُسف بالناس . وقد عزز الإمام ذلك بمفردتي (الذَّيّال، الميَّال)، وهما صفتان صاغهما (عليه السلام) بوزن (فَعّال) للدلالة على

(١) ينظر: لسان العرب (غلم): ١٢/ ٤٣٩.

(٢) الذيل آخر كل شيءٍ. وذيل الثوب ما جُرّ منه. ينظر: لسان العرب (ذيل): ١١/ ٢٦٥.

(٣) الميل العدول إلى الشيء والإقبال عليه، والميل الجور والظلم. ينظر: لسان العرب (ميل): ١١/ ٦٣٦.

(٤) نهج البلاغة: خ / ١١٦: ٢١٩.

المبالغة والاسراف في الكبر والخيلاء، والميل إلى الظلم والجور. ومن ناقلة القول الاشارة إلى أنّ إضافة لفظة (غُلام) إلى كلمة (ثقيْف) هي من قبيل إضافة السّنبه، الغرض منها بيان نسب هذا الشخص انتمائه القبلي. إن الإمام (عليه السلام) نقل هذه المفردة من الدلالة على هذه المرحلة من العمر إلى الدلالة على الظلم والجور.

أقول: ونظير دلالة مفردة (غُلام) على الغلْمة والشهوة والتسرّع وعدم التّرو، فضلاً عن الدلالة على القوة البدنية، ما ورد في (قصا / ٨٦).

ثانياً: الدلالة على اشتداد الفتنة واضطرابها

وقد شبّه الإمام (الفتنة) من جهة بلوغها وهياجها بـ (شبِاب الغُلام)، وذلك في سياق قوله متحدثاً عن التحذير من الفتن وآثارها: ((**شِبَابُهَا كَشِبَابِ الْغُلَامِ، وَآثَارُهَا كَآثَارِ السِّلَامِ**[١]))[٢]. والوجه من التشبيه المتقدم هو السُّرعة في الظهور والانتصاب، فكما يشبّ الغُلام سريعاً، وهو مرح مختال مضطرب، فكذلك الفتنة في هياجها[٣] فاستعار لها الإمام لفظ (الشِّباب) مكنياً به عن ظهورها بين الناس، وسرعة انتشارها[٤]. وعلى قراءة لفظ (شِباب) بكسر الحرف الأول – فإنّ المراد بالتشبيه المعنى المتقدم أي: أنه قصد بإضافة (الشِّباب) إلى (الغُلام) بيان انّها تشبيه (الغُلام) في سرعة هياجه واضطرابه، وما فيه من لهو ولعب وعدم تفكّر. كأنها ترتفع كما يرتفع الفَتيُّ من ثيران الوحش عند شّبابه) في مرحلة البلوغ والايفاد والتّوهج، والنشاط المصحوب برفع اليدين. يقال شَبّ الفرس، إذا نشط ورفع

(١) السّلام – بالكسر – جمع سلْمة، وهي الحجر. ينظر: لسان العرب (سلم): ١٢ / ٢٩٦.

(٢) نهج البلاغة: خ / ١١٥: ٢٦٤.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ١٠٨ / وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦١٧.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦١٧.

يديه جميعاً[١]. وقد ورد في بعض الروايات قراءة اللفظة المتقدمة بفتح الشين (شَبَاب الغُلام)[٢]. والمراد بذلك الفتاء والحداثة في السِّين[٣]. وبهذا يكون التشبيه مرتبطاً بالفتُوّة والحداثة في السِّن مع كل ما تحمله هذه المفردات من دلالة على المرح واللعب وعدم الاستقرار والثبات. ولهذا جعل الإمام آثار الفتنة كآثار السّلام من الأحجار الصَّلْدة التي تضرب الابدان وغيرها فتؤذيها.

ثالثاً: الدلالة على هياج الفحول من أرّها للضّراب.

وقد استعمل الإمام لهذه الدلالة لفظة (المُغْتَلمة) بوزن (مُفْتَعِل) المختوم بـ (التاء)، وهو بناء يدل على التكلّف والمبالغة في الفعل[٤]. يقول الإمام (عليه السلام) في وصف إفضاء الطاووس إلى أنثاه وهو: ((**يَؤُرُّ**[٥] **بِمَلَاقِحِهِ**[٦] **أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَةِ لِلضِّرَابِ**[٧]))[٨] والنص يشير إلى هياج هذا الطّير وسعيه إلى لقاح أنثاه، فشبهه (عليه السلام) في ذلك بأرِّ الفحول من الدواب التي اشتدت شهوتها وهياجه للضِراب واللقاح.

---

(١) ينظر: العين (شبب): ٦/ ٢٢٣، والمصباح المنير (شب): ١/ ٣٠٢.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦١٦، ومنهاج البراعة: ٩/ ١٥٠.

(٣) ينظر: لسان العرب (شبب): ١/ ٤٨٠.

(٤) ينظر: الاعجاز الصرفي في القرآن الكريم: ١٣٠.

(٥) الأَرُّ الجماع. ينظر: تاج العروس (أرر): ١٠/ ٤١.

(٦) الملاقح هي التي يلقح بها. ينظر: لسان العرب (لقح): ٢/ ٥٨٣.

(٧) الضِّراب النكاح. ينظر: المحكم (ضرب): ٨/ ١١٨.

(٨) نهج البلاغة: خ / ١٦٥: ٢٩٦، وقد نقلت كتب اللغة قول الإمام المتقدم. ومنها: تاج العروس (أرر): ١٠/ ٤١.

الّصبي

الصّبْو، والصَّبْوَة جَهْلة الفُتُوّة واللهُوُ من الغزل[١]. ومن هذا أخذ قولهم: التَّصابي والصّبا[٢]. وهو – بالكسر – الصِّغر[٣]. والعرب تقول للجارية صبيَّة، وللِغلْمان صِبْيَان[٤]. ويسمَّى الصُّبِيُّ صَبيّاً من لدُنْ يُوْلد إلى أنْ يُفطَم[٥].

ويجمع هذا اللفظ على (صِبْيَة)، و(صِبيان)، و(صِبْوان) بقلْب الواو فيه ياءً؛ للكسرة التي قبْلها[٦]، غيرُ مَعتدِّيْنَ بالساكن حاجزاً بين الكسر والواو؛ لأنّه عندهم حاجز ضعيف[٧]. وربما جنحوا إلى الياء في الجمع إيثاراً لِخفّةِ الياء[٨] عند نطق اللفظ بالجمع، فإنهم لما أرادوا الجمع في (صَبَو) فقالوا (صِبْوة)، و(صِبْوان) ثقل في لسانهم اجماع الكسر والضم، فآثروا الياء بدلاً من الواو مجانسة للكسر، فقالوا: (صِبْيَة) و(صِبْيان).

واستعمل الإمام (عليه السلام) لفظة (صَبِي) في كلامه الوارد في نهج البلاغة بصيغة المفرد والجمع، فجاءت مفردة (الصُّبي) بالمفرد مرة واحدة. في حين وردت اللفظة بصيغة الجمع على (صِبْية) مرة واحدة، و(صِبْيان) مرتين[٩]. ويمكن بيان

---

(١) ينظر: العين (صبو): ٧/ ١٦٨، ولسان العرب (صبا): ١٤/ ٤٤٩.

(٢) ينظر: العين (صبو): ٧/ ٦٨.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (صبو): ١٢/ ١٨٠.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: لسان العرب (صبا): ١٤/ ٤٤٩.

(٦) نفسه.

(٧) ينظر: لسان العرب (صبا): ١٤/ ٤٥٠.

(٨) نفسه.

(٩) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٥٢.

الـدلالات التـي دَلّـت عليهـا هـذه المفـردة في مايـأتي:

اولاً: الدلالة على اللهو والعَبَث.

واستعمل امير المؤمنين (عليه السلام) هذه الدلالة في سياق كلامه عن آخر الزمان. يقول (عليه السلام): ((**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يُقَرَّبُ فِيهِ إِلاَّ الْمَاحِلُ**(١)**، وَلاَ يُظَرَّفُ**(٢) **فِيهِ إِلاَّ الْفَاجِرُ... فَعِنْدَ ذلِكَ يَكُونُ السُّلْطَانُ بِمَشُورَةِ الامَاءِ، وَإِمَارَةِ الصِّبْيَانِ...**))(٣).

أراد (عليه السلام) أنّ الزمان الذي يكون فيه الساعي بالنميمة والمكيدة مُقرَّباً والفاجر الذي لا يتناهي عن الخلاعة والمجون والفسق مُقَدَّما مُظرَّفاً، قادم عليكم إيها السّامعون، وعلامته أنّ المُلْك والسلطان يكون بمشورة النِّساء والإماء والإمارة بيد (الصّبْيان)، ذو الحداثة في السِّن الذين لا عقل لهم(٤). يَتَدَبَّرونَ به، إلّا عقلَ الجَهْلِ والعبث. وهو ما توحي به مفردة (صِبْيان) التي ساقها (عليه السلام) في هذا النص بصيغة الجمع على (فِعْلاَن) إشارة إلى كثرة هؤلاء (الصِبْيان) الذي يقودون المُلْك في قابل الزمان والذين يتسلُّطون فيه على رقاب الناس. وقد ذكر بعض الشُرُّاح شيوع ذلك الأمر الذي أَخْبر به الإمام (عليه السلام) وانفرد به دون بقية الصحابة(٥)، فقد كثر في زمان بني أمية، وفي زمن الدولة العباسية(٦). ولهذا قال أبو فراس

(١) المحْلُ الشِّدَّةُ والجوع والجدْب، والمتماحلُ الرجل الطويلُ المُضْطَربُ الخُلق، والمحال العدواة. ينظر: لسان العرب (محل): ١١/ ٦١٦-٦١٩ .

(٢) الظُرْف البراعة وذكاء القلب، وحُسْنُ العبارة. ويوصف به الفتيان دون الشيوخ الكبار. ينظر: لسان العرب (ظرف): ٩/ ٢٢٨.

(٣) نهج البلاغة: قصا / ١٠٢: ٦١٧، ٦١٨.

(٤) ينظر: الديباج الوضي: ٦/ ٢٧٩٠.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٨/ ٢٠٦.

(٦) ينظر: الديباج الوضي: ٦/ ٢٧٩٠.

الحمداني[١].

بنُو عِلِيٍّ غَرْثَى في بُيُوتِهمُ   والأَمْرُ تَمْلِكُهُ النِّسوان والخَدَمُ

أقول: وجاءت لفظة (صْبية) في نهج البلاغة دالة على صِغر السن المقترن بالطَّيْش والغواية والمجون ومن ثمّ محمود الرسالة النبوية، وذلك في وصْف الإمام (عليه السلام) أولاد (عُقْبة بن ابي مُعيْط)[٢] بـ(صِبيْة النّار)، في سياق المقارنة بين أهل البيت (عليهم السلام)، وآل سفيان في كتابه (عليه السلام) إلى معاوية بن أبي سفيان، الذي يقول فيه: ((... **وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ...**))[٣]. وسيِّدا شباب أهل الجنة هما الحسن والحُسين (عليهما السلام) بنص النبي (صلى الله عليه وآله)[٤]. (وصِبيْةُ النار) هم أولاد (عُقْبة بن أبي مُعَيْط) الذين جعل لهم النبي الاكرم النُّار في جوابه لسؤال (عُقْبة) الذي أُسر في معركة (بَدْرٍ)، لما رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقتله، فقال: من للصبية يا محمد ؟.فقال النبيُّ: النّار. كما تذكر المدونات الخاصة بالسِّيرة النبوية[٥].

وقد اختار بعض الشُرُّاح أنْ يكون المراد بـ (صبْية النّار) أولاد مروان بن

---

(١) ديوانه: ٢٩٠، والديباج الوضي: ٦/ ٢٧٩٠.

(٢) هو أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، يكنّى بـ (أبي الوليد)، وهو عدو رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وعدو الاسلام، وقد روي أُنه دخل على النبي الاكرم وهو يصلّي في حجر الكعبة، فنخنقه بثويه خنقاً شديداً، حتى أقبل أبو بكر فدفعه وقال له: أتقتلون رجلاً أنْ يقول ربّي الله. ينظر: الكامل في التاريخ: ١/ ٥٩٥. والوافي بالوفيات، للصفدي: ٢٠/ ٥٩.

(٣) نهج البلاغة: ك / ٢٨: ٤٩٠

(٤) الحديث شائع في المدونات الحديثية، وهو في: الجامع الصحيح للترمذي: ٥/ ٦٥٦، والمعجم الاوسط: ١/ ١١٧، والمعجم الكبير: ٣/ ٣٩ و ١٩/ ٢٩٢، وسنن ابن ماجه، لأحمد بن يزيد القزويني: ١/ ٤٤ والسنن الكبرى للنسائي: ٥/ ١٤٥، ومسند أحمد بن حنبل: ٣/ ٦٤،،/ وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: ٢/ ٧٧١، والديباج الوضي:٥/ ٢٢٥١.

(٥) ينظر: السيرة النبوية، (ابن هشام): ٣/ ١٩٤، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٦/ ١٤٨.

الحكم لصُلبِه، ثم أولاد ابنه عبد الملك بن مروان، الذين لقيت منهم الأُمّةُ موتاً أحمرَ(١). ومن دلالة لفظة (الصُّبي) على صِغر السِّنِّ ما ورد في (ك/ ٦٤).

ثانياً: الدلالة على أولاد عقيل بن أبي طالب.

وقد عبّر الإمام (عليه السلام) منهم بلفظة (صِبيانه)، وذلك في سياق كلامه عن إملاق (عقيل) وفقْره.يقول (عليه السلام): ((**وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَماحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ...**))(٢). ولفظ (صبْيانه) - هنا - لا يوحي بصغر سِنِّ أولاد عقيل بحيث انهم بعُمر الفِطامِ كما تذكر المدونات المعجمية التي حددت عمر مَن يطلق عليه لفظ (صَبيٍ) بوقت الولادة وحتى الفِطَام(٣). ورُبماّ أُريد بلفظ (صِبْيانه) في هذا السياق من كان من أولاده غلاماً في عمر المراهقة. ولكنه عبّر عنهم بلفظ (صبْيَان)؛ للدلالة على كثرتهم وشِدّة حاجتهم للزاد، فهم من الشدة في الجوع واضطراب لأحوالهم في العيش ولا يستطيعون تحصيل أقواتهم، لصغر سنهم وضعف حالهم، فكما أنّ (الصّبِيَّ) لا يملك الحصول على طعامه إلاّ بوساطة إرضاع أمّه له، فكذلك هؤلاء لا يقدرون على توفير حاجاتهم من الطعام وغيره لصغرهم.

الطِفْل

الطِفْل الصّغيْر من الأولاد(٤). ويستعمل هذا اللفظ في الناس والدُّوابِ أيضاً(٥)،

(١) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٢٢٥٢.

(٢) نهج البلاغة: خ / ٢٢٤: ٤٣٧.

(٣) ينظر: لسان العرب (صَبا): ١٤ / ٤٤٩.

(٤) ينظر: العين (طفل): ٧٤/ ٤٢٨.

(٥) ينظر: العين (طفل): ٧/ ٤٢٨، وتهذيب للغة (طفل): ١٣٢/ ٢٣٥.

فيقال: أطفلت الظّبية إذا كان معها ولدٌ[١]. ويسمّى الصبِي طِفلًا من حين يسْقط من بطْن أُمِّه إلى أنْ يحْتَلم[٢]. وعلى سبيل التشبيه بالطِّفل في صِغَرِ الحجم وصِغر العمر، قيل للمرأة الناعمة (طَفْلَة)، بالفتح، كأنها تشبه الطفلة في رطوبتها ونعومتها[٣].

وقد استعمل أمير المؤمنين (عليه السلام) لفظة (أَطْفال) بصيغة الجمع على (أَفْعَال) مرتين في نهج البلاغة، في حين جاءت مفردات (الطِفْل)، و(طفلاً) مرة واحدة لكل واحدةٍ منهما[٤]. وذلك للدلالة على الأطفال الصغار الذين لم يبلغوا الحُلم. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق حديثه عن شجاعته وحبِه ورغيته في الموت في سبيل الله، مشبهاً حاله ذلك بأُنْسِ الطِّفل بثدي أُمِّه. يقول الإمام: ((... **وَاللهِ لاَبْنُ أَبي طَالِب آنَسُ بالمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْي أُمِّهِ**...))[٥]. يريد: نفسه التي استعمل لها تعبير(ابن ابي طالب). من جهة الفخار بانتمائه (لأبي طالب) شيخ البطحاء، ولعله إشارة إلى تكراره قول من قال: أنّ ابن أبي طالب جزع من الموت، فسكت عن حقه في الخلافة. فجاء تعبيره المتقدم أعادة لقولهم في نسبته لأبيه. ثم أنه (عليه السلام) استعمل صيغة التفضيل (آنسُ) لبيان شِدّة أُنْسه واطمئنانه بالموت في دفاعه عن الاسلام، فضلاً أنّ هذا البناء يدل على أفضليته من غيره في هذه الخصيصة، وهي سمة الأُنس الرغبة بالموت. هذا من جهة، ومن جهة أخرى الإيماء إلى ما تحمله

(١) ينظر: تهذيب اللغة (طفل): ١٣/ ٢٣٥.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (طفل): ١٣/ ٢٣٥، ولسان العرب (طفل): ١١/ ٤٠٢.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (طفل): ٣/ ٤١٣.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٧٤.

(٥) نهج البلاغة: خ / ٥: ٣٦.

المفردة المتقدمة ببنائها من دلالة على المدح المقرون بالمفاضلة[١] وهذه دلالة أضفاها اللفظ المتقدم على السياق. على الرغم من كونه يتحدث فيه عن أمر لا يرغب فيه أحد الا هو، وهو الموت الذي تفرّ منه الشجعان. ولّما كان التعبير المتقدم يتضمن التفضيل والمفاضلة، فقد اختار الإمام مشهد (الرِّضاع) الذي يَلقْم فيه (الطِّفل) ثَدْي أُمّه مستشعراَ في ذلك الحنان والأمان والراحة المصحوبة بالغذاء، فكما أنّ (الطفل) يرتوي في رضاعه مطمئناً، فكذلك هو (عليه السلام) الذي يأنس برضاع الموت المصحوب برضا الله جل جلاله. وقد أشار بعض شُرّاح النهج إلى أن الإمام فرّق أيضاً في موازنته بين (أُنسه بالموت)، و(استئناس الطفل بثدي أمُه) بين الأنس الطبيعي المعرّض للزوال، وهو أنس الطفل الذي ما يلبث أن يزول حبه لذلك ما إنْ يكبر، وبين أنس الإمام بالموت الذي عدّه ميلاً عقلياً وليس عاطفياً، وهو لازم دائم[٢]. وهذه فكرة لطيفة تعضد معنى النص وتقويه.

وقد وردت الفاظ (طِفلاً)، و (الأطَفْال)، دالة على الأطفال الذين هم في مرحلة الصِّغر، وذلك في (خ/ ٢٧، ١٠٥، ١٥٧).

يتيم

اليتيْمُ هو فاقدُ الأبِ. وهو الذي مات عنه أبوه[٣]. واليتيْم يكون للولد حتّى يبْلغ، فإذا بلغ زال عنه اسم اليُتْم [٤]. وأصل اليُتمِ في اللغة، مأخوذ من الدلالة على الإنفراد[٥]. ويفرّق اللغويون بين اليُتْم في الانسان واليُتْم في البهائم، فيذكرون

(١) ينظر: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم: ٢٣١.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٩١.

(٣) ينظر: العين (يتم): ١٨/ ١٤٠، وتهذيب اللغة (يتمك): ١٤/ ٢٤١.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (يتم): ١٤/ ٢٤١.

(٥) ينظر: لسان العرب (يتم): ١٢/ ٦٤٥، وتاج العروس (يتم): ٣٤/ ١٣٤.

أنّ اليُتْم في الإنسان لا يكون الاّ من قبلِ الأبِ، في حين أنه في البهائم من جهة الأُمِّ. وتجمع هذه المفردة على (أيْتام) و (يتامى)[١].

واستعمل الإمام (عليه السلام) لفظة (أيْتام) بصيغة الجمع مرتين في نهج البلاغة، في حين استعملت لفظتا (اليتامى) و (اليتْم) مرة واحدة لكلٍ منهما[٢] دلّت جميعاً على (الأيتام) الذين فقدوا آباءهم؛ بسبب من الموت أو القتل في الحرب. أقول: لقد استعمل أمير المؤمنين (عليه السلام) مفردة (يَتيم) مجموعة على ضربين من الجمع كلاهما من جمع التكسير، الأول بناء (أَفْعَال) مستعملاً فيه لفظة (أيْتام). والثاني بناء (فَعَالى) الذي صيغت عليه لفظة (يَتَامى) فأمّا (أيْتام) فإنها تدل، بحسب البناء على القلَة من حيث العدد، وأوردها الإمام في وصيتَّه للإمامين الحسَنيْنِ (عليهما السلام) التي يقول فيها: ((**اللهَ اللهَ فِي الأَيْتَامِ، فَلاَ تُغِبُّوا**[٣] **أَفْوَاهَهُمْ، وَلَا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ**))[٤]. والملاحظ أنّه (عليه السلام) يشدد على العناية بالأيتام، وعدم قطيعتهم، وإضاعتهم؛ لأنهم فقدوا مُعِيلهم والقائم على شؤونهم، هو (الأبُ). وأمر (عليه السلام) أن لا ينقطع عنهم الوصْل، مكنياً عن ذلك باستعماله لفظ (الغِبّ)، الذي نهى عنه الإمام، لأنه سبيل إلى تجْويعهم والتقصير بحقهم، و(الغِبُّ) كما يذكر اللغويون هو عدم المداومة على الشيء واتصاله، وهو مأخوذ من (غِبّ الدابّة). أي عدم تواصل رعيها والمداومة عليه، فيجعلوها ترد الماء يوماً وترعى يوماً آخر[٥]. فلهذا

---

(١) ينظر: لسان العرب (يتم): ١٢/ ٦٤٥.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٩٨.

(٣) الغِبُّ، بالكسر، عاقبة الشيء وآخره، والغِبُّ هو أنْ تُرْعَى الدّابّة وماً وتُورَدُ يوماً. ينظر: تاج العروس (غبب): ٣/ ٤٥١.

(٤) نهج البلاغة: ك / ٤٧: ٥٣٨.

(٥) ينظر: تاج العروس (غبب): ٣/ ٤٥١.

نهى الإمام عن إطعام (الأيتام) يوماً وترْكهم يوماً آخر دون الطعام وهو نهي يتضمن عدم جعلهم مثل الدواب في هذا الأمر.

أقول: ولعل توظيف لفظة (أيْتام) بوزن القِلّة في هذا النّص يوحي بالدلالة على قِلّةِ هؤلاء (الأيتام) مقارنة بعَديد الأُمّة وعددها، فإنّهم بإزاء جمهور كبيرٍ من المسلمين فضلاً عن الدلالة على معنى العوز والضعف والحاجة التي تظهر على (الأيتام) الذين انفردوا بهذه الأمور بسبب من يُتْمهم. أقول: إن ما ذهب اليه الدكتور فاضل السامرائي من أن استعمال بناء (أَيْتام) بالجمع على (أفْعَال) يدل على معنى اليتم دون بيان أثره على اليتيم[1]، أمر لا يستقيم مع استعمال الإمام لهذا اللفظ في (نهج البلاغة)؛ لأنّه (عليه السلام) وظّف هذا اللفظ في سياق يدعو إلى العناية بالأيتام والوصية بهم؛ لما يظهر عليهم من مظاهر الحاجة والفقر، وقلة الناصر والمعين، ولاسيّما في الفقراء والمساكين من الأيتام من الذين لا حيلة لهم، بسبب من عدم وجود أحد من أسرهم إلى جنبهم عند فقد آبائهم في صغرهم. ولهذا أمر (عليه السلام) بضرورة مواصلتهم والعناية بهم عند ذاك. ولهذا أمرهم الإمام (عليه السلام): أنْ ((**وَلاَ يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ.**)) مستعملاً خطاب الجمع مع أنّ الوصية كانت للإمامين الحسنين (عليهما السلام). وهما أثنان ولكنه استعمل الفعل المسند إلى (واو الجمع)؛ لارادة العموم الذي يشمل الناس جميعاً. ومنهم أوصياء الأيتام والقائمين على أمورهم بعد آبائهم. فضلاً عن رعاية (الأيتام) فإنهم عِيَال على جميع المسلمين هم كُثْرٌ وأنّ (الأيتام) قِلّة، فلا تضيع القلّة بحضرة الكثْرَةِ.

وخصّ الشارح ابن أبي الحديد لفظة (أيتام) في هذا النص (بالأيتام) الذين مات عنهم آباؤهم، وهم فقراء لا يملكون شيئاً، فلزم مواساتهم ورعايتهم؛

---

(١) ينظر: معاني الابنية: ١٦٤.

لفقدهم الكافل والقائم بنفقتهم[١]، وهم بذلك خلاف (الأيتام) الذين لهم مال في أيدي أوصيائهم، وهؤلاء لا يحتاجون – كما يفهم من كلامه – العناية نفسها التي تقدم للأيتام من الفقراء[٢]. وقد جرى استعمال اللفظة المتقدمة بالصيغة والدلالة نفسها في (خ/ ٤١).

وبالرجوع إلى لفظة (يَتَامى) التي استعملت في نهج البلاغة في موضع واحدٍ، وهو قوله (عليه السلام) في سياق كتابٍ شديد اللهجة لبعض عمّاله الذين خانوا الأمانة: **((أَيُّهَا الْمَعْدُودُ ـ كَانَ ـ عِنْدَنَا مِنْ ذَوِي الأَلْبَابِ، كَيْفَ تُسِيغُ[٣] شَرَاباً وَطَعَاماً، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماً، وَتَشْرَبُ حَرَاماً، وَتَبْتَاعُ الإِمَاءَ وَتَنْكِحُ النِّسَاءَ مِنْ مَالِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ، الَّذِينَ أَفَاءَ[٤] اللهُ عَلَيْهِمْ هٰذِهِ الأَمْوَالَ،...))**[٥].

يَسْتَهل الإمام (عليه السلام) هذا المقطع من كتابه بإلغاء شأن هذا الشخص المخاطب عند الإمام، مستعملاً الفعل الماضي (كان) في جملة اعتراضيه لبيان المُضي والتقادم في انقضاء شأن هذا الرَّجل الذي كان سابقاً من ذوي الألباب عند الإمام. وعلل ذلك بميله إلى استطابة هذا الشخص لأكل المال الحرام كله من أموال اليتامى والمساكين والمؤمنين التي أَفاءَ الله بها عليهم. ولفظة (اليَتامى) في النصّ تفيد الدلالة على الكثرة في العدد، مناسبة لسياق اللوم والتقريع لهذا الشخص الذي خان الأمانة التي قلّده الإمام إيّاها، فضلاً عن خيانته الأمّة جميعاً من خلال الاستيلاء

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٧/ ٨، ٩.

(٢) نفسه.

(٣) سَاغَ الشراب والطعان في الحلْقِ، اذا سَهل مدخله . ينظر: لسان العرب(سوغ): ٨/ ٤٣٥.

(٤) الفَيْءُ الغَنِيْمةُ، ونعْلهُ (أَفَاءَ). ينظر: العين (أفي): ٨/ ٤٠٧.

(٥) نهج البلاغة: ك / ٤١: ٥٢٥.

على الأموال والتصرُّف بها بغير حقٍّ. وهذا المعنى يستحق أن تُوظف له المفردات الدّالة على كثْرة من أُخذ حقهم؛ من الرعية وفداحة فتبدو وشناعة هذه الفعلة خطبها. ولهذا انتظمت مفردة (اليَتامى) مع ألفاظ أخرى بصيغة الجمع، وهي (المسَاكين، والمؤمنين، والمجاهدين) وكلها بلفظ الجمع للإيحاء بكثرة هؤلاء الذين سُلبت أموالهم فضلاً عن بيان ضعف حالهم وعدم ترفهم.

أمّا لفظة (يَتَامى)، فوزنها (فَعَالى)، وهذا البناء من أبنية الجمع الدالة على الكثرة؛ ويغلب عليه الاستعمال فيما كان دالاًّ على آفة أو هلاك أَوْ نَقْصٍ أو وَجَع[١]. وهذِهِ كلها من المُبْتلَيَات التي يَبْتلي بها الانسان. وقد نقل سيبويه كلاماً للخليل بن أحمد في شأن هذا البناء من أبنية الجمع، مع بناء آخر يتَّفق معه في الدلالة، وهو (فَعْلى) يقول سيبويه: ((وقال الخليل: إنّما قَالوا مَرْضَى وهَلْكى ومَوْتَى، وجَرْبَى، وأَشباهُ ذلك؛ لأنَّ ذلك أمرٌ يُبْتلوْنَ به. وأُدْخلُوا فيه وهم له كارهون... وقالوا رَجُل وَجَعٌ، وقَوْمٌ وَجْعَى، كما قالوا: هَلْكَى... وَرَجُل سكْران وقَوْم سَكرى، وذلك لأنهم جعلوه كالمَرْضى... وقد جاء منه شيء كثير على فَعَالَى. قالوا يَتَامَى وأيَامى، شَبَّهُوه بوجَاعَى، وحَباطَى؛ لأنّها مَصائِبٌ قد أبلتوا بها، فشبِّهتْ بالاوْجَاعِ حين حين جاءت على (فَعْلَى))[٢]. والنحويون متفقون على هذا الوجه من اختصاص صيغة (فَعالى) بهذه الدلالة وغلبتها عليه[٣].

أقول: ويمكن أنْ نفهم من استعمال الإمام (عليه السلام) لمفردة (يَتَامَى) في السياق المتقدم الدلالة على تشنيع فِعْلَة الآكل لأموال اليتامى وغيرهم من الأصناف الذين

(١) ينظر: معاني الأبنية: ١٠٦.

(٢) كتاب سيبويه: ٣/ ٦٤٨ – ٦٥٠، وينظر معاني الأبنية: ١٦٠، ١٦١.

(٣) ينظر: المقتضب: ٢/ ٢١٩، وشرح المفصل، لابن يعيش: ٥/ ٥١، ٨١، ٨٥، ومعاني الأبنية: ١٦٣.

ينظر: المقتضب: ٢/ ٢١٩، وشرح المفصل، لابن يعيش: ٥/ ٥١، ٨١، ٨٥، ومعاني الأبنية: ١٦٣.

ذكرهم الإمام (عليه السلام) في النّص، فهؤلاء اليتامى مُستضعفون من أثَر اليُتم عليهم، حتى صار اليتم فيهم بليّة، أو كالبِليَّة التي ابتلوا بها، مما أثقل كاهلهم وأضرَّ بهم، فكيف يسوغ حينئذ أكل اموالهم ظلماً وكيف تطيب نفسك أيها الآكلُ لهذه الأموال وبهذا صارت مفردة (يَتامى) أليق بالمقام من كلمة (أيْتام)، لأنَّ فيها من الإيحاء والدلالة على الخضوع والإذلال ما ليس في (أيْتام) التي تدل على اليتْم من دون بيان أثره على اليتيم[١]. ولهذا قال تعالى في كتابه الكريم في سياق التحذير من أكل مال اليتيم، وعاقبة ذلك: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**﴾[٢] فاستعمل الذكر الحكيم لفظة (اليَتامى) بوزن (فَعَالى) ولم يأت بلفظ (أيْتام)؛ لأنَّ الأولى أنْسب للسياق الذي يُحذّر فيه الله تبارك وتعالى من أكل مالِ اليتيم، فتكون (يَتامى) أدلُّ على بيان حال هؤلاء الذين نزلت بهم نازلة فقد الأب، فأصبحوا ضعافاً أذلة مهضومين.

وقد أشار الزمخشري من المفسرين إلى دلالة جمع (يتامَى) على (فَعَالَى)، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا**﴾[٣]. ((فإنْ قلت كيف جمع اليتيم، وهو (فَعِيْل) كَمريض على يَتامى ؟.قُلْتُ:... أنْ يُجمع على يتْمَى كأسْرى[٤]؛ لأنَّ اليتْمَ

(١) اقتبست هذا التحليل بتصرف من تعليق الدكتور فاضل السَّامرّائي على قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا**﴾ ينظر: معاني الأبنية: ١٦٤.

(٢) النساء / ١٠.

(٣) النساء / ٢.

(٤) يقصد: أنّ اللفظ لمّا كان من مجال الآفات والأوجاع، فأنّه استحق أنْ يجمع على (فَعْلَى) الذي يُفيْدُ الدلالة على تلك التوازل، ومن ثمّ يجوز أنْ يجمع على (فَعَالَى) التي تدل على هذهِ الأمور أيضاً.

من وادي الآفات والأوجاع، ثم يجمع على فَعَالَى كأُسَارى...))[١]. أقول: وقد استحقّ لفظ (يَتامى) أن يضمنه الإمام في كلامه السالف الذكر؛ لأنه مناسب للسياق الذي يتحدث فيه، علاوة على أنّه (عليه السلام) لم يكن ليفارق – في نظم كلامه – التعبير القرآني في دِقّة استعمال المفردات والأبنية التي تصاغ عليها الكلمات؛ فكأنه (عليه السلام) قَصَد بالجمع بين لفظ (اليَتامى) و (المَسَاكِين) الإشارة إلى شِدّة ما يعانيه هؤلاء من اليتم والمسكنة؛ بسبب من إصابتهم بهذه الأمور. ولا يخفى على اللَّبيْب ما تفيده لفظة (مَسَاكين) من إيحاء بالضعف وعدم القدرة في تحصيل القوت، حتّى ذكر أنّ (المسكين) إنما سُمِّي بذلك؛ لأنّ الفقْرَ أَسكنهُ[٢] وأنهكه. فجاء ذلك معضداً لمفردة (يَتامى) التي أضفت على السياق المعاني التي تقدم ذكرها. وقد استعمل (عليه السلام) لفظة (اليُتْم) بالدلالة المتقدمة نفسها في (ك / ٣٥).

ذوي الرِّقة في السِّن

الرِّقّة ضد الغلظ[٣]. والرّقق الضُّعْف، ورجل رقق. فيه ضَعْف [٤]. والرقق ضَعْفُ العظام[٥]، العرب تقول لمن كَبرُ وأَسَنَّ رَقّقْ عظامه[٦]. والسِّنُّ واحدة الأسْنانِ، وهي الضِّرْس[٧]. والسِّنُّ العُمُر[٨] وأَسَنَّ الرَّجُل، أي كَبُرت سِنُّه[٩].

(١) الكشاف: ١/ ٤٩٤، ومعاني الأبنية: ١٦٤.

(٢) ينظر: الكشاف: ١/ ٣٥٣.

(٣) ينظر: لسان العرب (رقق): ١٠/ ١٢١.

(٤) نفسه: ١٠/ ١٢٢.

(٥) نفسه

(٦) نفسه.

(٧) ينظر: المحكم (سنن): ٨ / ٤١٥.

(٨) نفسه

(٩) نفسه

واستعمل الإمام تعبير (ذوي الرِّقة في السِّنِّ) مرة واحدة[١] في نهج البلاغة، للدلالة على كبار السن والعمر من ضعاف البَدَن. يقول (عليه السلام) في سياق الوصية (لمالك الأشتر) بهذه الطبقة من الناس: ((**وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُتْمِ وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ مِمَّنْ لاَ حِيلَةَ لَهُ، وَلاَ يَنْصِبُ...**))[٢]. و(ذوو الرِّقةِ في السِّنِّ) هم الذي بلغوا من الكَبرِ عِتيّاً، فأرْهقتْهمُ الشيخوخة إلى أنْ رَقَّ جلْدهُمُ، وضعف حالهم حتى صار يَرِقُّ لهم كل من رآهم[٣]. ولهذا أمر (عليه السلام) بتَعُهُدِّهم ورِعايتهم، لحاجتهم إلى مَنْ يتولاهم ويقوم بشؤونهم.

أقول: ويحتمل أنْ يكون المراد بـ(ذوو الرِّقةِ في السِّنِّ) الأطفال الصّغار في السِّنِّ، وهم رقيْقُو الجلْد الذين لم يبْلغوا الحُلم؛ ليكونوا أهلا لإقامة أَود أنفْسهم، وذلك من توفير لوازم العيش الكريم لهم ولأهلهم، فضلاً عن تهيئة المجالات الدراسة لهم أيضاً.

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٢٦.

(٢) نهج البلاغة: ك/ ٥٣: ٥٦١.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٣٥٢، والديباج الوضي: ٥/ ٢٥٧٤.

المبحث العاشر
طبقة العلماء والفقهاء والحكماء

عالم

العِلم نقيض الجهل[١]. والعَالم والعَليْم والعَلّام الله تبارك وتعالى[٢]. والعَالم هو الذي طال تعَلّمه ومزاولته لضروب العلوم المختلفة [٣]. وجمع (عَالم) عُلماء. وقد سوّغ اللغويون ذلك بأنّه لّما كان الوصْف بـ(العِلْم) يكون بعد المزاولة له وطول الملابسة، صار كأنه غريزة في (العَالم)، فكسرّوه على (فعُلاء)؛ لأنّ (فَاعِلاً) خرج لمعنى (فَعيل) بحسب ما يرون[٤]. كأنما الوصْف بـ(فَاعِل) أشبه الوصف بـ(فَعِيل) في ذلك[٥].

وقد وردت لفظة (عَالِم) بصيغة (فَاعِل) ثمان عشرة مرة في نهج البلاغة، تسع منها محلاة بـ(ال)، وأربعة مجردة منها. وثنتان مضافة إلى كاف الخطاب لجماعة الذكور (عالِكُم)، وثنتان أخريان أضيفت اللفظة فيهما إلى ضمير الغائبين (عالِمهم)، وواحدة مضافة إلى ضمير الغائبة المؤنثة. في حين وردت لفظة (العُلماء) بصيغة الجمع على (فُعَلاَء) خمس مرات[٦]. أمّا مفردتا (مُتَعَلّم، ومُعَلِّم)، فقد

(١) ينظر: العين (علم): ٢/ ١٥٢، وتهذيب اللغة (علم): ٢/ ٢٥٤.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (علم): ٢/ ٢٥٣.

(٣) ينظر: لسان العرب (علم): ١٢/ ٤١٧.

(٤) ينظر: كتاب سيبويه: ٣/ ٦٣٢، والخصائص، لأبن جني: ١/ ٣٨١، ولسان العرب (علم): ١٢/ ٤١٧.

(٥) ينظر: كتاب سيبويه: ٣/ ٦٣٢.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣١٧، ٣١٨.

جاءت الأولى منها ثلاث مرات، والثانية مرة واحدة[١]. للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على العارفين لله تبارك وتعالى وإحكام دينه

وهذه الدلالة شائعة في (نهج البلاغة) نظراً لعناية الإمام بهذا الصنّف من العلوم التي تعدّ أساساً لعمل الإنسان المسلم ومراعاته الإحكام الشريعة بعد معرفته لله جل جلاله. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق وصف المتقين: ((**وَأَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ...**))[٢]. والإمام يبين حال هؤلاء المتقين من خلال تقسيم أوقاتهم على طرفي اليوم، فهم في النّهار حُلَماء عن الغضب مبتعدون عن المعاصي والآثام، لا يهينون أنفسهم بغلبة الهوى عليهم، ولا يفرّطون بها عن طريق تركها لِسورة الغضب[٣]. أما كونهم (عُلَماء)، فالمراد به معرفتهم بالخالق الصّانع وصفاته، فضلاً عن بيان مكانتهم العلمية ومقدرتهم في المعرفة بالعلم الشّرعي، والتكاليف المتعلقة به[٤]. ولهذا جعل الإمام (عليه السلام) هذا النوع من (العلماء) في صدارة أصناف الناس في قوله: ((**النَّاسُ ثَلاَثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاة...**))[٥] فأضاف إلى لفظة (عَالِم) كلمة (ربَّاني). كأنّه ينسب هذا النوع من العلماء إلى الرَّب الخالق جل جلاله؛ للدلالة على شدة ارتباط هؤلاء بالله تبارك وتعالى فضلاً عن اختصاصهم بالمعارف الإلهية والصفات الخاصة بالله جل جلاله، في إشارة إلى أنّ هذا الصنّف من العلماء، لهم منزلة في العلم ما لا ينالها أو يصل إليها إلاّ (الرَّبانيون) من الناس الذين عرفوا الله حق معرفته.

---

(١) نفسه: ٣١٨.

(٢) نهج البلاغة: خ / ١٩٣: ٣٨٢.

(٣) ينظر: منهاج البراعة: ١٢ / ١١٥، ١١٦.

(٤) نفسه.

(٥) نهج البلاغة: قصا / ١٤٧: ٦٢٩

وفي صدارة هؤلاء أهل البيت (عليهم السلام) ومن قبلهم النبُّي الأكرم (صلى الله عليه وآله) والإمام علي (عليه السلام) الذي وصف نفسه بـ (الرُّبَّاني) في قوله الذي يرشد فيه إلى سماعه وفهم كلامه: ((...، **فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ، وَأَحْضِرُوهُ قُلُوبَكُمْ، واسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ**...))(١). و(الرَّبّاني) المنسوب إلى الله، العارف به. وهو العالم الراسخ في العلم والدين العامل بهما. بل هو المتألّه العارف بالله تبارك وتعالى(٢).

وقد وضع الإمام (عليه السلام) شرطاً يكون به (العالم) (عالماً) حقيقياً. وذلك بعد شرط معرفة الله تبارك وتعالى. وهو معرفة العالم قدر نفسه، فقال في بيان صفات (العَالِم): ((**الْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ، وَكَفَى بِالْمَرءِ جَهْلاً أَلاَّ يَعْرِفَ قَدْرَهُ**))(٣). وقد حصر الإمام صفة (العالم) فيمن يعرف قدره. يريد بذلك معرفته عارفاً حجم نفسه وقيمته إزاء هذه المخلوقات التي خلقها الله جل جلاله(٤). فضلًا عن معرفته بقدر علمه وسعته ولهذا ذم الإمام من لا يعرف هذين الأمرين في نفسه، فيكون الإمام قد أخرج بالقيد المتقدم من صفة (العلماء) (المنافق) الذي يجهل نفسه؛ فهذا النمط من الناس ليس له من (العلم) ألاّ (علم اللّسان). بحسب قول الإمام الذي ينقل عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: ((... ولقد قال لي رسول الله (إلى الله عليه وآله وسلم): ((**إِنِّي لاَ أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِناً وَلاَ مُشْرِكاً، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ**

(١) نهج البلاغة: خ/ ١٠٨: ١٩٧.

(٢) ينظر: لسان العرب (ربب): ١/ ٤٠٤. وقد دعا الله جل جلاله إلى أن يكون الناس بهذه المنزلة من العلم به. فقال: ﴿ **مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ** ﴾ استئثاره (جل جلاله) بعلم الغيب، إذ يقول: ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ** ﴾ آل عمران/ ٧٩.

(٣) نهج البلاغة: خ/ : ١٠٣: ١٨٧.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٤٩٧.

اللهُ بِإِيمَانِهِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللهُ بِشِرْكِهِ،لكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مَنَافِقِ الْجُنَانِ[1]**، عَالِمِ اللِّسَانِ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ،وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ**))[2].

وقد ورد استعمال لفظة (عالم) باشتقاقات متعددة في (نهج البلاغة) بالدلالة المتقدمة، وذلك في (خ/ ٢، ٣، ٣٥، ٦٩، ١٢٥، ١٩٣، ١٩٨، ك/ ٤٧، ٥٥، قصا / ١٤٧، ٢٣٣، ٢٨٣).

ثانياً: العَالِم هو الله تبارك وتعالى:

وقد كثرت هذه الدلالة في كلام الإمام (عليه السلام) في غير موضع من (نهج البلاغة). ومن ذلك قوله في سياق حمد الله والثناء عليه: ((**نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى، وَعَلَى مَا أَبْلَى وَابْتَلَى... الْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ، وَمَا تَخُونُ الْعُيُونُ...**))[3]. والعالم هو الله تبارك وتعالى. وقد وصف نفسه بذلك في العديد من المواضع في القرآن الكريم. وقرن ذلك جميعاً بـ(عالم الغَيب) إشارة إلى استئثاره (جل جلاله) بعلم الغيب، إذ يقول: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ**﴾[4]. وقد وظّف الإمام لفظة (عَالِم) إينما ورد مدحه لله جل جلاله. وذلك في (خ/ ٣٥، ٦٥، ٩١، ١٥٢، ١٩٢، ٢١٣).

ثالثاً: الدلالة على المعلم المصلح المؤدِّب، والمتعَلِّم.

وقد جمع الإمام بين لفظة (مُعَلِّم)، و (متعَلِّم) في سياق الحثّ على الخُلق الحسن. وذلك في قوله (عليه السلام): ((**مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأَ**

(١) الجنان القلب، وروعه. ينظر: المحكم (جنن): ٧/ ٢١٢.

(٢) نهج البلاغة: ك / ٢٧: ٤٨٧. والحديث مروي عن الإمام علي (عليه السلام) في كتب الحديث النبوي. ينظر: المعجم الصغير (الروض الداني): ٢/ ٢٠٠، والمعجم الأوسط: ٧/ ١٢٨.

(٣) نهج البلاغة: خ / ١٣٢: ٢٣٩.

(٤) الرعد/ ٩. وينظر: التوبة/ ١٠٥، المؤمنون/ ٩٢، السجدة/ ٦، سبأ/ ٣، فاطر/ ٣٨، الزمر/ ٤٦، الحشر/ ٢٢، الجمعة/ ٨، التغابن/ ١٨، الجن/ ٢٦.

بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ، وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ، وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلاَلِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ))[١]. يتحدث الإمام في هذا النص عن الزَّعامة وزعامة الأمة وقيادتها. إذ شرط لها شرط (تعليم النفس) لمن يدعي منصب الإمامة في الناس. كأنّه يشير إلى أنّ منزلة (الخُلُق والأدب) من أولى الشرائط المشترطة في هذا المنصب وغيره. ويتضمن كلامه (عليه السلام) إشارة إلى (العالم) غير العامل بعلمه، والمؤدِّب الذي ينصح الناس ويرشدهم ولكنّه مجافٍ لهذه التعاليم والقيم الخلقية التي يدعو إليها. كما أرشد الإمام إلى ضرورة أن يكون التعليم والتأديب بالأفعال الحسنة والسيرة المحمودة أكثر من الأقوال. لما للتأديب بالسّيرة من أثر بالغ في تأديب النفوس وإعظام فضائلها وإجلالها. ولم يقتصر الإمام على بيان خصال (التأديب) وتعليم الاخلاق، وإنما أبان عن آداب (المتعلّم) الذي يسعى إلى طلب (العلم) والمعارف سواء أكانت علمية أم أخلاقية. فقال لسائل سأله عن معضلة يُعَلِّمه طريقة السؤال: ((**سَلْ تَفَقُّهاً وَلاَ تَسْأَلْ تَعَنُّتاً**[٢]، **فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْمُتَعَلِّمَ شَبِيهٌ بِالْعَالِمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ الْمُتَعَسِّفَ**[٣] **شَبِيهٌ بِالْجَاهِلِ الْمُتَعَنِّتِ.**))[٤]. يريد (عليه السلام) أنّ علامة السائل الراغب بالتعلّم هي الإقبال على من يسأله؛ رغبة وطلبا واحتذاء لسمْت المتعلمين، بحيث يكون هذا (المتعلم) بعيداً عن الغلظة والشِّدة في السؤال. فالواجب عليه أن تكون غايته من السؤال المعرفة والتفقه في ما يسأل عنه، لا أن يكون غرضه تبكيت (المسؤول)، وتعجيزه. وفي مقام التعريض بهذا النوع من (السّائلين)، شّبه الإمام (الجاهل المتعلّم) الذي

(١) نهج البلاغة: قصا / ٧٣: ٦١١.

(٢) العَنَت المشقة والشّدة والغلظ والخطأ. ينظر: لسان العرب (عنت): ٢/ ٦١.

(٣) العُسف والتعسف السير بغير هداية ولا توخي صواب. ينظر: لسان العرب (عسف): ٩/ ٢٤٥.

(٤) نهج البلاغة: قصا / ٣٢٠: ٦٦٦.

يسأل سؤال الطالبين للعلم والمعرفة دون عُسْف وخيلاء (بالعَالِم)، من جهة التواضع والأدب العالي الرفيع الذي يتحلّى به العلماء، فضلاً عن مجانبة السائل لمنهج امتحان المسؤول بسؤاله. في حين أنّه شبه (العالم المتعسّف) في علمه وسؤاله (بالجاهل المتعنّت)؛ لأنّ (الجاهل) لا يضع سؤاله في موضعه[١]، وذلك بسبب من قلة عمله وتخبطه وجهالته.

الفَقيه

الفِقْه العِلْم بالشيء والفهم له[٢]. وقد غلب هذا المصطلح على علم الدين، بسبب من سيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم[٣]. ومن هذا الوجه ذكر اللغويون في بيانهم الدلالة المعجميّة للفظة (الفِقْه) أنها العلم بالدّيْن[٤].

وقد وردت لفظة (الفقيه) مرتين في نهج البلاغة، ولفظة (الفقهاء) بالجمع مرة واحدة، وجاء مثلها في العدد ألفاظ (يفْقَهُ) و (يُفقِّه، ويَتَفَقَّهُون، وتَفَقّه، وتفقّهوا، وتفَقُّهاً، والفِقْه)[٥].

وقد جاءت هذه الألفاظ بالدلالات الآتية:

أولاً: الدلالة على العلم بالقرآن الكريم وأمور الدين وما يتعلق بها.

وهذا المعنى شائع في نهج أمير المؤمنين (عليه السلام) ومنه قوله في سياق حثّه على تعلّم والتّفقُهِ فيه: ((**وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآن فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ**

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٧٧.

(٢) ينظر: لسان العرب (فقه): ١٣/ ٥٢٢.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: العين (فلقه): ٣/ ٣٧٠،و تهذيب اللغة (فقه): ٥/ ٢٦٣.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٥٥.

الْقُلُوبِ...))[١]. والتفقه في القرآن تمام لمسألة المتكلم (تَعَلّم القرآن الكريم)؛ لأنّ تعلّمه يعني سَبْر أغواره والتّبحرِّ فيه وتعلّم دلالاته ومعاني كلماته ويتعلق به من علوم من (محكم ومتشابه)، و(ناسخ ومنسوخ) وغيرها من علوم القرآن الكريم، حتى يصل المتعلم إلى مرحلة (التُّفقّهِ)، وهي كما يبدو من السياق - أعلى من مرتبة (التَّعَلُّمِ) الخاص بالقرآن الكريم. ومثل هذه الدلالة ما ورد في: (خ / ١٦٦، ك / ٣١، قصا / ٣٢٠، ٤٤٧)

ثانياً: الدلالة على الفقهاء من علماء الدين

وقد استعمل الإمام لهذا المعنى لفظتي (الفَقِيه) بصيغة المفرد، و(الفُقَهاء) بصيغة الجمع؛ للدلالة على العلماء بالفقه الذين يبحثون في الأحكام الشريعة ويستنبطونها من مصادرها الخاصة. وفي طليعة هذه المصادر (القرآن الكريم، وسنَّة المعصومين (عليهم السلام). وللإمام (عليه السلام) شُرْطٌ في (الفَقيْه)، ولعل ذلك يمثل مقدمة المقدمات التي يشترط توافرها في الشخص حتى يصير (فقيهاً). إذ يقول (عليه السلام): ((**الْفَقِيهُ كُلُّ الْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَلَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَلَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللهِ**))[٢]. والفقيه - هنا - هو العالم بالفقه، ومعنى قوله(كُل الفقِيْه) للدلالة على كمال الفقه عنده[٣]. وذلك أنّ من فقه في القرآن الكريم، كان غرضه الاول أن يجذب الناس إلى الله سبحانه وتعالى بسبلٍ علمية، عن طريق الترغيب والترهيب، وليس له أنْ يقنِّط الناس من رحمة الله تعالى ويلزمهم اليأس، كما أنه ليس له أنْ يؤيسهم من (رَوْح اللهّ)؛ لأنّ الله تبارك وتعالى يقول في كتابه المجيد: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ**

(١) نهج البلاغة: خ/ ١١٠: ٢٠٥.

(٢) نهج البلاغة: قصا / ٩٠: ٦١٥.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤١٧.

الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[١] ويقول أيضاً: **﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ الله إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ الله إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾**[٢]. وغير ذلك من الآيات التي تُشعر العبْد بأنّ الله غفور رحيم.

وقد ركز الإمام (عليه السلام) على مسألة عدم تقنيط الناس من رحمة الله، وعدم إشعارهم باليأس من رَوْحه اله، فأردف هاتين العبارتين الواحدة تِلو الأخرى، وذلك راجع فيما أحسب إلى العناية بهما، فضلاً عن أنَّ الرّحمة وعدم اليأس من الله تبارك وتعالى مقدّمة على عقابه وعذابه، ولهذا استعمل القرآن الكريم لفظ (رَوْح) - بالفتح - إشارة إلى فرج الله وتَنفيسه عن النّاس[٣]. وجاء استعمال القرآن الكريم لمفردة (رَوْحاً)؛ لأنّه الرُّوح والرَّاحة والرَّحمة كما يذكر اللغويون في بيانهم دلالة اللفظة القرآنية المتقدمة[٤].

القُضَاة

القاضي في اللغة القاطِع للأمور المحكم لها[٥]. وهذا المعنى مأخوذ من القطع والفَصْل. والقضاء هو القطع والفصل[٦].

وقد استعملت لفظة (القضاة) بصيغة الجمع على (فُعَال) ثلاث مرات في نهج البلاغة، في حين جاءت بصيغة المفرد المنصوب (قاضياً) مرتين فقط[٧]، وذلك

(١) الزمر / ٥٣.

(٢) يوسف / ٨٧.

(٣) ينظر: الكشاف: ٢/ ٤٧١.

(٤) ينظر: لسان العرب (روح): ٢/ ٤٦٠.

(٥) نفسه: (قضي): ١٥/ ١٨٦.

(٦) نفسه.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ٣٧٥.

للدلالة على القضاة، وهم الحكام الذين يمتهنون الحكم والفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في تقسيم الرعية على طبقات: ((**وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لاَ يَصْلُحُ بَعْضُهَا إلاَّ بِبَعْض، وَلاَ غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْض: فَمِنْهَا جُنُودُ اللهِ،مِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ...**))[١]. وقد أضاف (عليه السلام) في قوله مفردة (القضاة) إلى كلمة (العَدْل) تخصيصاً لهم؛ لأن من أهم خصائص (القاضي) (العدالة) في الحكم، وعدم أتباع الهوى في قضائه[٢]. ولهذا جاءت الاضافة المتقدمة تأكيداً على لزوم هذه الصفة للقضاة. فينبغي على من يتولى القضاة أن يتمثل العَدْل كله. ويفهم من التركيب المتقدم إشارة الإمام إلى نقيض (قضاة العَدْل) وهم قضاة الظلم والجور من الذين يحكمون بما لم ينزل الله تبارك وتعالى، ولاسيما أولئك القضاة الذين يسخرهم الحكام للقضاء على أعدائهم ومناوئيهم. فهؤلاء من صنف قُضاة الجور الذين يشملهم قوله تبارك وتعالى: ﴿... **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[٣]. وقد جاءت لفظة (قاضياً) و (قضاة) بالدلالة المتقدمة نفسها في (خ/ ١٧، ١٨، ك/ ٥٣، قصا/ ٢٨٩).

ترْجمان

التُّرْجُمان – بضم الجيم وفتحها – المُفسِّر للسان[٤]. وهو الذي يُترجم الكلام.

(١) نهج البلاغة: ك/ ٥٣: ٥٥٠.

(٢) وقد ورد في الاخبار عن الإمام علي أنّ القضاة: ((ثلاثة: فقاضيان في النار، وقاضٍ في الجنة. وأما اللّذان في النار، فرجل عرف الحق فجار فهو في النار، وقاضٍ قضى فأخطأ فهو في النار. وقاضٍ قضى فأصاب، فهو في الجنة)) أخبار القضاة، لوكيع القاضي: ١/ ٥.

(٣) المائدة/ ٤٥.

(٤) ينظر: المحكم (رجم): ٧/ ٤٢١، و (تَرْجم): ٧/ ٥٩٣، ولسان العرب (ترجم): ١٢/ ٦٦.

وينقله من لغة إلى لغة أخرى[١]. والجمع تَرَاجم[٢]. وتجيء هذه المفردة في اللغة مضبوطة بضم التاء وفتحها، وقد استعمل الإمام مفردة (تَرْجمان) مرتين في نهج البلاغة، في حين جاءت مفردة (تَراجِمة) بصيغة الجمع مرة واحدة فحسب[٣] وفتحيها، فمن ضمّها جاء بها على وزن (فُعْلاُن)، فيقال: تُرْجُمان، والاّ فهي بفتح التاء (تَرْجُمان)[٤]. للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على العارفين بالقرآن الكريم، وتفسيره

وجاءت هذه الدلالة في سياق كلام الإمام (عليه السلام) عن (التحّكيم) وما جرى من أمر (الحَكَمَيْن). إذ يقول: ((**إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ، وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ. وهـذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ[٥]، لَا يَنْطِقُ بِلِسَان، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَان...**))[٦]. يريد أنّ الرّكون إلى (التحكيم) في وقعة (صفِّينْ) لم يكن لأجل تحكيم الرّجال والرغبة في الأخذ بآرائهم وأقوالهم التي نزعوا اليها، وإنما (المحُكَّم) هو القرآن الكريم. ثم يشير إلى أنّ القرآن الذي بين الدَّفَّتَيْن هو قرآن صَامت لا ينْطق بلسان. فلابُدَّ له من ترْجمان عارفٍ بأصوله وأحكامه. فاستعمل الإمام مفردة (تَرْجمان) للدلالة على العارفين بتلك الأحكام، القادرين على تفسيره. يومىء بذلك إلى أهل البيت (عليهم السلام) الذين هم عِدْل القرآن وتَرْجمانه. فضلاً عن أنّ النَّص يشتمل على التَّعْريض والذَّمّ (بالحَكَميْن). يدل على ذلك قوله في السياق

---

(١) ينظر: لسان العرب (ترجم): ١٢/ ٦٦.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: الخصائص: ٣/ ١٩٣، والمحكم (ترجم): ٧/ ٥٩٣.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٧١.

(٥) أصل الدّفّة الجنْب من كل شيءِ. ودَفّتا المصْحَف ضُمامَتاه من جانبيه. ينظر: العين (دفق): ٨/ ١١.

(٦) نهج البلاغة: خ/ ١٢٥: ٢٢٩، ٢٣٠.

نفسه: ((**وَلَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّيَ عَنْ كِتَابِ اللهِ، وقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿... فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ...﴾**[1]**، فَرَدُّهُ إِلَى اللهِ أنْ نحْكُمُ بكتابه، وَرَدُّه إلى الرَّسوْلِ أنْ نأخُذ بسُنتِهِ، فإذا حُكِمَ بالصِّدْقِ في كتابِ اللهِ فنَحَنْ أحقُّ به، وإن حُكمَ بسُنَّةِ رسُول اللهِ (ﷺ)، فنحن أحقُّ الناسِ وأوْلاَدهُم بها**))[2].

ثانياً: الدلالة على الأدْعياء الذين يُتَرجمون كلام إبليس وينقلونها إلى جانب الفعل والتّصرّف.

(تَراجمة) بصيغة الجمع؛ ملاحظة لمقام الذَمِّ الذي وردت فيه هذه الكلمة - كما يبدو-، وذلك في سياق نهيه عن طاعة (الأدْعياء) الذين اتخذهم إبليس مطايا ضلال له. يقول الإمام: ((**فَاتَّقُوا اللهَ وَلاَ تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَاداً، وَلاَ لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَّاداً، وَلاَ تُطِيعُوا الأدْعِيَاءَ**[3] **الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ، وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ، وَهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ، وَأَحْلاَسُ الْعُقُوقِ، اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلاَل، وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ، وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ...**))[4]. وحدد الإمام في هذا النص وظيفة هؤلاء (الأدْعياء) عند إبليس بثلاثة واجبات؛ الأول أنهم مطايا ضلال له، بحيث يمكن أن يكونوا دواباً للظلم والطغيان يرْتقيها الظلمة وأصحاب الطُّغيان وغيرهم. والثاني اتخاذهم جنداً يصول بهم على النّاس لايذائهم وتشريدهم، وقتلهم؛ لما في نفوس هؤلاء من استعداد للايذاء والقتل، وأمّا الثالث، فكونهم ترجمة ينطقون بكلام إبليس

---

(١) النساء / ٥٩.

(٢) نهج البلاغة: خ / ١٢٥: ٢٣٠.

(٣) الأدعياء هم المنسبون إلى غير آبائهم، أو الذي يدّعيه غير أبيه. ينظر: العين (دعي): ٢/ ٢٢١.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ١٩٢: ٣٦٥.

على ألْسنتهم، ويبدو اختيار الإمام لمفردة (تَراجِمة) في هذا السياق دون غيرها من الالفاظ إنما جاء لما تحمله المفردة من إيحاء دلالي، فكما يتقيّد المترجم بكلام المُتكلم الذي لا يعرف الناس لغته، فكذلك هؤلاء، فأنهم خير عَوْن لإبليس في أقواله وأفعاله التي جرتْ على ألْسنتهم وأيْديهم. وذكر بعض الشُّرّاح أن تكون مفردة (تراجمة) مستعارة (للأدعياء)، باعتبار نُطقْهم بما يريد إبليس من الوساوس للنّاس. فأشْبهوا التَّراجمة من هذا الجانب[١].

ثالثاً: الدلالة على الرِّسُول الذي يبعثه الناس إلى غيرهم.

وقد جعله الإمام بمنزلة التَّرجمان الذي ينقل أفكار الإنسان إلى المرْسَل إليه. وجاء ذلك في سياق بيان خِصال (الرَسُول) وقيْمة (الكتاب) الذي يبعث مع ذلك الرسول. يقول (عليه السلام): ((**رَسُولُكَ تَرْجُمَانُ عَقْلِكَ، وَكِتَابُكَ أَبْلَغُ مَا يَنْطِقُ عَنْكَ**))[٢]. فالرُّسول - ههنا - هو المبْعُوث الذي يحمل أفكار من بعثه مُرْفقا معه كتابه. فكأنه الترّجُمان الذي يُفسِّر للمُرْسَل إليه غرض المُرسِل وأفكاره التي يُفصِّلها في الكتاب. فاستعار الإمام لفظ (تَرْجُمان) للعقل باعتباره يُنّبىءُ عنه، ويفسّر ما يدور فيه من أفكار. ويفهم من النّص أنّ على الإنسان أنْ يجتهد في اختيار رسوله الذي لابُدَّ فيه من جودة التمييز والذكاء، فضلاً عن الفِطْنة والكياسة؛ لأنّه بمنزلة المفسّر للعقل، والمعَبّر عنه[٣].

الحُكَماء

الحُكَماءُ جمع حَكيم، وهو المُتْقنُ للأمور من حيث العَدْل والعِلم والحِلم[٤].

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ١٥٦.

(٢) نهج البلاغة: قصا / ٣٠١: ٦٦٣.

(٣) ينظر: الديباج الوضي: ٦/ ٢٩٥٤.

(٤) ينظر: العين (حكم): ٣/ ٦٦، ولسان العرب (حكم): ١٢/ ١٤٣.

يقال: أحكمته التجارب، إذا كان حكيماً[١].

وقد وردت مفردة (حكماء) مرتين في نهج البلاغة[٢]. للدلالة على الحكماء المتقنين للأمور المعروفين بالعَدْل، والعِلم والمشورة الصّالحة في تثبيت الأمور. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق نصيحته لمالكٍ الأشتر: ((وأكثر من مُدارَسه[٣] العُلماء، ومناقشة[٤] الحكماء، في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك))[٥]. واستهلَّ الإمام وصيَّته بالإكثار من مدارسه العلماء، ومناقشة الحكماء. ومدارسه العلماء التلمذه عليهم بإحكام الشريعة، وقوانين الدِّين التي تنفع الدّارس نفسه، ومن ثمّ الأُمّة التي يحكمها بما ينبغي عليه الإفادة من هذه المدراسة؛ لتوظيف ما تعلّمه وحفظه من احكام في خدمة الرعّية وأبناء المصْر الذي يُديره. في حين أراد (عليه السلام) بمناقشة (الحُكماء)، مجالسة العارفين بالله تبارك وتعالى وبأسراره في عباده وبلاده الذي يعملون بالقوانين الحميّة التي تثبت القواعد والأصول التي تصلح بها أمور بلاد[٦].

ويلحظ أنّ الإمام قد استعمل مفردتي (عُلماء) و(حكماء) في سياقٍ واحدٍ لفارقٍ تدُلّ عليه كل واحدةٍ من هاتين اللفظتين فإنّ المعروف أنّ (الحكيم) هو الذي يُحيط بالعلوم الإنسانية جميعاً مع تجربة وذكاءٍ وعملٍ. فإنَّ العالم بالأمور والعامل بها

---

(١) ينظر: العين (حكم): ٣/ ٦٦.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٢٠.

(٣) المدارسة ضرب من المعاندة في الحفظ والقراءة. ينظر: المحكم (درس): ٨/ ٤٥٠.

(٤) أصل المناقشة من نقش الشوكة، إذا استخرجها من جسمه، ومن ثم صارت المفردة دالة على الاستقصاء والمحاسبة. ينظر: لسان العرب (نقش): ٦/ ٣٥٨.

(٥) نهج البلاغة: ك / ٥٣: ٥٥٠.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٣٣٩.

هو الذي يستحقّ أنْ يكون حكيماً[١]. في حين أنّ (العالم) هو الذي يحيط بالعلوم، ولكن تعوزه التجْربة[٢]. فلّما أراد (عليه السلام) بيان الجمع بين العِلْم والعَمَل معاً، استعمل مفردة (الحكماء) لهذا المعنى. فكأنه يقصد الإفادة من العلوم وتجارب الحياة التي تصْنع (الحكمة) في الإنسان. ولهذا ورد في رواية أخرى لقول الإمام استعمال مفردة (مُثافنة الحُكماء)[٣]، بدلًا من (مناقشة الحكماء). و (المُثافَنةُ) في اللغة مأخوذة من ثفنة البعير، وهي ما مسَّ الأرض من كَرْكرته، وسعْداناته وأصول أفخاذه وُركبته[٤]. والمرادُ من هذه المفردة التي رويت في قول الإمام، الدلالة على كثرة الجلوس والبروك عند الحُكماء حتى تثفن ركبتا الإنسان من القعود عندهم. كأنّما ألْصق الجالسُ ركْبته

بثفنة ركبة الحكيم[٥]. دلالة على المواظبة والمثابرة في الإفادة من حكْمته[٦]. كأنما الذي يكثر من مثافنة (الحكماء) ومجالستهم يحاول الاجتهاد والمواظبة في تحيل الحكمة التي عندهم،والأفادة من خبراتهم وتجاربهم في الحياة، ليتعلّم الجالس أصول الحكمة، والقدرة على إدارة الأمور. ومنع الفساد؛ لأنّ من أحكم أمراً، فقد منع فساده، وكل شيء أحْكم، فقد مُنع من الفساد[٧]. وقد وردت لفظة (حكماء) بالدلالة المتقدمة نفسها في (قصا / ٢٦٥).

---

(١) ينظر: نهج البلاغة: ٢/ ٧٦٧، ٧٦٨، والديباج الوضي: ٥/ ٢٥٢٥.

(٢) ينظر: معارج نهج البلاغة: ٢/ ٧٦٧.

(٣) وردت هذه الرواية في: معارج نهج البلاغة: ٢/ ٦٧٦، والديباج الوضي: ٥/ ٢٥٢٥.

(٤) ينظر: لسان العرب (ثفن): ١٣/ ٧٨.

(٥) ينظر: معارج نهج البلاغة: ٢/ ٧٦٧.

(٦) ينظر: العين (حكم): ٣/ ٦٧.

(٧) لسان العرب (حكم): ١٢/ ١٤٣.

الخطيب

الخِطاب والمُخاطبة المراجعَة في الكلام[١] والخطيب هو الذي يخطب خطابه على المْنبر[٢].

وقد استعمل الإمام (عليه السلام) مفردة (الخَطيب) محلاة بـ(ال) ومجردة منها بالنّصب (خطيباً) مرة واحدة لكلٍ منهما في نهج البلاغة[٣]؛ للدلالة على الخِطيب المُفوّه البّذّ الذي ينماز بحِسْنِ الخُطْبةِ. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في وَصْف الخطيْب المَاهِر في خِطابه: ((**هذَا الْخَطِيبُ الشَّحْشَحُ**))[٤]. والخطيْب وَصف على زنة (فَعيْل)، من أبنية الصفة المُشبّهة[٥]. وهذا البناء لا يطْلَق إذا كان الوصف ثابتاً في صاحبه، او كالثابت فيه كقولهم: هو طويل، أو قَصِير.

وهذِهِ الأوصاف ثابتة في أصحابها[٦]. فإن قصد التعبير عمّا صاَر طبيعة أو سجيّة في الإنسان، استعملت هذه الصيغة للدلالة على ذلك، كقولهم – مثلاً – هو خَطِيب، أو بَليغ[٧]. كأن الذي قيل له: (خَطِيْبٌ) قد بلغ من المهارة والتّمكّن من الخطابة ما جعلها سجية وملكه فيه – ولهذا ورد عن اللغويين أنّ لفظة (خَطِيْب) تدل على الشخص الحسن الخطبة[٨]. وهو المفوّه الذي لا يجاريه أحدٌ في الخطابة،

---

(١) ينظر: المحكم (خطب): ٥/ ١٢٢، ولسان العرب (خطب): ١/ ٣٦١.

(٢) نفسها.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٣٩.

(٤) نهج البلاغة: غ/ ٢: ٦٥١.

(٥) ينظر: معاني الأبنية: ٦٠.

(٦) نفسه.

(٧) نفسه.

(٨) ينظر: المحكم (خطب): ٥/ ٢٢، ولسان العرب (خطب): ١/ ٣٦١.

وتخلو كلماته وألفاظه من المفردات غير الفصيحة، ولا تتوافر في لسانه عيوب النُّطق. ولهذا وصف الإمام (عليه السلام) النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) بأنّه (خَطِيْب)، وذلك في قوله في سياق حديثه عن الكذب على رسول الله: ((**وَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله) عَلَى عَهْدِهِ، حَتَّى قَامَ خَطِيباً، فَقَالَ: ((مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))**[1]...))[2] إشارة إلى تمكنّه ومهارته في الخطابة، ومُضيّه فيها.

الشَّحْشَحُ

الشَّحْشَحُ المُواظِب على الشيء الماضي فيه[3].

وقد استعملت مفردة (الشَّحْشَح) مرة واحدة في نهج البلاغة[4]. للدلالة على الماهر في الخطابة، الماضي فيها، وذلك في مقام وصْفه بعْض الخُطباء بقوله: ((**هذَا الْخَطِيبُ الشَّحْشَحُ**))[5]. وتذكر المدونات التاريخية أنّ الإمام (عليه السلام) قال هذه المقولة في معركة (الجَمَل)، لمّا انتهى إليه قوم من (قَيْس) شباب، فخطب خَطِيبهم. فقال: أين أُمراؤكم ؟ فقال الخَطِيْب: أصيبُوا تحت نُظّار الجَمَل، ثُمّ أخذ في خُطبته، فقال

(١) صحيح البخاري: ١/ ٥٢، وسنن الترمذي: ٤ / ٥٢٤.

(٢) نهج البلاغة: خ / ٢١٠: ٤٠٩.

(٣) ينظر: العين (شح): ٣/ ١٢، وغريب الحديث (ابو عبيد): ٣/ ٤٤١، وتهذيب اللغة (شح): ٣/ ٢٥٥، والصحاح (شح):١/ ٣٤٨.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٣٥.

(٥) نهج البلاغة: غ/ ٢: ٦٥١، وقد نقلت المدونات اللغوية قول الإمام (عليه السلام) المتقدم. ومنها المعاجم، وفي صدارتها: تهذيب اللغة (شحح): ٣/ ٢٥٥، ولسان العرب (شح): ٢/ ٤٩٦، وتاج العروس (شح): ٦/ ٥٠٠، فضلاً عن كتب غريب الحديث، ومنها: غرب الحديث (أبو عبيد): ٣/ ٤٤١، وغريب الحديث (ابن الجوزي): ١/ ٥٢١، والفائق في غريب الحديث: ٢/ ٢٢٥، والنهاية في غريب الحديث: ٢/ ٤٤٩.

علي: ((**أَمَّا إِنَّ هَذَا لهو الْخَطِيبُ الشَّحْشَحُ**))[١]. وهذه هي رواية الطبري في تاريخه في حوادث سنة (٣٦) هجرية[٢]. وذكر ابن أبي الحديد أنّ هذه الكلمة قالها الإمام (عليه السلام) (لصَعْصَعَة بن صَوْحان العَبْدي)[٣]. وقد عَلّق الشارح المعتزلي على ذلك بقوله: ((وكفى صَعْصعة بها فَخْراً أنْ يكون مِثل عليٍّ (عليه السلام) يُثْني عليه بالمهارة، وفصاحة اللسان))[٤]. وأمّا وصف الإمام (عليه السلام) لهذا الخطيب بـ(الشَّحْشَحُ)، فوصف يُلفت النّظر، بسبب من غرابة المفردة المقدمة وندرتها؛ فهي لفظة تنطبق عليها مقولات علماء الغريب من حيث كونها قليلة الاستعمال في الدلالة على المعنى الذي قُصد وليس لغيره من المعاني الأخرى التي تتضمنها هذه المفردة[٥].

ويُفهم من كلام اللغويين أنّ (الشَّحْشَحُ) مأخوذة من (الشُّح)، وهو البُخْل والحرْصُ[٦]. أو كما يقول ابن فارس إنّ: ((الشين والحاء، الأصلُ فيه المنْعُ، ثُمّ يكون منْعاً مع حِرْص من ذلك الشُّحّ، وهو البُخْل مع حِرص))[٧].

---

(١) تاريخ الرسل والملوك: ٣/ ٣١، ومصادر نهج البلاغة وأسانيده: ٤/ ٢٠٥.

(٢) نفسها.

(٣) هو صَعْصعة بن صُوْحان بن حجر بن الحارث بن هجرس العبدي الكوفي يكنى بأبي عمر، او أبي طلحة. نزيل الكوفة تابعي كبير مخضرم، وسيد من سادات قومه،فصيح ثقة كان من أصحاب الإمام علي (عليه السلام) وشهد معه (صفين) أميراً على بعض الصفوف وكان من أفصح الناس في بني صّوْحان مَن عبد القيس الذين تشيع فيهم الفصاحة والبلاغة، حتى قيل عنه إنه كان سيّداً فصيحاً خطيباً ديِّناً يتعلم منه الخطب. ينظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد: ٦/ ٢٢١، والاستيعاب: ٢/ ٧١٧، وتهذيب التهذيب: ٤/ ٣٧٠، والغدير: ٦/ ١٩٧، والبيان والتبيين: ١/ ٦٦.

(٤) مقاييس اللغة (شح): ٣/ ١٧٠.

(٥) ينظر: المزهر: ١/ ١٨٨، وغريب نهج البلاغة: ١٧٢.

(٦) ينظر: العين (شح): ٣/ ١٣.

(٧) مقاييس اللغة (شح): ٣/ ١٧٨.

وقد شرح الشريف الرضي دلالة المفردة المتقدمة في قول الإمام (عليه السلام) قائلاً: ((يريد: الماهر بالخطبة الماضي فيها، وكل ماض في كلام أو سير فهو شحشح، والشّحشح في غير هذا الموضع: البخيل الممسك))[١]. وقد أخذ السيد الشريف هذهِ الدلالة - فيما يبدو - من أقوال اللغويين الذين ذكروا أن الخطيب الماهر في خطبته الماضي فيها يقال له: شّحْشَح، وكل ماضٍ في كلامٍ أو سيْر، فهو شحشح[٢].

وقد مَال المُصنِّفون في (غريب الحديث) إلى الدلالة المتقدمة أيضاً، عندما ذكروا قوْلة الإمام (عليه السلام) المتقدمة، فهذا أبو عبيد القاسم بن سّلام، وغيره من أصحاب الغريب ينصّون على أنْ تكمن مفردة (شّحْسح) في حديثه (عليه السلام) دالة على الماهر في خطبته الماضي فيها[٣]. ومن ثم يُوسِّع القول في دلالتها، ليشير إلى أنّ المفردة المتقدمة مخصوصة - كما يبدو - بالمهارة والمُغيِّ في الكلام أو السَّيْر، فضلاً عن المواظبة على الشيء[٤].

أقول: إنّ إطلاق الإمام (عليه السلام) لمفردة (الشَّحْشَحُ) يتناسب مع إمكان الخطيب الذي وصَفَه بهذا الوصف الذي يحمل دلالة المبالغة في الثناء والمدح على القدرة في البلاغة والفصاحة وتخَيُّر الألفاظ، وذلك أنه لم يُصدر كلمته المتقدمة إلاّ بعدما يسمعَ إجابة ذلك الخطيب عن قومه الذين ((**أُصيْبُوا تحت نِظار الجَمَل**))[٥].

---

(١) نهج البلاغة: غ/ ٢: ٦٥١.

(٢) ينظر: العين (شح): ٣/ ١٣، وغريب الحديث (ابن سّلام): ٣/ ٤٤١،وتهذيب اللغة (شح): ٣/ ٢٥٥، والمحكم (شح):٢/ ٤٨٩.

(٣) ينظر: غريب الحديث (ابن سلام): ٣/ ٤٤١، وغريب الحديث (ابن الجوزي): ١/ ٥٢١، والفائق: ٢/ ٢٢٥، والنهاية في غريب الحديث: ٢/ ٤٤٩.

(٤) تاريخ الرسل والملوك: ٣/ ٣١، ومصادر نهج البلاغة وأسانيده: ٤/ ٢٠٥.

(٥) نفسه.

والمراد بـ (نِظار الجَمَل) أنهم قتُلوا بذْلاً لأنسفهم، بعدما قاتلوا قتالاً شديداً. كأنهم وقفوا في مواجهة الأعداء الذين تقودهم الجملُ الشِّداد الطّامح الطّرف[١]. كناية عن شدّة العدُوّ وقوّته فلما أنْ سَمَع الإمام هذا الضْرب منن التعبير قال لكمته المتقدمة. ك أنّه أعجب بجدارة هذا التعّبير. وهذا المعنى مما لم يلتفت إليه اللغويون والدارسون، وإنما ركزوا جلّ هَمِّهم في الإبانة عن دلالة مفردة (الشَّحْشَحُ) دون رعاية المقام الذي قبلت فيه.

ولهذا تصير المفردة المتقدمة – عندي – دالة على الفصيح البليغ من الخطباء المُجيْد في تخيِّر المفردات الملائمة للمعاني ولهذا أشار ابن أبي الحديد إلى أنّ قول الإمام يدل على الثناء على (صعْصعة) بالمهارة وفصاحة اللّسان[٢]. كأنّ هذا الرّجل يمثل النهاية في الخطابة. يُعيينا على ذلك ورود رواية أخرى لكلام الإمام السابق أوردها ابن الأثير الجزري، إذ يقول: ((**ومنه حديث علي: ذَاك الخَطِيْبُ المُسْلقُ الشَّحْشَاح**))[٣]، وفسره بالمُسْلق الشِّحْشَاح، وهو الذي يكون نهاية في الخطابة. والمُسِلاق البليغ الشديد الصوت[٤].

وقد ذكر اللغويون دلالات متعددة لمفردة (شَحْشح)، فهي إن كانت مأخوذة من (البُخْل والحرْص)، فتوظيف الإمام لها، واستعارتها من هذا المجال الدال على الشِدّة في الحرْص يُفهم منه شِدة حرْص هذا الخطيب على البلاغة، والفصاحة

---

(١) ينظر: القاموس المحيط (نظر): ١/ ٦٢٣.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٩/ ٩٠.

(٣) النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٣٩١، وينظر: لسان العرب (سلق): ١٠/ ١٦٠، ومصادر نهج البلاغة وأسانيده: ٤/ ٢٠٥.

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٣٩١، ولسان العرب (سلق): ١٠/ ١٦٠.

والمواظبة عليها. ولا تكون مواظبته هذه إلاّ من الشُّح والحرص[١]. مثلما يقال للرجل الغيُور شّحْشحَ، لأنه إذا غار الشيء أو على العِوْض مَنَع[٢] وكذلك الشجاع الذي يمنع ما وراء ظهره. فأمّا الماضي في خطبته، فيقال له (شَحشح)، كأنه محمول على الشجاع الشَّحْشَح الذي يمنع ما وراءه ويحرص عليه[٣] فلما أراد الإمام (عليه السلام) الإشارة إلى شدّة حِرْص هذا الخطيب على خير ألفاظه وسبْكِها في نَسَقٍ بليغ فصيح، اختار لوصفه هذه المفردة التي تدل في المتْن اللغوي على أشَدِّ الحِرْص، وهي أبلغ في المنْع من مفردة (البُخْل) نفسها التي تختص بالحرص على المال، في حين أن لفظة (الشُّح) عامة[٤].

ويمكن أنْ نضيف إلى ذلك أنّ وصْفَ الإمام (عليه السلام) لهذا الخطيب (بالشِّحْشح) يمكن أنْ يكون دالاً على سعة اللسان وعلُوِّ فصاحته، وذلك مأخوذ من قولهم (فَلاَة شّحْشح) وهي الواسعة البعيدة المحْل[٥] كأنّ الخطيب الشَّحيح كالفلاة الواسعة التي لا يستطيع أحد أنْ يقطعها؛ لَمحْلها وقلّةِ نباتها. فمن أراد ذلك هَلك وكذلك الخطيب الشُّحشح الذي لا يمكن أحد أنْ يجاريه؛ لِسَعَةِ قوله، وذلاقة لسانه. فمن قصد ذلك عجز وأعيا. وقريب من هذا أيضاً قولهم: ((شَحْشَح البَعِير)) [٦]وذلك إذا تردَّدَ في هديره، ولُم يُخْلِصْهُ[٧].

(١) ينظر: مقاييس اللغة (شح): ٣/ ١٧٩.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: النهاية فير غريب الحديث: ٢/ ٤٤٨، وتاج العروس (شح): ٦/ ٤٩٨.

(٥) ينظر: لسان العرب (شحح): ٢/ ٤٩٦.

(٦) ينظر: العين (شحح): ٣/ ١٢.

(٧) ينظر: العين (شح): ٣/ ١٢، وتاج العروس (شح): ٦/ ٥٠٠.

ويستفاد من هذه الدلالة في الإبانة عن اقتراب الخطيب البليغ الجهوري الصوت من البعير الشُّحْشَح الهادر، كأنّ الشَّحْشَح من الخطباء هو العالي الصّوت الذي يهدر كالفَحْل من الإبل عند إرادة الضِّرب.

أقول: وتتسع دلالة المفردة المتقدمة في قول الإمام (عليه السلام) الذي أضاف اليها جملة من الدلالات بعدما نقلها من الدلالة على الشِّدَّةِ في البُخْل والحرص إلى الدلالة على الخطيب الماضي في خطبته الفصيحة في مفرداته، وهو ما حوّل هذه اللفظة من الدلالة على (المَنْع والإمساك) إلى الدلالة على السَّعة والعُلُوّ في القوْل. علاوة على إكساب هذه الكلمة ضرباً من المناسبة لذهن السامعين بعدما كانت معدودة من المفردات الغريبة النادرة من حيث (اللفظ والمعنى). وقد أشار إلى هذا الأمر دارسو الغريب[1].

وتبقى دلالة هذه المفردة قابلة لاحتمال معانٍ جديدة في كلام الإمام (عليه السلام) نظراً لغرابتها وندرة استعمالها. وهو ما يمنحها إمكان في التأويل واحتمال الدلالة.

(١) ينظر: غريب نهج البلاغة: ١٧٢.

المبحث الحادي عشر
طبقة الحمقى والمغفلين

أَحْمَق

الحَمْقُ ضد العَقْل[١]، وهو قِلَّة العَقْل كما يذكر اللغويون[٢]. وقد ذكر الأزهري (ت٣٧٠هـ) أنَّ أصْل هذا اللفظ مأخوذ من انْحِمَاق السُّوْق، وهو كسادها. كأن الأحْمَقَ هو الذي فسد عَقْلُه حتى كسد[٣]. وقد وَصَفوا الثَّوْبَ أيضاً بالإنْحِماَق، فقالوا: انْحمق الثَّوْب، إذا خَلُقَ ورثّ[٤]. والعرب تقول للأحْمَقِ الكَاسد العَقْل[٥]. وقيل: إنما أُخذ اسم الأحمق من اسْتِتَار القَمَر في الليالي التي تُسَمّى (المُحْمِقَات) التي يَسْتَتِر فيها القَمر بغيم أبيض رقيق، فيسير الراكِب وهو يَظنُّ أنّه قَد أصْبَحَ حتى يَمُل وكذلك الأَحْمقُ الذي يُوْهِمُك في أوّل مجْلسكَ بتعَاقله، فإذا انتهى إلى آخر كلامه بَيَّنَ حُمْقَهُ[٦]. وأضحى الحُمْق صفة لازمة لِمَن وصف بها، فَجمعُوه على (فَعْلَى)؛ لأنه صار العلّة التي يُصَاب بها المرء[٧].

وقد وردت لفظة (أَحْمَق) أربع مرات في نهج البلاغة. ولفظة (الحُمْق) مرة

---

(١) ينظر: المحكم (حمق):٣/ ٢٤، ولسان العرب (حمق):١٠/ ٦٧.

(٢) ينظر: لسان العرب (حمق):١٠/ ٦٧.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (حمق):٤/ ٥٣.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

(٦) ينظر: تهذيب اللغة (حمق):٤/ ٥٣،وتاج العروس (حمق):٢٥/ ٣.

(٧) ينظر: المحكم (حمق):٣/ ٢٤.

واحدة[١]. تقتصر دلالة هذه الألفاظ عند الإمام على من نقص عقله، وإنما اتَّسع دلالتها لتكون دالة على من أنكر عيوب الناس، ومن ثم رضيها لنفسه. يقول أمير المؤمنين: ((... **وَمَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ فَأَنْكَرَهَا ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ فَذَلِكَ الْأَحْمَقُ بِعَيْنِهِ**))[٢].وتعبير الإمام (عليه السلام) عن مرتكب هذا الفعل ووصفه بـ (الأحمق)، ملاحظ فيه معنى التعمد في ارتكاب هذه العيوب، فالأجدر أن لا يرتكبها الإنسان؛ وإنكاره على مرتكبيها ولهذا وصف الإمام هذا النوع من الناس الذين يَقدمونَ على هذهِ الأمور بـ(الحمق)، إشارة إلى انه هذا هو الأَحْمَق، وليس الأَحْمَق من قل عَقْله فحسب. ووجه (الحُمْقِ) في قوله (عليه السلام) راجع إلى أنّ مُنْكر هذهِ الأفعال يستلزم الأمر منه عدم ارتكابه لها، ولكنه لمّا عمد إلى فعلها، فقد خرج عن أصول العقل، فصار أحمقاً ناقص العقل[٣]. وفسرّ بعض الشرَّاح لفظة (الأَحْمَق) بـ(الجَاهِل)[٤]. أمّا جهل (الأَحْمَق)، فلا يراد به جهله العلمي بالأحكام الشرعية والمحرمات، وإنما جهله هو عدم التمييز بَيْنَ الأمور وصوابها وخَطَئها، المهم منها وغير المهم.وهذا الأمر يخص الأَحْمَق الذي نقصَ عَقله، وأمّا الأَحْمَق الذي تكلّم عنه الإمام، فهو متمتَّعاً بصحة العَقْل وتمامه، ولكنه يتتبع عيوب الناس وزللهم، ينظر في عيوب الناس وينشغل بها إنكاراً ورفضاً، ثم ما يلبث أن يَرْتضيها لنفسه. ولهذا افتتح الإمام كلمته المتقدمة بذكر:((**مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ**...))[٥]. وهذه المَقْولة تجعلنا نفهم أن الواجب على

---

(١) ينظر:المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة:١٢٥.

(٢) نهج البلاغة:قصا / ٣٤٩:٦٧٠.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٨٣.

(٤) ينظر: الديباج الوضي:٦/ ٢٩٨١.

(٥) نهج البلاغة:قصا / ٣٤٩:٦٧٠.

الإنسان أن ينشغل بعيوب نفسه، التي تمثل الحالة الضد (للأَحْمَق)، الذي يُنْكِر على الناس افعالهم ويرتضيها لنفسه. ومن خِصَال (الأَحْمَق) في رأي الإمام (عليه السلام) اسْتِعْجَاله الكلام وعدم تروّيه في الأمور. وقد صَوّر أمير المؤمنين هذا المعنى في سياق الموازنَةِ بين (العَاقِل) و(الأَحْمَق)، بقوله: ((**لِسَانُ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ وَقَلْبُ الْأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ**))[1]. يتضح أن الأَحْمَق هو المتسرع في كلامه، دونما تفكر أو تَعَقُّل. ولهذا علَق السيد الشريف الرضي على تعبير الإمام بقوله: ((وهذا من المعاني العجيبة الشريفة والمراد به أنّ العاقل لا يطلق لسانه إلاّ بعد مشاورة الروية ومؤامرة الفكرة، و الأَحمق تسبق حذقات[2] لسانه و فلتات كلامه مراجعة فكره و مماخضة[3] رَأيِهِ فكأَن لسَان العاقل تابع لقلبه و كأن قلب الأَحمق تابع للسانه))[4].

أقول: لعل المراد بـ (القَلْب) في هذا النص (اللُّبُ) أو (العَقْلُ)؛لأنّ القلب ليس محلاً للتفكّر، وإنما هو مكان العاطفة، ومكان التبَصُّرِ والرَّوِيّة هو العقل، وذلك كله بقرينة مفردة (العاقل) التي ذكرها الإمام في النص، بإزاء لفظة (الأَحْمَق) الذي هو الضد للعاقل. وقد تنبّه الشارح البحراني إلى هذه المسألة، فذكر أن لفظ (القلب) في النص مجاز لما يبرز من تصورات في ألفاظ العاقل[5]. ويظهر من ذلك أن جُلَّ الشرَّاح اكتفوا في - بيان هذا النص - بقول الشريف الرضي الذي

(١) نفسه: قصا / ٤٠:٦٠٨.

(٢) أصل (الحذق) القطع، وحذقات اللسان، الكلام المتقطع غير المبين كما يبدو. ينظر: المحكم (حذق):٢/ ٥٧١.

(٣) المخض الطلق،وهو وجع الولادة، ومخض اللبن زبده،ومماخضة الرأي، نتاجه وزبدته كما يظهر: ينظر: لسان العرب (مخض):٧/ ٢٢٩.

(٤) نهج البلاغة:قصا / ٤٠.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٠٥.

علّق فيه على هذه الحكمة[١]. ومما تجدر الإشارة إليه أنّ هناك رواية أخرى لقول الإمام التي يصف فيها تَعَجّل الأحمق، ذكرها السيد الشريف (رحمه الله) وهي:)) **قَلْبُ الْأَحْمَقِ فِي فِيهِ وَلِسَانُ الْعَاقِلِ فِي قَلْبِهِ**))[٢]. وهذا القول يُعَزّز الدلالة السابقة للنص الأول، ويظهر أنّ العَقْل عند الأَحْمَق يكون في (فَمِهِ)، وفي إشارة إلى تسرُّعه واستعمال لسانه دونما رَوِيّة أو تَأن في الحديث. وقد جعل الإمام (الحُمْقَ) نوعاً من أنواع الفَقْر، بل هو أكبر الفَقْر، وذلك في قوله (عليه السلام): ((**إِنَّ أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ وَأَكْبَرَ الْفَقْرِ الْحُمْقُ**...))[٣] - بحسب قول الإمام - هو الغِنَى، و(الحُمْقَ) هو الفقر بِعَيْنِه؛ فلمّا كان (الأَحْمَق) مَنْ قَلَّ عقله، لهذا كان أفقر الناس؛ بسبب افتقاره إلى العقل الذي يستحصل به الرزق، وغيره من الأمور التي يحتاجها البشر. وقد ذكر أنّ (الحُمْقَ) رذيلة الغَبَاوة وهو أكبر الفقر؛ لأنه سَبَبٌ للفقر من الكمالات النفسية التي يكون بها الغنى التام[٤]. ولهذا قال الإمام في بيان معنى (الغِنَى و الفَقْر): ((**لَا غِنَى كَالْعَقْلِ، وَلَا فَقْرَ كَالْجَهْلِ**...))[٥]. ومفهوم(الغِنَى والفَقْر) عند الإمام (عليه السلام) مفهوم (عقلي) يقترن بتمام الْعَقْل ونَقْصه، فلهذا صار (الجَهْلُ والحُمْقُ) فقراً في نظره وأصبحت صَدَاقة الأَحْمَق مَضَرَّة أيضاً، لعدم قُدْرَة هذا النمط من الناس على وضع الأُمور في نِصَابها الصحيح؛ بسبب من عدم امتلاكهم المقدرة على التمييز بين الصحيح والخطأ، ولهذا حَذّر الإمام في وَصيَّته للإمام الحسن (عليه السلام) من صداقة الأَحْمَق قائلاً: ((**يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْأَحْمَقِ فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ**

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٠٥، والديباج الوضي:٦/ ٢٧٥٥.

(٢) نهج البلاغة: قصا / ٤١:٦٠٨.

(٣) نفسه:قصا / ٣٨:٦٠٧.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٠٤.

(٥) نهج البلاغة:قصا / ٥٤:٦١٠.

فَيَضُرَّكَ...))[١]، وعِلّة ذلك أنّ الأَحْمق يُرِيْد مَنْفَعة الناس، ولكنه لا يميّز بين النَّفْع والضُرِّ، ولا يُفرِّق بينهما فيوقع صاحبه في المآزق والمواقف المحرجة.

تغابيت

الغَبَاء - في اللغة - هو الخفاء. يقال: غبى الأمر؛ إذا خفي فلم يعرف[٢]. والغباء - بالكسر -التّراب الذي يُسَد به فَم البِئر فكأنه غطاء له[٣]. والتغبِية الستر[٤]. والغَبِيُّ من النّاس هو غَيْرُ الفَطِنِ، وجمعه أغبياء[٥].

وقد وردت ألفاظ (تغابَيْتُ)، و(تغَابَ)، و (تَغْبُو) و(غَبَاوة)، و(التَّغَابي) في نهج البلاغة. مرة واحدة لكل منها[٦]. ويمكن حصر الدلالات التي إفادتها هذه الألفاظ في ما يأتي:

أولا: الدلالة على الغَفْلَة وعدم الانتباه.

وهو أكثر المعاني شيوعاً، ولاسيما في عَهْد الإمام إلى مالكٍ الأشتر، ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق التحذير: ((**وَإِيَّاكَ وَالِاسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ وَالتَّغَابِيَ عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ...**))[٧].والتغابي هو التَّغَافل عمّا يجب العلم والعناية به من حقوق الناس المأخوذة ظُلما مما قَدْ وضح

---

(١) نهج البلاغة:قصا / ٣٨:٦٠٧.

(٢) ينظر: لسان العرب (غبي):١٥/ ١١٤.

(٣) ينظر: تاج العروس (غبي): ٣٩/ ١٣٩.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: لسان العرب (غبي):١٥/ ١١٤، وتاج العروس (غبي): ٣٩/ ١٣٩.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة:

(٧) نهج البلاغة:ك / ٥٣:٥٦٨.

للعيون إهماله[١]. متى كان الأمْر هَامّاً وله شأن بأمور الناس، فإنّ التَّغَابي عنه مذموم ومُسْتقبَح، ولهذا خاطب الإمام عامله قائلاً: ((... **وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أُلْزِمْتَه**))[٢]. والتَّغَابي ضَرَبٌ من التغافل في عيوب كتَّابه، سواء أكان هذا العيب في أشخاصهم، أم في أمانتهم التي استحفظهم عليها وكل ذلك راجع في النهاية إلى الوُلاة الذين - إنْ- تَغَافَلُوا عن عيوب الكتَّاب، أُلْزِمُوا مَا صَدَر منهم وتحملوه. وأمّا إذا كان الأمرُ غَيْرِ ذي عوج، ولا أثر له في شؤون الناس، فالتَّغَافل عنه مَرْضِي. ولهذا طَلَب (عليه السلام) (مالك الأشْتَر) أن يَتَغَابَ عن كل ما لم يَتَّضِحْ له من أمر بقوله: ((**وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَضِحُ**[٣] **لَكَ وَلَاتَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ**))[٤]. وهو أمْرَ بالتَّغافل والتَّجَاهل عن كل أَمرٍ لا يَتَّضِحُ له، ولا يقوم به بُرْهَان[٥]. وقد وردت لفظة (تَغْبُوا) دالة على معنى التجاهل والتغافل أيضاً في(ك/ ٢٩).

ثانياً:الدلالة على التِّيهِ والضلال.

وجرى استعمال هذا المعنى في سياق كلام الإمام (عليه السلام) على بعثة النبي الأكرم (ص) بَعْد فترة من الرسل؛ إذ يقول في ذلك:))... **حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ** (صلى الله عليه وآله) **فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً... عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الْأُسَرِ... فَهُوَ إِمَامُ مَنِ اتَّقَى وَبَصِيرَةُ مَنِ اهْتَدَى... أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ**

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٣٦٠.

(٢) نهج البلاغة:ك / ٥٣: ٥٥٩.

(٣) يَضِحُ يبين، مأخوذ من قولهم (وضح الامر يضح وضوحا) إذا بان، ينظر: تاج العروس (وضح): ٧/ ٢١٢.

(٤) نهج البلاغة:ك / ٥٣: ٥٤٨.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٣٣٧.

الرُّسُلِ وَهَفْوَةٍ[١] **عَنِ الْعَمَلِ وَغَبَاوَةٍ مِنَ الْأُمَمِ))**[٢]. وغباوة الأمم تَيْهِهم وضلالهم. وقيل: بل جهلهم وعدم فطنتهم إشارة إلى انعدام من يرشدهم إلى الخير[٣]. والدلالة على التَّيْه والضّلال أمر يلازم حالة الجهل التي تفيدها مفردة (غَباوة)؛ لأنّ الضّلال يشتمل على الجَهْل أيضاً.

الخُرْق

أصل الخَرْق الدلالة على مَزْق الشّيءِ كما يذكر ابن فارس[٤]. ومنه قولهم: خَرَقت الأرض، إذا جُبْتُها واخترقت الريح الأرض، إذا جَابَتها. والخَرْق المفازة البعيدة[٥] وشاةُ خرقاء، مثقوبة الإذن[٦]. والخُرْق الحُمْق، والرَّجُل أَخْرق، والمرأة خَرْقاء[٧]. والخَرق من الفِتْيانِ هو الظريفُ في سماحته ونجدة[٨]. والخَرِقُ أيضاً الكريمُ المُتخَرِّق في الكَرَم، مأخوذ من قولهم تَخَرَّقَ يَتَخَرَّقُ من السَّخَاء، إذا تَوَسَّعَ فيه[٩].

وقد وردت لفظة (الخُرْق) في نهج البلاغة أربع مرات[١٠]. وأمّا الدلالات

---

(١) الهَفْوَةٍ الزَّلَّةُ والسَّقْطَةُ. ينظر: تاج العروس (هفو): ٤٠/ ٣٠٦.

(٢) نهج البلاغة:خ/ ٩٤.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٤٧٦، والديباج الوضي: ٢/ ٧٧٩.

(٤) ينظر: مقاييس اللغة (خرق):٢/ ١٧٢.

(٥) ينظر: العين (خرق): ٤/ ١٤٩.

(٦) ينظر: لسان العرب (خرق):١٠/ ٧٥.

(٧) نفسه.

(٨) ينظر: لسان العرب (خرق):١٠/ ٧٥.

(٩) نفسه.

(١٠) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٣٥.

التي إفادتها هذه اللفظة فهي كالأتي:

أولاً: الدلالة على الحُمْق والجَهْل.

وهو من المعاني المُتَفَرِّدة التي استعملها الإمام لكلمة (خُرْق). وذلك في سياق وصاياه التي أوصى بها ولده الحسن (عليه السلام) ومنها قوله ((**إِذَا كَانَ الرِّفْقُ خُرْقاً كَانَ الْخُرْقُ رِفْقاً رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً وَالدَّاءُ دَوَاءً...**))(١). والرِّفق – هنا– اللِّيْن، وهو نقيض العُنْف كما يذكر اللغويون(٢). وأمَّا الخُرْق فهو الجَهْل والحُمْق وليس كما ذكر الدكتور صبحي الصالح من أنّه (العُنْف).مُسْتَعِيناً – فيما يبدو – بمفردة (الرِّفق) في إظهار هذهِ الدلالة(٣). وقد أشار غير واحد من الشرَّاح إلى ذلك، ذاكرين أنّ الإمام (عليه السلام) نَبّه بقوله إلى أنَّ الرِّفْق في بعض المواضع كالخُرْق في كونه مُخِلًّا بالمَصلحة غالباً، وَمُفَوِّتا لغرض الإنسان في تحقيق غاياته(٤). والخُرق هو الجَهْل(٥). وقد وَطّأ الإمام وَقَدَّم له بقوله: ((**رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً وَالدَّاءُ دَوَاءً**)). وذلك لبيان عدم الاتكال على العلاجات والأدواء في صحة الأبدان وغيرها.وما يؤيد ذلك مفردة (الخُرْق) في هذا السياق التي تدل على الجَهْل والحُمْق، ولفظة (النَّوْكَى) التي أوردها الإمام (عليه السلام) في السياق نفسه الذي استعمل فيه كلمة (الخُرْق) في إشارة منه إلى مَنْهج الحَمْقى في الاتِّكال على (المُنَى) والأحلام دون الركون إلى العمل والاجتهاد في الطلب. و النَّوْكَى هم الحَمْقَى كما يذكر المعجميون

---

(١) نهج البلاغة:ك / ٣١:٥٠٩.

(٢) ينظر: لسان العرب (رفق):١٠/ ١١٨.

(٣) ينظر: نهج البلاغة:٥٠٩ هامش (٧).

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٢٨٢.

(٥) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٢٣٤٥.

[(١)]، وهم ولهذا يمكن القول أنّ الإمام (عليه السلام) يتحدث في هذه الجمهرة من الوصايا عن الجهلاء و الحمقى وعدم تدبيرهم الأمور التي يقومون بها. وقد وردت لفظة (الخُرْق) دالة على المعنى المتقدم نفسه في (ك / ٥٣).

ثانيا: الدلالة على العَجَلَة أو التَّأني في معالجة الأمور.

وهذهِ الدلالة هي الأساس في ما توحيه لفظة (الخُرْق) من المعنى، فقد استعملها أمير المؤمنين في بعض حِكَمِهِ بهذه الدلالة، إذ يقول (عليه السلام): ((**مِنَ الْخُرْقِ الْمُعَاجَلَةُ قَبْلَ الْإِمْكَانِ، وَالْأَنَاةُ بَعْدَ الْفُرْصَةِ**))[(٢)]. و الخُرْق -هنا- هو الحُمْق كما يذكر جُلَّ الشُّرَّاح[(٣)]. ويمكن التعليق على ذلك أنّ المراد بالخُرْق - هنا - هذه الدلالة على العَجَلَةِ في معالجة الأمور، وحِلِّ مُعْضلاتها قبل أوَانِها، أو التَّأني في حَلِّها بعد إتاحة الفُرْصة لذلك. وهذا الأمر يؤدي إلى الخُرْق والحُمْق عند تفويت فُرْصَة الحَلِّ أو الإسراع إليها قبل استحقاق وقتها. ولهذا فالأخرق هو الذي يخترق هذه الأمور؛ فيكون مسرعاً إلى المعالجة في غير وقت، أو أنّه يَتَأَنّى في وقت يكون الإسراع إلى الحلِّ أَولى. ولهذا ذم الإمام (عليه السلام) (الإسراع والتأني) في غير وقتها. ووصف من يقوم بذلك (بالخُرْق)؛ لأنّ الحَقَّ هو العَدْل بين الأمرين[(٤)]، ومن حَقِّ العاقل اغتنام الفُرص عند إمْكانها كما يقال[(٥)].

---

(١) ينظر: العين (نوك): ٥/ ٤١١،وتهذيب اللغة (نوك):١٠/ ٢٠٨.

(٢) نهج البلاغة:قصا / ٣٦٣:٦٧٣.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٨٦، والديباج الوضي: ٦/ ٢٩٩٠.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٨٦.

(٥) ينظر: الديباج الوضي: ٦/ ٢٩٩٠.

المائِق

المائق - بالهمز - هو مَا يأخْذ الصَّبِي بعد البُكاء، وهو شبْه التّبَاكي[١]. وقيل: بل هو شدَّةُ البكاء[٢]. والمَوْق حُمُق في غَبَاوَة[٣]. والمائِق الأَحْمَقُ أيضاً[٤]. وذكر اللغويون أنّ المائق مفردة تدل على معان ثلاث؛ الأول منها أن المائق هو السِّيئ الخُلُق، والثاني أنّ المائق هو الأَحْمَق، والثالث أنه السَّريع البكاء، القليل الحَزْمِ والثبات[٥]. وذلك مَأخوذ - كما يبدو - من (المَأْقِ) وهو شدّة البكاء.

ولفظة (المَائِق) من ألفاظ نهج البلاغة التي وردت فيه مرة واحدة[٦]. دالة على السَّيِّئ الخُلُق الذي يُزَيِّن فعْله للناس محاولة منه لجعلهم مِثْلَهُ في الحُمْقِ. وقد وردت هذهِ الدلالة في قول أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي ينهى فيه من صحبة (المَائِق). إذ يقول: ((**لَا تَصْحَبِ الْمَائِقَ فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ لَكَ فِعْلَهُ وَيَوَدُّ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ**))[٧]. وقد ذهب أغلب شُرَّاح النهج إلى أن مفردة (المَائِقَ) من قول الإمام تدل على الأَحمق، أو الشديد الحُمْق[٨]. وزاد بعضهم بأنها الحُمْقُ في غَباوة[٩]. وعلل هذا الوجه، بأنّ الأَحْمَقَ لا يتصوّر نقصان عَقْله، بل يتخيّل نفسه كاملاً، ويرى مَضَاَّره نفعاً؛ فلهذا

(١) ينظر: العين (مأق): ٥/ ٢٣٤.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (مأق):٥/ ٢٩١.

(٣) ينظر: العين (مأق): ٥/ ٢٣٤،و لسان العرب (موق):١٠/ ٣٥٠.

(٤) ينظر: لسان العرب (موق):١٠/ ٣٥٠.

(٥) ينظر: لسان العرب (موق):١٠/ ٣٥٠.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٣٠.

(٧) نهج البلاغة:قصا / ٢٩٣:٦٦٢.

(٨) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ابي الحديد): ١٨/ ١٩٩، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٧٣، و نهج البلاغة:٦٦٢.

(٩) ينظر: معارج نهج البلاغة: ٢/ ٨٦٩.

يعتقد كمال نفسه وحُسْنَ أفعاله[1]. ولهذا نَهَى الإمام عن صُحْبَته.

أقول: إنّ المراد من لفظة (المائِق) في كلام الإمام أوسع مما ركن إليه الشُرَّاح؛ ولو رجعنا إلى نَصِّ المَقولة لوجدنا أنّ العِلّة في النهي عن صُحْبَةِ (المائق) هي (تَزْيِيْن فعْله) ورغبته في أنْ يكون الناس مثله في الأفعال. وهذه الأمور، ولاسيما الأمر الأَوّل لا يتوقع من الأَحْمَق أن يسعى إليها، وبخاصّة ان المعروف عن الأحمق انه قليل العَقل، أو هو الغَبِيُّ، وهذا الضرب من الناس لا يعتمّد الإتيان بهذا الأمر لقلَّة عقله وعدم كماله. ولهذا أرى أن لفظة (المائق) في كلام الإمام تتضمن الدلالة على (السِّيئُ الخُلُق)؛ لأن هذا النوع من الناس يرتكب الأمور المنكرة، ويحاول أن يسوّغها لصحبه وغيرهم، محاولة في إيهامهم بصحتها ورغبة منه في أنْ يكونوا مثله في سلوكه وتصرفاته. ومما يؤكد ذلك عندي أنّ من أهم دلالات لفظة (المائق) في اللغة هو السِّيئ الخُلُق[2]. وقد ورد من الإمام علي (عليه السلام) نفسه في قول شبيه بهذا النص الذي نحن بصدده، وهو قوله (عليه السلام) الذي نقل عنه في النهي عن مُؤَاخاة ثلاثٍ من الناس. إذ يقول: ((**يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَتَجَنَّبَ مُؤَاخَاةَ ثَلَاثَةٍ الْمَاجِنِ الْفَاجِرِ وَ الْأَحْمَقِ وَ الْكَذَّابِ فَأَمَّا الْمَاجِنُ الْفَاجِرُ فَيُزَيِّنُ لَكَ فِعْلَهُ وَ يُحِبُّ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ وَ لَا يُعِينُكَ عَلَى أَمْرِ دِينِكَ وَ مَعَادِكَ وَ مُقَارَنَتُهُ جَفَاءٌ وَ قَسْوَةٌ وَ مَدْخَلُهُ وَ مَخْرَجُهُ عَارٌ عَلَيْكَ وَ أَمَّا الْأَحْمَقُ فَإِنَّهُ لَا يُشِيرُ عَلَيْكَ بِخَيْرٍ وَ لَا يُرْجَى لِصَرْفِ السُّوءِ عَنْكَ وَ لَوْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ وَ رُبَّمَا أَرَادَ مَنْفَعَتَكَ فَضَرَّكَ فَمَوْتُهُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِهِ وَ سُكُوتُهُ خَيْرٌ مِنْ نُطْقِهِ وَ بُعْدُهُ خَيْرٌ مِنْ قُرْبِهِ وَ أَمَّا الْكَذَّابُ فَإِنَّهُ لَا يَهْنِئُكَ مَعَهُ عَيْشٌ يَنْقُلُ حَدِيثَكَ وَ يَنْقُلُ إِلَيْكَ الْحَدِيثَ**))[3]. والحديث واضح في

(١) ينظر: معارج نهج البلاغة: ٢/ ٨٦٩أو شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٧٣.

(٢) ينظر: لسان العرب (موق):١٠/ ٣٥٠.

(٣) وسائل الشيعة:١٢/ ٢٨، و٥٣.

أنّ الماجن وهو السِّيئ الخُلُقِ الذي يُزَيِّن لكَ فعْلَه، ويحب أن تكون مِثْله. وليس (الأحمق) الذي لا يُرْجى منه صَرْف السُّوْء، ولا يُرْجى منه الخير أيضاً. وهذا النّص أعاننا في إظهار دلالة لفظة (المائِق) التي وردت في نهج البلاغة، وكشف لنا الفارق الدلالي بين تلك اللفظة، ولفظة (الأَحْمَق)، و(الكذّاب) و (الماجن) ومَضَرّةِ كل واحد من هؤلاء في المجتمع. ومما تجدر الإشارة إليه أنّ بعض الشُرَّاح نقل رواية أُخرى لقول الإمام (عليه السلام) الذي ينهى عن صُحْبَة (المَائق)، فقد رواه مُسْتَبْدلاً هذه اللفظة بكلمة (المنافِق)[(١)]. ولعل هذه الرواية تعضد ما ذهبت إليه من دلالة كلمة (المائق) على السيئ الخلق؛ لأن المنافق قريب في أفعالهُ وتصرفاته من (المائق)، وهما بعيدان من دلالة (الأحمق) كما تقدم.

النَوْكَى

النُّوْكُ الحُمَق، والأَنْوَكُ الأَحْمَق، وجَمْعُهُ نوكى[(٢)]. وذكر الأصمعي أنّ (النُّوْك) عند العرب هو العَجْزُ والجَهْل، والانْوَكَ العاجز الجاهل[(٣)]. وقيل: هو العَيِيُّ في كَلامِهِ[(٤)]. وقد وردت لفظة (النوكى) في نهج البلاغة بصيغة الجمع على (فَعْلَىَ) مرة واحدة[(٥)]. دالة على الحَمقى، وهم فِئة من الناس الذين يَشِيْع فيهم الجَهْل والعَجْز. وقد استعملت هذه الكلمة في سياق وصايا الإمام لولده الإمام الحَسَن (عليه السلام)، ومنه قوله التي يوصيه فيها بعدم الاتّكَالِ على المنى: ((**وَإِيَّاكَ وَالِاتِّكَالَ**

(١) ينظر: الديباج الوضي: ٦/ ٢٩٩٠.

(٢) ينظر: العين (نوك): 411/ 5،وتهذيب اللغة (نوك):208/ 10.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (نوك):208/ 10.

(٤) نفسه.

(٥) لم اعثر على هذه المفردة في (المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة) ولعلها سقطت بسبب من الطباعة.

عَلَى المُنَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى))(١). ويذكر الإمام -ههنا- علامة فارقة من علامات هذه الفئة من الناس، وهي الاتّكَالِ على (المُنَى). و (المُنَى) جَمْعُ (مُنْيَة) على (فُعْلَة)(٢). وهو حديث النَّفْسِ بما يكون أو لا يكون(٣). ولهذا اتَّفق في حكمة الإمام (عليه السلام) هذهِ أنْ يَصير ارتباطٌ بين (المُنَى)، و(النوكى) على سبيل وَصْف هذه (المُنَى) بالبضائع التي يتّجر، أو يتعامل في البَيْعِ والشراء فعلى تقدير أنْ يُسْأل الإنسان عن علمه وصَنْعَته، فيقول إنها الفِلَاحَة مثلاً، فإن إجابة هذا الضرب من الناس عن حرفتهم تكون بذكر أمانيهم ورَغَائِبهم غير المتحققة لهم؛ لأنّ التّمَنِّي هو تشتّهي حصول الأمْر المرغوب فيه وتقديره في النفس، وذلك بطريق الظَنِّ والتخمين فحسب، لهذا صار أكثره كذباً وتصوّراً لا حقيقة له(٤). وأمّا (النوكى) فهم ضرب من الناس الموصوفون بالحُمْق وهو قلْةُ العَقل(٥)، وهو علامَة على منْ يَضَع الشيء في غير مَوْضعه(٦). ويكون هذا بسبب من عدم رَجَاحَة العَقْل واتِّزانه، ولهذا ذكر الإمام لفظ (العَقْل) ومَنْشَئه بعد مفردة (النوكى) مباشرة؛ لتكون - فيما يبدو - ضِداً (للحُمْقِ) وخلافاً له. إذ يقول (عليه السلام): ((**وَإِيَّاكَ وَالاتِّكَالَ عَلَى المُنَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى وَالْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ**))(٧). أمّا لِمَ أُوْثِرت لفظة (النوكى) على لفظة (الحَمْقَى) في هذا السّياق، فَلَعَلَّ مفردة (نَوْكَى) أكثر دلالة على الحُمْق من جِهَةِ التَّمَنِّي، علاوة على أنها توحي بقلّة تجارب العقل

(١) نهج البلاغة:ك / 31: 509.

(٢) ينظر: تاج العروس (مني): ٣٩/ ٥٦٢.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر:تاج العروس (مني): ٣٩/ ٥٦٢.

(٥) ينظر: لسان العرب (حمق):١٠/ ٦٧.

(٦) ينظر:النهاية في غريب الحديث والاثير:١/ ٤٤٢.

(٧) نهج البلاغة:ك / ٣١: ٥٠٩.

وقدرتـه عـلى التفكـير، بقرينـة قولـه (عليه السلام) ((**وَالْعَقْـلُ حِفْـظُ التَّجَـارِبِ**))[1]، فعـلى هـذا يكـون (الأَنْـوَكُ) هـو القليـل الحفـظ لتجـارب العقـل، فضـلاً عـن عـدم اتِّعَاضـه بتجارب عَقْله، بخـلاف (الأحمـق) الـذي يُسـمّى أَحْمَقـاً لقلـة عقلـه فحسـب كـما تذكـر المدونـات اللغويـة[2].

(١) نهج البلاغة:ك / ٣١:٥٠٩.

(٢) ينظر: لسان العرب (حمق):١٠/ ٦٧.

المبحث الثاني عشر
ألفاظ طبقة السَّحرة والكُهّان والمُقَامِرين

السَاحر

السِّحْر الأُخْذة التي تأخذ العين[١]. وهو كل ما كانَ من الشُّيْطان فيه معونة[٢]. ويكون قائماً على الخداع والشبهةِ[٣] وإنما سمُّتِ العربُ السِّحْر بهذا الاسم؛ أنّ يزيل الصحة إلى المرضِ[٤].

وقد وردت لفظتا (الساحر)، و(السِّحْر) في نهج البلاغة، فقد جاءت اللفظة الأولى أربع مراتٍ. في حين نالت الثانية موضعين فقط من النهج[٥]. وأما الدلالات التي سبقت لها هذه الألفاظ فهي الآتية:

أولاً: وَصْفُ المشركين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالسِّحْر.

وقد ورد ذلك على لسانهم غيره مرة، مثلما ينقله الإمام (عليه السلام) عن موقفهم مع النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في قوله: ((**وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ (صلى الله عليه وآله وسلم) لَمَّا أَتَاهُ المَلأُ مِنْ قُرَيْش، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحُمَّدُ، إِنَّكُ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلاَ أَحَدٌ مِن بَيْتِك، وَنَحْنُ نَسَأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَجبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ، عَلِمْنَا أَنَّكَ نِبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ...**))[٦] ووصْفهم النبي بأنّه ساحرٌ جرى كثيراً على ألسنة

---

(١) ينظر: العين (سحر): ٣/ ١٣٥.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (سحر): ٣/ ١٣٨.

(٤) ينظر: لسان العرب (سحر): ٤/ ٣٤٨.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢١٢

(٦) نهج البلاغة (قصا): خ/ ١٩٢: ٣٧٩.

الكفار بكثرة تنقلع الشجرة بعروقها وتجيء اليه، فلما أمرها أنْ تجيء له وترجع إلى مكانها بإذن الله، أعادوا قوْلهم (ساحر كذّاب). حتى أنهم أكدوا هذا الوصف، فقالوا - بعدما رأوا قدرة الله تبارك وتعالى التي بها قام النبي (صلى الله عليه وآله) بتحريك الشجرة من مكانها قالوا: (**عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ**))[١]. والفارق بين (قدرة الله تعالى) وبين (السِّحر) كبير؛ لأنّ الله تبارك وتعالى قادر على كل شيء، وقد أعان نبيه (صلى الله عليه وآله) - في هذا الموقف - على قلْع الشَّجَرة ونقلها من مكان إلى مكان آخر، في حين أنّ أوّل فكرة يقوم عليها السِّحر هي الخداع والتضليل والاستعانة بالشيطان. ولما كانت هذه الأمور من التي يتبناها هؤلاء الكفار، لهذا سلطوها على النبي الاكرم ووصفوه بها، مع إيمانهم بأنّ الذي صنعه النبي لم يكن سحراً، وإنما هو حقيقة، وهم يميزون بين السحر والحقيقة ولكنهم جحدوا بها. ولارتباط (السِّحْر) بالخداع، و التضليل واتخاذه سبيلاً لإيهام الناس بصدقِ ما يفعل السحرة، شبّه الإمام (عليه السلام) الساحر بالكافر وذلك في (خ/ ٧٩).

ثانياً: الدلالة على حقيقة السِّحْر

وقد جرى استعمال هذه الدلالة عند الإمام إشارة إلى حقيقة في تأثير السحر أحياناً، ولاسيّما من جهة انخداع الناس به، وتصورهم تأثيره.يقول الإمام (عليه السلام) في ذلك: ((**الْعَيْنُ حَقٌّ، وَالرُّقَى حَقٌّ، وَالسِّحْرُ حَقٌّ، وَالْفَأْلُ...**))[٢].

نُشْرة

النَّشْر - بالفتح - الريح الطَّيِّبة[٣]. النُّشْرة - بالضَّم - ضربٌ من العلاج

---

(١) نفسه: ٣٨.

(٢) نهج البلاغة: قصا / ٤٠٠: ٦٨٢.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (نشير): ١١/ ٢٣٢، ولسان العرب (نشر): ٥/ ٢٠٦.

والرُّقية التي يعالج بها من كان يظن أنّ به مَسّاً من الجنِّ[١]. وإنما سُمِّيت بذلك؛ لأنّه يْنشر به عنه ما خامره من الداء. أي يُكْشَف يُزال[٢].

وقد وردت لفظة (نُشْرة) في نهج البلاغة أربع مرات[٣]، دالة على الرقية التي تُستعْمل في ردع العين والسحر، وغير ذلك من الأمور التي تسبب اذى في نفس الإنسان. يقول الإمام (عليه السلام) في سياق ذكر بعضِ المعتقدات: ((**الْعَيْنُ حَقٌّ، وَالرُّقَى حَقٌّ، وَالسِّحْرُ حَقٌّ، وَالْفَأْلُ وَالطِيَرَةُ لَيْسَتْ بِحَقّ، وَالْعَدْوَى لَيْسَتْ بِحَقّ، والطِّيبُ نُشْرَةٌ، وَالْعَسَلُ نُشْرَةٌ، وَالرُّكُوبُ نُشْرَةٌ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْخُضْرَةِ نُشْرَةٌ**))[٤] يشير في قوله إلى وجود كل من (العَيْن، والُّرقى،و السِّحْر والفأل)، وإنما وصفها بأنها (حَقّ) إشارة منه إلى صحة تأثيرها في الإنسان، بحيث أنها تصيبه وتؤذيه[٥] وقد عبرّ(عليه السلام) (العيْن) عن الحسد على أساس أنّ العين آلة الحسد وأداتها. في حين ذكر (الرُّقى)، و(النُّشْرُة) بوصفهما وسيلة لدفع (العَين) و (السِّحْر). فكأنما هي علاج لهذه العلل والأدواء التي قد تصيْب الإنسان؛ لأنها موجودة ولها تأثير على البشر، فكرر (عليه السلام) لفظة (نُشْرة) أربع مرات؛ لبيان أنّ الطِّيب،والعسلَ أو (الغُسْل) في رواية[٦]، والركوب، والنظر إلى الخُضْرة، تمثل ضروباً من علاجات البدن ومُعوّذاته وَرُقياته التي تنشر عنه العين وأدوائها، ولاسيّما اذا كانت تلك الُّرقى خالية من الشِّرك[٧].

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٥/ ٥٣.

(٢) نفسه

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ٤٤١.

(٤) نهج البلاغة: قصا: ٤٠٠، ٦٨٢

(٥) ينظر: نهج البلاغة تعليق السيد محمد الشيرازي: ٧١٠ هامش (٧).

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٩/ ٣٧٢، وشرح حكم نهج البلاغة: ٩٧

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٩/ ٤٢٩.

الكاهن

الكَهْـن القضـاء بالغيـب، أو ادعـاء العلـم بـه[١]. وتسّـمى حرفـة مـن يقـوم لهـا (الكِهَانـة)[٢]. وقـد عـرّف ابـن الأثـير الجـزري الكاهـن بأنـه ((الـذي يتعاطـى الخَبَرَ عـن الكائنـات في مستقبل الزمـان، ويدّعـي معرفـة الأسرار))[٣]. وذكـر اللغويـون أنّ العـرب كان فيهـم كهنـة، وهـم مـن يزعـم أنّ لـه تابعـاً مـن الجِـنّ يُلقـي اليـه الأخبـار. ومنهـم مـن كان يزعـم أنّـه يعـرف الأمـور بمقدّمـات أسـباب يسْـتدل بهـا عـلى مواقعهـا بكلامِ مـنْ يسـأله أو بفعْلـه وحَالـه. وهـذا يسـمّى عنـد العـرب (العَـرَّاف) الـذي يدّعـي معرفـة الـشيء المسْرُوق مثـلاً. ومـكان الضَّالّـة ونحـوه[٤]. وكانـت العـرب تسـمي المنجـم والطبيـب كاهنـاً، بـل إنهـا كانـت تسـمّى كل مـنْ يتعاطـى علـماً دقيقـاً كاهنـاً[٥]. فضـلا عـن ذلـك، فالكاهـن عنـد العـرب هـو مـنْ يقـوم بإمـر الرجـل ويسـعى في حاجتـه. ويقـوم بأمـر أهلـه مـن بعْـده[٦].

وقـد وردت لفظتـا (الكَاهـن)، و(الكِهانـة) في نهـج البلاغـة؛ إذا اسـتعلمت الأولى مرتـين، في حـين جـاءت الثانيـة في موضـع واحـد فحسـب[٧]. فإمّـا لفظـة (الكاهـن) فدَلَّـتْ على الـذي يدّعـي العلـم بالغيـب ومعرفـة أسرار المستقبل متكهنّـاً بالغْيـبٍ. وأمّـا

(١) ينظر: المحكم (كهن): ٤/ ١٤٣، وتاج العروس (كهن): ٣٦/ ٨١.

(٢) نفسهما

(٣) النهاية في غريب الحديث: ٤/ ٢١٤، وتاج العروس (كهن): ٣٦/ ٨٢.

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٤/ ٢١٤، ولسان العرب (كهن): ١٣/ ٣٦٣. وتاج العروس (كهن): ٣٦/ ٨٢.

(٥) ينظر: لسان العرب (كهن): ١٣/ ٣٦٣.

(٦) نفسه.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٠٤.

لفظة (الكِهانة)، فجاءت للدلالة على المهنة التي يمْتهنها الكاهن. يقول الإمام (عليه السلام) في سياق النَّهي عن تعلّم علم النُّجوم واتخاذها سبيلاً لعمل الغيب. راداً على مَنْ أشار عليه بعدم الخروج لقتال الخوارج في هذا الوقت: ((**أَتَزْعَمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ؟ وَتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضُّرُّ؟ فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ، وَاسْتَغْنَى عَنِ الاِسْتِعَانَةِ بِالله عزّوجلّ فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَدَفْعِ الْمَكْرُوهِ، وَتَبْتَغِي فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُولِيَكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ، لِأَنَّكَ ـ بِزَعْمِكَ ـ أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي نَالَ فِيهَا النَّفْعَ، وَأَمِنَ الضُّرَّ!! أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَتَعَلُّمَ النُّجُومِ، إِلاَّ مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْر، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكَهَانَةِ، والْمُنَجِّمُ كَالْكَاهِنِ، وَالْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ، وَالسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ! وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ! سِيرُوا عَلَى اسْمِ الله**))(١). وقوله (عليه السلام) نصٌّ في النهي عن تعلّم علم النجوم والاستدلال بها في معرفة الغيب ولهذا جعله الإمام بمنزلة الكفر، مُشّبّهاً المنجم بالكاهن؛ لما يبدو من الآخر من ادّعاء بتسخير الجنّ وادعاء بعلم ما سيقع مستقبلاً. ويبدو أنّ تسبيه الإمام (للكاهن) (بالسَّاحِر) راجع إلى قدرة الكُهنة على خداع الناس والاستيلاء على عقولهم، واستعمال طرائق في الكلام توحي للمقابل بصحة ما يدّ!عيه هؤلاء الذين يتخذون (السُّجع) سبيلاً للاقناع من خلال سلسلة من التعبيرات التي تناسب أجواء المهانة التي يجعلون لها طقوساً خاصة تزيد من قوّة تأثيرها في الناس. وقد التفت شُرّاح نهج البلاغة إلى تشبيه الإمام للمنجم بالكاهن. تشبيه الكاهن بالساحر وأخيراً تشبيه الساحر بالكافر. فذكروا أن الجامع بين هؤلاء هو اشتراكهم في العُدول والابتعاد والانحراف عن طريق الله تبارك وتعالى بوساطة التنجيم والكهانة و السِّحر والكفر، وهو ما يلزم صدّ كثير

(١) نهج البلاغة: خ / ٧٩: ١١٧، ١١٨.

من الخَلْق عن سبيل الله[١] وإنما جعل (الكاهن) أصلًا (للمنجّم) في التشبيه به؛ لأنّ الكاهن يّدعي علم الغيب، وإنما يصدر ذلك عن قوّة خاصة به كما يدَّعي، وهو ما يؤدي إلى إفساد أذهان الخلْق وأعوانهم للإيمان به. وأمّا المنجّم، فإنّه يّدعي إضافة كل هذهِ الأمور إلى علم النجوم، وهما كاذبان في ذلك[٢]. وأما جَعْله الكاهن كالسّاحر؛ فلانّ الأخير يدّعي الخلْق وضْع الخوارق، فلهذا صار الكاهن بمنزلته في الكذب[٣]. أقول: ولهذهِ الأسباب، فقد نهى الإسلام عن الكهانة ومنعها. وقد ورد في الروايات عن الأئمة(عليهم السلام) أنّ (الكاهن) في صدارة الأربعة الذين لا يدخلون الجنة، فضلاً عن كون ما يتقاضاه من أجر سُحتاً حراماً[٤].

المنجِّم

النِّجْمُ اسم يقع على الثُريّا، وكل منزلٍ من منازل القمر يُسمّى نجماً[٥]. والمنجِّم الذي ينظر في النجوم بحسب مواقيتها وسَيْرِهَا[٦]. والنجم في اللغة الوقت أيضاً، وقد كانت للعرب تجعل مطالع منازل القمر مواقيت حلول دِيُوْنها، فتقول إذا طلع النجم حلاًّ عليك مالي، أي إذا طلع الثُريا، فلما جاء الإسلام جعل الله تعالى الأهلّة مواقيت لما يريدون معرفته من أوقات العبادة وغيرها[٧].

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٦٧.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٦٧، والديباج الوضعي: ٢/ ٥٥٩.

(٣) ينظر: الديباج الوضي: ٢/ ٥٥٩.

(٤) روي في الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: ((اربعة لايدخلون الجنّة: الكاهن والمنافقُ،ومدمن الخمر،و الفتان، وهو النمام)). ينظر: وسائل الشيعة: ١٢/ ٣٠٨، و ٣٣٣.

(٥) ينظر: العين (نجم): ٦/ ١٤٥.

(٦) ينظر: العين (نجم): ٦/ ١٤٥، ولسان العرب (نجم): ٢/ ٥٧٠.

(٧) ينظر: لسان العرب (نجم): ١٢/ ٥٧٠.

واستعمل الإمام لفظة (المنجِّم)، و(النّجُوم) في نهج البلاغة مرة واحدة[١]، للدلالة على الناظر في النجوم ليُخبِرْ عن أوقات الضُر، والطالع الحَسَن. مع إيراد لفظة (النّجوم) للدلالة على علم النّظَر فيها. وذلك في سياق النَّهْي عن تعلُّم هذا العلم لاتخاذه وسيلة للإعْلام بالغيب. يقول (عليه السلام): (**أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَتَعَلُّمَ النُّجُومِ، إِلاَّ مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْر، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكَهَانَةِ، والْمُنَجِّمُ كَالْكَاهِنِ، وَالْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ، وَالسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ! وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ! سِيرُوا عَلَى اسْمِ اللهِ**))[٢]. نهي الإمام عن تعلّم التنجيم وعامٌ أخر منه تعلمها للاهتداء بها في معرفة الطرُّق من البر والبحر، ولهذا شبّه المنجم الذي يتعلمها لأجل الأخبار بما سيكون، بالكاهنِ الذي يدّعى كشف الغيب والعلم بما سيقع لهذا جعلهم جميعاً بمنزلة الكافر في البُعد عن تعاليم الله جل شانه وانحرافهم عن جادة الحق. وقد قيل إنّ الفارق بين (المنجم والكاهن) أنهما يخبران عن المستقبل بأدلة الحَدس، ولكن المنجم يخبر عن ذلك بوساطةٍ النجوم، في حين أنّ الكاهن يخبر عنها بالأرواح غير المرئية[٣] ولهذا شبّه الإمام (عليه السلام) المنجم بالكاهن.

الياسِر

الياسِر هو المُقامر اللاّعب بالقداح من المَيْسر[٤] وقد استعمل الإمام لفظة (اليَاسر) بصيغة (فَاعِل) المحلى بـ(ال) مرتين في نهج البلاغة[٥]؛ للدلالة على اللّاعب

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٣٥.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ٧٩: ١١٧، ١١٨.

(٣) ينظر: نهج البلاغة (الشيرازي): ١/ ١١٥، هامش (٢).

(٤) ينظر: غريب الحديث (ابو عبيد): ٣/ ٤٧٠، والنهاية في غريب الحديث: ٥/ ٢٩٥، ولسان العرب (يسر): ٥/ ٢٩٨.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٥٠٠.

بالمَيْسَر الضارب بالقداح، وذلك على نحو التشبيه بين حال المرء المسلم الذي لا يرتكب دناءة، أو حسداً يحث الناس، وبين حال اللاّعب بالمَيْسُر يترقب أوّل فوزه، وذلك في سياق كلامه (عليه السلام) عن الزُّهْدِ وتهذيب الفقراء به. وعن الشُّفقةِ وتهذيب الأغنياء بها،. يقول (عليه السلام): ((... **فَإِنَّ المَرْءَ المُسْلِمَ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ، وَيُغْرَى بِهَا لِئَامُ النَّاسِ، كانَ كَالفَالِجِ اليَاسِرِ الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَة مِنْ قِدَاحِهِ تُوجِبُ لَهُ المَغْنَمَ، وَيُرْفَعُ عَنْهُ وَكَذْلِكَ المَرْءُ المُسْلِمُ البَرِيءُ مِنَ الخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ الله إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ: إِمَّا دَاعِيَ الله فَمَا عِنْدَ الله خَيْرٌ لَهُ، وَإِمَّا رِزْقَ الله فَإِذَا هُوَ ذُوأَهْل وَمَال، وَمَعَهُ دِينُهُ وَحَسَبُهُ...**))[١]. يوازن بين حال غير المفتون الحاسد لأخيه المسلم، وبين حال الرابح في المَيْسر الذي ينتظر أول فوزه، ليكون له مغنماً، فكذلك الذي يغبط أخاه المسلم على ما أصابه من خير وزيادة في ولْده أو ماله، ولا يَحْسدُهُ زوال نعمة الله عليه، فإنّ الرزق ينزل كقطرات المطر إلى كل نفس كما يقول (عليه السلام). إنّ مفردة (اليَاسِر) من الالفاظ الغريبة عند اللغويين[٢]. وقد صنفها بعض الباحثين في جانب الغريب الوارد في اللغة بِقلة[٣]، وأشار إلى أنّ اللغويين والمعجمين، ذكروا هذه المفردة في الدلالة المقامرة، وأنهم اضطربوا في تحديد دلالتها المعنوية[٤]. وهذا الكلام فيه نظر؛ لأن المعجمين إنما ذكروا دلالات متعددة لهذه اللفظة تبدأ من دلالتها على اليُسر والسهولة واللّين، وتنتهي عند دلالتها على اللاّعب بالقمار، مروراً بدلالتها المادية، وهي جَزر الجزور وتقسيمه، وهو

---

(١) نهج البلاغة: خ/ ٢٣: ٥٣، ٥٤.

(٢) ينظر: النوادر في اللغة، لأبي زيد الأنصاري: ١٤٢، وغريب نهج البلاغة،: ١٩٤.

(٣) ينظر: غريب نهج البلاغة: ١٩٤.

(٤) نفسه.

المعنى الـذي أخذتـه المفـردة لتـدل بعـد حـين عـلى المقامـرة واللعـب بالمَيْسُرِ[(١)]. وأمّـا كـون المفـردة ذات دلالـة محـددة ضيقـة، وفي استعمالها في الاستقسـام بـالأزلام و(رمـي القِـدح). وهـو السـهم الـذي يقامـر بـه. فهـذا لا يعنـي ضيقهـا الـدلالي في كلام الإمـام (عليه السلام)، وأرد الإمـام باسـتعماله هـذه المفـردة، معنـى انتظـار الفـوز والغنـم وترقبهـما للحصـول عـلى الربـح ؛ ليكـون صاحبـه هـو (الفَالـج اليَـاسِر) أو (اليَـاسِر الفَالـج). فإنّـه لا يقصـد تحديـداً دلالتهـا عـلى القـمار، مثلـما لا يقصـد تسـويغ المقامـرة أو تجويزهـا بهـذا التعبـير. وقـد ورد النهـي عنهـا في قولـه تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[(٢)]. فـكل مـا قُوْمـرَ بـه، فهـو مَيْسر. ويتضـح ذلـك في تفسـير النبـي الأكـرم (صلى الله عليه وآله وسلم) لقولـه تعـالى -آنـف الذكـر-، فقـد روي عـن الإمـام الباقـر أبي جعفـر (عليه السلام) أنـه قال: ((لما أنْزل عـلى رسـوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[(٣)]. قيـل: يـا رسـول الله. فـما المَيْسر؟. فقـال: كل مـا تُقُوْمـر بـه، حتّـى الكعـاب والجـّوْز. قيـل: فـما الانصـاب؟. قـال: مـا ذَبحُـوْه لآلهتهـم. قيـل: فـما الأزْلاَم ؟ قـال: قداحُهُـم التـي يستقسـمُونَ بهـا))[(٤)]. وبهـذا تكـون دلالـة المَيْسر والمعطوفـات عليـه في الآيـة المباركـة واضحـة الدلالـة، وبخاصـة أنّ النبـي (صلى الله عليه وآله وسلم) قـد وسُّـع مـن دلالـة (المَيْسر)، فجعلهـا عامـة تشـمل كل مقامـرة، سـواء أكانـت بالقـداح أم بغيرهـا. وروى ابـن الاثـير الجـزري حديثـاً عـن الإمـام

(١) ينظر: المحكم (يسر): ٨/ ٥٧٦، ولسان العرب (يسر): ٥/ ٢٩٨، ٢٩٩.

(٢) المائدة/ ٩٠، وينظر: البقرة/ ٢١٩، والمائدة/ ٩١.

(٣) المائدة/ ٩٠

(٤) وسائل الشيعة: ١٧/ ١٤٨

علي (عليه السلام) يقول فيه: ((**الشّطرنجُ مَيْسرُ العَجمِ**))(١)، وشبه فيه اللعب بالشطرنج بالميسر، وهو القمار بالقداحِ(٢). أقول: ولعل اختصاص مفردة (الياسر) بالدلالة على المقامرة بالاقتسام بالأزلام ربما يكون من باب ذكر الخاص، والمراد به عامة القمار، فالمقامر بكل ضرب من ضروب القمار ينتظر الفوز منها. ما قد إليه الإمام في قولته، فأنّه أراد النتيجة التي يؤول إليها المقامر الفائز في لعبه، وتحقيق المشابهة بينه وبين من يطلب رضا الله تبارك وتعالى. بقي أن نشير إلى أن قول الإمام (عليه السلام): ((**كَالْيَاسِرِ الْفَالِجِ يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَة مِنْ قِدَاحِهِ**...))(٣) (وقد تقدمت فيه صنعة (الفالج) على الموصوف وهو (الياسر)، والأصل في الكلام هو (الياسرُ الفالج)، وهو النص الذي ورد في موضع آخر من نهج البلاغة، في فصل (غريب كلامه المحتاج إلى تفسير)(٤). فقد أورد فيه قولا للإمام (عليه السلام) أحسبه مقتطعاً من قوله في (الخطبة / ٢٣) التي تقدم ذكرها. وهو قوله: ((**كَالفَالِجِ اليَاسِرِ الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَة مِنْ قِدَاحِهِ**))(٥). ولما كان السياق الذي وردت فيه كلمة الإمام بتقديم الصفة على موصوفها، سياق موازنة بين المنتظر لفلجة يوم القيامة أو في الحياة الدنيا، وهو الفوز برضا الله تبارك وتعالى، وبين المنتظر لفلجة في لعب المَيْسر؛ لهذا قدّم الإمام مفردة (الفَالِج) على (اليَاسِر)؛ لأنّ السياق يقتضي ذلك الترتيب؛ بتقديم المعني على غيره. في حين أنّه قدّم الموصوف على صفته، بإيراد الكلام على نسقهِ وترتيبه

(١) النهاية في غريب الحديث: ٥/ ٧٠٣، ولسان العرب (يسر): ٥/ ٢٩٥.

(٢) نفسهما.

(٣) نهج البلاغة: خ / ٢٣: ٥٣.

(٤) نفسه: ٦٥١ – ٦٩٧.

(٥) نهج البلاغة: غ / ٨: ٦٥٣، وقد نقلت المدونات الخاصة بـ (غريب الحديث) قول الإمام المتقدم. ينظر: غريب الحديث (ابو عبيد): ٣/ ٤٦٨، ٤٧٠، وغريب الحديث (ابن الجوزي): ٢/ ٥١٠، والفائق: ٤/ ١٢٨، والنهاية في غريب الحديث: ٥/ ٢٩٥.

الصحيح في قوله (اليَاسِر الفالِج)؛ لأنّ السياق أو الموقف لا يخص الحديث عن (الفلجِ) أو (الظّفر) بقدر ما يتعلق بالحديث عن (المقَامِر الظّافر) في لعبته. إنّ هذا التوجيه الذي آراه لا يمنع أن يكون تركيب (اليَاسِر الفَالِج) مقتطعاً من الخطبة (٢٣) للإمام، الذي يظهر أنّ الشريف الرضي أعاده في هذه المواضع. أو الإمام أورده في موقف آخر استدعى فيه المقام أن يجيء بالكلام على سُوْقِهِ دون تقديم أو تأخير. ولهذا لا أجدّ للتقدير الذي قدّره الشارح ابن الحديد وجهاً، عندما قدّر أن معنى كلامه: (الفَالِج اليَاسر) هو (اليَاسِر الفَالج)، ذاكراً أَنّ هذا التقديم إنما حَسُن هنا؛ لأنّ اللفظتين صفتان، وإن كانت إحداهما مرتبة على الأخرى[1]. فإن المعنى في كلامه المتقدم بَيِّنٌ لا يحتاج إلى تقدير. فضلاً عن ذلك، فقد جعل الشارح هذا النص شبيهاً بتقديم الصفة على الموصوف في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ**﴾[2].

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١/ ٢٨٧.

(٢) فاطر / ٢٧. والغرابيبُ في اللغة الشديدة السواد. أما في قوله تعالى، فالمراد أنّ من الجبال ما هو شديد السّود حالك اللّون. ينظر: مجمع البيان: ٨/ ٢٤٢.

المبحث الثالث عشر
ألفاظ طبقة غير المسلمين من أهل الذمة

أهل الذّمّة

الذِّمّة العهد والكفالة[١] والذِّمّة الأمانُ أيضاً[٢]. وسُمِّي أهل الذِّمّة ذمَّة؛ لدخولهم في عهد المسلمين وأمانتهم[٣]. ويُسمّى المُعاهد ذمِّياً؛ لأنّه أُعْطي الأمان على ذمّة الجزية التي تُؤْخذُ منه[٤]، فصار أهل الذِّمّة هم أهل العَقد[٥] والاتفاق بحسب هذا الوجه المتقدم.

وقد ورد تعبير (أهل الذّمّة) في كلام الإمام علي في نهج البلاغة مرة واحدة[٦]، دالاً على أهل الأمان والعَهْد من غير المسلمين الذين دخلوا في أمان الإسلام. وقد ذكرهم أمير المؤمنين بوصفهم طبقة من طبقات المجتمع. يقول (عليه الصلاة والسلام) مخاطباً (مالكاً الأَشْتَر) في قوله الذي يقسّم فيه المجتمع على طبقات: **((وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لاَ يَصْلُحُ بَعْضُهَا إلاَّ بِبَعْض، وَلاَ غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْض: فَمِنْهَا جُنُودُ الله،مِنهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ، وَمِنهَا عُمَّالُ الاِْنْصَافِ وَالرِّفْقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ وَالْخَراجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ، وَمِنهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ**

(١) ينظر: لسان العرب (ذمم): ١٢/ ٢٢١.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: جمهرة (ذمم): ١/ ٩٤.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٧١.

وَالْمَسْكَنَةِ...))[١] وفي كلامه (عليه السلام) هذا تقسيم للمجتمع على طبقات تَبْعٍ خامسها طبقة أهل الجزية والخراج من أهل الذِّمّة. وهؤلاء هم الذين يدفعون الجزية للمسلمين ويعيشون بينهم مُسالِمِيْن مَحْفُوظي الحقوق.

مُعاهَد

العَهْدُ المَوْثقُ[٢] أو المِيْثَاقُ واليمين التي تستوثق بها مِمَّنْ يُعاهِدْكَ [٣]. ويُسمّى اليهود والنصارى أهل العُهْد؛ وذلك للذمَّة التي أُعْطوها في الإسلام والعُهدة المشْترطة عليهم[٤].

ولفظتا (مُعَاهَدٍ)، و(المُعاهَدَة) من ألفاظ نهج البلاغة. فقد وردتا مرة لكلٍ منهما[٥]، دالتان على أهل الذِّمّة من المُعاهِدين في الإسلام. وهم مما يوجب الإسلام حفظ حقوقهم ورعاية العهد معهم، ما داموا ثابتين عليه. يقول (عليه السلام) في سياق وصية عمّاله على الخراج برعاية الناس، وعدم أخذ أموالهم عنْوَةً: **((وَلاَ تَمَسُّنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، مُصَلٍّ وَلاَ مُعَاهَد، إِلاَّ أَنْ تَجِدُوا فرَساً أَوْ سِلاَحاً يُعْدى بِهِ عَلَى أَهْلِ الإِسْلاَمِ...))**[٦]. وقد ذكر الإمام لفظة (الناس) في هذا السياق، وهي لفظة عامّة، خصَّصَها بقوله (مُصَلٍّ) التي قصد بها الإنسان المُسْلم مشيراً بهذهِ المفردة الدالة على أهم ركن من أركان الإسلام، وهو الصلاة. إلى من كان مسلماً من الرعية. في حين أنَّه استعمل لفظ (مُعَاهدٍ) في إشارة إلى غير المسلمين من المُعاهدين الذين

(١) نهج البلاغة: ك/ ٥٣: ٥٥٠.

(٢) ينظر: العين (عهد): ١/ ١٠٢.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (عهد): ١/ ٩٨. نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٢٦.

(٦) نهج البلاغة: ك/ ٥١: ٥٤٢.

لابدَّ من الوفاء بعَهْدهم، ما لم يعملوا على إلحاق الأذى بالإسلام والمسلمين، فإنْ أضْمَرُوا سلاحاً يجلب ويُعْدى به على المسلمين،فإنّه يجب أخذه من أيديهم؛ لئلا يكون شوكة وعوناً يجلب به على الإسلام[١]. واستعمل الإمام (عليه السلام) لفظة (المُعَاهَدة) دالة على المرأة غير المسلمة من أهل الذِمّة في (خ / ٢٧).

أهل الجزية

الجزْية - بالكَسر - خَراج الأرض، وهو ما يُؤْخَذُ من الذِّمي[٢] سميت بذلك؛ للإجتنزاء بها عن حَقْن دَمِهم كما نُقل عن العلماء[٣]. وقيل: بل هي المال الذي يعقد الكتابي عليه الذِّمّة؛ فكأنها أجزت عن قَتْلة[٤].

وجاء تعبير (أهْل الجِزْية) في نهج البلاغة مرة واحدة[٥]، قال تعالى: ﴿... الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[٦].دالًا على غير المسلمين الذين تؤخذ منهم أموال خراج الأرْضِ، أو غيرها من الأموال التي يُسَاهم المسلمون عليها. يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذِكرهم بوصفهم الطبقة الخامسة من مكونات المجتمع: ((... **وَمِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ وَالْخَراجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ...**))[٧].

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٣٣٠.

(٢) ينظر: تاج العروس (جزي): ٣٧ / ٣٥٤.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ١/ ٢٧١، وتاج العروس (جزي): ٣٧/ ٣٥٤.

(٥) نهج البلاغة: ك / ٥٣: ٥٥٠.

(٦) التوبة / ٢٩.

(٧) نهج البلاغة: ك / ٥٣: ٥٥٠.

المبحث الرابع عشر
ألفاظ طبقة الأغنياء والملاّك

الأغنياء

الغني من الرجال هو الذي أصاب المال الوفر الكثير[١]. والغني اليسار والاستغناء[٢].

وقد وردت الفاتظ (الأغْنِياء) بصيغة الجمع ست مرات في نهج البلاغة، وجاءت لفظة (غنيّاً) أربع مرات، و(غَنِيّ) ثلاث مرات و (الغَنِي) محلاة بـ (ال) مرتين، وكذلك لفظة (غَنِيُّهم) مضافة إلى ضمير جماعة الغائبين. في حين وردت مفردات (غِنَاك) مضاف إلى ضمير الخطاب، و(غناه) مضافة إلى ضمير الغائب، (وغَنيّها) مضافة إلى ضمير الغائبة، مرة واحدة لكلٍ منهما[٣]، للدلالة على مايأتي:

أولاً: الدلالة على الثروة ووفرة المال.

وهذه الدلالة أكثر شيوعاً من بقية الدلالات التي جاءت فيها مفردة (غني) ومشتقاتها. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق كلامه عن توزيع الثروة بين الناس، وكيف أنّ الله تبارك وتعالى جعل أقوات الفقراء في أموال الأغنياء. يقول: (**إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ، فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلاَّ بِمَا مَنَعَ بِهِ غَنِي، وَاللهُ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَنْ ذلِكَ**))[٤]. يفصل الإمام طريقة تقسيم الله تعالى الثروة

---

(١) ينظر: العين (غني): ٨/ ٤٥٠، وتاج العروس (غني): ٣٩/ ١٨٩.

(٢) ينظر: لسان العرب (غنا): ١٥/ ١٣٦.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٤١.

(٤) نهج البلاغة: قصا/ ٣٢٨: ٦٦٧.

على الناس، فيسقم - بحسب هذا النص - المجتمع من حيث حاجته وعدمها على قسمين؛ الأغْنياء: وهم الذين حازوا نصيباً وفيراً من الأموال، والفقراء الذين لا يملكون أقواتهم وأرزاقهم وحوائجهم. ولمعادلة هذه الحالة من التطرّف في (الثروة) أوجب الله (جل جلاله) على (الأغنياء) أن يجعلوا في أموالهم حقوقاً لهؤلاء الفقراء، مما فرضه الله عليهم من الحقوق كالزكاة والخُمس والصدقات وغيرها. فإن لم يفعل الأغنياء المكتفون ذلك، فجوع الفقراء دليل على منع هؤلاء الأغنياء الأقوات عن الفقراء. ومحور النص هو الحديث عن (الصّدقة) كما يذكر - شُرَّاح النهج - ولهذا رهَّبَ الله تعالى الأغنياء وحذّرهم بسؤالهم عن ذلك[1]. وقد ورد في القرآن الكريم الحثِّ على التصدّق على الفقراء علانية وسراً. قال تعالى: ﴿**إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾[2]. وقد ورد في الحديث عن النبي الأكرم(ﷺ) قوله: ((**أُمِرْتُ أَنْ آخُذَ الصُّدقاتِ من أغْنِيائكم وأَردُّها في فُقرائكم**))[3]. وقد وردت مفردات (غنياً) و (غنيّهم) و(غِناه) و (الغَنِي) و (الأغْنِياء) بالدلالة المتقدمة، وذلك في (خ/ ١٩٢، ١٩٣، ٢٣٣، ٣٣٣، ك/ ٤٥ قصا/ ١٢٦، ١٥٠، ٢٢٨، ٣٧٢، ٤٠٦، ٤٢٦).

ثانياً: الدلالة على عدم حاجة الله تبارك وتعالى إلى غيره:

استعمل الإمام هذه الدلالة مفردة (غَنيّ) الدالة على عدم الافتقار والحاجة. وذلك في سياقات ثلاث في تنزيه الله تبارك وتعالى والثناء عليه، مضمناً ذلك آيات من القرآن الكريم تتضمن مفردة (غَنِيّ) للدلالة على استغناء الله جل دلاله وعدم

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٧٩.

(٢) البقرة/ ٢٧١.

(٣) مسند شمس الأخبار المنتقى من كلام النبي المختار، لعلي بن حميد القرشي: ٢/ ٥٧. والديباج الوضي: ٦/ ٢٩٦٧.

احتياجه العالمين. ومن ذلك كلامه في حج البيت الحرام الذي جعله الله ((قبْلَةً للأنامِ يردُونَهُ ورُودَ الأنْعَامِ وجَعَلَه - سُبْحَانَهُ - علامة لتواضُعهم لعظمتِهِ وإذْعانِهم لِعزَّتِه... فقال سبحانه: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[1]))[2].

وقد بين المفسرون دلالة مفردة (غَنِيٌّ)، ذاكرين أنّه جل جلاله غنيٌّ عن الناس، وإنما وسّع اللفظ وعَمَّمَهُ؛ لينبه الفكر إلى قدرته تعالى شأنه واستغنائه من جميع الوجوه، فليس به افتقار إلى أيِّ شيء سواه، لأنّه لا ربَّ غيره[3]. ونظير هذا الاستعمال في توظيف الإمام لمفردة (غَنِي) من القرآن الكريم، ما جاء في (خ/ ١٨٣).في حين أنه أوردها بنسجه الخاص للكلام في (خ/ ١٨٦). مثلما استعمل مفردة (غناك) للدلالة على الاكتفاء بالله تعالى معينا وناصراً في (خ ١٩٣، ٢١٥)

ترف

الـتّرف التّنَعُّمُ[4] المُتْرَف الموسّع عليه عيشه القليل الهمِّ[5]. وأصل الترف - كما يذكر اللغويون - هو تَنْعيم الغذاء وتحسينه[6].

وقد استعمل الإمام مفردات: (المُتْرفون) التي وردت مرتين في نهج البلاغة، و(مُتْرَف) مجردة من (ال) التعريف ومحلاة بها مره واحدة لكل منها. و (تَرَف)

---

(١) آل عمران / ٩٧.

(٢) نهج البلاغة: خ / ١: ٢٥.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ١/ ٤٨٠.

(٤) ينظر: المحكم (ترف): ٩/ ٤٧٦.

(٥) ينظر: العين (ترف): ٨/ ١١٤.

(٦) ينظر: العين (ترف): ٨/ ١١٤، والمحكم (ترف): ٩/ ٤٧٦.

بصيغة المصدر، و(مُتْرَفة)، بصيغة اسم المفعول مرة واحدة لكل منها[١]، للدلالة على رفاه العيش وتنعمه وسعته. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق كلامه عن تعصب ذوي النّعم وتعاليهم على الناس: ((**وَأَمَّا الأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الأُمَمِ، فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ، فَـ ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾**[٢]... **فإن كان لابُد من العَصَبّة، فَلْيكُن تَعَصُبكمُ لمكارم الخصُال ومَحامِدِ الأفعْال...**)) [٣] والإمام (عليه السلام) يتحدث في هذا النص عن ضرب آخر من ضروب (العصِبّة). وهو (التّعصّب) الخاص (بالأغنياء) من الناس الذين أُتْرفوا، ووسِّع عليهم الرزق والرفاه في العيش، فلزمهم التعصب لما حازوه من أموال وأولاد، وذهب بهم الأمر إلى نفي العذاب عنهم. ولهذا ذكر الإمام أنه إنْ كان لابُدَّ من هذه (العصبيّة)، فليكن التعصب لمكارم الخصال والأفعال المحمودة؛ لأنها أدعى إلى الفخر والمباهاة، ولمكانها من رضا الله تبارك وتعالى. وفي هذا الأمر تنبيه منه (عليه السلام) إلى ملازمة (العصبية) نفس الإنسان حتى أصبحت جزءاً من عادات العرب وتقاليدها، فأراد الإمام توجيه هذه الخصلة ونقلها من الاتجاه السّلبي إلى الجانب الايجابي عن طريق توظيفها في مكارم الاخلاق والخصال الحميدة. ولاسيما في صنف الأغنياء من الناس الذين استعمل الإمام في وصفهم مفردة (مُتْرُفة) بصيغة اسم المفعول للدلالة على مقام التفضل عليهم، وأنّ أموالهم وأولادهم ونعمهم جميعاً هي من خالقهم، وليس من صنع أيديهم وعملهم؛ فـ(الغني والتّرف) منه جل جلاله. ولهذا أشار بعض المفسرين إلى تفسير مفردة (مُعذّبِين) في الآية المباركة

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٧١، ٧٢.

(٢) سبأ/ ٣٥.

(٣) نهج البلاغة: خ/ ١٩٢: ٣٧٢.

بـ (الفَقْر)[١]. كأنهم نفوا عن أنفسهم أن يعذبهم الله بالفقر بعد ترفهم وغناهم.

أقول: إنّ الإمام (عليه السلام) وظّف لفظة (مُتْرَفة) في كلامه توظيفاً قرآنياً - فيما يبدو - كأنه يريد الإشارة إلى أنّ (الأغنياء) على ضربين؛ الضرب الأول هم (الأغنياء) من غير المترفين، وهم الذين وظّفوا أموالهم في رضا الله تبارك وتعالى وطاعته، ولم تُلههم أموالهم ولا اولادهم عن ذكر الله، وهم خير مثال لقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[٢].

أما الصنّف الثاني، فهم (الأغنياء المُتْرفون)، وهؤلاء - فيما يبدو من كلامه (عليه السلام) - هم أعلى أكثر الناس أموالاً وأعزّهم نفراً، وهم يمثلون النوع السَّلبي من الأغنياء؛ لأنّ ترفهم أوصلهم إلى نفي العذاب والفقر عنهم. ولهذا نجد القرآن الكريم يستعمل لفظة (مُتْرفيها) بدلالة منحطة جاعلا من هؤلاء السبب في الفسوق والظلم الذي يهلك الأمم. يقول تبارك وتعالى: ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا** ﴾[٣] أي: إذا دنا وقت إهلاك قوم، و لم يبق من زمان إمهالم الا قليل، أُمر (المترفون) بالفسق. وأمر الله لهم مجاز[٤]، لأن الله تبارك وتعالى لا يأمر بالفسق، وإنما بالإيمان والتقوى، والمراد بـ (أمرناهم) أنّه أمرهم بالطاعات والخيرات، ولكنهم خالفوه إلى الفسق[٥]. أمّا وجه اختصاص (المترفين) بالفسق، فذلك لأنهم فتحت عليهم أبواب الخيرات

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٤/ ٤٢٢.

(٢) المنافقون / ٩.

(٣) الإسراء / ١٦.

(٤) ينظر: الكشاف: ٢/ ٦١١.

(٥) ينظر: التفسير الكبير: ٢٠/ ١٣٩.

والرفاه، وصبَّ الله عليهم النعمة صبّاً، فاتخذوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات، بعدما أُمروا بشكر هذه النّعم، واستعمالها في الخير والبر والإحسان[١] ومما يعزز هذا الأمر - أيضاً - أنّ القرآن الكريم يذكر (المترفين) في صدارة الكافرين الرُّسل. كأنّ هؤلاء يمثلون مكانة الرئاسة والزعامة في الأمم؛ بسبب من غناهم وترفهم. ولهذا كان بعث الأنبياء والرّسل سبيلاً إلى إزاحتهم عن مواضعهم، وسحب البساط من تحت أرجلهم في تسلطهم على الناس، وإثارة الرعية بظلمهم وشرورهم يقول تبارك وتعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ**﴾. **وقوله تعالى** ﴿**وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ**﴾[٢]. وقد استعمل الإمام الفاظ (المُترفُون) و (مُتْرف) و (المُتْرف)، و(ترف) بالدلالة المتقدمة نفسها في (ن / ٢٧، قصا / ١٤٧، ك / ١٠، خ / ١٠٣، ٢٢١، ١٩٢).

دَهَاقين

لدُّهْقَان - بكسر الدالا وضمّها - التّاجر[٣]. وقيل: بل هو القوي على التصرف مع حدّة[٤]. وذهب بعضهم إلى أنّه الكبير من كفّار العجم الذي يتزعم فلّاحيهم[٥]. أو هو رئيس الإقليم ومقدم القرية وصاحبها بخراسان[٦]. و(الدُّهْقان) وجمعه

(١) ينظر: الكشاف: ٢/ ٦١١، والتفسير الكبير: ٢٠/ ١٣٩.

(٢) سبأ / ٣٤. وتنظر: الزخرف / ٢٣.

(٣) ينظر: المحكم (دهق): ٤/ ٤٥٧، ولسان العرب (دهقن): ١٣/ ١٦٣.

(٤) نفسها.

(٥) ينظر: المغرب: ٢/ ٢٧٢، وتاج العروس (دهقن): ٣٥/ ٤٨.

(٦) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/ ١٤٥، وتاج العروس (دهقن): ٣٥/ ٤٨.

(دَهَاقِيْن) من الالفاظ الفارسية المعرّبة عند اللغويين[١] وأصله فيلا الفارسية(دِه كَان)[٢]. وهو مخفف عن (دِيهْيكَان)[٣]. ولهذه المفردة وجهان من الاشتقاق؛ فأن عدّت النون فيها ألصية، فهو مصروف في العربية. وتلك إمارة على عربية اللفظ وعدم عجمته. وأما إذا أخذ من (دهق)؛ على أساس أنّ النون فيه ليست منه، فعند ذلك لم يُصْرف. يقول سيبويه – ناقلاً رأي الخليل في هذا اللفظ: ((وسألته عن رجل يسمى (دِهْقان). فقال: إن سميته من التَّدَهْقن، فهو مصروف، وكذلك شيطان إذا أخته من التشيطن. فالنون عندتا في مثل هذا من نفس الحرف. إذا كان له فعل يثبت فيه النون. وإنّ جعلته من الدَّهق، وشيطان من شيط لم تصرفه))[٤]. وتأكيد الخليل علي إثبات النون في (دُهقان) علامة على أنه يرى عربيه هذا اللفظ. وقد كرر سيبويه عدم جعل (النون) في اللفظ المتقدم زائدة[٥]. ومع كل متا ذكر من أعجمية هذا اللفظ عند اللغويين، فالنحويون يميلون إلى كونه لفظ عربي. الاشتقاق يعينهم على ذلك؛ لأنّ المدونات اللغوية تذكر دلالات متعددة للجذر (دهقن) و (دهق)، فالتّدَهقن التّكيّس. ودهْقَن الطعام ألانَهُ[٦]. وفي البادية رملة تعرف بـ(لوى دهقان)[٧]. ويجوز أن تكون هذه اللفظة من الألفاظ المشتركة بين

(١) ينظر: جمهرة اللغة (دهقن): ٢/ ٦٧٨، والمحكم (دهق): ٤/ ٤٥٧، والمعرّب: ١٩٤.

(٢) ينظر: منهاج البراعة: ١٨/ ٢٧٤ نقلًا عن صاحب كتاب (بُرهان قاطع) الذي لم أعثر عليه،والفاظ الحضارة في القرن الرابع الهجري (دراسة في ضوء مروج الذهب للمسعودي)، للدكتور رجب عبد الجواد ابراهيم: ٦٠.

(٣) ينظر: منهاج البراعة: ١٨/ ٢٧٤.

(٤) كتاب سيبويه: ٣ / ٢١٨. وينظر: الأصول في النحو: ٢/ ٨٨، والمحكم (دهق): ٤/ ٤٥٧.

(٥) نفسه: ٤/ ٨ ٣٢١.

(٦) ينظر: لسان العرب (دهقن): ١٣/ ١٦٣، ١٦٤.

(٧) ينظر: تهذيب اللغة (دهقن): ٦/ ٢٦٥.

العربية والفارسية، على الرغم من تباعد الفصيلتين اللغويتين. وذلك راجع إلى المجاورة وكثرة التلاقي بين أبناء الدولتين العربية والفارسية.

وقد استعمل الإمام لفظة (دَهاقِيْن) مرة واحدة في كلامه الوارد في نهج البلاغة؛ للدلالة على رؤساء القوم وملاّكهم في بلاد فارس. وذلك في سياق نصح عمّاله وإرشادهم بضرورة معاملة الرعية بالحُسنى بعدما شكوا منه غلِظه وقسوة؛ إذ يقول (عليه السلام): ((**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ دَهَاقِينَ أَهْلِ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ غِلْظَةً وَقَسْوَةً، وَاحْتِقَاراً وَجَفْوَةً، وَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلاً لاَنْ يُدْنَوْا لِشِرْكِهِمْ، وَلاَ أَنْ يُقْصَوْا وَيُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ، فَالْبَسْ لَهُمْ...**))[1]. يوجّه الإمام عامله أن يسلك مع هؤلاء منهجاً وسطاً؛ فلا يُدينهم كل الإدناء لأنهم مُشْركون، ولا يقصيهم عنه؛ لأنهم مُعَاهدون؛ لأنّ إقصاءهم منافاة لعهدهم مع المسلمين. فأمره بأن يعدل معهم، خالطاً اللين والرأفة بالشدة والقسوة دفعاً لشروحهم[2]. وقد اختلفت آراء الشرّاح في المراد بلفظة (دهاقين)؛ فمنهم من ذهب إلى المراد بهم الزعماء من أرباب الأملاك بالسّواد[3]. ويفهم من كلام الشارح البحراني أنهم أصحاب الإعمال والزراعة التي بها صلاح المعاش[4]. وخصّهم البعض بالتّجار من اليهود والنصارى في البلد[5] أقول: ويمكن الجمع بين هذه الآراء، ليكون المراد بلفظة (دهاقين) هم الزعماء من رؤوساء القرى وملاّكها وتجارها من ذوي الأموال والعقار من غير العرب، وهم من الأقوياء على التصرف مع حِدّة فيهم. يعيننا في ذلك سياق النّص الذي يأمر

(١) نهج البلاغة: ك / ١٩: ٤٧٦، ٤٧٧.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ٢٢١.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ابي الحديد): ٥/ ١٠٥.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ٢٢١.

(٥) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٢١٩٠.

فيه الإمام عامله على اتباع العدل في معامله هذا الضرب من المُعاهديْن، لأنهم أهل رئاسة ومُلك وضياع في بلدهم الذي يقع تحت سيطرة الدولة الإسلامية، فضلاً عما منهم من حدّة وغلظة، ولهذا أرشده أن يعاملهم بما يناسب منزلتهم في تلك البلدان. وهذه الدلالة أليق بالسياق من غيرها. أمّا إيثار الإمام المفردة المتقدمة في وصف هؤلاء دون غيرها من الألفاظ الدالة على مكانة هذا الصنف من الناس، فالظافر أنّ أمير المؤمنين راعى في ذلك حال هذه الطائفة من جهة انتمائهما الديني؛ لذلك استعمل لهم هذه الكلمة التي تليق بشأنهم الذي هم عليه. بوصفهم من زعماء القرى وملاكها في بلاد فارس، وهو ما يستفاد من السياق التأريخي الذي نقلته المدونات لنا من أن خطاب الإمام موجه إلى بعض عمّاله على بلاد فارس[1]. فيكون المجيء بمفرده (دهاقين) مناسباً لمكان هؤلاء. ولاسيما إذا عرفنا أنّ الكلمة المتقدمة تستعمل في اللغة الفارسية دالة على رؤساء القرى وزعمائها. وإنها مكونة في تلك اللغة - من مقطعين (د هـ)، وهي بالفارسية (القرية)، و(كَان) وتعني الأمير والرئيس، والملك والحافظ والزعيم. وربما تطلق على تلك الظالم عندهم[2]. وبهذا يمكن أن فهم مدى مراعاة في استعمال المفردات المناسبة الإمام لحال المتحدث عنهم، فتجيء كلماته مناسبة لبيئتهم اللغوية والاجتماعية من خلال المفردات الدالة عند الناس كل بحسب منزلته وشأنه.

(١) ينظر: مصادر نهج البلاغة وأسانيده: ٣/ ٢٤٢.

(٢) ينظر: منهاج البراعة: ١٨ / ٢٧٤.

الظواهر اللغوية

استعمل بناء (فَاعِل) من الفعل الثلاثي المهموز العين (رائد). وصيغ بناء (فَعِيْل) من الفعل الثلاثي الصحيح المضعف اللّام (طَبَّ) بصيغة (فَعِيْل) (طَبِيب)، للدلالة على النبي الأكرم الذي يداوي مرى الجوارح والقلوب.

وجاء بناء (فَاعِل) مأخوذاً من الثلاثي الأجوف المعتل بالواو، وذلك من مفردة(حَوك) التي صيغت منها كلمة (حَائِك) دالة على مَن كانت مهنته ومهنة أبيه الحياكة سواء أكانت المهنة المعروفة، أم حياكة الكلام ونسجه بصورة الباطل.

استعمل الإمام مفردات (البَنّاء، والنَّسّاج، والخبّاز) بوزن (فَعّال)،وهو بناء من أبنية المبالغة الذي أفاد الدلال على احتراف العمل وامتهانه.

ورد بناء (فَعَائِل) في نهج البلاغة من الفعل الثلاثي الصحيح (عقل) مصوغاً على (عَقَائِل) جمع (عَقِيْلة)، للدلالة على سيادة النبي الأكرم ونفاسة أخلاقه.

ورد بناء (فُعَّال) جمعاً للكلمات (عُمّال) و(خُزَّان، كُتّاب)، للدلالة على من احترف هذهِ الوظائف مع لحاظ المبالغة في أداء أعمالها.

ثمة علاقة ترادف جزئي بين مفردتي (رائد، و القائف) في كلامه (عليه السلام)، فكلا اللفظتين تدلاّن على معنى التَّتَبُّع للآثار ولمساقط الغيث والمطر. كما وقعت هذه الظاهرة بين كلمات (النساء، المرأة، الأنثى، الأرملة، ربّات الجمال، مؤودة، الكعاب، عقائل) مع الفارق الذي يميز كل مفردة عن الأخرى. وبين الفاظ (الإماء، خادمة، عتيقة)، وبين كلمة (عيني) الدلالة العين الرقيب الذي سيطلع الأخبار و (رُقباء)، وبين (المقدمة، و طلائعهم)، وبين مفردات (سيّد، لهاميم) و (يَعْسُوب، والقرم) وبَيّن أيضاً شيوع الترادف الجزئي بين كلمات (جُبَاة)

و(عَشّاراً)، وبين (عمّال، خُزّان).

وقع التقابل الدلالي بين الفاظ (العَالم، الحكماء) وبين مفردات (أَحْمَق، المائِق، النّوكى، التغابي).

ثمّة علاقة جزء بكل بين مفردات (جنود) و (الجيش) و (جَحْفَل).

استعملت مفردة (قَهْرِمانة) في النهج العلوي، وهي من الألفاظ الفارسية المعرّبة التي تدل على القائم المتحكّم بالأمور، فوظّفها الإمام للدلالة على نفي هذه الصفة عن المرأة. كما جاءت مفردة (دَهَاقْين) التي تعد من الألفاظ الفارسية المعرّبة، الدّالة على الكبير من كفّار العجم والملاّك، وهي في الفارسية (ده كَان).

استعملت مفردة (رائد) دالة على الرائد الذي يسمح الأخبار الواردة بحق أهل البيت (عليهم السلام)، فضلاً عن الدلالة على النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم).

المحتويات

مقدمة المؤسسة ٩
مقدمة ١١

الفصل الأول

الفاظ وسائط النقل ومتعلقاته

المبحث الأول: الإبل ومتعلقاتها ٢٧
١ - الإبل وعللها ٢٧
دَبَر ٢٧
أولاً: التقرح والجروح التي تصيب ظهر الإبل والدواب. ٢٧
ثانياً: الدلالة على الحال التي يعيش بها البَدْو. ٢٨
الظَّالِع ٢٨
أولاً: الدلالة على البَعِيْر الذي يَغْمِز في مِشْيَتِه. ٢٩
ثانياً: الدلالة على الغَمْزِ والمَيْلِ في النَّسَبِ والمكانة الاجتماعية. ٣٠
الأَجْرَب ٣١
حَدَابِيْر ٣٣
ذات عوار ٣٨
العَمِدة ٣٩
العَشْواء ٤٠
مكسورة ٤٢
اللاّغِب ٤٣
النَّقِب ٤٦
مَهْلَوسةً ٤٧
٢- الفاظ أجزاء جسم الإبل ٤٨

السَّنَام ٤٨
أولاً: الدلالة على علو الشَّأن ورفعة المنزلة. ٤٩
ثانياً: الدلالة على الإسلام. ٥١
ثالثاً: الدلالة على اعتلاء العلياء. ٥٢
الكَلْكَلُ ٥٣
أولاً: الدلالة على أَكَابِر العَرَبِ. ٥٤
ثانياً: الدلالة على أثقال الدنيا وما فيها من بغي وفتنٍ. ٥٥
جِرَانه ٥٦
غَارب ٥٧
أولاً: الدلالة على مقدم عنق البَعِير. ٥٨
ثانياً: الدلالة على إطلاق الأَمر وتركه على حاله. ٥٨
وَبَر ٦٠
شِقْشِقَة ٦١
آبَاطُ الإبل.. ٦٤
أَعجاز الإبل.. ٦٥
٣-الفاظ عامّة الإبل.. ٦٩
إبل.. ٦٩
أولاً: الدلالة على الاجتماع والكثرة والتّزاحم. ٦٩
ثانياً: الدلالة على ركوب أعجاز الإبل دلالة على الذّلّة والمهانة........................ ٧٣
البهائم ٧٥
أولاً: الدلالة على (الجَمَل) الذي صَار الواسطة التي أقلّت السيّدة (عائشة) في معركة الجَمَل. . ٧٥
ثانياً: الدلالة على البَهائم من دواب الأرض. ٧٧
الجَمَل.. ٧٨
أولاً: الدلالة على الجَمَلِ المعروف الذي هزُل، وصار ضَعِيفاً مُنْهكاً من كثرة ما حُمِل عليه، حتى ضجَّ مما يُثْقله.. ٧٨
ثانياً: الدلالة على الجَمَل الذي اتخذته السيدة (عائشة) واسطة لها في حربها على الإمام (عليه السلام). ٨٠

دابّة ٨١
أولاً: الدَّابّة المعروفة التي يُركب عليها. ٨١
ثانياً: الدلالة على الرِّجْلَيْن من الإنسان. ٨٢
ثالثاً: الدلالة على الدواب عامّة........................ ٨٢
ناقة ٨٤
البَعِير.. ٨٧
العَجْمَاء ٨٩
٤- الفاظ قيود الإبل وأزمتها ٩١
زمام ٩١
خِطَامها ٩٣
خِزامته ٩٥
كعمته ٩٨
أولاً: منع الناس الراغبين في الله من الكلام. ٩٩
ثانياً: الدلالة على منعِ الموجِ من التّقَاذف والهيَاج. ١٠١
أوهاق ١٠١
مَثَانِيْهَا ١٠٣
المَخْشُوشُ ١٠٤
٥- علف الإبل واجترارها وعطشها........................ ١٠٦
عَلَفها ١٠٦
الهِيْم ١٠٧
يَخْضِمْون ١١٠
حَسَكِ السَّعْدَان ١١٣
العِطَاش ١١٥
اعْذِبُوا ١١٧
المَعَاطِش ١١٩
٦- سير الإبل وحداؤها ودعقها وتمعكها ١٢١

الوَجِيْف ١٢١
أولاً: إسراع الذِّكر باللِّسَانِ. ١٢٢
ثانياً: الدلالة على إسراع (مَطَايا الطَّمَع). ١٢٣
تَخْبِط ١٢٦
اسْتَوسقت ١٢٨
حَدَائِهما ١٣٠
تَدْعَق ١٣١
قَمَصَت ١٣٤
تَمَعَّكَتْ ١٣٧
٧- الرّحل والظّعن وأدواتها ١٣٨
الرّحل ١٣٨
أولاً: الدلالة على الرَّحْلِ الذي يوضع على الإبل. ١٣٩
ثانياً: الدلالة على السَّفَر إلى الآخرة (الموت). ١٤١
ثالثاً: الدلالة على الانتقال والتحرّك. ١٤٣
رابعاً: الدلالة على السَّلْب. ١٤٤
خامساً: الدلالة على الإبل. ١٤٦
ظعن ١٥٠
أولاً: الدلالة على السَّفر والارتحال. ١٥١
ثانياً: الدلالة على الهَوَادج التي تحملها الإبل: ١٥٢
أَحْلاس ١٥٣
الوَضِيْن ١٥٥
قَتَب ١٥٨
العِكم ١٥٩
٨- الهوامل والسَّروح من الإبل ١٦١
السَّائمة ١٦١
سَائم ١٦٢

الهاملة ١٦٧
أولاً: الدلالة على الهَمْل من الناس. ١٦٧
ثانياً: الدلالة على الهَامِلَةِ من البهائم. ١٦٨
مَسَارِب ١٦٨
أولاً: الدلالة على المراعي. ١٦٨
ثانياً: الدلالة على تسرب المنيِّ من الإنسان ونزوله إلى صلبه عند تكونه. ١٦٩
سَرُوح ١٧٠
أولاً: الدلالة على رَعْي الإبل. ١٧٠
ثانياً: الدلالة مَوَاضِع السَّرح. ١٧١
أَرْسَالاً ١٧٢
٩- قياد الإبل وسوقها وصعابها وذللها ١٧٤
أسْلس ١٧٤
الصَّعْب ١٧٦
النّفُور ١٧٧
ذُلُل ١٧٩
أولاً: الدلالة على الدّواب الذُّلُل التي تنقاد بسهولة. ١٧٩
ثانياً: الدلالة على التقوى وسهولتها. ١٧٩
ثالثاً: الدلالة على السحاب الخالي من البروق والصواعق. ١٨٠
أَشْنَق ١٨١
١٠- لقاح الإبل ونتاجها ١٨٥
اللقاح ١٨٥
أولاً: الدلالة على الإبل الحَلُوب اللُّقْحَة. ١٨٥
ثانياً: الدلالة على مَاءِ الفَحْلِ. ١٨٧
شَوْله ١٨٩
أولاً: الدلالة على رَفْع الأيدي للقِتَال. ١٨٩
ثانياً: الدلالة على الشائِلة من الإبل. ١٩١

المَطَافِيل ١٩٣
العِشَار ١٩٤
العُوذ ١٩٩
١١- ضرع الناقة وحلبها ٢٠٢
أخلافِها ٢٠٢
ضَرْع ٢٠٤
يُفَوّقُونَّنِي ٢٠٦
يَمْصُر ٢٠٨
١٢- فحول الإبل وكرامها ٢٠٩
الفحول ٢٠٩
أولاً: الدلالة على الفَحْل من الإبل. ٢٠٩
ثانياً: الدلالة على الفُحُول من الرِّجال. ٢١١
بُدُّناً ٢١٣
صِرُوم ٢١٤
فَنِيْق ٢١٧
مُنْقِيَات ٢١٩
١٣- الهرم من الإبل ٢٢٠
عَوْداً ٢٢٠
النَّاب ٢٢١
هَرِمَة ٢٢٤
النِّضْو ٢٢٤
١٤- ألفاظ أسماء ولد الإبل وفصلانها ٢٢٦
الفَصيل ٢٢٦
ابن اللّبُون ٢٢٩
البِكار ٢٣١
سَقْباً ٢٣٢

١٥- ألفاظ أصوات الإبل ورغائها ٢٣٤
جَرْجَرة ٢٣٤
رَغَا ٢٣٥
هياجها ٢٣٩
١٦- حنين الإبل وولهها ٢٤٠
الحانّة ٢٤٠
الوَلَهُ ٢٤٣
العِجَال ٢٤٥
١٧- مناخ الإبل وعرجها ٢٤٧
أَنَاخَتْ ٢٤٧
أولاً: الدلالة على الإقَامةِ ومَقَرِّها. ٢٤٧
ثانياً: الدلالة على وَضْعِ الأحمال والأثقال. ٢٤٩
تَبْرك ٢٥٠
العُرْجَة ٢٥٢
١٨- أخفاف الإبل ومناسمها ٢٥٣
خُفّ ٢٥٣
المَنَاسِم ٢٥٥
١٩- ما يُعْتمل عليه من الإبل ٢٥٦
مطايا ٢٥٦
زَوَامل ٢٥٨
المبحث الثاني: ألفاظ الخَيْل ومتعلقاتها ٢٦٠
١- اللجام وأدواته ٢٦٠
لُجُم ٢٦٠
عِنَان ٢٦٣
أولاً: الدلالة على سَيْر الفَرَس الذي تُمْسَكُ به، وتقاد ٢٦٣
ثانيا: الدلالة على اطراف المراعي ٢٦٨

شكِيْمَتُه ٢٦٨
الأول: الدلالة على شِدّة الضّلال، وقوّة الأذى. ٢٦٨
ثانياً: الدلالة على شِدّة البأس والقُوّة والحَزْم على العَدُوِّ. ٢٧٠
حَكَمة ٢٧٠
مِسْحَلِها ٢٧٢
قَعْقَعَة. ٢٧٤
٢- شماس الخيل ٢٧٥
جموح ٢٧٥
شِمَاس ٢٧٧
الحَرُون ٢٧٩
العَنُون ٢٨٠
٣- جماعة الخيل. ٢٨٢
المَنَاسِر ٢٨٢
كِتيْبة ٢٨٤
رَعِيلاً ٢٨٦
مِقْنَب ٢٨٩
٤- جياد الخيل وعتاقها.. ٢٩١
جِيَاد ٢٩١
العِتَاق ٢٩٣
أولاً: وصف الخَيْل الكريمة.. ٢٩٣
ثانياً: الدلالة على الوجوه الكريمة.. ٢٩٤
٥- أجزاء جسم الخيل.. ٢٩٦
الحَافِر ٢٩٦
سَنَابك ٢٩٩
٦- عامة الخيل ٣٠١
خَيْل ٣٠١

أولاً: الدلالة على الخَيْل التي يُجْلَبُ بها الشيطان على الناس............ ٣٠١
ثانياً: الخَيْل الشُمُس بدلالة الخطايا................................ ٣٠٤
فَرَساً ٣٠٦
٧- مضمار الخيل ٣٠٧
المِضْمَار ٣٠٧
الحَلْبَة ٣١٢
أولاً: الدلالة على الاجتماع للمنافسة في الفوز بالجنة. ٣١٢
ثانياً: الدلالة على جماعة الخيل المجتمعة للحرب. ٣١٤
٨- أصوات الخيل ٣١٦
حَمْحَمَة ٣١٦
٩- صغار الخيل ٣١٧
الفِلْو ٣١٧
المبحث الثالث.. ٣١٩
ألفاظ الأتان والحُمُر.. ٣١٩
الحِمَار.. ٣١٩
أتان ٣٢١
العَانة ٣٢٢
المبحث الرابع : ألفاظ السُفُن ومتعلقاتها.............................. ٣٢٤
سَفِينة ٣٢٤
الأولى: تشبيه الدنيا بالسَّفِيْنَة عندما تَقْصِفها العواصف في البحار. ٣٢٤
الثانية: توظيف لفظة (سفن) للدلالة على وسيلة الخلاص من الفتن. ٣٢٥
جُؤجُؤ ٣٢٦

الظواهر اللغوية ٣٢٩

الفصل الثاني

إلفاظ طبقات المجتمع ومتعلقاته

المبحث الأول: ألفاظ الطبقة السفلى (ذوو الحاجة والمسكنة) ٣٣٧
الفقير ٣٣٧
اولاً: الدلالة على الحاجة إلى المأكل ومتعلقاته. ٣٣٧
ذوو الحاجة والمسكنة. ٣٣٩
ثانياً: الدلالة على الافتقار إلى العقل. ٣٤٢
ثالثاً: الدلالة على الضعفاء من الناس. ٣٤٢
رابعاً: الدلالة على الافتقار إلى الناس والحاجة اليهم. ٣٤٣
خامساً: الدلالة على انكسار ظَهْرِ الإنسان. ٣٤٤
ضعيف ٣٤٥
اولاً: الدلالة على ضعاف الناس:........................ ٣٤٥
ثانياً: الدلالة على ضعف البدن. ٣٤٦
ثالثاً: الدلالة على الفَقير الذي لا يَقوى على تَحْصيل قُوته. ٣٤٩
رابعاً: الضَّعْف في النساء. ٣٥٢
المِسْكيْنُ ٣٥٣
اولاً: الدلالة على مَن أذَلَّه الفقر. ٣٥٤
ثانياً: الدلالة على الهدوء والوقار. ٣٥٧
السائل ٣٥٩
البأساء ٣٦٠
اولاً: الدلالة على القتال والحرب. ٣٦١
ثانياً: الدلالة على الشدة والصعوبة والفقر في الحياة. ٣٦٢
ثالثاً: الدلالة على بأس الله تبارك وتعالى:........................ ٣٦٤
رابعاً: الدلالة على القوة والحزم في الرأي العسكري. ٣٦٤
خامساً: الدلالة على ما بعد الموت من الحساب والعذاب. ٣٦٦

سادساً: الدلالة على الدعاءِ بالبُؤْسِ. ٣٦٦
الغارم ٣٦٨
أملق ٣٦٩
اولاً: الدلالة على شدة الفقْر وحِدَّته. ٣٧٠
ثانياً: الدلالة على شدة الافتقار إلى رضا الله تبارك وتعالى والحاجة اليه بوصفه مُدرّ النِّعمِ. ٣٧١
ثالثاً: الدلالة على التَّمَلُّقِ: ٣٧٣
مَدْفوعاً ٣٧٤
أهل الحاجة.. ٣٧٦
أولاً: الدلالة على البُغية والمأربة أو الطلب. ٣٧٧
ثانياً: الحاجة بمعنى الَفقْر. ٣٧٨
أهل الفاقة ٣٨٠
سَغب.. ٣٨١
أولاً: الدلالة على سِلْبِ الحقوق وهَضْمها. ٣٨٢
ثانياً: الدلالة على الجوع المصحوب بالتعب والضَّنِكِ.. ٣٨٣
قانعاً ٣٨٤
ابن السبيل ٣٨٦
الزَّمْنى ٣٨٧
مُعْتَراً ٣٨٨
غَرْثى ٣٩٠
المبحث الثاني: طبقة أصحاب المهن وذوي الصناعات ٣٩٢
رائد ٣٩٢
أولا: الرائد السَّامِع للاخبار الوارد بحق أهل البيت (عليهم السلام)، فكأنه الرائد الذي يجلب أخبار الغيث والكلأ. ٣٩٢
ثانياً: الدلالة على السعي للرزق، وطلبه: ٣٩٥
ثالثاً: الدلالة على المتتبع لمساقط الغيث والكلأ. ٣٩٦
رابعاً: الرائد هو الرسول (ﷺ).. ٣٩٧

طبيب ٣٩٨

اولاً: الدلالة على الأطباء الذين يعالجون المرضى. ٣٩٨

ذوو الصناعات ٤٠٠

حَائِك ٤٠٢

أولاً: الدلالة على المهنة والحرفة التي كان يعمل بها. ٤٠٣

ثانياً: الدلالة على التَّحَيُّكِ، وهو ضرب من المشي: ٤٠٤

ثالثاً: الدلالة على حياكة الكلام ونسجه. ٤٠٤

ممرضه ٤٠٦

المِهَن ٤٠٨

النَّسَّاج ٤٠٩

القَيّن ٤١٠

البنّاء ٤١٥

الحِرفَةِ ٤١٦

الخبّاز ٤١٨

دَارِي ٤١٩

أولاً:دلالتها على(الشِّراع الدُّارِيّ). ٤٢٠

ثانياً: دلالتها على جالب العِطْر والمِسْك من مدينة (دَارِين). ٤٢١

ثالثاً: الدلالة على (الملاّح) الذي يمتهن العمل في السُّفُن وإدارتها. ٤٢١

المترَفّق ٤٢٣

نوتيه ٤٢٤

راقعها ٤٢٥

القَائِف ٤٢٦

المبحث الثالث: ألفاظ طبقة النساء و الأرامل ٤٢٨

النساء ٤٢٨

امرأة ٤٣٢

أنثى ٤٣٤

أولاً: الدلالة على الإناث من النساء. ٤٣٤
ثانياً: الدلالة على أنثى الطاووس. ٤٣٤
الحامل ٤٣٥
حيضهن.. ٤٣٦
الأرملة ٤٣٨
أولاً: الدلالة على المرأة الفقيرة المحتاجة: ٤٣٩
ثانياً: الدلالة على الزوجات اللواتي مات عنهن أزواجهن ٤٤٠
تأيُّمُها ٤٤٠
رَبّات الحِجَال ٤٤١
ضُـرّتان ٤٤٣
عقائـل ٤٤٤
قَـهْـرَمَانَة ٤٤٦
الكِعَاب ٤٤٨
أَملَصَت ٤٤٩
مَـوْؤُودة ٤٥١
المبحث الرابع: الألفاظ المتعلقة بعامة الناس من الرعية ٤٥٣
الناس ٤٥٣
أصناف الناس عند الإمام (عليه السلام). ٤٥٥
الرعيّة.. ٤٥٦
العرب ٤٥٩
أولاً: الدلالة على الذين سكنوا الحواضر والمدن. ٤٦٠
ثانياً: الدلالة على الأَجْلاف من الناسِ،وهم البُدَاةُ الذين لمّا نَزَل فيهم بقايا الجاهلية. ٤٦١
العَامّة ٤٦٤
أولاً: الدلالة على العَامَّةِ من الناس. ٤٦٥
ثانياً: الدلالة على أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).. ٤٦٦
الغريب ٤٦٧

الدلالة على النَّوى والبُعد عن الوطن.. ٤٦٧
السَّوَاد ٤٦٩
أَصْنَاف ٤٧١
الطبقة ٤٧٢
بَيت مَدر ٤٧٣
أولاً: الدالة على حجارة الطين اليابسة. ٤٧٤
ثانياَ: الدلالة على القرى المبنيّة من الطِيْن.. ٤٧٤
نظير ٤٧٥
أولاً: الدلالة على الشبيه أو المثيل في الخَلْق. ٤٧٥
ثانياً: الدلالة على نَفْي الشبيه والنظير. ٤٧٦
ثالثاً: الدلالة على سُوء النَّظِير وقِلَّة شَأْنه. ٤٧٧
البَدْو ٤٧٨
رَعَاع ٤٧٩
هَمج ٤٨٠
النَّمَط الأوسط ٤٨١
سُوقاً ٤٨٢
المبحث الخامس: ألفاظ الجُند والشرطة.. ٤٨٥
جنود ٤٨٥
أوّلاً: الدلالة على الجيش والعسكر. ٤٨٦
الفارق بين لفظتي (جُنْد)، و(جُنُود) في نهج البلاغة:.. ٤٨٧
أولهما: الدلالة على التفرّد:.. ٤٨٨
ثانيهما: الدلالة على الذَّمِّ والتَّحقير:.. ٤٨٩
ثانياً: الدلالة على الأعوان والأنصار:.. ٤٩٣
ثالثاً: الدلالة على مِصر وبَلْدَتهم: ٤٩٤
جيش ٤٩٦
حارس.. ٤٩٧

أوّلاً: الدلالة على أعوان الوالي: ٤٩٨
ثانياً: الدلالة على حراسة (الجُوْدِ والأَجل) للإنسان: ٤٩٩
عيون ٥٠٠
المقدّمَة ٥٠٢
شرطياً ٥٠٤
عَرِيفاً ٥٠٦
أوّلاً: الدلالة على العريف الذي يُعَرِّف النّاس للظالمين: ٥٠٦
ثانياً: الدلالة على سيادة الأئمة (عليهم السلام) على الخَلْق: ٥٠٨
جَحْفَل ٥١٠
رُقَباء ٥١١
طَلائِعُهم ٥١٢
عَشّاراً ٥١٤
المبحث السادس: ألفاظ طبقة السادة والأشراف ورؤوس القوم ٥١٦
الأحرار ٥١٦
الحلماء ٥١٧
سَيِّد ٥١٩
أولاً: الدلالة على الشرف والسيادة والكرم والحلم في الدنيا والآخرة. ٥١٩
ثانياً: الدلالة على السادات الكبراء الزعماء: ٥٢٠
الأكياس ٥٢١
لهَامِيْم ٥٢٣
يَعْسوب ٥٢٦
كُبَرائكم ٥٢٩
المُجداء والنّجداء ٥٣٠
القِرْم ٥٣٢
المبحث السابع: طبقة العبيد والموالي الخدم ٥٣٤
عَبد ٥٣٤

أوّلاً: الدلالة على العبودية لله تبارك وتعالى. ٥٣٤
ثانياً: الدلالة على العبيد المملوكين. ٥٣٦
عُبْدَان ٥٣٩
العِتق ٥٤٢
أولاً: الدلالة على تحرير العبيد وإطلاقهم من الرِّق. ٥٤٢
ثانياً: الدلالة على التحرر من ذلِّ الدنيا وطاعة الشيطان. ٥٤٤
ثالثاً: الدلالة على كرام الخيل ونجائبها ٥٤٥
خادِمُهُ. ٥٤٦
أوّلاً: الدلالة على الخَدَم. ٥٤٧
ثانياً: الدلالة على اتخاذ الجوارح التي خلقها الله تعالى للإنسان خدماً له. ٥٤٨
الرِّق ٥٥١
أوّلاً: الدلالة على الرِّقة والعطف والحنان. ٥٥٢
ثانياً: الدلالة على رِقَّة الجلد. ٥٥٢
ثالثاً: الدلالة على العَبِيْد والخدم. ٥٥٤
رابعاً: الدلالة على الطمع وذُلِّهِ. ٥٥٧
خامساً: الدلالة على الحياء من الله تبارك وتعالى. ٥٥٧
مملوكاً ٥٥٨
أوّلاً:الدلالة على أنّ جميع العبيد هم مملوكون لله تعالى. ٥٥٨
ثانياً: الدلالة على كلّ ما يملكه الإنسان من ذنوب. ٥٥٩
خَوْلاً ٥٥٩
الإماء ٥٦١
المبحث الثامن: طبقة العمال والإداريين والحواشي ٥٦٤
عمّال ٥٦٤
خُزّان ٥٦٧
أولاً: الدلالة على خُزَّان بيت مال المسلمين: ٥٦٨
ثانياً: الدلالة على خزنة العلم، وهم أهل البيت (عليهم السلام) ٥٧٠

كتّابك ٥٧٤
بطانة ٥٧٩
جُباة الخراج ٥٨٠
وزير ٥٨١
أولاً: الدلالة على كونه (عليه السلام) وزيرًا للنبيِّ وللأمّة. ٥٨١
ثانياً: الدلالة على وزراء الأمراء والولاة ٥٨٣
حاشيتك ٥٨٤
المبحث التاسع: ألفاظ طبقة ذوي الرقة في السِّن والأيتام ٥٨٦
النسل ٥٨٦
أولاً: الدلالة على الأولاد والذريّة. ٥٨٦
ثانياً: الدلالة على التَّزاوج المُسبِّب لتكوين الأولاد ٥٨٨
الغلام ٥٨٩
اولاً: الدلالة على الإمام الحسن (عليه السلام): ٥٨٩
ثانياً: الدلالة على اشتداد الفتنة واضطرابها ٥٩١
ثالثاً: الدلالة على هياج الفحول من أزّها للضّراب. ٥٩٢
الّصبي ٥٩٣
اولاً: الدلالة على اللهو والعَبَث. ٥٩٤
ثانياً: الدلالة على أولاد عقيل بن أبي طالب. ٥٩٦
الطِفْل ٥٩٦
يتيم ٥٩٨
ذوي الرِّقة في السِّن ٦٠٤
المبحث العاشر: طبقة العلماء والفقهاء والحكماء ٦٠٦
عالم ٦٠٦
أولاً: الدلالة على العارفين لله تبارك وتعالى وإحكام دينه ٦٠٧
ثانياً: العَالِم هو الله تبارك وتعالى: ٦٠٩
ثالثاً: الدلالة على المعلم المصلح المؤدِّب، والمتعَلِّم. ٦٠٩

الفَقيه ٦١١
أولاً: الدلالة على العلم بالقرآن الكريم وأمور الدين وما يتعلق بها. ٦١١
ثانياً: الدلالة على الفقهاء من علماء الدين ٦١٢
القُضَاة ٦١٣
ترْجمان ٦١٤
أولاً: الدلالة على العارفين بالقرآن الكريم، وتفسيره ٦١٥
ثانياً: الدلالة على الأدْعياء الذين يُتَرجِمون كلام إبليس وينقلونها إلى جانب الفعل والتّصَرّف. .٦١٦
ثالثاً: الدلالة على الرِّسُول الذي يبعثه الناس إلى غيرهم. ٦١٧
الحُكَماء ٦١٧
الخطيب ٦٢٠
الشَّحْشحُ.. ٦٢١
المبحث الحادي عشر: طبقة الحمقى والمغفلين ٦٢٧
أَحْمَق ٦٢٧
تغابيت ٦٣١
أولا: الدلالة على الغَفْلَة وعدم الانتباه... ٦٣١
ثانياً:الدلالة على التَّيْهِ والضلال. ٦٣٢
الخُرْق ٦٣٣
أولاً: الدلالة على الحُمْق والجَهْل. ٦٣٤
ثانيا: الدلالة على العَجَلَةِ أو التَّأني في معالجة الأمور. ٦٣٥
المائِق ٦٣٦
النَوْكَى ٦٣٨
المبحث الثاني عشر: ألفاظ طبقة السَّحرة والكُهّان والمُقَامِرين ٦٤١
السُاحر ٦٤١
أولاً: وَصْفُ المشركين النبي (ﷺ) بالسِّحْر. ٦٤١
ثانياً: الدلالة على حقيقة السِّحْر ٦٤٢

نُشْرة.. ٦٤٢
الكاهن ٦٤٤
المنجِّم ٦٤٦
الياسِر ٦٤٧
المبحث الثالث عشر: ألفاظ طبقة غير المسلمين من أهل الذمة ٦٥٢
أهل الذّمّة ٦٥٢
مُعاهَد ٦٥٣
أهل الجزية ٦٥٤
المبحث الرابع عشر: ألفاظ طبقة الأغنياء والملاّك ٦٥٥
الأغنياء ٦٥٥
أولاً: الدلالة على الثروة ووفرة المال. ٦٥٥
ثانياً: الدلالة على عدم حاجة الله تبارك وتعالى إلى غيره: ٦٥٦
ترف ٦٥٧
دَهَاقين ٦٦٠
الظواهر اللغوية ٦٦٤